











# إحياء علوم الدين

## للإمام الفخر الرازي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الفخر الرازي  
وفلسفته في الإحياء

بمقدم

الدكتور زيدوني طهانة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم  
بجامعة القاهرة

المجلد الثالث

دار الصحوة العلمية العربية

مبنى الباني الجديد - القاهرة

وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب

(قرآن كريم)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب شرح عجائب القلب)

وهو الأول من ربيع للهلاك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تحرير دون إدراك جلاله القلوب والجواهر ، وتدهش في مبادئ إشراق أنواره الأحداق والنواظر ، للطلع على خفيات السرائر ، العالم بمكنونات الضمائر ، المستغنى في تدبير مملكته عن المشاور وللوازر ، مقلب القلوب وغفار الذنوب ، وستر العيوب ، ومفرج الكرب . والصلاة على سيد المرسلين ، وجامع شمل الدين ، وقاطع دابر اللحدنين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم كثيرا .

أما بعد : فصرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله وغره وفي الآخرة عذته وذخره وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجوارحه من جوارحه ، فالقلب هو العالم بالله وهو المتقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه ، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو للقبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحبوب عن الله إذا صار مستقرا بغير الله وهو الطالب وهو الخاطب وهو المأتمن وهو الذي يسعد بالتقرب من الله فيبلغ إذا زكاه وهو الذي يغيث ويشق إذا دنسه ودهاه وهو الطبع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره ، وهو العاصي للتمرد على الله تعالى وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره ، وباطلامه واستنارته تظهر بحاسن الظاهر ومساويه إذ كل إناء ينضح بما فيه ، وهو الذي إذا عرفه الانسان قد عرف نفسه وإذا عرف نفسه قد عرف ربه وهو الذي إذا جهله الانسان قد جهل نفسه وإذا جهل نفسه قد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فان الله يحول بين الرء وقلبه وحيلولة بأن ينمته عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية خلقه بين أصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف هو مرة إلى أسفل السافلين وينخض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم اللاتكثرة القربين ومن لم يعرف قلبه ليراعيه ويرتد لما يلوح من خزانة الكسوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه - نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - لمعرفة القلب حقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين . وإذ فرغنا

(كتاب شرح عجائب القلب)

[الباب الثلاثون في

تفاصيل أخلاق

الصوفية]

من أحسن أخلاق

الصوفية التواضع ولا

يلبس العبد لبسة أفضل

من التواضع ومن ظفر

بكثر التواضع والحسنة

يقم نفسه عند كل

أحد مقدارا يعلم أنه

يقيم ويقيم كل أحد

على ما عنده من نفسه

ومن رزق هذا قد

استراح وأراح وما

يتلقا إلا العالمون .

أخبرنا أبو زرعة عن

أبيه الحافظ القدسي

قال أنا عثمان بن عبد الله

قال أنا عبد الرحمن

ابن إبراهيم قال ثنا

عبد الرحمن بن حمدان

قال ثنا أبو حاتم الرازي

من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والمعادات وهو العلم الظاهر ووجدنا أن شرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات الهللكات والنجيات وهو العلم الباطن فلا بد أن تقدم عليه كتابين كتابا في شرح محاسن صفات القلب وأخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم تندفع بعد ذلك في تفصيل الهللكات والنجيات فلنذكر الآن من شرح محاسن القلب بطريق ضرب الأمثال من قريب من الأنعام فان التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة في جملة عالم اللسوك مما يكل عن دركه أكثر الأنعام .

( بيان معنى النفس ، والروح ، والقلب ، والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء )

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب ، ويقال في خول العلماء من يحيط بهذه الأسماء واختلاف معانيها وحدودها ومسمايتها ، وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسماء واشتراكها بين معاني مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الأسماء ما يتعلق بفرضنا . اللفظ الأول : لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين : أحدهما الهم الصنوبرى الشكل الودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وباطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ، ولنا قصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود لذيت ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نمن به ذلك فإنه قطعة لحم لا تدرك له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين .  
واللنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها هذا القلب الجسائى تعلق وتلك اللطيفة هى حقيقة الإنسان وهو للدرك العالم العارف من الإنسان وهو الخاطب والمقاب والمقاب وللطالب ولها علاقة مع القلب الجسائى وقد غيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاهى تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما توقعه لمعنيين : أحدهما أنه متعلق بعلوم المكشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب الإلغام العامة .  
والثاني أن تحقيقه يستدعى إفساء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فليس لغيره أن يتكلم فيه ، وللقصود أنا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم العامة يقتصر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يقتصر إلى ذكر حقيقتها . اللفظ الثاني : الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بحس غرضنا لمعنيين : أحدهما جس لطيف منبعه تجويف القلب الجسائى فينثر بواسطة العروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيض أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهى فيض النور من السراج الذى يدار في زوايا البيت فانه لا يمتد إلى جزء من البيت إلا ويستدير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنفضته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ يتعلق به غرض الأطباء الذين يبالغون الأبدان ، فأما غرض أطباء الدين والعالمين للقلب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا . اللنى الثاني هو اللطيفة العامة للدركة من الإنسان وهو الذى

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في الروح متفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح وفيه فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم فقلت أنه يوحى إليه الحديث وقد تقدم .

قال ثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا ولا يفتى بعضكم على بعض » وقال عليه السلام في قوله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - قال على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس ، وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحب دعوة الحر والعبد وقبل الهدية ولو أنها جرة لبن أو غدا رنب ويكافئ عليها وأكلها

شرحناه في أحدهما القلب وهو الذى أراده الله تعالى بقوله - قل الروح من أمر ربي - وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته . اللفظ الثالث : النفس وهو أيضاً مشترك بين معانٍ ويتعلق بفرسانه معنيان : أحدهما أنه يراد به للجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ماسياتٍ شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبك » (١) . المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي غش الإنسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس الطمئة قال الله تعالى في مثلها - يَأْتِيهَا النَّفْسُ الطَّمْئَةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً - والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى فاتها مبعدة عن الله وهي حزب الشيطان وإذالم يتم سكوتها ولكها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعتزلة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى - وَلَا تَقْسَمُ بِالنَّفْسِ الْوَأَمَةِ - وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام أوامرأة العزيز - وَمَا يَرَىٰ نَفْسِي إِلَّا النَّفْسَ الْأَمَارَةَ بالسوء - وقد يجوز أن يقال للراد بالأمارة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فاذن النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية القوم بالمعنى الثاني حميدة لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالة بالله تعالى وسائر المعلومات . اللفظ الرابع : العقل وهو أيضاً مشترك لمعانٍ مختلفة ذكرناها في كتاب العلم ، وللتماق بفرسان من جملة معنيان : أحدهما أنه قد يطلق ويراد به العلم عقائقي الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي عمله القلب . والثاني أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة ، ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير اللوصف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الإدراك أعني المدرك وهو للراد بقوله عليه السلام « أول ما خلق الله العقل » (٢) فإن العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لا بد وأن يكون المحل مخلوقاً قبله أو معه ولأنه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر أنه قاله تعالى أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر الحديث فاذن قد انكشف لك أن معنى هذه الأسماء موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعالم فيه أربعة معانٍ يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى خامس : وهي اللطيفة العالة للمدرك من الإنسان والألفاظ الأربعة بجملة تواردها عليها فالمعاني خمسة والألفاظ أربعة وكل لفظ أطلق لعينين وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها فترام يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قمنا شرح هذه الأسماء وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء وقد يكتفى عنه بالقلب الذي في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فاتها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب وكأنه عليها ومثلتها وعالمها ومطيقها ولذلك شبه سهل التسترى القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش (١) حديث أعدى عدوك نفسك التي بين جنبك البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضعيين (٢) حديث أول ما خلق الله العقل وفي الخبر أنه قال له أقبل فأقبل وقال أدبر فأدبر الحديث تقدم في العلم .

ولا يستكر عن إجابة لأمة والمكسين وأخبرنا أبو زرعة إجازة عن ابن خلف إجازة عن السلي قال أنا أحمد بن علي القرري قال أنا محمد ابن للمال قال حدثني أبي عن محمد بن جابر النجاشي عن سليمان بن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك وأن ترضى بالدون من المجلس وأن لا تحب للدحة والتزكية والبر » وورد أيضاً عنه عليه السلام « طوبى لمن تواضع من غير

والصدر هو الكرسي ولا يظن به أنه يرى أنه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل أراد به أنه يمكنه  
والجبري الأول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى ولا يستقيم  
هذا التشبيه أيضا إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بفرضنا قلنا جاوزه .

### ( بيان جنود القلب )

قال الله تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو - فله سبحانه في القلوب والأرواح وغيرهما من العوالم جنود مكنونة  
لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بفرضنا  
وله جندان جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالباطن وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم  
والأعوان فهذا معنى الجند فأما جنده للشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر  
الأعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعا خادمة للقلب ومسخرة له فهو للتصرف فيها وللرد لها وقد  
خاقت بحيلة على طاعته لا يستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فإذا أمر العين بالافتتاح انتحت وإذا أمر  
الرجل بالحركة حركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم بالحكم يتكلم وكذا سائر الأعضاء وتسخير الأعضاء  
والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير للملائكة لله تعالى فانهم يجوبون على الطاعة لا يستطيعون  
له خلافا بل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وإنما يفرقان في شيء وهو أن للملائكة عليهم  
السلام علة بطاعتها وامتثالها والأجنان تطيع القلب في الاعتقاد والانطباق على سبيل التسخير ولا خير  
لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والزراد  
لسفره الذي لأجله خالق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع للنازل إلى لقاءه فلا جله خلقت القلوب قال  
الله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - وإنما مركبه البدن وزاده العلو وإنما الأسباب  
التي توصله إلى الزاد وتمكنه من الزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه  
مالم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان للزلا الأذن لا بد من قطعه للوصول إلى الزلا الأعلى فالدنيا  
مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت دنيا لأنها أدنى الزلتين فاضطر إلى أن  
يزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه وإنما  
يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوقاه من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك  
فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والأعضاء الخالصة للغذاء فخلق  
في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلقت الأعضاء التي هي آلات الشهوات فافتقر لأجل دفع  
المهلكات إلى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء وظاهر وهو اليد  
والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمر خارج فالجوارح من البدن كالأسلحة وغيرها  
ثم المحتاج إلى الغذاء مالم يعرف الغذاء لم تنفع شهوة الغذاء وإلغاه فافتقر للصرفة إلى جندين باطن وهو  
إدراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه  
الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد أشرتنا إلى طرف يسير منها في  
كتاب الشكر فليقتض به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث إما إلى  
جلب النافع الوافق كالشهوة وإما إلى دفع الضار النافي كالغضب وقد جبر عن هذا الباعث بالإرادة  
والثاني هو الحركة للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرته وهي جنود ميثومة  
في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار والثالث هو الإدراك للتعرف للأشياء كالحواس وهي  
قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهي ميثومة في أعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك  
ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء للمركبة من الشحم والحم والصب

منقصة وذلك في نفسه  
من غير مسكنة مسئلة  
الجند عن التواضع  
فقال خضع الجنان  
ولين الجانب . وسئل  
الفضل عن التواضع  
فقال تخضع للحق  
وتتقاد له وتقبله بمن  
قاله وتسمع منه . وقال  
أيضا من رأى نفسه  
قيمة فليس له في  
التواضع نصيب . وقال  
وهب من مكنون  
في كتب الله إني  
أخرجت الدر من  
صلب آدم فلم أجد قلبا  
أشد تواضعا إلى من  
قلب موسى عليه  
السلام فذلك اصطيقته  
وكلمته . وقيل من  
عرف كوامن نفسه  
لم يطعم في الله لحو

والهم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش إنما هي بالأصابع وقوة البصر إنما هي بالعين وكذا سائر القوى ولنا تسكلم في الجنود الظاهرة أعني الأعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وإنما تسكلم الآن فيما أيدت به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو للدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن للنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي أيضا خمسة فان الإنسان يدرؤة التي يضمن عينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الخلد الحافظ ثم يتفكر فيها يحفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ثم يذكر ما قد نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات في الباطن حس مشترك وتخيل وتصور وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان الدماغ غلغله كما تغلغل الدود والرجل عنه فذلك القوى أيضا جنود باطنة وأما كتبها أيضا باطنة فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدرك فهم الضعفاء بضرب الأمثلة بطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن يفتح به الأقوياء والضعفاء من الغماء ولعلنا نجتهد في فهم الضعفاء بضرب الأمثلة ليقرب ذلك من أفهامهم .

### ( بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة )

اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد يتقادان للقلب اقتيادا تاما فيعينه ذلك في طريقه الذي يسلكه ونحن مراقبهما في السفر الذي هو بعده وقد يستصيان عليه استصاء بنى وتعد حتى يملكاه ويستبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد والقلب جنوداً خروجه العلم والحكمة والتفكير كما سيأتي شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجنود فانه حزب الله تعالى على الجنودين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جنود الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيا يفتقر العقل إليه ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة . المثال الأول : أن قول مثل نفس الإنسان في بدنه أعني بالنفس الطاغية للذ كورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية للتفكير له كالشريف الناصح والوزير العاقل والشهوة له كاليد السوء يجلب الطعام واللبنة إلى المدينة والغضب والحيلة كصاحب الشرطة والبدن الجالب للميرة كذاب مكار خبيث يعمل بصورة الناصح ويحث نصيحة الشر الهائل والم القاتل وديده وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتدبيراته حتى إنه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما أن الوالي في مملكته إذا كان مستغنيا في تدبيراته بوزيره ومستشير الوهم ومعارض إشارة هذا العبد الخبيث مستدلا بإشارته في أن الصواب في تقيض رأيه أدبه صاحب شرطته وسامه لوزيره وجهه مؤخره لا مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا لاسائسا وأمورا مديرا لا أميرا مديرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكفنا النفس متى استعانت بالعقل وأدبت بحجة الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداها على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وتقلل غلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسلط الغضب والحيلة عليها وتبسيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأمله الله على علم - وقال تعالى سوانع هواه فله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - وقال عز وجل فيمن نهي النفس عن الهوى

والشرف ويسلك سبيل التواضع فلا يخاضع من بزمه ويشكر الله لمن يحمد وقال أبو حنيفة من أحب أن يتواضع قلبه فليصحب الصالحين وليترنم بحمدهم فمن شدة تواضعهم في أنفسهم يقتدى بهم ولا يتكبر . وقال لقمان عليه السلام لكل شيء مطبوعة العمل التواضع . وقال النوري خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا عالم زاهد وقيه صوفي وغنى متواضع وقدير شاكرو شريف سخي . وقال الجلاء لولا شرف التواضع كنا إذا مشينا نخطر وقال يوسف بن أسباط وقد مثل ما غاية التواضع قال أن يخرج

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ لِلَّذِي - وَسَيَّانٍ كَيْفِيَّةُ مُجَاهَدَةِ هَذِهِ الْجُنُودِ وَتَسْلِيْطُ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي كِتَابِ رِيَاضَةِ النَّفْسِ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . لِتَالِئِ الْكَافِي : اعْلَمْ أَنَّ الْبَدَنَ كَالْمَدِينَةِ وَالْعَقْلُ أَمْنَى الدَّرَكِ مِنَ الْإِنْسَانِ كُلِّكَ مَدِيرُهَا وَقَوَاهُ الدَّرَكَةُ مِنَ الْخَوَاسِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ بِكَتْمِهِ وَأَعْوَانِهِ وَأَعْضَاؤِهِ وَكَرِيهِتِهِ وَالنَّفْسُ الْأَمَارَةُ بِالسُّوءِ الَّتِي هِيَ الشَّهْوَةُ وَالْتَضْبِيبُ كَمَدْوِيٍّ يَنْزَعُهُ فِي مَمْلَكَتِهِ وَيَسْمِي فِي إِهْلَاكِهَا رَغْبَتَهُ ضَارِبَتَهُ كِرْبَاطٍ وَقَتْرُوعُهُ كَتْمُهُ فِيهِ مِرَابِطٌ فَإِنَّهُ هُوَ مُجَاهِدُ عَدُوِّهِ وَهَزْمُهُ وَقَتْرُهُ عَلَى مَا عَجِبَ حَدَّثَنَا أَنَّهُ إِذَا غَادَ إِلَى الْحَضْرَةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً - وَإِنْ ضَمِنَ قَتْرُهُ وَأَهْمَلُ رَغْبَتُهُ ذَمُّهُ أَنَّهُ فَاتَمَّ مِنْهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَيَقَالُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا رَاعِي السُّوءِ أَكَلْتَ اللَّحْمَ وَشَرِبْتَ اللَّبَنَ وَلَمْ تَأْتِ الصَّالَةَ وَلَمْ تُجِبِ الْكُسْبِيَّ الْيَوْمَ أَتَمَّ مِنْكَ (١) كَلُورْدِ فِي الْخَبَرِ وَإِلَى هَذِهِ الْمُجَاهِدَةِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِ الْأَصْفَرِ إِلَى الْمُجَاهِدِ الْأَكْبَرِ» (٢) لِتَالِئِ الْكَافِي : مَثَلُ الْعَقْلِ مَثَلُ فَارَسٍ مُتَمَيِّدٍ وَشَهْوَتُهُ كَقَرْنِهِ وَغَضَبُهُ كَكَلْبِهِ فَتَنَّى كَانَ الْفَارَسُ حَاقِقًا وَقَرْنُهُ مَرُوضًا وَكَلْبُهُ مُؤَدَّبًا مَعْلَمًا كَانَ جَدِيرًا بِالْبِتَاجِ وَمَتَّى كَانَ هُوَ فِي نَفْسِهِ أَفْرَقَ وَكَانَ الْفَرَسُ جَوْحًا وَالْكَلْبُ عَقُورًا فَلَا فَرْسَ يَبْتَغِي نَفْسَهُ مِنْكَ وَمَقَادًا وَلَا كَلْبَ يَسْتَرْسِلُ بِإِغَارَتِهِ مَطِيحًا فَهُوَ خَلِيقٌ بِأَنْ يَطْلُبَ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَنَالُ مَاطِلًا وَأَمَّا أَفْرَقَ الْفَارَسِ مَثَلُ جَهْلِ الْإِنْسَانِ وَقَلَّةُ حِكْمَتِهِ وَكَلَالُ بَصِيرَتِهِ وَجِلَاجُ الْفَرَسِ مَثَلُ غَلْبَةِ الشَّهْوَةِ خُصُوصًا شَهْوَةِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ وَعَقْرُ الْكَلْبِ مَثَلُ غَلْبَةِ الْتَضْبِيبِ وَاسْتِثْلَاةُ - نَسَأَلُ اللَّهَ حَسَنَ التَّوْفِيقِ بِلَطْفِهِ .

( بيان خاصة قلب الانسان )

اعْلَمْ أَنَّ جَمْلَةَ مَا ذَكَرْنَا قَدْ أُنْشِئَ اللَّهُ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ سِوَى الْإِنْسَانِ إِذْ لَلْحَيَوَانَاتِ الشَّهْوَةُ وَالْتَضْبِيبُ وَالْخَوَاسِ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ أَيْضًا حَتَّى إِنْ أَلْعَاةَ تَرَى الْقَدْبَ يَبْتِغِيهَا فَعَلَمَ عِدَاوَتَهُ جَلْبَاهَا قَتْرَبُ مِنْهُ فَذَلِكَ هُوَ الْإِدْرَاكُ الْبَاطِنُ فَلَنْذَكَرَ مَا يَخْصُصُ قَلْبَ الْإِنْسَانِ وَلِأَجْلِ عَظَمَتِهِ وَاسْتَطَاعَتِهِ الْقَرِيبَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى عِلْمٍ وَإِرَادَةٍ أَمَّا الْعِلْمُ فَهُوَ الْعِلْمُ بِالْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرِيَّةِ وَالْحَقَائِقِ الْعَقْلِيَّةِ فَإِنَّ هَذِهِ أُمُورَ وَرَاءَ الْمَحْسُوسَاتِ وَلَا يَشَارِكُ فِيهَا الْحَيَوَانَاتُ بِلِ الْعِلْمِ الْكَلْبِيَّةِ الْفُضْرُورِيَّةِ مِنْ خَوَاسِ الْعَقْلِ إِذْ يَحْكُمُ الْإِنْسَانُ بِأَنَّ الشَّخْصَ الْوَاحِدَ لَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ فِي مَكَانَيْنِ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَهَذَا حُكْمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَدْرِكْ بِالْحِسِّ إِلَّا بَعْضَ الْأَشْخَاصِ فَحُكْمُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْخَاصِ زَائِدٌ عَلَى مَا أَدْرَكَ الْحِسَّ وَإِذَا فُهِمَتْ هَذِهِ فِي الْعِلْمِ الظَّاهِرِ الْفُضْرُورِي فَهُوَ فِي سَائِرِ النَّظَرِيَّاتِ أَظْهَرُ وَأَمَّا الْإِرَادَةُ فَإِنَّهُ إِذَا أَدْرَكَ بِالْعَقْلِ عَاقِبَةَ الْأَمْرِ وَمَطَرِيقَ الصَّلَاحِ فِيهِ انْبَثَ مِنْ ذَاتِهِ حَقٌّ إِلَى جِهَةِ الصَّلَاحِ وَإِلَى تَمَاطُلِ أَسْبَابِهَا وَالْإِرَادَةُ لَهَا وَذَلِكَ غَيْرُ إِرَادَةِ الشَّهْوَةِ وَإِرَادَةِ الْحَيَوَانَاتِ بَلْ يَكُونُ عَلَى ضِدِّ الشَّهْوَةِ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ تَنْفَرُ عَنِ الْقَصْدِ وَالْجَاهِدَةِ وَالْعَقْلُ يَرِيدُهَا وَيَطْلُبُهَا وَيَسْذَلُّ لَهَا فِيهَا وَالشَّهْوَةُ تَبْهَلُ إِلَى لِقَائِهَا الْأَطْمَعَةُ فِي حَبْلِ اللَّزْزِ وَالْعَاقِلُ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ زَاجِرًا عَنْهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ زَاجِرَ الشَّهْوَةِ وَلَوْ خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ لَمَرَفَ بِمَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَلَمْ يَخْلُقْ هَذَا الْبَاغِيَ الْمَهْرُكَ لِلْأَعْضَاءِ عَلَى مَقْضَى حُكْمِ الْعَقْلِ لَكَانَ حُكْمُ الْعَقْلِ تَأَمُّلًا عَلَى التَّحْقِيقِ فَإِنَّ قَلْبَ الْإِنْسَانِ اخْتَصَّ بِعِلْمٍ وَإِرَادَةٍ يَنْفَكُ عَنْهَا سَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ بَلْ يَنْفَكُ عَنْهَا الشَّيْءُ فِي أَوَّلِ الْفُطْرَةِ وَإِنَّمَا يَحْدُثُ ذَلِكَ فِيهِ بَعْدَ الْبُلُوغِ وَأَمَّا الشَّهْوَةُ وَالْتَضْبِيبُ وَالْخَوَاسِ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ فَاتِّمَامُ جُودَةٍ فِي حَقِّ الشَّيْءِ الْمَحْسُوسِ فِي حُصُولِ هَذِهِ الْعِلْمِ فِيهِ لَدَرَجَاتٍ : إِنْ دَخَلْنَا أَنَّ يَشْتَمِلُ قَلْبُهُ

(١) حَدِيثٌ يَقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا رَاعِي السُّوءِ أَكَلْتَ اللَّحْمَ وَشَرِبْتَ اللَّبَنَ وَلَمْ تَأْتِ الصَّالَةَ الْحَجْرُ لَمْ أَجِدْ لَهُ أَصْلًا (٢) حَدِيثٌ رَجَعْنَا مِنَ الْمُجَاهِدِ الْأَصْفَرِ إِلَى الْمُجَاهِدِ الْأَكْبَرِ الْبَيْهَقِيُّ فِي الرَّهْذِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ وَقَالَ هَذَا إِسْنَادٌ فِيهِ ضَعْفٌ .

من يبتك فلا تلق  
أحدًا إلا رأيت خيرا  
منك ورأيت شيئا  
ضياء الدين بأنا التحيب  
وهكنت معه في  
سفره إلى الشام وقد  
بثت بعض أبناء الدنيا  
له طعاما على رهوس  
الأسارى من الافرنج  
وم في قيودهم فلما  
مدت السفارة والأسارى  
ينتظرون الأوان حتى  
تضرب قال للخدام  
أحضر الأسارى حتى  
يقدموا على السفارة مع  
الفقراء فجاء بهم  
وأقدم على السفارة  
صفا واحدا قام الشيخ  
من سجاداته ومشى  
إلهم وقعد بينهم  
كالواحد منهم فأكل  
وأكلوا وظهر لنا على  
وجهه ما نازل بطنه

على سائر العلوم الضرورية الأولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد . الثانية أن تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالحزونة عنده فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشرة الكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لأخص يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبصرف المعلومات وحسنها وبطريق تحصيلها إذ حصل لبعض القلوب إلهام إلهي على سبيل القيادة والكشفة ولبيهم يتم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تباين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها وأقصى الرتبة التي التي الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف إلهي في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة بالمكان والسافة ومراقى هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل سالك منزله الذي يلقاه في سلوكه فيعرفه ويعرف ماخلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيمانا بالقلب كما أنا نؤمن بالنبوة والتي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يقع له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته - ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يحسب لها - وهذه الرحمة مبدولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضمون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب المتضرعة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا تفرحوا بها » (١) « وتعرض لها بتطهير القلب وتزكيت من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق الذمومة كما سيأتي بيانه وإلى هذا الجود الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله كل ليلة إلى سماه الدنيا فيقول هل من داع فاستجب له » وقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل « قد طال شوق الأبرار إلى لقاءي وأنا إلى لقاءهم أشد شوقا » (٢) « وقوله تعالى « من تقرب إلى شبرا تقرب إليه ذراعا » (٣) « كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تعجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة النعم ، تعالى عن البخل والتعز عوا كبيرا ولكن حببت لخبث وكدورة وغفل من جهة القلوب فان القلوب كالأواني شادامت بمثلة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها للرحمة بجلال الله تعالى وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » (٤) « ومن هذه الجمل يبين أن خاصة الانسان العلم والحكمة

من التواضع له والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بايمانه وعلوه وعمله . أخيرا نأبو زرعة إجازة عن أبي بكر بن خلف إجازة عن السلمي قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت الجرجري يقول سمع عند أهل القرعة أن للدين رأسا مال خمسة في الظاهر وخمسة في الباطن فأما اللواتي في الظاهر فصدق في الانسان وسخاوة في الملك وتواضع في الأيمان وكشف الأذى وإحاطة بلاياه . وأما اللواتي في الباطن فحب وجود سيده خوف الفراق من سيده ورجاء الوصول إلى سيده

- (١) حديث إن لربكم في أيام دهركم نفحات الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد
- وقد تقدم (٢) حديث يقول الله عز وجل قد طال شوق الأبرار إلى لقاءي الحديث لم أجده أصلا إلا أن صاحب الفردوس خرجنه من حديث أبي البرداء ولم يذكر له واصله في مسند الفردوس
- إسنادا (٣) حديث يقول الله من تقرب إلى شبرا تقرب إليه ذراعا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في الصيام .



وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعاده وصلاحه لجوار  
حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب لغيره والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته  
التي لأجله خلق وكما أن القرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفرو  
وحسن الهيئة فيكون القرس مخلوقاً لأجل تلك الخاصية فان تعطلت منه زل إلى حضيض رتبة الحمار  
وكذلك الانسان يشارك الحمار والقرس في أمور ويخالفهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصيتين  
صفات لللائكة المقربين من رب العالمين والانسان على رتبة بين البهائم ولللائكة فان الانسان من  
حيث يتفدى وينمل فنيات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار حيوان ومن حيث صورته وقامته  
فكالصورة المنقوشة على الحائط وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه  
على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه باللائكة تحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى  
ملكاً وربانياً كما أخبر الله تعالى عن صوابات يوسف عليه السلام بقوله - ما هذا بشراً إن هذا  
إلا ملك كريم - ومن صرف همه إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام قد انحط إلى  
حضيض أفق البهائم فيصير إما غمراً كثوراً وإما شرهاً تكثيراً وإما ضرباً ككسب أو سورا أو خوداً  
كجمل أو متكبراً كعمر أو ذا روغان كسبل أو يجمع ذلك كله كشیطان مريد وامن عضو من  
الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتي  
بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وخجل  
السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه  
والأعضاء خدمه فيستقر هو أعني للدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط ملكته كالملكوت يجري  
القوة الحياتية للوعدة في مقدم الدماغ يجري صاحب بریده إذ تجتمع أخبار الحسوسات عنده ويجري  
القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ يجري خازنه ويجري اللسان يجري ترجمانه يجري الأعضاء  
للتحركة يجري كتابه ويجري الحواس الحسنى يجري جواسيه فيوكل كل واحد منها بأخبار متقع من  
الأمساق فيوكل العين بآلوان والسمع بآل الأصوات والشم بآل الروائح وكذلك سائر أفعالها  
أصعاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الحياتية التي هي كصاحب البريد  
ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها  
ما يحتاج إليه في تدبير ملكته وإتمام سفره الذي هو بسدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع  
قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك كان موقفاً سعيداً شاكرًا نعمة الله وإذا عطل هذه الجلبة  
أو استعملها لكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والنضب وسائر الحفظ والمجاهلة أو في عمارة طريقه  
دون منزلته إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذلاً شقيفاً كافراً بنعمة  
الله تعالى مضياً لجنود الله تعالى تاصراً لأعداء الله مخذلاً لحزب الله فيستحق للقت والاباء في القلب  
وللماد نموذ بالله من ذلك وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأحبار حيث قال دخلت على عائشة  
رضي الله عنها فقلت للانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويده جناحان ورجلاه برید  
والقلب منه ملك (١) فإذا طاب تلك طاب جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول . وقال على رضى الله عنه في تنثيل القلوب : إن لله تعالى في أرضه آتية وهي القلوب فأجبا

(١) حديث عائشة الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان الحديث أبو نعيم في الطب النبوي  
والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه ولهواً من حديث  
أبي ذر أما الأذن فسمع وأما العين فقرة لما يوعى القلب ولا يصح منها شيء .

إليه تعالى وأرقها وأصفها وأصلها ثم فسره فقال أصلها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الإخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقوله تعالى - مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - قال أبي بن كعب رضى الله عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى - أو كظلمات في بحر لجي - مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى - في لوح محفوظ - وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى فهذه أمثلة القلب .

### ( بيان مجامع أوصاف القلب وأمثله )

اعلم أن الانسان قد اصطبغ في خلقته وتركه أربع شوائب فذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي الصفات السبعة والبهيمية والشيطنية والربانية فهو من حيث سلب عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهمج على الناس بالضرب والتم من حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث إنه في نفسه أمر رباني كما قال الله تعالى - قل الروح من أمر ربي - فانه يدعى لنفسه الربوية وعجب الاستلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالأمر كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن رتبة العبودية والتواضع ويستهى الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والعرفة والاحاطة بخقائق الأمور ويفرح إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا نسب إلى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالعلم على جميع الخلائق من أوصاف الربوية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يغتنص من البهائم بالتميز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التميز في استبطاء وجوه الشر ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة أعنى الربانية والشيطنية والسبعة والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في إهاب الانسان خنزير وكتب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما لونه وشكله وصورته بل لجشعه وكنبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلابا وسباعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعة الضراوة والمدوان والعقور وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والتسكروا والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإبذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير ويغيط السبع ويغري أحدهما بالآخر ويحسن لها ماها مجبولان عليه والحكيم الذى هو مثال العقل مأثور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبسه بيصيرته النافذة ونوره للشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر المدلى في مملكة البدن وجرى السكلى على الصراط المستقيم وإن عجز عن قهرها قهره واستخدمه فلا يزال في استبطاء الحيل وتدقيق الفكر ليشتيع الخنزير ويرضى الكلب فيكون دأشاقى عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء والعجب منه أنه ينكر بل عبدة الأصنام عبادتهم للهجارة ولو كشف الغطاء عنه وكشف حقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين إما في النوم أو في اليقظة لراى نفسه مثالا بين يدي خنزير ساجدا للهرة ورا كما أخرى ومنتظرا لإخبارته وأمره فلهما حاج الخنزير لطلب شيء من شهواته انتمت على الفور في خدمته وإحضار شهوته أو رأى نفسه مثالا بين يدي كلب عقور عابدا لمطعها سامعيا يقتضيه ويلتمسه مدقا

من الكبر مع الأدب والسخاء وقيل لبعض الحكماء هل تعرف نعمة لا يحسد عليها وبلاء لا يرجم صاحبه عليه قال نعم أما النعمة فالتواضع وأما البلاء فالكبر . والكشف عن حقيقة التواضع أن التواضع رعاية الاعتدال بين الكبر والضعفة فالكبر رفع الانسان نفسه فوق قدره والضعفة وضع الانسان نفسه مكانا يرى به يغضى إلى فضيع حقوقه قد اتهم من كثير من إشارات لشيخنا في شرح التواضع أشياء إلى حد أقاموا التواضع فيه مقام الضعة ويلوح فيه الهوى من أوج

بالفكر في جيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويشير الكلب ويصمهما على استخدامه فهم من هذا الوجه يمد الشيطان بعبادتهما فليارت كل عبد حر كانه وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بين البصيرة فلا يرى إن أنصف نفسه لإساعيا طول التهاير في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم إذ جعل للمالك مملوكا والرب مبروبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا إذ انقلب هو للستحق للعبادة والقهر والاستيلاء وقد سخره خدمه هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تراكم عليه حتى يصير طابعا وربيا مهلكا للقلب ومجناة له أما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منه صفة الوقاحة والحجب والتبذير والرياء والمتكبر والمجانة والبغث والحرس والجشع واللقق والحسد والحقد والشجاعة وغيرها وأما طاعة كلب الضبط فتنتشر منها إلى القلب صفة الثبور والبدالة والبدخ والصلف والاستشاطعة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتخفيف الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والضبط فيحصل منه صفة المكر والحداع والحيلة والبهاء والجرأة والتلبس والتضريب والنفس والجح والحقا وأمثالها ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الأحياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكل العلم وجلاله ولا يستغنى عن عبادة الشهوة والضبط ولا ينتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهو والورع والتقوى والانسياط وحسن الهيئة والحياء والظرف والساعدة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الضبط وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والتجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتفال والصفو والثبات والنبيل والشهامة والودار وغيرها فالقلب في حكم امرأة قد اكتسفته هذه الأمور لثورة فيه وهذه الآثار على التواصل وأصلة إلى القلب أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرارة القلب جلاء وإشراقا ونورا وضياء حتى يتلاذبه جليلة الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدين وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** «إذا أراد الله بعبده خيرا جعله وأعظم من قلبه» (١) وبقوله صلى الله عليه وسلم «من كان له من قلبه وأعظم كان عليه من الله حافظ» (٢) وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الله كقوله تعالى - أليد كرك الله تطعمن القلوب - وأما الآثار اللذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرارة القلب ولا يزال يترامى عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قاله الله تعالى - كلا بل ديان على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال عز وجل - أن لو نشاء أصنام يذنبونهم ونطع على قلوبهم فهم لا يسمعون - فربط عدم الباع بالطبع بالذنوب كإرباط الباع بالثوب قال تعالى - واتقوا الله واسمعوا - واتقوا الله ويطعكم الله - ومهما تراكت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يسمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستبين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور المهمة عليها فاذا قرع صممه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك الذين يسيسوا من الآخرة كما يشك الكفار من أصحاب القبور - وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران : إذا أذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء

(١) حديث إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له وأعظم من قلبه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة وإسناده جيد (٢) حديث من كان له من قلبه وأعظم كان عليه من الله حافظ لم أجده أصلا

الانحراف إلى خبيث  
التفريط ويوم  
انحرافا عن حد  
الاعتدال ويكون  
تصدد في ذلك للبلابة  
في قمع نفوس للردين  
خوفا عليهم من العجب  
والكبر قسلا أن  
يفتك مردي في مبادئ  
ظهور سلطان الحال  
من العجب حتى لقد  
تقل عن جمع من  
الكبار كلمات مؤذنة  
بالاعجاب وكل ما تقل  
من ذلك القليل من  
الشايخ لبقايا السكر  
عندهم والمحاصرهم في  
مضيق سكر الحال  
وعدم الخروج إلى  
فضاء الصحو في ابتداء  
أمرهم وذلك إذا حقد  
صاحب البصيرة نظره  
يعلم أنه من استراق

فإذا هو تزعم وتاب سقل وإن عاد زيد فيها حتى يلو قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهو قلب الكافر أسود منكوس» (١) فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصفة للقلب ومعاينة مسودات له فمن أقبل على المعاصي أسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة وعما أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرأة التي يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح فأنها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم «القلب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهو فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفع فيه إيمان وثقاق» (٢) فمثل الإيمان فيه كمثل البقعة بعدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة بعدها القيح والصدید فأى للادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهب به قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - فأخبر أن جلاء القلب وبصائه يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز ببقاء الله تعالى .

( بيان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة )

اعلم أن محل العلم هو القلب أعنى اللطيفة للدرة لجميع الجوارح وهي الطاعة المهدومة من جميع الأعضاء وهي بالاضافة إلى حقائق العلوم كالمرأة بالاضافة إلى صور التلونات فكأن التلونات صورة ومثال تلك الصورة ينطبق في المرأة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورة تنطبق في مرآة القلب وتضع فيها وكأن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك ههنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الأشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعلم عبارة عن القلب الذي فيه يخل مثال حقائق الأشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء والعلم عبارة عن حصول للثال في المرآة وكأن القبض مثلاً يستدعى قابضاً كاليد ومقبوضاً كالسيف ووصولاً بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضاً فكذلك وصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علماً وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجوداً ولم يكن العلم حاصل لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كأن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصل لعدم وقوع السيف في اليد ، نعم القبض عبارة عن حصول السيف بينه في اليد والمعلوم بينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها تتمثله بالمرآة أولى لأن عين الإنسان لا تحصل في المرآة وإنما يحصل مثال مطابق له وكذا حصول مثال مطابق لحقيقة العلوم في القلب يسمى علماً وكأن المرأة لا تتكشف فيها الصورة لمحسة أمور : أحدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور وبشكل ويسقل : والثاني لحيته وصدته وكدورته وإن كان تام الشكل . والثالث لكونه معدولاً به عن جهة الصورة إلى غير ها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة . والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة . والخامس لتجهل بالجهة التي فيها الصورة المطابقة حتى تعتذر بسببه أن يحاذي بها شطر الصورة وجهها فكذلك القلب مرآة مستعمدة لأن ينجلي فيها حقيقة الحق في الأمور كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب المحسة أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه . والثاني

النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس إذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجهه لا يحفو على الوقت وصلافة الحال فيكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء مثلى وقول بعضهم قدى على ربة جميع الأولياء وكقول بعضهم أسرجت وأجلت وطف في أنظار الأرض وقت هل من مبارز فلم يخرجني إلى أحد إشارة منه في ذلك إلى ضرره في وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم أنه من

(١) حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهو الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وهو بعض الحديث الذي يليه (٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهو الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الحدرى وقد تقدم .

لكدورة المعاصي والحبث الذي يترام على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيجتمع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكبه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من قارف ذنبا فارق عقل لا يعود إليه أبدا» (١) أي حصل في قلبه كدورة لا يزال أثرها ذنبا عنه أن يتبعه بحسنة يحويه بها فلو جاء بالحسنة ولم تقدم السيئة لازداد لامحالة إشراق القلب فلما تغمست السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزد بها نورا فهذا خسران مبين وتقصان لاحية له فليست للراءة التي تدنس ثم تفسح بالمسقة كالتي تمنح بالمسقة لزيادة جلاها من غير دنس سابق فالاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يحلو القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدين سبيلنا - وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بماعلم ورثه الله علم ما لم يعلم» (٢) . الثالث أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب الطبع الصالح وإن كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس محاذيا عما يشطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو نبذة أسباب اللياسة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية فلا ينكشف إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكرا فيها أو مصالح العيشة إن كان متفكرا فيها وإذا كان تقيد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فهاضك فيمن صرف الهم إلى الشهوات الدنيوية لثباتها وعلاقتها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي . الرابع الحجاب فان الطبع القاهر لشهواته للتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أضاحاب عظيم به حجب أكثر التكلمين وللتحصين للمذاهب بل أكثر الصالحين للتفكير في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق . الخامس الجهل بالجهة التي تقع منها الثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التي تتناسب مطلوبة حتى إذا تذكرها ورثها في نفسه ترتبها خصوصا يعرفه الصلاء بطرق الاعتبار ضد ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنبج حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتضى إلا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين يألفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتائج من ازدواج القحل والأشئ ثم كما أن من أراد أن يستخرج مركبا يمكنه ذلك من حمار وبهر وإنسان بل من أصل مخصوص من الخيل الدكر والأشئ وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان بينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم للستفاد المطلوب فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو للسابع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان أن يرى قمامة مثلا بالراءة فإنه إذا رفع الراءة بإزاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وإن رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالراءة عن عينه فلا يرى للراءة ولا صورة القفا فيها فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصيرها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يصرها ويرى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبق صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبق صورة

استراق النفس السمع  
فليرى ذلك بميزان  
أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وتواضعهم  
واجتنابهم أمثال هذه  
الكلمات واستبادهام  
أن يجوز للبعد التظاهر  
بشيء من ذلك ولكن  
يجعل الكلام الصادقين  
وجه في الصحة ويقال  
إن ذلك طمع عليهم  
في سكر الحال وكلام  
السكراني يحمل فالمشايخ  
أرباب الحكيم لما علموا  
في النفوس هذا الداء  
الذين بالقوا في شرح  
التواضع إلى حد الحقوه  
بالضعة تداء وبالمرادين  
والاعتدال في التواضع  
أن يرضى الإنسان  
بمنزلة دون ما يستحقه  
ولو أمن الشخص  
جموح النفس لأوقها

(١) حديث من قارف ذنبا فارق عقل لا يعود إليه أبدا لم أر له أصلا (٢) حديث من عمل بماعلم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وقد ختم في العلم.

هذه للركة في المراكاة لأخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناس العالم طرق هجينة فيها ازوورات وتحرقات أعجب مما ذكرناه في للركة يز على بسط الأرض من يمتدى إلى كيفية الجلة في تلك الازوورات فهذه هي الأسباب للامعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور والإفكال قلب فهو القطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم فهذه الخاصة والتعرف وإليه الاشارة بقوله عز وجل - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان - إشارة إلى أن له خاصة تميز بها عن السموت والأرض والجبال بها صار مطبقا لحل أمانة الله تعالى وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحل الأمانة ومطبق لها في الأصل ولكن يبطئه عن التماس بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها وتلك قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإني أنا أبوه يهودانه وينصرانه ويمجسانه <sup>(١)</sup> » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يمجمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء <sup>(٢)</sup> » إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت وإليه الاشارة بما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل لرسول الله « يا رسول الله أن الله في الأرض أوفى السماء » قال في قلوب عباده للؤمنين <sup>(٣)</sup> وفي الخبر « قال الله تعالى لم يسمي أرضي ولا سمائي ووسمي قلب عبدي للؤمن اللذين الوادع <sup>(٤)</sup> » وفي الخبر « أنه قيل يا رسول الله من خير الناس قال كل مؤمن مخوم القلب قليل وما مخوم القلب فقال هو النبي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد <sup>(٥)</sup> » ولذلك قال عمر رضي الله عنه في ربي إذا كان قد رفع الحجاب بالثبوت ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك ولللكوت في قلبه يرى جنه عرض بعضها السموات والأرض أما مجملها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكفاف فهو متناه في الجلة وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بأدراك البصائر فلا نهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوية لأن الحضرة الربوية محيطه بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفضاله ومملكته وعبده من أفضاله فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة ببينا عند قدوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفضاله وإني مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها صفة القلب وتركيبه وجلاؤه قد أفلع من زكاهها ومراد تركبه حصول أنوار الايمان فيه أعني إشراق نور للمعرفة وهو الراد بقوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وبقوله ما فمن شرح الله

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث لولا أن الشياطين يمجمون على قلوب بني آدم الحديث تقدم (٣) حديث ابن عمر أن الله قال في قلوب عباده للؤمنين لم أجده بهذا اللفظ للطبراني من حديث أبي عتبة الحولاني يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن ه آتية من أهل الأرض وآتية ربكم قلوب عباده الصالحين الحديث فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحديث (٤) حديث قال الله ماوسني أرضي ولا سمائي ووسمني قلب عبدي للؤمن اللذين الوادع لم أره أصلا وفي حديث أبي عتبة قلبه عند الطبراني بعد قوله وآتية ربكم قلوب عباده الصالحين وأجبا إليه آتيتها وأرقها (٥) حديث قيل من خير الناس قال كل مؤمن مخوم القلب الحديث ه من حديث عبد الله بن عمر باسناد صحيح .

على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجحوش في جبهة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار فيها نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها إلى مركز النار احتاجت للتسديوي بالتواضع وإيقافها دون ما تستحقه لئلا يعطرق إليها الكبر فالكبر ظن الانسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها إلا الله تعالى ومن ادعاه من الخلوقين يكون كاذبا والكبر يتوله من الإعجاب والإعجاب من الجهل بحقيقة الماهان والجهل بالانسان من الانسانية حقيقة وقد

صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ثم هذا التجلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض . والثانية : إيمان للتكاملين وهو مزيج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام . والثالثة : إيمان المارفين وهو للشاهد بنور اليقين وبنين لك هذه الراتب بمثل وهو أن تصديقك يكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات . الأولى : أن غيرك من جريته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا تهمة في القول فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبينة الرسل وصدقهم وما جاءوا به وكما سمعوا به قبله ووثقوا عليه وأطمأنوا إليه ولم يخطر بالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلمهم وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأوله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من اللقرين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانسراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ يمكن فيسمع من الأحاديث بل من الأعداء فبا يتعلق بالاعتقادات فتقرب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما يسمعون من آباءهم وأمهاتهم لأنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم ألقى إليهم الخطأ واللسون اعتقدوا الحق للاطلاعهم عليه ولكن ألقى إليهم كلمة الحق . الرتبة الثانية : أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت صوته ازدادت به يقينا لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحك قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا إيمان مزوج بدليل والخطأ أيضا يمكن أن يتطرق إليه إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكافؤ بطريق المحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يعمل للتميز موضعا ولا يقدر في هذا التباس والمحاكاة غرضا . الرتبة الثالثة : أن تدخل الدار فتنظر إليه بينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية وللشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة اللقرين والصدقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في إيمانهم إيمان العوام والتكاملين ويتميزون بعبارة بينة يستحيل معها إمكان الخطأ نعم وهم أيضا يتفاوتون بتقدير العلوم ودرجات الكشف ، أما درجات العلوم فثلاثة أن يصير زيدا في الدار عن قرب وفي ضمن الدار في وقت إشراق الشمس فيكلمه إدراكه والآخر يدركه في بيت أومن بعد أوفي وقت عتية فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والحفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت للشاهدة للأمر الإلهية وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا غير ذلك وآخر لا يرى إلا زيدا لمعرفة ذلك تزيد بكرة العلوم لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب .

( بيان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والأخرية )

اعلم أن القلب بفرزه مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة وللمكتسبة إلى دنيوية وأخرية أما العقلية فتقسمها ماقضيها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا مغطورا عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له أعني أنه لا يدري له سببا قريبا وإلا فليس غنى عليه أن الله هو الذي خلقه وهذه إلى علوم مكتسبة وهي المستفادة بالعلم والاستدلال وكلا القسمين قديسي عقلاني على رضى الله عنه :

عظم الله تعالى شأن  
الكبرية قوله تعالى - إنه  
لا يحب للتكبرين -  
وقال تعالى - ليس في  
جهنم مثوى للتكبرين -  
وقد ورد « يقول الله  
تعالى : التكبراء إزاري من  
المظلة إزاري من  
نازعي واحدا منها  
فسمته » وفي رواية فذفته  
في نار جهنم . وقال عز  
وجل ردًا للإنسان في  
طغيانه إلى حسده :  
- ولا غش في الأرض  
مرحًا إنك لن تخرق  
الأرض ولن تبلغ  
الجبال طولاً - وقال  
تعالى - فلينظر الانسان  
م خلق خلق من مائه  
دافقاً - وأبلغ من هذا  
قوله تعالى - قتل الانسان  
ما أكفره من أي شيء -  
خلق من نقطة خلقه

وأيت العقل عقليين مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع

إذا لم يك مطبوع كما لاتنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو الراد بقره على الله عليه وسلم لعل «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل» (١) والثاني هو الراد بقره على الله عليه وسلم لعل رضى الله عنه «إذا تحرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر تقرب أنت بقلبك» (٢) إذ لا يمكن التقرب بالقرينة القطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل

على رضى الله عنه هو الذى يقدّر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها يتال التقرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغيره العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الإبصار لطيفة تغتدق في العمى وتوجد في البصر وإن كان قد غشى عينه أو جنى عليه الليل والملم الحاصل منه في القلب جار مجرى قوة إدراك البصر في العين ورويته لأعيان الأشياء وتأخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبالي أو أن التغيير أو الباطن يضاهي تأخر الرؤية عن البصر إلى أن أشراق الشمس وفيضان نورها على البصريات والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس وإنما لم يحصل العلم في قلب النسي قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يتبأ بعد لقبول نسي العلم والقلم عبارة عن خالق من خلق الله تعالى جعله سبباً لحصول شقى العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى - الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم - وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلبه من قلوب ولا خشب كما أنه تعالى ليس من جواهر ولا عرض فالوازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه إلا أنه لا امتناصة بينهما في الشرف فإن البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة

للدرك وهي كالقارص والبدن كالقارص وعمى القارص أضمر على القارص من عمى القارص بل لانبئة لأحد الضررين إلى الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى بامه قال - ما كذب القواد ما رأى - متى إدراك القواد رؤية وكذلك قوله تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - وما أراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يعرض في معرض الامتنان ولذلك سمى ضد إدراكه عمى فقال تعالى - فاتها لاعمى الأبصار ولكن تممى القلوب التي في الصدور وقال تعالى - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً - فهذا بيان العلم

العقل . أما العلوم الدينية فهي للأخوة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفهم معانيها بعد السماع وبه كال صفة القلب وسلامته عن الأدوية والأمراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وإن كان محتاجاً إليها كما أن العقل غير كاف في استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء إذ مجرد العقل لا يتهدى إليه ولكن لا يمكن فهمه بدماعه إلا بالعقل فلاغنى بالعقل عن السماع ولاغنى بالسماع عن العقل فالادعى إلى محض التقليد مع عزل العقل بالسكينة جاهل وللكسفى

بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مفروغ فإلا أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين الأصلين فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية والشخص المريض يستمر بالفداء متى فاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية للاستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات والأعمال التي ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه

(١) حديث ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل ت الحكيم في نوادر الأصول باسناد ضعيف  
(٢) وقد تقدم في العلم (٢) حديث إذا تحرب الناس إلى الله بأنواع البر تقرب أنت بقلبك أبو نعيم من حديث على باسناد ضعيف .

قدروا وقد قال بعضهم لبعض للتكبرين أولئك نطفة مذرة وآخرتك جيفة فذرة وأنت فيها بين ذلك حامل العذرة وقد نظم الشاعر هذا المعنى :

كيف يزهو من رجبهم أبد الدهر ضجيجهم وإذا ارتحل التواضع من القلب وسكن الكبر انتشر أثره في

بعض الجوارح وترشح الاناء بما فيه فتارة يظهر أثره في النطق بالجميل وتارة في الخلد بالتصغير قال الله تعالى

- ولا تعصم خديك للناس - وتارة يظهر في الرأس عند استصحاء النفس قال الله تعالى

- لو تأمروا رءوسهم ورأيهم يصدون وهم



الربى بمالجات العبادة الشرعة واكتفى بالعلوم العقلية استغنى بها كما يستغنى الربى بالقضاء وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعة وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصرة فعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيجوز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيفتح به فيفسل من الدين انزال الشرعة من العجىن وإنما ذلك لأن مجزئه في نفسه خيل إليه قضا في الدين وهيات وإعماله المثل الأعلى الذى دخل دار قوم فتمت فيها بأوامى الدار قال لهم ما بال هذه الأروانى تركت طى الطريق لإلآرد إلى مواضعها ضالوا الله تلك الأروانى في مواضعها وإنما أنت لست تهتدى للطريق لصاكة للعجب منك أنك لا تخيل عثرتك طى عماك وإنما تخيلها طى تصوير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية . والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخرى فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والأخرى كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كالفلسا في كتاب العلم وهما علمان متفانيان أعنى أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصره عن الآخر على الأكر ولذلك ضرب على رضى الله عنه الدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال لها ككفى لليزان وكالشرى والغرب وكالضربى إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ولذلك ترى الأكراس فى أمور الدنيا وفى علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا فى أمور الآخرة والأكراس فى دقائق علوم الآخرة جهالا فى أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تفى بالأمرين جميعا فى الطالب فيكون أحدهما مانعا من الكمال فى الثانى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر أهل الجنة البه » أى البه فى أمور الدنيا . وقال الحسن فى بعض مواضعه لقد أدركننا أقواما لو أرى شومهم قلعتم مجانبين لو أدر كوكم قالوا شياطين فهما صحت أمرأ غريبا من أمور الدين بجده أهل الكياسة فى سائر العلوم فلا يفرنك جعومهم عن قوله إذ من المأل أن يظفر سالك طريق الشرى بما يوجد فى الغرب فكذلك بهجرى أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى « إن الدين لا يرجو لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها- الآية وقال تعالى - يملون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عى الآخرة هم غافلون » وقول عز وجل - فأعرض عنهم تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كالأستبصار فى مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبر عبادة فى معاشهم ومعادهم وهم أنبياء للؤيدون بروح القدس الستمدون من اقوة الالهية التى تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فانها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها.

(بيان الفرق بين الإلهام والتلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار)  
اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها  
فتارة تهيم على القلب كأنه أنثى فيه من حيث لا يدري وتارة يتكسب بطريق الاستدلال والتلم  
فالتدنى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاماً والذي يحصل بالاستدلال يسمى  
اعتباراً واستبصاراً ثم الواقع في القلب ينير حيلة وتعلم واجتهاد من اليد ينقسم إلى ما يدري العبد  
أنه كيف حصل له ومن أين حصل وإلى ما يطالع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو  
مشاهدة للترك للثقل في القلب والأول يسمى إلهاماً وثالثاً في الروع . والثاني يسمى وحياتوختص به  
الأنبياء والأول يختص به الأولياء والأصفياء والذي قبله للكسب وهو بطريق الاستدلال يختص به  
(١) حديث أكثر أهل الجنة الله ، الزار من حديث أنس رضي الله عنه وصححه القرطبي في التذكرة  
وليس كذلك فقد قال ابن عدي إنه منكر .

## مستکبرون - وکھان

## الكبر ۴ اقسام طى

## الجوارح والأعضاء

تقسیم منہ شعب

كذلك بعضها كشف

من البعض كالتيه

والزهو والعزة وغير

ذلك إلا أن العزة تشبه

بالکبر من حیث

### الصورة وتختلف من

### حيث الحقيقة كاشية

## التواضع بالضعفة

### والتواضع عمود والضعفة

مذمومة والكبر

### مذموم والعزة محمودة

قال الله تعالى - والله

العزة والرسالة

## والمؤمنين - والعزة

غير الكبير ولا يحمل

لَوْ مِنْ أَنْ يَذُلَّ نَفْسَهُ

### فالمزة معرفة الانسان

حقیقۂ قسود کراما

آنلا يضعها لأغراض

العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وإعماحيل بينه وبينها بالأسباب المحسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب للسند الحائل بين مرآة القلب وبين الألواح المحنوط الذي هو متقوس بجميع ماضي الله به إلى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تهايلها والحجاب بين الرأتين تارة زوالها وبدلها أخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الأنطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فتجلى فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحنوط ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتعام ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء وينكشف أضاني القطة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلعب في القلوب من وراء ستر النيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حد ما ودوامه في غاية التدور فظ يفارق الإلهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فإن ذلك ليس باختيار العبد بل يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك للقد العلم فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة اللاتكثرة وإليه الإشارة بقوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسلاً فيوحي بأذنه ما يشاء - فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ماصنعه للصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة بل قالوا الطريق تخدم المجاهدة ومحو الصفات الذمومة وقطع العلائق كلها والأقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومسحها حصل ذلك كان الله هو لتلوي قلب عبده ولتكنه بل بتوبه بأنوار العلم وذاتوا لله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرف النور في القلب وأشرح الصدر وانكشف لمر للكموت وانشع عن وجه القلب حجاب الغيرة بلطف الرحمة ثلاث في حقائق الأمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بصفية المجردة وإحسان الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لمساخنة الله تعالى من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور بالعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها ونزغ القلب من شواغلها والأقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان الله كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك أولاً بانقطاع علائق الدنيا بالكلية ونزغ القلب منها وقطع الهمة عن الأهل والوالد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يحلو بنفسه في زاوية مع الانقصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره براءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلاً يا الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه إلى أن يحس أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظباً على الذكر ثم يواظب عليه إلى أن يحس عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويحس معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضر أفي أنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استحلاب رحمة الله تعالى بل هو عاصفه صار مترعاً الصفات رحمة الله فلا يبق إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كافتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همة وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلتع لواع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يشبث ثم يعود قديتاً خرواً إن عاد قد شبت وقد يكون منقطعاً إن ثبت قد يطول ما يهوى قد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يتصمر على دفن واحد ومنازل وأولياء الله تعالى

حاجة دنيوية كأن  
الكبر جهل الانسان  
بنفسه وإزالتها فوق  
مرزها . قال بعضهم  
لحسن ما أعظمك في  
نفسك قال استعظم  
ولكن عزز ولما  
كانت العزة غير  
مذمومة وفيها مشاكلة  
بالكبر قال الله تعالى  
- تستكبرون في  
أفراض غير الحق -  
فيه إشارة خفية لإثبات  
العزة بالحق فالوقوف  
على حد التواضع من  
غير انحراف إلى الضمة  
وقوف على صراط العزة  
للصواب على متن نار  
الكبر ولا يؤيد في  
ذلك ولا يثبت عليه  
إلا أقدم العلماء  
الراسخين والسادة  
للتريق ورؤساء  
الأبدال والصديقين .

فيه لا يحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استمداد وانتظار قطب ، وأما النظائر وذو الاعتبار فلم يشكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإفضائه إلى هذا القصد على التدوير فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ولكن استوعبوا هذا الطريق واستبطوا تجربته واستمددوا اجتماع شروطه وزعموا أن هو الملائق إلى ذلك الحد كالتصديق وإن حصل في حال حياته أبعد منه إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غلبتها» (١) وقال عليه أفضل الصلاة والسلام «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد الزاج ويختلط العقل ويعرض البدن وإذا لم تقدم رياضة النفس وتهذيبها بمحقق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطعن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها فكيف من سوى ذلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد أهنى العلم من قبل لانتفع له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاستئثار بطريق التلم أوثق وأقرب إلى النرض ، وزعموا أن ذلك يضاها ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعلم ذلك وصار قتيها بالوحى والإلهام من غير تكرار وتعليل وأنا أيضا ربما انتهت في الرياضة والوظيفة إليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والمراعاة رجاء الثور على كثر من البكتوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا ، فكذلك هذا ، وقالوا لا بد أولا من تحصيل ماحصل العلماء وفيهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما ينكشف لسائر العلماء فضاء ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة .

### ( بيان الفرق بين التامين بمثل محسوس )

أعلم أن محائب القلب خارجة عن مداركات الحواس ، لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحس وماليس مدركا بالحواس تضعف الأنفاس عن دركه إلا بمثل محسوس ونحن نقرب ذلك إلى الأنفاس الضعيفة بمثلين : أحدهما أنه لو فرضنا حوضا متحورا في الأرض احتمل أن يساق إلى الماء من فوقه بأنهار تنفتح فيه ويحتمل أن يجف أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والملم مثل الماء وتكون الحواس الحس مثل الأنهار ، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالحلوة والزرقة وغض البصر ويصمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله . فان قلت فكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه . فاعلم أن هذا من محائب أسرار القلب ولا يسمع بذكره في علم للعامة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الثلاثة القربين ، فكأن المهندس يصور أبنية المدارس يرضى ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته تأتي منه صورة أخرى إلى الحس والخيال فان من ينظر إلى السماء والأرض ثم يرضى بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انصدت السماء والأرض وبقى هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدها وينظر إليهما ثم يتأذى من خياله أثر إلى القلب

(١) حديث قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غلبتها ، أحمد و ك وصححه من حديث للقداد بن

الأمود (٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن م من حديث عبد الله بن عمر .

قال بعضهم من تكبر قد أخبر عن ندالة نفسه ومن تواضع قد أظهر كرم طبعه . وقال الترمذي التواضع على ضربين : الأول أن يتواضع البدن لأمر الله ونبيه فان النفس تطلب الراحة تلهي عن أمره والشهوة التي فيها تهوى في نفيه فإذا وضع نفسه لأمره ونبيه فهو تواضع . والثاني أن يضع نفسه لمصلحة الله فان اشتهت نفسه شيئا مما أطلق لمن كل نوع من الأنواع منها ذلك وجهه ذلك أن يترك شبهة لمصلحة الله تعالى . واعلم أن البدن لا يبلغ حقيقة التواضع إلا بعد لمان نور للشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب

فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في شمه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الوجود موافق للنسخة للوجود في اللوح المحفوظ فكان العالم أربع درجات في الوجود : وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسدي وبقية وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الموجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الإلهية ، إذ جعل حدثك على صفر جسمها بحيث تنطبق صورة العالم والسماوات والأرض على انصاع أكنافها فيها ثم يسرى من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود في القلب فانك أبدا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فقول يحصل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يابن ذاتك فبجنان من در هذه الجباب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسهم وبمعالجها . ولترجع إلى الغرض المقصود فتقول : القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورة تارة من الحواس وتارة من الألوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويعكس صورتها فهما أرتفع الجباب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتغير إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجير ناء من حمق الأرض ، ومهما أقبل على الخيلات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التفجر في الأرض وكما أن من نظر إلى الماء الذي يعكس صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس ، فاذن للقلب بيان : باب مفتوح إلى عالم للكون وهو اللوح المحفوظ وعالم لللاشك وباب مفتوح إلى الحواس الحساسة المتسكة بالم تلك والشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا عما كى عالم للكون نوعا من الماكة فأما افتتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يغني عليك وأما افتتاح باب الداخل إلى عالم للكون ومطالعة اللوح المحفوظ فقلعه علما يقينا بالتأمل في عجائب الرؤيا وإطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وإنما يفتح ذلك الباب لمن انقرد بذكر الله تعالى وقال **عليه السلام** «سبق الفردون قيل ومن هم للفردون يارسول الله ؟ قال للذين هم بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم إخبارا عن الله تعالى ثم أقبل بوجهي عليهم أرى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أؤذف النور في قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم <sup>(١)</sup> » ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهوان علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم للكون وعلم الحكمة يأتي من أبواب الحواس المنفتحة إلى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والتيب لا يمكن أن يستغنى في علم العامة فهذا مثال يملك الفرق بين مدخل العالمين .

النفس وفي ذواتها صفاؤها من غش الكبير والمحب تلتين وتطبع للحق والخلق لمواتها وسكون وهجها وغبارها وكان الحفظ الأوفر من التواضع لئينا عليه السلام في أوطان القرب كما روى عن عائشة رضى الله عنها في الحديث الطويل قالت «صعد رسول صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأخذني ما يأخذ النساء من الصبرة ظنا من أنه عند بعض أزواجه فطلبت في حجر نسائه فلم أجده فوجدته في المسجد ساجدا كالقرب الخلق وهو يقول في سجوده مسجد لك سواي وحياتي وآمن بك

(١) حديث سبق الفردون قيل ومن هم قال المستهزون بذكر الله الحديث م من حديث أبي هريرة مقتصر على أول الحديث وقال فيه وما الفردون قالوا كرون الله كثيرا والذا كرات ورواه ك بلفظ قال القدين يستهزون بذكر الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقي في الشعب يضع الذكر عنهم ائتمامهم ويأتون يوم القيامة خفافا ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي البرداء دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلاما متعيب .

المثال ٢١ في يرفك الفرق بين القلبين : أعنى عمل الماء وعمل الأولياء فان الماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصفيلها فقط . وقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تهاووا بين بدى بعض اللوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأى الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم جانباً ورعى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر فعمل ذلك فجمع أهل الروم من الأصابع الغربية ما لا يتحصر ودخل أهل الصين من غير صيغ وأقبلوا يحملون جانبهم ويسقوناه ظفار غر أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضاً فحجب الملك من قولهم وأتهم كيف فرغوا من النقش من غير صيغ وقبل وكيف فرغتم من غير صيغ فقالوا ما عليكم ارضوا الحجاب فرضوا وإذا بجانبهم بتلا كمنه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذا كان قد صار كالمرآة المحلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل . فكذلك غاية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكياته وصفاته حتى يتلافى غلبة الحلق بنهاية الاشراق كفعل أهل الصين وعناية الحكماء والطباء بالاكتساب وتقى العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل أهل الروم . فكيفما كان الأمر قلب المؤمن لا يوت وعلمه عند الموت لا يعنى وصفائه لا يتكدر وإليه أشار الحسن رحمه الله عليه بقوله التراب لا يأتى كل عمل الإيمان بل يكون وسيلة وقربة إلى الله تعالى ، وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفات والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا مساعدة لأحد إلا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كانه لا غنى إلا بالمال فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزانة المتعة غنى وتفاوت درجات السعادات بحسب تفاوت المعرفة والإيمان كما تتفاوت درجات الأغنياء بحسب قوة المال وكثرته فالعارف أو توار ولا يسمى المؤمنون إلى لقاء الله تعالى إلا بتأورهم قال الله تعالى - يعنى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم - وقد روى في الخبر « إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوراً على إيمانهم قدميه فيضه مرة وينطفئ أخرى فإذا أضاء قدمه قدمه لشيء وإذا أطفىء قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانهض السكواكب ومنهم من يمر كالقوس إذا اشتد في ميدانه ، والذي أعطى نوراً على إيمانهم قدمه محبوباً على وجهه ويديه ورجليه يمر بها ويلقى أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص (١) » الحديث فهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن الإيمان أي بكربايمان المالمين سوى النبيين وللمسلمين لرجع ، فهذا أيضاً يراهي قول القائل : لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجع ، فإيمان أحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء كالشمس ، وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أنظارها ولا ينكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت اشراق الصمد بالعارف وانكشف سعة لللكوت لقلوب العارفين ، ولذلك جاء في الخبر « أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة ذرة (٢) » كل ذلك فنيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه للتقدير من الإيمان لا تمنع دخول النار ، وفي

(١) حديث إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إيمانهم قدمه الحديث الطبراني ولا من حديث ابن مسعود قال ك صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه ربع مثقال من إيمان الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد وليس فيه قوله ربع مثقال

نوراً ويؤثر برك لسانى  
وها أنا ذا بين يديك  
يا عظيم يا فاقر الذنب  
المعظم « وقوله عليه  
السلام « سجد لك  
سوادى وخيالى »  
استقصاء في التواضع  
بحو آثار الوجود حيث  
لم تختلف ذرة منه عن  
السجود ظاهر أو باطنا  
ومق لم يكن قصوف  
حظ من التواضع  
الخاص على بساط  
القرب لا يتوفر حظه في  
التواضع للخلق وهذه  
سعادات إن أقبلت  
جاءت بكليتها والتواضع  
من أشرف أخلاق  
الصوفية . ومن أخلاق  
الصوفية : للداراة  
واحتشال الأدنى من  
الخلق وبلغ من مداراة

مفهومة أن من إيمانه يزيد على مقال فانه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر باخراجه أولا وأن من قلبه مقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان المؤمن» (١) إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله تعالى للوثن فانه خير من ألف قلب من العوام وقد قال تعالى - وأنتم الأعوان إن كنتم مؤمنين - تفضيلا للمؤمنين على السلفين وللمراد به المؤمن العارف دون المقلد . وقال عز وجل - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم وبذلك على أن اسم المؤمن يقع على المقلد وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف . وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى - والذين أوتوا العلم درجات - فقال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبب ما قدره بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وقال عليه السلام «أكثر أهل الجنة قلبه وعليون لدوى الألباب» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «فضل العالم على العابد كفضل طي أدنى رجل من أصحابي» (٣) وفي رواية «كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ، ولهذا كان يوم القيامة يوم التفاضل إذ المحروم من رحمة الله عظيم النقص والحسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كمنظر النقي الذي يملك عشرة دراهم إلى النقي الذي يملك الأرض من الشرقي إلى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم النقص على من ينقص حظه من ذلك - وللاخره أكبر درجات وأكبر تفضيلا .

( بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في الكتب )

المرقة لآمن التعلم ولا من الطريق للتعاد

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ، ويضد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات : أما الشواهد فقوله تعالى - والذين جاهدوا فينا لهديهم سبنا - فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام ، وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووقته فيما يعمل حق يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حق يستوجب النار» (٤) وقال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا - من الإشكالات والشبه - ويزقه من حيث لا يحتسب - يعلمه علما من غير تعلم ويغفنه من غير تجربة وقال الله تعالى سيأيا الذين آمنوا إن تتوالوا يجعل لكم فرقا نا - قبل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ، ولذلك كان عليه السلام يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام « اللهم أعطني نورا وزدني نورا واجعل لي في قلبي نورا وفي قبري نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا حق قال في شمري وفي بشري وفي قلبي وفي دمي وعظامي» (٥) «و«سئل

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد قتيلا من أصحابه بين اليهود فلم يحض عليه ولم يزد على ص الحق بل ودله بمائة ناقصين قبله وإن بأصحابه حاجة إلى بير واحد يتقون به . وكان من حسن مداراته أن لا يذم طامعا ولا يهز خادما . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن طي قال أنا أبو الفتح السرخسي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا الجراسمي قال أنا أبو الباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا قتبية قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال خدمت

(١) حديث ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن ، الطبراني من حديث سلمان بنلفظ الانسان ولأحمد من حديث ابن عمر لا تعلم شيئا خيرا من مائة مثله إلا الرجل المؤمن وإسنادهما حسن (٢) حديث أكثر أهل الجنة البله وعليون لدوى الألباب تقدم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة أصلا (٣) حديث فضل العالم على العابد كفضل طي أدنى رجل من أصحابي ت من حديث أن إمامة وصحبه وقد تقدم في العلم وكذلك الرواية الثانية (٤) حديث من عمل بما يعلم ورثه الله الحديث تقدم في العلم دون قوله ووقته فيما يعمل فلم أرها (٥) حديث اللهم أعطني نورا وزدني نورا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس .

صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى - أفن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ما هذا الكبر فقال هو التوسعة إن النور إذا قنف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح <sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس «اللهم قهه في الدين وعله التأويل» <sup>(٢)</sup> وقال على رضي الله عنه ما عندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه وسلم إلينا إلا أن يؤتى الله تعالى عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم <sup>(٣)</sup> وقيل في تفسير قوله تعالى - يؤتى الحكمة من يشاء - إنه القه في كتاب الله تعالى وقال تعالى - ففهمناها سليمان - خمس ما انكشف باسم القههم . وكان أبو الهرداء يقول للؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم وبجريه على ألسنتهم ، وقال بعض السلف ظن للؤمن كمانة ، وقال صلى الله عليه وسلم «اتقوا فراسة للؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى» <sup>(٤)</sup> وإليه يشير قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - وقوله تعالى - قد بينا الآيات لقوم يوقنون - وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «العلم علان فطن في القلب فذلك هو العلم النافع» <sup>(٥)</sup> ومثل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو قاتل هوس من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أجباه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال <sup>(٦)</sup> «إن من أعمق محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم» <sup>(٧)</sup> وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث - يعني الصديقين والمحدثين هو الملم والملم هو الذي انكشف له من باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم ، وقال الله تعالى - وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون - خصصها بهم وقال تعالى - هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين - وكان أبو زيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فإذا نسي ما حفظه صار جاهلا إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بالحفظ ولا درس ، وهذا هو العلم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعلمناه من لدنا علما - مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها يوساط تعلم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل الذي يفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر . وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما نثقه رضي الله عنها عند موته - إنما ما أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت ، وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته بإسارية الجبل الجبل ، إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه ظهره لمعرفه ذلك ثم بلغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت قد قبضت امرأة في طريق فنظرت إليها هزرا وتأملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت يدخل علي أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه أما علمت أن زنا البينين

(١) حديث سئل عن قوله تعالى - أفن شرح الله صدره للإسلام - الحديث وفي الاستدرك من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (٢) حديث اللهم قهه في الدين وعله التأويل قاله لابن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله وعله التأويل فأخرجه بهذه الزيادة أحمد وحسبك وصححه وقد تقدم في العلم (٣) حديث على ما عندنا شيء أسره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في كتابه ليس هذا بالتعلم (٤) حديث اتقوا فراسة للؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٥) حديث العلم علان الحديث تقدم في العلم (٦) حديث إن من أعمق محدثين ومكلمين وإن عمر منهم أي هرة لقد كان قنبا قبلكم من الأم محدثون قان يك في أعمق أحد فانه عمر رواه من حديث عائشة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال آف قط وما قال شيء صنته لم صنته ولا شيء تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مست خزا قط ولا حريرا ولا عيشا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صحت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمدارة مع كل أحد من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق سكافة من أخلاق الصوفية وبخاتل الأذى يظهر جوهر النفس وقد قيل

النظر لتوبن أول أعزرك فقلت أوحى بديني ؟ فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة . وعن  
 أبي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرأيت قفيرا عليه خرقان فقلت في نفسي هذا وأشباهه كل على  
 الناس فناداني وقال - والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه - فاستغفرت الله في سرى فناداني وقال - وهو الذي  
 يقبل التوبة عن عباده - ثم غاب عني ولم أره . وقال زكريا بن داود دخل أبو الباس بن مسروق على أبي  
 الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذاعيل ولم يعرف له سبب يعيى به قال فلما قلت قلت في نفسي من  
 أين يأكل هذا الرجل قال فصاح بي يا أبا الباس رد هذه المهمة الدينية فإن الله تعالى ألقاها خفية . وقال  
 أحمد النقيب دخلت على الشبل قال متفونا يا أحمد فقلت ما الخبر ؟ قال كنت جالسا فخرى خاطري  
 أنك غيل فقلت ما أنا غيل فناد مني خاطري وقال بل أنت غيل فقلت ما وقع اليوم على بشي ؟ لإدفعته  
 إلى أول فقير يلقاني قال فما استم الخبر حتى دخل على صاحب للؤنس الخادم ومعه خمسون دينارا  
 فقال اجعلها في مصالحك قال وقت فأخذتها وخرجت وإذا فقير مكفوف بين يدي مزين يخلق رأسه  
 فخدمت إليه وناولته الهاتف فقال أعطها للزبن فقلت إن جعلتها كذا وكذا قال أليس قد قلنا لك  
 إنك غيل قال فاولها للزبن فقال للزبن قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين أيدينا أن لناخذ عليه  
 أجرا قال فرميت بها في دجلة وقلت ما أعزك أحد لإأنله الله عز وجل . وقال حمزة بن عبد الله العلوي  
 دخلت في أبي الحجر التيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا أكل في داره طعاما فلما خرجت من  
 عنده إذا به قد لحقني وقد حمل طيما في طعام وقال يا بني كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الحجر  
 التيناني هذا مشهورا بالكرامات . وقال إبراهيم الرقي تصدته مسلما عليه فحضر صلاة المغرب فلم يكد  
 يقرأ القاعة مستويا فقلت في نفسي صانت سفرتي فلما سلم خرجت إلى الطهارة فقصدي سبع فعدت إلى أبي  
 الحجر وقلت قصدي سبع فخرج وصاح به وقال ألم أفلك لا تعرض لضيغاتي فتعي الأسد فظهرت فلما  
 رجعت قال لي اشتغلتم بتقوم الظاهر فغفم الأسد واشتغلنا بتقوم البواطن فغافنا الأسد . وما حكى من  
 تفرس الشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضأرمهم فخرج عن الحصر بل ما حكى عنهم من مشاهدة  
 الحضر عايه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فون الكرامات خارج عن الحصر  
 والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن أنكر الأصل أنكر التفاصيل . والدليل الطامع الذي  
 لا يتجدا حدثي بجده أمران : أحدهما محاببات الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها القيب وإذا جاز ذلك في النوم  
 فلا يستحيل أيضا في اليقظة فلم يشارك النوم اليقظة إلا في ركودها لحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فك  
 من مستيقظ غاف لا يسمع ولا يصر لاشتغاله بنفسه . الثاني إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن  
 القيب وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن وإذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره إذ النبي عبارة  
 عن شخص ككشف حقائق الأمور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكشوف  
 بالحقائق ولا يشغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا  
 الصحيحة لزمه لا محالة أن يقرأ بأن القلب له بابان باب إلى خارج وهو الحواس وباب إلى الملكوت من داخل  
 القلب وهو باب الألهام والنفث في الروح والوحى فإذا أقرهما جميعا لم يكن أن يحصر العلوم في التعلم  
 ومباشرة الأسباب للألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلا إليه فهذا ما بينه على حقيقة ما ذكرناه من  
 محيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت وأما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمثل المحوج  
 إلى التعبير وكذلك تمثل للأفئدة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة فذلك أيضا من أسرار محاببات القلب ولا  
 يليق ذلك إلا بسل للكاشفة فلتقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستغاث على المجاهدة وطلب الكشف  
 منها فقد قال بعض المكشفين ظهر لي الملك فسألني أن أملى عليه شيئا من ذكرى الحقني عن مشاهدتي

لكل شيء جوهر  
 وجوهر الانسان العقل  
 وجوهر الفضل الصبر .  
 أخبرنا أبو زرعة  
 طاهر عن أبيه الحافظ  
 للقدس قال أنا أبو محمد  
 الصريفي قال أنا  
 أبو القاسم عبيد الله  
 ابن حنبل قال أنا  
 أبو القاسم عبيد الله بن  
 محمد بن عبد العزيز قال  
 حدثنا علي بن الجهم قال  
 أنا حجة عن الأعمش  
 عن عبيد بن وقاب  
 عن شيخ من أصحاب  
 رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم قلت من  
 هو قال ابن عمر عن  
 النبي صلى الله عليه  
 وسلم أنه قال للؤمن  
 الذي يباشر الناس  
 ويصبر على أذى خير  
 من الذي لا يباشرهم



من التوحيد وقال ما نكتب لك عملاً ونحن نحب أن نساعدك بعمل تقرب به إلى الله عز وجل قلت ألسنا نكتبان القرائن قال لا بل قلت فيك كذا ذلك وهذه إشارة إلى أن الكرام الكاتبين لا يظلمون على أسرار القلب وإنما يظلمون على الأعمال الظاهرة . وقال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة من مشاهد اليقين فالتفت إلى شاله قال ماتقول رحمة الله ثم التفت إلى عينه قال ماتقول رحمة الله ثم أطرق إلى صدره وقال ماتقول رحمة الله ؟ ثم أجاب بأعرب جواب سمعته فسأته عن التفاته قال لم يكن عندي في المسألة جواب عتيد فسألت صاحب السبيل قال لا أدري سألت صاحب العين وهو أعلم أنه قال لا أدري فنظرت إلى قلبي وسأته فحدثني بما أجبته قال فاذ هو أعلم منها وكان هذا هو معنى قوله عليه السلام « إن في أمق محدثين وإن عمرهم » وفي الأثر: إن الله تعالى يقول: أبعاد طلعت على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكت جليسه ومحادثه وأنيته . وقال أبو سليمان الداراني رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة المصروبة حولها أبواب مغلقة فأى باب فتح له عمل فيه قد ظهر افتتاح باب من أبواب القلب إلى جهة اللسكوت وللأعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والإعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد احفظوا أنفسكم من اللطمين فاتهم ينجلي لهم أمور صادقة . وقال بعض العلماء يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون إلا بما هيا الله لهم من الحق . وقال آخر لو شئت لقلت إن الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره .

( بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها )

اعلم أن القلب كما ذكرناه مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب إليه الأحوال من كل باب ومثاله أيضاً مثال هدف تنصب إليه سهام من الجوانب أو هو مثال امرأة منصوبة غتاز عليها أصناف الصور المختلفة فتراعى فيها صورة بعد صورة ولا تغلو عنها أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة فمن أنهار مفتوحة إليه وإنما مداخل هذه الآثار للتجدد في القلب في كل حال أما من الظاهر فالحواس الخمس وأما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق للركبة من مزاج الإنسان فانه إذا أدرك بالحواس شيئاً حصل منه أثر في القلب وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل وبسبب قوة الزاج حصل منها في القلب أثر وإن كلف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء إلى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر والاقصود أن القلب في التغير والتأثر دائماً من هذه الأسباب وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الحواطر وأعني بالحواطر ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار وأعني به إدراكه علوماً إما على سبيل التجرد وإما على سبيل التذكر فاتها تسمى خواطر من حيث إنها خطر بعد أن كان القلب غافلاً عنها والخواطر هي الحركات للارادات فان النية والعزم والرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الأعضاء والخواطر المحركة مرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني إلى ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى الخير أعني إلى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر إلى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى إلهاً والباطل المحمور أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواساً إنك تعلم أن هذه الحواطر حادثة ثم إن كل حادث فلا بد منه من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب السبب في الأسباب فهما استقار حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه ولمسود بالدهان علت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لا توارى القلب وظلته سببان مختلفان فسبب الحاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً وسبب الحاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً

ولا يصبر على أذام  
وفي الخبر « أيسج أحكم  
أن يكون ككأن  
ضمضم قبل ماذا كان  
يصنع أبو ضمضم قال  
كان إذا أصبح قال  
الهم إنى تصدقت  
اليوم برضى على من  
ظلفى فمن ضربنى  
لا أضرب ومن شتمنى  
لا أشتمه ومن ظلفى  
لا أظله » وأخبرنا  
ضياء الدين عبد الوهاب  
قال أنا أبو الفتح  
المروى قال حدثنا  
الترقي قال أنا الجرامى  
قال أنا المحبوب قال  
أنا أبو عيسى الترمذى  
قال ثنا ابن أبي عمير  
قال ثنا سفيان عن  
محمد بن السكندر عن  
عروة عن عائشة  
رضى الله عنها قالت

واللطيف الذي ينهأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقا والذي به تنبأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلانا فان للماني المختلفة غفتر إلى أسامي مختلفة واللك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إضافة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وسخره لللك والشيطان ميارة من خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالفتشاء والتخويف عند المالم الخير بالقرء فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الللك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه الاشارة بقوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - فان للوجودات كلها مقابلا لمزوجة لا الله تعالى فانه فرد لامقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والللك وقد قال صلى الله عليه وسلم « في القلب ثمان لمة من الللك إبعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من المدو إبعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستند باقمن الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفتشاء -<sup>(١)</sup> الآية وقال الحسن إنما هما جان مجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من المدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فسا كان من الله تعالى أمضاء وما كان من عدوه جاهدوا لتجاذب القلب بين هذين السلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن<sup>(٢)</sup> » فانه تعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصبغ سرعة القلب والقدرة على التحريك والتغير فانك لا تريد أصبعك لشخص بل لقعة في القلب والترديد كما أنك تتماهى الأفعال بأصابعك والله تعالى يغفل ما يغفل باستمخار لللك والشيطان وهما مسخران بقدرته في قلب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لللك في قلب الأجسام مثلا والقلب بأصل القطرة صالح لقبول آثار الللك ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يرجع أحدهما على الآخر وإنما يرجع أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومعاقتها فان اتبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عسى الشيطان ومعدته لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتمه وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وثبته بأخلاق الللائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر لللائكة ومهيأ لهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية للفتنة عن الهوى لاجرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا وله شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير<sup>(٣)</sup> » وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانته الله على شهوته حتى صارت لا تتبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان للتدفع بها لا يأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب كراهة الدنيا بعفتضات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاه وأقبل لللك وألمه والتطارد بين جندى الللائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أن يفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثانى اختلاسا وأكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين وتملكها فامتلات بالوسواس الداعية إلى إثار الحاجة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلي القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى

« استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده قال بش ابن المشيرة أو أخو المشيرة ثم أذن له فالأن له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت له ما قلت ثم أنت له القول قال يا عائشة إن من شر الناس من يترك الناس أو يده الناس إتهاء خفه » وروى أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » فأنهى يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور طه وحله كسب للصدارة والنفس

(١) حديث في القلب ثمان لمة من الللك إبعاد بالخير الحديث ت وحسنه ونفى الكبرى من حديث ابن مسعود (٢) حديث للؤمن بين أصبعين الحديث تقدم (٣) حديث ما منكم من أحد إلا وله شيطان الحديث م من حديث ابن مسعود

والشعوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر للانسكا . وقال جابر بن عبيدة السدي شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال : إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به الصومسان كان فيه شيء عاجلوه وإلا مضوا وتركوه . يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلب الله عليه الشيطان وقال تعالى - أفرايت من اتخذ إلهه هواه - وهو إشارة إلى أن من الهوى ومحبوه فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص [١]

لنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقرآني فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فخذوه بأذنه واتصل على يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني (٢) وفي الخبر « إن الوضوء شيطانا يقال له ألوهان فاستعينوا بالله منه (٣) » ولا يعجز وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ماسوي ماسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء أنتم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون مجال الشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه وبهلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يبالغ الشيء إلا بضده وعند جميع وسواس الشيطان ذكر الله بالاستماعة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه إلا اللعنون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفتات على سبيل الحيلة قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى - من شر السواس الخناس - قال هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس وانحبس وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار وتضادها قال الله تعالى - استحذو عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله - وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان وأضع خرطوميه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله تعالى التقم قلبه (٤) » وقال ابن وضاح في حديث ذكره : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يقب مسح الشيطان وجهه يده وقال بأبي وجهه من لا يبلغ (٥) وكما أن الشعوات مخمجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضعوا مجاريه بالجوع (٦) » وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ويجري الشيطان الشهوات والأجل اكتشاف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخبارا عن إبليس - لأقمن لهم صراطك للمستقيم

(١) حديث ابن أبي العاص إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي الحديث م من حديث ابن أبي العاص (٢) حديث إن الوضوء شيطانا يقال له ألوهان الحديث م من حديث أبي بن كعب وقال غريب وليس إسناده بالقوي عند أهل الحديث (٣) حديث أنس إن الشيطان وأضع خرطوميه على قلب ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب مكيايد الشيطان وأبو يعلى اللوصلي وابن عدي في الكامل وضمه (٤) حديث ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يقب مسح الشيطان يده وجهه وقال بأبي وجهه من لا يبلغ لم أجد له أصلا (٥) حديث إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم تقدم

[١] قوله عمرو بن العاص كذا في النسخ قال الشارح والصواب عثان بن أبي العاص وفي المراق ما يشير لذلك .

لا تزال تمشي من  
يكس مرادها  
ويستفزه الفيط  
والنصب وبالمداواة قطع  
حمة النفس ورد طيشها  
وقورها . وقد ورد  
« من كظم فيطاوهو  
يستطيع أن ينفذه  
دعاه الله يوم القيامة على  
ردوس الخلاق حق  
يغيره في أي الحول  
شاء » . وروى جابر  
رضي الله عنه عن  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال « ألا أخبركم  
على من محرم النار ؟ على  
كل حين لين سهل  
قريب » . وروى  
أبو مسعود الأنصاري  
رضي الله عنه قال آتى  
النبي عليه السلام رجل  
فكلمه فأرعد فقال  
هون عليك فاني لست

ثم لا يتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم - وقال صلى الله عليه وسلم  
 « إن الشيطان قد لا يترك آدم بطريق قدمه له بطريق الإسلام فقال أسلم وترك دينك ودين آباءك  
 ففصاه وأسلم ثم قدمه له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وصداك ففصاه وهاجر ثم قدمه له  
 بطريق الجهاد فقال أجاهد وهو تلف النفس والمال فقاتل فقتل فتسكح نساؤك ويقسم مالك  
 ففصاه وجاهد (١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن فعل ذلك فإت كان حقا على الله أن  
 يبدخه الجنة » قد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر  
 للمجاهد أنه يقتل وتسكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة ، فإذا  
 الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطره سبب ويقتل إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا ينصور  
 أن يفتك عنه آدمي وإنما يختلفون بصيانه ومتابته ولذلك قال عليه السلام « مامن أحد إلا وله  
 شيطان (٢) » قد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام واللك والشيطان  
 والتوفيق والحذلان فيمد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم وإن  
 كان جسما فكيف يدخل بدن الإنسان ماهو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم العاملة بل  
 مثل الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثياب حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل  
 بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عن الجهل بقاعدة الخواطر الباعثة على الشر  
 قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لاهلته وعلم أن الهامى إلى الشر المحذور في المستقبل عدو  
 قد عرف العدو لاهلته ، فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة  
 من كتابه ليؤمن به ويعترف عنه فقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو  
 حزبه ليكونوا من أصحاب السعير - وقال تعالى - ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان  
 إنه لكم عدو مبين - فينبغي للمريد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه  
 وممكنه ، ثم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك  
 كف للمالين ، فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته نود بالله منه حقيقة للالتصق بذلك ميدان العارفين  
 المتفكرين في علوم الكاشفات فلا يحتاج في علم العاملة إلى معرفته ، ثم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم  
 إلى ما يملأ قطعا أنه داع إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة وإلى ما يملأ أنه داع إلى الخير فلا يشك في  
 كونه إلهاما وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة لللك أو من لمة للشيطان فإن من مكاييد الشيطان  
 أن يمرض الشر في مرض الخير والتمييز في ذلك غامض وأكثر العباد به يهلكون فإن الشيطان  
 لا يقدر على دقائهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أمانظر  
 إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكت من التلفة قد أشرقوا على النار أما لك رحمة في عباد الله تتقدم  
 من اللطاب بصحك وعظك وقد أتم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف  
 تكفر نعمة الله تعالى وتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الحق إلى الصراط المستقيم ؟  
 ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجرحه بلطف الحيل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعو بعد  
 ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له إن لم تفعل ذلك سقط وقع  
 كلامك من قلوبهم ولم يمتدوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثناءه يؤكده في شواهب  
 الرءاء وقبول الخلق وقلة الجاه والتمزز بكثرة الأتباع والعلم والنظر إلى الخلق بين الاحتضار فيستدرج

بذلك إنما أنا ابن امرأة  
 من قريش كانت  
 تأكل القديد » وعن  
 بعضهم في معنى لين  
 جانب الصوفية :  
 هينون لينون أيسار  
 بنويس  
 سواس مكرمة أبناء  
 أيسار  
 لا ينطقون عن الفمشاء  
 إن نطقوا  
 ولا يمارون إن ماروا  
 لا كثار  
 من تلق منهم تقل  
 لا قبث سيدم  
 مثل النجوم التي يسرى  
 بها السارى  
 وروى أبو الدرداء عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال « من أعطى حظه  
 من الرفق فقد أعطى  
 حظه من الخير ومن  
 حرم حظه من الرفق

(١) حديث إن الشيطان قد لا يترك آدم بأطرقه الحديث ن من حديث سبرة بن أبي فاكه بأسناد  
 صحيح (٢) حديث مامن أحد إلا له شيطان الحديث تقدم .

للسكين بالصبح إلى الهلاك فيتكلّم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول فيه لك بسببه وهو يظن أنه عند الله بكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم» (١) «وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» (٢) ولذا لا يروى أن إبليس لعنه الله نحل لعيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا إله إلا الله فقال كفة حق ولا أقولها بقولك لأن له أيضا تحت الخير تلبسات وتلبسات الشيطان من هذا الجنس لا تنتهي وبها يهلك الممّاء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق بمن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في العاصي المكتشفة ، وسند ذكر جملة من مكاييد الشيطان في كتاب الضرور في آخر هذا الربع ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه [تلبس إبليس] فانه قد انتشر الآن تلبسه في البلاد والبلاد لا سيما في اللاذقية والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها كل ذلك إذعانا لتلبسات الشيطان ومكاييد خلق على البعد أن يقف عند كل مخطر له ليملم أنه من لمة الملك أوله الشيطان وأن يمن النظر فيه بمن البصرة لاهوي من الطبع ولا يطالع عليه إلا بنور التقوى والبصرة وغزارة العلم كما قال تعالى - إن الذين اتقوا إنا مسميهم طائفة من الشيطان تذكروا - أي رجعوا إلى نور العلم - فإذا هم مبصرون - أي ينكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبسه بتأية الهوى فيكثر فيه غلظه ويتجمل فيه هلاكه وهو يشعر وفي مثاهم قال سبحانه وتعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكنوا يحسبون - قيل هي أعمال ظنوها حسنت فأذا هي سيئات ، وأخمس أنواع علوم العلامة الوقوف على خدع النفس ومكاييد الشيطان وذلك فرض عين على كل عابد وقد أهمل الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسبهم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينبغي من كثرة الوسواس إلا سد أبواب النواظر وأبواب الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائي الدنيا والخولة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الأهل والمال يقلل مداخيل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخيل باطنه في التخييلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان مادام حيا ، ثم قد يقوى حيث لا يتغادله ويدفع عن نفسه شره بالجها - لكن لا يستغنى قط عن الجهاد والدافعة مادام العلم يجري في بدنه فانه مادام حيا فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تتنقلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ، ومهما كان الباب مفتوحا والمدو غير غافل لا يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة - قال رجل لعنه بن أبي سعيد أنما الشيطان تبسم وقال لو نام لامرئنا فاذن لا خلاص للؤمن منه ، فم له سبيل إلى دفعه وتضييف قوته - قال صلى الله عليه وسلم «إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بيمره في سفره» (٣) وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول ، وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل الصفور قلت وإذا قال تعالى نذيني بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتضرر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أغنى الأبواب الظاهرة والطرق الخفية التي تنضى إلى العاصي الظاهرة وإنما يتشرون في طرقه النامضة فانهم لا يبتدون إليها

قد حرم حظه من الخير » حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إسماعيل قال ثنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله السالبي قال أنا أبو الحسين عبد الرحمن بن أبي طلحة الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله الحوي السرحي قال أنا أبو عمران عيسى بن عمر السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد بن أحمد بن أبي خلف قال ثابعد الرحمن بن محمد عن محمد بن إسحق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم من حديث أنس بساند جيد (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم (٣) حديث إن المؤمن ينضى شيطانه الحديث أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة.

فحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ . وللمشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب اللاتسكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فلعبد فيها كالمسافر الذي يقي في بادية كثيرة الطرق غامضة للسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع نفس مشرقة واليمين البصيرة هنا هي القلب الصفي بالقوى والشمس المشرقة هو العلم النزيه المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدي إلى غوامض طرقه والإفطرقة كثيرة وغامضة . قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل - لتلك الخطوط (١) » فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق القامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد للسالكين لشهواتهم الكافين عن العاصي الظاهرة ، فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى إلا أن يشطر الآدي إلى سلوكه وذلك كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان راهب في بني إسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية تخطها وألقى في قلوب أهلها أن دواهما عند الراهب فأثروا بها إليه فأتى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى وأصفا خلعت منه فوسوس إليه وقال الآن تفتضح بأنيك أهلها فاقتلها فان سألوك قتل ماتت قتلها ودقها فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أجلبا ثم قتلها ودقها فأثروا أهلها فأتاه فقال ماتت فأخذوه وقتلوه بها فأثروا الشيطان فقال أنا الذي تخطها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها فطعن تنج وأصلحك منهم قال بماذا ؟ قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان إني براء منك ، فهو الذي قال الله تعالى فيه - كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني براء منك - (٢) » فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكيأر وكل ذلك لظاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمرهين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنه فيحسن ذلك في قلبه يخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويحمر البعض إلى البعض بحيث لا يجد محيصا فتعود بالله من تضييع أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (٣) »

( بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب )

اعلم أن مثال القلب مثال حسن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلوه لا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه لحاية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض على من كل عبد مكلف ومالا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة (١) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله الحديث في الكبرى و لا وقال صحيح الاسناد (٢) حديث كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية تخطها وألقى في قلوب أهلها أن دواهما عند الراهب الحديث بطوله في قوله تعالى - كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر - ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وابن مردويه في تفسيره في حديث عبيد بن أبي رفاعه قمر سلا ولما كتم نحوه موقوفا على علي بن أبي طالب وقال صحيح الاسناد ووصله بطين في مسند من حديث علي (٣) حديث من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه متفق عليه من حديث الثمان بن بشير من يرتح حول الحمى يوشك أن يواقع فقط خ .

يوم حين وفي رجل  
فعل كيفية فوطت بها  
على رجل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
فتفتحن فتحة بسوطي  
يده وقال باسم الله  
أوجمتني قال فبت  
لنفسي لأني أقول  
أوجمت رسول الله قال  
فبت بليلة كما يعلم الله  
فلما أصبحنا إذا رجل  
يقول أين فلان قلت هذا  
والله الذي كان معي  
بالأمس قال فانطلقت  
وأنا متخوف فقال لي  
إنك وطئت بملك على  
رجلي بالأمس فأوجمتني  
فتفتحت فتحة بسوط  
فبهذه ثمانون نعمة  
غفدها بها . ومن  
أخلاق الصوفية الإتيان  
واللواصة ويصلهم على  
ذلك فرط الشفقة

مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبواب صفات العبد وهي كثيرة ولستنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الهروب التي لا تنطبق عن كثرة جنود الشيطان . فمن أبواب العظيمة الغضب والشهوة فإن الغضب هو غول القتل وإذا صنف جند القتل هجم جند الشيطان ومهما غضب الإنسان لسبب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة ، قد روى أن موسى عليه السلام لقيه إبليس فقال له يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برصائه وكذلك تسلكنا وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربّي أن يتوب عليّ قال موسى نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه أذّ الأمانة فقال موسى يا رب عبدك إبليس يريد أن يتوب عليه فأوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد قبر آدم حتى يتاب عليه فلقى موسى إبليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد قبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا أم سجد له ميتا ثم قال له يا موسى إن لك عليّ حقا بما شفعت لي إلى ربك فأذكرني عند ثلاث لأهلكك فبين : إذ كررت حين تغضب فإن روعي في قلبك وعيني في عينك وأجرى منك مجرى الدم ، إذ كررت إذا غضبت فإنه إذا غضب الإنسان غضت في آتاه فايدري ما يصنع وإذا كررت حين تلقى الزحف فإن آتاه ابن آدم حين يلقي الزحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولى وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات حرم فإن رسولها إليك وسوك إليها فلا أزال حتى أفتنك بها وأفتنها بك فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص فإن القرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرنى كيف تغلب ابن آدم فقال آخذته عند الغضب وعند الهوى ، قد حكي أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب أي أخلاق بني آدم أعون لك قال الحدة فإن العبد إذا كان حديدا غلبناه كما يغلب الصبيان الكرة ، وقيل إن الشيطان يقول كيف يتلبنى ابن آدم وإذا رضى بعت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرحت حتى أكون في رأسه ومن أبواب العظيمة الحسد والحرص فهما كان العبد حريصا على كل شيء أهماه حرصه وأصمه إذ قال صلى الله عليه وسلم « حيك الشيء يسمى ويصم (١) » ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرص لم يصر في شدة بعد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وفاحشا فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيئا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخالت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك فقال له نوح أخرج منها يا عذو الله فانك لعين فقال له إبليس : غشى أهلك بين الناس وسأحدثك منهن ثلاث ولا أحدثك بأثنين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما الاثنتان لا تذكاني هما الاثنتان لا تخافني فهما أهلك الناس : الحرس والحسد ، فالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيا وأما الحرس فإنه أيسر لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرس . ومن أبواب العظيمة الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا فإن الشبع يقوى الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان ، فقد روى أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يا إبليس ما هذا للمعاليق ؟ قال هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم فقال فهل فيها من شيء ؟ قال ربما هبعت فتقتلك عن الصلاة وعن الله ذكر قال فهل غير ذلك ؟ قال لا قاله عليّ أن لا أملا ، بغنى من الطعام أبدا فقال له إبليس والله عليّ أن لا أنصح مسلما أبدا . ويقال في كثرة

(١) حديث حيك الشيء يسمى ويصم أبو داود من حديث أبي البرداء بإسناد ضعيف .

والرحمة طبعاً وقوة  
البقيع شرماً يؤثرون  
بالوجود ويصرون على  
للقعود . قال أبو يزيد  
البن ساطي ما غلبني  
أحد ما غلبني شاب من  
أهل بلغ قدم علينا  
حاجبا فقال لي يا أبا يزيد  
ما حسد الزهد عندكم  
قلت إذا وجدنا أكلنا  
وإذا قد ناصبرنا فقال  
هكذا عندنا كلاب  
بلغ قتلته واحد  
الزهد عندكم ، قال  
إذا قد ناصبرنا وإذا  
وجدنا آثرنا . وقال  
ذو النون من علامة  
الزهد للشرع صدره  
ثلاث : خرق الجوع  
وترك طلب اللقود  
والإشارة بالقوت ، روى  
عبد الله بن عباس  
رضي الله عنهما قال

الأكل ستخالف مذمومة : أولها أن يذهب خوف الله من قلبه . الثاني أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شياطين . والثالث أنه يتقلع الطاعة . والرابع أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة . والخامس أنه إذا تسكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس . والسادس أن يسبح فيه الأمراض . ومن أبواب حب التزين من الأثاث والثياب والدار وتزيين سفوفها وحيطانها وتوسيع أثنيها وبدعوه باض فيه وفرغ فلا يزال يدعو إلى هماره الدار وتزيين سفوفها وحيطانها وتوسيع أثنيها وبدعوه إلى التزين : الثياب والدواب ويستخفه فيها طول عمره وإذا أوقفه في ذلك فقد استغنى أن يموت إليه ثانية فان بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان وأتباع الهوى وغشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر تموز بالله منه . ومن أبواب العظيمة الطمع في الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبس حتى يصير للطموع فيه كأنه معبود فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتعجب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك ، وأقل أسوالة التناء عليه عايليس فيه واللدانة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قد روى صفوان بن سليم أن إبليس مثل لبيد الله بن حنظلة قتل له يابن حنظلة أحفظ عني شيئا أعلمك به فقال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا أخذت وإن كان شرا رددت يابن حنظلة لا تسأل أحد غير الله سؤال الرعية وانظر كيف تكون إذا غضبت فاني أبسلك إذا غضبت . ومن أبواب العظيمة العجلة وترك التثبت في الأمور وقال صلى الله عليه وسلم « العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى (١) » وقال عز وجل - خلق الإنسان من عجل - وقال تعالى - وكان الإنسان مجولا - وقال لئيبه صلى الله عليه وسلم - ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه - وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد البصيرة والعرفه والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتوهم والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري ، قد روى أنه لما وفد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس قالوا أصبحت الأصنام قد نسكت رءوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافق الأرض فزجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا اللائكة حافين به فرجع إليهم فقال إن نيا قد ولد البارحة حاملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأيسوا من أن تميد الأصنام بهذه القيلة ولكن التواخي آدم من قبل العجلة والحفة . ومن أبواب العظيمة الدرامم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والبقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبت من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكتفي بما وجد بل يحتاج إلى تسعة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا إلى تسعة ليشترى دارا يمررها وليشترى جارية وليشترى أثاث البيت ويشترى الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له يقع في هاوية آخرها حتى جهنم فلا آخر لها سوله . قال ثابت البناني (٢) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لإبليس لشيائنه قد حدث أمر فانظروا ما هو فانظروا حتى أعياوا ثم جاءوا وقالوا ما ندري قال أنا أتيتكم بالخبر فذهبتم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال لجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبتنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحي ذلك فقال لإبليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضر للأصنام « إن شتمت قسمتم لله ما جرن من أموالكم ودياركم ونصار كونهم في هذه النعمة وإن شتمت كانت لكم دياركم وأموالكم وكقسم لكم شيئا من النعمة » فقالت الأنصار بل قسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالنعمة ولا نشاركهم فيها ، فأنزل الله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابه جسد فقال يا رسول الله إني جائع فأطعمني فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى



فتصيب منهم حاجتنا (١). وروى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا ثم به إبليس قال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من تلك حجرا يتوسد به عند النوم قد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا فملاحة معهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعو إلى النوم وإلى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك بالولا تحرك رغبته إلى النوم هذا في حجر فكيف بمن تلك الخاد الوثير والقرش الطويطة ولتنزهات الطيبة التي ينشط لعبادة الله تعالى ٩. ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الاتصاف والتصدق ويدعو إلى الادخار والكسب والعذاب الأليم وهو للوعود للمكسرين كما نطق به القرآن العزيز. قال خشية بن عبد الرحمن إن الشيطان يقول ما غلبني ابن آدم غلبة فلن يظني على ثلاث أن أمره أن يأخذ المال من غير حقه وإفاته في غير حقه ومنه من حقه. وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء. ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال والأسواق هي مستنش الشياطين. وقال أبو أمامة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب آتني إلى الأرض وجعلني رجلا فاجل لي بيتا قال الحمام قال اجعل لي مجلسا قال الأسواق وجميع الطرق قال اجعل لي طعاما قال طامك ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شربا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال الزامير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصاديق النساء (٢) » ومن أبوابه العظيمة التوصل: التعصب للمذاهب والأهواء والحقد في الحسوم والنظر إليهم بغير الازدراء والاستعقار وذلك مما يهلك العباد والناس جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر قصصهم صفة جبيلة في الطبع من الصفات السبعة فاذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان مواقفا عليه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسبي في الدين وهو ساعي في اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتعصب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاطي لأنواع الفساد ولو رأاه أبو بكر لكان أول عدوه إذ موالى أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين عليه. وكان من سيرته رضي الله عنه أن يضع حصاة في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا ينيه فأتى لهذا الفضولي أن يدعى ولاءه ولا يسير بسيرة وترى فضوليا آخر يتعصب لملي رضي الله عنه وكان من زهد على وسيرته أنه لبس في خلافة نوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرنح ونرى الناس لا يهابون الحرير ومتجملين بأموالهم أكثر من هجر الحرام وهو يتعاطى حب على رضي الله عنه ويدعيه وهو أول خصائمه يوم القيامة وليت شعري من أخذ ولما عززا لانسان هوقرة عينه وحياته قلبه فأخذ يضربه ويمزقه ويتنفذ شره ويقطعه بالقرص وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وصائر الصحابة رضي الله عنهم من الأهل والولد بل من أنفسهم

(١) حديث ثابت لما بث صلى الله عليه وسلم قال إبليس للشياطينه لقد حدث أمر الحديث ابن أبي الدنيا في مكابد الشيطان هكذا مرسل (٢) حديث أبي أمامة إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب آتني إلى الأرض وجعلني رجلا فاجل لي بيتا قال الحمام الحديث الطبراني في الكبير واستاده ضعيف جدا ورواه نحوه من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف أيضا .

أزواجه هل عندك  
شبه فكلهن قلن  
والذي ينك بالحق  
نينا ما عندنا إلا للساء  
قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ما عندنا  
ما نطمح هذه البلية  
ثم قال من يضيف  
هذا هذه البلية رحمه  
الله قدام رجل من  
الأصناف قال أنا  
يا رسول الله فأتى به  
منزله قال لأهله هذا  
ضيف رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فأكرمه  
ولا تدخرى عنه شيئا  
فكانت ما عندنا إلا القوت  
الصيفة قال قومي  
عليهم عن قوتهم حتى  
يناموا ولا يطمعون  
شيئا ثم أسرجى فاذا  
أخذ الضيف ليأكل  
قومي كأنك تصلحين  
السراج فاطنيسه



كن ركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالقائد وللذهاب لا تخصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال . ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - فمن يحكم بشر على غيره بالظن بثبوت الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالنية فهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من الهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض لثبوتهم فقال صلى الله عليه وسلم «واثقوا مواضع التهم» (١) حتى احتاروه عليه السلام من ذلك روى عن ابن جبرين أن صفة بنت حني بن أخطب أخبرته «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد قالت فأتته فتحدثت عنده فلما سميت انصرفت قام يعشي معي فر به رجلا من الأنصار فلما ثم انصرفا فناداهما وقال لهما صفة بنت حني قالا يارسول الله ما نظن بك إلا خيرا فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإنى خشيت أن يدخل عليكما» (٢) فانظر كيف أشفق عليه السلام على دينهما فخرسهما وكيف أشفق على أمته فطهر طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع للعروف بالدين في أحواله فيقول مثلي لا يظن به إلا الخير إجماعا منه نفسه فان أوردع الناس وأخافهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بين واحدة بل بين الرضا بسببهم وبين السخط بسببهم ولذلك قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تدي السوايا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فان الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر فلهما رأيت إنسانا بسى الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المآثر والتائق يطلب العيوب واللؤم سليم الصدر في حق كافة الخلق فلهذا بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولوأردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما يبين على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله . فان قلت لما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله . فاعلم أن علاج القلب في ذلك سهده للداخل بتطهير القلب من هذه الصفات الذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات الهلكات واحتياج كل صفة إلى كتاب منفرد على ما سيأتي شرحه . ثم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان الشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمتنع من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد محاربة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات الذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - خصص بذلك التقي فثقل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز أو لحم فانه يزجر بأن تخول له أخسا فجرد الصوت بدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يدفع بمجرد الكلام فالقلب الحالى عن قوت الشيطان يزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدها فيستقر الشيطان في سويدها القلب وأما قلوب للتقين الحالية من الهوى والصفات الذمومة فانه يطرقها الشيطان لالشهوات بل لحاوها بالتمقة عن الذكر فاذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى - فاستمد بالله من الشيطان الرجيم - وسائر الأخبار والآيات

(١) حديث اتقوا مواضع التهم لم أجد له أصلا (٢) حديث صفة بنت حني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فأتته فتحدثت عنده الحديث وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم متفق عليه .

ولو كان بهم خصاصة -  
وقال أنس رضى الله  
عنه أهدى لبعض  
أصحابه رأس هاة  
مشوى وكان مجهودا  
فوجه به إلى جاره  
فتداوله سجة أعشى  
ثم عاد إلى الأول فأزلت  
الآية لذلك . وروى أن  
أبا الحسن الأنطاكي  
اجتمع عنده نيف  
وثلاثون رجلا بقرية  
بقرى يرى له أرغفة  
مصدودة لم تسبح  
خمسة منهم فكسروا  
الرغفان وأطعموا  
السراج وجلسوا الطعام  
فغارضوا الطعام فاذا  
هو جاله لم يأكل أحد  
منهم إشارا منه على  
نفسه . وحكى عن  
حذيفة الصدى قال  
انطلقت يوم اليرموك  
لطلب ابن عم لي

الواردة في الله كره . قال أبو هريرة التقي شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان للكافر دهن من حين كاس وشيطان للمؤمن مهزول أشعث أغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قال أنا مع رجل إذا أكل حتى الله فأطّل جانها وإذا شرب حتى الله فأطّل عسلنا وإذا لبس حتى الله فأطّل عريانا وإذا ادهن حتى الله فأطّل شحا فقال لئن لم يضل شيئا من ذلك فأنا أشاركه في طمائه وشربه ولبائه . وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بيوينا يرانا هو وقيله من حيث لا نراهم اللهم فكسبه منا كما آتته من رحمتك وقطعه منا كما قطعته من عفوك وابعده بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير قال فتمثل له إبليس يوما في طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا إبليس فقال وما تريد قال أريد أن لاتعلم أحدا هذه الاستعادة ولا ترضك قال والله لا أنصحبها عن أرادها فاستمع ما شئت . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي ﷺ بيده شملة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتوضأ فلا يذهب فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يليج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يجرح فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق غير بارح من فقال ذلك فطفت شملته وخر على وجهه <sup>(١)</sup> وقال الحسن « نبئت أن جبرائيل عليه السلام أتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتاً من الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك اقرأ آية الكرسي <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « لقد أتاني الشيطان فتأزعتني ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بطني بالحلق ما أرسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على يدي ولولا دعوة أخى سليمان عليه السلام لأصبح طريحا في المسجد <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ماسلك عمرو فجاء لإسلك الشيطان فجاء غير الذي سلكه عمر <sup>(٤)</sup> » وهذا لأن القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشبهوات فبما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الله كره كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالا وكنت كمن يطعم أن يهرب دواء قبل الاحتيا واللمدة مشفوعة بفايض الأطعمة ويطمع أن ينفعه كما تنفع الذي شر به بعد الاحتيا وتحلية العدة والله ذكر الدواء والتقوى احتيا وهي تحلى القلب عن الشبهوات فإذا نزل الله كره قلبا فارطا عن غير الله كره اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في اللمدة الحالية عن الأطعمة قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب - وقال تعالى - كتب

(١) حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان الشيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شملة من نار الحديث ابن أبي الدنيا في مكابد الشيطان هكذا مرسل والمالك في اللواط نحوه عن يحيى بن سعيد مرسل ووصله ابن عبد البر في التمهيد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زبارة عن عياض الشامي عن ابن مسعود . ورواه أحمد والبراز من حديث عبد الرحمن بن حبيب وقيل له كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين فذكر نحوه <sup>(٢)</sup> حديث الحسن نبئت أن جبريل أتني النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتاً من الجن يكيدك الحديث ابن أبي الدنيا في مكابد الشيطان هكذا مرسل <sup>(٣)</sup> حديث أناني شيطان فتأزعتني ثم نازعني فأخذت بحلقه الحديث ابن أبي الدنيا من رواية الشامي مرسل هكذا والبخاري من حديث أبي هريرة أن عفريتاً من الجن تفلت على البازرة أو كلفة نحوها لقطع على صلاتي فأمكنني الله منه الحديث و ن في الكبرى من حديث عائشة كان يصلي فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فحلقه قال حتى وجدت برد لسانه على يدي الحديث وإسناده ضيف (٤) حديث ماسلك عمرو فجاء لإسلك الشيطان فجاء غير الذي سلكه عليه من حديث سعد بن أبي وقاص بنظير ابن الخطاب مالتيك الشيطان سالكا فجا .

ومعنى من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقته ومسحت وجهه فإذا أنا به قتلت أسيتك فأشار إلى أن نعم فإذا رجل يقول آه فقال ابن عمر انطلق به إليه فجئت إليه فإذا هو هشام بن العاص قتلت أسيتك نعم هشام آخر يقول آه فقال انطلق به إليه فبئت إليه فإذا هو قد مات ثم رجعت إلى هشام فإذا هو أيضا قد مات ثم رجعت إلى ابن عمر فإذا هو أيضا قد مات . وسئل أبو الحسن البوشنجي عن الفتوة فقال الفتوة عندي ما وصف الله تعالى به الأنصار في قوله - والذين تبوءوا الدار

عليه أنه من تولاه فإنه ضله ويهديه إلى عذاب السعير - ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقاً بأن الذكر يطرد الشيطان (٢) ولم نهم أن أكثر عموماً الشرع مخصوصة بشروط قلها علماء الدين إلى فسك قليس الخبر كاليان وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراق قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب المالين وجواب اللامدين وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومها الكها حتى إنك لا تذكر ما قد نسيت من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت فالصلاة يحك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساوئها فالصلاة لا تقبل من القلوب للشجونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا يطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الهواء قبل الاحتمال بما يميز به عليك الضرر فإن أردت الخلاص من الشيطان قدم الاحتماء بالتقوى ثم أرفده بدواء الذكر في الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه ، ولذلك قال وهب بن منبه : اتق الله ولا تسب الشيطان في العلية وأنت صديق في السر أى أنت مطيع له . وقال بعضهم يا عبياً لمن يمسى الحسن بعد معرفته بحسانه وبطبع العين بعد معرفته بطبيعته ، وكما أن الله تعالى قال - ادعوني أستجب لكم - وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء ، قيل لاراهم ابن آدم ما لنا ندعوه فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى - ادعوني أستجب لكم - ؟ قال لأن قلوبكم ميتة قيل وما الذى أمأها ؟ قال غمان خصال : عرقم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلمت نجس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلمت نخس للوث ولم تستعدوا له وقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فوطأتموه على المعاصي وقلمت نخاف النار وأرهم أبدانكم فيها وقلمت نجس الجنة ولم تعملوا لها وإذا قمتم فرشكم رمتهم عيوبكم وراء ظهوركم واقرضتم عيوب الناس أمامكم فاستخفتم ربكم فكيف يستجيب لكم . فان قلت لى داعى إلى المعاصي المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون ؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في المامة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن البقلة ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار في شواهد الأخبار : أنهم جنود مجتدة وأن لكل نوع من المعاصي شيطاناً يخصه ويدعوه إليه فأما طريق الاستبصار فذكره بطول ويكتفيك القدر الذى ذكرناه وهو أن اختلاف السيدات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان . وأما الأخبار فقد قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره : ثمر والأعور ومبسط وداسم وزلتور ، فأما ثمر فهو صاحب الصائب الذى يأمر بالثبوت وشق الجيوب ولطم الحدود ودعوى الجاهلية وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به وزينه وأما مبسط فهو صاحب الكذب وأما داسم فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميهم باليبس عنده ويضربه عليهم وأما زلتور فهو صاحب السوق فبسيه لا يزالون متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب (٣) وشيطان الوضوء يسمى الوهان (٤) وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة ، وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في اللاتكة كثرة ، وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة اللاتكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به ، وقد قال أبو أمامة الباهلي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه

(١) الحديث الوارد بأن الذكر يمحى يطرد الشيطان تقدم (٢) حديث إن شيطان الصلاة يسمى خنزب م من حديث عثمان بن أبي العاص وقد تقدم أول الحديث (٣) حديث إن شيطان الوضوء يسمى الوهان تقدم وهو عدت من حديث أبى .

عطاء يؤثرون على أنفسهم جوداً وكرماً ولو كان بهم خصاصة يمسى جوعاً وقراً . قال أبو حفص الإشارة هو أن يقدم حظوظ الاخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة وقال بعضهم الاشارة لا يكون عن اختيار إنما الاشارة أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حرك ولا تمزق ذلك بين أعم وصاحب وذى معرفة . وقال يوسف ابن الحسين من رأى لنفسه ملكاً لا يصح منها الاشارة لأنه يرى نفسه أحق بالشيء برؤية ملكه إنما الاشارة بمن يرى الأشياء كلها للحق فمن وصل إليه فهو أحق به فاذا وصل شيء من ذلك

مالم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الشهاب عن قصعة السيل في اليوم الصاف وما لو بدلكم رأيته على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغراه ولو وكل العبد إلى شفه طرقة عين لاخطفته الشياطين (١) وقال أيوب بن يونس بن يزيد : بلغنا أنه بولس مع أبناء الإنس من أبناء الجن ثم يشنون معهم . وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال يارب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تكن عليه لأتوى عليه قال لا يولد لك ولد ولا ولد لك به ملك قال يارب زدني قال أجزى بالسيرة سيرة وبالجنة عسرا إلى ما تريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح مادام في الجسد الروح قال إبليس يارب هذا العبد الذي كرمته على أن لا تبنى عليه لأتوى عليه قال لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد قال يارب زدني قال تجرى منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم يوتا قال رب زدني قال أجلب عليهم غيظك ورجلك إلى قوله غرورا ، وعن أبي السرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف : صنف كالبهائم كما قال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أبصار لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل - وصنف أجسامهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله (٢) وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس يمثل ليجي بن زكريا عليهما السلام وقال إني أريد أن أنصحك قال لا حاجة لي في نصحك ولكن أخبرني عن بني آدم قال هم عدنا ثلاثة أصناف : أما صنف منهم وهم أشد الأصناف علينا قبل على آدم حتى فشتت وشمكت منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركننا منه ثم نمود عليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن نمدرك منه حاجتنا فنحن منه في عناه وأما الصنف الآخر فهم في أدينا بمنزلة الكفرة في أيدي ميانكم قلوبهم كيف يشاءون فكنوا نأفهمهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا تهدر منهم شيء . فان قلت فكيف يمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل به فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين . فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما ولا تدر لك حقيقة صورتهما بالمشاهدة إلا بأبواب النبوة فما رأى النبي ﷺ جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام في صورته إلا مرتين (٣) وذلك أنه سألته أن يريه نفسه على صورته فواعده بالقبض وظهر له بحراء فد الأسف من الشرق إلى الغرب وراه مرة أخرى على صورته ليلة للعراج عند سدرة المنتهى وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالبا (٤)

إليه يرى نفسه ويده في يد أمانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤذيها إليه . وقال بعضهم حقيقة الأيثار أن تؤثر بحظ آخرتك على إخوانك فان الدنيا أقل خطرا من أن يكون لإيثارها عمل أو ذكر ومن هذا المعنى ما نقل أن بعضهم رأى أخاه فلم يظهر البشر الكثير في وجهه فأنكر أخوه ذلك منه فقال يا أخي سميت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا اتقى اللسان ينزل عليهما مائة رحمة : تسمون لأكثرهما جبرا وعشرة لأقلهما جبرا » فأردت أن أكون أقل جبراً منك ليكون لك الأكثر

(١) حديث أبي أمامة وكل المؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه الحديث ابن أبي الدنيا في مكابيد الشيطان وطب في الصبح الكبير بإسناد ضعيف (٢) حديث أبي السرداء خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب والحديث ابن أبي الدنيا في مكابيد الشيطان وجب في الضعفاء في ترجمة يزيد بن سنان وضعفه ولا نحوه مختصرا في الجن فقط ثلاثة أصناف من حديث أبي ثعلبة الحنفي وقال صحيح الاستناد (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في صورته إلا مرتين الشيطان من حديث عائشة وسئل هل رأى محمد ربه وفيه ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين (٤) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة الآدمي غالبا الشيطان من حديث عائشة وسئل فأين قوله: فدنا فتدلى ، قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل الحديث .

فكان يراه في صورة دحية الكلبي<sup>(١)</sup> وكان رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكشف أهل الكاشفة من أرباب القلوب بمثل صورته فيمثل الشيطان له في القطة فيراه بينه وبينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين وإنما للكاشف في القطة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يعتنه اشتغال الحواس بالهنا عن الكاشفة التي تكون في المنام فيرى في القطة ما يراه غيره في المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأله أنه أن يراه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسدا رجل شبه البلوري داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكب الأيسر بين منكب وأذنه له خرطوم دقيق قد أدخله من منكب الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فلذا ذكر الله تعالى خنس ، ومثل هذا قد يشاهد بينه في القطة فقد رآه بعض الكاشفين في صورة كلب جائم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الهنا ، وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فإن القلب لا يد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم اللسكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحداهما متصل بالأخر وقد بينا أن القلب وجهان وجه إلى عالم النيب وهو مدخل الألهام والوحي ووجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي على جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق الذي حق يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن فيبصق السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبس ، أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم اللسكوت على باطن سر القلوب فلا تكون إلا محكية للصفة ومواقفة لها لأن الصورة في عالم اللسكوت تابعة للصفة ومواقفة لها فلا حرج لما يرى للشيء التبعيض إلا بصورة قبعة يرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جملة فتكون تلك الصورة عنوان للمعاني محكية لها بالصدق ولذلك بدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار محيية وهي من أسرار هجاب القلب ولا يليق ذكرها بلم العامة وإنما المقصود أن تصديق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذلك تارة بطريق التثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التثيل بصورة محكية للشيء هو مثال الشيء لا عين للشيء إلا أنه يشاهد بالعين ، مشاهدة محققة ويفرد بمشاهدته للكاشف دون من حوله كالنائم .

( بيان ما يؤخذ به البعد من وساوس القلوب وهما وخواطرها

وقصودها وما يعنى عنه ولا يؤخذ به )

اعلم أن هذا أمر فاض ، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سحارة العلماء بالشرع فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عني عن أمي ما حدثت به تنوسها ما لم تتكلم به أو تعلم به »<sup>(٢)</sup> وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول للخطيئة إذا لم يعبد بيئته فلا تكتبوها فإن عملها فاكثروها سيئة وإذا لم يعبد بيئته لم يعملها فاكثروها حسنة فإن عملها فاكثروها سيئة »<sup>(٣)</sup> وقد خرج البخاري ومسلم في الصحيحين وهو

(١) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة دحية الكلبي الشيخان من حديث أسامة بن زيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة من هذا قالت دحية الحديث (٢) حديث عني لأبي عما حدثت به تنوسها متفق عليه من حديث أبي هريرة إن الله تجاوز لأبي عما حدثت به أنفسها الحديث (٣) حديث أبي هريرة يقول الله إذا لم يعبد بيئته

أخبرنا الشيخ ضياء الدين أبو التيجم بإجازة قال أنا أبو حفص عمر ابن الصغار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم الرازي يقول سمعت أبا بكر بن أبي سمدان يقول : من صاحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمن نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده . وقال سهل بن عبد الله الصوفي من يرى دمه هدرًا وملكه مباحًا وقال ربيع التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفتور والافتقار والتحقق باليسئل





فهذه الحواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن معه عزم وهم بالفضل . وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه يقيني أن بفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والأحوال تختلف فيه فلاختياري منه يؤخذ به والاضطراري لا يؤخذ به . وأما الرابع وهو الهم بالفضل فانه يؤخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن كان قد تركه خوفا من الله تعالى وندماء على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه ومجاهدته تسه حسنة والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الثقة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة جفده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده في موازنة الشيطان بموازنة الطبع فكاتبه حسنة لأنه رجع جده في الامتناع وهم به على همه بالفضل وإن تموق القبل بمائق أو تركه بنذر لاخوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فإن همه فعل من القلب اختياري . والدليل على هذا التفصيل ما روى في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت للأنثى عليهم السلام رب ذلك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال اربوه فإن هو عملها فاكذبوها له بخلافها وإن تركها فاكذبوها له حسنة إنما تركها من جرأى<sup>(١)</sup> » وحيث قال فإن لم يعملها أراد به تركها لله فأما إذا عزم على فاحشة فتمذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف كتبت له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما يحشر الناس على نياتهم<sup>(٢)</sup> » ونحن نعلم أن من عزم ليلا على أن يصبح ليقول مسلما أو زني بأمرأة فمات تلك الليلة مات مصرا وبمصر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها . والدليل القاطع فيه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا التقى المسلمان سيفيهما فاقاتل والقتول في النار قبل بأمر الله هذا القاتل لما بال لقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه<sup>(٣)</sup> » وهذا نص في أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوما فكيف يظن أن الله لا يؤخذ بالنية والهم بكل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفره بحسنة وهضم العزم بالندم حسنة فذلك كتبت له حسنة فأما قوت الراد باق فليس بحسنة وأما الحواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالؤاخذ به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى - وإن تبسدوا

ولكن عليك يا ابن مظلون بالصيام فانه مجفرة ولأحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله ابن عمرو خضاء أمي الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاص بإسناد فيه ضعف إن عثمان بن مظنون قال يا رسول الله الذنن لى فى الاختصاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أبدلك بالرهانية الخفيفة السمحة والتكبير على كل شرف الحديث وه بسند ضيف من حديث عائشة النكاح من سنن وأبي يعلى من حديث أنس لكل نبي وقال أبو يعلى لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في حيل الله وفيه زيد العلمى وهو ضيف ولأبي داود من حديث أبي أمامة إن سياحة أمي الجهاد فى سبيل الله وإسناده جيد<sup>(١)</sup> حديث قالت للأنثى رب ذلك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر الحديث قال للصف إنه فى الصحيح وهو كذا قال فى الصحيح مسلم من حديث أبي هريرة<sup>(٢)</sup> حديث إنما يحشر الناس على نياتهم من حديث جابر دون قوله إنما وله من حديث أبي هريرة إنما يمت الناس على نياتهم وإسناده حسن وم من حديث عائشة يشهد الله على نياتهم وله من حديث أم سلمة يشهد على نياتهم<sup>(٣)</sup> حديث إذا التقى المسلمان سيفيهما فاقاتل والقتول فى النار الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر .

كساء فدخلت بيتا فرمت بالكساء وقالت هذا أيا من بقية النعاج فيمعه فقال الزوج لها لم تكلف هذا باختيارك قالت اسمعت مثل الشيخ يأسطنا وبحكم علينا ويقي لنا شي ندخره عنه . وقيل مرض قيس بن سعد فاستبطأ إخوانه فى عيادته فسأل عنهم فقالوا إنهم يستحيون بمالك عليهم من الدين فقال أخزى الله ما لا يمنع الأخوان عن الزيارة ثم أمر متاهدا ينادى من كان قيس عليه مال فهو منه فى حل فكسرت هبة داره بالشئ لكثرة عواده . وقيل أتى رجل صديقا له ودق عليه الباب فلما خرج قال لماذا

ما في أنفسكم أو يخوفه بحاسبكم به الله - جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا :  
كلنا ما لانطق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم بحاسب بذلك قال ﷺ :  
لكنكم تقولون كما قالت اليهود سمنا وعسينا قولوا سمنا وأطعنا فقالوا سمنا وأطعنا (١) ، فأزل  
الله الفرج بعد سنة قومه - لا يكلف الله شيئا إلا وسعها - فظهر به أن كل ما يدخل تحت الوسع  
من أعمال القلب هو الذي لا يؤخذ به فهذا هو كشف الفناء عن هذا الالباس وكل من يظن أن  
كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بد وأن يسلط وكيف  
لا يؤخذ بأعمال القلب من الكبر والسب والرياء والنفاق والحسد وجملة الحباث من أعمال القلب  
بل السمع والبصر والقواد كل أولئك كان عنه مسئولاً أي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر  
بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤخذ به فإن أمهيا نظرة ثانية كان مؤاخذاً به لأنه عنار فسكذا  
خوارق القلب تجري هذا الجري بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
«التقوى ههنا وأشار إلى القلب (٢)» وقال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله  
التقوى منكم - وقال صلى الله عليه وسلم «الإثم حواز القلوب (٣)» وقال «البر ما أطمان إليه  
القلب وإن أدتوك وأتوك (٤)» - حتى إذا تحول إذا حكم القلب للفق بحجاب شيء وكان غطاً فيه  
صار مثاباً عليه بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلي فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب  
بفضله فإن تذكر ثم تركه كان معاقباً عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يمس بوطها  
وإن كانت أجنبية فإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصى بوطها وإن كانت زوجته وكل ذلك نظر  
إلى القلب دون الجوارح .

( بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكيفية عند الذكر أم لا )

اعلم أن العلماء للراقيين للقلوب الناظرين في صفاتها وسماتها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق :  
قالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال « فإذا ذكر الله خنس (٥) »  
والخنس هو السكوت فسكانه يكت . وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر  
لأن القلب إذا صار مستوعباً بالله كركان محجوباً عن التأثير بالوسوسة كالمشغول به فانه قد يكلم ولا يفهم  
وإن كان الصوت يمر على محسه . وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضاً ولكن تسقط غلبتها للقلب  
فكانه يوسوس من بعد وعلى ضعف . وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة  
ويتماثلان في أزمنة متتالية يظن لتقاربها أنها متساوية وهي كالكرة التي عليها قط متفرقة فانك  
إذا أردتها بسرعة رأيت القط دوائر بسرعة توأصلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد  
ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له إلا هذا . وقالت فرقة الوسوسة والذكر يتساوون في  
الدوام على القلب تساوفا لا ينقطع وكما أن الإنسان قد يرى بينه شيتين في حالة واحدة فسكذلك

(١) حديث لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله - جاء ناس من  
الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلنا ما لانطق الحديث م من حديث أبي هريرة  
وابن عباس نحوه (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى القلب م من حديث أبي هريرة وقال إلى صدره  
(٣) حديث الإثم حواز القلوب تقدم في العلم (٤) حديث البر ما أطمان إليه القلب وإن أدتوك  
وأتوك الطبراني من حديث أبي ثعلبة ولأحمد نحوه من حديث وابصة وفيه وإن أفتاك الناس  
وأفوك وقد هتتما (٥) حديث وإذا ذكر الله خنس ابن أبي الدنيا وابن عدى من حديث أنس  
في أثناء حديث إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث وقد تقدم قريباً .

جنتي ؟ قال لأر براءة  
درم دين على فدخل  
الدار ووزن أر براءة  
درم وأخرجها إليه  
ودخل الدار باسكيا  
فالت امرأته هلا تلت  
حين شق عليك الاجابة  
فقال إنما أبكي لأنني لم  
أفقد حاله حتى أحتاج  
أن يخافني . وأخبرنا  
الشيخ أبو زرعة عن  
أبيه الحافظ القدسي  
قال أنا محمد بن محمد إمام  
جامع أصفهان قال ثنا  
أبو عبد الله الجرجاني  
قال أنا أبو طاهر محمد بن  
الحسن الحمد آبادي  
قال ثنا أبو البحتري قال  
ثنا أبو أسامة قال ثنا  
زيد بن أبي بردة عن  
أبي موسى قال قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « إن  
الأعمرين إذا أرموا

القلب قد يكون مجرى لشئين فقد قال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد إلا وله أربعة أعين عيان في رأسه يصير بها أمر دينه وعينان في قلبه يصير بها أمر دينه <sup>(١)</sup> » وإلى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا أن كل هذه اللذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الإحاطة بأصناف الوسواس وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه . والوسواس أصناف: الأول أن يكون من جهة التلبس بالحق فإن الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للإنسان ترك التمتع بالذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فند هذا إذا ذكر البعد عظيم حتى الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما فإذا ذكر البعد وعد الله تعالى ووعدوه وجدد إيمانه وبقينه خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على للعاصي ولا يمكنه أن يقول للصبر لا تخشى إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فيقطع وسواسه وكذلك يوسوس إليه بالحبب بهمه فيقول أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويبدعه كما تبده فما أعظم مكانك عند الله تعالى فيذكر البعد حيث أن معرفته وقلبه وأعضائه التي بها همه وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يجب به فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فإن للفرقة والإيمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المتبصرين بنور الإيمان والمعرفة . الصنف الثاني : أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيئاتها وهذا ينقسم إلى ما يعبر البعد بقينا أنه معصية وإلى ما يظنه بنالب الظن فإن علمه بقينا خنس الشيطان عن تهيج . يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهيج وإن كان منظونا فربما يبق مؤثرا بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبية . الصنف الثالث : أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال الغالبة والتفكير في غير الصلاة مثلا فإذا أقبل على الذكر تصور أن يدفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيصاحب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساقط جميعا حتى يكون التهم مشتتة على فهم معنى القراء وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب ويبعد جدا أن يدفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا إذ قال عليه السلام « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه شيء من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه <sup>(٢)</sup> » فلو أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمتستر فإننا قد رمى للتوابع القلب بدو تأذي به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجاهدة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك للستر في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويضوس في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كله غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه وإذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرس على مال وجه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرس على الجنة ولكن ذلك عزيز لنضع الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وإذا تأملت جملة هذه الأقسام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب من اللذاهب وجهها ولكن في محل مخصوص . وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بيد ولكن الخلاص منه عمر أطول لا يسجد جادو محال

(١) حديث مامن عبد إلا وله أربعة أعين عيان في رأسه يصير بها أمر دينه وعينان في قلبه يصير بها أمر دينه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بن خلف الآخرة مكان دينه وفيه الحسين بن أحمد بن محمد الهروي الساجي الحافظ كذبه ك والآفة منه (٢) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه شيء من الدنيا تقدم في الصلاة .

في القزو وقل طمام  
عياهم جموا ما كان  
عندهم في ثوب واحد  
اقتسموا في إناء واحد  
بالسوية فهم مني وأنا  
منهم . وحدث جابر  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « أنه إذا أراد  
أن يترؤ قال : يا مشر  
الهاجرين والأنصار  
إن من أخوانكم قوما  
ليس لهم مال ولا عدة  
فليضم أحدكم إليه  
الرجل والرجلين  
والثلاثة فما لأحدكم من  
ظهر جمعه إلا عتبة  
كفية أحدكم » قال  
فضممت إلى اثنين  
أو ثلاثة مالي لإعانة  
كفية أحدكم من جمه .  
وروي أنس قال لما قدم  
عبد الرحمن بن عوف  
للدنية أتى النبي عليه  
السلام بينه وبين سعد

في الوجود ولو تخلس أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتمسك الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دروي أنه نظر إلى علم نوبه في الصلاة فلما سلم روى بذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة وقال انهبوا به إلى أبي جهل واتوفى بأنبيائه<sup>(١)</sup> «وكان في جمعتهم من ذهب فنظر إليه وهو على الثوب ثم روى به وقال نظرة إليه ونظرة إليكم<sup>(٢)</sup>» وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحرك لذة النظر إلى خاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فذلك لبسه ثم روى به فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا وهذا إلا بالمرى وللغارقة لآدام علك شيتاروا حاجته لو دياروا أحدا لا يدعه الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره وأنه كيف يحفظه وفيذا ينفعه وكيف يغنيه حتى لا يعلم به أحد وكيف يظهر حتى يتباهى به إلى غير ذلك من الوساوس فمن أنشب محالته في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن أن الدباب لا يتبع عليه فهو حال فلانها باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل للمصطفى فان امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان أدى أمره بالتحرج والشدّة حتى يحرم ما ليس بحرام فان أدى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرج عن العلم فان أدى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا غافيا فتحيل قلوبهم إليه فيجب بنفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة .

( بيان سرعة قلب القلب واحكام القلوب في التضرع والتبائ )

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتصيب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فإذا أصابه شيء يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاعفه فتتغير صفته فان زل به الشيطان قدماه إلى الهوى زل به لللك وصرفه عنه وإن جذب به شيطان إلى شر جذب شيطان آخر إلى غيره وإن جذب به ملك إلى خير جذب آخر إلى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قطعه لاهل الإشارة بقوله تعالى - وقلب أقدتهم وأبصارهم - ولا طلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عيب صنع الله تعالى في محائب القلب وقلبه كان يحلف به فيقول «لا ومقلب القلوب<sup>(٣)</sup>» وكان كثيرا ما يقول «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء<sup>(٤)</sup>» وفي لفظ آخر «إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزفه أزاه» وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة قتال «مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة<sup>(٥)</sup>» وقال عليه السلام

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى علم في نوبه في الصلاة الحديث تقدم في (٢) حديث كان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه على الثوب فرماه فقال نظرة إليه ونظرة إليكم من حديث ابن عباس وتقدم في الصلاة (٣) حديث لا ومقلب القلوب من حديث ابن عمر (٤) حديث يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك الحديث من حديث أنس وحسنه وك من حديث جابر وقال ابن أبي الدنيا صحيح على شرطه وسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ون في الكبرى ك وصححه على شرطه من حديث الثوري بن صمان مامن قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاه ون في الكبرى باسناد جيد نحوه من حديث عائشة (٥) حديث مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة ك في المستدرک وقال صحيح على شرطه والبيهقي في الشعب من حديث أبي عبيدة بن الجراح . قلت رواء البغوي في معجمه من حديث أبي عبيد غير منسوب وقال لا أدري له صحة أم لا .

ابن الريح قال له أقامكم مالي نصفين ولوى امرأتان فأطلق أحدهما فاذا انقضت عدتها فزوجها فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك فمسا حل الصوفي على الاشارة للإطهارة نفسه وشرف غريزته وما جعله الله تعالى صوفيا إلا بسد أن سوى غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخاء والسخي يوشك أن يصير صوفيا لأن السخاء صفة الغريزة وفي مقابله الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - حكم بالقلاح لمن يوق الشح وحكم بالقلاح

«مثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمعت غلياتها»<sup>(١)</sup> وقال «مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة قلبها الرياح ظهرا لبطن»<sup>(٢)</sup> وهذه التناييات ومحالب صنع الله تعالى في خلقها من حيث لا يتدنى إليه المعرفة لا يبرفها إلا للراقبون والراعون لأحوالهم مع الله تعالى . والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة : قلب عمر بالفتوى وزكا بالرياسة وطهر عن خبايا الأخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن السبب ومداخل اللسكوت فينصرف العقل إلى التفكير فيما خطره ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار قوائمه فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فقه فيستحثه عليه ويدعوه إلى الصلابة وينظر للقلب إلى القلب فيجده طياقي جوهره طاهرا يتقوله مستقيرا ضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فراء صالحا لأن يكون له مستقرا ومهيئا فسد ذلك عمده مجنود لأزرى ويجديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى إمداده بالترغيب بالخير ويتيسر الأمر عليه وإليه الإشارة بقوله تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فستيسره اليسرى - وفي مثل هذا القلب يشرق نور الصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو أخفى من ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكاييد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بمدطاراته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سذكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والهيبة والرضا والشوق والتوكل والتفكير والمهابة وغير ذلك وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب للطمع للراد بقوله تعالى - ألا بدرك الله أن تعلمن أن القلوب سخيا - وبقوله عز وجل - يا أيها النفس الطمئة - . القلب الثاني : القلب المخدول للشحون بالهوى للدنس بالأخلاق للذمومة والحباث للفتوح فيه أبواب الشياطين للسدود عنه أبواب اللاتسكة ومبدأ الترفية أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهيج فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستغنى منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على انبساط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولى النفس وتساعد عليه فيترشح الصدر بالهوى وتنسبط فيه ظلماته لانجاس جند العقل عن مدافعتة فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالترزين والفرور والأمانى ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ويغيب نور اليقين بخوف الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب مغللا جوانبه حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالحل التي ملا الدخان أجفائها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى قلب إمكان التوقف والاستقمار ولو بصره واعظ وأسمه ماهو الحق فيه حمى عن القهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت الصلبة إلى عالم الشهادة من عالم القلب بقضاء من الله تعالى وقدره وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى - أرايت من اتخذ إلهه هواه أفانت تكون عليه مكيدا - . أم تحب أن أكثرهم يسمعون أو يمتثلون إنهم إلا كالأفنام لهم أم أضل سبيلا - وبقوله عز وجل - قد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون - وبقوله تعالى - سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ورب قلب هذا حاله بالاضافة إلى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الأهياء ولكنه إذا رأى

لمن أعق وبذل قال  
- وعارز قنم بنفقون  
أولئك على هدى من  
ربهم وأولئك هم  
الفلحون - والفلاح  
أجمع اسم لسعادة  
الدارين والتي عليه  
السلام به بقوله ثلاث  
مهلكات ، وثلاث  
منجيات لجعل إحدى  
المهلكات هعنا مطاعا  
ولم يقل مجرد الشح  
يكون مهلكا بل يكون  
مهلكا إذا كان مطاعا  
فأما كونه موجودا في  
النفس غير مطاع فانه  
لا يشكر ذلك لأنه من  
لوازم النفس مستمدا  
من أصل جبلتها التراب  
وفي التراب قبض  
وإسلاك وليس ذلك  
بالسبب من الأدنى  
وهو جبل فيهِ وإعما  
السبب وجود السخاء

(١) حديث مثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمعت غلياتها أحمد وك وقال صحيح على شرط من  
حديث القنادين الأسود (٢) حديث مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة الحديث الطبراني الكبير والبيهقي  
في الشعب من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن والبرز نخوع من حديث أنس بإسناد صحيح .

وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه أوكادى لا يملك نفسه فهاهيه الجاه والرياسة والكبر ولا يقي منه مسكة لتثبت عند ظهور أسبابه أوكادى لا يملك نفسه عند التنبه مهما استغفر وذكريه من عبوه أوكادى لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهاك عليه تهالك الواله للشتهر في نفسه في الروعة والتفوق فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى إلى القلب حتى يظلم وتنطق منه أنواره فينطق نور الحياة والروعة والإيمان ويسمى في تحصيل مراد الشيطان . القلب الثالث قلب يبدو فيه خواطر الهوى تدعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير فينبت النفس بسهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتتم فينبث العقل إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويحبس قلبها وينسحب إلى الجهل ويذهبها بالهزيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالمواقف فتبطل النفس إلى نصع العقل فيحمل الشيطان حمة على العقل فتقوى داعي الهوى ويقول ما هذا التصريح البارد ولم تنتع عن هواك فتؤذي نفسك وهل نرى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه آخره لهم ملاذ الدنيا يتمنون بها ويخرجون على قبح حق يقربهم من الله تعالى ويضعك عليك أهل الزمان أقر يد أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتيت ولم يتعمروا أماترى العالم القلاني ليس يمتزج من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لانتفع منه تحصيل النفس إلى الشيطان وتقلب إليه فيحمل لك حمة على الشيطان ويقول هل عليك إلا من اتبع لغة الحال ونسى العاقبة أقتنع بطة يسيرة وتترك لغة الجنة ونسيها أبدأ الآداب أم تستقل ألم الصبر عن شيوته ولا تستقل ألم النار أقتربقة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك مصيبة غيرك أرايت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فتند ذلك تمثّل النفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاوبا بين الحزبين إلى أن يظلب على القلب ماهو أولى به فإن كانت الصفات التي في القلب التائب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدوا لحزب الشيطان وأعدائه وجري على جوارحه بسابق القدر ماهو سبب بعده من الله تعالى وإن كان الأغلب على القلب الصفات للكية لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان وتحريضه إياه على الباطل وتهويله أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ماسبق من القضاء على جوارحه قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أى بين تخاذل هذين الجندين وهو التائب أسمى القلب والانتقال من حزب إلى حزب أما التائب على القوام مع حزب لللائكة أومع حزب الشيطان فاندر من الحائنين وهذه الطاعات وللعالمى تظهر من خزائن التائب إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن للكسوت وهي أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق لجنة يمرت له أسباب الطاعات ومن خلق لئلا يمرت له أسباب للعالمى وسلط عليه أقران السود وألقى في قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم يفر الحق بقوله إن الله رحيم فلا يزال وإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخافهم وإن المرر طويل فاصبر حتى تتوب غدا - يمدحهم ويمتدحهم الشيطان إلا فرورا - يمدح التوبة ويمتدح التوبة فيلهمك باذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجرى جراحا فيوسع قلبه لقبول التورود ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدره لمن رداه أن يهديه يشرح صدره للسلام ومن رداه أن يضيق صدره ضيقا حرجا كما يمدح في السماء . - إن يصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي يصركم من بعده - فهو الهادي

في التوردة وهو نفوس الصوفية الداعى لهم إلى البذل والاثار والسخاء أم وأكل من الجود في مقابلة الجود بالبخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود والبخل ينطرق إليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء إذا كان من ضرورة التوردة وكل سخي جواد وليس كل جواد سخيا والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالسخاء لأن السخاء من نتيجة الثرائ والله تعالى منزّه عن التوردة والجود ينطرق إليه القراء ويأتى به الانسان متطلعا إلى عوض من الخلق أو الحق بمقابل ما من

وللضل يفعل مايشاء ويحكم مايريد لاراد لحكمه ولا مقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلا يستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا يستعملهم بالمعصية وعرف الخالق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال - إن الأبهر لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم - ثم قال تعالى فيا روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم « هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي » فقال الله الملك الحق لا يستل عما يفعل وهم يستلون ولتتصر على هذا القدر اليسير من ذكر محائب القلب فإن استقصاءه لا يليق بعم العمالة وإعزاز ذكرنا منه ما يحتاج إليه لوفرة أغوار علوم العمالة وأسرارها لينتفع بها من لا يتبع بالظواهر ولا يجترى بالتشرع عن اللباب بل يشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيما ذكرناه كفاية ومقتنع بإنشاء الله تعالى والله ولي التوفيق . ثم كتاب محائب القلب والله الحمد ولله ، ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى .

### ﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

( وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ، وهو الكتاب الثاني من ربيع الهلكلات )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والتقصان في شكله ومقاديره وقوض تخمين الأخلاق إلى اجتهد البعد وتشهيره واستعنه على تهذيبها وتخفيفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره . والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره وتذيره الذي كان يوح أنوار النبوة من بين أساريره ويستشرف حقيقة الحق من غايته وتباشيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم تدرتسوا قلبه ولا بكثيره .

أما بعد : فالخلق الحسن صفة المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وعمرة مجاهدة النفس ورياضة التعبدية والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والهلكلات الدامغة والمخازي الفاضحة والذائل الواضحة والحجائب البعدة عن جوار رب العالمين للنخلة بصاحبها في سلك الشياطين وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى للوقدة التي تطلعه على الأفئدة كأن الأخلاق الجلية هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الجبينة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد . وأين منه للرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد . ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوات الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوات حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تملحه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقامها أو أهملت تراكت وترادفت الطلل ونظاهرت فيحتاج البعد إلى تأتق في معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تشهير في علاجها وإصلاحها لئلا يجنحها هو الراد بقوله تعالى - قد أنفع من زكاه - وإجمالها هو للراد بقوله - وقد خاب من دسأه ونحن نشير في هذا الكتاب إلى جل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل

(١) حديث قال الله عز وجل: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي. أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي وقال ابن عبد البر في الاستيعاب إنه مضطرب الاسناد .

﴿ مکتبہ ریاضۃ النفس ﴾

الثناء وغيره من الخلق والتواب من الله تعالى والسخط لا ينطرق إليه الرياء لأنه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الأعواض دنيا وآخره لأن طلب العوض مشعر بالخل لكونه معلولا بطلب العوض لها تحض سخاء والسخط لأهل الصفاء والائثار لأهل الأنوار ويجوز أن يكون قوله تعالى - إنما نطمع لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - أنه نفي في الآية الإطعام لطلب الأعواض حيث قال لا نريد بمسد قوله لوجه الله فما كان له لا يشمر بطلب العوض بل الفسرية لطهارتها تتجنب إلى مراد الحق

لعلاج خصوص الأمراض فإن ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الريب وغرضنا الآن النظر السلي في تهذيب الأخلاق وتعميد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجمل علاج البدن مثالا له ليقرب من الأفهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم يبان حقيقة حسن الخلق ثم يبان قبول الأخلاق لتغيير بالرياضة ثم يبان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم يبان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة النفوس ثم يبان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم يبان الطرق التي بها يعرف الإنسان عيوب نفسه ثم يبان شواهد النقل على أن طريق المصلحة القلوب بترك الشهوات لا غير ثم يبان علامات حسن الخلق ثم يبان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشوء ثم يبان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

### ( يان فضيلة حسن الخلق ومصلحة سوءه الخلق )

قال الله تعالى لبيبه وحبيبه مثنيا عليه ومظنرا نعمته لديه - وإنك لمل خلق عظيم - وقالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن » (١) وسأله رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فلقوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - ثم قال صلى الله عليه وسلم : هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتمفو عن ظلك » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم : « إنما يثبت لأتكم مكارم الأخلاق » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل ما يوضع في اللبزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق » (٤) وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال « يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأثام من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أثام من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أثام من وراءه فقال يا رسول الله ما الدين قالت إليه وقال أما غفقه هو أن لا تنضب » (٥) وقيل « يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق » (٦) وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال « اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيرة الحسنة تمحيا قال زدني قال خالق الناس خلق حسن » (٧) وسئل عليه السلام « أي الأعمال أفضل قال خلق حسن » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حسن الله خلق عبده وخلقه فيطعمه النار » (٨) وقد التفتيل [١] قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيرة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار » وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول ما يوضع في اللبزان حسن الخلق والسعادة ولا خلق الله إلا بسان

للمرض وذلك أكل  
السقاء من أطهر  
التراب. روت أسماء بنت  
أبي بكر قالت : قلت  
يا رسول الله ليس لي من  
شيء إلا ما أدخل على  
الزبير فأعطى، قال نعم  
لا توكي فيوكي عليك .  
ومن أخلاق الصوفية  
التجاوز والعفو ومقابلة  
السيرة بالحسنة . قال  
سفيان الاحسان أن  
تحسن إلى من أساء  
إليك فإن الاحسان  
إلى الحسن متاجرة  
تكتفد السوق خذ  
شيثا وهات شيئا وقال  
الحسن الاحسان أن  
تم ولا تخش كالشمس  
والريح واليث .  
وروى أنس قال  
قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم  
« رأيت قصورا مشرفة

(١) حديث عائشة كان خلقه القرآن تقدم وهو عند (٢) حديث تأويل قوله تعالى - خذ العفو - الآية هو أن تصل من قطعك الحديث ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبد الله وأنس بن سعيد حسان (٣) حديث بشت لأتكم مكارم الأخلاق أحمد وكه والبيهقي من حديث أبي هريرة وتقدم في آداب الصلوة (٤) حديث أفضل ما يوضع في اللبزان خلق حسن دت وصححه من حديث أبي الدرداء (٥) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال ما الدين قال حسن الخلق الحديث محمد بن نصر للروزي في كتاب تنظيم قدر الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشيخ مرسل (٦) حديث ما الشؤم قال سوء الخلق أحمد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ولأبي داود من حديث رافع بن مكيت سوء الخلق هؤم وكلاما لا يصح (٧) حديث قال رجل أوصني قال اتق الله حينما كنت الحديث ت من حديث أبي ذر وقال حسن صحيح (٨) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخلقه قطعته النار تضم في آداب الصلوة .

[١] قوله وقال الفضيل الخ لم يخرجها العراقي ولم يضعه عليه وقد تقدم في باب الصلوة فليتاب .



قَالَ اللَّهُ قَوْلِي قَوَّاهُ بِحَسَنِ الْخَلْقِ وَالسَّخَاءِ وَلِمَا خَلَقَ اللَّهُ الْكَفَرُ قَالَ اللَّهُ قَوْلِي قَوَّاهُ بِالْخُلُقِ وَسُوءِ الْخَلْقِ (١) «وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ اسْتَخْلَصَ هَذَا الدِّينَ لِنَفْسِهِ وَلَا يَصْلَحُ لَدِينِكُمْ إِلَّا السَّخَاءُ وَحَسَنُ الْخَلْقِ الْآفَرِيْنِيَا دِينِكُمْ هُمَا (٢) «وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حَسَنُ الْخَلْقِ خَلَقَ اللَّهُ الْأَعْظَمُ (٣) «وَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ إِيْمَانًا قَالَ أَحْسَنُهُمْ خَلْقًا (٤) «وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَسْمَعُوا النَّاسَ بِأَمْرِ الْكَمِّ فَسَعَوْمٍ يَسِطُ الْوَجْهَ وَحَسَنُ الْخَلْقِ (٥) «وَقَالَ أَيْضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُوءُ الْخَلْقِ يَفْسُدُ الْعَمَلُ كَمَا يَفْسُدُ الْحُلُ الْفَسَلُ (٦) «وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ إِمْرُؤٌ قَدْ حَسَنَ اللَّهُ خَلْقَكَ فَحَسَنَ خَلْقَكَ (٧) «وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا (٨) «وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَاللَّهُ أَحْسَنُ خَلْقِي فَحَسَنَ خَلْقِي (٩) «وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْثُرُ الْمَغْضَاءُ فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ وَحَسَنَ الْخَلْقِ (١٠) «وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَرَّمَ الْمُؤْمِنَ دِينَهُ وَحَسَنَهُ حَسَنَ خَلْقِهِ وَمَرْوَدُهُ عَقْلُهُ (١١) «وَعَنْ أَسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ: «شَهِدْتُ الْأَعْرَابَ يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُونَ مَا خَيْرٌ مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ قَالَ: «خَلَقَ حَسَنَ (١٢) «

(١) حَدِيثُ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَوَّلُ مَا يَوْضَعُ فِي الْبِرِّزَانِ حَسَنُ الْخَلْقِ الْحَدِيثُ لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى أَصْلٍ هَكَذَا وَلَأَنِّي دَاوُدُ وَتَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْبِرِّزَانِ أَثْقَلَ مِنْ حَسَنِ الْخَلْقِ وَقَالَ غَرِيبٌ وَقَالَ فِي بَعْضِ طَرَفِهِ حَسَنٌ صَحِيحٌ (٢) حَدِيثٌ إِنَّ اللَّهَ اسْتَخْلَصَ هَذَا الدِّينَ لِنَفْسِهِ الْحَدِيثُ الدَّارِقُطِيُّ فِي كِتَابِ السُّتُجَادِ وَالْخَرِاطِيُّ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ بِإِسْنَادٍ فِيهِ لَيْنٌ (٣) حَدِيثُ حَسَنِ الْخَلْقِ خَلَقَ اللَّهُ الْأَعْظَمَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ عُمَارِ بْنِ يَاسِرٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ (٤) حَدِيثٌ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ؟ إِيْمَانًا قَالَ أَحْسَنُهُمْ خَلْقًا دُونَ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَتَقَدَّمَ فِي النِّكَاحِ بَلْفَظٍ أَكْثَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَسَامَةَ أَفْضَلُكُمْ إِيْمَانًا أَحْسَنُكُمْ خَلْقًا (٥) حَدِيثٌ إِنَّكُمْ لَنْ تَسْمَعُوا النَّاسَ بِأَمْرِ الْكَمِّ فَسَعَوْمٍ يَسِطُ الْوَجْهَ وَحَسَنُ الْخَلْقِ الْبَرَاءُ وَأَبُو يَسْلَى وَالطَّبْرَانِيُّ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَبَعْضُ طَرَفِ الْبَرَاءِ رَجَالُهُ ثَقَاتٌ (٦) حَدِيثُ سُوءِ الْخَلْقِ يَفْسُدُ الْعَمَلُ كَمَا يَفْسُدُ الْحُلُ الْفَسَلُ ابْنُ جَبَانَ فِي الضُّعْفَاءِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا وَضَعْفُ ابْنِ جَرِيرٍ (٧) حَدِيثٌ إِنَّكَ إِمْرُؤٌ قَدْ حَسَنَ اللَّهُ خَلْقَكَ فَحَسَنَ خَلْقَكَ الْخَرِاطِيُّ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَأَبُو الْعِيَّاسِ الدَّغُولِيُّ فِي كِتَابِ الْأَدَابِ وَفِيهِ ضَعْفٌ (٨) حَدِيثُ الْبَرَاءِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا الْخَرِاطِيُّ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ (٩) حَدِيثُ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خَلْقِي فَحَسَنَ خَلْقِي الْخَرِاطِيُّ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ هَكَذَا مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهَدَيْلِ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ وَإِيْمَانًا هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَيْ عَبْدِ اللَّهِ هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَبَانَ فِي مَجْمَعِهِ وَرَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ (١٠) حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ وَحَسَنَ الْخَلْقِ الْخَرِاطِيُّ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ بِإِسْنَادٍ فِيهِ لَيْنٌ (١١) حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَكَّمَ لِلَّهِ دِينَهُ وَمَرْوَدُهُ عَقْلُهُ وَحَسَنَ حَلْقَهُ حَبْوَكَ وَصَحَّحَهُ عَلَى شَرْطِ الْمِيقِ وَالْبَيْهَقِيُّ - قُلْتُ فِيهِ مُسْلِمٌ بْنُ خَالِدٍ الْفَرَنْجِيُّ وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ وَرَوَى مِنْ وَجْهَيْنِ آخَرَيْنِ ضَعِيفَيْنِ ثُمَّ رَوَاهُ مُوْتَوَفَا عَلَى عَمْرٍو وَقَالَ إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ (١٢) حَدِيثُ أَسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ شَهِدْتُ الْأَعْرَابَ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا خَيْرٌ مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ قَالَ خَلَقَ حَسَنًا وَتَقَدَّمَ فِي آدَابِ الصَّحْبَةِ .

على الجنة قلت  
باجبريل لمن هذه  
قال للكاظمين الفيض  
والعافين عن الناس  
روى أبو هريرة رضى  
الله عنه « أن أبا بكر  
رضى الله عنه كان  
مع النبي صلى الله  
عليه وسلم في مجلس  
لجاء رجل فوقع في  
أبي بكر وهو ساكن  
والنبي عليه السلام  
يتبسم ثم رد أبو بكر  
عليه بعض الذي قال  
فغضب النبي وقام  
فلمعه أبو بكر فقال  
يا رسول الله شتمني  
وأنت تتبسم ثم رددت  
عليه بعض ما قال  
فغضبت وقت فقال  
إنك حيث كنت  
ساكنًا كان معك  
ملك رد علي ظنا  
تكلمت وقع الشيطان

وقال صلى الله عليه وسلم «إن أحبكم إلىّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً» (١) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تمتدوا شيء من عمله: تقوى عجزه عن معاصي الله أو حلم يكف به السفه أو خلق يعيش به بين الناس» (٢) وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت» (٣) وقال أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً إذ قال «إن حسن الخلق لذيب الخطيئة كما تدبب الشمس الجليد» (٤) وقال عليه السلام «من سعادة الله حسن الخلق» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «الجنة حسن الخلق» (٦) وقال عليه السلام لأنذر «يا أيها الذر لا تعقل كالندير ولا حسب كحسن الخلق» (٧) وعن أنس قال «قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أ رأيت للراة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويوتون ويدخلون الجنة لأبهما هي تكون، قال لأحسنهما خلقاً كان عندها في الدنيا يأثم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «إن للسلم للسد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته» (٩) وفي رواية «درجة الطاهر في المواجر» وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم قال «إني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى» (١٠) وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف للازل وإنه لتعفيف في العبادة» (١١) وروى «أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه غالباً أصواتهن على صوته

فلم أكن لأقصد في مقعد فيه الشيطان يا أيها بكر ثلاث كلهن حق ليس عبد يظلم بمظلة فيعفو عنها إلا أعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مشكلة يريد بها كثرة إلا زاده الله قلق وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله بها كثرة». أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا الكرخي قال أنا التبرقي قال أنا الجراحي قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا أبو هشام الرقاعي قال ثنا محمد بن فضيل عن الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل عن

(١) حديث إن أحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً طس طس من حديث أبي هريرة إن أحسبكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً ولطبراني في معارج الأئمة من حديث جابر إن أقربكم مني مجلساً أحسنكم أخلاقاً وقد خدم الحديثان في آداب الصعبة (٢) حديث ابن عباس ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يمتد شيء من عمله الحديث الخرايطي في معارج الأئمة باسناد ضعيف ورواه الطبراني في الكبير وفي معارج الأئمة من حديث أم سلمة (٣) حديث اللهم اهدني لأحسن الأخلاق الحديث م من حديث علي (٤) حديث أنس إن حسن الخلق لذيب الخطيئة كما يدبب الشمس الجليد الخرايطي في معارج الأئمة باسناد ضعيف ورواه طس والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث أبي هريرة وضعفه أيضاً (٥) حديث من سعادة الله حسن الخلق الخرايطي في معارج الأئمة والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف (٦) حديث الحسن بن الحسن الخرايطي في معارج الأئمة من حديث علي باسناد ضعيف (٧) حديث أنس يا أيها الذر لا تعقل كالندير ولا حسب كحسن الخلق ه ح من حديث أبي ذر (٨) حديث أنس قالت أم حبيبة يا رسول الله أ رأيت للراة يكون لها زوجان البزاد والطبراني في الكبير والخرايطي في معارج الأئمة باسناد ضعيف (٩) حديث إن للسلم للسد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه الحديث أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الأولى ومن حديث أبي هريرة بالرواية الثانية وفيها ابن أبي شيبة (١٠) حديث عبد الرحمن بن سمرة إني رأيت البارحة عجبا الحديث الخرايطي في معارج الأئمة باسناد ضعيف (١١) حديث إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة الحديث طس والخرايطي في معارج الأئمة وأبو الشيخ في كتاب طبقات الأصفيانيين من حديث أنس باسناد جيد

فلما استأذن عمر رضي الله عنه بتأدين الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصحك فقال عمر رضي الله عنه ثم تضحك بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال عبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك بتأدين الحجاب فقال عمر أنت كنت أحق أن يهينك يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال يا عداوت أغسهن أسهني ولا تهين رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم أنت أغلظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم إيهما يا ابن الخطاب والتي نفسي بيدي مالتيك الشيطان قط ما لك يا ابن الخطاب فجا غيرك<sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «سوء الخلق ذنب لا ينفرد به سوء الظن خطيئة فوج<sup>(٢)</sup>» وقال عليه السلام «إن البديل يغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم<sup>(٣)</sup>» الآثار : قال ابن لقمان الحكيم لأبيه يا أبت أي الحاصل من الإنسان خير قال الدين قال فإذا كانت اثنتين قال الدين وللحال قال فإذا كانت ثلاثا قال الدين وللحال والحياء قال فإذا كانت أربعاً قال الدين وللحال والحياء وحسن الخلق وحسن الحياء وحسن الخلق والسخاء قال فإذا كانت ستا قال يابن إذا اجتمعت فيه الخس خصال فهو هي نفى لله ولي ومن الشيطان يرى وقال الحسن : من صام خلقه عذب نفسه ، وقال أنس بن مالك : إن البديل يغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد ، وقال يحيى بن معاذ في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ، وقال وهب بن منبه : مثل السيء الخلق كمثل القنطرة للكسرة لا ترفع ولا تناد طينا ، وقال الفضيل : لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبنى عابد سيء الخلق . وحبب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويديره فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيت رحمة لا فارقة وخلقته معه لم يفارقه . وقال الجدي : أربع ترفع البديل إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه : الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان ، وقال السكاني التصوف خلق فن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالأخلاق وزيالهم بالأعمال ، وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات ، ومثل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه العزيز - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - قيل فما الحب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا ، وقال لكل ببيان أساس وأساس الاسلام حسن الخلق ، وقال عطاء : ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم يذل أحد كماله إلا بالصطفى صلى الله عليه وسلم فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق .

( بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق )

اعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ماهو وما تعرضوا لحقيقته وإنما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصفروا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التخصيص والاستيعاب وذلك كقول

(١) حديث إن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكنهن ويستكثرهن الحديث متفق عليه (٢) حديث سوء الخلق ذنب لا ينفرد به طمس من حديث عائشة مامن شيء إلا له توبة إلا صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا عاد في شر منه وإسناده ضعيف (٣) حديث إن البديل يغ من سوء خلقه أسفل من درك جهنم الطبراني والحرابي في مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في طبقات الأصفيين من حديث أنس بإسناد جيد وهو بعض الحديث الذي قبله بمحدثين .

حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تكونوا إمة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظفوا ظفنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا» وقال بعض الصحابة «يا رسول الله الرجل أمر به فلا يقرب ولا يضيئ فيعرب أفأجزبه قال لا اقربه» وقال الفضيل التوبة الصفع عن هفوات الاخوان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس الواصل للسكينة ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمو وصلها» وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مكارم الأخلاق

الحسن : حسن الخلق بسط الوجه وبذل الدى وكف الأذى . وقال الواسطى هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى ، وقال شاه الكرمانى : هو كف الأذى واحتمال المؤمن . وقال بعضهم هو أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطى مرة هو إرضاء الخلق في السراء والضراء وقال أبو عبيان هو الرضا عن الله تعالى ، وسئل سهل التسترى عن حسن الخلق فقال أذناه الاحتمال وترك للكفاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقال مرة أن لا يهتم الخلق في الرزق ويشق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فبطيه ولا يهضمه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس . وقال طي رضى الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال ، وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق ، وقال أبو سعيد الخراز هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض للغرات حسن الخلق لئلا يفسد ثم ليس هو محيطا بجميع الغرات أيضا وكشف النطاء عن الحقيقة أولى من قتل الأقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارة عن مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة القاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة ، وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالصر ومن روح ونفس مدرك بالبصرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما فيبيحة وإما جميلة فالنفس المدركة بالبصرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالصر ولذلك عظم الله أمره بضافته إليه إذا قال تعالى - إني خالق بشرًا من طين فادأ سويته ونفث فيه من روحي فنفثوا له ساجدين - فيه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين ، ولراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة الممودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي للصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الدور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت راسخ وإما اشتراطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم ، فهنا أربعة أمور : أحدها فعل الجبل والقيح . والثاني القدرة عليهما . والثالث للفرقة بهما . والرابع هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبدل إما لقدك المال أو لما منع وربما يكون خلقه الجدل وهو يبدل إما لباعث أولياء وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الامساك والاعطاء بل إلى الصديقين واحد وكل إنسان خلق بالقطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق الجدل والخلق السخاء وليس هو عبارة عن اللرفة فان اللرفة تتعلق بالجبل والقيح جريا على وجه واحد بل هو عبارة عن المي الرابع وهو الهيئة التي بها تستمد النفس لأن يصدر منها الامساك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهر مطلقا لا يتم بحسن المنيق دون الأنف والقدم والمعد بل لابد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتسانت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة غضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث . أما قوة العلم فحسنها ومصلحتها في أن تصير بحيث يسهل بها ذلك الفرق بين الصديق والكاذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجبل والقيح في الأفعال فاذا

أن نفو من ظلمك  
وتصل من قطعك  
وتعطى من حرمك  
ومن أخلاق الصوفية  
البشر وطلاقة الوجه  
الصوفي بكائه في خلوته  
ويشده وطلاقة وجهه  
مع الناس فالشهر على  
وجهه من آثار أنوار  
قلبه وقد تنازل باطن  
الصوفي منازل إلهية  
ومواهب قدسية  
يرتوى منها القلب  
ويتلوى فرحا وسرورا  
فيلبذل الله وبرحمته  
فيلبذل الله وبرحمته  
والسرور إذا تمكن من  
القلب فاض على الوجه  
آثاره قال الله تعالى  
وجوه يومئذ مسفرة  
أي مضيئة مشرقة  
بمستبشرة ساء فرحة  
قبل أشرفت من طول  
ما أخبرت في سبيل

صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهى التى قال الله فيها - ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا - وأما قوة الضبط فحسنها فى أن يصير انضباطها وانسباطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها فى أن تكون تحت إشارة الحكمة أعنى إشارة العقل والشرع . وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والضمب تحت إشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح الشير وقوة العدل هى القدرة ومثاله مثال للعدل للمضى لإشارة العقل والضمب هو الذى تنفذ فيه الإشارة ومثاله الملك الصيد فانه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله ووقته بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثاله مثال الفرس الذى يركب فى طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جوحا فمن استوت فيه هذه الحاصل واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالتى بحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الضمنية واعتدالها بغير عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها بغير عنه بالغة فان مالت قوة الضبط عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهورا وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شهرا وإن مالت إلى النقصان تسمى جودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد مقابل وهو الجور . وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال فى الأغراض الفاسدة خيلا وجبرة ويسمى تفریطها بلها الوسط هو الذى يختص باسم الحكمة فاذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة : الحكمة والشجاعة والعفو والعدل ونفى بالحكمة حالة النفس بها يدرك الصواب من الخطأ فى جميع الأحوال الاختيارية ونفى بالعدل حالة للنفس وقوة بها تمسك الضبط والشهوة وتصلحها على مقتضى الحكمة وتضبطها فى الاسترسال والانتباه على حسب مقتضاها ، ونفى بالشجاعة كون قوة الضبط متقادة للعقل فى إقدامها وإحجامها ونفى بالغة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصد الأخلاق الجميلة كلها إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير ووجوده الدهن وثقابة الرأى وإصابة الظن والتعقل لدقائق الأعمال وخفايا غايات النفوس ومن إفراطها صدر الجبرة والسكر والخداع والذهاب ومن تفریطها يصدر البله والقمارة والحقى والجنون ، وأعنى بالتمارة قلة التجربة فى الأمور مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا فى شيء دون شيء والفرق بين الحقى والجنون أن الأحق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة فى سلوك الطريق الوصول إلى الغرض . وأما الجنون فانه يختار مالا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإثاره فاسدا . وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والتجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الثيق والوقار والتودد ومثاله وهى أخلاق محمودة وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبغى والاستشاطة والتكبر والعجب . وأما تفریطها فيصدر منه اللهانة والذلة والجزع والخساسة وضرب النفس والانتباه عن تناول الحق الواجب . وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والساعة والتنازع والورع والطاعة والساعدة والظرف وتلة الطمع ، وأما ميلها إلى الإفراط أو التفریط فيحصل منه الحرس والشرم والوقاحة والعيب والتبذير والتقصير والرياء والمتسكة والمجانة والبث والملقى والحسد والفتنة والتدليل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فأهميات حاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة وهى الحكمة والشجاعة والعفو والعدل والباقي فروعه ولم يبلغ كمال الاعتدال فى هذه الأربع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بسد متفاوتون فى القرب والبعد منه فكل من قرب منه فى هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربته من

الله ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج وللشكاة فالوجه مشكاة القلب زجاج والروح مصباح فاذا تنم القلب باليد للسامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى - تعرف فى وجوههم نضرة النسيم - أى نضارته وبريقه يقال أنضرت النبات إذا أزهر ونور - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - فلما نظرت نضرت فأزابت للشاهدة من الصوفية تورث بصائرهم بنور الشاهدة وانصرفت مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور الجلال الأزلى وإذا شرقت الشمس على للراة الصلوة استنارت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كله إليه ويقتدون به في جميع الأعمال ، ومن انشك عن هذه الأخلاق كلها والصف بأعدائها استحق أن يخرج من بين البلاد والبياد فانه قد قرب من الشيطان العين البعد فينبغي أن يمد كما أن الأول قريب من الملك القرب فينبغي أن يقتدى به ويقترب إليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت إلا ليتمم مكارم الأخلاق كما قال (١) وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فلايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحده الاعتدال قد وصف الله تعالى الصحابة فقال - أشداء على الكفار رحماء بينهم - إشارة إلى أن لقد قمعوا ضاراً وحرموا ضاراً فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه ونعمته وفروعه.

(بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة)

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استعمل المجاهدة والرياضة والاعتناء بركة النفس وتهذيب الأخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك قصوره وقصه وبخث دخلته فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين : أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كأن الخلق هو صورة الظاهر فالخلة الظاهرة لا يغير على تغييرها فالقصر لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيراً ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك التسبيح الباطن يغير هذا الجبري والثاني أنهم قالوا حسن الخلق يجمع الشهوة والغضب ، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى الزجاج والطبع فانه لا ينقطع عن الآدمي فاشغاله به قضيع زمان يغير فائده فان الطلوب هو قطع الفتنات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك حال وجوده . فنقول لو كانت الأخلاق لا تتغير لتبطل الوصايا واللواظ والتأدييات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) وحسنوا أخلاقكم (٣) وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغير خلق البهيمة يمكن إذ ينقل البازي من الاستبحاش إلى الأنس والكلب من شره إلى الكلى إلى التأدب والامساك والتخيلة والفرس من الجراح إلى السلاسة والافئاد وكل ذلك تغير للأخلاق . والقول السكاشف لغطاء عن ذلك أن نقول للوجودات منقسمة إلى ما لا يدخل الآدمي واختاره في أصله وتفصيله كالجماد والسكراب بل أعضاء البدن داخل خارجاً وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكما وإلى ما وجد وجوداً تاماً وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد بأن النواة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقاً يمكن أن تصبح تفاحة إذا انضاف التربة إليها ولا تصبح تفاحاً أصلاً ولا تربة فإذا سارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكيفية حتى لا يلقى لهما أثر لم تقدر عليهما أصلاً ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليهما وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاة ووصولنا إلى الله تعالى . نعم الجليات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان : أحدهما قوة الفريضة في أصل الميله وامتداده مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الإنسان ولكن أصعبها أمراً وأعصاها

(١) حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق تقدم في آداب الصفة (٢) حديث حسنوا أخلاقكم أي بوبرك ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ يامعاذ حسن خلقك للناس منقطع ورجاله ثقات .

المجردان قال الله تعالى  
- سيام في وجوههم  
من آراء السجود إذا  
تأثر الوجه بسجود  
الطلال وهي القواب  
في قول الله تعالى  
- وظلالهم بالقصد  
والأصالة كيف لا يتأثر  
بشهود الجمال . أخبرنا  
ضياء الدين عبد الوهاب  
ابن علي قال أنا  
الكرخي قال أنا  
الترابي قال أنا الجرامي  
قال أنا المحبون قال أنا  
أبو عيسى الترمذي قال  
تأنيبية قال ثنا  
للكندر بن محمد بن  
للكندر عن أبيه عن  
جابر بن عبد الله قال  
قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم كل معروف  
صديقان من المعروف  
أن تلقى أخاك بوجه  
طلق وإن خرج من

على التبشير قوة الشهوة فأنها أقدم وجوداً إذ الصبي في مبدأ الفطرة خلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما خلق له الغضب وبعد ذلك خلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قد بدأ كد بكثره العمل بقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسناً ومرضياً والناس فيه على أربع مراتب : الأولى وهو الإنسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجليل والذليل والتبجح بل يبقى كقطر عليه خالياً عن جميع الاعتقادات ولم تستقم شهوته أيضاً باتباع اللذات فهذا سريع القبول للملاجج جداً فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد وإلى باحث من نفسه يجعله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان . والثانية أن يكون قد عرف قبح التبجح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل يزين له سوء عمله فتعاطاه اعتياداً لشهوته وإعراضاً عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم قصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قد تعاضفت الوظيفة عليه إذ فعله قلع مرسخ في نفسه أو لامن كثرة الاعتقاد للفساد والآخرة يفسر في نفسه صفة الاعتقاد للصالح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن اتضعت لها بجد وتشمير وحزم . والثالثة أن يتقن في الأخلاق الفيضية أنها الواجبة المستحسنة وأنها حق وجبيل وتربى عليها فهذا يكاد يمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على التدور وذلك لتضاعف أسباب الضلال . والرابعة أن يكون مع نشئه على الرأى القامد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويأبى به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب للتراتب ومثله قبل ومن العناء رياضة المهرم ومن التعذيب تهذيب الديدب والأول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشريد . وأما الخيال الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم إن الأدنى مادام حياً فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحسب الدنيا وسائر هذه الأخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن القصد من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكليّة ومحوها وهيئات فإن الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجلية فلا تهاطمت شهوة الطعام لمهلك الإنسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكليّة لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه ولمهلك ومهما بقى أصل الشهوة فيبقى لاهعالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يجعله ذلك على إمساك المال وليس المطلوب إبطاء ذلك بالكليّة بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يغلو عن التهور وعن الجبن جميعاً وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته متقاداً للقتل ولذلك قال الله تعالى - أعداء على الكفار رحماً بينهم - وصفهم بالشدّة وإحما تصدّر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكليّة والأنبيا عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك إذ قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر » (١) . « وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه بغضب حتى تحمر وبنتاه ولكن لا يقول إلا حقاً فكان عليه السلام لا يخرج غضبه عن الحق » (٢) . وقال تعالى - والكافرين النيط والمافين عن الناس - ولم يقل والكافرين النيط فرد الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال بحيث لا يقر واحد منهما العقل ولا ينقلب بل يكون العقل هو الضابط لها والثالب عليهما

(١) حديث إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر من حديث أنس وله من حديث أبي هريرة إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر (٢) حديث أنه كان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقاً فكان الغضب لا يخرج عن الحق الشخان من حديث عبد الله بن الزبير في قصة شراج الحرة فقال لأن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهما من حديث أن سعيد الجندري وكان إذا ذكره شيئا عرفناه في وجهه لها من حديث عائشة وما اتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه إلا أن تتهك حرمة الله وللمسلم ما ينال منه شيء قط فينتقم من صاحبه الحديث .

دورك في إناء أخبك»  
وقال سعد بن  
عبد الرحمن الزبيدي  
يسمى من القراء كل  
سهل طلق مضحك .  
فأما من تلقاه بالبشر  
ويطلق بالبوس كأنه  
يعن عليك فلا أكثر  
الله من القراء مثله ومن  
أخلاق الصوفية السهولة  
ولين الجانب والتزول  
مع الناس إلى أخلاقهم  
وطباعهم وترك  
التعسف والتكلف  
وقد روى في ذلك عن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أخبار  
وأخلاق الصوفية  
نحاكي أخلاق رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
وكان يقول عليه الصلاة  
والسلام «أما إذا أُمِرَ  
ولا أقول إلا حقاً» روى  
وأن رجلاً قال له زاهر

يمكن وهو المراد بتبشير الخلق فانه ربما تستولى الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دنها على الانبساط إلى الفواحش وبالرياضة تعود إلى حد الاعتدال فدل أن ذلك ممكن والتجربة وللشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على أن اللطوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد تأتي الله تعالى عليه قتال - والذين إذا اتفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - وقال تعالى - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وكذلك اللطوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشراهة والجود قال الله تعالى - مكرها وأشرى وألصقوا إني لا أحب للسريرين - وقال في الغضب - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقال **عليه السلام** «خير الأمور أوسطها» (١) وهذا ليس وتحقيق وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى - إلامن آتى الله قلب سليم - والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سلبا منها أي لا يكون ملتفتا إلى المال ولا يكون حريصا على إبقائه ولا على إسساكه فان الحرص على الاتقاق مصروف القلب إلى الاتقاق كأن الحرص على الإمساك مصروف القلب إلى الإمساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعا وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ماهو الأثيبه لصد الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لاحار ولا يرد بهلوسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والمفة بين الشراهة والجود وكذلك سائر الأخلاق فكلما طرفي الأمور ذميم هذا هو اللطوب وهو ممكن ، ثم يجب على الشيخ للرد للريد أن يتبع عنده الغضب رأسا ويمن إمساك المال رأسا ولا يرضى له في شيء منه لأنه لو رضى له في أدنى شيء أخذ ذلك علرا في استبقاء غله وغضبه وظن أن القدر للرضى فيه فاذا قصد قطع الأصل وبالف فيه ولم يتيسر له إلا كسر سوره بحيث يعود إلى الاعتدال فالصواب أن يقصد قطع الأصل حتى يتيسر له القدر للتصود فلا يكشف هذا السر للريد فانه موضع غرور الحق إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وأن إسساكه بحق .

( بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة )

قد عرف أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكال الحكمة وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها لقول مطبوعه والشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين : أحدهما بجود إلى وكال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كاملا العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقنا معتدلين متعادلين للعقل والشرع فيصير عالما بشير تعليم ومؤدبا بشير تأديب كميبي بن صريم ويحيي بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والقطرة ما قد ينال بالاكتساب فربما يخلق صادق الهجة صغيا جريا وربما يخلق بخلافه فيصل ذلك فيه بالاعتدال ومخالطة المتخلفين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وأغنى به حمل النفس على الأعمال التي تقتضيها الخلق اللطوب بان أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطرقة أن يتكفّل تعامله قبل الجواد وهو بذلك المال فلا يزال يطالب نفسه ويولط عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطرقة أن يواظب على أفعال التواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكفّل إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعيا فيتيسر عليه جميع الأخلاق الحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير العقل الصادر منه ليدنا فالخس هو الذي يستلذ بذل المال الذي يذله دون الذي يذله عن كراهة وللتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ

(١) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في شعب الإيمان من رواية معمر بن عبد الله موطأ .

إن حرام وكان بدويا وكان لا يأتى إلى رسول الله إلا جاء بطرقة يهديا إلى رسول الله فجاء يوما من الأيام فوجده رسول الله في سوق للدينه يبيع سلعة له ولم يكن آتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه السلام من وراءه بكفيه فالتفت فأبصر النبي عليه السلام قبل كفيه فقال النبي عليه السلام من يشتري الصية فقال إذن تجدني كاسدا لرسول الله فقال ولكن عند الله ربيع ثم قال عليه السلام لكل أهل حضر بدوي بادية آل محمد لربن حرام . وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ نقس من أبيه قال



الأخلاق الدينية في النفس ما لم تنموذ النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشاق إلى الأفعال الجميلة وينتقم بها ويكره الأفعال الفحشاء ويتألم بها كالأهل صلى الله عليه وسلم وجعلت قرعة عيني في الصلاة<sup>(١)</sup> ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستئثار فهو نقصان ولا ينال كمال السعادة به ، ثم الواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى - وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين - وقال صلى الله عليه وسلم «اعبد الله في الرضا فان لم تستطع في الصبر على ما تكره خير كثير»<sup>(٢)</sup> ثم لا يمكن في نيل السعادة الوعد على حسن الخلق استلزام الطاعة واستكراه للصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة قال : طول العمر في طاعة الله تعالى<sup>(٣)</sup> . ولذلك كره الأنياء والأولياء للوث فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أذكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وإنما كدت تأثيرها بكثرة الواظبة على العبادات وغاية هذه الأخلاق أن يقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من اللذات فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى وذلك بأن يكون موزونا بميزان الشرع والمقل ثم يكون بعد ذلك فرحاً بمستقلها فلا ينبغي أن يستبد بصير الصلاة إلى حد تصير هي قرعة العين ومصدر العبادات الدينية فان المادة تقتضي في النفس محاباً أغرب من ذلك فان قد نرى الملوك والتمتعين في أحران دائمة ونرى للقمار القليل قد يخلب عليه من الفرح واللذة بجماده وما هو فيه ما يستقل معه فرح الناس بشير فإمر مع أن القمار بماسليه ماله وخرب يتنور كره مفلسا ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول إلهه له وصرف نفسه إليه مدة وكذلك اللاعب بالجمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائماً رجليه وهو يحس بألم الفرحه بالطيور وحر كاتها وطيرانها وتخليتها في جو السحاب بل يرى الفاجر الميار يقتصر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السباط على أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك غراً لنفسه ويقطع الواحد منهم إرأزاً بألى أن يقر بما تخطاه أو تخطاه غيره فيصير على الإنكار ولا يبالى بالعقوبات فرحاً بما يستقده كاللا وشجاعة ورجولية فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرعة عينه وسبب اختاره بل لالهة أخس وأتبع من حال الخنث في تنهيه بالاناث في تنف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء ترى الخنث في فرح حاله واختاره بكاله في تخنثه يتباهى به مع الخنثين حتى يجري بين الحجابيين والكناسين التفاضل والبهاة كما يجري بين الملوك والملاء فكل ذلك نتيجة العادة وللواظبة على نخط واحد على الدوام مدة مدنية ومشاهدة ذلك في الخاطلين والعارف فإذا كانت النفس بالمادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى اللذات فكيف لاستلذ الحق لو ردت إليه مدة والتمت الواظبة عليه بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الليل إلى أكل الطين قد ينلب على بعض الناس ذلك العادة ،

(١) حديث وجعلت قرعة عيني في الصلاة ن من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث عبد الله في الرضا فان لم تستطع في الصبر على ما تكره خير كثير طيب (٣) حديث سئل عن السعادة قال طول العمر في عبادة الله رواه القضاة في مسند الشهاب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ولقد روى عن مسند حديث أبي بكر وعصمته أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله.

أنا الطاهر بن محمد  
الفييه قال أنا أبو  
الحسن قال أنا أبو عمرو  
ابن حكيم قال أنا  
أبو أمية قال حدثنا  
عبد بن إسحق الطائر  
قال ثنا سنان بن  
هرون عن حميد عن  
أنس قال « جاء رجل  
إلى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فقال :  
يا رسول الله احملني  
على جبل فقال أحملك  
على ابن الناقة قال أفول  
لك احملني على جبل  
وتقول أحملك على  
ابن الناقة قال عليه  
السلام فالجبل ابن  
الناقة « وروى صيب  
قال « وأبنا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
وبين يديه تمر بأكل  
فقال أمب من هذا  
الطعام فجعلت آكل

فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفة عبادته فهو كالليل إلى الطعام والشراب فإنه مقتضى طبع القلب فإنه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وإنما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه مرض قد دخل به كاد يدخل للرض بالمدلة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله إلا إذا كان أحب ذلك الشيء لكونه معينا له حب الله تعالى وعلى يده فسد ذلك لا يدل ذلك على الرض فاذا ندرت بهذا اقطعت أن هذه الأخلاق الجلية يمكن اكتسابها بالراضة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصور طبعها انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أفعى النفس والبدن فإن كل صفة تظهر في القلب فيفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وقعها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور ويرفع ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الخلق في الكتابة له صفة خفية حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلا أن يتماطى بمحارة اليد ما يتعاطاه الكاتب الخادق ويواطب عليه مدة طويلة بما هي الخط الحسن فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فينبهه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يواطب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً ولكن الأول يتكلف إلا أنه راضع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير قلبه النفس فلا طريق له إلا أن يتماطى بأفعال الفقهاء وهو التكرار للفقهاء حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير قلبه النفس وكذلك من أراد أن يصير سعيها غفيف النفس حلياً متواضعا فيلزمه أن يتماطى بأفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له فلا علاج له إلا ذلك وكما أن طالب قبه النفس لا يسأل من نيل هذه الرتبة تعطيل ليله ولا بنائها بتكرار ليله فكذلك طالب تزكية النفس وتكليفها وتخليتها بالأعمال الحسنة لا يلبسها بمادة يوم ولا يجرم عنها بصيان يوم وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشفاء للبدن ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها ثم تدعى قليلاً قليلاً حتى تأتس النفس بالكسل وتهجر التحصيل راساً فيفوتها فنية الفقه وكذلك صائر للعاصي يجر بضها إلى بسى حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة وكما أن تكرار ليله لا يحس تأثيره في قبه النفس بل يظهر قبه النفس شيئاً شيئاً على التدرج مثل نحو البدن وارضاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فإن الجملة الكثيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الأحاد فلكل واحد منها تأثير فإمن طاعة أولها وآخرها حتى في ثواب لا محالة فإن الثواب بإزاء الأثر وكذلك العصية وكل من قبه يستبين تعطيل يوم وليلة وهكذا إلى التوالى يسوف نفسه يوماً فيوماً إلى أن يخرج طبعه عن قبول الثقة فكذلك من يستبين صائر للعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالى إلى أن يحتفظه لثوث بنته أو تراكم غلظة الذنوب على قلبه وتعذر عليه التوبة إذ التليل يدعو إلى الكبير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من عقالها وهو للناس بانداد باب التوبة وهو الراد بقوة تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً - الآية ولذلك قال على رضى الله عنه : إن الإيمان ليدفع في القلب نكتة يضاء كالإزداد الإيمان ازداد ذلك الإيمان فإذا استكمل العبد الإيمان أبيض القلب كله وإن النفاق ليدفع في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون بإعتاد الأفعال الجلية وتارة بمشاهدة أرباب الأفعال الجلية

من التمر قال أناسك  
وأنت رمد قلت إذن  
أمنع من الجانب الآخر  
فضحك رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
وروى أنس « أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
قال له ذات يوم : يا  
أبا ذر « . وسئلت  
عائشة رضى الله عنها  
« كيف كان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
إذا خلا في البيت قالت  
كان ألين الناس بساما  
ضاحكاً وروثاً أيضاً  
« أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ساقها  
فسيقت ثم ساقها  
بعد ذلك فسيقت قال  
هذه بتلك . وأخبرنا  
الشيخ العالم سياد الدين  
عبد الوهاب بن على  
قال أنا أبو الفتح  
المروى قال أنا أبو نصر

ومصاحبهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جعلا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذاتية طبعاً واعتياداً وتلقا فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلاً بالطبع وافق له قرناء السوء فقلعت منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل وبين الرتبين من اختلاف فيه من هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .. وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون - .

### ( بيان تخصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق )

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس ولئيل عن الاعتدال مقوم ومرص فيها كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له ولئيل عن الاعتدال مرض فيه فلتتخذ البدن مثلاً - فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجاب الفضائل والأخلاق الحميدة إليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه وكما أن الغالب على أصل الزواج الاعتدال وإنما تترى للعدو للضرورة بأمراض الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد ممتدلاً صبيح القطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي بالاعتدال والتعلم تكتسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً وإنما يكمل ويقوى بالنشوة والترية بالتدواء فكذلك النفس تخفق ناقصة قابلة للتكامل وإنما تكمل بالترية وتهذيب الأخلاق والتنذبة بالعلم وكما أن البدن إن كان صحيحاً فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وإن كان مريضاً فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك النفس مثلاً إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفاتها وإن كانت عدية الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها وكما أن الله الغيرة لاعتدال البدن للوجبة للمرص لاتعاجل بالإبصدها فإن كانت من حرارة فبالبرودة وإن كانت من برودة فبالطراوة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بتدويرها فيعالج مرض الجهول بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن اللشني تكلفاً وكما أنه لا بد من الاحتمال لمراة الدواء وشدة الصبر عن الشترات لمعالج الأبدان للريضة فكذلك لا بد من احتئال مراة المهادنة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض بدوم يعدلوت أبدالاً وكما أن كل مبرد لا يصلح لعدة سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدّة والضعف والدوام وعدمه بالكثرة والقلّة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه إن لم يحفظ مياره زاد الفساد فكذلك الناقض التي تعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار وكما أن معيار الدواء مأخوذ من عيار الحق إن الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن الله من حرارة أو برودة فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أي ضيفاً أم قوية فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المرض وسننه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ للتبوع الذي يطلب نفوس للريدين ويعالج قلوب للشردين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بواحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على الريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكتهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض الريد وفي حاله وسننه ومزاجه وما تحتمله بيته من الرياضة ويبقى على ذلك رياسته فإن كان للريد ميئداً جاهلاً بمجهود التسرع فعمله أولاً الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وإن كان مشغولاً بحال حرام أو مقترفاً لمصلحة قايماً أولاً بتزكيتها

الترياقي قال أنا

أبو محمد الجراحی

قال أنا أبو العباس

المجسوبي قال أنا

أبو عيسى الحافظ

الترمذي قال ثنا

عبد الله بن الوضاح

الكوفي قال ثنا

عبد الله بن إدريس

عن شعبة عن أبي

التياح عن أنس رضي

الله عنه قال وإن كان

رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليخاطبنا

حتى إنه كان يقول

لأخ في صغير يا أبا عمير

ما فعل النغير والنغير

عصفور صغير - وروى

أن عمر سابق زبيرا

رضي الله عنهما فسبته

الزبير فقال : سبقتك

ورب الكعبة ثم سبته

مرة أخرى فسبته عمر

فقال عمر : سبقتك

إذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظير قرآن الأحوال إلى باطنه ليعتصم  
 لأخلاقه وأمراض قلبه فإن رأى منه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذ منه وصرفه إلى الخيرات وفرغ  
 قلبه منه حتى لا يلتفت إليه وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبية عليه فيأمره أن يخرج إلى  
 الأسواق للكدية والسؤال فإن عزة النفس والرياسة لا تنكسر إلا بالقلد والاذل أعظم من ذل السؤال  
 فيكلفه اللواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فإن الكبر من الأمراض للهلكة وكذلك  
 الرعونة وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مالا إلى ذلك فرحا به ملتفتا إليه  
 استخدمه في تهيئة بيت الماء وتنظيفه وكس للواضع القدرة وملازمة للطبخ ومواضع البخان حتى  
 تنشوش عليه رعوته في النظافة فإن الدين ينظفون ثيابهم وزينونها ويطلبون للرحمات النظيفة  
 والسجادات اللونة لافرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار لافرق بين أن يبدل الإنسان  
 نفسه أو يجد صفاتها عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن رأى في ثوبه شيئا سوى كونه حلالا  
 وطاهرا مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كان الريد لا يسغفر بترك  
 الرعونة رأسا أو يترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي أن ينقذ من الخلق للدموم إلى خلق  
 مذموم آخر أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزيل الدم  
 كما يرغب الصبي في الكتب بالحب السكر والصوفان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر  
 الثياب ثم ينقل من ذلك بالرغبة في الرياضة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالرغبة في الآخرة  
 فكذلك لمن لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فليقل إلى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك  
 إذا رأى شره الطعام فبالأعلى أزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيئ الأطعمة اللذيذة ويقدمها  
 إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيعود الصبر وينكسر شره وكذلك إذا رآه  
 شابا متشوقا إلى التلح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره  
 أن يضطرطية على الماء دون الخبز ولية على الخبز دون الماء وبمنه اللحم والأدور أساحق تذل نفسه وتنكسر  
 شهوته فلا علاج في مبدأ الإرادة أشجع من الجوع وإن رأى التضب غالبا عليه أزمه الحلم والسمكوت  
 وسلط عليه من يصعب بمن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه  
 كما حكي عن بعضهم أنه كان يهود نفسه الحلم ويؤذي عن نفسه شدة الضرب فكان يستأجر من يشتبه على ملاء  
 من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به للثل وبهضمهم كان  
 يستشعر في نفسه الجبن ويضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء  
 عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يجالسون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة  
 وبعض الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فأزعم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح  
 بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب اللذات بأن يبيع جميع ماله وريه في البحر إذ خاف من تفرقه  
 على الناس رعوته الجود والرياء بالبدل فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر  
 دواء كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق الكلي فيه  
 سلوك مسلك المضادة لكل ماتهواء النفس وتغلب عليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة  
 فقال تعالى - وأما من حاصم مقام ربه وسمى النفس عن الهوى فإن الجنة هي الأولى - والأصل لهم في  
 المجاهدة الوفاء بالزم فادعهم في ترك شهوة قد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا  
 فينبغي أن يصبر ويستمر فانه إن عود عنه ترك الزم ألفت ذلك حسنت وإذا أخفق منه قض عزم

ورب الكعبة وروى  
 عبد الله بن عباس  
 قال قال لي عمر تعالى  
 أنا فلك في الماء أينا  
 أطول نسا ونحن  
 محرمون . وروى  
 بكر بن عبد الله قال  
 كان أصحاب رسول  
 الله صلى الله عليه  
 وسلم يباذحون حتى  
 يتبادحون بالطبخ  
 فإذا كانت الحفائض  
 كانوا هم الرجال يقال  
 بلح يدح إذا رمى  
 أي يترامون بالطبخ  
 وأخبرنا أبو زرعة  
 عن أبيه قال أنا الحسن  
 ابن أحمد الكرخي  
 قال ثنا أبو طالب  
 محمد بن محمد بن  
 إبراهيم قال ثنا  
 أبو بكر محمد بن محمد  
 ابن عبد الله قال حدثني  
 إسحاق الحربي قال ثنا

فيذني أن يلزم نفسه عقوبة عليه كاذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المحاسبة والرقابة وإذا لم يخوف النفس بمقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة تفسد بها الرياضة بالصكية .

### ( بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة )

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفضل خاص به وإعنا مرضه أن يتعدر عليه فله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر منه مع نوع من الانعطاب فرض البدن يتعدر عليه البطش ومرض العين أن يتعدر عليها الإبصار وكذلك مرض القلب أن يتعدر عليه فله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والعرفة وحسب الله تعالى وعباده والتقليد بذكره وإشارته ذلك على كل شهوة سواء الاستمانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والعرفة وخاصة النفس التي لا تدعى ما يتميز بها عن البهائم فانه لم يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقوع والإبصار وغيرها بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وموجدتها ومختزها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئاً وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم - إلى قوله - أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره - فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض كما أن كل مصدة صار العين أحب إليها من العيز واللآء أو سقطت شهوتها عن العيز واللآء فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله إلا أن من الأمراض مالا يعرفها صاحبها ومرض القلب كما لا يعرفه صاحبه فذلك يغفل عنه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه عاقلة الشهوات وهو نزع الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طيباً حاذقاً يعالجه فان الأطباء هم الطفاء وقد استولى عليهم المرض فاطبيب المرض قلما يلتفت إلى علاجه فلهذا صار الداء عضالاً والمرض زمناً والندرس هذا العلم وأنكر بالصكية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل التعلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراآت فهذه علامات أصول الأمراض وأما علامات عودها إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في الملة التي يبالغها فان كان يبالغ في الداء البخل فهو الملوك البعد عن الله عز وجل وإعنا علاجه يذلل للآل وإضافه ولكنه قد يذلل للآل إلى حد يصير به مبذراً فيكون التبذير أيضاً داء فكان كمن يبالغ البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضاً داء بل للطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك للطلوب الاعتدال بين التبذير والتقدير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجب الخلق المندور فان كان أسهل عليك وأدنى من الذي يضاده فالتألب عليك ذلك الخلق للوجب له فقل أن يكون إسكاً للآل وجهه الله عنك وأيسر عليك من ذلك مستحقه فاعلم أن التألب عليك خلق البخل فزد في اللواظبة على البخل فان صار البخل على غير المستحق فذلك أعنف عليك من الإمساك بالخلق قد خلب عليك التبذير فارجع إلى اللواظبة على الإمساك فلا تزال ترأب نفسك وتستدل على خلقك بتفسير الأفعال وتسميها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الانصات إلى الآل فلا تميل إلى بذله ولا إلى إسكاه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إسكاه حاجة محتاج أو بذله حاجة محتاج ولا يترجع عندك البذل على الإمساك فسل قلب صار كذلك قد أتى أسلماً عن هذا اللقاع خاصة ويجب أن يكون سليماً عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق

أبو سلفة قال ثنا حماد  
ابن خالد قال أنا محمد بن  
عمرون علقمة قال ثنا  
أبو الحسن بن عيسى  
القي عن يحيى بن  
عبد الرحمن بن حاطب  
ابن أبي بلتعة قال إن  
عائشة رضى الله عنها  
قالت وأتيت النبي صلى  
الله عليه وسلم محررة  
طيبتها له وقالت لسودة  
والتي صلى الله عليه  
وسلم بيني وبينها كلى  
فأبت فقلت لها كلى  
فأبت فقلت لتأكلن  
أو لأطعن بها وجهك  
فأبت فوضعت يدي  
في الحريرة فطعنت بها  
وجهها فضحك النبي  
صلى الله عليه وسلم  
فوضع غلته وقال  
لسودة أطحن بها وجهها  
فلطعنت بها وجهي  
فضحك النبي صلى الله

بالدنيا حتى ترحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق منها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة إلى أسبابها  
فبعد ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس للطمعة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله القربين  
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ولما كان الوسط الحقيقي بين  
الطرفين في غاية القموض بل هو أدنى من الشر وأحد من السيئ فلا جرم ، ومن استوى على هذا  
الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقفا بملك العبد عن ميل عن  
الصراط المستقيم أعى الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال  
إليه وذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتاز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى - وإن  
منكم إلا وارجعوا إلى ربك حفا مقضيا . ثم تنجي الدين اتقوا - أي الدين كان قريهم إلى  
الصراط المستقيم أكثر من بدم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله  
تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله - اهتدنا الصراط المستقيم - إذ وجب قراءة الفاتحة في كل  
ركعة فقد روي أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله  
شيئني هود فإني قلت ذلك ؟ فقال عليه السلام لقوله تعالى - فاستقم كما أمرت - فالاستقامة على  
سواء السبيل في غاية القموض ولكن ينبغي أن يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة إن لم  
يقدر على تحقيقها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة  
إلا عن الأخلاق الحسنة فليفتقد كل عبد صفاته وأخلاقه وليستغل بصالح واحد واحد منها  
على الترتيب . فتنال الله الكريم أن يجعلنا من التقيين .

### ( بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه )

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبده خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه  
عيوبه فإذ عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم رى أحدهم  
القفى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق:  
الأول أن يجلس بين يدي شيخ يصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع  
إشارته في مجاهدته وهذا شأن الريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه  
ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده . الثاني أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا  
متدينا فينصب رفيقا على نفسه ليلامح أحواله وأفعاله فيسأله من أخلاقه وأفعاله وعيوبه بالباطنة  
والظاهرة ينبهه عليه فيكذلك كان يفعل الأكياس والأكارم من أئمة الدين . كان عمر رضي الله عنه  
يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوب وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي  
يلتص بك عنى مما تكرهه فاستغنى فأخبر عليه فقال بلغنى أنك جئت بين إدامين على مائدة وأن لك  
حلتين حلة بالثار وحلة بالليل قال وهل يلتص بك غير هذا ؟ قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان  
يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناظرين فبلى ترى على  
شيئا من آثار التفاني فهو على جلالته وعلو منصبه هكذا كانت تهتم لنفسه رضي الله عنه  
فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منسبا كان أقل إجمالا وأعظم اتهاما لنفسه إلا أن هذا أيضا قد  
عز قتل في الأصحاء من يترك المداعنة فيخبر باليب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب  
فلا تخفى في أصدفك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بيب عيا أو عن مداهن يغنى  
عنك بسن عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس قليل له لم لا تخط الناس ؟ فقال  
وماذا أصنع بأقوام يخون عني عيوب فكانت شهوة دوى الدين أن ينسبوا ليوهم بنبية غيرم

عليه وسلم فمر عمر  
رضي الله عنه على  
الباب فنادى يا عبد الله  
يا عبد الله فظن النبي  
صلى الله عليه وسلم أنه  
سيدخل فقال قوما  
فاغسلا وجهكم قالوا  
عائشة رضي الله عنها  
فما زلت آهات عمر  
لهية رسول الله صلى  
الله عليه وسلم إياه  
ووصف بعضهم ابن  
طاوس قال كان مع  
الصبي صيا ومع  
الكلب كهل وكان  
فيه مزاحمة إذا خلا .  
وروي معاوية بن  
عبد الكريم قال كنا  
تذاكر الشر عند  
محمد بن سيرين وكان  
يقول ونخرج عنده  
ويعاونا وكنا نخرج  
من عنده ونحن  
نضحك وكنا إذا دخلنا

وقد آل الأمر في أمثاله إلى أن أبغض الحق إلينا من نصحاء ويرفأ عيوننا ويكاد هذا أن يكون مفسحاً عن ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لداعة فلا تبها منه على أن تحت ثوبنا عقرباً لتفقدنا منه منة ورفحنا به واشتغلنا بأزالة القرب وإبادهما وتلها وإحما نكاتها على البدن ويدوم ألها يوماً فما دونه ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بعد لوت أبداً أو آلافاً من السنين ثم إنا لا نخرج من ينهنا عليها ولا نشغل بأزالتها بل نشغل بمقابلة الناسح بمثل مقاتله فنقول له وأنت أيضاً تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويعصرنا بيوينا ويشغلنا بعبادتها ويوقننا بقيام بشكر من يطلعا على مساوينا عنه ونفضه . الطريق الثالث : أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه فإن عين السخط تبدي للسواية ولعل انتفاع الإنسان بدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مدهان يثني عليه ويمدحه ويغني عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب المدو وحمل ما يقوله على الحمد ولكن البصير لا يغلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لا بد وأن تنتشر على الستم . الطريق الرابع : أن يغالط الناس فكل مارة مذموماً فلها بين الحق فليطالب نفسه به وينسبها إليه فإن اللؤم مرة اللؤم فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أمسه أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليفتقد نفسه ويظهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأدياً فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن اللؤب . قيل لمبى عليه السلام من أدبك ؟ قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتبته وهذا كله حيل من قد شيا عارفا ذكياً بصيراً بيوبي النفس مشفقاً ناهياً في الدين فارغاً من تهذيب نفسه مشتتلاً تهذيب عباد الله تعالى ناهياً لهم فمن وجد ذلك قد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيهِ من المهلك الذي هو بصدده . ٩

( بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة

أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات )

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انضمت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فإن هجرت عن ذلك فلا يبقى أن فوتك التصديق والإيمان على سبيل التلق والتقليد لمن يستحق التقليد فإن للإيمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الإيمان وهو ورامه قال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فمن صدق بأن عاقلة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا وإذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضى الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقوال العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى - سونهم النفس عن الهوى فإن الجنة هي للآوى - وقال تعالى - أولئك الذين امتحن الله قلوبهم فتقوى - قبل تزع منهاجية الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم «لؤلؤم بين خمس شدائد : مؤمن بحمدته ومنافق يخفه وكافر يقاؤه وشيطان يخله ونفس تنازع» (١) «بين أن النفس عدو متنازع بحب عليه مجاهدتها .

(١) حديث اللؤم بين خمس شدائد : مؤمن بحمدته ومنافق يخفه الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف .

على الحسن فخرج من عنده ونحن نكاد نبكي فهذه الأخبار والآثار دالة على حسن لبن الجانب ومهتال الصوفية وحسن أخلاقهم فيما يمتدونه من للداعة في الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظرهم إلى سائر رحمة الله فاذا خلوا وقوا موقف الرجال واكتسوا ملابس الأهمال والأحوال ولا يقف في هذا للمنى على حد الاعتدال إلا صوفى قاهر لنفس عالم بأغلاظها وطباعها سائس لها بوفور العلم يتوقف في ذلك على صراط الاعتدال بين الإفراط والتفريط

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود حذروا أنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب  
 التسلط بشهوات الدنيا عقولها عن عصبية وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة  
 لم يعود غائب لم يره وقال نبينا ﷺ لقوم قدموا من الجهاد «مرحبا بكم قدتم من الجهاد الأسفر إلى  
 الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس (١) » وقال صلى الله عليه وسلم  
 «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «كف أذاك عن نفسك  
 ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى إذ نخاصمك يوم القيامة فيلن يرضك بضاً إلا أن يضر الله تعالى  
 وبستر (٣) » وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نفسي مرة في مرة عليّ وكان أبو العباس  
 الوصلي يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تتعبد ولا في طلب الآخرة مع العباد تتعبد  
 كائن بك بين الجنة والنار تحبين يا نفس الاستحباب وقال الحسن ماله دابة الجوح بأحوج إلى اللجام  
 الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد نفسك بأسيا في الرياضة والرياضة على أربعة أوجه  
 القوة من الطعام والتمنع من اللام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيقول لمن قلة  
 الطعام موت الشهوات ومن قلة اللام صفو الإرادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتال  
 الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء والعبر على الأذى وإذا تحركت  
 من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فنزل الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام  
 من غمد التهجد وقلة اللام وضربها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فأنشأ  
 من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفها من ظلمة شهواتها فتخرج من عوائل آفاتنا فنصير عند ذلك  
 نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الحرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس القاهر  
 في الليدان وكذلك التنزه في البستان وقال أيضاً أعداء الإنسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس  
 من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من  
 استولت عليه النفس صار أسيراً في حب شهواتها محصوراً في سجن هواها مقهوراً مغلولاً زمامه في يدها  
 تجر حيث شاءت فتضع قلبه من القوائد وقال جعفر بن حميد أجعت العلماء والحكماء على أن التعم  
 لا يدرك إلا بترك التعم قال أبو يحيى الوراق من أرض الجوارح بالشهوات قد غرس في قلبه شجر  
 الندامات وقال وهيب بن الورد ما زادني الحزن فهو شهوة وقال أيضاً من أحب شهوات الدنيا فليتأبى  
 قلده . ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد أن ملك خزائن الأرض وقصد له على  
 راية الطريق في يوم موكب وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفاً من عظماء مملكته سبحانه من جعل  
 الملوك عبيداً بالعصية وجعل العبيد ملوكاً بطاعته له إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيداً وذلك جزاء  
 المفسدين وإن العبر والتقوى صيرا العبيد ملوكاً قال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه - إنهم يتق ويصبر  
 فإن الله لا يضيع أجر المحسنين - وقال الجنيد أرق لية قمت إلى وردى فلم أجداً خلوة التي كنت أجدها  
 فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق  
 فلما أحس بي قال يا أبا القاسم إلى الساعة قلت يا سيدي من غير موعد فقال لي سألت الله عز وجل  
 أن يهرك لي قلبك قلت قد فعل لها حاجتك قال فلي يصير داء النفس دواءها قلت إذا خالفت النفس

ولا يصلح الاكثار  
 من ذلك للربدين  
 للتبدلين لقله عليهم  
 ومعرضهم بالنفس  
 وتعديهم حد الاعتدال  
 فلنفس في هدمه  
 الموطن نهضت ووثبات  
 نجر إلى الفساد ونجح  
 إلى العناد فالزول إلى  
 طباع الذنوب يحسن من  
 صمد عنهم وترقى لعلو  
 حاله ومقامه فيزل إليهم  
 وإلى طباعهم حين  
 ينزل بالعلم فأما من لم  
 يصعد بصفاء حاله عنهم  
 وفيه بقية منزع من  
 طباعهم وقوسهم  
 الجامعة الأمانة بالسوء  
 إذا دخلت في هدمه  
 للداخل أخذت النفس  
 حفظها واقتضت ما كرهها  
 واسترحت إلى الرخصة  
 والزول إلى الرخصة  
 يحسن لمن يركب

(١) حديث مرحبا بكم قدتم من الجهاد الأصفر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد وقد تقدم في  
 شرح معاني القلوب (٢) حديث المجاهد من جاهد نفسه في أثناء حديث وصحه و . من  
 حديث فضالة بن عبيد (٣) حديث كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله الحديث  
 لم أجده بهذا السياق .



هواها فأقبل على نفسه فقال اسمي قد أجبتك بهذا سبع مرات فأيت أن تسمعي إلا من الجيد ها قد سمعتي ثم انصرفوا معرفته . وقال يزيد البزازي إليكم على الماء البارد في الدنيا لعل لأحرمه في الآخرة . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أنكم قال إذا اشتيت الصمت قال متى أصحت قال إذا اشتيت الكلام . وقال على رضي الله عنه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا . وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما أمنتك إلا من كرامتك علي ، فاذن قد انفق الماء والحسك على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنبه النفس من الهوى ومخالفة الشهوات فالإيمان بهذا واجب . وأما عمل فضيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يترك إلا بما قدمناه . وحاصل الرياضة وسرها أن لا تمتنع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة فيكون مقتصرًا من الأكل والنكاح واللباس والسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه أسبه وألفه فإذا مات غنى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يتم الرجوع إلى الدنيا إلا من لاحظ له في الآخرة بحال ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولاً بحرفة الله وجهه والتفكير والاطمئنان إليه ولا قوة على ذلك إلا بالله ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الفكر والفكر قسط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقترب منه والناس فيه أربعة : رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات العيشة فهو من الصديقين ولا يتقى إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة . الثاني رجل استغرق الدنيا قلبه ولم يبق له تعالى ذكره في قلبه إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من المالكين . والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا أنه ينجم عنها سرًا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه . والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لأعماله قوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه ، اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فانك أنت للعاذر وربما يقول القائل إن التمتع بالمباح مباح فكيف يكون التمتع سبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إبطاء كل حسنة واللباح الخارج عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا وهو سبب البعد وسيأتي ذلك في كتابنا من الدنيا . وقد قال إبراهيم الخواص كنت مرة في جبل السكام فرأيت رمانا فاشتيتيه فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فضيت وتركها فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزناير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام بإبراهيم فقلت كيف عرفني فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله عز وجل فلو سأله أن يحميك من هذه الزناير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سأله أن يحميك من شهوة الرمان فان لمع الرمان مجد الانسان أنه في الآخرة ولمع الزناير مجد الله في الدنيا فتركته ومضيت . وقال السري نأمنه أربعين سنة تطالبني غنى أن أغس خبزة في دبس فما أطعمتها فاذن لا يمكن إصلاح القلب لسوء طريق الآخرة ما لم تمتنع نفسه عن التمتع بالمباح فان النفس إذا لم تمتنع من الباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن النية والفضول فله أن يلزمه السكوت إلا عن ذكر الله وإلا عن الهيات في الدين حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم إلا بحق فيكون سكوت عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تحفظ عن النظر إلى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهيه به الحلال هو بينه وبين الذي يشتهيه الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على البعد منها من الحرام فان لم يوجد الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته ، فهذه إحدى آفات المباحات

الزينة قلب أوله  
وليس ذلك شأن  
البدن فظنوه  
الطعام فيها ذكراته  
ترويح يطون حاجة  
القلب إلى ذلك والشيء  
إذا وضع للحاجة يشهد  
بقدر الحاجة وميل  
مقدار الحاجة في ذلك  
علم فامض لا يسلم لكل  
أحد قال سعيد بن  
الناص لابنه اتصد في  
مزالك فالأغراط فيه  
ينهب بالياء ويمر  
عليك السفهاء وترك  
ينيط للوانسين  
ويوحى الخاطين قال  
بشهم الزلج سلبة  
للهاه مقطعة للاخاء  
وكما يصعب معرفة  
الاحتدال ذلك يصعب  
معرفة الاحتدال في  
الضحك والضحك من  
خصائص الانسان

وراءها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس تخرج بالنتم في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشرا وبطرا حتى تصير نمة كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك القرح بالدنيا سم قاتل يسرى في العروق فيخرج من القلب الحوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى - ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - وقال تعالى - وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع - وقال تعالى - اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - الآية وكل ذلك ذم لها ففساد الله السلامة فأولوا الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال القرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية خرة بسدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الله كرفطوا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب القرح والبطر قطعوها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلوا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومقاسها عتاب وهو نوع عذاب فمن نوقس الحساب في عرصات القيامة قد عذب غلظوا أنفسهم من عقابها وتوصلوا إلى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات وورقها والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي إذ قصد تأديبه وتخله من التوب والاستيعاش إلى الانتباه والتأديب فانه يحبس أولا في بيت مظلم وتخط عيناه حتى يحصل به القطام عن الطيران في جواهر الهواء وينسى ما قد كان ألقه من طبع الاسترسال ثم يرفق به بالهم حتى يأني صاحبه ويألفه إقفا إذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع إليه فكذلك النفس لا تألف ربه ولا تأنس بذكره إلا إذا فطمت عن عاداتها بالخولة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن اللذات ثم عودت التناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يضب عليها الأنس بذكر الله عز وجل عوضا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يتقل على اليد في البداية ثم يتنم به في النهاية كاصي يظم عن التدي وهو شديد عليه إذا كان لا يصبر عنه ساعة فذلك يشتد بكأوه وجزعه عند القطام ويشد غوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلا عن اللبن ولكنه إذا منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تعب في الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم صيره طبعا فلو رد بعد ذلك إلى التدي لم يرجع إليه فبجر التدي ويضاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تفر عن السرج والجام والركوب فتحمل على ذلك تقرا وتنع عن السرج الذي ألقته بالسلال والقيود أولا ثم تأنس به بحيث ترك في موضعها فتضيق به غير قيد فسذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعم الدنيا بل بكل ما زاولها بالموت إذ قيل له أحب ما أحببت فانك مفارقة فلذا علم أنه من أحب شيئا يلزمه فراقه ويشق له أهالة لفرقه شغل قلبه بحب ما يفرقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصعب في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أولا أياما فتلاثل فان العمر قليل بالإضافة إلى مدة حياة الآخرة وامن قاتل إلا وهو راض باحتمال للشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا لينتم به سنة أو دهرًا وكل الصبر بالإضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالإضافة إلى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فبعد الصباح بمحمد القوم السرى وتذهب عنهم عمايات الكرى كما قاله على رضى الله عنه . وطريق المجاهدة والرياسة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا فالتدي يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول في الوعظ أو بالمر في القضاء والولاية أو بكثرة الأنبياع في التدريس والأفادة فينبى أن يترك أولا ما به فرحه فانه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له نوابك في الآخرة لم ينقص بالمتع فكره ذلك وتأثم به فهو بمن مرج بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم إذا ترك أسباب القرح

ويميزه عن جنس الحيوان ولا يكون الضحك إلا عن ساقية تعجب والتعجب يستدعى الفكر والفكر شرف الإنسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قدمه في العلم ولهذا قيل إياك وكثرة الضحك فانه يبعث القلب وقيل وكثرة الضحك من الرعونة . وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى يفيض الضحك من غير حجب للشاء في غير أرب وذكرك في بين الداعية والزاح قتل الداعية ما لا يضرب جدمه وللزاح ما يضرب جسده وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله التهمة في الصلاة:

فليعزل الناس ولينفرد بنفسه وليراق قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يجمع مادته مهما ظهر فإن لكل وسوسمقبلا ولا تزول إلا بتقطع ذلك السبب والعلاقة وليلزم ذلك بقية العمر فليس للجهد آخر إلا بالموت .

### ( بيان علامات حسن الخلق )

اعلم أن كل إنسان جاهل بعبود نفسه فإذا جاهد نفسه أدى مجاهدة حتى ركبوا حتى العاصي وربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من إضاح علامة حسن الخلق فإن حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين وللتناقض في كتابه وهي بجملة ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق . قال الله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون - إلى قوله وأولئك هم الوارثون - وقال عز وجل - التائبون العابدون الحامدون - إلى قوله وسير المؤمنين - وقال عز وجل - إيمان المؤمنين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - إلى قوله وأولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى - وسعبد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - إلى آخر السورة . فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وقد جمعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما تقدمه وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمنين بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى عاشر الأخلق فقال « المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١) وقال عليه السلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (٣) وقال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (٤) وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم « أكل المؤمن إيمانا أحسنهم أخلاقا » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم المؤمنين صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلحق الحكمة » (٦) وقال « من سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن » (٧) وقال « لا يهل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذي » (٨) وقال عليه السلام « لا يهل لمسلم أن يروع مسلما » (٩) وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يتجالى للرجال أن يأمن الله عز وجل فلا يهل لأحدهما أن يغشى على أخيه ما يكرهه » (١٠) وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون

(١) حديث المؤمنين يحب لأخيه ما يحب لنفسه الشيطان من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي شريح الخزازي ومن حديث أبي هريرة (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديثهما وهو بعض الحديث الذي قبله (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت متفق عليه أيضا من حديثهما وهو بعض الذي قبله (٥) حديث أكل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا تقدم غير مرة (٦) حديث إذا رأيتم المؤمنين صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلحق الحكمة من حديث أبي خلد بلطف إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقد منقذ فاقربوا منه فإنه يلحق الحكمة (٧) حديث من سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن أحد والطبراني وده صححه على شرطهما من حديث أبي موسى ورواه طبرك وصححه على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة (٨) حديث لا يهل لمسلم أن يشير إلى أخيه بنظر يؤذي ابن المبارك في الزهد والرقائق وفي البر والصلة ومرسلا وقد تقدم (٩) حديث لا يهل لمسلم أن يروع مسلما طبرك من حديث الثمانين بشر والبراز من حديث ابن عمر وإسناده صحيح (١٠) حديث إنما يتجالى للرجال أن يأمن الله

من اللذنب وحكم  
يطلق الرضوء بها  
وقال يقوم الام مقام  
خروج الخارج  
فلاعتدل في المزاج  
والضحك لا يتأتى إلا  
إذا خلص وخرج من  
مضيق الحوف والبعض  
والهيسة فانه يقوم  
بكل مضيق من هذه  
المضايق بعض التوبم  
فيتعدل الحال فيه  
ويستقيم فاليسط  
والرجاء ينشأن المزاج  
والضحك والحوف  
والبعض يحكمكان فيه  
بالعدل . ومن أخلاق  
الصوفية ترك التكلف  
وذلك أن التكلف  
يصنع وتعمل وتمايل  
على النفس لأجل الناس  
وذلك يبين حال  
الصوفية وفي بعضهم  
منافرة للأقدار وعدم

كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا مبورا شكورا أرضيا حلما رفقا عفيفا شافعا لا مالنا ولا سبابا ولا غاملا ومتنا ولا بهولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا هاشاشا يحب في الله وينفى في الله ورضى في الله وينضب في الله فهذا هو حسن الخلق . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « إن المؤمن همة في الصلاة والصيام والعبادة والنافق همة في الطعام والشراب كالبهيمة (١) » وقال حاتم الأعمى للمؤمن مشغول بالفسكر والعبر والنافق مشغول بالحرص والأمل والمؤمن آمس من كل أحد إلا من الله والمنافق راج كل أحد إلا الله والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويكي والمنافق يسوء ويضحك والمؤمن يحب الخلوقة والوحيد والمنافق يحب الخلقة والمؤمن يزرع ويغني الفساد والمنافق يطلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يتحسب به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفاء ومن شكك من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق أحسن الأذى . قد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما مع أنس بن مالك قال شهدت ولجة رسول الله ما فيها خير ولا هم وروى عن جابر أنه أتاه ناس من أصحابه فأتاهم بخبز وخل وقال كلوا فان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نعم الإنسان الخل » وعن سفيان بن سلمة قال دخلت على سلمان الفارسي فأخرج إلى خبزا وملحا وقال كل لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نتكلم أحد لأحد لتكلمت لكم والتكلم مذموم في جميع

الرضا بما قسم الجبار وقال التصوف ترك التكلف ويقال التكلف تخلف وهو تخلف عن شأو الصادقين . روى أنس بن مالك قال شهدت ولجة رسول الله ما فيها خير ولا هم وروى عن جابر أنه أتاه ناس من أصحابه فأتاهم بخبز وخل وقال كلوا فان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نعم الإنسان الخل » وعن سفيان بن سلمة قال دخلت على سلمان الفارسي فأخرج إلى خبزا وملحا وقال كل لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نتكلم أحد لأحد لتكلمت لكم والتكلم مذموم في جميع

الحديث تقدم في آداب الصعبة (١) حديث سئل عن علامة المؤمن والمنافق فقال إن المؤمن همه في الصلاة والصيام الحديث لم أجده أصلا (٢) حديث كان مع أنس فذكره أنس فحذبه جذا بشديدا وكان عليه برد مجراني غليظ الحاشية الحديث متفق عليه من حديث أنس (٣) حديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يطعون حب والبيق في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبي من الأنبياء ضربه قومه .

أن يضرب ، وروى أن علي بن موسى الرضا رحمة الله عليه كان لو نه يحل إلى السواد إذ كانت أمة سوداء وكان ينسأ بورحمام على بابداره وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فقدم رجل رستاق إلى باب الحمام فتحته ودخل فترج ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام فقال له قم واحملني إلى الماء فقام علي بن موسى وامتل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاق وسمع كلامه مع علي بن موسى الرضا فخاف وهرب وخرلاهما فلما خرج علي بن موسى سأله عن الحمامي فقيل له إنه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغي له أن يهرب إنما الذئبين وضع ماله عند أمة سوداء ، وروى أن أبا عبد الله الحياط كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الحياطة فكان إذا خاطه له شيئا حمل إليه دراهم زائفة فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته فأتى المجوسي فلم يجده فدفع إلى تلميذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر إليه التلميذ عرف أنه زائف فردده عليه فلعاده أبو عبد الله أخبره بذلك فقال بشي ما عملت هذا المجوسي بعمالي بهذه العلامة منذ سنة وأنا أصبر عليه وأخذ الدراهم منه وأقبيا في البئر للتأبير بهامسما . وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الحلق عشر خصال : قوة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب المثرات وتحسين ما يدور من السيئات والنجاس للعدرة واحتمال الأذى والرجوع باللامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولين فوقه . وسئل سهل عن حسن الحلق فقال : أدناه احتيال الأذى وترك للكفاة والرحمة للنظام والاستخفاف له والشفقة عليه ، وقيل للأخف بن قيس ممن تلمعت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بيناه وجالس في داره إذ أنه جارية له يسفود عليه شواء فسقط من يدها فوق علي بن له صغير فأت فدهشت الجارية فقال لها لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى . وقيل أن أوسا القرني كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم يا إخوتاه إن كان ولابد فارموني بالسار حتى لا تدموا ساقى فتمنوني عن الصلاة ، وشتم رجل الأخف بن قيس وهو لا يجبه وكان يبعه فلما قرب من الحلى وقف وقال إن كان قد بقي في شكك شيء قلته كي لا يسمعك بعض سفهاء الحلى فيؤذوك . وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام إليه فقرأه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك إجابتي قال أمنت عقوبتك فكسكت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى ، وقالت امرأة لملك بن دينار رحمه الله يا مرائي فقال يا مائة وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة ، وكان لحي بن زياد الحارثي غلام موه قيل له لم تمسكه فقال لأنظر الحلم عليه فبهذه نفوس قد ذلت بالرياضة فاعتدت لأخلاقها وحققت من الشئ والقل والمجد بواقعها فانتمت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الحلق فإن من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه ، فهو لا ظهرت اللامات على ظواهرهم كاذكرنا . فمن لم يصادف من نفسه هذه اللامات فلا ينبغي أن يشتر بنفسه فيظن بها حسن الحلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الحلق فانها درجة رفيعة لا ينالها إلا للثريون والصديقون .

( بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول شوم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم )

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أم الأمور وأوكدها والسي أمانة عندوا لله وقلبه الطاهر جوهرة قيمة ساذجة خالية عن كل نفس وصوره وهو قابل لكل ما تش ومائل إلى كل ما يميل به

الأضياء كالشكاف  
بالمبوس للناس من  
غير نية فيه والتكلف  
في الكلام وزيادة  
الحق الذي صار دأب  
أهل الزمان في يكاد  
يسلم من ذلك إلا آحاد  
وأفراد وكم من متعلق  
لا يعرف أنه متعلق ولا  
يظن له قد يتعلق  
الشخص إلى حد  
يخرجه إلى صريح  
النفاق وهو ما بين لحال  
الصوفي . أخبرنا الشيخ  
العالم ضياء الدين  
عبد الوهاب بن علي قال  
أنا أبو القتح المروزي  
قال أنا أبو نصر الترياق  
قال أنا أبو محمد الجراحي  
قال أنا أبو الباس  
المجوسي قال أنا  
أبو عيسى الترمذي قال أنا  
أحمد بن منيع قال  
ثنا يزيد بن هرون عن

إليه فنعود الجوع وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب  
 وإن عود الشر وأهل إهمال البهائم شقي وحلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله  
 عز وجل - يا أيها الذين آمنوا اتقوا أنفسكم وأهل بيوتكم - ومهما كان الأدب يصونه عن نار الدنيا  
 فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيائمه بأن يؤديه ويهذبه ويصله بحاسن الأخلاق ويحفظه من القرناء  
 السوء ولا يهوده التيم ولا يعجب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فهلك  
 هلاك الأبد بل يبنى أن رقيقه من أول أمره فلا يستعمل في حشاشته وإرضاعه إلا امرأة سالحة متدبرة  
 تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فإذا وقع عليه نشو الصبي انجبت طيبته من الحبث  
 فيميل طبعه إلى ما يناسب الحائث ومهما رأى فيه غاييل التميز فينبئ أن يحسن مراقبته وأول ذلك  
 ظهور أوائل الحياء فانه إذا كان يحشم ويستحي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لاشراق نور  
 العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا وغالبا لبعض ضار يستحي من شيء دون شيء وهذه هدية  
 من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ  
 فالصبي المستحي لا يبنى أن يؤدب بل يستعان على تأديبه بحياته أو تميزه وأول ما يطلب عليه من الصفات  
 شرم الطعام فينبئ أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا يمينه وأن يقول عليه باسم الله عند أخذه  
 وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل وأن  
 لا يسرع في الأكل وأن يجيد اللعغ وأن لا يوالى بين القوم ولا يطلع يده ولا يودع وأن يعود الحيز القفار  
 في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حشا ويقيح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من  
 يكثر الأكل بالبهائم وبأن يعلم بين يده الصبي الذي يكثر الأكل ويعدج عنده الصبي للتأدب القليل  
 الأكل وأن يعجب إليه الإتيار بالطعام وقلة اللبالة به والقناعة بالطعام الحشون أي طعام كان وأن يعجب  
 إليه من الثياب البيض دون الملون والبريسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والحشون وأن الرجال  
 يستنكفون منه ويكره ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من إبريسم أو ملون فينبئ أن يستنكره  
 ويصله ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التيم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالفة  
 كل من يسمعه ما يرغب فيه فإن الصبي مهما أعمل في ابتداء نشوه خرج في الأغلب ردي الأخلاق  
 كذبا با حسودا سرورا فتماما لحواسه ذافصول وضحك وكيد ومجانة وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن  
 التأديب ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينفرد في  
 نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأسماء التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الأديباء الذين  
 يزعمون أن ذلك من العزف ورقة الطبع فان ذلك يفسد في قلوب الصبيان بغير الفساد ثم مهما ظهر  
 من الصبي خلق جميل وفضل محمود فينبئ أن يكرم عليه ويحازى عليه بما يفرح به ويعدج بين أظهر  
 الناس فان خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبئ أن يتخالف عنه ويهتك سره ولا يكشفه  
 ولا يظهره أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فان إظهار  
 ذلك عليه ربما يغيه جسارة حتى لا يبالى بالكشفة فبعد ذلك إن عاد ثانيا فينبئ أن يحاسب سرا  
 ويظم الأمر فيه ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفرض  
 بين الناس ولا تنكر القول عليه بالكتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع اللامة وركوب القبايح  
 ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هيئة الكلام معه فلا يورعه إلا أحياءا والأم تحونه  
 بالأبوت تزجره عن القبايح ويبنى أن يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن  
 يمنع القرض الوطنية حتى تصلب أعضاؤه ولا يسمن بذه فلا يصبر عن التيم بل يعود الحشونة في القرض

محمد بن مطرف عن  
 حسان بن عطية عن  
 أبي أمامة عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم قال  
 «الحياء والحيثبتان  
 من الإيمان والحياء  
 والحيثبتان من  
 النفاق» البذاء الفحش  
 وأراد بالحيثبتان ههنا  
 كثرة الكلام والتكاف  
 لسان زيادة تعلق  
 وتناء عليهم وإظهار  
 التمنع وذلك ليس  
 من شأن أهل الصدق  
 وحكي عن أبي وائل  
 قال مضيت مع صاحب  
 لي زور سلمان فقدم  
 إلينا خبز هميم وملح  
 جريشا فقال صاحبي  
 لو كان في هذا للخب  
 ستر كان أطيب خرج  
 سلمان ورهن مطهرته  
 وأخذ سترها أكلنا  
 قال صاحبي الحمد لله

واللبس والطعم وينبغي أن ينزع من كل ما يفسد في خفية فانه لا يخفى إلا وهو يتقدمه قبح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض التمارين والحركة والرياضة حتى لا يظلب عليه الكسل ويود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع للشي ولا يرخى يديه بل يضمهما إلى صدره وينزع من أن يتفرغل أقرانه بجى بما يملكه والده أو جىء من مطاعهم ملايسه أو لوجه ودواته بل يود التواضع والاحكام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم وينزع من أن يأخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرضاة لا يعطاه لا في الأخذ وأن الأخذ لهم وخسة ودناءة وإن كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من ذاب الكلب فانه يصعب في انتظار لقمة والطمع فيها . وبالجملة فيحب إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيها ويحذر منها أكثر مما يحذر من الحيات والقاربان فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيها أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكار أيضا وينبغي أن يهود أن لا يصق في مجلسه ولا يتخطولوا بقتاب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضر جلاطى رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يصدر أسنانه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينزع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه فعل أبناء اللام وينزع العجين رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر وينزع أن يتدبى بالكلام ويود أن لا يتكلم إلا جوابا وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له للكان ويجلس بين يديه وينزع من لقو الكلام ولغشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجرى على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من القراء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قراء السوء وينبغي إذا ضرب العلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشف بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك ذاب الشجاعة والرجال وأن كثرة الصراخ ذاب للمالك والنسوان وينبغي أن يؤخذ له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يسترع إليه من تعب للكتب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائما يبيت قلبه ويطلق ذكاه وينقص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا ، وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومطعمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قرب وأجنبي وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن القبيز ، فينبغي أن لا يسمح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويحب لبس الديباج والحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ، ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الحيانة والكذب والنقض وكل ما ينال على الصبيان فاذا وقع نشوء كذلك في الصبا فيها قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور ، فيذكر له أن الأطمعة أدوية وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل ، وأن الدنيا كلها لأصل لها إذ لا بقاء لها ، وأن اللوت يقطع نعيمها ، وآنها دار عمر لا دار مقر ، وأن الآخرة دار مقر لا دار عمر ، وأن اللوت منتظر في كل ساعة وأن الكيس الماقل من تزود من الدنيا للأخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه في الجنان فاذا كان النشوا صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ وانما مؤثرا ناجما يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر ، وإن وقع التشو بجلاى ذلك حتى ألف الصبي اللعب والنقض والوقاحة وشربه الطعام واللباس والزينة والتفاخر نينا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى فان الصبي بمجهره خلق قابلا للغير والشر جميعا وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين . قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما

الذى فطرنا بما رزقنا  
قال سلمان لو قمت  
بما رزقك لم تكن  
مطهرتى مرهونة وفي  
هذا من سلمان ترك  
التكلف قولوا فضلا  
وفي حديث يونس النبي  
عليه السلام أنه زاره  
إخوانه فقدم إليهم  
كسرا من خبز شعير  
وجز لهم بقل كان  
يزرعهم قال لولا أن  
الله لمن للتكفين  
تلكت لكم قال  
بعضهم إذا قصدت  
للزيارة قدم ماحضر  
وإذا استزرت فلا تبق  
ولا تلذ. وروى الزبير  
ابن العوام قال نادى  
منادى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
يوما « اللهم اغفر  
للذين يدعون

أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (١) قال سهل بن عبد الله التستري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أئوم بالليل فأظفر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما ألا تذكر الله الذي خلقك قلت كيف أذكره قال قل بخلقك عند خلقك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلى الله شاهد قلت ذلك ليالي إنهم أعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات قلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة فقلت فوقع في قلبي حالوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفض في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت ذلك حالوة في سري ثم قال لي خالي يوما يسهل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أعصيه بإياله والصلية فكنت أدخل نفسي فبعثوا بي إلى المكتب قلت إني لأخشي أن يتفرق على عمي ولكن شارطوا العلم أني أذهب إليه ساعة فأعلم ثم أرجع فضيت إلى الكتاب فقلت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوت من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوفقت لي مائة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهل أن يعثوني إلى أهل البصرة لأسأل عنها فأتيته البصرة فسألت علماءها فلم يصف أحد عن شيئا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن أبي عبد الله العباداني فسأله عنها فأجابني فأقلت عنده مدة أنتفع بجلاله وأتأدب بأدابه ثم رجعت إلى تستر فجلست فوق اقتصادا لي أن يشتري لي بدرم من الشعير الفرق فيطحن ويخذي فأظفر عند السحر على أوقية كل ليلة بخمسة مئزر ملح ولا آدم فكان يكفي ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليال ثم أظفر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسبح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أئوم الليل كله ماشاء الله تعالى قال أحمد لما رأيته أكل للبح حق لقي الله تعالى .

( بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدرج الريد في سلوك سبيل الرياضة )

واعلم أن من شاهد الآخرة قبله مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حارث الآخرة مشقا فالإلهيا سالكا سبيلها مستبينا بنعم الدنيا ولذاتها فإن كانت عنده خربة فرأى جوهرة قيمة لم يبق له رغبة في الحرزة وقويت إرادته في يميها بالجوهرة ومن ليس مريدا حارث الآخرة ولا طالبا لبقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر ولست أعني بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق وإخلاص فإن ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الحرزة إلا أنه لا يدرى من الجوهرة إلا لفظها وأما حقيقتها فلا ومثل هذا للصدق إذا ألف الحرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه إلى الجوهرة فاذن السانع من الوصول عدم السلوك والسالف من السلوك عدم الارادة والسانع من الارادة عدم الإيمان وسبب عدم الإيمان عدم الهداة وللذكرين والمطا بالله تعالى المهادين إلى طريقه وللبنين على حقارة الدنيا وإغرائها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدهم وليس في علمهم الدين من يفهم فإن تنبه منهم متنبه هجر عن سلوك الطريق لجهله فإن طلب الطريق من السواء وجدهم مائلين إلى الهوى عادلين عن سبج الطريق ضار نصف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان للطلوب عجبوا والدليل مقفودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتطلعت الطرق لاهالة فإن تنبه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبثت له إرادة في حارث الآخرة وتجارتها فينبغي أن يعلم أن له شروطا لابد من تهيئتها في بداية الارادة فله مستصم

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .



لا بد من التمسك به وله حسن لا بد من الحسن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لا بد من ملازمته في وقت سلوك الطريق. أما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يصرون - والسد بين الريد وبين الحق أربعة: المال والجاء والتقليد والعصية وإعماض حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يثق له إلا قدر الضرورة فإدخاله يثق له درهم يثقت إليه قلبه فهو مقيد به محبوب عن الله عز وجل وإنما يرضع حجاب الجاء بالبعد عن موضع الجاء بالتواضع وإتثار الجول والمغرب من أسباب الذكر وتماطى أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وإنما يرضع حجاب التقليد بأن يترك التصبب للذهاب وأن يصدق بمعنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ومحرم في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لآمن المجاهدة فان غلب عليه التصب لمقدمه ولم يبق في نفسه متسع لتبره صار ذلك قيده وحجابا إذ ليس من شرط الريد الانثناء إلى مذهب معين أصلا وأما العصية فهي حجاب ولا يرضى إلا التوبة والخروج من الظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الدم على ماضى ورد الظالم وإرضاء الخصوم فان لم يصحح التوبة ولم يهجر للماضى الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمسكفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بدم لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عرية القرآن لا بد من تقديمها أولا ثم الترقى منها إلى أسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهرها الشرعية أولا وآخراتها ثم الترقى إلى أغوارها وأسرارها فإذا قدم هذه الشروط الأربعة ونجده عن المال والجاء كان كمن تظهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدى به فكذلك الريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لاهالة يهديه إلى سواء السبيل فان سبيل الدين فاض وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرته لاهالة فمن سلك سبيل البوادي للهلكة بغير خفي قد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون للسبيل نفسه كالشجرة التي تثبت بنفسها فانها تجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر فعصم الريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بالقائد بحيث يفوز أمره إليه بالسكينة ولا يخافه في ورده ولا صدره ولا يثق في متابته شيئا ولا يذير وليعلم أن نفسه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفسه في صواب نفسه لو أصاب فإذا وجد مثل هذا العصم وجب على متعصمه أن يحميه ويصممه بحسن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور : الخلو والصمت والجوع والسر وهذا تعصم من القواطع فان مقصود الريد إصلاح قلبه ليساهد به ربه ويصلح لقربه أما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفياضه نوره وينيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقة ، ورقته مفتاح للكشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق للثلاثة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يا مضر الحوارين جوعوا يطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبدالله التستري ماصلا الأبدال أبدا إلا بأربع خصال : بإخماس البطون ، والسر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس فائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسيأتي بيان وجه التدرج فيه في كتاب كسر الشهوتين . وأما السر فانه يحلو القلب ويصفيه وينوره فينبغ ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدرى والبركة المجلوة فيلوح فيه جمال

من هو مقسم على  
شاطئ بحر والقيم على  
شاطئ البحر لا يدخر  
لنفسه في قرينه  
ورأيته . روى  
أبو هريرة رضى الله  
عنه عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أنه  
قال « مامن يوم إلا له  
ملكسان ناديان فيقول  
أحدهما اللهم أعظم نفقا  
خلفا ويقول الآخر اللهم  
أعظم محسنا تلقا »  
وروى أنس قال « كان  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم لا يدخر شيئا  
لنفسه . وروى أنه  
« أهدى لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم ثلاث  
طوارق فأطعم خادمه  
طيرا فلما كان القدا أتاه  
به فقال رسول الله ألم  
أنهك أن تحب شيئا  
لنفسك فان الله تعالى يأتي

الحق ويشاهد فيه رفيع العرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتنا فتمّ بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة والسرّ أيضاً نتيجة الجوع فإن السرّ مع الشبع غير ممكن والتمّ يقبض القلب ويحبته إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب للكشف لأسرار القلب قد قبل في صفة الأبدال إن أكلمهم فاقه ونومهم غلبة وكلامهم ضروعة وقال إبراهيم الخواص رحمه الله أجمع رأى سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء . وأما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن العزلة لا تخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرايه وتدبير أمره فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب وشربه القلوب إلى السلام عظيم فانه يتروح إلى ويستقل التجرد لذلك والفكر فيستريح إليه فالصمت يقطع العقل ويحبب الورع ويملّ التقوى . وأما الخلوة فقد مدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانها مذهب أهل القلب والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كريمة كدرة قنطرة من أنهار الخواص ومقصود الرياسة تخريج الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها لينجز أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح له أن ينزع الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الخواص إلا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليألف رأسه في حية أو يتدثر بكساء أو إزار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة قليل له يا أيها المرمل يا أيها اللدثر (١) فهذه الأربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض الفاضحة للطريق فإذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وإيما سلوكه يقطع الغيبيات ولا عتبة على طريق الله تعالى لإصفاة القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا وبعض تلك الغيبيات أعظم من بعض والترتيب في قطعها أن يشتغل بالأيسر فالأيسر وهي تلك الصفات أغنى أسرار الملائق التي قطعها في أول الإرادة وآثرها أغنى لئلا والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوف إلى الناس فلا بد أن يغني الباطن عن آثارها كما أغنى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول الجهادة وقد ذكرنا ذلك باختلاف الأحوال فرب شخص قد كفى أكثر الصفات فلا تطول عليه الجهادة وقد ذكرنا أن طريق الجهادة مضادة للشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة طالبة على نفس الريد كما سبق ذكره فإذا كفى ذلك أضعف الجهادة ولم يبق في قلبه علاقة شفه بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنحه من تسكير الأوراد ونمرتها أغنى ملازمة القلب لذكره الله تعالى بسد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتاً إلى علاقته قال الشبلي للحصري إن كان يخطر بقلبك من الجملة التي تأتي في الجملة الأخرى شيء غير الله تعالى فحرام عليك أن تأتيه وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صديق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستتر الذي ليس له إلا الله واحد فإذا كان كذلك أقره الشيخ زاوية يغفر بها ويوكل به من

برزق كل غدا .  
وروى أبو هريرة  
رضي الله عنه « أن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم دخل على  
بلال وعنده صبرة من  
تمر فقال ماهذا يا بلال  
فقال أدخر يا رسول  
الله قال أما تخشى أنفق  
بلالا ولا تخشى من  
ذي العرش إتلافا .  
وروى أن عيسى ابن  
مريم صلى الله عليه  
وسلم كان يأكل الشجر  
ويلبس الشعر ويبيت  
حيث أمسى ولم يكن  
له ولد يموت ولا يبيت  
يخرب ولا يغني شيئاً  
له . فالصوفي كل خباياه  
في خزان الله لصدق  
نوكله وهنت بره  
فأهنا بالصوفي كدار  
الترية ليس له فيها  
ادخار ولا له منها

(١) حديث يروي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدثر قليل له يا أيها المرمل يا أيها اللدثر متفق عليه من حديث جابر جاورت بهراء فلما قضيت جوارى هبطت فتوديت فنظرت عن يميني الحديث وفيه فأبيت خديجة قتلت دثروني وصبوها على الماء باردا فدثروني وصبوها على ماء باردا قال قتلت يا أيها اللدثر وفي رواية قتلت زملوني زملوني ولها من حديث عائشة قتال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع .

يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فإن أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرًا من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلاً الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواطب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواطب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يسي عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة لقلب حاضرة معه غالبية عليه قد فرغ من كل ما سواه لأن القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو للتصود خلا لاهواءه عن غيره وعند ذلك يأمره أن يراهب وسواس القلب والخواطر التي تتماق بالدنيا وما يتذكر فيه بما قد مضى من أحواله وأحوال غيره فإنه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خالته عن الذكر في تلك اللحظة وكان أيضاً قصاصاً فليجند في دفع ذلك ومهادف الوساوس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءت الوساوس من هذه الكلمة وأنها ما هي وما متى قولنا الله ولا شيء كان لها وكان محبوباً ويسره عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وسواس الشيطان ما هو أكثر وبدعة ومهما كان كارهاً لذلك ومتشمرًا لإمطه عن القلب لم يضره ذلك وهي منه مسخرة إلى ما يسله أن الله تعالى منزّه عنه ولكن الشيطان يلقى ذلك في قلبه ويجره على خاطره فشرطه أن لا يلبس به ويخرج إلى ذكر الله تعالى ويتنهل إليه ليدفعه عنه كالألحالي - وإما بزرغك من الشيطان بزرغ فاستند بالله إنه مبيح علم - وقال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يرضى ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من قرة أو نشاط أو اتفات إلى عهده أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه وأن يستريحه عن غيره فلا يطلع عليه أحد ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فلو علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تذهب من نفسه على حقيقة الحق فينبغي أن يحمله على الفكر وأمره بملازمته حتى يذهب في قلبه من النور ما يكتشف له حقيقته وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد القاطع بما يحمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فإن هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها فكم من مرید اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فاشطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع الملائق الشاغرة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار فإنه قد مكسب سبينة الخطر فإن سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «عليكم بدین المجازة» (١) وهو تلقى أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فإن الخطر في المدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يتفرس في الريد فإن لم يكن ذكياً فقلنا متمكناً من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرد إلى الأعمال الظاهرة والأوراد للتوارة أو يشغله بخدمة التجردين فكسر لتشمه بركتهم فإن المجازة عن الجهاد في صف القتال ينبغي أن يسقى القوم ويجهد دواجم ليحضر يوم القيامة في زمرة من وقته بركتهم وإن كان

(١) حديث عليكم بدین المجازة قال ابن طاهر في كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أتف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديثاً لـ محمد بن عبد الرحمن بن السنان عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان في آخر الزمان واختلف الأهواء فليكن بدين أهل البادية والنساء وابن السنان عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يثمن بوضعها انتهى، وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه حب في الضعفاء في ترجمة ابن السنان والله أعلم .

استكثر قال عليه السلام «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تفتدو خماساً وتروح بطاناً» أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله المالبي قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله الرضوي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد بن يوسف عن سفيان عن ابن النكدر عن جابر قال مثل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط قال لا قال ابن عيينة إذا لم يكن عنده وعد وبلاساند

لا يبلغ درجتهم ثم الريد للتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما يشكفه له من الأحوال وما يمدون أوائل الكرامات ومهما التفت إلى شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك ثورا في طريقه ووقفا بل يبين أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العيشان الذي لا زويه البحار ولو أقيمت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الاقطاع عن الخلق إلى الحق والخلاوة قال بعض السابحين قلت لبعض الأبدال النقطيين عن الخلق كيف الطريق إلى التحقيق فقال أن تكون في الدنيا كأنك ما برطريق وقال مرة قلت له دلي على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لي لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم فإن السكن إليهمهلكة قلت هذا لمة قال يا هذا أنتظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام ؟ هذا ما لا يكون أبدا فإذا منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك إلا بأن يغلو عن غيره ولا يغلو عن غيره إلا بطول المجاهدة فإذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشفه جلال الحضرة الربوبية وتجلي له الحق وظهره من لطائف الله تعالى مالا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا وإذا انكشف للريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظما وتصحا ويصدى للتذكير فتجد النفس فيه لمة ليس وراءها لمة قد دعوه تلك اللمة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك اللماة وتحسين الأنفاط للمرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صفة الكلام قليل إليه الضلوب والأصماغ فرمما يغفل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك لقوب اللو القافلين عن الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه ومالك فيه نصيب ولا تنسك فيه لمة ويضع كيد الشيطان بأن يظهر في أفراسه من يكون أحسن كلاماته وأجزل لفظا وأقدر على استعجاب قلوب العوالم فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لاهماة إلى أن كان يحركه كيد القبول وإن كان يحركه هو الحق حرصا على دعوة عباده الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وأبدى بين وازرني على إصلاح عبادته كآلتي وجب عليه مثلا أن يحمل ميتا ليدفنه إذ وجده ضامنا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من أماته عليه فاته يفرح به ولا يحسد من يمينه والنافلون موتى القلوب والوطاط هم للنبون والمحيون لهم في كثرتهم استرواح وتناصر فينبني أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزز الوجود جدا فينبني أن يكون للريد على حذر منه فانه أعظم حبال الشيطان في قطع الطريق على من اقتنعت له أوائل الطريق فإن إشار الحياة الدنيا طبع خالط على الانسان وقلبك قال الله تعالى - بل تؤثرن الحياة الدنيا - ثم بين أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب السابقة قال - إن هذا في الصحف الأولى صف إبراهيم وموسى - فها هنا مجال رياضة الريد وتربيته في التدرج إلى لقاء الله تعالى . فأما نصيب الرياضة في كل صفة فسيأتي فإن أغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه أعين به الشهوات للتحقق بها ثم التئيب الذي هو كالجند لحاية الشهوات ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنسى بهما أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياضة وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياضة وغلب عليه القصور فليذا وجب علينا بعد تهيئة هذين السكاكين أن نستكمل ربح اللهايكات بثانية كتب إن شاء الله تعالى : كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في آفات اللسان وكتاب في كسر التئيب والمقدد والحسد وكتاب في كسر الدنيا

عن الدارسي قال أنا  
يعقوب بن حيد قال  
أنا عبد العزيز بن  
محمد عن ابن أبي  
الرهري قال إن جبريل  
عليه السلام قال ما في  
الأرض لعل مشيرة  
من آيات إلا قسيتهم  
فما وجدت أحدا أشد  
إخفا لهذا اللال من  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم [ ومن  
أخلاق الصوفية القناعة  
بالبسر من الدنيا ] .  
قال ذو النون المصري :

من قنع استراح من  
أهل زمانه واستطاع  
على أقرانه وقال بشر  
ابن الحرث لو لم يكن  
في القناعة إلا التمتع بالمر  
لكفى صاحبه وقال  
بنان المحال :

المر عبد ماطع  
والعبد حر مائع

وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب السال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم السكر والعجب وكتاب في مواقع التورود وبذكر هذه الهلكات وتعلم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربيع الهلكات إن شاء الله تعالى فإن ما ذكرناه في الكتاب الأول هو شرح لمفاتيح القلب الذي هو معدن الهلكات والنجات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض التواب أما تفصيلها فانه يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى.

ثم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مسلم من أهل الأرض والسماء وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

### ( كتاب كسر الشهوتين )

( وهو الكتاب الثالث من ربيع الهلكات )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه للتحقق للتحديد والتسبيح والتتبع القام بالعدل فيما يبرمه ويقضيه للتطول بالفضل فيما ينم به ويسديه للتكفل بحفظ عبده في جميع موارد مجاريه للنعم عليه بما يزيد على مجات مقاصده بل بما ينمي بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يمتنه ويغيه وإذا مرض فهو يشفيه وإذا ضف فهو يقويه وهو الذي يوقه لطاعة ورتبه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرمه بالطعام والشراب مما يهلكه ويورده ويمكنه من القناعة بقليل القوت وقربه حتى تقتيق به مجارى الشيطان الذي بناويه ويكسر به مشوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يبد ربه ويقضيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلبذ به ويشره ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يراه وينتجه وكيف يحفظ أوامره ويتهبى عن نواهيهِ ويواظب على طاعته ويترج عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبي وسوله الوجه صلاة رزقه وتحطيه وتزف منزله وتلبه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابته وتابعيه .

[ أما بعد ] فأعظم الهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلى دار القل والافتقار إذ نجا عن الشجرة فلبت بها مشوا حتى أكلتا من ثمرها فحسوا آثما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج وشهوة الشبق إلى المنسكحات ثم تتبع شهوة الطعام والسكر شهوة الرغبة في الجاه والمال الذين هما وسيلة إلى التوسع في المنسكحات والطعومات ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المناسفات والمخاسدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وفائلة التفاهور والتكبر والكبرياء ثم تدعى ذلك إلى الحقد والحسد والمداوة والبغضاء ثم يقضى ذلك بصاحبه إلى احتقار البني والسكر والحسد وكل ذلك ثمرة إهمال المصروف ما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذل البدن نفسه بالجوع وضيق به مجارى الشيطان لأدمنت لطاعته عز وجل ولم تسلك سبل البطر والبطيان ولم ينجر به ذلك إلى الاتهامك في الدنيا وإشارة العاجلة على الغنى ولم يشكك كل هذا التكاليف على الدنيا وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوايتها وآفاتنا تحذيرا منها ووجب إضاح طرق المجاهدة لها والتهيب على فعلها ترغيبا

### ( كتاب كسر الشهوتين )

وقال بعضهم انتم من حرصك بالقناعة كما تنتم من صدوق بالقصاص . وقال أبو بكر المراضى العاقل من در أمر الدنيا بالقناعة والتسويق ودبر أمر الآخرة بالحرص والتصيل . وقال يحيى بن معاذ من تقع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه . وقال أسير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه القناعة سيف لا ينيو . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن الحلال ينفذ قال أنا أبو خص عمر بن إبراهيم قال حدثنا أبو القاسم النبوي قال

فيها وكذلك شرح شهوة الفرج قائما تابعة لها ومن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول بحمها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بتقليل من الطعام والآخر ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المرء في ترك الزوج وفصله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين .

### ( بيان فضيلة الجوع وذم الشبع )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهدين» سئل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش (١) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه» (٢) وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل قال «من قل مطعمه وضحك ورضى بما يستر به عورته» (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف» (٤) وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «البسوا وكواوا واشربوا في أوصاف البطون فإنه جزء من النبوة» (٥) وقال الحسن قال النبي ﷺ «الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة» (٦) وقال الحسن أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أضناك عند الله منزلة يوم القيامة أكلوكم جوعا وتشكروا في الله سبحانه وأنفصكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل ثوم أكل شروب» (٧) وفي الخبر «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع من غير عوز» (٨) أي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يباهي للملائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا يقول الله تعالى اغزوا إلى عبيدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا ضرب وتركهما شهدوا بإملاكتي مامن أكلة يدعها إلا بدلتها هادرجات في الجنة» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تيمتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزعر يموت إذا كثرت عليه الماء» (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «ما لأب من آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيات يجمعن صلبه وإن كان لا يذاق إلا ثلث لطفاهم وثلث لشرابه وثلث لنفسه» (١١) وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع إذ قال فيه «إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأخفاء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا ثم رفهم شام الأرض ونحف بهم ملائكة السماء ثم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل اقترش الناس القرش الوثيرة واقترشوا الجاه والركب ضيع الناس فمل البئيين وأخلاقهم وحفظوها ثم تبيك الأرض إذا قدتهم ويسخط الجبار على كل

(١) حديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش لم أجده له أصلا (٢) حديث ابن عباس لا يدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه لم أجده أيضا (٣) حديث أي الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحك ورضى بما يستر عورته يأتي الكلام عليه وعلى ما بهد من الأحاديث (٤) حديث سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف (٥) حديث أبي سعيد الخدري البسوا وكواوا واشربوا في أوصاف البطون (٦) حديث الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة (٧) حديث الحسن أفضلكم عند الله أكلوكم جوعا وتشكروا في الله الحديث لم أجده لهذه الأحاديث للتقدمة أصلا (٨) حديث كان يجمع من غير عوز أي مختارا لذلك البيهقي في هب الإيمان من حديث عائشة قالت لو شئنا أن نضع لبعثنا ولكن محمدا ﷺ كان يؤثر على نفسه وإسناده متصل (٩) حديث إن الله يباهي للملائكة بمن قل طعمه في الدنيا الحديث ابن عدي في الكامل وقد تدم في الصيام (١٠) حديث لا تيمتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب الحديث لم أقف له على أصل (١١) حديث ماملاً ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث ثمن حديث للقدم وقد تقدم.

حدثنا محمد بن جواد قال حدثنا أبو سعيد عن صدقة بن الربيع عن عمارة بن عزية عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الأعواد يقول «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى» وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «قد أفلح من أسلم وكان رزقه مكففا» ثم صبر عليه « وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال اللهم اجعل رزقي آل محمد قوتا» وروى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «القناعة مال

بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا الطبق ولبسوا الحرق شحا غيرا براهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء وقال قد دخلوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يشعرون بلا عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة إذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لأهل تلك البلدة ولا يذب الله قوما فيهم الأرض بهم فرحة والجبار عنهم راض أخذهم لنفسك إخوانا عسى أن تنجو بهم وإن استطعت أن تأتلك للوث وبطئك جائع وكبدك ظمآن فاضل فانك تدرك بذلك شرف للنازل وتحمل مع التبيين وضرر جندوم روحك لللائكة وصلى عليك الجبار (١) .

روى الحسن بن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «البسوا الصوف وحمروا واكلوا في أنصف البطون تدخلوا في ملكوت السماء» (٢) وقال عيسى عليه السلام : يا متمر الجواريرين أجيءوا أكبادكم وأعمروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل (٣) وروى ذلك أيضا عن نبتة صلى الله عليه وسلم رواه طائوس وقيل مكتوب في التوراة إن الله ليغنى الخبر السمين لأن السم ينبدل على النملة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالجبر ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله تعالى يغنى القاري السمين وفي خبر مرسل «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فغيثوا مجاريه بالجوع والعطش» (٤) وفي الخبر «إن الأكل على الشبع يورث البرص» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «الؤمن يأكل في ممي واحد والتافق يأكل في سبعة أمعاء» (٦) أي يأكل سبعة أصناف ما يأكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة أصناف شهوته وذكر للمي كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذها كما يأخذ للمي وليس للمي زيادة عدد ممي التافق على ممي المؤمن . وروى الحسن بن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «أدبوا قرع باب الجنة بفتح لكم قلت كيف ندبهم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما» (٧) وروى «أن أبا جحيفة تمسحا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شجاء في الدنيا» (٨)

(١) حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه الحديث بطوله العطش في الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الموضوعات وفيه حباب بن عبد الله بن جبلة أحد السكندانيين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضا ورواه الحارث بن أنس أسامة من هذا الوجه (٢) حديث الحسن بن أبي هريرة البسوا الصوف وحمروا واكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث طائوس مرسلأ أجيءوا أكبادكم الحديث لم أجده أيضا (٤) حديث ابن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم الحديث تقدم في الصيام دون الزيادة التي في آخره وذكر للصف هنا أنه مرسل والرسول رواه ابن أبي الدنيا في مكابدة الشيطان من حديث علي بن الحسين دون الزيادة أيضا (٥) حديث إن الأكل على الشبع يورث البرص لم أجده أصلا (٦) حديث المؤمن يأكل في ممي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء متفق عليه من حديث عمر وحديث أبي هريرة (٧) حديث الحسن بن عائشة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «أدبوا قرع باب الجنة الحديث لم أجده أيضا (٨) حديث إن أبا جحيفة تمسحا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شجاء في الدنيا البقي في الشعب من حديث أبي جحيفة وأصله عند ت وحسه وه من حديث ابن عمر تمسحا رجل الحديث لم يذكر آبا جحيفة .

لا يند • وروى عن  
عمر رضي الله عنه أنه  
قال كونوا أوعية  
الكتاب وينابيع  
الحكمة وعدوا أنفسكم  
في اللو وسألوا الله  
تعالى الرزق يوما يوم  
ولا يضركم أن لا يكثر  
لكم . وأخبرنا  
أبو زرعة طاهر عن أبي  
الفضل والده قال أنا  
أبو القاسم إسماعيل بن  
عبد الله الشاوي قال أنا  
أحمد بن علي الحافظ قال  
أنا أبو عمرو بن حمدان  
قال حدثنا الحسن بن  
صفوان قال حدثنا عمرو  
ابن مالك البصري قال  
حدثنا مروان بن  
معاوية قال حدثنا  
عبد الرحمن بن أبي  
سلة الأنصاري قال  
أخبرني سلة بن  
عبد الله بن محسن

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتلّ قط شحاً وربما بكيت رحمة بما أرى به من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول ضحكك لك الفداء لو بلغت من الدنيا بقدر ما يتوكل ويعتمد من الجوع يقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فاضوا على حلقهم قدموا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجدي استسنى إن زلفت حق معيشي أن يصبر في غذا دونهم فالصبر أياماً يسيرة أحب إليّ من أن ينقص حظي غذا في الآخرة وما من شيء أحب إليّ من الحقوق بأصحابي وإخواني قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه (١)» وعن أنس قال «جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما هذا الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطبخ حتى أتيتك منه بهذه الكسرة قد رسل رسول الله ﷺ أما إنه أول طعام دخل فم أيك منذ ثلاثة أيام (٢)» وقال أبو هريرة «ما أشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وإن أفضن الناس إلى الله للتحزمون للثأر وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة (٤)». وأما الآثار فقد قال عمر رضى الله عنه إياكم والبطنة فانها تمل في الحياة تنق في اللات وقال شقيق البلخي العبادة حرفة حانونتها الحلاوة وآلتها الجماعة وقال لقمان لابنه يا بني إذا ملأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقصدت الأعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول نفسه شيء تخافين أخافين أن تجوعى لأخافى ذلك أنت أهون على الله من ذلك إنما جوع محمد ﷺ وأصحابه وكان كهمس يقول إلهي أجتنى وأعريقني وفي ظلم الليالي بلا مصباح أجلسني فأبى وسيلة بلقيت ما بلقيت وكان فتح اللوصلي إذا اشتد مرضه وجوعه يقول إلهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك فعل بأوليائك فأبى عمل أؤدى شكر ما أنعمت به على وقال مالك ابن دينار قلت لعماد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له خلية تقوته وتقنيه عن الناس فقال لي يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعاً وهو عن الله راضى وكان الفضيل بن عياض يقول إلهي أجتنى وأجبت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح وإنما فعل ذلك بأوليائك فأبى منزلة غلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منهبة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياحة وجوع الزاهدين حكمة وفي الثوراة اتق الله وإذا شبعتم فاذكر الجيع وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشاء أحب إليّ من قيام ليلة إلى الصبح وقال أيضاً الجوع عند الله في خزانته لا يعطيه إلا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوى نيشاً وعشرين يوماً لا يأكل وكان يكتبه لطعامه في السنة درهم وكان يستظم الجوع ويألف فيه حتى قال لا يوافق القيامة عمل برّ أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لم ير الأكل شيئاً أضع من الجوع للدين والدنيا وقال لأهل شيئا أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت

(١) حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم لم يتلّ شحاً قط وربما بكيت رحمة له لما أرى به من الجوع الحديث لم أجده أيضاً [١] (٢) حديث أنس جاءته فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة ما بهج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا أخرجه في مسنده (٤) حديث إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة طبوا بوعيم في الحلية من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف

[٦] وجد بهامشي العراقي ما يأتي، قلت: بل له أصل أخرجه أبو موسى اللخمي مطولاً في كتاب استعلاء اللوت وأورد مع عياض في الشفاء ٥١.

عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وقيل في تفسير قوله تعالى - فلنجينه حياة طيبة - هي القناعة فالصوفي قوام على نفسه بالقسط عالم بطباع النفس وجدوى القناعة والتوصل إلى استخراج ذلك من النفس لطلب بدائها ودوائها. وقال أبو سليمان الداراني القناعة من الرضا كأن الورع من الزهد. ومن أخلاق الصوفية ترك الرماء والمجادلة والتغيب لإلحاق واعتماد الرفق والحلم وذلك أن النفوس تشب وتظفر



للصية والجوع في الشبع وقال ماعبد الله بنى أفضل من محلة الهوى في ترك الحلال وقديما في الحديث «ثلاث للطعام فمن زاد عليه فاعما يأكل من حسنة» (١) وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ويكون إذا جاع ليقه سأل الله أن يجعلها ليقين فإذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار الأبدال أبدا لا إلا بأخماس البطون والسر والسمت والحلوة والقرى والسر كل بر زل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه تقطعت عنه الوسواس وقال إقبال الله عز وجل على البعد بالجوع والسم والبلاء إلا من شاء الله وقالوا طموه أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسر والجهد وقال ما يمر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روى قلم من للصية وإن شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام. وسئل حكيم بأي قيد أقيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش وذلكها بأخلاقه الكثرة ترك المزوم وصرها بوضها تحت أرجل أبناء الآخرة وأكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها وأغنى آفاتها بولم سوء الظن بها وأصحبها بخلاف هواها. وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى إن الله تعالى ما صافى أحدا إلا بالجوع ولا يشوى على الماء إلا بولا طويتم لهم الأرض إلا بالجوع ولا تلام الله تعالى إلا بالجوع وقال أبو طالب للسكى مثل البطن مثل للزهرو هو المود الجوف ذو الأوتار إنما حسن صوته لمخته ورتته ولأنه أجوف غير ممتلئ وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للنمائم. وقال أبو بكر بن عبد الله المزنى ثلاثة يحبه الله تعالى رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة. وروى أن عيسى عليه السلام مكث يتأذى ربه ستين صباحا لم يأكل غطط ياله الحبز فاقطع عن النجاة فإذا رغب موضوع بين يديه فجلس ينكى على قد النجاة وإذا شبع قد أظله قال له عيسى برك الله فيك يا ولي الله ادع الله تعالى لي فاني كنت في حالة غطط يالي الحبز فاقطعت عن فقال الشيخ اللهم إن كنت تعلم أن الحبز خطر يالى منذ عرفتك فلا تنفر لي بل كان إذا حضر لي شيء أكلته من غير فكر وخطا. وروى أن موسى عليه السلام لما قرب به الله عز وجل نجيا كان قد ترك الأكل أربعين يوما ثلاثين ثم عشا على ماورد به القرآن لأنه أمسك بغير تبيت يوما فبشره لاجل ذلك.

### (بيان فوائد الجوع وآفات الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك» [١] أو لمالك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه إلا إيلام العدة ومقاساة الأذى فإن كان كذلك فيذني أن يعظم الأجر في كل ما يتأذى به الإنسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله الأشياء السكروة وما يجري مجراه فاعلم أن هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به ووطن أن منفعته لكراهة الدواء وممراته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من اللذائق وهو غلط بل فقه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وإلما يقف على تلك الخاصية الأطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع إلا ساسرة الطعام ومن جوع نفسه مصداقا لما جاء في الترفع من مدح الجوع انتفع به وإن لم يعرف علة النفع كأن من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعا ولكننا نتبرح لك ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الإيمان إلى درجة العلم قال الله تعالى لا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فتقول في الجوع عشر فوائد : القائمة الأولى صفاء القلب وإشاد القرينة وإشاد البصيرة فإن الشبع يورث البلاء ويجمي القلب ويكثر البخار في الدماغ عيه السكر حتى يحترق على معادن السكر فيقتل القلب بسببه عن

(١) حديث ثلاث للطعام تقدم .

[١] حديث جاهدوا أنفسكم لم يخرجوه الرأى .

في العارين والصوفى  
كل رأى نفس صاحبه  
ظاهرة قابله بالقلب  
وإذا قوبلت النفس  
بالقلب ذهبت الوحشة  
وانطأفت الفتنة قال  
الله تعالى تلبا لصا  
- ادفع بالتي هي أحسن  
فإذا التى بينك وبينه  
عداوة كأنه ولي  
حبيب ولا ينزع الرأى إلا  
من قوس زكية انتزع  
منها القل ووجود القل  
في النفوس مراد الباطن  
وإذا انتزع للرأى من  
الباطن ذهب من  
الظاهر أيضا وقد يكون  
القل في النفس مع من  
يشاكله ويماطل وجود  
للنافة ومن استعصى  
في تدويع النفس بنار  
الزهادة في الدنيا ينسى  
القل من باطنه ولا يبقى  
عنده منافسة دنوية

الجران في الأفكار وعن سرعة الإدراك بل الصبي إذا أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطي الفهم والإدراك . وقال أبو سليمان الداراني عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم الساوي وقال صلى الله عليه وسلم « أحبوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترقى » (١) ويقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القنطرة مثل السحاب والحكمة كالطير وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من أجاع بطنه عظمت فكرته ووطن قلبه » (٢) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم « من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع » (٣) وقال الشبلي ما جئت به يوما إلا رأيت في قلبي بها مفتوحا من الحكمة والعبادة ما رأيت قط وليس غني أن غاية القصد من العبادات الفكر للوصول إلى المعرفة والاستبصار بمخائلي الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فإطعمه أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لثان لانه يابئ إذا امتلات المعدة نابت الفكرة وخرست الحكمة وقصدت الأعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامي الجوع سحاب فإذا جاع البعد أمطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم « نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل والشبع والقربة إلى الله عز وجل حب للسالكين والدنو منهم . لا تشبعوا فخطفتوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في خفة من الطعام بات المحور حوله حتى يصبح » (٤) القائمة الثانية : رقة القلب وصفاته الذي به يتبأ لأدراك لذة الثبارة والتأثر بالذكر فكمن من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجابا من قسوة القلب وقد رقى في بعض الأحوال فعمم تأثره بالذكر وتلذذه بالنجاسة وخلو للمعدة هو السبب الأظهر فيه . وقال أبو سليمان الداراني أحل ماتكون إلى العبادة إذا التصق ظهري يبطي . وقال الجنيد يجعل أحدهم بينه وبين صدره خلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة النجاسة . وقال أبو سليمان إذا جاع القلب وهشش صبا ورق وإذا شبع عمي وغفلت فإذا تأثر القلب بقلعة النجاسة أمر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهي فائدة ثانية . القائمة الثالثة : الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشهر الذي هو مبدأ الطغيان والفلة عن الله تعالى فلا تكثر النفس ولا تذلل شيء كما تذلل بالجوع فضده تسكن لربها وتخضع له وتقف على همزها وذلك إذ ضمت منها وضائق حيلتها ببقية طعام فاتها وأظلمت عليها الدنيا لكثرة ما تأخرت عنها وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وهجره لا يرى عزة مولاه ولا قهره وإنما سعادته في أن يكون دائما مشاهدا نفسه بين القل والمجز ومولاه بين المرو والقدرة والقهر فليكن دائما جامعا مضطرا إلى مولاه مشاهدا للاضطراب بالذوق ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فإذا جعت صبرت وتضرعت وإذا شبعت شكرت » (٥) أو كما قال فالطعن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع والذل

(١) حديث أحبوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترقى لم أجده له أصلا (٢) حديث من أجاع بطنه عظمت فكرته ووطن قلبه كذلك لم أجده له أصلا (٣) حديث من شبع ونام قسا قلبه ثم قال إن لكل شيء زكاة وإن زكاة الجسد الجوع . من حديث أبي هريرة زكاة وزكاة الجسد الصوم وإسناده ضيف (٤) حديث نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبلى الحديث ذكره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه إنه مسند وهي علامة مارواه بإسناده (٥) حديث أجوع يوما وأشبع يوما الحديث تقدم وهو عند .

في حظوظ عاجلة من جاء وما قال الله تعالى في وصف أهل الجنة الثقلين - وزعنا ما في صدورهم من غل - قال أبو حنيس كيف يتق القلب في قلوب التفت بالله وانفتحت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره فان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطباع بل كملت بنور التوفيق فصارت إخوانا فهكذا قلوب أهل التصوف والمجتبى على السكينة الواحدة ومن التزم جروط الطريق والانكسار على الظفر بالتحقيق . والناس رجبان نرجل طالب ما عند الله تعالى ويدعو إلى ما عند الله

والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق باباً من أبواب النار فقد فتح باباً من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالشرق والغرب فالقرب من أحدهما بعد من الآخر .  
 القائمة الرابعة : أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فإن الشبان ينسى الجائع وينسى الجوع والبدن القطن لا يشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى إنهم ليجوعون فيطمعون الضريع والرقوم ويسقون الساق والهمل فلا ينفى أن يغيب عن البدن عذاب الآخرة وآلامها فإنه هو الذي يهبس الخوف لمن لم يكن في ذلة ولاعة ولا لفة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يمثّل في نفسه ولم يثلب على قلبه فينبغي أن يكون البدن في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فإن فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الأسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياد والأئمة فالأئمة ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم نجوع وفي يدك خزائن الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع فذكر الجالعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فإن ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشبان في غفلة عن ألم الجائع . القائمة الخامسة : وهي من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الأطعمة فتقليلها ينصف كل شهوة وقوة وإيما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن يملك نفسه وكما أنك لا تملك الدابة الجوع إلا ينصف الجوع فإذا شبت قوت وشردت وجهت فكذلك النفس كما قيل لبعض مبالك مع كبرك لاتشهد بدنك وقد أنهد فقال لأنه سريع الروح فاحتش الأثر فأخاف أن يجمع في فيورطني فلان أحمله على الشدائد أحب إلى من أن يحملني على القواش . وقال ذوالنون ما مضت قط لإصعيت أو همت بمصيبة . وقالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع إن القوم لما شبت بطونهم جعت بهم تقوسهم إلى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فإن الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فتخلص به من آفات اللسان كالنقمة والفحش والكذب والخبية وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع اقتصر إلى فاكهة فيفسكه لا محالة بأعراض الناس ولا يكتفئ الناس في النار على ما نأخروم إلا حاصد ألسنتهم . وأما شهوة الفرج : فلا تخفى غائلتها والجوع يكتفي شرها وإذا شبع الرجل يملك فرجه وإن منعه التقوى فلا يملك عينه فالعين ترى كما أن الفرج يرى فإن ملك عينه بضئ الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة وما يشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة وإيما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا وإلا لجميع معاصي الأعضاء السبعة فيها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فيصبر على الحرب البحت سنة لا يخطأ به شيئا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء . القائمة السادسة : دفع النوم ودوام السهر فإن من شبع شرب كثيرا ومن كثّر شربه كثّر نومه ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر للريدين لا تأكلوا كثيرا فقتربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فخسروا كثيرا وأجمع رأي سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال البدن فيه يتجر والنوم موت فكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فوائدها ومنها

نفسه وغيره لما لم يحسب  
 الصواب مع هذا منافاة  
 ومراء وغل فإن هذا  
 معه في طريق واحد  
 ووجه واحد واخوه  
 ومعينه وللؤنون  
 كالبيان بعد بصره  
 بضاً ورجل مفتتح  
 بجي من حجة الجاه  
 والبال والرياسة ونظر  
 الخلق في الصواب مع  
 هذا منافاة لأنه زهد  
 فيا فيه رغب لمن هان  
 الصواب أن ينظر إلى  
 مثل هذا نظر رحمة  
 وشفقة حيث يراه  
 محجوبا مفتتاً فلا  
 ينطوي له على غل ولا  
 يماريه في الظاهر على  
 شيء لعله يظهر ونفسه  
 الأمارة بالسوء في اللراء  
 والمجادلة . أخبرنا  
 الشيخ العالم ضياء الدين  
 عبد الوهاب بن علي

غلب النوم فان تهجد لم يجد حلوة العبادة ثم المتعذب إذا نام على الشبع احتم وبمنه ذلك أيضا من التهجد ويهوج إلى القسل إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عنه على عورة في دخول الحمام فان فيه أخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع . وقد قال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة لتضر التسلي في كل حال فالنوم منيع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له . القائلة السابعة : تيسير اللواظية على العبادة فان الأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والحلال ثم يكثر تردده إلى بيت للماء لكثرة شربه والأوقات المصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر وللناجاة وسائر العبادات لكثرة ربه . قال السري رأيت مع علي الجرجاني سوحا يستف منه قلت ماحلك على هذا قال إنى حسبت ما بين الضغ إلى الاستفاف سبعين تسمية لما مضت الحزب منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضعه في الضغ وكل خسر من العمر جوهره فقيمة لا قيمة لها فينبغي أن يستوفي منه خزائنه باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه إلى ذكر الله وطاعته . ومن جملة ما يستمر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقته . ومن جملة الصوم فانه تيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة وإنما يستحضرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا وأطمأنوا بها . يظنون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال : من شبع دخل عليه ست آفات قد حلاوة للناجاة وتضر حفظ الحكمة وحرمان الثقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وتقل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول للساجد والشباع يدورون حول للزابل . القائلة الثامنة : يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فان سببا لكثرة الأكل وحصول فضة الأخلاط في اللمة والعروق ثم للرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والنكر وينفس العيش ويهوج إلى القصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج إلى مؤن وتفتات لا يخلو الانسان منها بعد التعب عن أنواع من اللعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله . حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لاداء فيه فقال الهندي الدواء الذي لاداء فيه عندي هو الإهليلج الأسود وقال العراقي هو حب الرشاد الأبيض وقال الرومي هو عندي للماء الحار وقال السوادي وكان أعلمهم الإهليلج بنفس اللمة وهذا داء وحب الرشاد يزلق اللمة وهذا داء وللماء الحار يرخي اللمة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذي لاداء معه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشفيه وأن ترفع يدك عنه وأنت تشفيه قالوا صدقت . وذكر بعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم « ثلث الطعام ثلث للشرب وثلث للنفس »<sup>(١)</sup> فحب من وقال ما صنعت كلاما في قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم « البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد »<sup>(٢)</sup> وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذلك وقال ابن سالم :

(١) حديث ثلث الطعام ثلث لله أيضا (٢) حديث البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا

قال أنا أبو القنبح  
المروزي قال أنا أبو نصر  
الترقي قال أنا أبو محمد  
الجراحي قال أنا  
أبو العباس الحبوبي  
قال أنا أبو عيسى  
الترمذي قال حدثنا  
زياد بن أيوب قال  
حدثنا المحاربي عن  
ليث عن عبد الملك عن  
عكرمة عن ابن عباس  
رضي الله عنهما عن  
النبي صلى الله عليه وسلم  
قال « لا تمار أخاك ولا  
تعد موعدا فتخلفه »  
وفي الخبر « من ترك  
الراء وهو يعلم به  
بيت في ريش الجنة  
ومن ترك للراء وهو  
حق بي له في وسطها  
ومن حسن خلقه بي له  
في أعلاها » . وأخبرنا  
شيخنا شيخ الاسلام  
أبو النجيب قال أنا

من أكل خبز الخطة عنها بأدب لم يعتل إلا علة للوت قيل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع . وقال بعض أفاضل الأطباء في ذم الاستكثار إن أضع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته الملح ولأن يقلل من الملح خير له من أن يستكثر من الرمان وفي الحديث « صوموا تصحوا » (١) ففي الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرها . الفائدة التاسعة : خفة اللثة فإن من تعود قلة الأكل كفاء من اللال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريبا ملازما له أخذنا بمخفته في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل للداخل فيكتسب من المحرام فيصبي أو من الحلال فيذل وربما يحتاج إلى أن يمد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية اللذ والتمتع وللؤم خفيف للؤنة . وقال بعض الحكماء إن لأفنى عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح قلبي . وقال آخر إذا أردت أن استقرض من غيري لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان إبراهيم بن آدم رحمه الله يسأل أصحابه عن سر المأكلولات فيقال إنها غالية فيقول أرخصوها بالترك . وقال سهل رحمه الله الأكل مذموم في ثلاثة أحوال : إن كان من أهل العيادة فيكسل وإن كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه . وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والعرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها وهي أبواب النار وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم « أدبوا قراع باب الجنة بالجوع » فمن تفتح برغيف في كل يوم قطع في سائر الشهوات أيضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهمهم تجارة ولا يسع عن ذكر الله وإنما لا تلهمهم لاستغنائهم عنها بالقلعة وأما المحتاج فقلبه لاهلته . الفائدة العاشرة : أن يتمكن من الإتيار والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته (٢) كما ورد به الخبر فأيأكله كان خزائنه الكنيف وما يتصدق به كان خزائنه فضل الله تعالى فليس لغيره من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو ليس فأبلى فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع . وكان الحسن رحمه الله عليه إذا تلا قوله تعالى « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا » قال عرضنا على السموات السبع الطباق والطرائق التي زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحمِلين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فقال لا ، ثم عرضها كذلك على الأرض فأبَتْ ثم عرضها على الجبال التهم الشوامخ الصلاب الصباب فقال لها هل تحمِلين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ، ثم عرضها على الإنسان فحملها إنه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه وقدا ينام والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافا فإذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وأمنوا براديتهم وأهزلوا دينهم وأصبوا أنفسهم بالسدود والرواح إلى باب السلطان يتعرون كل بدن بما اعتاد لم أجده أصلا (١) حديث صوموا تصحوا الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث كل امرئ في ظل صدقته من حديث عقبة بن مضر وقد تقدم .

أبو عبد الرحمن  
السهروردي عهد بن  
أبي عبد الله السالبي  
قال أنا أبو الحسن  
عبد الرحمن الداودي  
قال أنا أبو محمد عبد الله  
ابن أحمد الحموي قال أنا  
أبو محمد عيسى  
المرقندي قال أنا  
أبو محمد عبد الله بن  
عبد الرحمن الداربي  
قال حدثنا يحيى بن  
بسطام عن يحيى بن  
حمزة قال حدثنا النعمان  
ابن مكيحول عن ابن  
عباس رضي الله عنهما  
قال قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم « من  
طلب الصل ليأبى به  
الطعام أو يجارى به  
السفاه أو يريد أن  
يقبل بوجوه الناس  
إليه أدخله الله تعالى  
جهم » انظر كيف

فلباء وهم من الله في عافية يقول أحدهم تبعني أرض كذا وكذا وأزبدك كذا وكذا يتسكى على  
ضماله يأكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى إذا أخذته الكلفة ونزلت به البطنة قال  
يا غلام اتقي جبي\* أحضرم به طعامي بالكعب أطعمك تهمز إنما دينك تهمز ابن الفقير ابن الأرملة  
ابن للسكين ابن اليتيم الذي أمرك الله تعالى بهم فهذه إشارة إلى هذه القائمة وهو صرف فاضل  
الطعام إلى الفقير ليذكر به الأجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه \* ونظر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل مدين البطن فأومأ إلى بطنه بأبصمه وقال : لو كان هذا في غير  
هذا لكان خيرا لك (١) أي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك . وعن الحسن قال والله لقد أدركت  
أقواما كان الرجل منهم يسمى وعنده من الطعام ما يكفيهِ ولو شاء لأكله ليقول والله لأجعل هذا  
كله لبطني حتى أجعل بطني لله فهذه عشر فوائد للجوع يتشبع من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها  
ولا تنافي فواللهما فالجوع خزنة عظيمة لفوائد الآخرة ولأجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح  
الآخرة وباب الزهد والتبضع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الأخبار التي رويها  
وبالوقوف على خصم هذه الفوائد تدرك معاني تلك الأخبار إدراك علم وبصرة فإذا لم تعرف هذا  
وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة للتقدين في الإيمان والله أعلم بالصواب .

### ( بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن )

اعلم أن على المرء في بطنه وما كوله أربع وظائف : الأولى أن لا يأكل إلا حلالا فإن العبادات مع  
أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال  
والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تهدير قدر الطعام في القوة والكثرة وتهدير وقته  
في الإبطاء والسرعة وتعيين الجنس للأكل في تناول للشهيات وتركها . أما الوظيفة الأولى : في تقليل  
الطعام فسيبيل الرياضة فيه التدرج في اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحتمله  
مزاجه وضمف وعظمت مشقته فينبغي أن يتدرج إليه قليلا قليلا وذلك بأن ينقص قليلا قليلا  
من طعامه المتاد فإن كان يأكل رغيفين مثلا وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد فينقص كل  
يوم ربع سبع رغيف وهو أن ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا أو جزءا من ثلاثين جزءا  
فيرجع إلى رغيف في شهر ولا يستعز به ولا يظهر أثره فإن شاء فعل ذلك بالوزن وإن شاء بالمشاهدة  
فترك كل يوم بمقدار قمة وينقص مما أكله بالأمس ثم هذا فيه أربع درجات أنصاه أن ردت نفسه  
إلى قدر القوام الذي لا يبق دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري رحمة الله عليه إذ  
قال إن الله استبد الخلق بثلاث : بالحياة والعقل والقوة فإن خاف البدن على اثنين منها وهي الحياة  
والعقل أكل وأفطر إن كان سائما وتكلف الطلب إن كان فقيرا وإن لم ينفع عليهما بل على القوة  
قال فينبغي أن لا يبالى ولو ضف حتى صلى قاعدا وراى أن صلاته قاعدا مع ضف الجوع أفضل  
من صلاته قائما مع كثرة الأكل . وسئل سهل عن بدائته وما كان يقات به فقال كان قوتي في كل  
سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدهم ديسا وبدهم دقيق الأرز . وبدهم متنا وأخط الجوع وأسى  
منه ثلاثة وستين أكرة آخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها قبله فبالساعة كيف تأكل قال بشر حد  
ولا توق . ونحو عن الرهايين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام . الدرجة الثانية  
أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم واليلة إلى نصف مد وهو رغيف وشي\* مما يكون الأرضية منه منا

(١) حديث نظر إلى رجل مدين البطن فأومأ إلى بطنه بأبصمه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان  
خيرا لك أحمد ذلك في السندرك والبيهقي في الشعب من حديث جملة الجشمي وإسناده جيد .

جعل رسول الله صلى  
الله عليه وسلم للبراة  
مع السفهاء سيما  
لدخول النار وذلك  
بظهور رثوسهم في طلب  
القهو والنلبة والقهو  
والفلسة من صفات  
الشيطنة في الأدب .  
قال بعضهم : المجادل  
للمازى يضع في نفسه  
هذه الخوض في  
المجادل أن لا يفتح  
جبي\* ومن لا يفتح إلا  
أن لا يفتح لها إلى  
قناعته سبيل نفس  
الصوفي تبدلت صفاتها  
ونهب عنه صفة  
الشيطنة والسببية  
وتبدل بالبين والرفق  
والسهولة والطمانينة  
روى عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
أنه قال : هو الذي نسي  
يده لا يسلّم عبدا

ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق القنات لأن هذه الصفة في الجمع لثقله فهو لما دون الصرة وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه إذ كان يأكل سبع قم أو تسع قم . الدرجة الثالثة : أن يردا إلى مقدار الدوهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين ويكاد ينتهي إلى ثلث البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبق شيء للذكر وفي بعض الألفاظ ثلث للذكر بدل قوله لنفس . الدرجة الرابعة : أن يزيد على الثلث إلى الثلث ويشبه أن يكون ما وراء الثلث إسرافا غافقا لقوله تعالى ولا تسرفوا أنفي في حق الأكثرين فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالنسب والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدر فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويتجشده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الأغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفا أو رغيفين فلا يتيقن له حد الجوع الصادق ويشبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات : أحدها أن لا تطالب النفس الأدم بل تأكل الحبز وحده بشهوة أي خبز كان فهما طلبت منه خبزا بينه أو طلبت أدما فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يصدق فلا يقب القباب عليه أي لم يبق فيه هدنة ولا دسوسة فبدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك فامض فالصواب للمريء أن يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضره عن العبادة التي هو بسدها فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوة تولى الجملة فتقدر الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص ، نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فإذا أكلوا القمح اقتنوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة أربعة أمدا فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن واحتيج في القوم إلى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبو ذر رضي الله عنه يقول طمأني في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيئا حتى ألقاه فأنى صمته يقول « أقربك مني مجلسا يوم القيامة وأجسك إلى من مات على ما هو عليه اليوم » (١) وكان يقول في إنكاره على بعض الصحابة قد غيرتم بنخل لكم الشعير ولم يكن بنخل وخبرتم للرقق وجمعت بين إدامين واختلف عليكم بأولان الطعام وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ وكان قوت أهل الصفة مد من تمرين اثنين في كل يوم (٢) والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى . وكان الحسن رحمته الله عليه يقول المؤمنين مثل العنزة يكفيه الكف من الحشف والبضة من السويق والجربة من الماء والمناق مثل السبع الضاري بلما يلعا وسطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه فضله وجهوا هذه الفضول أمامكم ، وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيط لكان قوت المؤمنين منها حلالا لأن أكل المؤمنين عند الضرورة بقدر القوام قطع . الوظيفة الثانية : في وقت الأكل ومقدار تأخيرها وفيه أيضا أربع درجات : الدرجة العليا أن يطوي ثلاثة أيام فما فوقها وفي الردين من رد الرياضة إلى الطبي لا إلى القدار حتى انتهى بمضمهم إلى ثلاثين يوما وأربعين يوما وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن إبراهيم ورحيم وإبراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحضن العابد الصمعي والسلم ابن سعيد وزهير وسليمان الحواص وسهل بن عبد الله التستري وإبراهيم بن أحمد الحواص وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة أيام وسكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة أيام

(١) حديث أبي ذر أقربكم مني مجلسا يوم القيامة وأجسك إلى من مات على ما هو عليه اليوم أحد في كتاب الزهد ومن طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله وأجسك إلى وهو منقطع (٢) حديث كان قوت أهل الصفة مد من تمرين اثنين في كل يوم له ومحمد بإساده من حديث طلحة البصري .

حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه ، انظر كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم من شرط الاسلام سلامة القلب واللسان وروى عنه عليه السلام أنه من يقوم وهم يحدون حجرا قال ما هذا قالوا هذا حجر الأعداء قال ألا أخبركم بأعد من هذا رجل كان بينه وبين أخيه غضب فأناه فظلم شيطانه وشيطان أخيه فكلمه وروى أنه جاء غلام لأبي ذر وقد كسر رجلا شاة فقال أبو ذر من كسر رجلا هذه الشاة قال أنا قال ولم قلت ذلك قال عدا أغضبك فغضبني

وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبما . وروى أن الثوري وإبراهيم بن آدم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستمينون بالجوع على طريق الآخرة . قال بعض العلماء من طوى قد أربعين يوما ظهرت له قدرة من اللسكوت أي كوشف بعض الأسرار الإلهية . وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة من رهاب قد كره بحاله وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من التورور فكله في ذلك كلاما كثيرا إلى أن قال له الراهب إن السبع كان يطوى أربعين يوما وإن ذلك معجزة لا تكون إلا للبي أو صديق قال له الصوفي فإن طويت خمسين يوما ترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم أنه حق وأنت على باطل ؟ قال نعم فجنس لا يرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأزيدك أيضا فطوى إلى عام الستين فتصعب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز للسبع فكان ذلك سبب إسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يملأها إلا مكشف محمول شغل بعشادة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في الله وأنساه جوعته وحاجته . الدرجة الثانية: أن يطوى يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة . الدرجة الثالثة : وهي أدها أن يقتصر في اليوم واليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حلة جوع وذلك فضل للترفين وهو بعيد من السنة فقد روى أبو سعيد الحدرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تقدى لم يتش وإذا تشى لم يتعد (١) وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة وقال النبي ﷺ لعائشة وإياك والسرف فإن أكلتين في يوم من السرف وأكلة واحدة في كل يومين إقتاروا أكلتي في كل يوم قوم بين ذلك (٢) وهو المحمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سرفا قبل طلوع الفجر فيكون أكلة بعد التهج وقبل الصبح فصله لجوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفرار اللذة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس إلى العاوم فلا تازعه قبل وقته . وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا فطعنوا أن لا يقوم حتى تقوم قدامه وما واصل وصالحكم هذا قط غير أنه قد أخر الفطر إلى السحر (٣) وفي حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان النبي ﷺ يواصل إلى السحر (٤) فإن كان يفتت قلب الصائم بعد التقرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهج فالأولى أن يقيم طعامه فصين فإن كان رغيين مثلا أكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف بدنه عند التهج ولا يشد النهار جوعه لأجل التسحر فيستعين بالرغيف الأول على التهج وبالتانى على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الفطر ويوم صومه وقت السحر فهذا الطريق في مواقيت الأكل وتباعده وتعارفه . الوظيفة الثالثة : في نوع الطعام وترك الادام أو أعلى الطعام مع البر فإن خل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخل وأدناها شعير لم ينخل وأعلى الأدم اللحم والحلاوة وأدناها للحم (١) حديث أبي سعيد الحدرى كان إذا تقدى لم يتش وإذا تشى لم يتعد لم أجده له أصلا (٢) حديث قال لعائشة إياك والاسراف فإن أكلتين في يوم من السرف البيق في الشعب من حديث عائشة وقال في إسناده ضعف (٣) حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة ما قام رسول صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان لا يقوم حتى تزلع قدامه رواه مختصرا كان صلى الله عليه وسلم يواصل إلى السحر (٤) حديث عائشة كان يواصل إلى السحر لم أجده من قبله وإنما هو من قوله فأياكم أراد أن يواصل فيواصل حتى السحر رواه عن حديث أبي سعيد ما هو فساكن يواصل وهو من خصائصه

فأثم قال أبو ذر لأعظم من حرك على غيظي فأعفته . وروى الأصمعي عن أعرابي قال إذا أشكل عليك أمران لا تدرى أيهما أرشد غلبت أقربهما إلى هوائك فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن طي قال أنا خورشيد قال ثنا إبراهيم بن عبد الله قال ثنا أحمد بن محمد ابن سلم قال ثنا زهير ابن بكر قال ثنا سعيد ابن سعد عن أخيه عن جده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال



والحل وأوسطه للزورات بالأدهان من غير لحم. وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فإن كل قديد يشتهي الانسان وأكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وأتأسا له. بلادت الدنيا حتى يألفها ويكره للوت ولقاء الله تعالى وتصور الدنيا جنة في حقه ويكون للوت سبحانه وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرما لذاتها صارت الدنيا سجناء عليه ومضيقا له فاشتبهت هذه الافلات منها فيكون اللوت إطلاقها وإليه الاشارة بقول يحيى ابن ساذ حيث قال معاشر الصديقين جو عوا أعسكم لولية الفردوس فإن شهوة الطعام على قدر تجويع النفس فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول بإعادة ذلك. فذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من الباحت وتعلم الخطر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم « شرار أمق الدين يأكلون مع الحنطة (١) » وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يص ومن دام عليه أيضا فلا يصح يتناوله ولكن تتركه عنه بالنهم فتأس بالدنيا وتأنف اللذات وتسمى في طلبها فيجرها ذلك إلى المصاعى فهم شرار الأمة لأن مع الحنطة يقدوم إلى التحام أمور تلك الأمور مصاعى وقال صلى الله عليه وسلم « شرار أمق الدين غلدوا بالنهم ونبتت عليه أجسامهم (٢) » وإنما همهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشددون في الكلام وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فإن ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الأطعمة وتجرى النفس عليها وراوا أن ذلك علامة الشقاوة وراوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى أن وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الزابعة فقال أحدهما للآخر من أين؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتاء فلان اليهودى لعنه الله وقال الآخر أمرت باهرق زيت اشتاء فلان العابد فهدا تنبيه على أن يسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بسل وقال اعزلوا عن حسابها فلاعبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما أوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتبهى مكة طرية فالتفت له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت إليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للفلام لهما برغيها وادفعها إليه فقال له الفلام أصليحك الله قد اشتبهت منك كذا وكذا فلم يجدها فلما وجدت اشتريتها بدرهم ونصف فحن نعليه منها قال لهما وادفعها إليه ثم قال الفلام لسائل لك أن تأخذ درهما وترتكها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها وأتى بها فوضعا بين يديه وقال قد أعطيت درهما وأخذتها منه فقال لهما وادفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم فأتى سميت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتبه شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء

(١) حديث شرار أمق الدين يأكلون مع الحنطة لم أجده أصلا (٢) حديث شرار أمق الدين غلدوا بالنهم الحديث ابن عدى في الكامل ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلا قال المارقي في العلل إنه أشبه بالصواب ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة باستناد لأبأس به (٣) حديث نافع أن ابن عمر كان مريضا فاشتبهى مكة الحديث وفيه سميت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرئ اشتبه شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب باستناد ضعيف جدا ورواه ابن الجوزى في اللوضعات

« ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات غشية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند غضب والرضا والاقتصاد عند الفقر والفقر وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإهمال للرب بنفسه فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لا يصح إلا من عاينها أمير على نفسه يصرفها بقل حاضر وقلب يقظان ونظر إلى الله بحسن الاحتساب . قبل أنهم كانوا يتوضأون عن إبداء السلم يقول بعضهم لأن أتوضأ من كذا خبيثة أحب إلى من أن أتوضأ من طعام طيب . وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الحدث

القرع فضلى الدنيا وأهلها السمار<sup>(١)</sup> أشار إلى أن التصودود ألم الجوع والعطش ودفع ضرر هادن التمتع بجات الدنيا ، وبلغ عمر رضى الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمني فأعلمه فدخل عليه فحرق عشاؤه فأثوه بشريد لحم فأكل معه محرثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف حمريه وقال الله لزيد بن أبي سفيان أطعمهم بعد طعام والى نفس حمريه لئن خالقم عن ستمهم ليخالفن بك عن طريقهم ، وعن يسار بن عمير قال ما خلت لمر دقيقا قط إلا وأنا له ماض ، وروى أن عتبة الغلام كان يبعث دقيقه ويغفقه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يثأ في الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ السكر فيفرقه به من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو أعطيتني دقيقك غفرته لك وردت لك الماء فيقول لها يا أم فلان قد شردت عنى كلب الجوع . قال عتيق بن إبراهيم : لقيت إبراهيم ابن آدم بمكة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم يكنى وهو جالس بناحية من الطريق فمدت إليه وقعدت عنده وقلت ليعنى هذا البكاء يا أبا إسحاق فقال خير فادوته مرة واثنين وثلاثا فقال يا عتيق استر عني قلت يا أخى قل ما حدثت فقال لي اشبهت نفسي منذ ثلاثين سنة سكباجا فنسيتها جهدي حتى إذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني التماس إذا أنا بقى شاب بيده قدح أخضر يملأ منه خمار ورائحة سكباج قال فاجتمعت به حتى عنه فحرقه وقال يا إبراهيم كل قتل ما أكل قد تركته لله عز وجل فقال لي قد أطعمك الله كل ما كان لي جواب إلا أني بكيت فقال لي كل رحمك الله قلت قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم فقال كل ما أكل الله فأعطاها فقيل لي يا خضر اذهب بهذا وأطعمه نفس إبراهيم بن آدم قد رحمها الله من طول صبرها على ما جعلها من منها . اعلم يا إبراهيم أني سمعت للأنبياء يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يسط قتل إن كان كذلك فما أنا بين يديك لأجل القد مع الله تعالى ثم التفت فاذا أنا بقى آخر ناوله شيئا وقال يا خضر لعمرك أنت فلم يزل يلقي حتى نست فالتفت وحلاوته في نفسي ، قال عتيق قلت أرى كنفك فأخذت بكفه قبلتها وقلت يا من يطعم الجبابرة الشهوات إذا صحوا للنعم يا من يقدح في الضمير اليقين يا من يشفي قلوبهم من عجبته أرى لعتيق عندك حالا ثم رفس يد إبراهيم إلى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وقدر صاحبه وبالجمود الذي وجد منك جد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك قال قام إبراهيم ومشى حتى أدر كنا البيت . وروى عن مالك بن دينار أنه بقى أربعين سنة يشتهي لبنا فلم يأكله وأهدى إليه يوما رطب قال لأصحابه كلوا فاذنعه منذ أربعين سنة . وقال أحمد بن أبي الحواري : اشتهى أبو سليمان الداراني رغيفا حارا بطلع فلفته به إليه ففرض منه عنة ثم طرحه وأقبل يسكى وقال عجلت إلى شهوتي بعد إطالة جهدي واشتوقني فدمعزمت على التوبة فألقى قال أحمد فإرأيت أكل للبح حتى لقي الله تعالى ، وقال مالك بن خنيم مررت بالبصرة في السوق فنظرت إلى البقل فقالت لي نفسي لو أطعمتني البقلة من هذا فأقسمت أن لا أطعمها إلا أربعين ليلة ، ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بيرة قط وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بيرة فما زاد فيكم ما قصص منى ولا قصص منى ما زاد فيكم وقال طلفت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي لبنا منذ أربعين سنة فوالله لا أطعمها حتى ألحق بالله تعالى وقال حماد بن أبي خنيفة آتيت داود الطائي والباب مغلق عليه فسمعت يقول نفسي اشتهيت جزرا فأطعمتك جزرا ثم

حدثان حدث من فربك وحدث من فيك فلا يحل حبة هو قارو الحالم إلا التنب وخرج عن حد المدل إلى المدولان يتجاوز الحد بالضب يتوردم القلب فان كان الضب على من فوقه عما يجز من إفاذ الضب فيه ذهب الدم من ظاهر الجلود واجتمع في القلب وصير منه الهم والحزن والآنكاد ولا ينطوى الصوفي على مثل هذا لأنه يرى الحوادث والإعراض من الله تعالى فلا ينكد ولا ينتم والصوفي صاحب الرضا صاحب الروح والراحة والتي عليه السلام أخبر أن الهم والحزن في الشك والسخط . مثل عبد الله بن

(١) حديث إذا سددت كلب الجوع وبغضوكوز من الماء القرع فضلى الدنيا وأهلها السمار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف .

اشترت نمرًا فأكلت أن لا تأكله أبدًا فسلمت ودخلت فإذا هو وحده ومراً أبو حازم يوماً في السوق  
 فرأى الفأكة فاشترها فقال لانه اشترنا من هذه الفأكة للقطوعة للمنوعة لئلا نذهب إلى الفأكة  
 التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشترها وآتى بها إليه قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت ولم تشرى وغلبتني  
 حتى اشترت والله لا أدتيه فبعت بها إلى يثام من القراء ، وعن موسى الأشعج أنه قال قسى تشهى  
 ملها جريشاً منذ عشرين سنة ، وعن أحمد بن خليفة قال قسى تشهى منذ عشرين سنة ما طلبت  
 مني إلا للماء حتى تروى في أوروبا ، وروى أن عتبة الغلام اشترى لحماً مبيع سنين فلما كان بعد ذلك قال  
 استجيت من قسى أن أدفعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشترت قطعة لحم على خبز وهونياً  
 وتركها في مرغيف فظنبت صيا قلت ألت أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فتاوتك إياها قالوا  
 وأقبل بيكي ويغمر - ويطمعون الطعام على حبه مسكينا ويتيا وأسيراً - ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث  
 يشهى نمرًا سنين فلما كان ذات يوم اشترى نمرًا بغير ماء ورفعه إلى الليل ليفطر عليه قال فبعت ربع  
 شديدة حتى أظلمت الدنيا ففرغ الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذا لجراعتي عليك وشرائي النمر  
 بالبراط ثم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس إلا بدينك في أن لا تذوقيه . واشترى داود الطائي بنصف  
 فاس بطلا وبلس خلا وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم  
 لم يأكل بعده إلا قناراً وقال عتبة الغلام يوماً لعبد الواحد بن زيد إن فلاناً يصف من نفسه منزلة ما أعرفها  
 من نفسه قال لأنك تأكل مع خبزك نمرًا وهو لا يزيد على الخبز شيئاً قال فإن أنا تركت أكل النمر عرفت  
 تلك للزلة قال نعم وغيرها فأخذ بيكي فقال له بعض أصحابه لا بكي الله عينك أكل النمر بيكي قال  
 عبد الواحد دعه فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو إذا ترك شيئاً لم يساوده . وقال جعفر بن  
 نصر أمرني الجليد أن اشترى له الثين الوزري فلما اشترته أخذ واحدة عند القطور فوضها في فيه  
 ثم ألقاها وجعل يبيكي ثم قال أحبه فقلت له في ذلك قال هتف في هاتفها ما تشهى تركته من أجل  
 ثم تعود إليه ، وقال صالح المري قلت لمطاع السلمي إن مكلفك شيئاً فلا ترد في كرامتي قال أهل  
 ما ريد قال فبعت إليه مع ابنى شربة من سوق فدلته بسمن وعسل فقلت لا تبرح حتى يشربها فلما  
 كان من القد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فابتنه ولته على ذلك وقلت سبحان الله رددت على  
 كرامتي فلما رأى وجدى لذلك قال لا يسوؤك هذا إنى قد شربتها أول مرة وقد راودت قسى في المرة  
 الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى - يتجرعه ولا يكاد يسيئه -  
 الآية . قال صالح فكيف قلت في قسى أنا في واد وأنت في واد آخر ، وقال السري السقطي قسى منذ  
 ثلاثين سنة تطالبني أن أغشى جزيرة في ديس فأطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء أعرف رجلاً يقول له  
 نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام وأطعمني بعد ذلك شهوة أشترها فيقول لها لا أريد أن تطوى  
 عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة . وروى أن أبا داود دعا بعض إخوانه قارب إليه رغفاناً فجعل  
 أخوه يقبل الأرفغة ليضار أجودها فقال له المايد ما أى شيء تصنع أما علمت أن في الرغبة الذى  
 رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صائناً حتى استدبر من السحاب الذى يعمل للماء  
 ولله الذى يسقى الأرض والرياح والبهائم وبني آدم حتى صار إليك ثم أنت بعد هذا تحبه  
 ولأرضه وفي الخبر لا يستدبر الرغبة ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثة وستون صائناً أولهم  
 ميكائيل عليه السلام الذى يكيل للماء من خزائن الرحمة ثم ثلاثون الذى ترحى السحاب والشمس والقمر  
 والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الحياض - وإن تمدوا فمة الله لا تحسوها - (١)

(١) حديث لا يستدبر الرغبة ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثة وستون صائناً أولهم ميكائيل

عباس رضى الله عنهما  
 عن التميمي والنسب قال  
 خرجنا واحداً والنفس  
 تختلف فمن نازع من  
 يتوى عليه أظهره  
 غضباً ومن نازع من  
 لا يتوى عليه كسبه  
 حزناً والحرد غضب  
 أيضاً ولكن يستعمل  
 إذا قصد للضرب عليه  
 وإن كان الغضب على  
 من يشاكله ويعاينه  
 فمن يتردد في الانتقام  
 منه يتردد القلب بين  
 الاقباض والانبساط  
 فيتولد منه الفل والحقد  
 ولا يأتى مثل هذا إلى  
 قلب الصوفي قال الله  
 تعالى - وزعنا ما في  
 صدورهم من غل -  
 وسلامة قلب الصوفي  
 وحاله يقذف به القتل  
 والحقد كما يقذف البحر  
 الزبد لما فيه من تلاطم

وقال بعضهم أيت قاسما الجرعى فسأته عن الزهد أى شئ هو فقال أى شئ سمعت فيه صدقت أقوالا فسكت قلت وأى شئ تحول أنت قال : اعلم أن البطن دينا البعد فيقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد ويقدر ما يملك بطنه يملك الدنيا ، وكان جر بن الحرث قد اعتل مرة فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شئ يوافقه من لأ كولات فقال تسألنى فلذا وصفت لك لم تجبل متى قال صلى حتى أصبح قال تصرب بسكنجبين ونعس صرجلا وتأكل بعد ذلك أسفيداجا فقال له جرهل قلم شيئا أقل من السكتبين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الهندباج الحلى ثم قال أنصرف شيئا أقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الحرثوب الشامى قال أنصرف شيئا أقل من الأسفيداج يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء الحمص بسمن البقر فيمناه فقال له عبد الرحمن أنت أعلم متى بالطب فلم تسألنى ، قد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الأثوات وكان امتناعهم لقوائد التي ذكرناها وفي بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرضوا لأنفسهم إلا بقدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان اللع شهوة لأنه زيادة في الحيز وما وراء الحيز شهوة وهذا هو التباية ، فمن لم يقدر على ذلك فينبى أن لا يغفل عن نفسه ولا ينمك في الشهوات فشكى بالمرء إسرافا أن يأكل كل ما يشتهيه ويغفل كل ما هو فيه فينبى أن لا يواطىء على أكل اللحم . قال على كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما شاء خلقه ومن دوام عليه أربعين يوما فسأله ، وقيل إن للدائمة على اللحم ضراوة كضراوة الحمر ومهما كان جائعا وتأقت نفسه إلى الجماع فلا يبنى أن يأكل ويجماع فيعطى نفسه شهوتين فتغوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لينشط في الجماع ، ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعدا الفتور ويسوقه لذلك ولكن ليعمل أولي على فيذكر الله تعالى فإنه أقرب إلى الشكر ، وفي الحديث «أذيوأ طعامكم بالذكر والصلاة ولا تأموا عليه فتسوق قلوبكم» (١) وأقل ذلك أن يصل أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو قرأ جزءا من القرآن غيبا كله ، فقد كان سفيان الثوري إذا شبع ليلة أحياءها وإذا شبع في يوم وأصه بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجى وكده ومرة يقول أشبع الحمار وكده ومهما أشفى شيئا من الطعام وطيبات القواكه فينبى أن يترك الحيز ويأكلها بدلا منه لتكون قوتنا ولا تكون نكها لئلا يجمع للنفس بين عادة شهوة . نظرسهل إلى ابن سالم وفي يده خبز وتم قال له أبدا بالقرآن قامت كفايتك به ولا أخذت من الحيز جده بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا أو غليظا فليقدم الطيف فانه لا يشتهى الغليظ جده ولو قدم الغليظ لأكل الطيف أيضا لطافته وكان بعضهم يقول لأصحابه لا تأكلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فإن طلبتموها فلا تحبوها واطلب بعض أنواع الحيز شهوة قال عبدالله بن عمر رحمته الله عليهما ما تأتينا من العراقي فأكهة أحب إلينا من الحيز فرأى ذلك الحيز فأكهة ، وعلى الجلة لاسيل إلى إجمال النفس في الشهوات الباحات وإتباعها بكل حال فيقدر ما يستوفى البعد من شهوته يخشى أن يقال له يوم القيامة أذهبت طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها . ويقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة نازعتنى نفسى خبز أرز وحما ففحصتها فتبينت مطالبها واشتدت مجاهدتى لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام قلت ماذا فعل لك قال لا أحسن أن أضمتا فتلقى ربي من النعم والكرامات وكان أول شئ استبغنى به خبز أرز ومكاو قال كل اليوم شهوة كنت حينئذ خير حساب وقد قال تعالى - كلوا واشربوا هنيئا

أمواج الأنس والمنية وإن كان النضب على من دونه ممن يقدر على الانتقام منه تاردم القلب والقلب إذا تاردمه يحمر ويقسو ويتصلب وتذهب عنه الرقة واللباس ومنه تحمر الوجنتان لأن الدم في القلب تاروطلب الاستملاء وانفضت منه العروق فظهر عكسه وأثره على الحد فيمتدى الحدود حينئذ بالضرب والقتل ولا يكون هذا في الصوفى إلا عند هناك الحرمات والنضب فيه تعالى فأما في غير ذلك فينظر الصوفى عند النضب إلى الله تعالى ثم يتقوا تحسه على أن يزن حرصه وقوله

الحديث لم أجده أصلا (١) حديث أذيوأ طعامكم بالصلاة والذكر ولا تأموا عليه فتسوق قلوبكم طس وابن السني في اليوم واليلة من حديث عائشة بسند ضعيف .

عيا أسلفتم في الأيام الحالية - وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات وقد قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أتبع القلب من صيام سنة وقيامها وتغنا الله لما يرضيه .

( بيان اختلاف حكم الجوع ونقصه واختلاف أحوال الناس فيه )

اعلم أن للطلاب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوساطها ولا طرفي قصد الأمور ذميمة وما أردناه في فضائل الجوع ربما يومي\* إلى أن الإفراط فيه مطلوب وهيئات ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في النقص منه على وجه يومي\* عند الجاهل إلى أن للطلاب مضادة ما يفتش الطبع بفاية الامكان والعالم يدرك أن القصد الوسط لأن الطبع إذا طلب فاية الشبع فالشرع يبين أن يمدح فاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاولان ويحصل الاعتدال فإن من قدر على قمع الطبع بالسكينة بعيد فيعلم أنه لا يتيسر إلى الغاية فانه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا ما يدل على إساءته كما أن الشرع بالغ في التثا على قيام الليل وصيام التهارثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهي عنه<sup>(١)</sup> فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل لا يفتقر إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بشغل للعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فإن مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة البادة وتقل للعدة ينعم من البادة وألم الجوع أيضا يشغل القلب وينع منها فالتقصود أن يأكل ألا لا يفتقر للمساكول فيه أو ليكون معشبا بالملائكة فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الإنسان الاقتداء بهم وإذا لم يكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال الطالب آدمي البعد عن هذه الأطراف للتغاية بالجوع إلى الوسط مثال نمة أقيمت في وسط حلقة محيطة بالدار مطروحة على الأرض فإن النمة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر في المركز الذي هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعدها عن الواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذا تلك الشهوات محيطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة بالنمة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطمع للإنسان في الخروج وهو يريد أن يشبه بالملائكة في الخلاص فأشبه أحواله بهم البعد وأبعد الواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوباً في جميع هذه الأحوال للتغاية وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم\* خير الأمور أوساطها<sup>(٢)</sup> وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - ومهما لم يحس الإنسان بجوع ولا شبع تيسرته البادة والفكر وخف في نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جموحا متشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط فلا اعتدال لا ينفعها بل لا بد من اللباسة في إيلامها بالجوع كما يبالغ في إيلام العادة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلامها ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مرينه بما لا يمتاطه هو في نفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع وعنه الفواكه الشهوات وقد لا ينعم هو منها لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجناح والامتناع عن البادة كلن الأملح لها الجوع الذي تحس بألمه في أكثر الأحوال لتتسكس نفسه وللتقصود أن تتسكس حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء أيضا إلى الاعتدال وإنما

(١) حديث الترمي عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله تقدم (٢) حديث خير الأمور أوساطها البين في الشعب مرسل وقد تقدم .

بميزان الشرع والمدل  
وبهم النفس بدم  
الرضا بالقضاء ، قيل  
ليضهم : من أقر  
الناس لنفسه قال  
أرضاهم بالمقدور  
وقال بعضهم أصبحت  
ومالي سرور لإمواقع  
القضاء ، وإذا تهيم  
الصوفي النفس عند  
النضب تداركه العلم  
وإذا لاح علم الصلح  
قوى القلب وسكنت  
النفس وعاد دم القلب  
إلى موضعه ومقره  
واعتدل الحال وفاضت  
حرمة الحد وبانت  
فضية العلم قال عليه  
السلام « الصمت  
الحسن والتؤدة  
والاقتصاد جزء من  
أربعة وعشرين جزءا  
من النبوة » - وروى  
حارثة بن قدامة قال

يجتمع من ملازمة الجوع من ماله طريق الآخرة إما صديق وإما مغرور أحق أما الصديق فلا سقاية نفسه على الصراط للستيم واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق وأما المغرور فلظنه بنفسه أنه الصديق للستين عن تأديب نفسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الأغلب فإن النفس كلما تأدب تأدبا كاملا وكثيرا ما تنظر تنظر إلى الصديق ومساعدته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمرضى ينظر إلى من قد صبح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيه كما والذي يدل على أن تقدير الطعام بتقدير يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وإنما هو مجاهدة نفس متناهية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يحول لا يغطر ويغطر حتى يحول لا يصوم <sup>(١)</sup> وكان يدخل على أهله فيقول «هل عندكم من شيء» فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني إذن صائم <sup>(٢)</sup> وكان يقدم إليه الشيء ويقول «أما إني قد كنت أردت الصوم ثم يأكل <sup>(٣)</sup>» وخرج <sup>(٤)</sup> يوما وقال «إني صائم» قال له عائشة رضي الله عنها: قد أهدى إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريه <sup>(٥)</sup>» وذلك حكي عن سهل أنه قيل له كيف كنت في بدايتك فأخبر بضروب من الرياضات منها أنه كان يثبات ورق التين مدة ومنها أنه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين ثم ذكر أنه أقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين قليل له فكيف أنت في وقتك هذا فقال أكل بلا حد ولا توقيت وليس الراد بقوله بلا حد ولا توقيت أني أكل كثيرا بل أني لا أقدر بحد ولا واحد ما أكله وقد كان معروف السكرخي يهدي إليه طيبات الطعام فيأكل قليل له إن أخاك جبرا لأياكل مثل هذا فقال إن أخى جبرا فيضه الورع وأنا بسطني العرفة ثم قال إنما أنا ضيف دار مولاي فإذا أطعمني أكلت وإذا جوعني صبرت مالي والاعتراض والتحيز ودفع إبراهيم بن آدم إلى بعض إخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدرام زبدا وعسلا وخبزا حواريا قليل يأنا إسحق بهذا كله قال وبك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا إليه قرا يسيرا فهم الأوزاعي والثوري فقال له الثوري يأنا إسحق أما تخاف أن يكون هذا إسرافا فقال ليس في الطعام إسراف إنما الإسراف في اللباس والأثاث فالتى أخذ العلم من البعاج والنقل تقليدا يرى هذا من إبراهيم بن آدم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال ما دخل بيتي للملح منذ عشرين سنة. وعن سري السقطي أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يمس جزرة في دبس فلا فعل فإراه متناظرا فيتحير أو يقطع بأن أحدهما غططه والبصر بأسرار القول يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسمعها فطن غطاط أو غي مغرور فيقول المختلط ما أنا من جملة العارفين حتى أسامح نفسي قليل نفسي أطوع من نفسي سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من المستعينين عن الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول ما نفسي بأعصى على نفسي معروف

(١) حديث عائشة كان يصوم حتى يحول لا يغطر ويغطر حتى يحول لا يصوم متفق عليه (٢) حديث كان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شيء فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني صائم ثم وحسنه ون من حديث عائشة وهو عند من نحوه كما سيأتى (٣) حديث كان يقدم إليه الشيء فيقول أما إني كنت أريد الصوم البقي من حديث عائشة بلفظ وإن كنت قد فرضت الصوم وقال إسناده صحيح وعند من قد كنت أصبحت صائما (٤) حديث خرج وقال إني صائم فقالت عائشة يا رسول الله قد أهدى إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريه م بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفي رواية له أدنيه فلقد أصبحت صائما فأكل وفي لفظ البقي إني كنت أريد الصوم ولكن قريه .

قلت يا رسول الله أوصني وأقلل ليلي أعبه قال لا تنضب فأعاد عليه كل ذلك يقول لا تنضب قال عليه السلام «إن النضب حمرة من النار ألم تنظروا حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه من وجد ذلك منكم فإن كان قائما فليجلس وإن كان جالسا فليضطجع» أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب ابن حنبل قال أنا أبو الفتح المحروى قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا الجراسمي قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن الفضل عن قرة بن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس رضي الله

الكرخي وإبراهيم بن آدم فقدرتهم وأرفع التقدير في ما كولى فانا أضاف في دابر مولى قالى وللاعتراض ثم إنه لو قصر أحد في حقّه وتوقيره أوفى ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحق بل رفع التقدير في الطعام والصيام وأكل الشهوات لايسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استمراره واتباعه ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكيفية حتى يكون أكله إذا أكل في ثنية كما يكون إمساكه بنية فيكون عاملاً لله في أكله وإفطاره فينبغي أن يتعلم الخدم من عمر رضوانه عنه فإنه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب السل وبأكله (١) ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة بمزوجة بصل جعل يدير الأناة في يده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى ثبها أعز لواغى حساسها وتركها وهذه الأسرار لايجوز لشيخ أن يكشفها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعو إلى الاعتدال فإنه يقصر لعمالة عما يدعو إليه فينبغي أن يدعو إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغنى عن الرياسة فإن الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيأتي إليه كل ساعة إنك عارف كامل وما الذى فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة إبراهيم الخواص أن يخوض مع الريد في كل رياضة كان يأمره بها كيلا يخطر بباله أن الشيخ بما يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته والقوى إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح الغير لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبههم وتلطفا في سياقتهم إلى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء وإذا كان أحد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالخدم والأحياط ينبغي أن لا يترك في كل حال وتلك أدب عمر رضي الله عنه ولله عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما بسمن ففلاه بالبردة وقال لأم لك كل يوما خبزاً ولحماً ويوما خبزاً ولبناً ويوما خبزاً وحمناً ويوما خبزاً وزيتاً ويوما خبزاً وملحاً ويوما خبزاً فقاراً وهذا هو الاعتدال فأما للوازلة على اللحم والشهوات فافراط وإسراف ومهاجرة اللحم بالكيفية إقتار وهذا قول من ذلك والله تعالى أعلم .

( بيان آفة الرياء التطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقل الطعام )

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات : إحداهما أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فقتلتها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهي فينقى الشهوة وبأكل كل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الحق . سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه قيل له هل تعلم به بأساً قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حتى البعد إذا اتى بالشهوات وحسب أن يظهرها فإن هذا صدق الحال وهو يدل عن فوات المجاهدات بالأعمال فإن إخفاء النفس وإظهار ضده من الكمال هو ضمانان متضاعفان والسكوب مع الإخفاء كذبان فيكون مستحقاً لقتلين ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين وتلك شدة أمر للتائقين فقال تعالى - إن للتائقين في البرك الأسفل من النار - لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وسترف كان ستره لكفره كفر آخر لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر الحقوقيين فيما الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والنس والاختفاء بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطاً لمرزقه من قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويمتلكها في البيت وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تلبس حاله ليصرف

(١) حديث كان يحب السل وبأكله متفق عليه من حديث عائشة كان يحب الحلواء والصل الحديث وفيه قصة شربه السل عند بعض شيوخه .

عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبد القيس « إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والأناة » ومن أخلاق الصوفية التودد والتألف والواقعة مع الإخوان وترك مخالفة قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقال الله تعالى - لو أنفقت مافي الأرض حبيما ما أنفقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - والتألف من اختلاف الأرواح على ماورد في الخبر الذي أوردناه فإخلاف منها التالف قال الله تعالى - فأصبحهم بنعمته

عن نفسه قلوب العالمين حتى يشوشون عليه حاله قهابة الزهد : الزهد في الزهد باظهار صنده وهذا عمل الصديق فانه جمع بين صدقين كما أن الأول جمع بين كذابين وهذا قد حمل على النفس قتلين وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برمي فلا جرم أولئك يؤتون أجرام مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من سبى جهورا فيأخذ ويرد سرا ليكرسه قسه بالبل جهورا بالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي أن يغوته إظهار شهوته وخصانه والصدق فيه ولا ينبغي أن يضره قول الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره إصلاحا لغيرك فانه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أمم عليه من غيره فهذا إنما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان عليه فيمرض إصلاح غيره فذلك تحمل عليه ظهور ذلك منه وإن علم أن من اطلع عليه ليس يقتدى به في القتل أو لا يترجر باعتقاده أنه تارك للشهوات . الآية الثانية : أن لا يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يصر فيه فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضئيفة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة شريتها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة أكد من كسر شهوة الطعام فليأكل كل فهو أولى له قال أبو سليمان إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركها فأسب منها شيئا يسرا ولا تلمسك منها فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد قصت عليا إذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق إذا قدمت إلى شهوة نظرت إلى شيء فإنها أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منها وإن أخفت شهوتها وأظهرت المزوب عنها فاقبها بالترك ولم ألتها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام وقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب ووقع إلى حية لأن شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق .

## (القول في شهوة الفرج)

اعلم أن شهوة الوقوع سلطت على الإنسان فالتفتد : إحداها أن يدركه فيقيس به لذات الآخرة فإن قلة الوقوع لو دامت لك كانت أقوى لذات الأجساد كأن النار وألاهما أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى معادتهم وليس ذلك إلا بآل محسوس وقصة محسوسة مدركة فإن ما لا يدرى بالدوق لا يعظم إليه الشوق . القاعدة الثانية : بقاء النفس ودوام الوجود فهذه قائمتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تقبض ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال وقد قيل في تأويل قوله تعالى - ربنا ولا تعجلنا لما لا طاقه لنا به - معناه شدة التلمذ . وعن ابن عباس « في قوله تعالى - ومن شر فاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر » وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه قال في تفسيره « الذكر إذا دخل وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله <sup>(١)</sup> » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « أعوذ بك من شر سمى وبصرى وقلي وهنى ومنى <sup>(٢)</sup> » وقال عليه السلام « النساء جبال الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال <sup>(٣)</sup> » روى أن موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضه ثم أتاه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من أنت فقال أنا إبليس فقال له لاجل الله ما جاء بك قال جئت لأسلم عليك فتركتك من الله ومكانته منه قال فما الذي رأيت عليك قال برنس اختطف به قلوب بني آدم قال فما

إخوانك . وقال سبحانه وتعالى - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - وقال عليه السلام « المؤمن آلف مألوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » وقال عليه السلام « مثل المؤمنين إذا اتعبوا مثل اليبدين تسفل إحداهما الأخرى وما اتقى مؤمنا ولا استغف أحدهما من صاحبه خيرا » وقال أبو إدريس الخولاني لعاد إن أحبك في الله فقال أجبر ثم أجبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينسب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوهم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس

(١) حديث ابن عباس موقوفا ومسندا في قوله تعالى - ومن شر فاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر وقال الذي أسنده الله كذا إذا دخل هذا حديث لا أصل له (٢) حديث الأهم إذا عوذ بك من شر سمى وبصرى وقلي وهنى ومنى تقدم في الدعوات (٣) حديث النساء جبال الشيطان الأصغرى في الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهني بسند فيه جهالة .



الذي إذا منه الانسان استحوذت عليه قال إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه وأحذرك ثلاثا لا تمل بامرأة لا تمل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تمل له إلا كنت صاحب دون أصحاب حتى أقتنه بها وأقتنها به ولا تماهد الله عهدا إلا وفيت به ولا تخرجن مدة إلا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة قطر عضا إلا كنت صاحب دون أصحاب حتى أحول بينه وبين الوفاء بهم ولي وهو يقول ويأثنا علم موسى ما يحذر به بن آدم . وعن سعيد بن السيب قال ما بعت الله نبياً فبا خلا إلا لمأسأليس أن يهلك بالنساء ولا شيء أخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت أدخله إلا يبق ويبت ابني أغتسل فيه يوم الجمعة أرواح وقال بعضهم إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندى وأنت تسهمي الذي أرى به فلا أخطئ . وأنت موضع سرى وأنت رسولى فى حاجتى نصف جندى الشهوة ونصف جندى الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة أيضا لها إفراط وتخریط واعتدال فالإفراط ما يقهر العقل حتى يصرف همه الرجال إلى الاستمتاع بالنساء والجوارى فيعزم عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجرى إلى اتحام التواضع وقد يبتلى إفراطها بطائفة إلى أمرين شديدين : أحدهما أن يتناولوا ما يقوى شهواتهم على الاستكثار من الواقع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تنوى للعبة لتعظم شهوة الطعام ومماثل ذلك إلا كن أبلى بسباع ضارية وحيات عادية ختام عنه فى بعض الأوقات فيجتال لإثارتها وتيسيجها ثم يشغل باصلاحها وعلاجها فان شهوة الطعام والواقع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لفة بسبب الخلاص . فان قلت فقد روى فى غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وشكوت إلى جبرائيل نصف الواقع فأمرنى بأكل المهرسة (١) فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان تحتها تسعة نساء ووجب عليه تحصين بالامتناع وحرم على غيره نكاحهن وإن ظلمتن فكان طلب القوة لهذا لا لتضع . والأمر الثانى أنه قد تنتهى هذه الشهوة ببعض الفضائل إلى الشوق وهو غاية الجهل بموضع له الواقع وهو مجاوزة فى البهيمية لحد البهائم لأن الشوق ليس شوق بآراء شهوة الواقع وهى أقبح الشهوات وأجدرها أن يستحي منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تقضى إلا من عمل واحد والبهيمية تقضى الشهوة أين انفق فكفى به وهذا لا يكتفى إلا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلا إلى ذل وعبودية إلى عبودية حتى يستغسر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومعتالا لأجلها وما الشوق إلا سعة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا ممل له وإنما يجب الاحتراز من أو الله بترك معاودة النظر والفكر وإلا فإذا استحكك عسر دفعه فكذلك عشق السالو الجامو المقارو والأولاد حتى حب الالب بالطيور والنزد والشرط حتى فان هذه الأمور قد تستولى على طائفة بحيث تنص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها ألبتة . ومثال من يكثر سورة الشوق فى أول انبعاثه مثال من صرف عنان العذابة عند توجعها إلى باب لتدخه وما أهون منها بصرف عنها ومثال من يبالغ بسد استحكامها مثال من يترك العذابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبا ويجريها إلى ورثتها وما أعظم التفاوت بين الأمرين فى اليسر والصرف ليسكن الاحتياط فى بدايات الأمور فأما فى آخرها فلا تقبل العلاج إلا بمجد جهيد يكاد يؤدي إلى نزع الروح فاذن إفراط الشهوة أن يضل العقل إلى هذا الحد وهو ممنوم جدا وتخریطها بالنساء أو بالتغيب عن امتناع النكاح هو أيضا ممنوم وإنما المهود أن تكون معتدلة ومطبعة للعقل والتصرف فى اقتباسها وإنسائها ومهما أفرطت فكسرهما بالجمع والتكسح قال

(١) حديث شكوت إلى جبرئيل نصف الواقع فأمرنى بأكل المهرسة الثقيل فى الضغاء طس من حديث حليفة وقد تقدم وهو موصوع .

وم لا يزعون وخاف  
الناس وم لا يخافون  
وم أولياء الله الذين  
لا خوف عليهم ولا هم  
يخزون قبل من هؤلاء  
يلرسول الله قال  
للتحابون فى الله . وقيل  
لوتحاب الناس وتعاطوا  
أسباب المحبة لاستخوا  
بها من الدلالة . وقيل  
الدلالة حليفة المحبة  
تستعمل حيث لا توجد  
المحبة وقيل طاعة المحبة  
أفضل من طاعة الرجة  
فان طاعة المحبة من  
داخل وطاعة الرجة  
من خارج ولهذا الذى  
كانت محبة الصوفية  
مؤثرة من البعض فى  
البعض لأنهم لما عاينوا  
فى الله توصوا بمحاسن  
الأخلاق ووقع القبول  
فيهم لوجود المحبة  
فانتفع بذلك الرب

صلى الله عليه وسلم « معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فليبه بالصوم فالصوم له وجاء »<sup>(١)</sup>.  
( بيان ماطى الريد في ترك الزوج وفه )

اعلم أن الريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل حسه بالزواج فان ذلك يشغل شاغل عنه من السلوك ويستجرح إلى الأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يفرقه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع مافي الدنيا عن الله تعالى<sup>(٢)</sup> فلا تقاس للامانة بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج قدر ركن إلى الدنيا وقال ما رأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الأول وقيل له مرة ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها فقال لا أنسى الله بها أي إن الأنس بها يمنع الأنس بالله تعالى وقال أيضا كل ما غفلت عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغوم فكيف تقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يغنى عنه في بعض الأحوال أن يسرى ذلك إلى قلبه فيدعه فذلك كان يضرب يده على غدة عائشة أحيانا ويقول كئيبي يا عائشة لتشفه بكلامها عن عظيم ما هو فيه لتصور طاعة قلبه عنه<sup>(٣)</sup> قد كان طلبة الأنس بالله عز وجل وكان أنه بالخلق عارضا رقا يدينه ثم إنه كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم فاذا ضاقت صدره قال أرحنا بها يا بلال<sup>(٤)</sup> حتى يعود إلى ما هو قره عينه<sup>(٥)</sup> فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعال صلى الله عليه وسلم فليحذر الريد العزبة في الابتداء إلى أن يقوى في العزقة هذا إذا لم تغلب الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنفع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وإن قدر على حفظ الفرج فالتكسح له أولى لتسكن الشهوة وإلا فلهما لم يحفظ عنه لم يحفظ عليه فكمه ويفرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغار وهو يؤدي إلى القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام إياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وتكنى بها فتنة. وقال سيد بن جبير إن عجايز الفتنة للداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يا بني امشي خلف الأسود والأسود ولا تخش خلف الراة وقيل ليحيى عليه السلام ما بدم الزنا قال النظر والتخي. وقال القليل يقول إبليس هو قوس الفتنة وسهمي الذي لا أخطئه به يعني النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظر سهم مسوم من سهام إبليس فمن تركها خوفي من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيمانا يجد حلاوته في قلبه »<sup>(٦)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « ما تركت بدى فتنة أضرب على الرجال من النساء »<sup>(٧)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بين إسرائيل كانت من قبل النساء »<sup>(٨)</sup> وقال تعالى - قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم - الآية وقال عليه السلام « لكل ابن آدم حظ من الزنا فاعلموا أن

بالشيخ والأخ بالأخ ولهذا للعين أمر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد أهل كل درب وكل محلة وفي الجامع في الأسبوع مرة أهل كل بلد وانضم أهل السواد إلى البلدان في الأعياد في جميع السنة مرتين وأهل الأقطار من البلدان للفرقة في العمر مرة للحج كل ذلك لحكم بالفة منها تأكيد الألفة للوادة بين المؤمنين وقال عليه السلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بضاه » أخرنا أبو زرعة قال أنا الذي أبو الفضل قال أنا أبو نصر محمد بن سلمان العدل قال أنا أبو طاهر محمد بن محمد ابن هشم الزياتي قال

(١) حديث معاشر الشباب من استطاع منكم النكاح فليتزوج الحديث تقدم في النكاح (٢) حديث كان لا يشغل قلبه عن الله تعالى جميع مافي الدنيا تقدم (٣) حديث كان يضرب يده على غدة عائشة أحيانا ويقول كئيبي يا عائشة لم أجده أصلا (٤) حديث أرحنا بها يا بلال تقدم في الصلاة (٥) حديث إن الصلاة كانت قره عينه تقدم أيضا (٦) حديث النظرة سهم مسوم من سهام إبليس الحديث تقدم أيضا (٧) حديث ما تركت بدى فتنة أضرب على الرجال من النساء متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد (٨) حديث اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بين إسرائيل كانت في النساء من حديث أبي سعيد الخدري .

زنيان وزناها النظر والبدان زنيان وزناها البطش والرجلان زنيان وزناها للشي والقم زني وزناه  
القبلة والقلب بهم أو حتى وصديق ذلك الفرج أو يكذب (١) وقالت أم سلمة «استأذن ابن أم مكتوم  
الأعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان قال عليه السلام احتجبا قلنا  
أوليس بأعمى لا يصيرنا فقالوا أنتما لا تبصرانه (٢) وهذا يدل على أنه لا يجوز لفساء جالسة العيان  
كما جرت به العادة في المآثم والولائم فيحرم على الأعمى الحلو بالنساء ويحرم على المرأة جالسة الأعمى  
وتحديق النظر إليه لغير حاجة وإنما يجوز لفساء عادية الرجال والنظر إليهم لأجل عموم الحاجة وإن  
قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالتكاح أولى به فإن الشر في الصبيان  
أكثر فانه لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالتكاح والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة  
حرام بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين اللثمي لم يعمل له  
النظر إليه . فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجليل والقيسح لاهالة ولم تزل وجوه الصبيان  
مكتشوفة . فاقول لست أعني تفرقة العين قط بل ينبغي أن يكون إدراكه التفرقة كإدراكه التفرقة  
بين شجرة خضراء وأخرى بإسنة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها  
وشجرة تساقطت أوراقها فانه يميل إلى إحداها بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولأجل  
ذلك لا يشتهي ملامسة الأزهار والأنوار وتقبيلها ولاتقبل الماء الصافي وكذلك الشيعة الحسنة قد  
يميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لاشهوة فيها ويعرف ذلك  
بميل النفس إلى القرب واللامسة فهما وجد ذلك الليل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين  
النبات الحسن والألوان النقية والسقوف الذهبية فظهره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتأوان  
به الناس ويحرم ذلك إلى الماطبوم لا يشعرون . قال بعض الربيعين ما أنا بأخوف من السبع الضاري  
على الشاب الناسك من غلام أمرد يجلس إليه . وقال سفيان لو أن رجلا عبث بسلام بين أسبعين  
من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لوامبا . وعن بعض السلفه لسيكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف  
لوطيون : صنف ينظرون وصنف يصاحون وصنف يملكون فاذن آفة النظر إلى الأحداث عظيمة فهما  
هجز الريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالتكاح فرب نفس  
لا يسكن توقاتها بالجوع . وقال بعضهم : غلبت على شهوتي في بدء إرادتي بما لم أطق فأكثر الضجيج  
إلى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال مالك فشكوت إليه فقال تقدم إلى فتقدمت إليه فوضع يده  
على صدرى فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فأصبحت وقد زال ما بي فبيت معافى سنة ثم  
عاودني ذلك فأكثرت الاستئانة فأثاني شخص في المنام فقال لي أتعب أن يذهب ما تجده وأضرب  
عنك قلت نعم فقال مد رقبتي فددتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنق فأصبحت وقد زال ما بي  
فبيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فأوشد منه فرأيت كأن شخصا فبا بين جنبي وصدرى غاططين  
ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يعبره قال تزوجت فاقطع ذلك عني وولدي ومهما  
احتاج للريد إلى التكاح فلا ينبغي أن يترك شرط الإرادة في ابتداء التكاح ودوامه أما في ابتدائه  
فبالإية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فعلنا جميع ذلك  
في كتاب آداب التكاح فلا نطول بإعادته وعلامة صدق إرادته أن ينكح بقبرة متدنية ولا يطلب

أنا أبو العباس عبد الله  
ابن يعقوب الكرمانى  
قال حدثنا يحيى  
الكرمانى قال حدثنا  
حماد بن زيد عن حماد  
ابن سعد عن الشعي  
عن الثمان بن بشر  
قال سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
يقول « ألا إن مثل  
لؤمسين في نوادم  
وتحاجهم وتراحمهم  
كمثل الجسد إذا  
اشتكى عضو منه تداعى  
سائر به السهر والحلم »  
والتألف والتودد  
يؤكدان أسباب الصلحة  
والصلحة مع الأخيار  
مؤثرة جدا . وقد قيل  
لقاد الإخوان قلاح  
ولاشك أن البواطن  
تلتصق ويتوحد البعض  
بالبعض بل مجرد النظر  
إلى أهل الصلاح يؤثر

(١) حديث لكل ابن آدم حظه من الزنا فالسنان زنيان الحديث م حق واللفظ له من حديث  
أبي هريرة واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس عوه (٢) حديث أم سلمة استأذن ابن  
أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان قال احتجبا الحديث د ن ب وقال حسن صحيح .

النية . قال بعضهم : من تزوج غنية كان له منها خمس خصال : مغالة الصداق وتسويق الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على الذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك . وقال بعضهم ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع . وإلا استحقته بالنس والطول واللحاح والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق . تزوج بعض الريدين بأمرأة لم يزل يخدمها حتى استجبت المرأة وعشقت ذلك إلى أبيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل أنافي مؤمله منذ سنين مازدت إلى الحلاء قط إلا وحمل للمرأة قبل إليه . وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال ظا قرب زفافها أصابها الجدري فاشتد حزن أهلها ذلك خوفا من أن يستجبحها فأراهم الرجل أنه قد أصابها رمد ثم أراح أن بصره قد ذهب حتى ذفت إليه فزال عنهم الحزن فبقيت عند عشرين سنة ثم توفيت فتفتح عينيه حين ذلك فقيل له في ذلك فقال تعمدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت إخوانك بهذا الخلق . وتزوج بعض الصوفية امرأة سينة الخلق فكان يسبر عليها فقيل له لم تلاحظها فقال أضحى أن يتزوجها من لا يسبر عليها فتأذى بها فان تزوج الريد فكذا ينبغي أن يكون وإن قدر على الترك فهو أولى إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كملو أن محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على راحة البدوية رحما الله تعالى فكتب إليها : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس غنى الأيام واليالي حتى أعمها مائة ألف سوانا أصيرك مثلها ومثلها فأجيبني فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الملم والحزن فإذا أتاك كتابي هذا فهي زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تهمل الرجال وأوصيادك فيقتسموا رثايتك فضم البحر وليكن فطرك للوت وأما أنا فلأن الله تعالى خلوني أمثال الذي خلوك وأضاهه ماسرني أن أشتغل عن الله طرفة عين . وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فيلنظر الريد إلى حاله وقلبه فإن وجدته في الزوبة فهو الأقرب وإن هجر عن ذلك فالتناكح أولى به ودواء هذه الالة ثلاثة أمور : الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولى على القلب فإن لم تنفع هذه الثلاثة فالتناكح هو الذي يستأمل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزوج البنات قال سعيد بن السيب ما أيس إليس من أحد إلا وأناه من قبل النساء . وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يشكو بالأخرى مائى أخوف عندي من النساء . وعن عبدالله بن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن السيب ففقدني أياما فلما أتيته قال ابن كنت ؟ قلت توفيت أهلى فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة قلت يرحمك الله تعالى ومن تزوجني وما أملك لإدراهمين أو ثلاثة فقال أنا قلت وضل ؟ قال نعم ، فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجي على درهمين أو أقل ثلاثة قال فممت وما أدرى ما أصنع من الفرح نصرت إلى منزلى وجعلت أفكر بمن أخذت ومن أسندت ففصلت للعرب وانصرفت إلى منزلى فأسرت وكننت عامما فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزنا وزيتنا وإذا بابي يجرع قهلت من هذا ؟ قال سعيد قال فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن السيب وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والسجد قال خرجت إليه فإدا به سعيد بن السيب فظننت أنه قد بدا له قلت يا أبا محمد لو أرسلت إلى لأتيتك فقال لأنك أحق أن تؤتى قلت فما أمر قال إنك كنت رجلا عزا فزوجت ففكرت أن أيتك إليه وحسبك هذه امرأتك وإذا هي قاعة خلفه في طوله ثم أخذ بيدها

صالحا والنظر في الصور  
يؤثر أخلاقا مناسبة  
لحاق للنظور إليه  
كدوام النظر إلى  
الهمزون يحزن ودوام  
النظر إلى السرور  
يسر. وقد قيل من  
لا يفتح له لطف لا يفتح  
لطفه واجل السرود  
يصير ذلوا بمقارنة اجل  
المجاول بمقارنته لها تأثير  
في الجسوان والنيات  
والجود واللاء والهواء  
يغسدان بمقارنة الجيف  
والزروع تنقي عن أنواع  
السروق في الأرض  
والنبات بوضع الانساد  
بالمقارنة وإذا كانت  
المقارنة مؤثرة في هذه  
الأشياء ففي النفوس  
الشريرة البشرية  
أكثر تأثيرا وصحى  
الانسان إنسانا لأنه  
يأبى بمجاره من خير

فدفعها في الباب ورده فسقطت المرأة من الحياء فاستوتحت من الباب ثم تقدمت إلى القصة التي فيها الحبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الحبران فهاووا وقالوا ما شأنك قات ويحك زوجني سعيد بن السيب ابتغى اليوم وقد جاء بها البقرة على غفلة فقالوا وسعيد زوجك ؟ قلت نعم قالوا وهي في الدار اقلت نعم فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمي فأتت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام قال فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها فذاهي من أجل النساء وأفظت الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج قال فشكت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر أتيت به وهو في حلقة فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس قال محال ذلك الإنسان قتلته بخير يا أبا محمد طي ما يجب الصديق ويكره العدو قال إن رايك منه أمر فدونك والها فانصرفت إلى منزلي فوجه إلى بشر بن ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن السيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولده الصديق فأتى سعيد أن تزوجه فلم يزل عبد الملك يحث على طرده حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستجبال سعيد في الزفاف تلك الليلة يسرفك غائلة الشهوة ووجوب اللبادة في الدين إلى تطفئه نارها بالنكاح رضي الله تعالى عنه ورحمه.

(بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين)

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الإنسان وأعاصها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستعيا منه وغنى من اتجمعه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لجزأه ولخوف أو لحياء أو لمحافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فانه إثارة حظ من حظوظ النفس على حظ آخره ، نعم من العصمة أن لا يقدر في هذه الصوائق فائدة وهي دفع الالتماس من تركها فإن اندفع عنه إيماء بأي سبب كان تركه وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتضاع اللوائح وتيسر الأسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عشق فصف فكتم مات فهو شهيد » (١) وقال عليه السلام « سبعة يظلهم الله يوم القيامة » أحف الله رب العالمين (٢) وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتاب العزيز وهو إمام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة . وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجهاً فدخلت عليه امرأة فأنقته نفسه فامتنع عليها وخرج هارباً من منزله وتركها في قال سليمان فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكان أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لم يهملها وأشار إلى قوله تعالى - ولقد هممت به وم بها لولا أن رأى برهان ربه - وعنه أيضاً ما هو أعجب من هذا وذلك أنه خرج من المدينة حاجاً ومعه رفيق له حتى نزلا بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفره وانطلق إلى السوق ليتناغم شيئاً وجلس سليمان في الحيمة وكان من أجل الناس وجهاً وأورعهم فبصرت به أعرابية من قلة الجبل وانحدرت إليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والقفازان فأسرفت عن وجهها كأنه قلعة فترقوا قالت

(١) حديث من عشق فصف فكتم مات فهو شهيد كذا في التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد بن سعيد قال يقال إن يحيى لا يذكر له هذا الحديث قال لو كان لي مرس ورمح غزوت سويداً ورواه الحارثي عن غير طريق سويد بسند فيه نظر (٢) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

وشروا والتألف والتودد  
مستحب للمزيد وإنما  
المرأة والوحدة محمد  
بالنسبة إلى أراذل  
الناس وأهل الشر  
فأما أهل العلم والصفاء  
والوقاء والأخلاق  
الحيدة فينتقم مقاربتهم  
والاستئناس بهم  
استئناس بالله تعالى  
كما أن محبتهم محبة الله  
والجامع مهم رابطة  
الحق ومع غيرهم رابطة  
الطبع فالصوفي مع غير  
الجنس كائن بأشياء ومع  
الجنس كائن بمناقب  
وللؤمن امرأة للؤمن  
إذا نظر إلى أخيه  
يستشف من وراء أقواله  
وأعماله وأحواله  
تجليات إلهية وترغبات  
وتلويحات من الله  
الكريم خفية فابت  
عن الأغيار وأموكها

أهتني فظن أنها تريد طاماً فقام إلى فتلة السفرة ليُعطيها فقالت لست أرد بهذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أمه قال جهزك إلى إبليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخفى النجيب فلم يزل يبكي فلما رأت منه ذلك صلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فرآه وقد انتفض عيناه من البكاء واضطجع حلقه فقال ما يبكيك ؟ قال خيروا كرت حبيب قال لا والله إلا أن لك قصة إنما عهدك بصيكتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرافى فوضع رقبته السفرة وجعل يبكي بكاء شديداً فقال سليمان وأنت ما يبكيك ؟ قال أنا أحق بالسكاه منك لأنى أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يتكلمان فلما انتهى سليمان إلى مكة فسمي وطاف ثم أتى الحجر فاحتج بثوبه فأخذته عنه فقام وإذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت ؟ قال له أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال إن فى شأنك وشأن امرأة العزيز لم يجلبا فقال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الأبواء أحب . وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أوامم البيت إلى غار فدخلوا فاعتدت صخرة من الجبل فسدت عليهم النار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بإصالح أعمالكم قال رجل منهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لأعقب قبلهما أهلاً ومالاً فأتى بي طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فخلبت لهما غيوماً فوجدتهما نائمين فكرهت أن أعقب قبلهما أهلاً ومالاً فلبثت والدح في يدى أنظر استيقظا فلما حتى طلع الفجر والصبيبة يتضاخون حول قمى فاستيقظا فصربا غيوتهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنه كان لى ابنة عم من أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت منى حتى أمت بها سنة من السنين فبعادنى فأعطينيها مائة وعشرين ديناراً على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت اتق الله فلو انتفض الحاتم إلا بغضه فخرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى من أحب الناس إلى وتركها القصب الذى أعطينيها اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة عنهم فخرج أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراً وأعطينيهم أجوراً فمروهم فخرج رجل واحد فانه ترك الأجر الذى له وذهب فتمتبه له أجره حتى كثرت منه الأموال فبعادنى فبعادنى بهرحن فقال يا عبد الله أعطنى أجرى فقلت كل ما ترى من الإبل والبقر والغنم والرقيق قال يا عبد الله أتهدأ بي فقلت لأستهنأه بك فغفقه فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيئاً اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة فخرجوا عيوشاً (١) وهذا أفضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فإن العين مبدأ أثارها فظنهم بهم وهو عسر من حيث إنه قد يستهان به ولا يظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ والنظر الأول إذا لم يتصدل به يؤخذ بها والمادة يؤخذ بها قال عليه السلام « لك الأولى عليك الثانية (٢) » أى النظرة. وقال العلامة بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يزرع فى القلب شهوة وتلقاها الإنسان فى ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فهما تخاليل إليه الحسن عاضى الطبع للمادة وعنده يبنى أن يقرر فى نفسه أن هذه المادة عين الجهل فانه إن حقق النظر فاستحس ثارت الشهوة وهجز عن الوصول فلا يحصل له

أهل الأنوار . ومن أخلاق الصوفية شكر الحسن على الاحسان والثناء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر إلى الأغيار ورؤيتهم التمس من التمس الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ماورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب قال « ما من الناس أحد أمن علينا فى صحبت وذات يده من ابن أبنى صافى ولو كنت متخذاً خليلاً لا تأخذنا بأكبر خليلاً » وقال « ما من مال كمال أبى بكر » فالخلق حبوا عن الله بالخلق فى النفع والبطاء فالصوفى فى

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أوامم البيت إلى غار فذكر كرا الحديث بطوله رواه (٢) حديث لك الأولى وليس لك الثانية أى النظرة د ب من حديث بريدة قاله لعل قال ت حديث غريب .

إلا التحسر وإن استعجب لم يلتد وتأم لأنه قصد الانداز قد فعل ما آلمه فلا يحلو في كتنا حالته  
عن مصيبة وعن تألم وعن تحسر ومهما حفظ البين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات  
فإن أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمسك فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق قد روى  
عن أبي بكر بن عبد الله الزبي أن قصاباً أُولعَ بِجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم  
إلى قرية أخرى فيها ورادها عن نفسها فقالت له لا تفعل لأننا أشد حباً منك لي ولكي  
أخاف الله قال فأنت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع تائباً فأصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول  
لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعالى حتى ندعو الله بأن نقتلنا سبحانه  
حتى ندخل القرية قال مالي من عمل صالح فأدعو فأدع أنت قال أنا أدعو وأمن أنت على دعائي فدعا  
الرسول وأمن هو فأظلمت سحابة حتى اتسبأ إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه فالت السحابة معه  
فقال له الرسول زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلمت سحابة  
ثم تبحت لتخبرني بأمرك فأخبره فقال الرسول إن التائب عند الله تعالى يمكن ليس أحد من الناس  
بمكانه . وعن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعب لازم للسجد الجامع  
لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمعت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل  
فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقتله على الطريق وهو يريد للسجد فقالت له يا فقي  
سمع مني كذبات أكلت بها ثم عمل ما شئت ففسي ولم ياكلها ثم وقتله به ذلك على طريقه وهو يريد  
منزله فقالت له يا فقي سمع مني كذبات أكلت بها فأطرق ملياً وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره  
أن أكون لتهمة موصماً فقالت له والله ما وقتت موقفي هذا جهالة مني بأمرك ولكن معاذ الله أن  
يشكوك البعاد إلى مثل هذا مني والذي حملني على أن تفتك في مثل هذا الأمر بنفسى لمعرفتي أن  
القليل من هذا عند الناس كثير وأنت معاشر البعاد على مثال القوارير أدنى شيء يسيبها وجملة  
ما أقول لك إن جوارحي كلها مشغولة بك فإله الله في أمري وأمرك قال فغضب الشاب إلى منزله  
وأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله وإذا بالمرأة  
واقفة في موضعها فالتقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلمى أيها  
الرأفة أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم فإذا عاد إلى الصلابة مرة أخرى ستره فإذا لبس لها  
ملايينها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا  
يطيق غضبه فإن كان ماذكرت باطلاً فاني أذكرك يوماً تكون الساء فيه كالمهل وتصير الجبال  
كالهمن وتجو الأم لوصلة الجبار العظيم وإنى والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي فكيف بإصلاح  
غيري وإن كان ماذكرت حقاً فاني أدلك على طبيب هدى يداوى الكلوم للرمضة والأوجاع الرمضة  
ذلك الله رب العالمين فأصديه بصدق السأفة فاني مشغول عنك بقوله تعالى - وأنذرهم يوم الآزفة  
إذ القلوب لدى الحائجر كاهنين من المظالمين من حمم ولا شمع بطاع . يعلم خاتمة الأعين وما غشى الصدور -  
فأبني الحرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوققت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد  
الرجوع إلى منزله كيلا يراها فقالت يا فقي لا ترجع فلا كان للثقت بعد هذا اليوم أبداً لا أعديا بيني وبين الله  
تعالى ثم بكت بكاء شديداً وقالت سأله الله الذي يده معاتيب قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك  
ثم إنها تبعت وقالت آمين على بوعظة أحملها عنك وأوصي برسبه أعمل عليها فقال لها أوصيك بحفظ  
نفسك من هتك وأذكرك قوله تعالى - وهو الذي يوفىكم بالبر ويحلم ما جرحتم بالنار - قال فأنطرت  
وبكت بكاء شديداً أهد من بكائها الأول ثم إنها اغاص رزماً بينها وأخذت في العبادة فلم تزل على

الابتداء يخفى عن الخلق  
ويرى الأشياء من الله  
حيث طالع ناصيته  
التوحيد وخرق  
الحجاب الذي منع  
الخلق عن صرف  
التوحيد فلا يثبت  
للخلق من ولا عطاء  
وبحبه الحق عن الخلق  
فاذا ارتقى إلى ذروة  
التوحيد يشكر الخلق  
بعد شكر الحق ويثبت  
لهم وجوها في النع  
والعطاء بعد أن يرى  
السبب أولاً ولذلك  
للمعة على وقوة  
معرفة يثبت الوسائل  
فلا يحجب الخلق عن  
الحق كرامة للسجين  
ولا يحجب الحق عن  
الخلق كآرباب الامارة  
والبستدين فيكون  
شكره لخلق لأنه النعم  
والمعطى والسبب

ذلك حتى ماتت كذا فكان الفتي يذكرها بعد موتها ثم يسكن فيقال له لم يذكرك وأنت قد أبأسها من حسك ؟ فيقول إني قد ذبحت طمعها في أول أمرها وجلست تطيعني ذخيرة لي عند الله تعالى فأنا أستحي منه أن أسترذ ذخيرة ادخرتها عنده تعالى . ثم كتاب كسر الشهوطين بحمد الله تعالى وكرمه . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان . والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليما كثيرا .

### ( كتاب آفات اللسان )

( وهو الكتاب الرابع من ربيع للهلكات من كتاب إحياء علوم الدين )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعده وألمه نور الإيمان فزينه به وجهه وعله البيان قدومه به وفضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكله ثم أرسل عليه سقرا من رحمته وأسبله ثم أمده بلسان يترجم به محامواه القلب وحقه ويكشف عنه حتره الذي أرسله وأطلق الحق مقوله وأنصح بالشكرهما أولاد وخوله من علم حسه ونطق سببه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرمهم وجهه ونبيه الذي أرسله بكتاب أنزله وأسمى فضله وبين مبله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهله .

[ أما بعد ] فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه القوية فإنه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بهجته اللسان وحما فاية الطاعة والسيان ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناول وينعرض له بآيات أو نفي فإن كل ما يتناول العلم يربعنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الأجزاء فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور والأذان لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء واللسان رحب للبدان ليس له مرد ولا لهاله منتهى وحد ، له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأمله مرضى النان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجون من شر اللسان إلا من قيد بلبجام الشرع فلا يطلعه إلا لأبنا ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى فائتته في عاجله وأجله وعلم ما يبعد فيه إطلاق اللسان أو يلزم فامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه تقيل عسير وأصعب الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تمب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغواظه والحذر من مصائده وحياته وإنه أعظم آفة الشيطان في استواء الإنسان ونحن بتوفيق الله وحسن تديره فصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بمحودها وأمساها وغزائنها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ما ورد من الأخبار والآثار في ذمها فنذكر أولا أفضل الصمت وتزده بذكر آفة الكلام فيا لا يمت ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الحوض في الباطل ثم آفة اللراء والجidal ثم آفة الخصومة ثم آفة التعرض في الكلام بالتشديق وتكلف السجع والقصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة التضاميين للدعين للخطابة ثم آفة التعقيل والسب وبذاءة اللسان ثم آفة العن إما لحوان أو جهاد أو إنسان ثم آفة الفناء بالشرم وقد ذكرنا في كتاب الجلع ما يحرم من الفناء

### ( كتاب آفات اللسان )

ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما يمدى إلى الجنة المحامدون الذين يحمدون الله تعالى في السراء والضراء » وقال عليه السلام « من عطش أو تجمأ فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى بها عنه سبعين ذاة أهونها الجذام » وروى جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يتم عليه بسملة الحمد لله إلا كان الحمد أفضل منها » قوله عليه السلام كان الحمد أفضل منها يحتمل أن يرعى الحق بها شكرا ويحتمل أن الحمد أفضل منها نعمة



وما جعل فلان يديه ثم آفة للزاح ثم آفة السخريه والاستهزاء ثم آفة إفشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم يان التماريض في الكذب ثم آفة الفية ثم آفة النجيه ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتدين فيكلم كل واحد بكلام يوافق ثم آفة للدخ ثم آفة الضيق عن دقائق الخطأ في طوى الكلام لاسيا فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أي قديمة أو محدثة وهي آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجهتها يشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق عنه وكرمه .

### ( يان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت )

اعلم أن خطر اللسان عظيم وإنجاة من خطر إلا بالصمت فذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه قال صلى الله عليه وسلم « من صمت نجا » (١) وقال عليه السلام « الصمت حكم وقيل فاعه » (٢) أي حكمة وحزم . وروى عبد الله بن مسعود عن أبيه قال « قلت لرسول الله أخبرني عن الاسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل أنتم بالله ثم استمتم قال قلت فما أتني فأوماً يده إلى لسانه » (٣) وقال عتبة بن عامر « قلت لرسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسمك بينك وباك على خطيئتك » (٤) وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله ﷺ « من يتكلم في بما بين لحيه ورجليه أتكل له بالجنة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من وقى شر قبه وذنبه ولقلقه قد وقى الشر كله » (٦) التقب هو البطن والذنب والقرق والفتق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق وذلك اعتدنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوات البطن والقرق » (٧) وقد سئل رسول الله ﷺ من أكبر ما يدخل الناس الجنة فقال هوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكبر ما يدخل النار فقال الأجوفان القم والفرج » (٨) فيعتمد أن يكون المراد بالتم آفات اللسان لأنه محله وعمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذ قد قال معاذ بن جبل قلت « يا رسول الله أتؤاخذ بما هول قال ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » (٩) وقال عبد الله الثقفي قلت « يا رسول الله حدثني بأمر أعظم به قال قلاري اللهم استمتم قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف على فأخذ بلسانه وقال هذا » (١٠) وروى أن معاذ قال « يا رسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج رسول الله

(١) حديث من صمت نجا من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضيف وقال غريب وهو عند الطبراني بسند جيد (٢) حديث الصمت حكمة وقيل فاعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضيف والبيهقي في الشعب من حديث أنس بلفظ حكم بدل حكمة وقال غلط فيه عن ابن مسعود والصحيح رواية ثابت قال قال الصحيح عن أنس أن لقمان قال ورواه كذلك هو وابن حبان في كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس (٣) حديث مسعود الثقفي أخبرني عن الاسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك الحديث ت وصحه و ن وهو عنده دون آخر الحديث الذي فيه ذكر اللسان (٤) حديث عتبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك الحديث ت وقال حسن (٥) حديث سهل بن سعد من يتكلم في بما بين لحيه ورجليه أتكل له بالجنة رواه (٦) حديث من وقى شر قبه وذنبه ولقلقه الحديث أبو منصور الديلمي من حديث أنس بسند ضيف بلفظ قد وجبت له الجنة (٧) حديث سئل عن أكبر ما يدخل الجنة الحديث ت وصحه و ن من حديث أبي هريرة (٨) حديث معاذ قلت يا رسول الله أتؤاخذ بما هول قال ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ت وصحه و ن وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعظم به الحديث رواه ن قال ابن عساکر

تكون نعمة الحمد أفضل من النعمة التي حمد عليها فإذا شكروا النعم الأول يشكرون الواسطة للنعم من الناس ويدعون له . روى أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أظطر عند قوم قال « أظطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار ونزلت عليكم السكينة » . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه قال أنا أحمد بن محمد ابن أحمد البرزالي قال أنا أبو حفص عمر بن إبراهيم قال حدثنا جده الله بن محمد النبوي قال أنا عمرو ابن زرة قال ثعابينة ابن يونس عن موسى ابن عبيدة عن محمد بن

صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه<sup>(١)</sup> وقال أنس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم ولا يستقيم إيمان البعد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائحه<sup>(٢)</sup> وقال **عليه السلام** من سره أن يسلم فليزم الصمت<sup>(٣)</sup> وعن سعيد بن جبير مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول اتق الله فينا فانك إن استقمعت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا<sup>(٤)</sup>» وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه يده فقال له ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال هذا أوردني للوارد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته<sup>(٥)</sup>» وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيراً تقيم واسكت عن شر تسمع من قبل أن تقدم قيل له يا أبا عبد الرحمن أهدأ شيء قوله أوشى سمعته؟ قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه<sup>(٦)</sup>» وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقله الله عذابه ومن اعتنق إلى الله قبل الله عذره<sup>(٧)</sup>» وروى أن معاذ بن جبل قال «يا رسول الله أوصني، قال: اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في اللوق وإن شئت أبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار يده إلى لسانه<sup>(٨)</sup>» وعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله **عليه السلام** «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق<sup>(٩)</sup>» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال لأخيه جزاك الله خيراً فقد أبلغ فيثناء» ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للأخوان وللسلمين كافة فإذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بربوب النفس وآفاتهما وشبهاتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين يذل الجاه والمعاونة في إصلاح ذات البين وفي هذا للنفس محتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك إلا لصوفي تام الحسب عالم رباني . روى عن زيد بن أسلم أنه قال كان نبي من

وهو خطأ والصواب صفيان بن عبد الله الثقفي كملوا ت وصحة . وقد تقدم قبل هذا خمسة أحاديث (١) حديث إن معاذاً قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج لسانه ثم وضع يده عليه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت قال أصعبه مكان يده (٢) حديث أنس لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت والحرائط في مكالم الأهل في سند فيه ضعف (٣) حديث من سره أن يسلم فليزم الصمت ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو الشيخ في فضائل الأعمال والبيهقي في الشعب من حديث أنس بساند ضعيف (٤) حديث إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان الحديث ت من حديث أبي سعيد الخدري رفعه ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبير مرفوعاً وإسما هو عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد رفعه ورواه ت موقوفاً على عمار بن زيد وقال هذا أصح (٥) حديث إن عمر اطلع على أبي بكر وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال إن هذا أوردني للوارد إن رسول الله **عليه السلام** قال ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يونس في مسنده والدارقطني في الطل والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر وقال الدارقطني إن الرفوع وهم على الراوردي قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له (٦) حديث ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيراً تختم وفيه مرفوعاً إن أكثر خطايا بني آدم في لسانه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن (٧) حديث ابن عمر من كف لسانه ستر الله عورته الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن (٨) حديث إن معاذاً قال أوصني قال اعبد الله كأنك تراه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وطب ورجاله كتاب وفيه اعطاع (٩) حديث صفوان بن سليم مرفوعاً ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق ابن أبي الدنيا هكذا مرسل ورجاله جهات ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين من حديث أبي ذر وأبي الرداء إسناده مرفوعاً .

خيرا أو ليسكت<sup>(١)</sup> وقال الحسن ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله عبدا تنكلم  
فتم أو سكت فسلم<sup>(٢)</sup> » وقيل لميسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال: لا تتقوا أبدأ  
قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تتقوا إلا بخير ، وقال سليمان بن داود عليهما السلام إن كان الكلام  
من فضة فالسكوت من ذهب ، وعن البراء بن عازب قال « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فقال : دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالعرف وانه عن  
النكر فان لم تنطق فكف لسانك إلا من خير<sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « اخزن لسانك إلا من  
خير فانك بذلك تغلب الشيطان<sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عند لسان كل قائل فليقل  
الله امرؤ علم ما يقول » وقال عليه السلام « إذا رأيتم للؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن  
الحكمة<sup>(٥)</sup> » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس ثلاثة غفم وسالم وشاحب  
فالغفم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساك والشاحب الذي يغوص في الباطل<sup>(٦)</sup> » وقال عليه  
السلام « إن لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلم يشي تدبره قبله ثم أمضاه بلسانه وإن لسان  
النافق أمام قلبه فاذا هم بشي أمضاه بلسانه ولم تدبره قبله<sup>(٧)</sup> » وقال عيسى عليه السلام السادة  
عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في القرار من الناس . وقال يونس بن أبي عمير « من  
كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر ذنبه ومن كثر ذنبه كانت النار أولى به<sup>(٨)</sup> » .  
الآثار : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حساة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه  
ويقول هذا الذي أوردني للوارد ، وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله إلا هو ما شئ أحوج  
إلى طول سجن من لسان ، وقال طاوس لساني سبيع إن أرسلته أكلني ، وقال وهب بن منبه في حكمة  
آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا زمانه حافظا لسانه مقبلا على شأنه . وقال الحسن ماعقل  
دينه من لم يحفظ لسانه . وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله . أما بعد : فان  
من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسر ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يشه .  
وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والنهم عن صاحبه . وقال محمد بن واسع

(١) حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت متفق عليه .

(٢) حديث الحسن ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تنكلم فتم أو سكت  
فلم ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهي في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فانه من رواية  
إسماعيل بن عياش عن الجعازيين (٣) حديث البراء جاء أعرابي فقال دلني على عمل يدخلني الجنة  
قال أطعم الجائع الحديث ابن أبي الدنيا باسناد جيد (٤) حديث اخزن لسانك إلا من خير الحديث  
طعن من حديث أبي سعيد وله في اللجم الكبير ولا بن حبان في صحيحه نحوه من حديث أبي ذر  
(٥) حديث إذا رأيتم للؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة . من حديث أبي خلد يلفظ  
إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقفة منطلق فاقربوا منه فانه يلقن الحكمة وقد تقدم .

(٦) حديث ابن مسعود الناس ثلاثة غفم وسالم وشاحب الحديث الطبراني وأبو يعلى من حديث أبي  
سعيد الخدرى يلفظ المجالس وفضه ابن عدى ولم أجده ثلاثة من حديث ابن مسعود (٧) حديث  
إن لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلم يشي تدبره قبله الحديث لم أجده مرفوعا وإنما رواه  
الحراطين في مكارم الأخلاق من رواية الحسن البصري قال كانوا يقولون (٨) حديث من أكثر كلامه  
كثر سقطه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان  
في روضة العقلاء والبيهي في الشعب موقوفا على عمر بن الخطاب .

الأنبياء يأخذ بركاب  
الملك يتأمله بذلك  
تفضاء حوارج الناس .  
وقال عطاء لأن برأى  
الرجل سنين فيكتسب  
جاهها يجلس فيمؤمن  
أثم له من أن يخلص  
العمل لتجاة نفسه  
وهذا باب فافهم  
لا يؤمن أن يفتن به  
خلق من الجهال  
للدعين ولا يصلح هذا  
إلا ليدطلع الله على  
باطنه فلم منه أن  
لارغبة له في شيء من  
الجاه والمال ولو أن  
ملوك الأرض وقوا  
في خدمته ما طعن ولا  
استطاع ولو دخل إلى  
آتون يوقد ما ظهرت  
نفسه بصرح الانكار  
لهذا الحال وهذا  
لا يصلح إلا لأحد من  
الخلق وأفراد من

مالك بن دينار يأبى عن حفظ اللسان أحد على الناس من حفظ الدينار والدرهم. وقال يونس بن عبيد مامن الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله. وقال الحسن تسكلم قوم عند معاوية رحمه الله والأحنف بن قيس سأكت فقال له مالك يأبى عن لا تسكلم فقال له أخى الله إن كذبت وأخفاك إذ صدقت. وقال أبو بكر بن عباس اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقبصر، فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما أقول، وقال الآخر إن إذنا تسكلمت بكلمة ملكك ولم أملكها وإذا لم أتسكلم بها لمكها ولم تكنك، وقال الثالث هببت لتسكلم إن رجعت عليه كنهه خرت وإن ترجع لم تقمه. وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر منى على رد ما قلت، وقيل أقام النصور بن الميمون تسكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة، وقيل مات تسكلم أربعين سنة ختم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقفا فكل ماتسكلم به كتبه ثم محاسب نفسه عند اللسان. فان قلت فهذا الفضل الكبير لصمت ما سبه ؟ فاعلم أن سبه كثره آفات اللسان من الخطأ والكذب والنية والقيمة والرياء والغش والفسق والراء وتركبة النفس والحوض في الباطل والخسومة والفضول والتعريف والزيادة والتقصان وإبداء الخلق وهتك المورات فهذه آفات كثيرة وهى سبابة إلى اللسان لا تنقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والحائض فيها فلا يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويكره مما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم كما سأتى تخفيه في الحوض خطر وفي الصمت سلامة فذلك عظمت فضيلته، هذامع ما فيه من جمع الملم ودوام الوقاء والقرع والفكر والله كره العادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة فقد قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام : قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة. أما الذى هو ضرر محض فلا بد من الصكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفتى بالضرر. وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو ضلوال والاشتغال به تضيع زمان وهو عين الخسران فلا يفتى إلا القسم الرابع قد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر إذ يمزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والنية وتركبة النفس وفضول الكلام امتزاجا غنى دركه فيكون الانسان به مغاطرا، ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنده كره علم قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال « من صمت نجى » (١) و قلقدأوتى والله جواهر الحكم قطعا وجوامع الحكم (٢) ولا يرف ما تحت آحاد كائنات من بحار اللامنى إلا خواص الطاء وفيما سنده كره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان وينتدى بأخفاها وترقى إلى الأغلظ قليلا ونؤخر الكلام في النية والقيمة والكذب فان النظر فيها أطول وهى عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بمون الله تعالى .

#### ( الآفة الأولى : الكلام في لا ينك )

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ أفاظك من جميع الآفات التى ذكرناها من النية والقيمة والكذب والراء والجidal وغيرها وتسكلم فيها هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا إلا أنك تسكلم بما أنت مستثنى عنه ولا حاجة بك إليه فانك مضيق به زمانك ومحاسب على حمل لسانك

(١) حديث من صمت نجى تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوتى جوامع الحكم م من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

#### ( الآفة الأولى الكلام في لا ينك )

الصادقين يضلون عن إرادتهم واختيارهم ويكشفهم الله تعالى برأيه منهم فيدخلون في الأشياء بمراد الله تعالى فإذا علموا أن الحق يريد منهم الخاطئة وبذل الجاه يدخلون في ذلك بنية صفات النفس وهذا لأقوام ماتوا ثم حشروا وأحكموا مقام القضاء ثم رفقوا إلى مقام البقاء فيصكون لهم في كل مدخل ومخرج برهان ويان وإذا من الله تعالى فهم على بصيرة من ربهم وهذا ليس قيمه لارتباب لصاحب قلب مكشوف بصريح الراد في حق الخطاب فيأخذ وقته أبدا من الأشياء ولم تأخذ الأهياء من وقته

وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر وبما كان يفتح لك من نعمات رحمة الله عند الفكر ما سظم جدواه ولوهللت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة بين بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا يفتن بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل ببيع لا ينيه فانه وإن لم يأتهم قد خسر حيث فاته الرب العظيم بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صمته إلا فكريا ونظرة إلا عبرة ولفظه إلا ذكرا (١) هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، بل دراس مال البعد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا ينيه ولم يدخر بها ثوبا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينيه » (٢) بل ورد ما هو أهدى من هذا قال أنس « استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطة من الجوع فسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لله كان يتكلم في لا ينيه ويمنع ما لا يضره » (٣) وفي حديث آخر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كبا فقال عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أضر يا كعب قتلت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه الثالثة على الله ؟ قال هي أمي يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كبا قال ما لا ينيه أو منع ما لا ينيه (٤) ومعناه أنه إنما تهب الجنة لمن لا يحاسب ومن يتكلم في لا ينيه حوسب عليه وإن كان كلامه في مباح فلا تهب الجنة مع الناقصة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام قدام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوتق عمل في نفسك ترجو به فقال إني لضعيف وإن أوتق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا يينى (٥) وقال أبو بكر قال في رسول الله ﷺ « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الوزان ؟ قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يينك (٦) وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خسر لمن أحب إلى من الدم الوقوفة لا تتكلم في لا يينك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم في يينك حتى تجده موضعا فانه رب يتكلم في أمر يينه

(١) حديث للمؤمن لا يكون صمته إلا فكريا ونظرة إلا عبرة ولفظه إلا ذكرا لم أجده أصلا وروى محمد بن زكريا الملائ أحد الضعفاء عن ابن عائشة عن أبيه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله أمرني أن يكون نفقي ذكرنا وصمته فكريا ونظرة عبرة (٢) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينيه وت قال غريب وه من حديث أبي هريرة (٣) حديث استشهد منا غلام يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرة مربوطة من الجوع الحديث وفيه لله كان يتكلم بما لا ينيه ويمنع ما لا يضره ت من حديث أنس غنصرا وقال غريب ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ الصمت بسند ضعيف (٤) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم قد كبا فقال عنه فقالوا مريض الحديث وفيه لله كان يتكلم في لا ينيه أو منع ما لا ينيه ابن أبي الدنيا من حديث كعب بن عجرة بإسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابي وبين الراوي عنه (٥) حديث محمد بن كعب إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام الحديث وفيه إن أوتق ما رجوه سلامة الصدر وترك ما لا يينى ابن أبي الدنيا هكذا مرسل وفيه أبو نجيع اختلف فيه (٦) حديث أبي هريرة ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن الحديث وفيه هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يينك ابن أبي الدنيا بسند منقطع .

ولا يكون في قطر من الأقطار إلا واحد متحقق بهذا الحال . قال أبو عثمان الحيري لا يكمل الرجل حتى يستوى قلبه في أربعة أشياء اللع والطاء والمز والذل ولعل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والدخول فيها ذكرناه . قال سهل ابن عبد الله لا يستحق الإنسان الرئاسة حتى تجتمع فيه ثلاث خصال : يصرف وجهه عن الناس ويعتزل جهل الناس ويترك ما في أيديهم ويذل ما في يده لهم وهذه الرئاسة ليست عين الرئاسة التي زهد فيها وتبين الزهد فيها لضرورة صدقه وسلوكه وإنما هذه

قدومته في مزمونه فنت ولا تمار حليا ولا سفيا فان الحليم يهلك والسفيه يؤذيك واذا ذكر أخاك  
إذا غاب عنك بما تحب أن يذكره به وأغنه عما تحب أن يفيك منه وعامل أخاك بما تحب أن  
يملكه به وعامل عمل رجل يلم أنه مجازي بالإحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل لقمان الحكيم ما حكته  
قال لأسأل عما كُتبت ولا تكلف ما لا يفتي . وقال مورق العجلي : أمرأتنا في طلبه منذ عشرين سنة  
لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو ؟ قال السكوت عما لا يفتي . وقال عمر رضي الله عنه  
لا تعرض لما لا ينفيك واعتزل عدوك واحذر صدقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي  
الله تعالى ولا تصحب القفاجر فتعلم من فجوره ولا تظلم على سرك واستشر في أمرك الدين غشون  
الله تعالى . وحد الكلام فيما لا ينفيك أن تتكلم بكلام لو مسكت عنه لم تأثم ولم تستغفر به في حال ولا مال .  
مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع  
وما استحسنته من الأطعمة والياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو مسكت  
عنها لم تأثم ولم تستغفر وإذا بالت في الجهاد حتى لا يخرج بحكمتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية فس  
من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال الطيبة والاعتيا ب لشخص ولا مذمة لشيء بما خلقه الله تعالى  
فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وآثي تعلم من الآفات التي ذكرناها ومن حملتها أن تسأل غيرك  
عما لا ينفيك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضا بالجواب إلى التضيق هذا إذا  
كان الشيء مما لا ينطبق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن  
عبادته مثلا فتقول له هل أمت صائم قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وإن لم يدخل  
سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفصل عبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبا  
وإن سكت كان مستغفرا لك وتأذيت به وإن احتال لدافعة الجواب انقصر إلى جهد وقتب فيه قد  
عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستعثار أو لتعقب حجة الدفع وكذلك سؤا لك عن سائر  
عباداته وكذلك سؤا لك عن اللصا وعن كل ما يخفيه ويستعي منه وسؤا لك عما حدث به غيرك  
فتقول له ماذا تقول وفيه أنت وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين فرما بمنه مانع من  
ذكره فإن ذكره تأذى به واستعيا وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل  
عن مسألة لا حاجة بك إليها والشكول ربما لم تصعب فسه بأن يقول لأندري فيجب عن غير بصيرة  
ولست أعني بالتكلم فيما لا يفتي هذه الأجناس فإن هذا ينطبق إليه إثم أو ضرر وإنما مثال ما لا يفتي  
ما روي أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درقا ولم يكن راعيا قبل ذلك اليوم  
فجل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله من ذلك فسمعت حكته فأمسك فسه ولم يسأله فلما فرغ  
قام داود ولبسه ثم قال نعم الديرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعه أي حصل العلم به من  
غير سؤال فاستثنى عن السؤال وقيل إنه كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال  
فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك سر وتوريط فيرياء وكذب وهو مما لا يفتي  
وتركه من حسن الاسلام فهنا حده . وأما سبب الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه  
أو للباسطة بالسكام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها . وعلاج ذلك  
كله أن يعلم أن اللوث بين يديه وأنه مشغول عن كل كلمة وأن أخاها رأس ماله وأن لسانه فيبكه  
يضر على أن يقتبس بها الحور العين فاماله ذلك وتقصيه خسران مبيع هذا علاجه من حيث العلم  
وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يصح حصة في فيه وأن يلزم فسه السكوت بها عن بعض ما يفتي  
حتى يتاد لسان ترك ما لا يفتي وضبط لسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا .

رياسة أقامها الحق  
لصلاح خلقه فهو فيها  
بالله يقوم بواجب حقها  
وشعرك نعمتها لله  
تعالى .

[ الباب الحادي  
والثلاثون في ذكر  
الأدب ومكانه من  
التصوف ]

روى عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
أنه قال « أدبى ربى  
فأحسن تأدبى »  
فالأدب تهذيب الظاهر  
والباطن فإذا تهذب  
ظاهر العبد وباطنه  
صار صوفيا أديبا وإعما  
سميت للأدب مادة  
لإجتماعها على أشياء  
ولا يتكامل الأدب في  
العبد إلا بتكامل مكارم  
الأخلاق ومكارم  
الأخلاق مجرعهما من  
تحسين الخلق فالخلق

## ( الآفة الثانية : فضول الكلام )

وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا ينحسب ولا زيادة فيما ينبغي على قدر الحاجة فان من ينيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يحسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أي فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر . قال عطاء بن أبي رباح إن من كان قلبك كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يحدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا بحرف أو نهيها عن منكر أو أن تنطق بحاجتك في ميسرتك التي لا بد لك منها أنتسكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين . عن الجين وعن الشمال قيد مايقظ من قول الإمامية رقيب عتيد . أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفة التي أملاها صدر نهاره كان أكثرها ليس من أمر دينه ولادنيته . وعن بعض الصحابة قال إن الرجل ليكتسب بالكلام لجوابه أشبه إلى من اللاء البارد إلى الظمان فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا . وقال مطرف ليعظم جلال الله في ثوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للسكاب والجار اللهم اخزه وما أشبه ذلك . واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل لهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل - لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأتقى الفضل من ماله <sup>(١)</sup> » فانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فضل اللال وأطلقوا فضل اللسان . وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستويكم الشيطان <sup>(٢)</sup> إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخسر أن يستويبه الشيطان إلى الزيادة للستغنى عنها . وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام مايلج به حاجته . وقال مجاهد إن الكلام ليكتب حق إن الرجل ليسكت ابنه يقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذبا . وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها مساكين كريمين يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل وروى أن سليمان عليه السلام بث بعض عفاريته وبث فها ينظرون مايقول ويخبرونه فأخبروه بأنه مر في السوق فرغ رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال هببت من للافسكة على رهوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يلجون وقال إبراهيم التيمي إذا أراد للؤمن أن يشكم نظرفان كان له تكلم وإلا أمسك والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا . وقال الحسن من أكثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثر ذنوبه ومن ماء خلقه عذب شهيه وقال حمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم

## ( الآفة الثانية : فضول الكلام )

(١) حديث طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأتقى الفضل من ماله البعوى وابن قانع في معجمي الصحابة والبيهقي من حديث ركب للصرى وقال ابن عبد البر إنه حديث حسن وقال البغوى لأدري سمع من النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وقال ابن منده مجهول لا نعرف له حجة ورواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا الحديث د في اليوم واليلة بلطف آخر ورواه ابن أبي الدنيا بلطف للصنف

مسودة الانسان  
والخلق معناه فقال  
بضمهم الخلق لاسيبل  
إلى تقييده كالحاق وقد  
ورد « فرغ ربكم من  
الخلق والحق والرزق  
والأجل » وقد قال تعالى  
- لا تبديل لخلق الله -  
والأصح أن تبديل  
الأخلاق يمكن مقدور  
عليه بخلاف الخلق  
وقد روى عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
أنه قال « حسنوا  
أخلاقكم » وذلك أن  
الله تعالى خلق الانسان  
وهيأ لقبول الصلاح  
والفساد وجهه أهلا  
للأدب ومكارم الأخلاق  
ووجود الأهلية فيه  
كوجود النار في الزناد  
ووجود النخل في التوى  
ثم إن الله تعالى بقدره  
ألم الانسان ومكنه

«كم دون لسانك من حجاب قال غفناي وأسناي قال أما كان لك في ذلك ما يرد كلامك<sup>(١)</sup>»  
وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أتى عليه فاستتر في الكلام ثم قال ما أوفى رجل شرا من فضل لسانه  
وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه إنه يجنب من كثير من الكلام خوف الباهة . وقال بعض  
الحكام إذا كان الرجل في مجلس فأجبه الحديث فليست وإن كان ما كنا فأجبه السكوت فليتكلم  
وقال يزيد بن أبي حبيب من فنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من  
يكفيه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة وقصان . وقال ابن عمر إن أحق ما طهر الرجل  
لسانه ورأى أبو الهرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرسا كان خيرا لها . وقال إبراهيم يهلك  
الناس خلتان فضول اللال فضول الكلام فهذه منعمة فضول الكلام وكثرته وسيبه الباطل عليه  
وعلاجه ماسبق في الكلام فيما لا يبي .

### ( الآفة الثالثة : الحوض في الباطل )

وهو الكلام في الماصي ككافة أحوال النساء ومحاسن الخمر ومقامات التفاسي وتتم الأغنياء وتجبر  
للولاك ومراهمهم للذمومة وأحوالهم للكرهية فإن كل ذلك مما لا يهل الحوض فيه وهو حرام  
وأما الكلام فيما لا يبي أو أكثر مما يبي فهو ترك الأولى ولا يخبر فيه نعم من يكثر الكلام فيما  
لا يبي لا يؤمن عليه الحوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفريج بالحديث ولا يبدو كلامهم  
التفكه بأعراض الناس أو الحوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها ونفسها فذلك  
لا يخلص منها إلا بالانحصار على ما بين من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك  
بها صاحبها وهو يستقرها قد قال بلال بن الحرث قال رحول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل  
ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم  
القيامة وإن الرجل ليترك بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها  
سخطه إلى يوم القيامة<sup>(٢)</sup>» وكان علقمة يقول كم من كلام منعه حديث بلال بن الحرث وقال  
النبي صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليترك بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من التريا<sup>(٣)</sup>»  
وقال أبو هريرة : إن الرجل ليترك بالكلمة ما يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم وإن الرجل ليترك  
بالكلمة ما يلقى لها بالا يرضه الله بها في أعلى الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم «أعظم الناس خطايا  
يوم القيامة أكثرهم خوصا في الباطل<sup>(٤)</sup>» وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكنا نخوض مع الخافضين -  
وقوله تعالى - فلا تصدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم - وقال سلمان أكثر  
الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في مصبة الله . وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر  
بجبل لهم فيقول لهم توضعوا فإن بعض ما توضعون شر من الحديث فهذا هو الحوض في الباطل وهو  
(١) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال كم دون لسانك  
من باب الحديث ابن أبي الدنيا هكنا مرسلنا ورجاه قتات .

### ( الآفة الثالثة : الحوض في الباطل )

(٧) حديث بلال بن الحرث إن الرجل ليترك بالكلمة من رضوان الله الحديث . ت وقال حسن  
صحيح (٨) حديث إن الرجل ليترك بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من التريا ابن أبي  
الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن والشيخين وت إن الرجل ليترك بالكلمة لا يرى بها بأسا  
يهوى بها يجنب خرفا في النار فقتت وقال حسن غريب (٩) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة  
أكثرهم خوصا في الباطل ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلنا ورجاه قتات ورواه هو والطبراني  
موقرنا على ابن مسعود بسند صحيح .

من إصلاحه بالترية  
إلى أن يصير النوى  
تخلا والزناد بالعلاج  
حتى يخرج منه نار وكا  
جعل في نفس الانسان  
صلاحية الخير جعل فيها  
صلاحية الشر حال  
الاصلاح والإفساد  
قال سبحانه وتعالى  
- وتقى وما سواها  
فألهمها فجورها  
وتقواها - فتسويتها  
بصلاحيتها فتبين  
جميعا ثم قال عز  
وجل - قد أفلح من  
زكاها وقد خاب من  
دساها - فإذا تركت  
النفس تدبر بالقل  
واستقامت أحوالها  
الظاهرة والباطنة  
ونهذبت الأخلاق  
ومكسفت الآداب  
فالألم يستخرج مالى  
القوة إلى القتل وهذا



وراء ماسيات من التوبة والقيمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر معظورات سبق وجودها أو تدبر لتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها ويدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البع والذئاب الفاسدة وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن المون بطله وكرمه .

### ( الآفة الرابعة للراء والجدال )

وذلك منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم « لا تغار أخاك ولا تعازحه ولا تصنع موعدا فتخلفه »<sup>(١)</sup> وقال عليه السلام « ذروا للراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته »<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم من ترك السجدة فليس له بيت في أعلى الجنة ومن ترك الراء وهو مبطل بنى له بيت في أرض الجنة<sup>(٣)</sup> وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال »<sup>(٤)</sup> وقال أيضا « ما مثل قوم يبدآن هدام الله إلا أوتوا الجدل »<sup>(٥)</sup> وقال أيضا « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع للراء وإن كان حقاً »<sup>(٦)</sup> وقال أيضا « ست من كن في بلغ حقيقة الإيمان الصيام في الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتبجيل الصلاة في اليوم الدجى والصبر على الصيحات وإسباغ الوضوء على السكاره وترك الراء وهو صادق »<sup>(٧)</sup> وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه من جعل دينه عرضة الخصومات أكثر التقل . وقال مسلم بن يساريا كره الراء فانه ساعة جهل العالم وعندها يتنشق الشيطان زلته . وقيل ما مثل قوم يبدآن هدام الله إلا بالجدل . وقال مالك بن أنس رحمه الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شيء . وقال أيضا للراء يقبى القلوب ويورث الضغائن . وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيموتوك ولا بل بن سعد إذا رأيت الرجل لجوجا معاريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان لوخالفة أخی في رمانة فقال حاوة وقلت حامضة لسمي إلى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالراء فليرمينك بدهاية تمنحك العيش وقال ابن أبي ليلى لا أمارى صاحبي فلما أن أكذبه وإما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء كفى بك إثم أن لا تزال معاريا

### ( الآفة الرابعة للراء والمجادلة )

(١) حديث لا تغار أخاك ولا تعازحه ولا تصنع موعدا فتخلفه ت من حديث ابن عباس وقد تقدم  
(٢) حديث ذروا للراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته طب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك واثلة بن الأسقع بساند ضعيف دون قوله لا تفهم حكمته ورواه بهمه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوف على ابن مسعود (٣) حديث من ترك الراء وهو حق بنى له بيت في أعلى الجنة الحديث تقدم في العلم (٤) حديث أم سلمة إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ابن أبي الدنيا في الصمت والطيراني والبيهقي بسند ضعيف وقدروا ما ابن أبي الدنيا في الراسل من حديث عروة بن روم (٥) حديث ما مثل قوم إلا أوتوا الجدل فمن حديث أبي أمامة ومحمه وزاد به هدى كانوا عليه وتقدم في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره للصف (٦) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يند للراء وإن كان حقاً ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلقظ لا يؤمن من البهت حتى يترك الكذب في الزاخرة للراء وإن كان صادقا (٧) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الحديث وفيه ترك الراء وهو صادق أبو منصور الديلمي من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بلقظ ست خصال من الخبر الحديث .

وقل صلى الله عليه وسلم « تكفير كل لحاء ركتان <sup>(١)</sup> » وقال عمر رضى الله عنه لاتعلم العلم ثلاث ولا تترك ثلاث لاتعلمه لتسارى به ولا تلباهى به ولا ترائى به ولا تركة حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا راضا بالجلل منه . وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاسى الى جلال سقطت مروءة ومن كثر حقه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه . وقيل ليمون بن مهران ما لك لاتترك لخالك عن قلى قال لأنى لا أثار به ولا أمار به وما ورد فى ذم الرءاء والجدال أكثر من أن يحصى . وحده الرءاء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما فى اللفظ وإما فى المعنى وإما فى قصد التسليم وتركه لبراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاستك عنه والظعن فى كلام الغير تارة يكون فى لفظه بإظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة المعنى أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير وذلك يكون تارة من تصور للفرقة وتارة يكون بطغيان اللسان وكفما كان فلا وجه لإظهار خلله وأما فى المعنى فبأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما فى قصده فثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجرى مجراه وهذا الجنس إن جرى فى مسألة عليه ربما خصى باسم الجدال وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال فى معرض الاستفادة لاطل وجه العناد والنكارة أو التلطف فى التعريف لافى معرض الطعن وأما المجادلة فبارة عن قصد إحقاق الغير وتجزئه وتنقيصه بالقدر فى كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيه للحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل يجب أن يكون هو الظاهر له خطأ ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأتى به ولو سكت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار العلم والفضل والتهم على الغير بإظهار نفسه وهما شيوتان باطنتان للنفس قويتان لها أما إظهار الفضل فهو من قبيل تركية النفس وهى من مقتضى ما فى العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهى من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضى أن يمزق غيره ويضممه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإنما قوتهما الرءاء والجدال فالواظب على الرءاء والجدال مقول هذه الصفات الهلكتة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو ، مصيبة مهما حصل فيه إيذاء الغير ولا تنفك للمارة عن الإيذاء وتهميش الغضب وحمل القمطر على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدر فى قائله بكل ما يصوره فيثور الشجار بين الثمار بين كاشور الفهرش بين السكبين بقصد كل واحد منهما أن يفض صاحبه بما هو أعلم بنكاية أو أقوى فى إلحاحه وإلجائه وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعية الباعث له على تنقيص غيره كالمسألة ذلك فى كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة بما طمسها بسبب الرءاء والجدال ما ذكرناه ثم الواظبة عليه تجعله عادة وطباعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه . روى أن أبا حنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائى لم آتت الأزواء قال لأجاهد نفسى بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تسكهم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد على مناهو هو كما قال لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تصر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من ترك الرءاء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة » لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يضل بذلك فى الذهاب والمقائد فان الرءاء طبع فاذا ظن أن له عليه ثوبا اعتد عليه حرصه وتعاون الطبع والكبر على وذلك خطأ محض بل ينبغى للانسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعا تلتطف

(١) حديث تكفير كل لحاء ركتان الطبراني من حديث أبى أمامة بسند ضعيف .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأدبى » وفى بعض الناس من يحتاج إلى طول المارة لغصان قوى أصولها فى البرزة فلذا احتاج للربودن إلى محبة للشيخ لتكون الصبغة والتسلم عوناً على استخراج ما فى الطبيعة إلى الفضل قال الله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - قال ابن عباس رضى الله عنهما قهوم وأديهم وفى لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأدبى ثم امرنى بمكارم الأخلاق فقال - خذ العفو وأمر بالمعرف وأعرض عن الجاهلين - » قال يوسف بن الحسين

في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال يحيل إليه أنها حيلة منه في التليس وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا قدس تمر البدعة في قلبه بالجدل وتماكد فاذا عرفت أن النصيح لا ينبغي اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله من كفل لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه» (١) وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يرد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد نفسه بسببه عزا وقبولا قوت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها .

( الآفة الخامسة : الحصومة )

وهي أيضا لدمومة وهي وراء الجدال وللراء فالراء ملن في كلام التبر بإظهار خلل فيه من غير أن يربط به غرض سوى تحقير التبر وإظهار مهنية الكياسة . والجدال عبارة عن أمر يتعلق بإظهار للذاهب وتقريرها والحصومة لجأج في الكلام ليستوفي في مال أوحق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق قد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أبيض الرجال إلى الله الأله الخصم» (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع» (٣) وقال بعضهم إياك والخصومة فانه يفتق الدين ويقال ما خاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتبية مربي بصر بن عبد الله ابن أبي بكرة فقال ما يجالسك ههنا قلت خصومة بيني وبين ابن عمي قال إن لياك عندي بدا وإني أريد أن أجزيك بها وإني والله ماريت شيئا أذهب للدين ولا أتقص البرودة ولا أتنبع لفئة ولا أخفل للقلب من الحصومة قال قممت لأصرف فقال لي خصمي مالك قلت لأخاصمك قال إنك عرفت أن الحق لي قلت لا ولكن أكرم نفسي عن هذا قال فاني لأطلب منك شيئا هو لك . فان قلت فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الحصومة في طلبه أو في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تندم خصومته ، فاعلم أن هذا الدم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل أن يتصرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الحصومة من أي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الحصومة على قصد التسلط أو على قصد الإيذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصرته الحجة وإظهار الحق ويتناول الذي يجعله على الحصومة محض العناد لتهرب الخصم وكسره مع أنه قد يستحق ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول إنما قصدي عياده وكسر عروته وإني إن أخذت منه هذا المال ربما ربيت به في شر ولا بأني وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جدا فأما للظلم الذي ينصر حجتة بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجأج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد

(١) حديث رحم الله من كفل لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه ابن أبي الدنيا باسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسل ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة لفظه رحم الله امرأ كفل لسانه عن أعراض المسلمين وهو منقطع وضعيف جدا .

( الآفة الخامسة : الحصومة )

(٢) حديث عائشة إن أبيض الرجال إلى الله الأله الخصم خ وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ابن أبي الدنيا والأسهاني في الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى صفه المجهور .

بالأدب فيهم العلم والعمل  
يصح العمل والعمل  
تتال الحكمة والحكمة  
يقام الزهد والزهد  
تترك الدنيا وترك  
الدنيا يرغب في الآخرة  
وبالرغبة في الآخرة  
تتال الرغبة عند الله  
تعالى . قيل لما ورد  
أبو خصم العراق جاء  
إليه الجنيذ فرأى  
أصحاب أبي خصم  
وقوه على رأسه  
يأمرهم لأمره لا يخطئ  
أحد منهم فقال يا أبا  
خصم أدبت أصحابك  
أدب اللوك فقال  
لا يا أبا القاسم ولكن  
حسن الأدب في الظاهر  
عنوان الأدب في  
الباطن قال أبو الحسين  
النوري ليس لله في  
عبده مقام ولا حال  
ولا معرفة تسقط معها

وإيذاء فقهه ليس بمرام ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا فإن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متمدر والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب وإذا هاج الغضب نسي التنازع فيه وبقى الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرة ويطلق اللسان في عرضه فمن بدأ بالخصومة قد تعرض لهذه المذورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يلقى الأمر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا الرأى والجدال فينبغي أن لا يفتح بابا إلا للضرورة وعند الضرورة يبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متمدر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الآثم ولا يندم خصومته إلا أنه إن كان مستغنيا عن الخصومة فيأخاض فيه لأن عنده ما يكفي فيكون تاركا للأولى ولا يكون آثما، ثم أقل ما يفوته في الخصومة والرأى والجدال طيب الكلام وماورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصل إما تجهيل وإما تكذيب فإن من جادل غيره أو مراه أو خاصمه قد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم « يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام » (١) « وقد لله تعالى - وقولوا للناس حسنا - وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فأرد عليه السلام وإن كان مجوسيا إن الله تعالى يقول - وإذا حيتم شحية حيوا بأحسن منها أو ردوها - وقال ابن عباس أيضا لو قال فرعون خيرا لرددت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لفرقا يرى ظاهرها من باطنها وبطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام » (٢) « وروى أن عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقبل ياروح الله أقول هذا خنزير فقال أكره أن أعود لسان الثور وقال نينا عليه السلام « الكلمة الطيبة صدقة » (٣) « وقال « اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكملة طيبة » (٤) « وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين . وقال بعض الحكماء الكلام اللين يسل الضغائن للستكة في الجوارح . وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسطررك إلا أنك ترضى به جليستك فلا تكن به عليه بخلافه لعله يوصلك منه ثواب الحسين وهذا كله فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والرأى والجدال والحجاج فإنه الكلام المستكره للوحش المؤذي للقلب النقص للمعيش لانهيج الغضب والوغر للصدر نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

## ( الآفة السادسة )

التعريف بالكلام بالتشديق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيات والتدعيات وما جرت به عادة التفصيح للدين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الملعوق الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا وأتباعي أمي برآء من التكلف » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أنصفكم إلى - وأبعدكم مني جلسا التثاؤون للتفريقون التشديقون في الكلام » (٥) « وقالت فاطمة رضي الله عنها

(١) حديث يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام الطبراني من حديث جابر وفيه من لا أعرفه وله من حديث هاني أبي شريح بإسناد جيد يوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام (٢) حديث أنس إن في الجنة لفرقا يرى ظاهرها من باطنها الحديث وقد تقدم (٣) حديث الكلمة الطيبة صدقة من حديث أبي هريرة (٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وقد تقدم .

## ( الآفة السادسة : التعريف بالكلام والتشديق )

(٥) حديث إن أنصفكم إلى الله وأبعدكم مني جلسا التثاؤون للتفريقون التشديقون أحد من حديث

آداب الشريعة وآداب الشريعة حاية الظاهر والله تعالى لا يبيع تعطيل الجوارح من التحل بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك أدب الخدمة أغر من الخدمة . حكى عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت ربما أقعد بهذا الكعبة وربما كنت أستلق وأمد رجل لي فجاءني عائشة للكية قالت لي يا أبا عبيد قال إنك من أهل العلم اقبل مني كلمة لا تجالسها إلا بأدب ولا يفيح أحبك من دبوأن القربول أبو عبيد وكانت من العارفات . وقال ابن عطاء : النفس مجبولة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شرار أمم الدين غنوا بالنعم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويشدقون في الكلام »<sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « أهلك المتنطعون ثلاث مرات »<sup>(٢)</sup> والتطعن هو التعمق والاستقصاء . وقال عمر رضي الله عنه : إن فحاشي الكلام من فحاشي الشيطان وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة فحكم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بأنسهم كما تتخلل البقرة الكلاء بالسنة »<sup>(٣)</sup> وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة للصنعة للتكفة ، وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاسيح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات وإذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرة في الجنين قال بعض قوم الجاني : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال أصحبا كسجج الأعراب<sup>(٤)</sup> وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه ، بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للعرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب فإن التصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ، فلهذا في اللفظ تأثير فيه فهو لا يلقى به ، فأما المحاورات التي تجري لتضاه الحاجات فلا يليق بها السجع والتشديد والاشتغال به من التكلف للمذموم ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتعيز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويجزع عنه .

#### ( الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان )

وهو مذموم ومنه عنه ومصدره الحبث واللؤم . قال صلى الله عليه وسلم « إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش »<sup>(٥)</sup> ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتل بدر من الشركين فقال « لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما يقولون وتؤذون الأحياء ألا إن البذاءة لؤم »<sup>(٦)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « ليس للؤم الطمان ولا اللمان ولا الفاحش ولا البذي »<sup>(٧)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها »<sup>(٨)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم

أي ثلمة وهو عند من حديث جابر وحسنه بإفظ إن أبضكم إلى<sup>(١)</sup> حديث فاطمة شرار أمم الدين غنوا بالنعم وفيه ويشدقون ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب<sup>(٢)</sup> حديث ألا هلك المتنطعون م من حديث ابن مسعود<sup>(٣)</sup> حديث سعد بن أبي وقاص يتخللون الكلام بأنسهم كما تتخلل البقرة الكلاء بلسانها رواه أحمد<sup>(٤)</sup> حديث كيف ندى من لا شرب ولا أكل الحديث م من حديث الفيرة بن شعبة وأبي هريرة وأصلهما عند ع أيضا .

#### ( الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان )

(٥) حديث إياكم والفحش الحديث ن في الكبرى في التفسير والحاكم وصححه من حديث عبد الله ابن عمرو ورواه ابن جبان من حديث أبي هريرة (٦) حديث النبي عن سب قتل بدر من الشركين الحديث ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسل ورجاله ثقات ولفظنا من حديث ابن عباس بإسناد صحيح إن رجلا وقع في آف للباس كان في الجاهلية فطمعه الحديث وفيه لا تسبوا أمواتنا فؤذوا أحيانا (٧) حديث ليس للؤم الطمان ولا اللمان ولا الفاحش ولا البذي ن بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم وصححه وروى موقوفا قال المارقي في الملل والوقوف أصح (٨) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية

على سوء الأدب والعبث  
مأمور بعلامزة الأدب  
والنفس تجرى بطباعها  
في ميدان الخالفة  
والعبث يرد بها مجده  
إلى حسن الطالبة  
فمن أعرض عن  
الجهد قد أطلق  
عنان النفس وغفل  
عن الرواية ومهما  
أعانتها فوشركها وقال  
الجنيد من أمان نفسه  
على هواها قد أشرك  
في قتل نفسه لأن  
العبودية ملزمة الأدب  
والطغيان سوء الأدب  
أخبرنا الشيخ العالم  
ضياء الدين عبد الوهاب  
ابن علي قال أنا أبو الفتح  
المسروي قال أنا  
أبو النصر الترياق قال  
أنا أبو محمد الجرجاني قال  
أنا أبو الباس الجبوري  
قال أنا أبو عيسى الترمذي

« أربة يؤذون أهل النار في النار على ما بهم من الأذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور : رجل يسيل فوه قبحا ودما فيقال له ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلها كما يستل الرث (١) » وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة « يا عائشة لو كان لفحش رجل لكان رجل سوء (٢) » وقال عليه السلام « البذاء والبيان شبتان من شعب الفناق (٣) » فيحتمل أن يراد بالبيان كشفها ما لا يجوز كشفه ومحمل أيضا البالغة في الإيضاح حتى ينتهي إلى حد التكلف ومحمل أيضا البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فإن إلقاء ذلك مجالا إلى أصحاح العوام أولى من البالغة في بيانه إذ قد يشور من غاية البيان فيه شكوك وسواس فإذا أجملت بادرت القلوب إلى القول ولم تضطرب ولكن ذكره مقررا بالبذاء يشبه أن يكون للرأبه الماهرة بما يستجيب الإنسان من بيانه فإن الأولى في مثله الإغماض والتخالف دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يحب الفاحش التفحش الصباح في الأسواق (٤) » وقال جابر بن سمرة « كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي أمامة فقال صلى الله عليه وسلم إن الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاما أحاسنهم أخلاقا (٥) » وقال إبراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش للتفحش يوم القيامة في صورة كلب أوف جوف كلب . وقال الأحنف ابن قيس ألا أخبركم بأدواء اللسان البذي والخلق الدني ، فهذه مقدمة الفحش فأما حده وحقيقته فهو التمييز عن الأمور للمتعبة بالبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يشدشون عنها بل يكونونها ويبدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقارها ويتقاربها ، وقال ابن عباس : إن الله حي كريم يصفو ويكنو كنى بالنس عن الجماع فالنيس والنس والدخول والصحة كذايات عن الوقاع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستعجب ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أخفى من بعض ، وربما اختلف ذلك بمادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يخص هذا بالوقاع بل بالكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التنوط والخرأ وغيرهما فإن هذا أيضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحب منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فانه خفى وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجر أومن وراء الستر أو قالت أم الأولاد فالتلطف في هذه الألفاظ محمود والتصرح فيها يفضى إلى الفحش وكذلك من به عيوب يستحب منها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري

من حيث عذر الله بن عمرو (١) حديث أربة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى الحديث وفيه إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيستلها كما يستل الرث ابن أبي الدنيا من حديث شفي بن مائع واختلف في محبته فذكره أبو نعيم في الصعبة وذكره خب في التاميين (٢) حديث يا عائشة لو كان لفحش رجل لكان رجل سوء ابن أبي الدنيا من رواية ابن أبي شيحة عن أبي النصر عن أبي سلمة عنها (٣) حديث البذاء والبيان شبتان من الفناق وحسنه ولا وصحه على شرطهما من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٤) حديث إن الله لا يحب الفاحش ولا التفحش الصباح في الأسواق ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله وللاطبراني من حديث أسامة بن زيد إن الله لا يحب الفاحش للتفحش وإسناده جيد (٥) حديث جابر بن سمرة إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء الحديث أحمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح .

قال ثنا قتيبة قال ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن عماله عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يؤدب الرجل ولله خير له من أن يتصدق بصاع » وروى أيضا أنه قال عليه السلام « ما نحل واليهول من نحلة أفضل من أدب حسن » وروى عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه » وقال أبو طي الدين المبد يصل بطاعته إلى الجنة ويأديه في طاعته إلى الله تعالى . قال أبو القاسم القعير رحمه الله كان

جبراه فانصرح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان . قال الملاء بن هرون : كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت إبطه خراج فأثنيه نساءه لئلا يرى مايقول فقلنا من أين خرج فقال من باطن اليد ، والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء وإما الاعتقاد بالحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم ومن عاداتهم السب ، وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عرك بشيء يمله فيك فلا تمسه بشيء يمله فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسبن شيئا قال لما سببت شيئا بعده (١) » وقال عياض بن حمار « قلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أنتصر منه فقال للتسبان شيطانان يتماويان ويتهاجان (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « سباب اللؤم فسوق وقتاله كفر (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ملعون وسلم » للتسبان ما قاله صلى البادئ منها حتى يعتدى الظلوم (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ملعون من سب والديه (٥) » وفي رواية « من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه . »

### ( الآفة الثامنة اللعن )

إما لحیوان أو جمد أو إنسان وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللؤم ليس بلعان (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « لاتلعنوا بلعة الله ولا فضبه ولا يجهنم (٧) » وقال حذيفة ما تلعن قوم قط إلا حق عليهم القول ، وقال عمران بن حصين « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقه لها فضجرت منها فلمتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوها ماعليها وأمروها فأنها ملعونة (٨) » قال فكانت أنظر إلى تلك الناقة تمشي بين الناس لا تمشي لها أحد . وقال أبو الدرداء : ما لئن أحد الأرض إلا قال لئن الله أعسانا لله . وقالت عائشة رضي الله عنها « سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه وقال يا أبا بكر أصدقين ولما نين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا (٩) » فاعتق أبو بكر يومئذ رقيقه وآتى النبي

(١) حديث قال أعرابي أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عرك بشيء يمله فيك فلا تمسه بشيء يمله فيه الحديث أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي جري المجيمى قيل اسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر (٢) حديث عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أنتصر منه فقال للتسبان شيطانان يتكاذبان ويتهاجان (٣) حديث سباب السلم فسوق وقتاله كفر متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث التسبان ما قاله صلى البادئ حتى يعتدى الظلوم ، م من حديث أبي هريرة وقال المحدث (٥) حديث ملعون من سب والديه وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه الحديث أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث ابن عباس باللفظ الأول بإسناد جيد واتفق الشيخان على اللفظ الثاني من حديث عبد الله بن عمرو

### ( الآفة الثامنة اللعن )

(٦) حديث اللؤم ليس بلعان تقدم حديث ابن مسعود ليس اللؤم بالطمان ولا اللعان الحديث قيل هذا بأحد عشر حديثا ولترمذى وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون اللؤم لعانا (٧) حديث لاتلعنوا بلعة الله الحديث ت من حديث مرة بن جندب قالت حسن صحيح (٨) حديث عمران بن حصين بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقه لها فضجرت منها فلمتها الحديث رواه م (٩) حديث عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه فقال يا أبا بكر لعانين وصدقين الحديث ابن أبي الدنيا في السمات وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضيف الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه .

الاستاذ أبو يعلى لا يستند إلى شيء فكان يوما في مجمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره لأنى رأيته غير مستند فتخى عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توفى الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لأبيد الاستناد فتأملت بعد ذلك فسلمت أنه لا يستند إلى شيء أبدا . وقال الجلال البصري التوحيد واجب الإيمان فمن لا الإيمان له لا توحيد له والإيمان واجب الشريعة فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان له ولا توحيد له . وقال بعضهم الزم الأدب

صلى الله عليه وسلم وقال لأعود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن لا يكونون  
 خفاء ولا شهداء يوم القيامة <sup>(١)</sup> » وقال أنس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 على بئر فلحق بيرة فقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله لا تسر معنا على بئر ملعون <sup>(٢)</sup> » وقال  
 ذلك إنكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى وذلك غير جائز إلا على من  
 اتصف بصفة تبعد من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى  
 الكافرين وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع فإن في اللعنة خطرا لأنه حكم على الله عز وجل بأنه  
 قد أبعد للملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 إذا أطلع الله عليه والصفات للتفتية للملثة الكفر والبدة والفسق واللعن في كل واحدة ثلاث  
 مراتب : الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافر والبتدعين والنفساء الثانية اللعن  
 بأوصاف أحسن منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القديرة والخوراج  
 والروافض أو على الزناة والظلة وآكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لمن أوصاف البتدة خطر  
 لأن معرفة البدة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعي المارعة  
 بينه وبين زعماء بين الناس وفسادا . الثالثة اللعن للشخص العيين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنة الله  
 وهو كافر أو فاسق أو متبعم والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك  
 فرعون لعنة الله وأبو جهل لعنة الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا  
 أما شخص بينه في زماننا كقولك زيد لعنة الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فانه ربما سلم  
 فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا . فان قلت يلحق بكونه كافرا في الحال كما يقال  
 للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وإن كان يتصور أن يرتد . فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبته  
 الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكفر على ما هو سبب  
 اللعنة فان هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائر أن يقال لعنة الله إن مات على الكفر ولا لعنة  
 الله إن مات على الاسلام وذلك غيب لا يدري وللمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك  
 اللعن خطر وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد البدع أولى فلحق الأعيان فيه خطر  
 لأن الأعيان تتقلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز أن يعلم من يموت  
 على الكفر وقد لك عين قوما باللعن فكان يقول في دعائه على قريش « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام  
 وعتبة بن ربيعة <sup>(٣)</sup> » وذكر جماعة فتولوا على الكفر يدر حتى إن من لم يعلم عاقبته كان يلحقه قهري  
 عنه إذ روي « أنه كان يلحق الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قوته شهرا فزل قوله تعالى - ليس لك من  
 الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يذنبهم فانهم ظالمون <sup>(٤)</sup> » - بنى أنهم ربما يسلون فمن أين تعلم أنهم ملعونون

(١) حديث إن المؤمن لا يكونون خفاء ولا شهداء يوم القيامة من حديث أبي البرداء (٢) حديث  
 أنس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر فلحق بيرة فقال يا عبد الله لا تسر معنا  
 على بئر ملعون ابن أبي الدنيا باسناد جيد (٣) حديث اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة  
 وذكر جماعة متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث إنه كان يلحق الذين قتلوا أصحاب  
 بئر معونة في قوته شهرا فزل قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - الشيخان من حديث أنس دعا  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفي رواية لهما  
 قنت شهرا يدعو على رعل وذ كوان الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وكان يقول حين يفرغ  
 من صلاة الصبح من القراءة ويكبّر ويرفع رأسه الحديث وفيه اللهم العن الحيان ورعلا الحديث

ظاهرا وإطفا أساء  
 أحد الأدب ظاهرا  
 إلا عوب ظاهرا وما  
 أساء أحد الأدب إطنا  
 إلا عوب إطنا . قال  
 بينهم هو غلام الدقاق  
 نظرت إلى غلام أمره  
 فظفر إلى الدقاق وأنا  
 أنظر إليه فقال لتجدن  
 فيها ولو بعد سنين  
 قال فوجدت فيها بعد  
 عشرين سنة أن  
 أنسيت القرآن . وقال  
 مري صليت وودي  
 ليمن القبايلي ومددت  
 رجلي في الحسراب  
 فوديت بأسري هكذا  
 نجالت للوك فضممت  
 رجلي ثم قلت وعزتك  
 لاسدوت رجلي أبدا  
 وقال الجليل في سنين  
 سنة مامد رجلي ليا  
 ولا نهرا . قال عبد الله  
 ابن المبارك من نهاون



وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجز  
 كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مر به وهو يريد  
 الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو  
 ابن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم الطعام وأضرب للهام من أبي قحافة قال أبو بكر  
 يكلمني هذا يا رسول الله ينزل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن أبي بكر فانصرف  
 ثم أقبل على أبي بكر فقال يا أبا بكر إذا ذكرت الكفار فاضموا فانكم إذا خصمتم غضب الأبناء  
 للأباء فكفف الناس عن ذلك (١) وشرب نهبان الحمر عدة مرات في مجلس رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤذي به فقال صلى الله عليه وسلم «لا تسكن عونا  
 للشيطان على أخيك (٢)» وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله فتهاه عن ذلك وهذا يدل على  
 أن لمن فاسق بينه غير جائز وعلى الجملة ففي لمن الأشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لمن  
 إبليس مثلاً فاضلعن غيره . فان قيل هل يجوز لمن زيد لأنه قاتل الحسين وأمر به . قلنا هذا لم يثبت أصلاً  
 فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت ضلعه إلا أنه لأنه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير  
 تحقيق ، نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً وقتل أبو لؤلؤة محمداً رضي الله عنهما فان ذلك ثبت متواتراً  
 فلا يجوز أن يرمى مسلم بسبق أو كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم «لا يرمى رجل رجلاً بالكفر  
 ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك (٣)» وقال عليه السلام «ما شهد رجل على رجل  
 بالكفر إلا بآء به أحدهما إن كان كافراً فهو كافراً قال وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه (٤)»  
 وهذا معناه أن يكفروه وهو يعلم أنه مسلم فان ظن أنه كافر يدعه أو غيره كان غلطاً لا كافراً وقال معاذ

وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الأمر شيء - لفظ (١) حديث أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على  
 الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه الحديث في التراجم من رواية علي بن ربيعة  
 قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من قوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر  
 ومعه ابنه سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن  
 الله صاحب هذا القبر فانه كان يجاهد الله ورسوله الحديث وفيه فإذا سميت الشركين فسيوم جماً  
 (٢) حديث شرب نهبان الحمر عدة مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة  
 لعنه الله ما أكثر ما يؤذي به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكن عونا للشيطان على أخيك  
 وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار  
 من رواية محمد بن عمرو بن حزم ومرسلاً ومحمد هذا ولدى حياته صلى الله عليه وسلم وصاحبه محمداً وكنية  
 عبد الله وللخاري من حديث عمر أن رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه  
 عبد الله وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلد في الشرب فأتى به  
 يوماً فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم الله ما أكثر ما يؤذي به فقال النبي صلى الله عليه وسلم  
 لا تلتنوه فوقع ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله من حديث أبي هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه  
 لا تعينوا عليه الشيطان وفي رواية لا تكونوا عون الشيطان على أخيك (٣) حديث لا يرمى رجل رجلاً  
 بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك متفق عليه والبيان للخاري  
 من حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم (٤) حديث ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا أن أحدهما  
 إن كان كافراً فهو كافراً قال وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه أو بمصور الديلمي في مسند الفردوس  
 من حديث أبي سعيد بسند ضعيف .

بالأدب عوقب بجرمان  
 السنن ومن تهاون  
 بالسنن عوقب بجرمان  
 القرائن ومن تهاون  
 بالسرائن عوقب  
 بجرمان اللرفة . وسئل  
 السري عن مسألة  
 في الصبر فجعل يتكلم  
 فيها فذهب على رجله  
 فقرب ففعلت فتمره  
 بإمرتها قليل له ألا  
 تدفعا عن نفسك  
 قال أستحي من الله  
 أن أتكلم في حال  
 ثم أخالف ما أعلم فيه  
 وتقبل من أدب  
 رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أنه قال  
 «زوت لي الأرض  
 فأريت مشارقتها  
 ومغارها» ولم يقل  
 رأيت . وقال أنس  
 ابن مالك الأدب  
 في العمل علامة قبول

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه لك أن تشتم مسلماً أو تصي إماماً عادلاً والتمرض للأموات أشد» (١) قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان لئنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تسبوا الأموات فانهم قد أقضوا إلى ما قدموا» (٢) وقال عليه السلام «لا تسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء» (٣) وقال عليه السلام «أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصحابي ولا تسبوا أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً» (٤) فإن قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الأمر بقتله لعنه الله ؟ قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله لأنه يجتمع أن يموت بعد التوبة فإن وحشياً قاتل حزة عم رسول الله ﷺ وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً ولا يجوز أن يلحق والقتل كبيرة ولا تنتهي إلى رتبة الكفر فإذا لم يعبد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو أولى وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها واللؤم ليس ببدن فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر أو على الأجناس للرووفين بأوصافهم دون الأشخاص للبعينين فلا اعتزال بذكر الله أولى فإن لم يكن في السكوت سلامة قال مكي بن إبراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي بردة فبصعوا يلعنوه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون إنما ذكره لما ارتكب منك فقال إنما كلنا نغزجان من محبتي يوم القيامة لإله إلا الله ولعن الله فلانا فلان يخرج من محبتي لإله إلا الله أحب إلى من أن يخرج منها لعن الله فلانا . وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال «أوصيك أن لا تكون لعاناً» (٥) وقال ابن عمر : إن أبغض الناس إلى الله كل طمان لعان . وقال بعضهم لعن اللؤم ينزل قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لوقلت إنه مرفوع لم أبال وعن أبي قتادة قال كان يقال «من لعن مؤمناً فهو مثل أن يقتله» (٦) وقد نقل ذلك حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان مثلاً لصاحبه الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فإن ذلك مذموم وفي الخبر «إن الظالم يدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبق للظالم عنده فضلة يوم القيامة» (٧) .

(١) حديث معاذ أنه لك أن تشتم مسلماً أو تصي إماماً عادلاً أي تعيب في الحلية في أثناء حديث له طويل (٢) حديث عائشة لا تسبوا الأموات فانهم قد أقضوا إلى ما قدموا وخ ذكر الصف في أوله قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك في الزهد والرقائق مع القصة (٣) حديث لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء الترمذي من حديث الثوري بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين القسرة وبين زياد بن علاقة رجلاً لم يسم (٤) حديث أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصحابي ولا تسبوا أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عياض الأنصاري احفظوني في أصحابي وأصحابي وإخواني وأصحابي ولا تسبوا أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد وأبي هريرة لا تسبوا أصحابي ولأبي داود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم وللنساء من حديث عائشة لا تذكروا موتاكم إلا بخير وإسناده جيد (٥) حديث قال رجل أوصني قال أوصيك أن لا تكون لعاناً أحمد والطبراني وابن أبي عاصم في الآحاد والثاني من حديث جرير المصممي وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي عاصم (٦) حديث لعن اللؤم كفته متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك (٧) حديث إن الظالم يدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبق للظالم عنده فضلة يوم القيامة لم أعف له على أصل والترمذي من حديث عائشة بسند ضعيف من دعا على من ظلمه فقد أصبر .

المعل . وقال ابن عطاء الأدب الوقوف مع المستحسنات قيل ما معناه قال أن تعامل الله سرا وعلنا بالأدب فإذا كنت كذلك كنت أدياً وإن كنت أهمياً ثم أنشد :

إذا نطقت جاءت بكل مديحة  
وإن سكنت جاءت بكل ملاح  
وقال الجري من مذعشرين سنة ممدودت  
رجل في الخلوة فان حسن الأدب مع الله أحسن وأولى . وقال أبو هريرة ترك الأدب موجب للطرده من آساء الأدب على الباطل ورد إلى الباب ومن آساء الأدب على الباب ردة

## ( الآفة التاسعة الفناء والشمس )

وقد ذكرنا في كتاب السباع ما يحرم من الفناء وما حمل فلا نصيده وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح إلا أن التجرد له مذموم قال رسول الله ﷺ « لأن يمتلى جوف أحدكم نباح حتى يريه خير له من أن يمتلى شعرا » (١) وعن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك قال أنا أكره أن يوجد في صفيق شعر وسئل بعضهم عن شيء من الشعر قال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر . وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة » (٢) ثم مقصود الشعر للدخ والقيم والتشبيب وقد بدخله الكذب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصاري بهجاء الكفار والتوسع في اللدح (٣) فانه وإن كان كذبا فانه لا يلحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليقلق الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وإن كان سخيا فالبيان من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يعتقد صورته وقد أنشدت أبيات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ثبتت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه قالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحصف نفسه وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يهرق وجعل عرقه يتوهج نورا قالت فبهت فنظرت إلى فقال مالك بهت فقلت يارسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يهرق وجعل عرقك يتوهج نورا ولو رأك أبو كبير الهذلي لعم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلي قلت يقول هذين البيتين :

ومبرا من كل غير حيفة وفساد مرضعة وداء مغفل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام إلى وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت مني كسروري منك (٤) . ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفنائم يوم حنين أمر لعباس بن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو في شعره له وفي آخره :

وما مكان يدر ولا حابس يسودان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم انظموها على لسانه فذهب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى اختار مائة

## ( الآفة التاسعة الفناء والشمس )

(١) حديث لأن يمتلى جوف أحدكم نباح حتى يريه خير من أن يمتلى شعرا مسلم من حديث سعد ابن أبي وقاص واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه والبخاري من حديث ابن عمر . ومسلم من حديث أبي سعيد (٢) حديث إن من الشعر لحكمة تقدم في العلم وفي آداب السباع (٣) حديث أمره حسنا أن يهجو للشركيين متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان إهجمهم وجبريل معك (٤) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحصف نفسه وكنت أغزل قالت فنظرت إليه فجعل جبينه يهرق وجعل عرقه يتوهج نورا الحديث وفيه إنشاد عائشة لشعر أبي كبير الهذلي :

ومبرا من كل غير حيفة وفساد مرضعة وداء مغفل

فإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتهلل

إلى آخر الحديث روله البيهقي في دلائل النبوة .

إلى سياسة الدواب .

[ الباب الثاني

والثلاثون في آداب

الحضرة الالهية لأهل

القرب ]

كل الآداب تتلنى من

رسول الله صلى الله

عليه وسلم فانه عليه

السلام جمع الآداب

ظاهرا وباطنا وأخير

الله تعالى عن حسن

أدبه في الحضرة بقوله

تعالى - عازاغ البصر

وما طنى - وهذه

غامضة من غوامض

الآداب اختص بها

رسول الله صلى الله

عليه وسلم أخبر الله

تعالى عن اعتدال

قلبه للقدس في

الاعراض والاقبال

أعرض عما سوى الله

وتوجه إلى الله وترك

وراء ظهره الأرضين

من الابل ثم رجع وهو من ارضي الناس فقال له صلى الله عليه وسلم اقول في الشعر فجعلم يستدريه  
ويقول بابي أنت وأمي إلى أجد الشعر ديباً على لساني كديب الخلد مني فابصر من الخلد فلا جد  
بدا من قول الشعر فنبس صلى الله عليه وسلم وقال لاتدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنينة<sup>(3)</sup> .

(الآفة العاشرة للزاح)

وأصله منموم منهى عنه الإقدام بسير يستثنى منه قال صلى الله عليه وسلم « لا تعارأ عاك ولا تخاصم »<sup>(١)</sup> فان قلت للمارة فيها إيماء لأن فيها تمكديا للأخ والصديق أو تجهيلا له ، وأما المزاح فطائية وفي السط وطيب قلب فلم ينهى عنه ؟ فاعلم أن المنهى عنه الإفراط فيه أو الدوامه عليه أما الدوامه فلا أنه اشتغال بالهم والحزل فيه واللب مباح ولكن الواظعه عليه منموم أمّا الإفراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تبيث القلب ونورث الضغينه في بعض الأحوال وتسقط لها بؤ الوافر فما جملو عن هذه الأمور فلا يلزم كما روى النبي ﷺ أنه قال « إني لأمرح ولا أقول إلا حقا »<sup>(٢)</sup> لأن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقا وأما غيره إذا تخرج باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليستكمل بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى في النار أبعد من التريا »<sup>(٣)</sup> وقال عمر رضي الله عنه : من كثر ضحكك قلت هيته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولأن الضحك يدل على الفقه عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لبكيتكم كثيرا وأضحكم قليلا »<sup>(٤)</sup> وقال رجل لأخيه يا أخي هل أتاك أنك وارتد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك خارج منها قال لا قال فقيم الضحك ؟ قيل فمارؤى صاحبك مات . وقال يوسف ابن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلي أربعين سنة لم يضحك ونظروا هيب ابن الورود إلى قوم يضحكون في عيد فطر فقال إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الحافئين . وكان عبد الله بن أبي علي يقول أضحك ولعل أكفناك

(١) حديث لما قسم الغنائم أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص وفي آخره شعره :

وما مكان بدر ولا حابس يسودان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ\* منها ومن تضع اليوم لا يرفع

قال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه الحديث مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أباً سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينه بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس ذلك قال عباس بن مرداس :

أَجْمَلُ نَهْيٍ وَنَهْيٍ الْمَيْمَنُ يَنْ يَنْ عَيْنَهُ وَالْأَقْرَمُ

وما مكان بدر ولا حابس فوقان مرداس في عجم

وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

قال فأنتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد في رواية أعطى علقمة بن علاثة مائة وأما زيادة اقطوا عن لسانه فليست في شيء من الكتب الشهورة .

( الآفة العاشرة للزاح )

(٣) حديث لا عار أشك ولا تخاضه الترمذي وقد تقدم (٣) حديث إن أمزج ولا أقول إلا حقا  
تقدم (٤) حديث إن الرجل ليشككم بالكلمة يصحك بها جلساءه يهوى بها أمد من الثريا تقدم.  
(٥) حديث لو ضلّون ما أعلم لضحككم قليلا ولبئس ما كنتم كثيرا متفق عليه من حديث أنس وعائشة.

والله الرامجة عظوظها  
والسموات والله  
الآخرة عظوظها فما  
التفت إلى ما أعرض  
عنه ولا لحقه الأسف  
على الناب في إعراضه  
قاده الله تعالى - لكيلا  
تأسوا على ما فاتكم -  
فهذا الخطاب للعموم  
وما زغ البصر إخبار  
عن حال النبي عليه  
السلام بوصف خاص  
من معنى ما خاطب به  
العموم فكان ما زلغ  
البصر حاله في طرف  
الأعراض وفي طرف  
الاقبال تلقى ما ورد  
عليه في مقام قاب  
قوسين الروح والقلب  
ثم فر من الله تعالى  
حياء منه وهية  
وإجلالا وطوى نفسه  
بغراره في مطاوى  
انكساره وانقاره

قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنباً وهو يضحك دخل النار وهو يضحك وقد عهدي واسع إذا رأيت في الجنة رجلاً يضحك ألتعجب من بكائه ؟ قيل بلى قال فأي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه فهذه آفة الضحك وللذموم منه أن يستغرق ضحكاً والحمد لله منه التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) قال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي ﷺ على قلوب له صلب فلم يجعل كلاماً من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله بغيره بجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه فعمل ذلك مراراً ثم وقصه فقتله قيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوبهم وقطعك فقال نعم وأفواهم ملاهى من دمه (٢) وأما أداء الزناح إلى سقوط الوفاق فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن النكدر قال لى أباي لا تمازح الصبيان قهون عديم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيجهد عليك ولا الدنيا فيجترى عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله وإياكم والزناح فإنه يورث الضعيفة ويجر إلى القبيح تحدثوا بالقرآن وتجاهلوا به فإن تقل عليكم حديث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله عنه أتدرون لم صلى الزناح مزاحاً ؟ قالوا لا قال لأنه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شيء بذور وبذور العداوة الزناح ويقال الزناح مسلية قلبى مقطعة للأصدقاء . فإن قلت قد قل الزناح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن مزح ولا تقول إلا حقا ولا تؤذى قلباً ولا تضرب فيه وتقتصر عليه أحياناً على التدور فلا تخرج عليك فيه ولكن من الخط العظيم أن يشغل الإنسان للزناح حرقة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ وهو كمن يدور نهاره مع الزوج ينظر إليهم وإلى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لما تشاء في النظر إلى رقص الزوج في يوم عيد وهو خطأ إذ من الصغار ما يصير كبيرة بالأصاير ومن الباحات ما يصير صغيرة بالأصاير فلا ينبغي أن ينفل عن هذا (٣) ثم روى أبو هريرة أنهم قالوا «يا رسول الله إنك تداعبنا فقال إني وإن داعبتكم لأفول إلا حقا» (٤) وقال عطاء إن رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مزح ؟ فقال نعم قال فما كان مزاحه ؟ قال كان مزاحه أنه صلى الله عليه وسلم كما ذات يوم امرأة من نساء ثوبوا وسما فقال لها البسيه واحدى وجرى منه ذيل كذيل العروس (٥) وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفكك الناس مع نساءه (٦) وروى أنه كان كثير التبسم (٧) وعن الحسن قال أتت هجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم ولا يدخل الجنة هجوز فيكت قال إنك لست بهجوز يومئذ قال الله تعالى - إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً - (٨) وقال زيد بن أسلم إن امرأة يقال لها

(١) حديث كان ضحكك التبسم تقدم (٢) حديث القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوب له صلب فلم يجعل كلاماً من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله بغيره بجل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه فعمل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله قيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوبهم وقطعك فقال نعم وأفواهم ملاهى من دمه ابن المبارك في الزهد والرقائق وهو مرسل (٣) حديث إذنه لما تشاء في النظر إلى رقص الزوج في يوم عيد تقدم (٤) حديث أبي هريرة قالوا إنك تداعبنا قال إني وإن داعبتكم فلا أفول إلا حقا الترمذي وحسنه (٥) حديث عطاء إن رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مزح ؟ فقال إن ابن عباس نعم الحديث فذكر منه قوله لامرأة من نساءه البسيه واحدى وجرى منه ذيل كذيل العروس لم أتف عليه (٦) حديث أنس قال من أفكك الناس تقدم (٧) حديث أنه كان كثير التبسم تقدم (٨) حديث الحسن لا يدخل الجنة هجوز

لكيلا تبسط النفس  
تطحنى فان الطحين  
عند الاستثناء وصف  
النفس قال الله تعالى  
- كلا إن الإنسان  
ليطغى أن رآه استغنى-  
والنفس عند اللواهب  
الواردة على الروح  
والقلب تسترق السمع  
ومضى نالت قسطاً من  
التح استغنى وطنت  
والطغيان يظهر منه  
فرط البسط والإفراط  
في البسط يد باب  
الزيد وطغيان النفس  
لنسيق وفاتها عن  
اللواهب فوسى عليه  
السلام صح له في  
الحضرة أحد طرفي  
مازناج البصر وما تنفت  
إلى ملاقاته وما طنى  
متأسفاً لحسن أدبه  
ولكن امتلاء من التح  
واستترقت النفس السمع

أم أعين جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم «قالت إن زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذي بعينه ياض قالت والله ما بعينه ياض فقال لي إن بعينه ياضا قالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم : مامن أحد إلا بعينه ياض وأرأد به البياض المحيط بالحدة<sup>(١)</sup> وجاءت امرأة أخرى قالت «يا رسول الله احملني على بئر فقال بل تحملي على ابن البئر قالت ما أصنع به إنه لا يحملني فقال صلى الله عليه وسلم : مامن بئر إلا وهو بئر<sup>(٢)</sup> فكان يمزج به وقال أنس كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتهم ويقول «يا أبا عمير ما فعل النخيل<sup>(٣)</sup>» لئتمير كان يلعب به وهو فرخ الصفرور وقالت عائشة رضي الله عنها «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال تعالى حتى أسألك فشددت درعي على بطنهم فخططنا خطا قطنا عليه واستبقنا فبقيني وقال هذه مكان ذى المجاز<sup>(٤)</sup>» وذلك أنه جاء يوما ونحن بنى المجاز وأنا جارية قد بعثت أبي جنى<sup>(٥)</sup> فقال أعطيني فأبيت وسعيت وسعى في أئري فلم يدركني وقالت أيضا «سأبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سأبقي فسبقتي وقال هذه بئتك<sup>(٦)</sup>» وقالت أيضا رضي الله عنها «كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فضنت حريرة وجئت به فقلت لسودة كلى قالت لأجبه فقلت والله لنا كلى أو لألطخن به وجهك قالت ما أنا بذاتته فأخذت يدي من الصفحة شيئا منه فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها غفص لها رسول الله ركبته لتستفيد مني فتناولت من الصفحة شيئا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك<sup>(٧)</sup>» وروى «أن الضحاك بن سفيان الكلبي كان رجلا دميما يتبعها فلما بعينه النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عندي امرأتين أحسن من هذه الجبراء وذلك قبل أن ينزل آية الحجاب أفلا أتزل لك عن إحداهما فتزوجها وعائشة جالسة تسمع قالت أهي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه لأنه كان دميما<sup>(٨)</sup>» وروى عقلمة عن أبي سلمة أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن ابن علي عليها السلام فيرى الصبي لسانه فيبش له فقال له عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن الترهذي في التماثل هكذا مرسلًا وأسنده ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف (١) حديث زيد بن أسلم في قوله لامرأة يقال لها أم أعين قالت إن زوجي يدعوك أهو الذي بعينه ياض الحديث الثريد بن بكار في كتاب الفسكاة والازاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبدة بن سهم الهجري مع اختلاف (٢) حديث قوله لامرأة استحملته تحملي على ابن البئر الحديث أبو داود والترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ أنا حاملة على ولد الناقة (٣) حديث أنس بأبي عمير ما فعل النخيل متفق عليه وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عائشة في مسابقتها صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فسبقها وقال هذه مكان ذى المجاز لم أجده له أصلا ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر (٥) حديث عائشة سأبقي فسبقته النساء وابن ماجه وقد تقدم في النسكاح (٦) حديث عائشة في لطخ وجهه سودة بحريرة ولطخ سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك الثريد بن بكار في كتاب الفسكاة وأبو يعلى بإسناد جيد (٧) حديث إن الضحاك بن سفيان الكلبي قال عندي امرأتان أحسن من هذه الجبراء أفلا أتزل لك عن إحداهما فتزوجها وعائشة جالسة قبل أن يضرب الحجاب قالت أهي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان دميما الثريد بن بكار في الفسكاة من رواية عبد الله بن حسن مرسلًا أو معضلا وللهار قطنى نحو هذه القصة مع عيينة بن حسن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة .

وتطلعت إلى القسط والحظ فلما حظيت النعم استغنت وطمع عليها ما وصل إليها وضاق نطاقها فتجاوز الحد من فرط البسط وقال أرني أنظر إليك ففتح ولم يطلق في قضاء الثريد وظهر الفرق بين الحبيب والكريم عليهما السلام وهذه دقيقة لأرباب القرب والأحوال السنية فكل قبض يوجب عقوبة لأن كل قبض سد في وجهه باب الفتح والمقبوبة بالقبض أوجبت الإفراط في البسط ولو حصل الاعتدال في البسط ما وجبت العقوبة بالقبض والاعتدال في البسط باقيا في النازل من التبع على الروح

لى الابن قد تزوج وبقل وجهه ومابلقه قط فقال صلى الله عليه وسلم « إن من لا يرحم لارحم » (١) فأكثر هذه الطائيات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضغف فلوهم من غير ميل إلى هزل وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصبيب وبه رمد وهو يأكل تمرًا « تأكل التمر وأنت رمد قال إنما أكل بالشق الآخر يارسول الله فقبسم صلى الله عليه وسلم » (٢) ذل بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجزه . وروى « أن خوات بن جبير الأنصارى كان جالسًا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يغفلن ضغفرا بلجلى لى شروء قال فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته ثم عاد فقال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجمل الشراء بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أغرر منه كلما رأيت حياء منه حتى قدمت للدينة وبعد ما قدمت للدينة قال فرأى فى المسجد يوما أصلى فجلس لى فطلعت فقال لا تطول فانى أنتظرك فلما سلمت قال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجمل الشراء بعد قال فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك أغرر منه حتى لحق بيوما وهو على حمار وقد جعل رجليه فى شق واحد فقال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجمل الشراء بعد فقلت والذى بئتك بالحق ما شرد منذ أسلمت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد يا أبا عبد الله قال غسن إسلامه وهداه الله ﷻ وكان نعيان الأنصارى رجلا مزاحا فكان يشرب الخمر فى المدينة فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بتمله ويأمر أصحابه فيضربونه بتمله فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لئلك الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضل فانه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفه إلا اشتري منها شئ بها النبي ﷺ فيقول يارسول الله هذا قد اشتريته لك وأهديته لك فاداء صاحبها يتقاضاه بالئن جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أولم تهده لنا فيقول يارسول الله إنه لم يكن عندى ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر صاحبه بشئ (٣) فهذه مطائيات

(١) حديث أبى سلمة عن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يدلغ لسانه للحسن بن على فيرى الصبي لسانه فيرش إليه فقال عيينة بن بدر القزاري والله ليكون لى الابن رجلا قد خرج وجهه ومابلقه قط فقال إن من لا يرحم لارحم أبو يعلى من هذا الوجه دون ما فى آخره من قول عيينة ابن بدر وهو عيينة بن حصن بن بدر ونسب إلى جده وحكى الخطيب فى للبهامات قولين فى قائل ذلك أحدهما أنه عيينة بن حصن والثانى أنه الأقرع بن حابس وعند مسلم من رواية الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحسن فقال إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله ﷺ من لا يرحم لارحم (٢) حديث قال لصبيب وبه رمد تأكل التمر وأنت رمد فقال إنما أكل على الشق الآخر قبسم النبي صلى الله عليه وسلم ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات (٣) حديث إن خوات بن جبير كان جالسًا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يغفلن ضغفرا بلجلى لى شروء الحديث الطبرانى فى الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات ربيعة ابن عمرو (٤) حديث كان نعيان رجلا مزاحا وكان يشرب الخمر فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه الحديث وفيه أنه كان يشتري الشئ ويهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يعطى صاحبه فيقول أعطه ثمن متاعه الحديث الزبير بن بكار فى المسكاهة ومن طريقه ابن عبد البر من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلًا وقد تقدم أوله .

والقلب والإفاف على  
الروح والقلب بما  
ذكرناه من حال النبي  
عليه السلام من تقييب  
النفس فى مطاوى  
الانكسار فذلك القرار  
من الله إلى الله وهو غاية  
الأدب حظى به رسول  
الله عليه الصلاة  
والسلام لما قوبل  
بالقبض فدام مریده  
وكان قلب قوسين  
أو أدنى وبشاكل  
الشرح الذى شرحناه  
قول أبى العباس بن  
عطاف فى قوله تعالى  
ما زلغ البصر  
وما طغى - قال لم يره  
بطليان يميل بل رآه على  
شرط اعتدال القوى  
وقال سهل بن عبد الله  
التستري لم يرجع  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم إلى شاهد نفسه

يأخ منها على التدور لاطى الدوام واللوابة عليها هزل مذموم وسبب للضحك للميت القلب .

### ( الآلة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء )

وهذا محرم مهما كان مؤذيا كقَالَ تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خير منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن - ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتثنية على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالهاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والألغاء وإذا كان محضرة السخرى به لم يسم ذلك غيبة ومعنى الغيبة قالت عائشة رضي الله عنها حاكيت إنسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم « والله ما أحب أن حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا » (١) وقال ابن عباس في قوله تعالى - يا ويلتنا لهذا الكتاب لا يفاد صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - إن الصغيرة تبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة التفهيم بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر . وعن عبد الله بن زمة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطف فوعظهم في ضحكهم من الضربة فقال علام يضحك أحدكم مما يغفل (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن للسخرين بالناس ففتح لأحدهم باب من الجنة فيقال لهم لهم فجي بكر به وغمه فاذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال لهم لهم فجي بكر به وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب فيقال له لهم فجي بكر به وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن من غير أخاه بذنب قد تاب عنه لم يمت حتى يسمه (٣) وكل هذا يرجع إلى استحقاق التبر والضحك عليه استهانة به واستخفافا له وعليه نبه قوله تعالى - عسى أن يكونوا خيرا منهم - أى لأن تعقره استخفافا قلعه خير منك وهذا إنما يحرم من حق من يتأذى به فأما من جمل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به حكاه السخرية في حق من جملة الزواح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وإنما المحرم استخفافا يتأذى به للسخرى به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا خبط فيه ولم ينتظم أو على أقواله إذا كانت مشووعة كالضحك على خطه وعلى صنعه أو على صورته وخلقته إذا كان قصيرا أو ناقصا لبيب من النيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية للنهي عنها .

### ( الآلة الثانية عشرة إنشاء السر )

وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المارف والأسماء قال النبي صلى الله عليه وسلم

### ( الآلة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء )

(١) حديث عائشة حكيت إنسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما يسرنى أنى حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا أبو داود والترمذى وصححه (٢) حديث عبد الله بن زمة وعظم في الضحك من الضربة وقال علام يضحك أحدكم مما يغفل (٣) حديث ابن السكيتين بالناس ففتح لأحدهم باب من الجنة فيقال لهم لهم فجي بكر به وغمه فاذا جاء أغلق دونه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث الحسن مرسلا ورويناه في ثمانيات النجيب من رواية أبي هذبة أحد المهاجرين عن أنس (٤) حديث معاذ بن جبل من غير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يسمه الترمذى دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس إنسانه بمتمتع قال الترمذى قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه .

### ( الآلة الثانية عشرة إنشاء السر )

ولا إلى مشاهدتها وإنما كان مشاهدا بكيته لربه يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التي أوجبت الثبوت في ذلك المهل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرعناه برمز في ذلك من سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك أيضا ما أخرناه به شيئا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن محمد بن منصور الصفار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت أبا نصر ابن عبد الله بن علي



« إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة<sup>(١)</sup> » وقال مطلقا « الحديث بينكم أمانة<sup>(٢)</sup> » وقال الحسن إن من الحياة أن تحدث بسر أخيك . وروى أن معاوية رضى الله عنه أسرى الوليد بن عتبة حديثا فقال لأبيه يا أبت إن أمير المؤمنين أسرى حديثا وما أراه يطوى عنك ما بسطه إلى غيره قال فلا تحدثني به فإن من كنتم سره كان الخيار إليه ومن أفشاء كان الخيار عليه قال قلت يا أبت ومن هذا يدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذل لسانك بأحاديث السرفا فأبنت معاوية فأخبرته فقال بوليد أعنتك أبوك من رقى الخطأ فأفشاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه إضرار ، ولوم إن لم يكن فيه إضرار ، وقد ذكرنا ما يتصلق بكتاب السرفا كتاب آداب الصبغة فأغنى عن الإعادة .

### ( الآلة الثالثة عشرة الوعد الكاذب )

فإن الأسان سباق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلقا وذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود - وقال صلى الله عليه وسلم « العدة عطية<sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « الوأى مثل الدين أو أفضل<sup>(٤)</sup> » « والوأى الوعد وقد أنشأ الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال - إنه كان صادق الوعد - قيل إنموعدا إنسانا في موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي فبق اسمعيل اثنين وعشرين يوما في انتظاره . ولما حضرت عبدالله بن عمر الوفاة قال إنه كان خطب إلى ابني رجل من قريش وقد كان مني إليه شبه الوعد فوالله لا أنقي الله ثلث النفاق أشهدكم أني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن أبي الحنفاء قال « يايت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن ييئ ويقيت له بقعة فوعده أن آتيه بها في مكانه ذلك ففسيت بويي والقد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا بني لقد شقت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظر<sup>(٥)</sup> » وقيل لإبراهيم : الرجل يواعد الرجل لليحاد فلا يجيء قال ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وعد وعدا قال عسى<sup>(٦)</sup> وكان ابن مسعود لا يصدق إلا ويقول إن شاماه وهو الأولي ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتذر فإن كان عند الوعد عازما على أن لا يني فهذا هو النفاق . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان<sup>(٧)</sup> » وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا

(١) حديث إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة أبو داود والترمذي وحسنه من حديث جابر (٢) حديث الحديث بينكم أمانة ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا .

### ( الآلة الثالثة عشرة الوعد الكاذب )

(٣) حديث العدة عطية الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف وأبو يعقوب في الخلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والحرط في كتابه من حديث الحسن مرسلا (٤) حديث الوأى مثل الدين أو أفضل ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن لهيعة مرسلا وقال الوأى يعني الوعد ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضيف (٥) حديث عبد الله بن أبي الحنفاء يايت النبي صلى الله عليه وسلم فوعده أن آتيه بها في مكانه ذلك ففسيت بويي والقد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا بني قد شقت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظر<sup>(٦)</sup> رواه أبو داود واختلف في إسناده وقال ابن مهدي ما أظن إبراهيم بن طهمان إلا أخطأ (٧) حديث كان إذا وعد وعدا قال عسى لم أجده أصلا (٧) حديث أبي هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق الحديث وفيه إذا وعد أخلف متفق عليه وقد قدم

السراج قال أنا أبو الطيب السكوني محمد الجبري قال التبرع إلى استدراك علم الانقطاع وسية والوقوف على حد الانحسار نجاة والياد بالحرب من علم الدين وسية واستنباح ترك الجسواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعي استماع الخطاب تكلف وخوف فوت علم ما انطوى من ضاحية الفهم في حيز الإقبال مساءة والإصغاء إلى تلقى ما ينفصل عن معدته وبدوا لاستسلام عند التلاقي جراءة والانبساط في مهل الألس غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لأربابها وفي قوله تعالى ساجدا

ومن كانت فيه خلعة منهن كان فيه خلعة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدو وإذا خاصم فجر (١) وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فمن له عذر منه من الوفاء لم يكن منافقا وإن جرى عليه ما هو صورة العاق ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي أن يجعل نفسه مدعورا من غير ضرورة حاضرة فقد روي « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السي فاعطى اثنين وبقي واحد فأنت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول ألا ترى أثر الرحي يدي فذكر موعده لأبي الهيثم فجعل يقول كيف بوعدي لأبي الهيثم (٢) » فآثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع أنها كانت تدبر الرحي بيدها الضعيفة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقيم غنائم هوازن حين فوفق عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ماشئت فقال احتكم ثمانين ضائبة وراعيا قال هي لك وقال احتكتك يسرا (٣) ولصاحبة موسى عليه السلام التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما حين حكما موسى عليه السلام فقالت : حكى أن تردني شاة وأدخل معك الجنة . قيل فكان الناس يصفون ما احتكم به حق جعل مثالا قيل أشع من صاحب الثمانين والراعي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيته أن يفي (٤) » وفي لفظ آخر « إذا وعد الرجل أخاه في نيته أن يفي فلم يعد فلا إثم عليه .

( الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين )

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسميل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يخبط بسد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال يا كم والكذب فانه مع الفجور وما في النار (٥) وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الكذب باب من أبواب النفاق (٦) » وقال الحسن كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والملاينة والقول والعمل والدخل والمخرج وإن الأصل الذي ين عليه

(١) حديث عبد الله بن عمرو أربع من كن فيه كان منافقا الحديث متفق عليه (٢) حديث كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السي فاعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة تطلب منه الحديث وفيه فجعل يقول كيف بوعدي لأبي الهيثم فآثره به على فاطمة فتقدم كرقصة لأبي الهيثم في آداب الأكل وهي عند الترمذى من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر لفظة (٣) حديث أنه كان جالسا يقيم غنائم هوازن حين فوفق عليه رجل فقال إن لي عندك موعدا قال صدقت فاحتكم ماشئت الحديث وفيه لصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك الحديث ابن حبان والحاكم في المستدرک من حديث أبي موسى مع اختلاف قال الحاكم جميع الاسناد وفيه نظر (٤) حديث ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يعد فلا إثم عليه أبو داود والترمذى وضعفه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثاني إلا أنهما قالا فلم يفت .

( الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين )

(٥) حديث أبي بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال يا كم والكذب الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة وجهه للصف من رواية اسماعيل بن أوسط عن أبي بكر وإنما هو أوسط بن اسماعيل بن أوسط وإسناده حسن (٦) حديث أبي أمامة إن الكذب باب من أبواب النفاق ابن عدى في الكامل بسند ضعيف وفيه عمن بن موسى

البصر وما طفى -  
وجه آخر الطغمة -  
سبق : ما زال البصر  
حيث لم يتخلف عن  
البصرة ولم يتقاصر  
وما طفى لم يسبق البصر  
البصرة فيتجاوز حده  
ويتعدى مقامه بل  
استقام البصر مع  
البصرة والظاهر  
مع الباطن والقلب مع  
القلب والنظر مع القدم  
ففي تقدم النظر على القدم  
طغيان ولعل بالنظر  
علم بالتقدم حال الغالب  
فلم يتقدم النظر على  
القدم فيكون طغيانا  
ولم يتخلف القدم عن  
النظر فيكون تقصيرا  
فلما اعتدلت الأحوال  
وصار قلبه كغالبه  
وقالبه كغلبه وظاهره  
كباطنه وباطنه  
كظاهره وبصره  
كبصرته وبصيرته

الفاق الكذب وقال عليه السلام «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب» (١) وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يزال البعد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» (٢) . «ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لا أغضبك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا أزيدك على كذا وكذا فرب الشاة وقد اشترها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالآثم والكفارة» (٣) وقال عليه السلام «الكذب ينقص الرزق» (٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن التجار هم الفجار قيل يا رسول الله أليس قد أحل الله البيع ؟ قال نعم ولكنكم مخلوفون فبأئمون ومخدون فيكذبون» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم : الثمان بغيته والتنفق سلمته بالخلف الفاجر والسبل إزاره» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ما خلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بوضة إلا كانت نكسة في قلبه إلى يوم القيامة» (٧) وقال أبوذر قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يحبهم الله رجل كان في فئة فغصب غيره حتى يقتل أو غصب الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فغصب على أذاه حتى غرق بينهما موت أو ظعن ورجل كان معه قوم في سفر أوسرهم فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسوا الأرض فتركوا حتى يصلى حتى يوقظ أصحابه للرحيل وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الخلف والفقير المتكالب والخبيل اللان» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «رأيت كأن رجلاً جاءني فقال لي قم فممت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس يسد القائم كلوب من حديد يلقيه في شق الجالس فيجذب به حتى يبلغ كاهله

الوجهي ضئيف جداً ويضي عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق حديث أربع من كن فيه كان منافقاً قال في كل منها وإذا حدث كذب وها في الصحيحين وقد غفدا في الآفة التي قبلها (١) حديث كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له كاذب البخاري في كتاب الأدب للفرد وأبو داود من حديث سفیان بن أسيد وضعفه ابن عدى ورواه أحمد والطبرانی من حديث النواس بن صمان بإسناد جيد (٢) حديث ابن مسعود لا يزال البعد يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً متفق عليه (٣) حديث مر رجلين يتبايان شاة ويتحالفان الحديث وفيه فقال أوجب أحدهما بالآثم والكفارة أبو الفتح الأزدی فی کتاب الأسماء للقرعة من حديث ناسخ الحضرمي وهكذا رويناها في أمالي ابن مسعود وناسخ ذكره البخاري هكذا في التاريخ وقال أبو حاتم هو عبد الله بن ناسخ (٤) حديث الكذب ينقص الرزق أبو الشيخ في طبقات الأصفيين من حديث أبي هريرة ورواه كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر وإسناده ضئيف (٥) حديث إن التجار هم الفجار الحديث وفيه ومخدون فيكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل (٦) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم الثمان بغيته وللحق سلمته بالخلف الكاذب والسبل إزاره مسلم من حديث أبي ذر (٧) حديث ما خلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بوضة إلا كانت نكسة في قلبه إلى يوم القيامة الترمذي والحاكم وصححه إسناده من حديث عبد الله ابن أنيس (٨) حديث أبي ذر ثلاثة يحبهم الله الحديث وفيه وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الخلف أحمد واللفظ له وفيه ابن الأحمس ولا يرف حاله ورواه هو والنسائي بلفظ آخر بإسناد جيد والنسائي من حديث أبي هريرة أربعة يفضهم الله البياع الخلف الحديث وإسناده جيد (٩) حديث ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .

كبحره غث انتهى  
نظره وعلم قارنه  
قدمه وحاله ولهذا المعنى  
انكسر حكم معناه  
ونوره على ظاهره وأتى  
البراق ينتهي خطوه  
حيث ينتهي نظره  
لا يتخلف قدم البراق  
عن موضع نظره كما  
جاء في حديث المراج  
فكان البراق قبالة  
مشاكلاته ومتصفا  
بصفته لقوة حاله ومعناه  
وأشار في حديث المراج  
إلى مقامات الأنبياء  
ورأى في كل سماء  
بعض الأنبياء إشارة  
إلى تمويجهم وتخلفهم  
عن شأوه ودرجته  
ورأى موسى في بعض  
السماوات فن هو في  
بعض السماوات يكون  
نوله سارني أنظر إلى البسه  
تجاوزا للنظر عن حد

ثم يحذبه يلقيه الجانب الآخر فيمده فاذا رجع الآخر كما كان قلت للذي أقرني ما هذا ؟ فقال هذا رجل كذاب يذب في قبره إلى يوم القيامة (١) » وعن عبد الله بن جراد قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله هل يزن المؤمن ؟ قال قد يكون ذلك قال يابني الله هل يكذب المؤمن ؟ قال لا ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى - إنما يضمرى الكذابين لا يؤمنون بآيات الله - (٢) » وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول في دعائه « اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، ومملك كذاب ، وعائل مستنكر (٤) » وقال عبد الله بن عامر « جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعالى حق أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت إنما قال أما إنك لو لم تفعل لي كسبت عليك كذبة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لو أفاء الله على نعماء عدد هذا الحصى لتسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذبا ولا جانا (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين ثم قصد وقال : ألا وقول الزور (٧) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن البديل يكذب الكذبة فيتباعد لللك عنه مسيرة ميل من ثن ما جاء به (٨) » وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم « تقبلوا إلى بست أقبل لكم بالجنة فقالوا وما هن ؟ قال إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا أئتم فلا يخن وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فمقت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس يد القائم كلوب من حديد يلقيه في شق الجالس الحديث البخاري من حديث حمزة بن جندب في حديث طويل (٢) حديث عبد الله بن جراد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يزن المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا الحديث ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصر على الكذب وجعل السائل أبا البراء (٣) حديث أبي سعيد اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب هكذا وقع في نسخ الإحياء عن ابن سيد و إنما هو عن أم عبد كذا رواه الخطيب في التاريخ دون قوله وفرجي من الزنا وزاد وعلمي من الرياء وعيني من الحيانة وإسناده ضعيف (٤) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم الحديث وفيه والإمام الكذاب مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعالى أعطيك فقال وما أردت أن تعطيه قالت إنما قال إن لم تفعل لي كسبت عليك كذبة رواه أبو داود وفيه من لم يسم قال الحاكم إن عبد الله بن عامر ولد في حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه . قلت وله شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ورجلها ثقات إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة (٦) حديث لو أفاء الله على نعماء عدد هذا الحصى لتسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذبا ولا جانا رواه مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (٧) حديث ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الحديث وفيه ألا وقول الزور متفق عليه من حديث أبي بكر (٨) حديث ابن عمر إن البديل يكذب الكذبة فيتباعد لللك عنه مسيرة ميل من ثن ما جاء به الترمذي وقال حسن غريب (٩) حديث أنس تقبلوا إلى بست أقبل لكم بالجنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب الحديث الحاكم في المستدرک والحراطي في مكارم الأخلاق وفيه سعد بن سنان ضعه أحمد والنسائي ووثقه ابن معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال

التقدم وتخلقا للتقدم عن النظر وهذا هو الاخلاق بأحد الوصفين من قوله تعالى سماراغ البصر وما طفى - فرسول الله حمل مقترنا قدمه ونظره في حبال الحياء والتواضع ناظرا إلى قدمه قادمة على نظره ولو خرج عن حبال الحياء والتواضع وتناول بالنظر متمديا حد القدم فوق في بعض السموات كتموق غيره من الأنبياء فلم يزل صلى الله عليه وسلم متجلس حباله في خفارة أدب حله حتى خرق حجب السموات فانصبت إليه أقسام القرب انصبابا واقتضت عنه محابب المحب حجابا حجابا حتى استقام على

« إن للشيطان كلا ولعوقا ونشوقا أما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالنصب وأما كله فالنوم »<sup>(١)</sup> وخطب عمر رضي الله عنه يوما فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كفيافي هذا فكم قال « أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم ثم يغشوا الكذب حتى يخلف الرجل على العين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد »<sup>(٢)</sup> وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من حدث عن عديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين »<sup>(٣)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان »<sup>(٤)</sup> وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه رد شهادة رجل في كذبة كذبها »<sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « كل خصلة يطبع أو يطوى عليها السلم إلا الحيانة والكذب »<sup>(٦)</sup> وقالت عائشة رضي الله عنها « ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعن على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة قد عز وجل منها »<sup>(٧)</sup> . وقال موسى عليه السلام : يارب أي عبادك خير لك عملا ؟ قال من لا يكذب لسانه ولا يخبر قلبه ولا يزي فرجه ، وقال لقمان لابنه : يا بني إياك والكذب فانه شهى كلهم الصغور عماريل يتلاه صاحبه ، وقال عليه السلام في مدح الصدق « أربع إذا كنّ فيك لا يضرّك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة طعمه »<sup>(٨)</sup> وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قام فينا رسول الله ﷺ مثل مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال « عليكم بالصدق فانه مع البر » وما في الجنة »<sup>(٩)</sup> وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالمعهد وبذل السلام وخفض الجناح »<sup>(١٠)</sup>

صحيح الاسناد (١) حديث إن للشيطان كلا ولعوقا الحديث الطبراني وأبو نعيم من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث خطب عمر بالجالية الحديث وفيه ثم يغشوا الكذب الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر (٣) حديث من حدث بعديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب (٤) حديث من حلف على يمين مأم لم يقطع بها مال امرئ مسلم الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث أنه رد شهادة رجل في كذبة كذبها ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية موسى بن شيبة عن سلا وموسى روى معمر عنه مناكير قاله أحمد بن حنبل (٦) حديث على : كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن إلا الحيانة والكذب ابن أبي شيبة في الصنف من حديث أنى أمانة زواه ابن عدي في مقدمة الكامل من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر أيضا وأبي أمانة أيضا ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث سعد مرفوعا وموقوفا والموقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطني في المل (٧) حديث ما كان من خلق الله شيء أشد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطعن على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة أحمد بن حنبل حديث عائشة ورجاله تفات إلا أنه قال عن ابن أبي مليكة أو غيره وقد رواه أبو الشيخ في الطبقات قال ابن أبي مليكة ولم يشك وهو صحيح (٨) حديث أربع إذا كنّ فيك فلا يضرّك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث ، الحديث الحاكم والخراطي في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه ابن أبي مليكة (٩) حديث أبي بكر عليك بالصدق فانه مع البر وما في الجنة ابن ماجه والنسائي في اليوم واليلة وقد تقدم بضه في أول هذا النوع (١٠) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث أبو نعيم في الحلية وقد تقدم .

صراط - ما زاغ البصر  
وما طغى - فمركال برق  
الخاطف إلى غدد  
الوصل والاطاف وهذا  
غاية في الأدب ونهاية في  
الأرب . قال أبو محمد  
ابن روم حين سئل  
عن أدب للسافر فقال  
لا يجاوزهم قدمه لحيت  
وقب قلبه يكون مغفوه  
أخبرنا شيخنا ضياء

الدين أبو التيجاب إجازة  
قال أنا عمر بن أحمد قال  
أنا أبو بكر بن خلف  
قال أنا أبو عبد الرحمن  
السلي قال ثنا القاضي  
أبو محمد يحيى بن  
منصور قال حدثنا  
أبو عبد الله محمد بن  
علي الترمذي قال حدثنا  
محمد بن زمام الأيلي قال  
حدثنا محمد بن عطاء  
الحجيمي قال حدثنا  
محمد بن نصير عن عطاء

وأما الآيات : فقد قال علي رضي الله عنه : أعظم الخطأ ما عذب الله اللسان الكذب وشتر الدماء ندامة يوم القيامة ، وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على إزارى ، وقال عمر رضي الله عنه : أحبكم إلينا ما لم ترك أحسنكم أصبا فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلفا فإذا اخترناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، وعن ميمون بن أبي شبيب قال جلست أكتب كتابا فأثبت على حرف إن أنا كتبت زيف الكتاب وكنت قد كذبت فزمت على تركه فتوديت من جانب البيت - ثبت الله الدين آمنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة - وقال الشعبي : ما أدري أيهما أبعد غورا في النار الكذاب أو البخيل وقال ابن الهالك ما أراى أوجر على ترك الكذب لأنى إنما أدعه أقة ، وقيل لخالد بن صبيح أبسى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار : قرأت في بعض الكتب ما من خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله فإن كان صادقا صدق وإن كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كما قرضنا بنتا . وقال مالك بن دينار : الصدق والكذب يتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه .

### ( بيان مارخص فيه من الكذب )

اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فإن أقل درجاته أن يتعد الخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق بضر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا . قال ميمون بن مهران الكذب في بعض اللواطن خير من الصدق أرايت لو أن رجلا سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله فدخل دارا فأتى إليه فقال أرايت فلانا ما كنت قائلا ألت تقول لم أراه وما تصدق به وهذا الكذب واجب . فنقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحا وواجب إن كان القصد واجبا كان كعصمة السلم واجبة فمهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم صدق الحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب الخبي عليه إلا بالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل إلا للضرورة . والذي يدل على الاستثناء ما روى عن أم كلثوم قالت « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخس في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والرجل يحدث زوجها » (١) وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نحى خيرا » (٢) وقالت أسماء بنت زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين يصلح بينهما » (٣) وروى عن أبي كاهل قال « وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فقلت أحدهما قتل مالك وقلان قد

ابن أبي رباح عن ابن عباس قال وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية سرب أرى أنظر إليك - قال : قال ياموسى إنه لا يرانى حتى إلا مات ولا يابى إلا تدهده ولا رطب إلا تخرق إنما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم . ومن آداب الحضرة ما قال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يختص ببعض الأحوال والأشياء دون البعض ليس هو على الإطلاق لأن الله تعالى أمر بالهاء وإنما الاستمالة عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط في طلب للكرب

(١) حديث أم كلثوم ما سمعته يرخس في ثلاث مسلم وقد تقدم (٢) حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه وقد تقدم والذى قبله عند مسلم بس هذا (٣) حديث أسماء بنت زيد كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما أحمد زيادة فيه وهو عند الترمذى مختصرا وحسنه .

سمعه يحسن عليه الشاء ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حق اصطلاحاً قلت أهليكت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا كاهل أصلح بين الناس<sup>(١)</sup> أي ولوا بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل لني صلى الله عليه وسلم : أ كذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك<sup>(٢)</sup> » وروى أن ابن أبي عمرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضى الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن فطارت له في الناس من ذلك أحدى بكرة فبكرها فباعها بمذك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل تبغضين قالت لا تشدني قال فاني أنشدك الله قالت نعم فقال لابن الأرقم أسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضى الله عنه فقال إنكم لتحدثون أذى أظلم النساء وأخلمهن فأسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة ابن أبي عمرة فجاءت هي وعمتها فقال أنت التي تحدثين زوجك أنك تبغضينه قالت إني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناشدني فتحرجت أن أ كذب فأ كذب يأمرى للؤمنين فقال نعم فأ كذب فان كانت إحدا كن لا تحب أحدنا فلا تحمده بفلك فان أقل البيوت التى يبنى على الحب ولكن الناس يمشرون بالاسلام والأحساب ، وعن النواس بن سمعان الكلبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما لي أراكم تهافتون في الكذب تهافت القراش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة ويكون بين الرجلين شجاعة فيصلح بينهما أو يحدث أمرأته برضاها<sup>(٣)</sup> » وقال ثوبان الكذبي كله إنم إلا ما تقع به مسلماً أو دفعه عن ضرر أو قال على رضى الله عنه : إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تأخر من السماع أحب إلى من أن أ كذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فخذوا هذه الثلاث وود فيها صريح الاستثناء وفي منها ما عادها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره . أما ما ه فثل أن يأخذه ظالم ويأله عن ما ه فله أن ينكره أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول ما زنت وما سرقت ، وقال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله<sup>(٤)</sup> » وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى فالرجل أن يحفظه وماله الذى يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وإن كان كاذبا . وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعد لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطيبا لقلبها أو يستتر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة نود فلا بأس به ولكن الحديث أن الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع توله منه محذور فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم أن المحذور الذى يحصل

(١) حديث أبي كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام الحديث وفيه يا أبا كاهل أصلح بين الناس رواه الطبراني ولم يصح (٢) حديث عطاء بن يسار قال رجل لني صلى الله عليه وسلم أ كذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسل وهو في اللواط عن صفوان ابن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار (٣) حديث النواس بن سمعان مالى أراكم تهافتون في الكذب تهافت القراش في النار كل الكذب مكتوب الحديث أبو بكر بن بلال في مكارم الأخلاق بلفظ تنبيعون إلى قوله في النار دون ما بعده فرواه الطبراني وفيما شهر بن حوشب (٤) حديث من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ اجتنبوا هذه القاذورات التى نهى الله عنها فمن ألم بجى منها فليستر بستر الله وإنسانه حسن .

والحاجات الدينية  
حق رفته الحق مقاما  
في القرب وأذن له في  
الانسياط وقال اطلب  
منى ولو لمعا ليجنك  
فما بسط انبسط وقال  
- رب إني لما أزلت  
إلى من خير فقير -  
لأنه كان يسأل حوائج  
الأخرة ويستعظم  
الحضرة أن يسأل  
حوائج الدنيا لحقارتها  
وهو في حجاب الحشمة  
عن سؤال المحقرات  
ولهذا مثال في الشاهد  
فان لللك الأعظم يسأل  
للعظمت ويحتم في  
طلب المحقرات فمافع  
بساط حجاب الحشمة  
صار في مقام خاص من  
القرب يسأل الحقير كما  
يسأل الخطير قال  
ذو التون للصري أدب  
العارف فوق كل أدب

بالصدق أشد وقسا في الترع من الكذب فله الكذب وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيها وعند ذلك الليل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح للضرورة أو حاجة مهمة فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم فيرجع إليه ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ينبغي أن يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تفاق بمرض غيره فلا يجوز الساعية لحق الغير والاضرار به وأكثر كذب الناس إنسا هو لحظوظ أنفسهم فهو زيادات السال والجاه ولأمور ليس فواتها عذورا حتى إن المرأة لتحتج عن زوجها ما تضر به وتكذب لأجل مراعاة الضرات وذلك حرام وقالت أسماء « سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت إن لي ضرة وإنني أنكرت من زوجي بما لم يفعل أمأرها بذلك فهل علي شيء فيه فقال صلى الله عليه وسلم: التشيع عالم يعطى كلابس ثوبي زور (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تطعم بما لا يطعم أو قال لي وليس له أو أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل في هذا قولي العالم بما لا يتحققه (٢) » وروايته الحديث الذي لا يثبتته إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو ذلك يستكشف من أن يقول لأدري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعد أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحا ، ثم روي في الأخبار أن ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب للباح أيضا قد يكتب ومحاسب عليه ويطلب بتصحيح قصده فيه ثم يفي عنه لأنه إنما أبيع بقصد الإصلاح ويتطرق إليه غرور كبير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وإنما يعمل ظاهرا بالإصلاح فلذلك يكتب وكل من أتى بكذبة قد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن القصد الذي كذب لأجله هل هو أم في الترع من الصدق أم لا وذلك غامض جدا والحزم تركه لأن يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن طائون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ محض إذ قال صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (٣) » وهذا لا يرتكب إلا للضرورة ولا ضرورة إذ في الصدق مندوحة عن الكذب فبما ورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل إن ذلك قد تكرر على الأنبياء وسقط وقعه وما هو جدي فوقعه أعظم فلهذا هو س إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم عذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة فلا يجوز خير هذا شره أصلا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يهاومها شيء . نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين .

### ( بيان الحذر من الكذب بالماريض )

قد قل عن السلف أن في المراض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه ما في المارض ما يكتفى الرجل عن الكذب . وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وإنما أراد: وبذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن ساجدة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ما روى أن مطرفا دخل على زياد فأنه بطله فمعرض وقال ما رفعت جنتي منذ فارت

(١) حديث أسماء قالت امرأة إن لي ضرة وإنني أنكرت من زوجي بما لم يفعل الحديث متفق عليه وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق (٢) حديث من تطعم بما لا يطعم وقال لي وليس له أو أعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة لم أجبه بهذا اللفظ (٣) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من طرق وقد تصم في العلم .

لأن معروفه مؤدب قلبه . وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى : من أكرمه القيام مسح أسناني وصفتي أكرمه الأدب ومن كشف له عن حقيقة ذات أكرمه العطب . فاحترأ بها شئت الأدب أو العطب وقول القائل هذا يشير إلى أن الأنبياء والصفاء تستغل بوجوب محتاج إلى الأدب لبقاء رسوم البشرية وحفظ النفس مع لسان نور عظيمة الذات ثلاثي الآثار بالأنوار ويكون معنى العطب التحقق بالقضاء وفي ذلك العطب نهاية الأرب . وقال أبو عسى الدقاق في قوله تعالى - وأيوب



الأمر إلا ما رضى الله وقال إبراهيم إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب قل إن الله تعالى يعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف نفي عند السمع وعند اللباهم . وكان معاذ بن جبل عاملا لعمر رضى الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتي به الصالح إلى أهلهم وما كان قد أتانا هو . فقال كان عندي ضابط قالت كنت أمتنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضى الله عنه فبث عمر معك ضابطا وقالت بذلك بين نسائها واشتكت عمر فلما بلغته ذلك دعا معاذا وقال بشت معك ضابطا قال لم أجد ما أعترض به إليها إلا ذلك فضحك عمر رضى الله عنه وأعطاه شيئا فقال أرضها به ومعنى قوله ضابطا جن رقيقا وأراد به الله تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته أعتريك سكرًا بل يقول أرايت لو اشتريت لك سكرًا فإنه ربما لا يتفق له ذلك . وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار قال للجارية قولى له اطلبي في السجود لا تقولى ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان النخعي إذا طلب في المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية متى الأصبغ فيها وقولى ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تضم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روى عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فخرجت وطى ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه أمير المؤمنين فكنت أقول لجزى الله أمير المؤمنين خيرا قال لي أنى أبى اتقى الكذب وما أشبهه فتهاه عن ذلك لأن فيه تخريرا لهم على ظن كاذب لأجل غرض للفاخرة وهذا غرض باطل لافائدة فيه ، ثم للمريض تباح لغرض خفيف كتطبيب قلب الضير بالمزاج كقوله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة مجور »<sup>(١)</sup> وقوله للأخرى « الذى في عين زوجك يابس » وللأخرى « تحملك على ولد البعير » وما أشبهه وأما الكذب الصريح كقائه نبيان الأضارى مع عثمان في قصة الضرر إذ قال له إنه نبيان وكما يتاده الناس من ملاعبة الحق بتزويرهم بأن أمرا قد رغب في تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطايئته فلا بوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال صلى الله عليه وسلم « لا يكلم المرء إلا بيمين حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وحتى يجتنب الكذب في مزاحه<sup>(٢)</sup> وأما قوله عليه السلام « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها في النار أبعد من التراب »<sup>(٣)</sup> وأراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح . ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في الباطنة كقوله طليتك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مائة مرة فإنه لا يريد به تضمير للرات بعدد ما بل تضمير للباطنة فان لم يكن طلبة إلا مرة واحدة كان كاذبا وإن كان طلبة مرات لا يتعدا مثله في الكثرة لا يأمرون أن يبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمباينة لخطر الكذب ومما يتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول لا أشبهه وذلك منهى عنه وهو حرام وإن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عيسى « كنت صاحبة عائشة في الليلة التى هيأتها وأدخلتها على رسول الله

(١) حديث لا يدخل الجنة المجور وحديث في عين زوجك يابس وحديث تحملك على ولد البعير تقدمت الثلاثة في الآفة العاشرة (٢) حديث لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في الباطنة كقوله طليتك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مائة مرة فإنه لا يريد به تضمير للرات بعدد ما بل تضمير للباطنة فان لم يكن طلبة إلا مرة واحدة كان كاذبا وإن كان طلبة مرات لا يتعدا مثله في الكثرة لا يأمرون أن يبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمباينة لخطر الكذب ومما يتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول لا أشبهه وذلك منهى عنه وهو حرام وإن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عيسى « كنت صاحبة عائشة في الليلة التى هيأتها وأدخلتها على رسول الله

إلا نادى وبه أنى  
مضى الضر وأنت  
أرحم الراحمين لم يقل  
أرحمى لأنه حفظ أدب  
الخطاب وقال عيسى  
عليه السلام إن كنت  
قلته فقد علمته - ولم  
يقُلْ لم أقل رعاية لأدب  
الحفصة . وقال  
أبو نصر السراج أدب  
أهل الخصوصية من  
أهل الدين في طهارة  
القلوب ومراعاة  
الأسرار والوفاء بالعهود  
وحفظ الوقت وقلة  
الانفات إلى الخواطر  
والعوارض والبوادر  
والعوائق واستواء  
السر والعلانية وحسن  
الأدب في مواقف  
الطلب ومقامات القرب  
وأوقات الحضور .  
والأدب أديان أدب  
قول وأدب فعل فمن

صلى الله عليه وسلم ومعنى نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قد حامن ابن شرب ثم ناوله عائشة قالت فاستجيت الجارية فقلت لأردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فأخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحك قلن لا نشفيه فقال لا تجمن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله إن قالت إحدىنا كفى تشفيه لأشفيه أيعد ذلك كذبا قال : إن الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذبة كذبية (١) وقد كان أهل الورع يحترزون عن التماس عثر هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن السيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينه فيقال له لو مسحت عينك فيقول وإن قول الطبيب لأعس عينك فأقول لأفضل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه انسل لسانه في الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر. وعن خوات التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خيثم عائدة لأن له فانكبت عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس الريح وقال أرضعته قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخي صدقت ومن العادة أن يقول علم الله فينا لا يطمع قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم الحالا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والأثم فيه عظيم إن قال عليه السلام « إن من أعظم القرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينه في المنام ما لم يرا أو يقول ما لم يقل (٢) » وقال عليه السلام « من كذب في حل كلف يوم القيامة أن يمد بين شمرتين وليس بإعدينهما بدأ (٣) ».

### ( الآفة الخامسة عشرة الفية )

والنظر فيها طويل فلنذكر أولا مذمة الفية وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بأكل لحم اللثة قال تعالى - ولا يفتب بفسك بضاً يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه - وقال عليه السلام « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه (٤) » والنية تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والماله وقال أبو رزرة قال عليه السلام « لا تحامدوا ولا تباغضوا ولا تتاجشوا ولا تدابروا ولا يفتب بفسك بضاً وكروا عياد الله إخوانا (٥) » وعن جابر وأبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيكم والنية فإن النية أشد من الزنا فإن الرجل قد بزى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب النية لا يضر له حتى يضر له صاحبه (٦) »

(١) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه قال لا تجمن جوعا وكذبا ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالبحشة لكن في طبقات الأصبايين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زحنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه الحديث فإذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك (٢) حديث ابن من أعظم القرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينه في المنام ما لم يرا أو يقول ما لم يقل (٣) حديث ابن عمر من أقرى القرى أن يرى عينه ما لم يرا (٤) حديث من كذب في حله كلف يوم القيامة أن يمد بين شمرتين البخاري من حديث ابن عباس .

### ( الآفة الخامسة عشرة الفية )

(٤) حديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة لا تحامدوا ولا تباغضوا ولا يفتب بفسك بضاً وكروا عياد الله إخوانا متفق عليهم من حديث أبي هريرة وأنس دون قوله ولا يفتب بفسك بضاً وقد قدم في آداب الصجبة (٦) حديث جابر وأبي سعيد إنا كرم النية فإن النية أشد من الزنا الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الصفاء وابن مردويه في التفسير.

خرب إلى الله تعالى بأدب فهل منعه عجة القلوب. قال ابن المبارك نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم وقال أيضا الأدب للعارف عزلة التوبة للمستأنف وقال التوري من لم يتأدب للوقت فوقه مقت وقال ذو النون إذا خرج للريد عن حد استعمال الأدب فانه يرجع من حيث جاء وقال ابن المبارك أيضا قد أكثر الناس في الأدب ونحن نقول هو معرفة النفس وهذه إشارة منه إلى أن النفس هي منبع الجبهالات وترك الأدب من مخامرة الجهل فإذا عرف النفس صاف نور الرفان على ما ورد

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مرت ليلة أسرى بي على أقوام يغمشون وجوههم بأظفارهم قلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين يبتاعون الناس ويقيفون في أعراشهم »<sup>(١)</sup> وقال سليم بن جابر « أتيت النبي عليه الصلاة والسلام قلت على خير أأتع به فقال لا تخف من اللصوص شيئا ولو أن نصب من دلوك في إناء السقي وأن تلقى أخاك يشر حسن وإن أدبر فلا تهابه » وقال البراء « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في يوتهن فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتأبوا للسليين ولا تتبعوا عورتهم فانه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته غصه في جوف يته »<sup>(٢)</sup> وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام: من مات تابما من القية فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرعا لم يبق له من يدخل النار. وقال أنس « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يظفرون أحد حتى آذن له فقام الناس حتى إذا أسوا جعل الرجل يحمي فيقول يا رسول الله ظلمت صائما فاذن لي لأظفر فاذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فأتان من أهلك ظلمت صائما فاذن لي لأظفر فاذن له ما أن غطرا فأعرض عنه <sup>عليه السلام</sup> ثم عوده فأعرض عنه ثم عوده فقال إنهما لم يصوما وكف بصوم من ظن نهاره بأكل لحم الناس اذهب فرها إن كانتا صائمتين أن تستبثا فرجع إليهما فأخبرهما فاستغفرتا فأتاه كل واحدة منهما علقه من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار »<sup>(٣)</sup> وفي رواية « أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله والله إنها قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم اتوني بهما فبأتهما فدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لإحدهما قيتي فقامت من قبح ودم ومديد حتى ملأت القدح وقال للأخرى قيتي فقامت كذلك فقال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأظفرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحدهما إلى الأخرى فبصلتا تأكلان لحوم الناس »<sup>(٤)</sup> وقال أنس « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال إن الهرم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زينة يزنها الرجل وأرى الربا عرض للسلم »<sup>(٥)</sup> وقال جابر « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على فبرين يذب صاحبهما فقال إنهما يذبان وما يذبان في كبير أما أحدهما فكان يخطب الناس وأما الآخر فكان لا يستتره من بوله فذا بحريضة رطبة أو جريدتين

(١) حديث أنس مررت ليلة أسرى بي على قوم يغمشون وجوههم بأظفارهم الحديث أبو داود مسندا ومرسلا والسند أصح (٢) حديث سليم بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت على خيرا ينفعي الله به الحديث أحمد في للسند وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ ولم يقل فيه أحمد وإذا أدبر فلا يبتابه وفي إسنادهما ضعف (٣) حديث البراء يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتأبوا للسليين الحديث ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد جيد (٤) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم وقال لا يظفرون أحد حتى آذن له فقام الناس الحديث في ذكر المرتين اللتين اغتاتبا في صيامهما فقامت كل واحدة منهما علقه من دم ابن أبي الدنيا في الصمت وابن مردويه في التفسير من رواية يزيد الرقاشي عنه وزيد ضعيف (٥) حديث المرتين للذ كورتين وقال فيه إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأظفرتا على ما حرم الله عليهما الحديث أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رجل لم يسم ورواه أبو جلي في مسنده فأسقط منه ذكر رجل اللهم (٦) حديث أنس خطبنا فذكر الربا وعظم شأنه الحديث وفيه وأرى الربا عرض الرجل للسلم ابن أبي الدنيا بسند ضعيف .

« من عرف نفسه قد عرف ربه » ولهذا النور لا تظهر النفس بجماله إلا ويقمها بصرح العلم وحينئذ يتأدب ومن قام بأدب الحضرة فهو يغيرها أقوم وعليها أقدّر .

[ الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها ]

قال الله تعالى في وصف أصحاب الصفة - فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب الطاهرين - قيل في التفسير يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والنجاسات بالماء . قال الكشي هو غسل الأديار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على

فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فترست على قبر وقال أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو مالم يمسهما (١) . « ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزاً في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أنقص كما يقص السكب فر صلى الله عليه وسلم ومعه بجيفة فقال اتهاش منها فقالا يارسول الله نهش بجيفة فقال ما أصابنا من أخيكاً أنن من هذه (٢) » وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يبتاعون عند التوبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة للتائقين وقال أبو هريرة: من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتاً كما أكلته حياً فأكله فنضج ويكبح (٣) وروى مرفوعاً كذلك . وروى أن رجلين كانا قاعدن عند باب من أبواب المسجد فرهما رجل كان غشاً فترك ذلك فقالا لقد بقي قيمته شيء وأقيمت الصلاة فدخلنا فصلياً مع الناس فحلف في أنفسهما ما قالاً فأتيا عطاء فسلأه فأمرهما أن يجدا الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائمين . وعن مجاهد أنه قال في - ويل لكل حمزة مرة - الحمزة الطعان في الناس والحمزة الذي يأكل لحوم الناس . وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من النية وثلث من النجاسة وثلث من البول وقال الحسن والله لفتية أسرع في دين الرجل للؤم من الأكل في الجسد وقال بعضهم أدر كنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في السكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذه عيوبك . وقال أبو هريرة يصرا أحدكم القذى في عين أخيه ولا يصير الجفجف في عين نفسه . وكان الحسن يقول ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا يصيب الناس بسبب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك الصيب فصلحه من نفسك فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الخواريون بجيفة كلب فقال الخواريون : ما أنتن ربح هذا السكب فقال عليه الصلاة والسلام : ما أهدت ياخذ أسنانه كأنه صلى الله عليه وسلم نهم عن غيبة السكب ونهيم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه . ومع علي بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يفتاب آخر فقال له إياك والنية فاتها إدام كلاب الناس . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته .

#### ( بيان معنى التوبة وحدودها )

اعلم أن حد التوبة أن تذكر أخطاك بما يكرهه لوليفه سواء ذكرته بنفسك في بدنه أو بنسبه أو في خلقه أو في فله أو في قوله أو في دينه أو في ثوبه وداره ودابته . أما البدن فكذلك العيش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان .

(١) حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباها فقال أما إنيما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يفتاب الناس الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو العباس الدمشقي في كتاب الآداب بأسناد جيد وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه النجاسة بدل النية . وللطائلي فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكره نحوه بأسناد جيد (٢) حديث قوله للرجل الذي قال لصاحبه في حق المرحوم هذا أقص كما يقص السكب فر بجيفة فقال اتهاش منها الحديث أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة نحوه بأسناد جيد (٣) حديث أبي هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتاً كما أكلته حياً الحديث ابن مردويه في التفسير مرفوعاً وموقوفاً وفيه محمد بن إسحاق روله بالتحفة .

النجابة . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما زلت هذه الآية « إن الله تعالى قد أتى عليكم في الطهور ما هو ؟ قالوا إنا نستنجي بالماء وكان قبل ذلك قل لم رسول الله إذا أتى أحدكم الغلاء فليستنج بثلاثة أحجار » وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء حتى زلت الآية في أهل قباء . قيل لسان قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الحراة قال سلمان أجل نهانا أن نستقبل القبلة بضائط أو بول أو نستنجي بالمسح أو يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجي برجيع أو

وأما النسب فبان قول أبوه نبطي أو هندي أو فاسق أو غيبس أو إسكاف أو زبل أو شيء مما يكرهه كنهيا كان . وأما الخلق فبان قول هوسى الخلق غيل متكبر مرأه شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجرى مجراه . وأما في أفعاله التماقة بالدين فكقولك هوسارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من التجاسات أو ليس باراً بوالديه أو لا يبتضع الزكاة موضعها أو لا يحسن قسبتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والقية والتعرض لأعراض الناس . وأما قوله التعلق بالدنيا فكقولك إنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى لأحد على نفسه حقاً أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل تنوم نيام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه . وأما في ثوبه فكقولك إنه واسع السكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لاغية في الدين لأنه ذم مازمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بما يجوز بدليل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولسكتها تؤذي جيرانها بلسانها فقال « هي في النار (١) » وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها نجية فقال « لها خيرها إذن (٢) » فهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى معرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص والاعتجاج إليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل على إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكره فهو مغتاب لأنه داخل فيها ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد القية وكل هذا وإن كان صادقا فيه فهو به مغتاب حاس لربه وأكل لحم أبيه بدليل ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هل تدرون ما القية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أ رأيت إن كان في شيء ما أقوله قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته (٣) » وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتم أحاكم قالوا يارسول الله قلنا ما فيه قال إن قلتم ما ليس فيه قد بهتموه (٤) » وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت عند رسول الله ﷺ امرأة قالت إنها نصيرة فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتيها (٥) » وقال الحسن ذكر الثبر ثلاثة القية والبهتان والإفك وكل في كتاب الله عز وجل فالقية أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والإفك أن تقول ما بملكك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الأسود ثم قال أستغفر الله إلى أرائي قد اغتبته وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور وقالت عائشة لا يفتان أحدكم أحداً فاني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إن هذه طولية الذيل فقال لي « الفظي الفظي فلعلت مضنة لحم (٦) »

(١) حديث ذكره امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكن تؤذي جيرانها فقال هي في النار ابن حبان والحاكم ومحمد بن حديث أبي هريرة (٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها نجية قال لها خيرها إذن الخراطلي في مكارم الأخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسل ورويناه في أمالي ابن هبمون هكذا (٣) حديث هل تدرون ما القية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٤) حديث معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه الحديث الطبراني بسند ضعيف (٥) حديث عائشة أنها ذكرت امرأة قالت إنها نصيرة فقال اغتبتيها رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي ومحمد بن قيس وضعه عند الصنف عن حذيفة عن عائشة وكذا هو في الصحيح لابن أبي الدنيا والصواب عن أبي حذيفة كاعند أحمد وأبي داود والترمذي واسم أبي حذيفة سلمة بن صبيب (٦) حديث عائشة قلت لامرأة إن هذه طولية الذيل فقال صلى الله عليه وسلم الفظي فلعلت بضعة من لحم ابن أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير وفي إسناده امرأة لأعرنفه .

عظم . حدثنا شيخنا  
ضياء الدين أبو النجيب  
إسلام قال أنا  
أبو منصور الحريري  
قال أنا أبو بكر الخطيب  
قال أنا أبو عمر الهامسي  
قال أنا أبو الوليد  
قال أنا . أبو داود قال  
حدثنا عبد الله بن محمد  
قال حدثنا ابن المبارك  
عن ابن هبمون عن  
القصاص عن أبي صالح  
عن أبي هريرة رضي  
الله عنه أنه قال : قال  
صلى الله عليه وسلم  
« إنما أنا لكم بمنزلة  
الواله أعلمكم فإذا  
أتى أحدكم الفاسط  
فلا يستقبل القبلة  
ولا يستدبرها ولا  
يستطيع يمنة » وكان  
بأمر ثلاثة أحجار  
وينهى عن الروث  
والرمة . والفرض في

(يَانْ أَنْ النِّبْيَةَ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى اللِّسَانِ)

اعلم أن الله ذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهم الغير قصان أخيك وتعرفه بما يكرهه فالتمريض به كالصرع والقمل فيه القول والإشارة والإيعاء والتمز والممز والكتابة والحركة وكل ما يفهم القصور فهو داخل في النبوة وهو حرام لمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت يدي أنها نصيرة فقال عليه السلام « اغتبتها » ومن ذلك الماكة كأن يمشي متعارجا أو كما يمشي فهو غيبة بل هو أهد من النبوة لأنه أعظم في التصور والتفهم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حاكمت امرأة قال « ما يسنن أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا » وكذلك النبوة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين وذكر الصنف شخصا معنا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقرر به شيء من الأعداء المحوجة إلى ذكره كما سأتى يانها وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما النبوة تعرض لشخص معين إماحي وإماميت ومن النبوة أن تقول بعض من مربنا اليوم أو بعض من رأينا إذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لأن المحدثون تفهمه دون ما به التفهم فاما إذا لم يفهم عنه جاز . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكره من إنسان شيئا قال « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا » فكان لا يبين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم إن كان معه قرية تفهم عين الشخص فهمي غيبة وأخبرت أنواع النبوة غيبة القراء الرائين فانهم يفهمون القصور على صفة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التنفيع عن النبوة ويفهمون القصور ولا يدرون بمفهمهم أنهم جمعوا بين فاحشتين النبوة والرياء وذلك مثل أن يذكر عنه إنسان يقول الحمد لله لم يثقلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الخطام أو يقول نمود بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يصمنا منها وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصفة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلى بممايتي به كلنا وهو قلة الصبر فيذكره ومقصوده أن يسم غيره في ضمن ذلك ويعد نفسه بالتشبه بال صالحين بأن يسم نفسه فيكون متعابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو يجهل بظن أنه من الصالحين للتنفيع عن النبوة ولذلك يلبس الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحيط بمكائده عملهم وينحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصفى إليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسم آله في تحقير خبثه وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذبا في دعوى الاتهام وفي إظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لأخفاء في خلوة تعقيب صلاته ولو كان يفهم بلا عظم أيضا بظهور ما يكرهه وكذلك يقول ذلك السكين قد بلى بأفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفى قصده وهو لجهل لا يدري أنه قد تعرض لثقت أعظم بماترضى له الجهال إذا جاها روا . ومن ذلك الإصفاء إلى النبوة على سبيل التعجب فانه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط القلب

(١) حديث عائشة دخلت علينا امرأة فأومأت يدي أي قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها ابن أبي الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن خارق عنها وحسان وثقه ابن حبان وباقين هجات (٢) حديث ما يسنن أني حاكيت ولي كذا وكذا تقدم في الآفة الحادية عشرة (٣) حديث كان إذا كرم من إنسان شيئا قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا الحديث أبو داود من حديث عائشة دون قوله وكان لا يبره ورجاله رجال الصحيح .

الاستنجاء حيثان إزالة الخبث وطهارة اللزب وهو أن لا يكون رجبيا وهو الروث ولا مستعملا مرة أخرى ولا مرة وحى عظم البتة ووتر الاستنجاء سنة فلما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمال الماء بعد الحجر سنة وقد قيل في الآية - يحبون أن ينظفروا وما استلوا عن ذلك قالوا كنا تتبع الساء الحجر والاستنجاء بالرجال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون في الصحراء إذا كانت أرضا طاهرة وترايا طاهرا . ومكيفة الاستنجاء أن يأخذ الحجر يمساه وضنه على مقدم المخرج قبل

في النية فيندفع فيها وكأنه يستخرج النية منه بهذا الطريق فيقول يجب ما علمت أنه كذلك ما عرفت إلى الآن إلا بالخبر وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلاءه فإن كل ذلك تصديق للعتاب والتصديق بالنية غيبة بل الساكت شريك العتاب قال صلى الله عليه وسلم «المتعم أحد المتأين» (١) وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه إن فلانا لنجوم ثم إنهما طلبا أدما من رسول الله ﷺ ليا كلاً به الخبر فقال صلى الله عليه وسلم «قد اتدتمنا افتقلا ما نعلمه قال بل إنكما أكلتما من لحم أخيكما» (٢) فانظر كيف جمعهما وكان القاتل أحدهما والآخر مستمعا وقال للرجلين اللذين قال أحدهما أقصص الرجل كما يقصص الكلب «انها من هذه الحيفة» (٣) فجمع بينهما فالمتعم لا يخرج من إثم النية إلا أن يشكر بلسانه أو قبله إن خاف وإن قدر على القيام أو قطع السلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وإن قال بلسانه اسكت وهو مشتت فذلك قبله فذلك تفاق ولا يخرج من الإثم ما لم يكرهه قبله ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه وجيبه فإن ذلك استنكار للذكور بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذهب عنه صراحا وقال صلى الله عليه وسلم «من أذلّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق» (٤) وقال أبو البرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ردّ عن عرض أخيه بالنيب كان حقا على الله أن يردّ عن عرضه يوم القيامة» (٥) وقال أيضا «من ذبّ عن عرض أخيه بالنيب كان حقا على الله أن يمتنه من النار» (٦) وقد ورد في نصرة المسلم في النية وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصلوة وحقوق المسلمين فلا نطول بإعادتها.

#### (بيان الأسباب الباعثة على النية)

اعلم أن البواعث على النية كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة تخص بأهل الدين وخاصة . أما الثمانية : فالأول أن يشقى العيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإنه إذا هاج غضبه يشقى بذلك ما يوجب فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع وقد يمنع تشقى العيظ عند الغضب فيجتنب الغضب في الباطن فيصير حقا ثانيا فيكون سببا داعيا له كمالا للساوي فالخوف والغضب من البواعث العظيمة على النية . الثاني موافقة الأقران وعجالة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فأنهم إذا كانوا يتفكهون بذلك الأعراض فيرى أن يلو أنكر عليهم أو قطع المجلس استقلوه وضرروا عنه فيساعدون ويرى ذلك من حسن الماشرة ويظن أنه

(١) حديث للسمع أحد المتأين الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم عن النية وعن الاستماع إلى النية وهو ضعيف (٢) حديث أن أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن فلانا لنجوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد اتدتمنا افتقلا ما نعلمه فقال بل ما أكلتما من لحم صاحبكما أبو العباس الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى من مراسلنا (٣) حديث أنها من هذه اللينة قاله للرجلين اللذين قال أحدهما أقصص الرجل كما يقصص الكلب تقدم قبل هذا باثني عشر حديثا (٤) حديث من أذلّ عنده مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن أبي عمير (٥) حديث أبي البرداء من ردّ عن عرض أخيه بالنيب كان حقا على الله أن يردّ عن عرضه يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر يلفظ قد أذله عن وجهه النار يوم القيامة وفي رواية له كان له حجاب من النار وكلامها ضعيف (٦) حديث من ذبّ عن عرض أخيه بالنيب كان حقا على الله أن يمتنه من النار أحمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد .

ملافة التجاسة وعمره بالمسح ويدبر الحجر في مرة حتى لا يتسل التجاسة من موضع إلى موضع يفعل ذلك إلى أن ينتهي إلى مؤخر المخرج ويأخذ الثاني ويضمه على المؤخر كذلك ويمسح إلى المقدمة ويأخذ الثالث ويدبره حول للسرعة وإن استجمر بهجر ذي ثلاث شمس جاز وأما الاستبراء إذا انقطع البول فيبعد ذكره من أصله ثلاثا إلى الحشفة بالرفق ثلاثا يندفق بقية البول ثم ينثره ثلاثا ويغتسل في الاستبراء بالاستنقاء وهو أن يتنحش ثلاثا لأن العروق ممتدة من الحلق إلى التامر وبالتنحش تحرك

جملة في الصلابة وقد يضرب رفاقه فيحتاج إلى أن يضرب لضربهم إظهارا للمساومة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والساوي . الثالث أن يستعمر من إنسان أنه سيقتله ويطول لسانه عليه أو يتبع حاله عند محنته أو يشهد عليه بجهادة فيأدره قبل أن يتبع هو حاله ويظن فيه ليستقر أثر شهادته أو يتدبّر بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول مامن طائفة المستغيب فاني أخبركم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت . الرابع أن ينسب إلى شيء فيريد أن يبرأ منه فيذكر الذي فيه وكان من حقه أن يبرأ منه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له في الفعل ليعيد بذلك عند نفسه في نفسه . الخامس إرادة التصنع واللباهة وهو أن يرفع نفسه بتفخيم غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ريك وكلامه منصف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه وبرحم أنه أعلم منه أو يحزن أن يحزن مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك . السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والتائه عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وتآمر عليه وإكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير النضب والحقد فإن ذلك يستدعي جنابة من النضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق الحسن والرفيق الوافي . السابع اللعب والمزول واللطاية وتركبة الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المذاكرة ومنشؤه التكبر والعجب . الثامن السخيرة والاستهزاء استحقارها فإن ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضا في التوبة ومنشؤه التكبر واستصغار للشهزاة به . وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي أخفها وأدنى لأنها شرور خباياها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خبر ولكن غاب الشيطان بها الشر . الأول أن تنبت من الدين داعة التعجب في إنكار للشر والحط في الدين فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان فإنه قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من النكرو ولكن كان حقه أن تعجب ولا يذكر اسمه فيسبل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه فصار به متناوبا وأثما من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يجب جاريته وهي قيصة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل . الثاني الرحمة وهو أن يتم بسبب ما يتلى به فيقول مسكين فلان قد غنى أمره وما أتى به فيكون صادقا في دعوى الاغتمام وعلية التمن من الخير من ذكر اسمه فيذكره فيصير به متناوبا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن سانه الشيطان إلى شر من حيث لا يدري والترحم والاغتمام يمكن دون ذكر اسمه فيعجه الشيطان على ذكر اسمه ليطل به ثواب اغتمامه وترحمه . الثالث النضب لله تعالى فإنه قد يضرب على منكر قارعه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظنر غضبه ويذكر اسمه ولكن الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر المعروف والنهي عن النكرو ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على الطاء فضلا عن العوام فانهم يظنون أن التعجب والرحمة والنضب إذا كان لله تعالى كان عفدا في ذكر الاسم وهو خطأ بل الرخص في التوبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي ذكره . روى عن عامر بن واثقه أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله تعالى فقال أهل المجلس لبئس ما قلت والله أنبتني ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فأدركه وأخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي له ما قال وسأله أن يدعو له فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك

وقد ذف ما جرى  
اليسول فان متى  
خطوات وزاد في  
التنح فلا بأس  
ولكن براعي حدالم  
ولا يحصل للشيطان  
عليه سبيلا بالسوسة  
فيضع الوقت ثم يمسح  
الذكر ثلاث مسحات  
أو أكثر لئلا يرى  
الرطوبة . وشبه بعضهم  
الذكر بالضرع وقال  
لا يزال تظهر منه  
الرطوبة مادام يجد  
فيراى انشد في ذلك  
وبراعى الوتر في ذلك  
أيضا للمحبات تكون  
على الأرض الطاهرة  
أو حجر طاهر وإن  
لصنعه فليأخذ الحجر  
باليدين وإذا ذكر باليسار  
ويمسح على الحجر  
وتسكون الحركة



فقال صلى الله عليه وسلم لم يفضه ؟ فقال أنا جاره وأنا به خار والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه للكتوبة قل فأسأله يارب الله هل رأي آخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها فأسأله قل لا فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والقاجر قال فأسأله يارب الله هل رأي قط أفطرت فيه أو قصت من حقه شيئا فأسأله عنه فقال والله ما رأيته يعطى سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيته ينفق شيئا من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فأسأله يارب الله هل رأيته تصمت منها أو ما كسبت فيها طالبا الذي يسأله فأسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فقله خير منك (١) .

( بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن التثنية )

اعلم أنه ما سوى الأخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها ، فلنقص عن سببها . وعلاج كلف اللسان عن التثنية على وجهين : أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل . أما على الجملة فممن يعلم تعرضه لسلط الله تعالى فيبنيه بهذه الأخبار التي رويها وأن يعلم أنها عبطة لحسناته يوم القيامة فإنها تنقل حسناته إلى يوم القيامة إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك معرض لقتل الله عز وجل ومشبه عنده بآكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن ترجع كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وإنما أكل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد الخاصصة واللطابة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم « ما النار في اليبس بأسرع من التثنية في حسنات العبد (٢) » وروى أن رجلا قال للحسن : بلغني أنك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي فهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في التثنية لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفعه أيضا أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيا اشتغل بسبب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغل عيه عن عيوب الناس (٣) » ومهما وجد عيا فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل يبنى أن يتحقق أن يهجر غيره عن نفسه في التزهد عن ذلك العيب كمحزه وهذا إن كان ذلك عيا يتعلق بنفعه واختياره وإن كان أمرا خلقيا فالتم له ذم للخالق فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قال رجل لحكيم ياقبص الوجه : قال ما كان خلق وجهي إلى فأحسنه وإذا لم يجد العبد عيا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوئى نفسه بأعظم العيوب فإن طلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعل أن ظنه بنفسه أنه بري من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن تألم غيره يبيته كتمان بنية غيره له فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يضاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملة . أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على التثنية فإن علاج العلة يقطع سببها . وقد قدنا الأسباب . أما الغضب فيعالج به مما يأتي في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول : إني إذا أضغيت غضي عليه فقل الله تعالى يعنى غضبه على بسبب التثنية إذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت

باليسار لا باليمين ولا يكون مستنجيا باليمين وإذا أراد استعمال الماء انتقل إلى موضع آخر وقنع الحجر ما لم ينتشر البول على الحشفة وفي ترك الاستنقاء في الاستبراء وعيد ورد فيا روه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال لهما ليذهبان وما يذهبان في كبير أما هذا فكان لا يستبرى أولا يستنزه من البول وأما هذا فكان يعشى بالقيحة ثم دعا بصبي رطب فشقته اثنتين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال له خفف عنهما ماء ييسا » والصيب الجريد وإذا

(١) حديث عامر بن واثلة أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبئض هذا في الله الحديث بطوله وفيه قال قم فقله خير منك أحمد بإسناد صحيح (٢) حديث ما النار في اليبس بأسرع من التثنية في حسنات العبد لم أجد له أصلا (٣) حديث طوبى لمن شغل عيه عن عيوب الناس البزار من حديث أنس بسند ضعيف .

بجزره وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن لجنت بابا لا يدخل منه إلا من شق غيظه بمصيبة الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء (٣) » وفي بعض الكتب الزلة على بعض النبيين : يا ابن آدم أذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أعصتك فمن أعصى . وأما الواقعة فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه فرضا الخلقين فكيف ترضى لنفسك أن توفّر غيرك وتغفر مولاك فتترك رضا لرضامك إلا لأن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر للتغضب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضا على رقائك إذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بأغشى الذنوب وهي التوبة . وأما نزبه النفس بسببه الغير إلى الحياة حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعاجله بأن تعرف أن التعرض لمت الحاقق أشد من التعرض لمت الخلقين وأنت بالتيه متعرض لسخط الله بقينا ولا تدرى أنك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى قهرا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخللان . وأما عندك كقولك إن آتاك الحرم فقلان يأكله وإن قبلت مال السلطان فقلان يقبله فهذا جهل لأنك تعتد بالاعتداء بمن لا يجوز الاعتداء به فان من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كالنا من كان ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقه لسفه عقلك فقيا ذكرته غيبة وزيادة مصيبة أصغتها إلى ما اعتذرت عنه وسجأت مع الجمع بين المصيتين على جهلك وغبواتك وكنت كالشاة تنظر إلى الغزى ترى نفسها من قلة الجبل فهي أيضا ترى نفسها ولو كان لها لسان تاتلق بالمدح وصرحت بالمدح وقالت الغزى كبرى وقد أهملت نفسها فكذلك أنا أقول لكنت تفضح من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تمجيب ولا تفضحك من نفسك . وأما قصدك للباهة وتركه النفس بزيادة الفضل بأن تدفع في غيرك فينبى أن تعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما هم اعتقادهم فيك إذا عرفوك بلب الناس فتكون قد بنت ماعد الحاقق فيينا بما عند الخلقين وهما ولو حصل لك من الخلقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يبنون عنك من الله شيئا . وأما التوبة لأجل الحسد فهو جمع بين عداوين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذبا بالحسد فما قتعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك في الدنيا فصرت أيضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك فإذا أنت صديق وعدو نفسك إذ لا تضربه غيبتك وتضرك وتنعمه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته ولا تنفعك وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقد حك سبب انتشار فضل محسودك كاقيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حدود

وأما الاستهزاء فمحسودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند اللائكة

(١) حديث إن لجنت بابا لا يدخله إلا من شق غيظه بمصيبة الله البزار وابن أبي الدنيا وابن عدى والبيهقي والنسائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حديث من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف وروياه في الأربعين البدائية للسلفي (٣) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس .

كان في الصحراء يمد من الميون . روى جابر رضي الله عنه « أن النبي عليه السلام كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد » وروى للفترة بن شعبة رضى الله عنه قال : « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة فأتى النبي عليه السلام حاجته فأبى من الذهب » وروى « أن النبي عليه السلام كان يتسوأ حاجته كما يتسوأ الرجل للسرل ، وكان يستر بمائل أو نشز من الأرض أو كوم من الحجارة » ويجوز أن يستر الرجل راحلته في الصحراء أو يذبله إذا حفظ التوب من الرشاس ويستحب البول في أرض دمنة أو على تراب

والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تشكرت في حسرتك وجنائيك وخجلتك وخزيتك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك ولوعرت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فأنك سحرت به عند قرق قليل وعرمت خسك لأن يأخذ يوم القيامة يدك على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كإساق الحمار إلى النار مستهزأ بك وفرحاً بخزيتك ومسروراً بصرة الله تعالى إياه عليك وتسلبه على الانتقام منك . وأما الرحمة له على إعفهو حسن ولكن حسدك إليهم فأضلك واستطقتك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبراً لإثم اللرحوم فيخرج عن كونه مرحوماً وتقلب أنت مستحقاً لأن تكون مرحوماً إذ حبط أجره ونقصت من حسناتك وكذلك النضب لله تعالى لا يوجب القية وإنما الشيطان حبب إليك القية ليحبط أجر غضبك وتصر ممرناً لقت الله عز وجل بالقية . وأما التعجب إذا أخرجك إلى القية فتعجب من نفسك أنت كيف أهلكت نفسك ودينك بدین غيرك أو بدنياء وأنت مع ذلك لتأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهلك الله مترك كاهنتك بالتعجب ستر أميك فاذن علاج جميع ذلك العرقه فقط والتحقق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان فمن قوى إيمانه بجميع ذلك انكشف لسانه عن القية لأحالة .

### ( بيان محرم القبة بالقلب )

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بما سوى التبر فليس لك أن تحدث نفسك وسوء الظن بأخيك ولست أعني به إلا عقد القلب وسكبه على غيره بالسوء ، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضاً معفو عنه ولكن للنهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركزن إليه النفس وبميل إليه القلب فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم - وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يطلعها إلا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سواء إلا إذا انكشف لك بيان لا يقبل التأويل فتد ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فاعلم الشيطان ببقية إليك فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة - فلا يجوز تصديق إبليس وإن كان ثم محيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تصدق به لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى إن من استسكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز أن يحدث إذ يقال يمكن أن يكون قد تضمن بالخمر وجبها وما شربها أو حمل عليه قهراً فكل ذلك لأحالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم من السلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء » (١) . فلا يتباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتوهرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان وأن مارأيت منه يحمل الخير والشر . فان قلت فهذا يعرف عقد الظن والشكوك تخليج والنفس تحدث . فقول : أماره عقده سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينظره تنورا ما ويستلته ويفتر عن مراعاته وتخفده وإكرامه والاغتنام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال

(١) حديث إن الله حرم من السلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء البقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر .

ميرال قال أبو موسى :  
وكتبت مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
فأراد أن يبول فأتى  
دمثاً في أصل جدار  
فقال ثم قال : إذا أراد  
أحدكم أن يبول  
فليرد بوله ، وبني  
أن لا يستقبل القبة  
ولا يستدبرها ولا  
يستقبل الشمس والقمر  
ولا يكره استقبال القبلة  
في البنيان والأولى  
اجتنابه لذهب بعض  
الفقهاء إلى كراهية  
ذلك في البنيان أيضاً  
ولا يرفع ثوبه حتى  
يدنو من الأرض  
ويتجنب مهاب الأربع  
احترازاً من الرعاش  
قال رجس لبعض  
الصحابه من الأعراب  
وقد ضامه لأحسبك  
تحسن الحرمة فقال

صلى الله عليه وسلم «ثلاث في المؤمن وله منهن» يخرج من سره الظن أن لا يحق له (١) أي لا يحق له في نفسه بعدد لاضل لا في القلب ولا في الجوارح، أما في القلب فتبخر إلى النفرة والكرهه، وأما في الجوارح في العمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بأذى غيبة مسامة الناس ويلقي إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق، نظر بنور الشيطان وظلمته. وأما إذا أخبرك به عدل فقال ذلك إلى تصديقه كنت معذورا لأنك لو كذبت له لكنت جانيا على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحامدة وتحت فتسرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الأب العدل الولد للتهمة ورد شهادة العدو (٢) فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلا فلا تصدقه ولا تكتذبه ولكن تقول في نفسك للذكر حاله كان عندي في سر الله تعالى وكان أمره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهره العدا ولا محامدة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكرا مساوهم فهذا قد يظن أنه عدل وليس يعدل فإن التعادب فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا لأن الناس لكثرة الاعتادات سهلوا في أمر التوبة ولم يكثروا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوءه على مسلم فنبذ أن تزيد في مراعاته وتدعوله بالحير فإن ذلك يفيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك الخاطر السوء خيفة من اشتراك بالدعاء والوراثة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فأنصحه في السر ولا تخدعك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نفسه لينظر إليك بين التعظيم وتظهر إليه بين الاستحقاق وترفع عليه بأداء الوعظ وليكن قصدك خليفه من الاسم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك قصصان في دينك وبنين أن يكون تركك لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركك بالصيحة فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر التعم بصيته وأجر الاعانة له على دينه. ومن تمحرات سوء الظن التجسس فإن القلب لا ينبغي بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى - ولا تجسسوا - فالغيبه وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا تترك عباد الله تحت ستر الله فتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته.

### (بيان الأعداء للرخصة في التوبة)

اعلم أن الرخص في ذكر مساوي القير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به في دفع ذلك ثم الصيقوه ستة أمور: الأول التظلم فإن من ذكر قاضيا بالظلم والحيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاميا لم يكن مظلوما، أما للظلم من جهة التقاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسب إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به قال صلى الله عليه وسلم «إن صاحب الحق مقالة» (٣) وقال عليه السلام

- (١) حديث ثلاث في المؤمن وله منهن يخرج الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف
- (٢) حديث رد الشرع شهادة الولد العدل وشهادة العدو الترمذي من حديث عائشة، وضعفه لا يجوز شهادة حائن ولا خائنة ولا جلود حدا ولا ذئ غمر لأخيه وفيه ولا ظن في ولاء ولا قرابة ولا بن داود وابن ماجه باسناد جيد من رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رد شهادة الحائن والخائنة وذئ الغمر على أخيه (٣) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة.

على وأيسك إلى بها  
لخافق قال صفها لي  
قد لا يبدل البشر وأعد  
للدرو استقبل الشيخ  
وأستدبر الرمح وأقوى  
إتقاء الظلي وأجفل  
إجفال النمام يمي  
استقبل أصول النبات  
من الشيخ وغيره  
وأستدبر الرمح احترازا  
من الرعاش والإقياء  
ههنا أن يستوفى على  
صدور قدميه والأجفال  
أن يرفع مخمزه. ويقول  
عند الفراغ من  
الاستنجاء: اللهم صل  
على محمد وعلى آل محمد  
وطهر قلبي من الرياء  
وحسن فرجي من  
القرواحش وبكره أن  
يول الرجل في القتل.  
روى عبد الله  
ابن مسعود أن النبي  
عليه السلام: «نهى أن

«مطل الفنى ظلم» (١) وقال عليه السلام «لئى الواجد يحل عقوبته وعرضه» (٢) «الثانى الاستماتة على تغيير المنكر ورد العاصى إلى منهج الصلاح كما روى أن عمر رضى الله عنه مر على عثمان وقيل على طاحلة رضى الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهبت إلى أبى بكر رضى الله عنه فذكر ذلك فجاء أبو بكر إليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضى الله عنه أن أبا جندل قد عاقب الحجر بالشام كتب إليه - بسم الله الرحمن الرحيم - تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية فتاب ولم ير ذلك عمر ممن أبغته غيبة إذ كان قصده أن يشكر عليه ذلك فينفضه نصحه ما لا ينفضه نصحه غيره وإنما بإحسانه هذا بالقصد الصحيح فإن لم يكن ذلك هو القصد وكان حراما - الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتى ظلفى أنى أزوجنى أو أخى فكيف طرقتى فى الخلاص والأسلم التعريض بأن يقول : ما قولك فى رجل ظله أبوه أو أخوه أزوجته ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روى عن هند بنت عتبة أنها قالت لنبى صلى الله عليه وسلم «إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى أنا وولدى أفأخذ من غير علمه فقال : خذى ما يكتفيك وولده بالمروق» (٣) فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزوجها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء - الرابع تحذير السلم من الشر فإذا رأيت قهرا يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتدى إليه بدعته وفسقه فذلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سرابة البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الضرر إذ قد يكون الحسد هو الباعث ولبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت للملوك بالسرقة أو بالفسق أو يبيع آخر فلك أن تذكر ذلك فإن فى سكوتك ضرر للشرى وفى ذكره ضرر للعبد والشرى أولى بمراعاة جانبيه وكذلك للزكى إذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه إن علم مطمئنا وكذلك المستشار فى الزواج وإيداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الولاية فإن علم أنه يترك الزواج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب وفيه الكفاية وإن علم أنه لا يزوج إلا بالصرح ببيعه فله أن يصرح به إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «آرعون عن ذكر الفاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس» (٤) «وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم : الإمام الجائر واللبتدع والمجاهر بفسقه الخامس أن يكون الانسان معروفا بقلب يهرب عن عيبه كالأعرج والأعمش فلا يتم على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج ولسان عن الأعمش وما يجرى مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن قد صار مشهورا به ثم إن وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف ببارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للأعمى البصير عدولا عن اسم النقص - السادس أن يكون مجاهرا بالفسق كالخنث وصاحب السخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستكشف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به فإذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا يتم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مطل الفنى ظلم متفق عليه من حديثه (٢) حديث لئى الواجد يحل عرضه وعقوبته وأبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث الشريد بامسند صحيح (٣) حديث إن هندا قالت إن أبا سفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث آرعون عن ذكر الفاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس الطبرانى وابن جبان فى الضعفاء وابن عدى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله حتى يعرفه الناس ورواه بهذه الزيادة ابن أبى الدنيا فى الصمت .

يقول الرجل فى مستحبه وقال : إن عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك : يوسع فى البول فى الستم إذا جرى فيه الماء وإذا كان فى البنيان يقدم رجله اليسرى لدخول الخلاه ويقول قبل الدخول : باسم الله أموذ بالله من الخبث والحبائث . حدثنا شيخنا شيع الاسلام أبو النجيب السهروردى قال أنا أبو منصور للقرى قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهامى قال أنا أبو طي القزوينى قال أنا أبو داود قال حدثنا عمر وهو ابن مرزوق البصرى قال حدثنا شعبة عن قتادة عن النضر ابن أنس عن زيد

« من أتى جلباب الحياء عن وجهه فلا غية له <sup>(١)</sup> » وقال عمر رضي الله عنه ليس أفاعج حرمته وأراد به الجاهر بسفقه دون الستر إذ الستر لابد من مراعاة حرمته . وقال الصلت بن طريف قلت لأبي الحسن الرجل الفاسق اللعين بفسقه ذكركم له بما فيه غية له ؟ قال لا ولا كرامة . وقال الحسن ثلاثة لا غية لهم صاحب المحوى والفاسق اللعين بفسقه والامام الجائر فهو لاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون بهور بما يتفخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره ، نعم لو ذكره بغير ما يتظاهرون به أم . وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال إن الله حكم عدل ينتقم للحجاج عن اغتياه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وإنك إذا لقيت الله تعالى غدا كان أصغر ذنب أميته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج .

### ( بيان كفارة التبية )

اعلم أن الواجب على التائب أن يتوب ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل التائب ليحبه فيخرج من مظلمته وينبغي أن يستحبه وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ للرأي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية أخرى . وقال الحسن يكفيك الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفارة من اغتبه أن يستغفر له <sup>(٢)</sup> » وقال مجاهد كفارة كلك لحم أخيك أن تثنى عليه وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من التبية قال أن تثنى على صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فان شئت أخذت بحقك وإن شئت عفوت وهذا هو الأصح ، وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كالم ضيف إذ قد وجب في العرض حد القذف وتبitt للطالبة به . بل في الحديث الصحيح ما روى أنه <sup>(٣)</sup> قال « من كانت لأخيه عنده مظلة في عرض أو مال فليستحلها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هنالك دينار ولا درهم إنما يؤخذ من حسنة فان لم يكن له حسنة أخذ من سيئات صاحبه فزبدت على سيئاته <sup>(٤)</sup> » وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخري إنها طويلة الذيل قد اغتبت بها فاستحبها فأذن لادمين الاستحلال إن قدر عليه فان كان فاجبا أو ميتا فينبغي أن يكرهه الاستغفار والهدوء ويكره من الحسنة . فان قلت فالتحليل هل يجب ؟ أقول لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل العتذر أن يبالغ في التناء عليه والتودد إليه ويلزم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطيب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة التبية في القيامة . وكان بعض السلف لا يحل . قال سعيد بن السبب لأجل من ظلمني وقال ابن سيرين إني لم أحرمها عليه فأحلها له إن الله حرم التبية عليه وما كنت لأحل ما حرم الله أبدا . فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يستحلها وتغلب ما حرمه الله تعالى غير ممكن . فقول المراد به الفو عن الظلمة لأن يتقلب الحرام حلالا وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل التبية فانه لا يجوز له أن يحلل لغيره التبية . فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « أيجز أحدكم أن يكون كأي ضئضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني قد تصدقت برضى على الناس <sup>(٥)</sup> »

(١) حديث من أتى جلباب الحياء فلا غية له ابن عدى وأبو الشيخ في كتاب ثواب الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث كفارة من اغتبه أن تستغفر له ابن أبي الدنيا في الصب والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث من كانت له عند أخيه مظلمة من عرض أو مال فليستحلها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أيجز أحدكم أن يكون كأي ضئضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني تصدقت برضى على الناس البرز وابن السني في اليوم واليلة والعويل في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره

ابن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن هذا المحشوش محضرة فإذا أتى أحدكم الحلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث » وأراد بالمحشوش الكنف وأصل المحش جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم إليها قبل أن يتخذ الكنف في البيوت وقوله محضرة أي محضرها الشباطين وفي الجوس الحاجة يستمد على الرجل اليسرى ولا يتولع يده ولا يخط في الأرض والمخاط وقت قعوده ولا يكثر النظر إلى عورته إلا الحاجة إلى ذلك ولا يشكهم قد ورد أن رسول الله صلى الله

فكيف تصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فإن كان لا تصدق صدقه فما معنى الحديث عليه فنقول معناه إنى لا أطلب مظلة في القيامة منه ولا أخاصمه وإلا فلا تصير النجمة حلالاً به ولا تسقط الظلمة عنه لأنه غفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا أخاصمه فإن رجع وعاصم كان القياس كسائر الحقوق أن له ذلك بل صرح الفقهاء أن من أباح التدف لم يسقط حكمه من حد القاذف ومظلة الآخرة مثل مظلة الدنيا ، وعلى الجملة فالغفو أفضل . قال الحسن إذا جئت الأرم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ودعوا ليتم من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا العاقلون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى - خذ الغزو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - قال النبي صلى الله عليه وسلم « يا جبريل ما هذا الغزو فقال إن الله تعالى يأمرك أن تغفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك » (١) . وروى عن الحسن أن رجلاً قال له إن فلانا قد اغتاكك فبعت إليه رطباً على طبق وقال قد بلغني أنك أهديت إلى من حسانتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فاني لأقدر أن أكافئك على النقام .

### ( الآفة السادسة عشرة النجمة )

قال الله تعالى - هاز مشاء بنميم - ثم قال - عتل بمد ذلك زين - قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذي لا يكم الحديث وأشار به إلى أن كل من لم يكم الحديث ومشي بالنجمة دل على أنه ولد زنا استبطا من قوله عز وجل - عتل بمد ذلك زين - والزنيم هو الدعى ، وقال تعالى - ويل لكل همز لمز - قيل الهزمة النجم وقال تعالى - حمالة الحطب - قيل إنها كانت حمالة للحديث وقال تعالى - فغاثاها فم يخياها منا من الله شيئا - قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيغان وامرأة فوح تخبر أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة نسام » (٢) وفي حديث آخر « لا يدخل الجنة قتات » والثبات هو النسام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحبك إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوطئون أكنافاً الذين يأثمون ويؤلفون وإن أخبكم إلى الله للشاةون بالنجمة للفرقون بين الأخوان للمتسون للبراء الثرات » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال للشاةون بالنجمة المفسدون بين الأجنة الباغون للبراء العيب » (٤) وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أشاع على مسلم كلمة لبشينة بها يفرح حق شانه الله بها في النار يوم القيامة » (٥) وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ « أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها يرى لبشينة بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيه بها يوم القيامة في النار » (٦) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن عبد البر من حديث ثابت مرسل عند ذكر أبي ضمضم في الصحابة قلت وإسماها هو رجل من كان قبلنا كما عند الزائر والقبلي (٧) حديث زول - خذ الغفو - الآية فقال يا جبريل ما هذا فقال إن الله يأمرك أن تغفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك تقدم في رياضة النفس .

### ( الآفة السادسة عشرة النجمة )

(٢) حديث لا يدخل الجنة نسام وفي حديث آخر قتات متفق عليهما حديث حذيفة وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة وأحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوطئون أكنافاً الطبراني في الأوسط الصغير وتقدم في آداب الصبغة (٤) حديث ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال للشاةون بالنجمة الحديث أحمد من حديث أبي مالك الأحمري وقد تقدم (٥) حديث أبي ذر من أشاع على مسلم كلمة لبشينة بها يفرح حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في معارج الأئمة وفيه عبد الله بن ميمون فان يكن القداح فهو متروك الحديث (٦) حديث أبي الدرداء « أيما رجل أشاع على رجل كلمة فهو منها يرى لبشينة بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيه بها يوم القيامة في النار ابن أبي الدنيا موقوف على أبي الدرداء

عليه وسلم قال « لا يخرج الرجلان يضربان الفائط كاشفين عورتاهما يتحدثان فان الله تعالى يمت على ذلك » ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذي وأبقى علي ما ينفع ولا يستصعب معه شيئا عليه اسم الله من ذهب وحاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس روت عائشة رضى الله عنها عن أبيها أني بكر رضى الله عنه أنه قال: استحيوا من الله فاني لأدخل الكعيف فأزق ظهري وأعطي رأسي استحيا من رب عز وجل .

[ الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره ]

إذا أراد الوضوء

« من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار <sup>(١)</sup> » ويقال: إن ثلث عذاب القبر من التهمة. وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني فقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية غمر من الناس: لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا غث ولا رقيق ولا قاطع رحم ولا الذي يقول على عهد الله إن لم أقبل كذا وكذا ثم لم يف به <sup>(٢)</sup> » وروى كعب الأحبار أن بني إسرائيل أصابهم قحط فاستنق موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى إليه: إنني لأستجيب لك ولئن معك وفيك نمام قد أصرت على التهمة فقال موسى يارب من هو الذي عليه حق أخرجه من بيننا يا موسى أنها كم عن التهمة وأكون نماما فتأبوا جميعا فسقوا. ويقال أتبع رجل حكما سبعة فرسخ في سبع كلات فما قدم عليه قال: إنني جئتكم ههنا آتاك الله تعالى من العلم أخبرتني عن السماء وما أثقل منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصغر وما أفسى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أذل منه فقال له الحكيم: البهتان على البريء أثقل من السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة إلى القريب إذا لم تتجسس أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أفسى من الحجر والنام إذا بان أمره أذل من اليتيم.

#### ( بيان حد التهمة وما يجب في ردها )

اعلم أن اسم التهمة إنما يطلق في الأكثر على من يتم قول الغير إلى القول فيه كما نقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست التهمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره ككف سواه كرهه للنقول عنه أو للنقول إليه أو كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالأفعال وسواء كان النقول من الأعمال أو من الأقوال وسواء كان ذلك عيا وقصا في النقول عنه أو لا يمكن بل حقيقة التهمة إفشاء السر وهتك السر مما يكره ككف به كل مارة إلا أنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكاية فائدة لمسلم أو دفع لمصبة كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق للشهود له فأما إذا رآه يغني مالا لنفسه قد كره فهو تهمة وإفشاء للسر فإن كان ما يتم به قصا وعيا في المحكي عنه كان قد جمع بين التهمة والتبعية فالباعث على التهمة إما إرادة السوء للمحكي عنه أو إظهار الحب للمحكي له أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل وكل من حملت إليه التهمة وقيل له إن فلانا قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدري في إفساد امرئ أو في عماله عدوك أو تضييع حاله أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور: الأول أن لا يصدق له لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة لأن أنبأه عن ذلك وينصح له ويصح عليه فله قال الله تعالى - وأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الثالث أن يرضخ في الله تعالى فإنه يفيض عند الله تعالى ويجب بفض من يفيض الله تعالى. الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى - اجنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم الخامس أن لا يعملك ما حكى لك على التجسس والبعث لتتحقق اتباعا لقوله تعالى - ولا تجسسوا - السادس أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي بجمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماما ومفتابا وقد تكون

يتدى بالسوء .  
حدثنا شيخنا  
أبو النجيب قال أنا  
أبو عبد الله الطائي  
قال أنا الحافظ القراء  
قال أنا عبد الواحد بن  
أحمد لليلعي قال أنا  
أبو منصور محمد بن  
أحمد قال أنا أبو جعفر  
محمد بن أحمد بن عبد  
الجبار قال ثنا جدي بن  
زنجويه قال ثنا يعل  
ابن عبيد قال ثنا محمد  
بن إسحاق عن محمد بن  
إبراهيم عن أبي سلمة  
ابن عبد الرحمن عن  
زهد بن خالد الجهني  
قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ولولا  
أن أشق على أمتي  
لأخبرت المصاة إلى ثلث  
الليل وأمرتهم بالسوء  
عند كل مكتوبة .

ورواه الطبراني بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم (١) حديث أبي هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار أحمد وابن أبي الدنيا وفي رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا من الإسناد (٢) حديث ابن عمر إن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي



قد أثبت ما عنه نهيت . وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا فقال له هم إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية - إن جاءكم فاسق بنية فذنبوا - وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية - جازم شاء بنميم - وإن شئت غفونا عنك فقال الفو يأمر المؤمنين لأعود إليه أبدا . وذكر أن حكيمان الحكام زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكم قد أبطأت في الزبارة وأثمت بثلاث جنائيات بغضت أخى إلى وغضت قلبى القارغ واتهمت نفسك الأمانة . وروى أن سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهرى فجاءه رجل فقال له سليمان بلغنى أنك وقعت في وقت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان إن الذى أخبرنى صادق فقال له الزهرى لا يكون الخمام صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من ثم إليك ثم عليك وهذا إشارة إلى أن الخمام ينبغي أن يفيض ولا يوقى بقوله ولا بصداقته وكيف لا يفيض وهو لا ينفك عن الكذب والفتية والقدر والحياة والتل والمسد والنفاق والإفساد بين الناس والحديسة وهو ممن يسعون في قطع ما أمر الله بأن يوصل ويصدون في الأرض وقال تعالى - إنما السيل على الذين يظلمون الناس ويغيثون في الأرض بغير الحق - والخمام منهم ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن من شرار الناس من اتقاء الناس لشره » (١) « والخمام منهم وقال « لا يدخل الجنة قاطع ، قيل وما القاطع ؟ قال قاطع بين الناس » (٢) « وهو الخمام وقيل قاطع الرحم وروى عن علي رضى الله عنه أن رجلا سمى إليه رجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقا فمتناك وإن كنت كاذبا عاقبتك وإن شئت أن تعليك أهلك قال أقلنى يأمر المؤمنين . وقيل لمحمد بن كعب القرظى أى خصال المؤمنين أوضع له ؟ فقال كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان أميرا بلغنى أن فلانا أعلم الأمير أى ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فأخبرنى بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب أن أتهم نفسى بلسانى وحسى أى لم أصدقها قال ولا أنقطع عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم يقوم محمد الصدق من كل طائفة من الناس إلا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء فأخبر به كنى قبله وأجازه فأتوا الساعى فلو كان صادقا في قوله لكان لثما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمه ولم يستر المورخ والسعاية هي النجعة إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبها سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم « الساعى بالناس إلى الناس لغير ردة » (٣)

فالت سعد من دخلنى قال الجبار وعزى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية فقد ذكر منها ثلاثا وهو الخمام الجاهد هكنا بجماعه ولا أحد لا يدخل الجنة عاقى الوالد ولا يولد ولا يورث والنساء من حديث عبد الله بن عمرو لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر ولا شيخين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة قتات ولهما من حديث جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لها تسكنى ترينى تزينت قالت طوبى لمن دخلنى ورضى عنه إلهى قال الله عز وجل لا تسكنى عنت ولا نائمة (١) حديث إن من شر الناس من اتقاء الناس لشره متفق عليهم من حديث عائشة نحوه (٢) حديث لا يدخل الجنة قاطع متفق عليه من حديث جبير بن مطعم (٣) حديث الساعى بالناس إلى الناس لغير ردة الحاكم من حديث أبي موسى من سمى بالناس فهو لغير ردة أو فيه شيء منها وقال له أسانيد هذا أمثاها قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر في التذكرة منكر الرواية قال والحديث لأصله وقد ذكر ابن حبان في الثقات سهل بن عطية ورواه الطبرانى باللفظ لا يسمى على الناس إلا وله بنى - وإلا من فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال بن أبي ردة أبا الوليد القرشى .

وروت عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « السواك مطهرة للهم مرصاة للرب » وعن حذيفة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يوشى فاه بالسواك » والشوص : الدلك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكما تنبر الهم من أزم وغيره وأصل الأزم إمساك الأسنان بعضها على بعض وقيل للمسكوت أزم لأن الأسنان تنطبق وبذلك يغير الهم ويكره للصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال وأكثر استحبابه مع غسل الجملة وعند القيام من الليل ويندى

يعني ليس بولد حلال ، ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في الكلام وقال إني مكرمك  
يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمه وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته فقال قل فقال يا أمير المؤمنين  
إنه قد اكتشف رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك  
فلا تأمنهم على ما اتهمك الله عليه ولا تصح إليهم فبا استحفظك الله إليهم لأن باؤا في الأمة خسفا  
وفي الأمانة تضديما والأعراض قطعاً وانهاكا أعلى قريهم البني والنجدة وأجل وسائلهم القبيحة والوقعة  
وأنت تستول عما أجرموا وليسوا للثولين عما أجرت فلا تصلح دنياهم فساد آخرتك فإن أعظم  
الاس غنا من باع آخرته بدنيا غيره ، وسعى رجل بزياد الأعجم إلى سليمان بن عبد الملك فجمع  
بينهما للمواقفة فأقبل زياد على الرجل وقال :

فأنت امرؤ إما اتهمتك خاليا غلت وإما قلت قولاً بلا علم  
فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الحياة والمم

وقال رجل لعمرو بن عبدان الأسواري ما زال يذكر في قصصه شر فقال له عمرو يا هذا ما عريت  
حق بحالة الرجل حيث قلت إلينا حديثه ولأديت حتى حين أغلقت عن أخى ما أكره ولكن  
أعلمه أن الموت بمننا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين  
ورفع بعض السعاة إلىم صاحب بن عباد رقة فيه على مال يتم عمله على أخذه لكثرة وقوع  
على ظهرها السعاة قبيحة وإن كانت صحيحة فإن كنت أجرتها بحري المصح فخرناك فيها أفضل  
من الرغ ومعهذا الله أن قبل مهتوكا في مستور ولولا أنك في خفارة شيتك لقال لك بما يقتضيه  
فلك في مثلك حقوق بالملعون العيب فإن الله أعلم باليب ، لبيت رحم الله واليقم جبهه الله وللحال  
ثمرة الله والساحي لعنه الله . وقال لقمان لابنه يا بني أوصيك بخلاف إن تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط  
خلقك للقريب والبعد وأمسك جهمك عن الكريم والشم واحفظ إخوانك وصل أفا ربك وآمنهم  
من قبول قول ساع أو مصاع باغ يريد فسادك وبروم خداعك ولكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك  
لم تبعهم ولم يسيوك . وقال بعضهم الفجعة مبنية على الكذب والحسد والفاق وهي أثافي الذل وقال  
بعضهم لوصح ما نقله التمام إليك لكان هو المجترى بالشتم عليك وللقول عنه أولى علمك لأنه  
لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فسر التمام عظيم ببني أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا  
وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النجعة قال قد رضيت فاشتره فكش التمام إياهم قال لوجه مولاه إن  
سبدي لا يحبك وهو يريد أن يسرى عليك غلدي اللوسي واحلق من شعر فقهه عند نومه شعرات  
حق أسعده عليها فيجبك ثم قال للزوج إن امرأتك أخذت خيلا وتريد أن تشكك فتناوم لها حق  
تعرف ذلك فتناوم لها فجاء المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا  
الزوج ووقع القتال بين القبيلتين ، فسأل الله حسن التوفيق .

( الآفة السابعة عشرة )

كلام ذي الاسانين الذي يتردد بين المتأدين وبكم كل واحد منهما بكلام يواقه وقلبا غلوعه  
من يشاهد متأدين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
« من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة » (١) وقال أبو هريرة قال رسول الله

( الآفة السابعة عشرة : كلام ذي الاسانين )

(١) حديث عمار بن ياسر : من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة ، البخاري  
في كتاب الأدب الفرد وأبو داود بسند حسن

السواك اليابس بالماء  
ويستاك عرضا وطولا  
فإن اقتصر فعرضاً فاذا  
فرغ من السواك فصله  
وجلس للوضوء  
والأولى أن يكون  
مستقبل القبلة ويبتدئ  
بسم الله الرحمن الرحيم  
ويقول سبأ أعوذ بك  
من همزات الشياطين  
وأعوذ بك رب أن  
يحضروني . ويقول عند  
غسل اليد : اللهم إني  
أسألك البين والبركة  
وأعوذ بك من الشؤم  
والمهلكة ويقول عند  
الضمضة : اللهم صل  
على محمد وعلى آل  
محمد وأعن على تلاوة  
كتابك وكثرة الذكر  
لك ويقول عند  
الاستنشاق : اللهم صل  
على محمد وعلى آل  
محمد وأرحمني راحة

صلى الله عليه وسلم «تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بجديث وهؤلاء بجديث» (١) وفي لفظ آخر «الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» وقال أبو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا عند الله ، وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم «أبشخ خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون وللسكبرون والذين يكثرون البضاء لآخواتهم في صدورهم فإذا لقوهم غلغوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطاء» وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا (٢) وقال ابن مسعود لا يكون أحدكم إمامة قالوا وما الإمامة ؟ قال الذي يجري مع كل ربح وانفقوا على أن ملاقة الاثنين بوجهين ضايق ولغزاق علامات كثيرة وهذه من جعلها وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يسل عليه حذيفة فقال له عمر : يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال يأمر للؤمنين إنه منهم قال نشدتك الله أنا منهم أم لا ؟ قال اللهم لا ولا يؤمن منها أحدا بعدك . فان قالت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك ؟ فأقول إذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فإن الواحد قد صادق متعادين ولكن صدقة ضيقة لا تنتهي إلى حد الأخوة إذ لو تحققت الصدقة لاقتضت معاداة الأعداء كما ذكرنا في كتاب آداب الصبر والأخوة ، ثم لو قل كلام كل واحد منهما إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النجعة إذ يصير غامبا بأن ينقل من أحد الجانبين قسطا فإذا قل من الجانبين فهو شر من النمام وإن لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك إذا ودع كل واحد منهما بأن ينصره وكذلك إذا أتى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك إذا أتى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي أن يسكت أو يثنى على الحق من المتعادين ويثنى عليه في غيبته وفي حضوره وبين يدي عدوه ، قيل لآل عمر رضي الله عنهم : إننا ندخل على أمراتنا فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره ، فقال كنا نعد هذا ضايقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وهذا ضايق مهمما كان مستغنيا عن الدخول على الأمير وعن التناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو ضايق لأنه الذي أحوج نفسه إلى ذلك فإن كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقبول وترك اللال والجاء فدخل لضرورة الجاه والفقى وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم «حب اللال والجاء يبتنان النفاق في القلب كما يبت الساء البقل» (٤) لأنه ينجح إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومراأتهم فأما إذا ابتلى بالضرورة وخاف إن لم يثن فهو معذور فإن اتقاء الشر حارز قال أبو الدرداء رضي الله عنه إننا لكثير في وجوه أقوام وإن قلونا لنعلمهم

(١) حديث أبي هريرة : تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الحديث متفق عليه بلفظ نجد من شر الناس لفظ البخاري وهو عند ابن أبي الدنيا بلفظ المصنف (٢) حديث أبشخ خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون وللسكبرون والذين يكثرون البضاء لآخواتهم في صدورهم فإذا لقوهم غلغوا لهم الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث قبل لآل عمر إننا ندخل على أمراتنا . فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك ضايقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبراني من طرق (٤) حديث حب الجاه والساء يبتنان النفاق في القلب كما يبت الساء البقل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إلا أنه قال حب الفناء وقال العشب مكان البقل .

الجنة وأنت غنى راض  
ويقول عند الاستئثار:  
اللهم صل على محمد  
وعلى آل محمد وأعوذ  
بك من رواغ النار  
وسوء الدار ، ويقول  
عند غسل الوجه: اللهم  
صل على محمد وعلى  
آل محمد ويصلي  
وجبه يوم تبيض  
وجوه أوليائك  
ولا تسود وجبه يوم  
تسود وجوه أعدائك ،  
وعند غسل الجبين :  
اللهم صل على محمد وعلى  
آل محمد وآتي كتابي  
بيميني وحاسبي حسابا  
يسيرا ، وعند غسل  
الكف : اللهم إني أعوذ  
بك أن تؤثني كتابي  
بشمال أو من وراء  
ظهري ، وعند مسح  
الرأس : اللهم صل على  
محمد وعلى آل محمد

وقلت عائشة رضي الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انذنوا له فيئس رجل المشيرة هو ثم لما دخل آلان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم ألتله القول فقال يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم انتفاء شره <sup>(١)</sup> » ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكثر والتبسم فأما انتفاء فهو كذب صريح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز انتفاء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكره فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه.

### ( الآفة الثامنة عشرة للدمح )

وهو منهى عنه في بعض اللواضع ، أما الدم فهو الغيبة والوقعة وقد ذكرنا حكمها . والدمح يدخله ست آفات أربع في السامح وانفتان في للمدوح . فأما السامح : فالأولى أنه قد يفرط في تنهيه به إلى الكذب قال خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رءوس الأشهاد بمته الله يوم القيامة يتعثر بلسانه . الثانية أنه قد يدخله الرياء فانه بالدمح مظهر للحب وقد لا يكون مفسر الله ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرأيا ناقصا . الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحقق ولا حصيل له إلى الاطلاع عليه ، روى « أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام : ويحك قطعت عنق صاحبك لو صح ما أفصح ثم قال إن كان أحدكم لا يد مادحا أخاه فليقل أحسب فلا ناولا زكي على الله أحد أحسبه الله إن كان يرى أنه كذلك <sup>(٢)</sup> » وهذه الآفة تنطبق على الدمح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله إنه متق وورع وزاهد وغير وما يجري مجراه أما إذا قل رأيتني بصلي الليل ويصدق ويحج فهذه أمور مستيقنة ومن ذلك قوله إنه عدل رضا فان ذلك خفي فلا ينبغي أن يجرم القول فيه إلا بعد خبرة باطنة . مع عمر رضي الله عنه رجلا يثنى على رجل قال أسأفرت معه قال لا ، قال أخاطبته في الليالي وللعمامة قال لا ، قال فانت تجاره صباحه ومساءه قال لا ، قال والله الذي لا إله إلا هو لأراك تعرفه . الرابعة أنه قد يفرح للمدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يضرب إذا مدح الفاسق <sup>(٣)</sup> » وقال الحسن من دما لظالم بطول البقاء قد أحب أن يمسى الله تعالى في أرضه والظالم الفاسق ينبغي أن يندم ليغتم ولا يمدح ليرفع . وأما للمدوح فيضره من وجوب : أحدها أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضي الله عنه : كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه البقرة والناس حوله إذ أقبل الجارود ابن للنذر فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعا محرومين حوله وصحبا الجارود فلما دنا منه خفقه بالذرة فقال مالي ولك يأمر للؤمنين قال مالي ولك أما قد سمعنا قال سمعنا له قال خشيت أن يغالط قلبك منها شيء فأجبت أن أخطأه منك . الثاني هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وفتروا رضي عن نفسه

(١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انذنوا له فيئس رجل المشيرة العشرة الحديث ، وفيه إن شر الناس الذي يكرم انتفاء شره متفق عليه وقد تقدم في الآفة التي قبلها .

### ( الآفة الثامنة عشرة للدمح )

(٢) حديث إن رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك متفق عليه من حديث أبي بكره بصوحه وهو في الصمت لابن أبي الدنيا بلطف الضعف (٣) حديث إن الله يضرب إذا مدح الفاسق ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أس ضعيف ورواه أبو يعلى اللؤلؤي وابن عدي بلطف إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبي في اللباز منكر وقد تقدم في آداب الكسب .

وغشى رحمتك وأزل على من ركانك وأظلى تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك عرشك ويقول عند مسح الأذنين : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجلسني ممن يسمع القول فيتبع أحسنه اللهم أصعني منادي الجنة مع الأبرار ويقول في مسح العنق : اللهم فكك رقبتني من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ويث قدي على الصراط مع أقدام المؤمنين ، ويقول عند البسرى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تز

ومن أعجب بنفسه قلّ تشمره وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام «قطعت عنق صاحبك لو»، أما أنفع، وقال صلى الله عليه وسلم «إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميثا (١)» وقال أيضا لمن مدح رجلا «عقرت الرجل عقرك الله (٢)» وقال مطرف ما سمعت قطنا ولا مدحة إلا تصاغرني إلى نفسي وقال زياد بن أبي مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا رأى الشيطان ولكن المؤمن يراجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم «لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرفف كان خيرا له من أن يثنى عليه في وجهه (٣)» وقال عمر رضي الله عنه للدح هو الدبح وذلك لأن الذبوح هو الذي يفتر عن العمل وللدح يوجب الفتور أو لأن للدح يورث العجب والكبر وجها مهول كان ذلك يشبه به فان سلم للدح من هذه الآفات في حق السادح والمدح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا إليه ولذلك أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجح (٤)» وقال في عمر «لو لم أبت لبثت يا عمر (٥)» وأى ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبسيرة وكانوا رضى الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وهجا وفورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر إذ قال صلى الله عليه وسلم «أنا سيد ولد آدم ولا غر (٦)» أى لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لأن اختياره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما أن القبول عند الملك قبولاً عظيماً إنما يتفرق بقبوله إياه وبغيره لا يتقدمه على بعض رعاياه ويتفصل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم للدح وبين الحث عليه قال صلى الله عليه وسلم «وجبت (٧)» لما أنشأ على بعض اللوى وقال مجاهد إن لبني آدم جلساء من لللائكة فإذا ذكر الرجل للسلام أخاه للسلام خير قالت لللائكة ولك بمنه وإذا ذكره بسوء قالت لللائكة يا ابن آدم للستور عورتك أربع على نفسك واحدا لله الذى ستر عورتك فهذه آفات المدح.

### (بيان ما على المدوح)

اعلم أن على المدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجونه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخافعة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فانه يعرف من نفسه مالا يعرفه السادح ولو انكشف له جميع أسرارهم ما جرى على خواطره لكف السادح عن مدحهم عليه

- (١) حديث إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميثا ابن المبارك في الزهد والرائق من رواية يحيى بن جابر مرسل (٢) حديث عقرت الرجل عقرك الله قاله لمن مدح رجلا لم أجده أصلا (٣) حديث لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرفف كان خيرا له من أن يثنى عليه في وجهه لم أجده أيضا (٤) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح تهمني في السلم (٥) حديث لو لم أبت لبثت يا عمر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو مسكر والمعروف من حديث عقبة بن عامر لو كان يبدى نبي لكان عمر بن الخطاب يرواه الترمذي وحسنه (٦) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر، الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وله من حديث عبادة بن الصامت: أنا سيد الناس يوم القيامة ولا غر، ولمسلم من حديث أبي هريرة: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة (٧) حديث وجبت، قاله لما أنشأ على بعض اللوى متفق عليه من حديث أنس.

قدى عن الصراط يوم  
زل فيه أقدام الناقين.  
وإذا فرغ من الوضوء  
يرفع رأسه إلى السماء  
ويقول: أشهد أن لا إله  
إلا الله وحده لا شريك  
له وأشهد أن محمدا  
عبد ورسوله سبحانه  
الاهم ومحمد لا إله  
إلا أنت حملت سودا  
وظلت نفسى أستغفر  
وأنتوب إليك فاغفر لي  
وتب على إنك أنت  
التواب الرحيم اللهم  
صل على محمد وعلى  
آل محمد واجعلني من  
التوابين واجعلني من  
المطهرين واجعلني  
سبورا شكورا واجعلني  
أذكرك كثيرا وأبجلك  
بكرا وأصيلا.  
وفرأى الوضوء:  
النية عند غسل  
الوجه. وغسل الوجه

أن يظهر كراهة للدخ بآذال للدخ قال صلى الله عليه وسلم « احتوا التراب في وجوه الملاحين »<sup>(١)</sup> وقال سفيان بن عيينة لا يضر للدخ من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم إن هؤلاء لا يبرقوني وأنت تعرفني ، وقال آخر لما أثنى عليه اللهم إن عبدك هذا شرب إلى عتقك وأما أشهدك على مقتي . وقال علي رضي الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لي ما لا يدون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون . وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال أتهلكني وتهلك نفسك وأثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه أنه يقع فيه فقال أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك .  
(الآفة التاسعة عشرة)

الفقه من دقائق الخطأ في لحوى الكلام لاسيما في يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأمر الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم أوضاعه لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يصفو عنه جهله ، مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت »<sup>(٢)</sup> وذلك لأن في العطف اللطيف تشرى بكاوتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بكلمة في بعض الأمر فقال ماشاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلتني لله عبدًا بل ماشاء الله وحده »<sup>(٣)</sup> . وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصبها فقد غوى فقال قل : ومن يصب الله ورسوله فقد غوى<sup>(٤)</sup> فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يصبها لأنه تسوية وجمع وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقال اللهم اعتقنا من النار وكان يقول العتيق يكون بعد الورود وكانوا يستجرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم أجعلني ممن تصبى شفاعته محمد ﷺ قال حذيفة إن الله يضي المؤمنين عن شفاعته محمد وتكون شفاعته للمؤمنين من المسلمين وقال إبراهيم إذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حماراً رأيتني خلقته ، خنزيراً رأيتني خلقته وعن ابن عباس رضي الله عنهما : إن أحدكم يشرك حتى يشرك بكلمة يقول لولا الله لسرقا الليلة ، وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى ينهاكم أن تخلقوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت »<sup>(٥)</sup> قال عمر رضي الله عنه فوالله ما حلفت بها منذ سمعتها ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا تسوءوا الصنكر ما أنما الكرم الرجل للكرم »<sup>(٦)</sup> وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقول أحدكم عبيد ولا أمي كلكم عبيد الله وكل نساءكم إماء الله وليقل غلامي وجاريي وفناني ولا يقول للملوك رب ولا ربني وليقل سيدي وسيدي فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى »

(١) حديث احتوا في وجوه الملاحين التراب مسلم من حديث اللقداد .

(الآفة التاسعة عشرة في الفقه من دقائق الخطأ)

(٢) حديث حذيفة لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت الحديث أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح  
(٣) حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلّمه في بعض الأمر فقال ماشاء الله وشئت فقال أجعلتني لله عبدًا بل ماشاء الله وحده . النسائي في الكبرى بإسناد حسن وابن ماجه (٤) حديث خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصبها فقد غوى الحديث مسلم من حديث عدي بن حاتم (٥) حديث عمر إن الله ينهاكم أن تخلقوا بآبائكم متفق عليه (٦) حديث لا تسوءوا الصنكر إسماعيل الكرم الرجل السلم متفق عليه من حديث أبي هريرة

وحد الوجه من مبتدأ  
تسطيع الوجه إلى  
منتهى الذقن وما ظهر  
من اللحية وما استرسل  
منها ومن الأذن إلى  
الأذن عرضاً ويدخل في  
القنصل البياض الذي  
بين الأذنين واللحية  
وموضع الصلع  
وما أعسر عنه الشعر  
وهما الزعنجان من الرأس  
ويستحب غسلهما مع  
الوجه ويوصل الماء  
إلى شعر التحذيف وهو  
القدر الذي يزيله النساء  
من الوجه ويوصل  
الماء إلى العفّة  
والشارب والحاجب  
والعذار وما عدا ذلك  
لا يجب ثم اللحية إن  
كانت خفيفة يجب  
إيصال الماء إلى البشرة  
وحد الخفيف أن ترى  
البشرة من تحت وإن

وقال صلى الله عليه وسلم «لا تقولوا للفاسق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطكم ربكم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كقائل وإن كان كاذبا فلن يرجع إلى الإسلام سالما» (٢) فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره، ومن تأمل جميع ما أورده من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يخرق سره صلى الله عليه وسلم «من صمت نجما» (٣) لأن هذه الآفات كلها مالهك ومعاطب وهي على طريق للشك فأن سكت سلم من الكل وإن نطق وتكلم خاطر نفسه إلا أن يوافق لسان فصيح وعلم غزير ورور حافظ ومراقبة لازمة ويقل من الكلام فساد يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فقم فكف عن سكت فسلم فالسلامة إحدى التينيتين .

## ( الآفة الثمرون )

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن إلا أن ذلك ثقل على النفوس والفضول خفيف على القلوب والعالم يفرح بالحوض في العلم إذ الشيطان يغفل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يجب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو أكثر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العالم فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والإيمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به العقاب من الله عز وجل ويترتبون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار اللوك وهو موجب للمقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فإنه بالإضافة إليه عالمي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثره سؤالهم وافتراقهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه فاتبعوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعم» (٤) وقال أنس «سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقالوا كثرنا عليه وأغضبوه فصعد للبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به فقام إليه رجل فقال يا رسول الله من أبي فقال أبوك حذافة فقام إليه شابان أخوان فقالا يا رسول الله من أبونا فقال أبوكا الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل آخر فقال يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار فقال لا بل في النار فطأ رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا فقام إليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر رحمك الله إنك ما علمت لموق (٥) وفي الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «يوشك

(١) حديث لا تقولوا للفاسق سيدنا الحديث أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح (٢) حديث من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كقائل، الحديث النسائي وابن ماجه من حديث بريدة بإسناد صحيح (٣) حديث من صمت نجما الترمذي وقد تقدم في أول آفات اللسان .

## ( الآفة الثمرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى )

(٤) حديث ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقالوا كثرنا عليه وأغضبوه فصعد للبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به الحديث متفق عليه مقتصر على سؤال عبد الله ابن حذافة وقول عمر . ولمسلم من حديث أبي موسى فقام آخر فقال من أبي فقال أبوكا سلمى شيعة . (٦) حديث النهي عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث للبريدة بن شعبة .

كانت كشيعة فلا يجب  
ويجتهد في تفتية مجتمع  
السكحل من مقدم  
العين . الواجب الثالث :

غسل اليدين إلى  
الرقبتين ويجب إدخال  
الرقبتين في النسل  
ويستحب غسلهما إلى  
أصناف المضدين ،  
وان طالت الأظافر حتى  
خرجت من رءوس  
الأصابع يجب غسل  
ماتنها على الأصبع .  
الواجب الرابع : مسح  
الرأس ويكفي ما يطلق  
عليه اسم للمسح  
واستيعاب الرأس  
بالمسح سنة وهو أن  
يلصق رأس أصابع  
اليمنى باليسرى  
ويضعهما على مقدم  
الرأس ويدحهما إلى الخفا  
ثم يردهما إلى الوضع  
الذي بدأ منه ويتصف

الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك يقولوا - قل هو الله أحد الله الصمد - حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعد بالله من الشيطان الرجيم (١) وقال جابر: ما زلت آية للتلاعين إلا لكثرة السؤال (٢). وفي قصص موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على اللع من السؤال قبل أو أن استحقاقه إذ قال - فإن ابغضت فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا - فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال - لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا - فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال - هذا فراق بيني وبينك - وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من الثمرات لفتن فيجب فهمهم ومنهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي حال من كتب للكل إلى كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشيء منها وضع زمانه أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لاهماله فكذلك تضييع العاصي حدود القرآن واعتناؤه بحروفه أمي قديمة أم حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

### (كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)

(وهو الكتاب الخامس من ربيع للملوكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي لا يتكلم على غفوه ورحمته إلا الراجون ، ولا يهجر سوء غضبه وسخطه إلا الخائفون ، الذي استدرج عباده من حيث لا يملكون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون ، وابتلاهم بالغضب وكلفهم كنظم النيط فيما يضيئون ، ثم فهمهم بالمسكاره واللفافات وأمل لهم لينظر كيف يصلون ، وامتنع بهم من يعلم صدقهم فيما يدعون ، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون ، وحذرهم أن يأخذهم بفتنهم لا يشعرون ، قال - ما ينظرون إلا الصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون - والصلاة والسلام على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون ، وعلى آله وأصحابه الأئمة للهديين ، والسادة للرضيين ، صلاة يوازي عددها عدما كان من خلق الله وما سيكون ، ويحظى بركتها الأوكون والآخرون ، وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن الغضب شعله نار اقتبست من نار الله للوقدة التي تطلع على الأئمة ، وإنها المستكنة في طي القواد ، استكنان الجمر تحت الرماد ، ويستخرجها الكبر الذين في قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من الحديد ، وقد انكشف للقائرين بنور اليقين ، أن الانسان يتزع منه عرق إلى الشيطان العين ، فمن استغزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال - خلقتني من نار وخلقته من طين - فإن شئت الطين السكون والوقار وشأن النار التلظى والاستتار ، والحركة والاضطراب ، ومن نتائج الغضب والحقد والحسد ، وهما هلك من هلك وقد من فسد ومفيضها مضفة إذا صلت صلت معها شائر الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب ، مما يسوق العبد إلى مواطن العطب ، فلما حوجه إلى معرفة عماطيه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ، ويعيطه عن القلب إن كان ونفيه ، ويصالحه إن رسيغ في قلبه ويداويه ، فإن

بلل الكفين مستقبلا  
ومستدبرا ، والواجب  
الحامس: غسل القدمين  
ويجب إدخال الكفين  
في النسل ويستحب  
غسلهما إلى أنصاف  
الساقين ويغسل غسل  
القدمين من الكفين  
ويجب تخليل الأصابع  
لثلاثة فيخلل بخنصر  
يده اليسرى من لطن  
القدم ويبدأ بخنصر  
رجله اليمنى ويختم  
بخنصر اليسرى وإن  
كان في الرجل شقوق  
يجب إرسال الماء إلى  
باطنها وإن ترك فيها  
عجينا أو شعما يجب  
إزالة عين ذلك الشيء .  
الواجب السادس :  
الترتيب على النسق  
للكور في كلام الله  
تعالى . الواجب السابع :  
التتابع في القول القديم

(١) حديث يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق الحق الحديث متفق عليه من حديث  
أبي هريرة وقد هدم (٢) حديث جابر ما زلت آية للتلاعن إلا لكثرة السؤال والبراز باستناد جدي

### (كتاب الغضب والحقد والحسد)



من لا يعرف الغضب يقع فيه . ومن عرفه فالعرفه لا تكفيه . ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقيسه . ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحد والحسد في هذا الكتاب وبجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم بيان الأسباب الهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحد وتناحيه وفضيلة الغفور والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته ثم بيان السبب في كثرة الحد بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى الم والأقارب وتأكد وقتلته في غيرهم وضمه ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق .

( بيان ذم الغضب )

قال الله تعالى - إذ جعل الدين كفروا في تلوههم الحجة حجة الجاهلية فأزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين - الآية . ذم الكفار بظواهرها ومن الحجة الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلاً قال « يا رسول الله من يعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب (١) » وقال ابن عمر « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولاً وأقلل لى أعقله فقال لا تغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلى لا تغضب (٢) » وعن عبد الله بن عمرو « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يقضى من غضب الله قال لا تغضب (٣) » وقال ابن مسعود قال النبي ﷺ « ماتعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب (٤) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب (٥) » وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه ستر الله عورته (٦) » وقال سليمان بن داود عليهما السلام : يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم . وعن عكرمة في قوله تعالى - وسيدوا حصوراً - قال السيد الذي لا يلبسه الغضب . وقال أبو الدرداء « قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب (٧) » وقال يحيى لميسر عليهما السلام لا تغضب قال لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا جبر قال : لا تغضب مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما غضب أحد إلا أخطى على جبهته (٩) » وقال له رجل « أي شيء أهد

- (١) حديث أبي هريرة إن رجلاً قال يا رسول الله من يعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب رواه البخاري (٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولاً وأقلل الحديث نحوه أبو يعلى بإسناد حسن (٣) حديث عبد الله بن عمرو سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمدني من غضب الله قال لا تغضب الطبراني في معارج الأخلاق وابن عبد البر في التمهيد بإسناد حسن وهو عند أحمد وأن عبد الله بن عمرو هو السائل (٤) حديث ابن مسعود ماتعدون الصرعة الحديث رواه مسلم (٥) حديث أبي هريرة وليس الشديد بالصرعة الحديث متفق عليه (٦) حديث ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته ابن أبي الدنيا في كتاب الضو وذم الغضب وفي الصمت وتقدم في آفات اللسان (٧) حديث أبي الدرداء دلى على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط بإسناد حسن (٨) حديث الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف (٩) حديث ما غضب أحد إلا أخطى على جبهته البزار وابن عدى من حديث ابن عباس للار باب لا يدخله الإيمان شئ غيظه بمعية

عند الشافعي رحمه الله تعالى وحد التفرق الذي يقطع التابع نشاف العضو مع اعتدال الهواء .

[ وسن الوضوء ثلاثة عشر ]

التسمية في أول الطهارة . وغسل اليدين إلى الكوعين والضمضة الاستنشاق وللبالغة فيها فغير غرض في الضمضة حتى يرد الماء إلى القاصمة ويستمد في الاستنشاق الماء بالنفس إلى الجياشيم ويرقى في ذلك إن كان صائماً وتخليل الأوعية الكثة وتخليل الأصابع للفرجة والبسادة باليافين وإطالة الترة واستيعاب الرأس بالمسح ومسح الأذنين

قال غضب الله قال فما يمدني عن غضب الله قال لا تضب (١) . الآثار : قال الحسن : يا ابن آدم كلما غضبت وثبت وبوشك أن تثب وثبة فتقع في النار وعن ذى القرنين أنه لقي ملكا من الملائكة فقال عليّ علما أزداد به إيعانا وثقينا قال لا تضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين غضب فرد التضب بالكلم وسكنه بالثؤدة وإياك والمجلة فانك إذا عجلت أخطأت حظك ولكن سهلا لنا للقرىب والبعيد ولا تكن جبارا عريدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في صومته فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجأه حتى ناداه فقال له اقتص فزجبه فقال اقتص فإنني ذهبت ندمت فلم يلفظ إليه فقال إلى أنا للسبح قال الراهب وإن كنت للسبح فما أصنع بك أليس قد مررتا بالعبادة والاجتهاد وعددتا القيامة فلم جثتنا اليوم بغيره لم تقبله منك فقال إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجيئت لتسألني عما شئت فأخبرك فقال ما تريد أن أسألك عن شيء قال فولي مدبر اقل الراهب ألا تسمع لى لى قال أخبرني أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم قال الحدة إن الرجل إذا كان حديدا قلنبا قال يقبل الصديان السكره وقال خيصة الشيطان يقول كيف يتلبى ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الأنصار رأس الحق الحدة وقائمة الغضب ومن رضى بالجهل استغنى عن العلم والخلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكرت عن جواب الأحمق جوابه . وقال مجاهد قال إبليس ما أعجزني بنو آدم فإن يعجزوني في ثلاث : إذا سكر أحدهم أخذنا غزامة قعدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أجبنا وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونيله بما في يديه ونعنه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما أملك فلا لنفسه قال إذا لاتفه الشهوة ولا يصبره الهوى ولا يظله الغضب وقال بعضهم إياك والغضب فانه يصيرك إلى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يغسد الإيمان كما يغسد الصبر العمل . وقال عبد الله بن مسعود انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طعمه وما عليك بعلمه إذا لم يغضب وما عليك بأمانته إذا لم يطعم وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاجبه فإذا سكن غضبك فأخرجه فاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال على بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أردت أن يستغنى الشيطان بمن السلطان فأنا لك منك اليوم ماتتاه منى غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحى في التناير السجورة فأقول لاس غضبا أعظمهم فان كان للدينا كان دهام ومكر وإن كان للأخرة كان حلا وعلما فقد قبل التضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضى الله عنه إذا خطب قال في خطبته أطلع منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار وقال الحسن من علامات السلم قوة في دين وحرم في لين وإيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في قوة وإحسان في قدرة وتحمل في رقة وصبر في شدة لا ينليه الغضب ولا تجمع به الحمية ولا قلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقتصر به نيته فيصر للظالم ورحم الضعيف ولا يخل ولا يذرو ولا يسرف ولا يقرينغرا إذا ظلم ويسفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك أجل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك التضب وقال نبي من الأنبياء لمن تبعه من يتكلم في أن لا يغضب فيكون

والثالث ، وفي القول الجسد التتابع ويحتمل أن يزيد على الثلاث ولا يفيض اليد ولا يتكلم في أثناء الوضوء ولا يظلم وجهه بالماء لطما ، ويجهد الوضوء مستحب بشرط أن يصل بالوضوء ما تيسر وإلا فكرهه .

[ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء ]  
آداب الصوفية بعد القيام . بمعرفة الأحكام أدبهم في الوضوء حضور القلب في غسل الأعضاء . سمعت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة وإذا دخل السهو فمخلت

الله وإسناده ضعيف وتقدم في آفات اللسان (١) حديث قال رجل أى شيء أشد على قال غضب الله قال فما يمدني من غضب الله قال لا تضب أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشر الأخير منه وقد تقدم قبله بست أحاديث .

مى في درجتي ويكون بمدى خليف فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا أوقى به فقامات كان في منزله بعده وهو ذوالكلل سمى به لأنه تكفل بالنضب ووفى به وقال وهب بن منه للكفر أربعة أركان : النضب ، والشهوة والحرق ، والطمع .

### ( بيان حقيقة النضب )

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرّضاً للفساد وللوان بأسباب في داخل بدنهم وأسباب خارجة عنه أنعم عليه بما يحميهم عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم مما في كتابه . أما السبب الداخل فهو أنه ركه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتحفها وتبخرها حتى تصير أجزاءها بخاراً يتصاعد منها فلولم ينصل بالرطوبة تمدمن الغذاء يجبرها أهل وتبخر من أجزائها لتسد الحيوان خلق الله الغذاء الوافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبثه على تناول الغذاء كالموكل به في خير ما تكسر وسد ما لا يكون ذلك حافظه من الهلاك بهذا السبب . وأما الأسباب الخارجة التي يتعرض لها الإنسان فكالسيف والسان وسائر المهلكات التي يقصد بها فائز إلى قوة وحمة ثور من بطنه فتدفع للمهلكات عنه خلق الله طبيعة النضب من النار وغرزها في الإنسان وهبها بطيته فيها صد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار النضب وثارت ثورتا يخلى به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع إلى أعالي البدن كما ترتفع النار وكما ترتفع الماء أقصى يغلي في القدر فتلك ينصب إلى الوجه فيحترق الوجه والعين والبشرة لصفاء تحكي لون ماوراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجات لون ما فيها وإعجاب ينسطح السطح إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر النضب على من فوقه وكان معه بأس من الانتقام تولد منه ابتياض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزناً ولذلك يصفر اللون وإن كان النضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين ابتياض وانبساط ويحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فتوة النضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وإعجاب جهده القوة عند ثورتها إلى دفع اللؤذيات قبل وقوعها وإلى التشنج والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة والتفريط والافراط والاعتدال . أما التفريط فيفقد هذه القوة أضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه إنه لاجية له ولذلك قال الشافعي رحمه الله من استنضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة النضب والحجة أصلاً فهو ناقص جداً وقد وصف الله سبحانه أصحاب النار بالشدّة والحجة فقال أشداه على الكفار رحما بينهم - وقال لئيه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الآية ونما اللفظة والشدّة من آثار قوة الحجة وهو النضب . وأما الإفراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يلقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة الضطر وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية قرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة النضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان وبين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن النضب من النار (١) كما قال صلى الله عليه وسلم وإنما برودة الزواج تطفئه وتكسر صورته . وأما الأسباب الاعتيادية فهو أن يغالب قوماً يتبعون بتشتي الفظ وطاعة النضب ويسمون ذلك شجاعاً وقولية قول الواحد منهم أنا الذي لأصبر على للمكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمراً ومعناه لا أعقل في ولا حلم يذكرك

(١) حديث النضب من النار الترمذي من حديث أبي سعيد بسند ضعيف النضب جمره في قلب ابن آدم ولأبي داود من حديث عطية السعدي أن النضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار.

الوسوسة في الصلاة  
ومن آدابهم استدامة  
الوضوء والوضوء سلاح  
الزمن والجوارح إذا  
كانت في حماية الوضوء  
الذي هو أثر شمس على  
طروق الشيطان عليها.  
قال عدي بن حاتم  
ما أقيمت صلاة منذ  
أسلمت إلا وأنا على  
وضوء . وقال أنس  
ابن مالك « قدم النبي  
عليه الصلاة والسلام  
الدنية وأنا يومئذ  
ابن ثمان سنين فقال  
لي : يا بني إن استطعت  
أن لا تزال على الطهارة  
فاصل فانه من آتاه  
الوئ وهو على الوضوء  
أعطى الشهادة فشان  
المائل أن يكون أبدا  
مستمدا للوئ ومن  
استعدا للوئ والطهارة  
وحكى عن المصري

في معرض المخبر بجهله فمن سمعه رشح في نفسه حسن الغضب وحب التقية بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرابها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطق "نور العقل وينمي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ يتولى على معدن الفكر وربما يمتد إلى معادن الحسن فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسد عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطربت فيه نار فاسود جوه وحى مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضيف فامحى أو انطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لامن داخل ولا من خارج بل يضي أن يصير إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يغلب الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفنى الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحب غظا كما تقوى النار في الكهف فينشق وتهدأ أعاليه على أسفله وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة للمسكة الجامعة لأجزائه فكذلك حال القلب عند الغضب وبالحقيقة فالسيفينة في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس للضطربة غيظا إذ في السفينة من عقال لتسكينها وتديرها وينظرها ويسوسها وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذا عمى الغضب وأصمته ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأنف عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشداق ونحمر الأهداق وتقلب الناخر وتشتت الخلفة ولورأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وإنما قبحت صورة الباطن أولاً ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانياً فغير الظاهر ثمرة تغير الباطن نفس الثمرة بالثمرة فهذا أثره في الجسد. وأما أثره في اللسان فانطالته بالشتم والفحش من السلام الذي يستحي منه ذوالعقل ويستحي منه قائله عند قنور الغضب وذلك مع تحبط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الأعضاء فالضرب والهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المضروب عليه أوفاته بسبب وهجز عن التقشف رجح الغضب على صاحبه فترق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب يده على الأرض ويسدو عدو الواله السكران والدعوش التحير وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويضربه مثل القشة وربما يضرب الجادات والحيوانات فيضرب القصة مثلا على الأرض وقد يكسر للسائدة إذا غضب عليها ويتشاطى أفعال المجانين فيشتم الرحمة والجمادات ويخطبها ويقول إلى متى. منك هذا يا كيت وكيت كأنه مخاطب عاقل لا حتى ربما رفته دابة فيرفض الدابة ويقابلها بذلك. وأما أثره في القلب مع الغضب عليه فالخقد والحسد وإضمار السوء والتمائة بالمسآة والحزن بالسرور والعزم على إفشاء السوء هتك السر والاستهزاء وغير ذلك من التبايع فهذه ثمرة الغضب للقرط وأما ثمرات الحمية الضيقة قتلة الأئمة مما يؤتف منه من العرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من الأخساء وضرب النفس والقماء وهو أيضا مذموم إذ من ثمراته عدم الثيرة على الحرم وهو خوثة قال صلى الله عليه وسلم "إن سعدا لقيور وأنا أنغر من سعد وإن الله أغبر مني" (١) وإنما خلقت الثيرة لحفظ الأنساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب ولذلك قيل كل أم موضعت الثيرة

أنه قال مهما أشبه من الليل لا يعملني النوم إلا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء ثلاثا يسود إلى النوم وأنا على غير طهارة وصمت من صبح الشيخ على بن الهيثمي أنه كان يقصد الليل جميعه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكلما اتبسه يقول لا أكون أسأت الأدب فيقوم ويجدد الوضوء ويصلي ركعتين . وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فأنى سمعت دف ثعلبك بين يدي في الجنة» قال ما عملت عملا في الإسلام

(١) حديث إن سعدا لقيور الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث الثيرة نحوه. وتقدم في السكاح

في رجالها وضمت الصيانة في نسايتها ومن ضعف الغضب الحور والسكرت عند مشاهدة النكر استوقد قال صلى الله عليه وسلم « خير أمتي أحداؤها » (١) يعني في الدين وقال تعالى ولا تأخذكم بهما غرافي دين الله - بل من قد الغضب يحز عن رياضة نفسه إذ لا تتم الرياضة إلا بتسلط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الليل إلى الشهوات الحسية فقد الغضب مذموم وإنما الحمود غضب ينظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث يجب الحمية وينطق حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « خير الأمور أوسطها » (٢) فمن مال غضبه إلى القنوت حتى أحس من نفسه بضعف القنوة وخسة النفس في احتمال الدل والضيق في غير محله فينبغي أن يبالغ نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى التهور واقتحام القواحي فينبغي أن يبالغ نفسه لينقص من سورة الغضب ويقتب على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأدمن من السيف فان هجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى - ولن تستطيعوا أن تعدوا بين النساء ولو حرصتم فلا تمواكل الليل فتدروها كالمعلقة - فليس كل من هجز عن الايمان بالحجر كله ينبغي أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضه إنه على ما يشاء قدير .

( بيان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا )

اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكيفية وزعموا أن الرياضة إليه توجه وإياه تصدقون آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأي من يظن أن الخلق كالحق وكلامه لا يقبل التغير ولا كلاله أبين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه ما بقى الإنسان بحسب شيئا وبكره شيئا فلا يخلو من الفطنة والغضب وما دام بواقفه شيء ومخالفة آخر فلا بد من أن يحس ما يوافقته وبكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوه غضب لمخالفة وإذا قصد بكمروه غضب لاجتماعه إلا أن ما يغيبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول ما هو ضرورة في حق الكافة كالتوكل والسكن والملبس ومحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك إذا أخذ منه فوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لعطشه فيهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من تعرض لها . القسم الثاني ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجهاد والال الكثير والنفان والدواب فان هذه الأمور صارت محبوبة بالمادة والجهل بتعاقب الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكتران ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الإنسان عن أصل الفطنة عليه فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا فيزهده في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجهاد والصيت والتصدري الجالسي والباهة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا زاحم على التصدي في المخالف ومن لا يحب ذلك فلا يزال ولو جلس في صف التعال فلا يغضب إذا جلس غيره فوهذه المعاديات الرديئة هي التي أكثر محاب الإنسان ومكارهه فأكثر غضبه وكذا كانت الارادات والشهوات

(١) حديث خير أمتي أحداؤها الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث علي بن سعيد ضعيف وزاد الدين إذا غضبوا رجعوا (٢) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في الشعب مرسل وقد تقدم.

أرجى عندي أي لم  
أنظر طهرها في ساعة قليل  
أوتارها لإصليت لرب  
عز وجل بذلك الطهور  
ما كتب لي أن أصلي  
ومن أدبهم في الطهارة  
ترك الاسراف في الماء  
والوقوف على حد العلم.  
أخبرنا الشيخ العالم  
ضياء الدين عبد الوهاب  
ابن علي قال أنا أبو الفتح  
المروسي قال أنا أبو نصر  
الترقي قال أخبرنا  
أبو محمد الجراسي قال  
أنا أبو العباس الجعفي  
قال أنا أبو عيسى  
الترمذي قال حدثنا  
محمد بن بشار قال حدثنا  
أبو داود قال حدثنا  
خارجة بن مصعب  
عن يونس بن عبيد  
عن الحسن بن يحيى  
ابن ضمرة السعدي عن  
أبي بن كعب عن النبي

أكثر كان صاحبها أخط رتبة وأقص لأن الحاجة صفة قصص فيها كثرت كثرة النفس والجاهل أبدا جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب النغم والحرمان حتى ينتهي بعض الجهال بالعداوات الرديئة ومخالطة قرناء السوء إلى أن يضرب لوقيل له إنك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشرطنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالتضبط على هذا الجنس ليس بضروري لأن جبه ليس بضروري . القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض الكتاب مثلا في حق العالم لأنه مضطر إليه فيجبه فيضبط على من يحرقه ويضرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها فان ما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوها وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « من أصبح آمنا في سربه مأنى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاق فيها » (١) ومن كان بصيرا بعقائقي الأمور وسلم لهذه الثلاثة يتصور أن لا يضبط في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها . أما القسم الأول : فليست الرياضة فيه لينعم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطبع النضب ولا يستعمل في الظاهر إلا على حد يستجبه الشرع ويستحسن العقل وذلك يمكن بالمجاهدة ونكالف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فأما قسم أصل النظم من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجانه النغيط في الباطن وينتهي ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من النغيط استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه . وأما القسم الثاني : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الاضغالك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج جبه من القلب وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا مجرد عبر عليها ويتردد منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبالقي وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو جها عن قلبه ولو كان للإنسان قلب لا يجبه لا يضبط إذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا تنهى إلى قبح أصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنهى إلى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون . فان قلت : الضروري من القسم الأول التألم بغوات المحتاج إليه دون الغضب فن له شاة مثلا وهي قوته فثابت لا يضبط على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الإنسان يتألم بالصد والحجامة ولا يضبط على القصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها يد الله ومنه فلا يضبط على أحد من خلقه إذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالتلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يضبط على القلم فلا يضبط على من يدبج شاته التي هي قوته كما لا يضبط على موتها إذ يرى التبع واللوت من الله عز وجل فيندفع الغضب بقلبة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن الكل من الله وأن الله لا يشدر له إلا ما فيه الخير وربما تكون الحيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقته فلا يضبط كما لا يضبط على القصاد والحجام لأنه يرى أن الحيرة فيه يقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبروق الخاطف تقلب في أحوال مختلطة ولا تدوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه مأنى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاق فيها الترمذي وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محسن دون قوله بحذاق فيها قال الترمذي حسن غريب .

صلى الله عليه وسلم أنه قال وللنضوب عريطان يقال له ألوانان فأتوا وسأوس لاء قال أبو جند الله الروذباري إن الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يبال أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيها أمروا بأو ينقصوا عنه . وحكى عن ابن الكرمي أنه أصابته جناة لية من الليالي وكانت عليه مرقعة خفية غليظة فجاء إلى الدجلة وكان برد شديد فحزرت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح نفسه في الماء مع الرقعة ثم خرج من الماء وقال عندئذ أن لا آتزعها من بدني حتى تحب على نفسي

فانه كان يغضب حق نعمر وجنتاه (١) حق قال « اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأعما مسلم بيته وأولئته وأوصريته فأجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة (٢) » وقال عبدالله بن عمرو بن العاص « يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال كذب فو الذي يثنى بالحق نبيا ما يخرج منه إلا حق » وأشار إلى لسانه (٣) « فم يقل إنى لا أغضب ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق أى لا أعمل بموجب الغضب » وغضبت عائشة رضى الله عنها مرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جارك شيطانك قتالت ومالك شيطان قال بلى ولكن دعوت الله فأعاني عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بالخير (٤) » ولم يقل لاشيطان لى وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يغضبنى على الشر » وقال على رضى الله عنه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب لادنيا فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يبق له شيء حتى يتصرفه (٥) » فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لله فهو الثفات إلى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فأعما غضب لله فلا يمكن الاشتكاك عنه . ثم قد يفقد أصل الغضب فيها هو ضرورى إذا كان القلب مشغولا بضرورى أهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لا يشتغله بغيره فان اشتراق القلب ببعض اللهايات يمنع الاحساس بماعاده ، وهذا كما أن سلمان لما شتم قال إن خفت موازىي فأنا شر مما تقول وإن قلت موازىي لم يضرنى ما تقول فقد كان همهم مصروفا إلى الآخرة فم ينأثر قلبه بالشم . وكذلك شتم الربيع بن خثيم قال : يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعها لم يضرنى ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول . وسب رجل أبا بكر رضى الله عنه فقال ماستر الله عنك أكثر فسكاته كان مشغولا بالنظر في تصير نفسه عن أن يتق الله حق ثقته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان إذا كان ينظر إلى نفسه بين النقصان وذلك لجلالة قدره ، وقالت امرأة لمالك بن دينار يامرائى فقال ما عرفنى غيرك فسكاته كان مشغولا بأن يبنى عن نفسه آفة الرأى ومتكررا على نفسه ما يلقى الشيطان إليه فم يغضب لماسب إليه . وسب رجل الشعبي فقال إن كنت صادقا ففقر الله لى وإن كنت كاذبا ففقر الله لك فزده الأقول دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بهمهمات دينهم ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغاب على قلوبهم فإذا اشتغال القلب ببعض اللهايات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض الهاب فإذا يتصور قد الفيط إما اشتغال القلب بهم أوفضية نظر التوحيد أوبسب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يظن قطيعة شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم يغضب حق نعمر وجنتاه مسلم من حديث جابر كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه ولما كان كذا إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وقد تقدم في أخلاق النبوة (٢) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر الحديث مسلم من حديث أنى هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جلته بدل ضربه وفي رواية اللهم إني أعوذ بك من غضب كما يغضب البشر وأسلم من حديث أنس إنا أنا بشر أرضى كابرى البشر وأغضب كما يغضب البشر ولأبى يعلى من حديث أبى سعيد أوصريته (٣) حديث عبدالله بن عمرو يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال كذب فو الذي يثنى بالحق ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه أبوداود بنحوه (٤) حديث غضبت عائشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك جارك شيطانك الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث على كان لا يغضب لادنيا الحديث الترمذى في التلخيص وقد تقدم.

عليه شهرا فخاها  
وغلظها أدب بذلك  
قسه لما حررت عن  
الانتمار لأمر الله تعالى  
ويقيل إن سول بن  
عبد الله كان يحث  
أصحابه على كثرة شرب  
الياه وقلة صبه على  
الأرض وكان يرى أن  
في الإكثار من شرب  
الياه ضعف النفس  
وإماتة الشهوات وكسر  
القوة ومن أفعال  
الصوفية الاحتياط في  
استبقاء الساء للوضوء  
قيل كان إبراهيم  
الخواص إذا دخل  
البادية لا يعمل معه  
إلا ركوة من اللادورجا  
كان لا يشرب منها  
إلا القليل يحفظ لياه  
للوضوء وقيل إنه كان  
يخرج من مكة إلى  
السكوفة ولا يحتاج إلى

عوجب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب دَم الدنيا ومن أخرج حب الزايعين القلب تخلص من أكثر أسباب النضب وما لا يمكن عوجه يمكن كسره وقضيه فيضف النضب بسببه ويهون دفعه ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه إنه على كل شيء قدير والحمد لله وحده .

### ( بيان الأسباب للهجرة للنضب )

قد عرفت أن علاج كل علة جسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب النضب ، وقد قال يحيى لبيسي عليهما السلام أي شيء أشد قال غضب الله قال لما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال فما يندى النضب وما يشبهه قال عيسى : الكبر والفخر والتعزز والحيوة والأسباب للهجرة للنضب هي الزهو والعجب والزواج والمزول والمهزء والتعير والمعاراة والضادة والتدري وشدة الحرص على فضول السال والجاه وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من النضب مع قفاه هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها ، فبني أن يمتح الزهو بالتواضع ونمت العجب بمررتك بنفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد ، وإنما اختلفوا في الفضل أشتاتا فبنو آدم جنس واحد وإنما الفخر بالفضائل ، والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تختصر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة . وأما الزواح فتزيله بالتشاغل بالهمات الدينية التي تتويع العمر وغضل عنه إذا عرفت ذلك . وأما المزول فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة . وأما المهزء فتزيله بالتكريم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأك . وأما التعير فالخذر عن القول القبيح صيانة النفس عن مر الجواب . وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترضا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يغتر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة ، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتفر عن قبيحها ثم اللواظية على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير العادة مألوقة هيئة على النفس فإذا انحمت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن النضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث على النضب عند أكثر الجهال تسميتهم النضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبرهمة وتلقيه بالأتقاب المعمودة غباوة وجهلا حتى يعيل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة النضب عن الأكابر في معرض اللبس بالشجاعة والنفس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيخرج النضب إلى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب وقصان عقل وهو لضعف النفس وقصانها وآية أنه لضعف النفس أن الرضى أسرع غضبان الصحيح والمرأة أسرع غضبان من الرجل والسبي أسرع غضبان من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضبان من الكهل ودو الخلق السيء . والرذائل القبيحة أسرع غضبان من صاحب الفضائل فالرذل ينضب لهوته إذا فاتته الثمرة وبلخه إذا فاتته الحبة حتى إنه ينضب على أهله ولده وأصحابه بل القوى من علك نفسه عند النضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند النضب »<sup>(١)</sup> بل ينبغي أن يبالغ هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحس منهم من كظم الغيظ فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والماءد وأكابر الملوك الفضلاء وعند ذلك منقول عن الأكراد والأحرار والجملة والأغنياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم .

(١) حدث ليس الشديد بالصرعة تقدم قبله .

التبعم يحفظ للاء  
لوروشو ويغنى بالقليل  
لقشر . وقيل إذا  
رأيت الصوفي ليس معه  
ركوذا وكوز فاعلم أنه  
قد عزم على ترك الصلاة  
هاء أم أين . وحكى عن  
بعضهم أنه أدب نفسه  
في الطهارة إلى حد أنه  
أقام بين ظهراني جماعة  
من النسكاء وم  
جسمون في دار فاراه  
أحد منهم أنه دخل  
الحلاء لأنه كان يقضى  
حاجته إذا خلا للوضع  
في وقت يريد تأديب  
نفسه ، وقيل مات  
الحواص في جامع  
الري في وسط للاء  
وذلك أنه كان به علة  
البطن وكلا قام دخل  
اللاء وغسل نفسه  
فغسله مرة ومات فيه  
كل ذلك لحظه على



## ( بيان علاج النضب بعد هيجانه )

ما ذكرناه هو حسم لمواد النضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فإذا جرى سبب هيجانه فندم بحسب الثبوت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه الذموم وإنما يبالغ النضب عند هيجانه بمجموع العلم والعمل . أما العلم فهو ستة أمور : الأول يتفكر في الأخبار التي سنورها في فضل كظم النضب والنفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمننه شدة الحرص على ثواب الكظم على التشنف والانتقام وينطقى عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت بأمر المؤمنين - خذ النفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فكان عمر يقول - خذ النفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فكان يتأمل في الآية وكان واقفا عند كتاب الله مهمات على كثير التدبر فيه فتدبر فيه وعلى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى - والكاظمين - النبط - قال لعلامة خل عنه . الثاني أن يحرف نفسه بقباب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الإنسان فلو أمضيت غضي عليه لم آمن أن يعصى الله غضبه على يوم القيامة أوحى ما أكون إلى النفو قد قال تعالى في بعض الكتب القديمة : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أحفك فيمن أحق . وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال « لولا التقصص لأوجحك » (١) أي التقصص في القيامة وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك الأمومة حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها : ارحم السكين واخشى الوت واذكر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه . الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتضر الصدو لمقاتلته والسعي في هدم أغراضه والسياسة وصائبه وهو لا يخلو عن الصائب فيخوف نفسه بوابق النضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لأنه متردد على حظوظه الحاجة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن تنقشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يبينه على الآخرة فيكون مثابا عليه . الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة النضب ويتفكر في قبح النضب في نفسه ومشابهة صاحبه للسكب الضاري والبيع العادي ومشابهة الخليم الهامدي التارك للغضب للأتباء والأولياء والملاء والحكام وغيره ثم ينشبه بالكلاب والبيع وأرأذل الناس وبين أن ينشبه بالملاء والأتباء في عاداتهم فليقل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي معه مسكة من عقل . الخامس أن يتفكر في السبب الذي يدعو إلى الانتقام ويمنعه من كظم النضب ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك على العجز وضرب النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في أعين الناس فيقول لنفسه ما عجبك تأشيق من الاحمال الآن ولأنا تأشيق من خزي يوم القيامة والانتقام إذا أخذ هذا يدك وانتقم منه وتحذرين من أن تضري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تضري عند الله ولللائكة والنبيين فمعها كظم النضب فينبغي أن يكتظمه لله وذلك يعظمه عند الله فماله وللناس وذلك من ظله يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا تودى يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الإيمان ينبغي أن يكرره على قلبه . السادس أن يعلم أن غضبه من تمجيده من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادى أولى من مراد الله ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه . وأما العمل فإن تقول بلسانك

(١) حديث لولا التقصص لأوجحك أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف .

الوضوء والطهارة وقيل  
كان إبراهيم بن آدم به  
قيام مقام في ليلة  
واحدة نيفا وسبعين  
مرة كل مرة يجدد  
الوضوء ويصلي ركعتين  
وقيل إن بعضهم أدب  
نفسه حتى لا يخرج  
منه الربح إلا في وقت  
البراز يراعى الأدب  
في المحاولات واتخاذ  
للنديل بعد الوضوء  
كرهه قوم وقالوا إن  
الوضوء يوزن وأجازه  
بعضهم ودليلهم  
ما أخبرنا الشيخ العالم  
ضياء الدين عبد الوهاب  
ابن علي قال أنا أبو الفتح  
المروزي قال أنا أبو نصر  
قال أنا أبو محمد قال  
أنا أبو العباس قال  
أنا أبو عيسى الترمذي  
قال حدثنا سفيان بن  
وكيع قال حدثنا عبد الله

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند الغضب (١) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت عائشة أخذ بها وقال يا عيشي قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن (٢) فيستحب أن تتولى ذلك فإن لم يزل بذلك فأجلس إن كنت قائماً واضطجع إن كنت جالساً وأقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذلك تسك وأطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الغضب جرة توفد في القلب» (٣) ألم تروا إلى انتفاع أو داجه وحمة عينية فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فليتم فإن لم يزل ذلك فليتنوض بالماء البارد أو يبتسك فإن النار لا يطفئها إلا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم «إذا غضب أحدكم فليتنوض بالماء قائماً الغضب من النار» (٤) وفي رواية إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفئ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتنوض وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا غضبت فامسكت» (٥) وقال أبو هريرة «كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس، اضطجع فيذهب غيظه» (٦) وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم «ألا إن الغضب جرة في قلب ابن آدم» (٧) ألا ترون إلى حرمة عينية وانتفاع أو داجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليصق خده بالأرض وكان هذا إهارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس القل وتزایل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب . وروى أن عمر غضب يوماً فقام بماء فاستنشق وقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي أبي أوت قلت نعم قال فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظم خالقهما . وروى «أن أبا ذر قال لرجل يابن الحراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله

ابن وهب عن زيد  
ابن جباب عن أبي  
معاذ عن الزهري  
عن عروة عن عائشة  
رضي الله عنها قالت  
كان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم خرقه ينشف  
بها أعضائه بعد  
الوضوء . وروى معاذ  
ابن جبل قال رأيت  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم إذا توضأ مسح  
وجهه بطرف ثوبه  
واستقصا الصوفية في  
تطهير البواطن من  
الصفات الرديشة  
والأخلاق الدموية  
لا الاستقصاء في طهارة  
الظاهر إلى حد يخرج  
من حد الموت وتوضأ عمر  
رضي الله عنه من جرة  
ضرائية مع كون  
التصاري لا يجترزون  
عن المحروا أجرى الأمر

(١) حديث الأمر بالتموذ بالله من الشيطان الرجيم عند الغضب متفق عليه من حديث سليمان بن سرد قال كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه الحديث وفيه لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فذهب عنه ما عدا فقالوا له إن النبي صلى الله عليه وسلم قال تموذ بالله من الشيطان الرجيم الحديث (٢) حديث كان إذا غضبت عائشة أخذ بها قال وقال يا عيشي قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن (٣) حديث إن الغضب جرة توفد في القلب الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله توفد وقد تقدم ورواه بهذه اللفظة البيهقي في الشعب (٤) حديث إذا غضب أحدكم فليتنوض بالماء البارد الحديث أبو داود من حديث عطية السعدي دون قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها المصنف وقد تقدم (٥) حديث ابن عباس إذا غضبت فامسكت أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ لها والبيهقي في شعب الإيمان وفيه لث بن أبي سليم (٦) حديث أبي هريرة كان إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غيظه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم وأحمد بإسناد جيد في أثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائماً فجلس ثم اضطجع فقبل له لم جلست ثم اضطجعت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع والرفوع عند أبي داود وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الأسود (٧) حديث أبي سعيد ألا إن الغضب جرة في قلب ابن آدم الحديث الترمذي وقال حسن .

صلى الله عليه وسلم فقال ياأباذر بلنى أنك اليوم عيرت أخاك بأمة فقال نعم فأطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياأبا ذر ارفع ريسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحرر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل ثم قال إذا غضبت فإن كنت قائماً فأقصد وإن كنت قاعداً فاتكى<sup>(١)</sup> وإن كنت متكئاً فامضجع<sup>(٢)</sup> وقال المتعرب بن سلمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلاً وقال للأول إذا غضبت فأعطني هذه فاشتد غضبه يوماً فأعطى الصحيفة الأولى فإذا فيها مائة وثلاثة آلاف ثوب فقال لثالث إذا ذهب غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يوماً فأعطى الصحيفة الثانية فإذا فيها خذ الناس بحق الله فإنه لا يصلهم إلا ذلك أى لا تعطى الحدود . وغضب للهدى على رجل فقال شيب لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله .

### ( فضيلة كظم الغيظ )

قال الله تعالى - والكاملين الغيظ - وذكر ذلك في معرض اللوح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته<sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحكمكم من عفا عند القدرة<sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لمضاه ملا الله قلبه يوم القيامة رضا - وفي رواية ملا الله قلبه أمناً وإيماناً<sup>(٣)</sup> » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماجرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى<sup>(٤)</sup> » وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم « إن لجبن باباً لا يدخله إلا من شق

(١) حديث أبي ذر أنه قال لرجل ياأبا الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فقال ياأبا ذر ارفع رأسك فانظر الحديث وفيه ثم قال إذا غضبت إلى آخره ابن أبي الدنيا في المغووم والغضب باسناد صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمة أممية فعيرته بأمة فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياأبا ذر إنك امرؤ فبك جاهلية ولا حمدانه صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحرر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى ورجاله تقات.

### ( فضيلة كظم الغيظ )

(٢) حديث من كف غضبه كف الله عنه عذابه الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان واللفظ له من حديث أنس باسناد ضعيف ولا بن أبي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاه الله عذابه الحديث وقد تقدم في آفات اللسان (٣) حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحكمكم من عفا عند القدرة ابن أبي الدنيا من حديث علي بن إسحاق والبيهقي في الشعب بالنظر الأول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرسل باسناد جيد والبرز والطبراني في معارج الأئمة واللفظ له من حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وفيه عمران القطان مختلف فيه (٤) حديث من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لمضاه ملا الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية أمناً وإيماناً بن أبي الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكين بن أبي سراج تتكلم فيه ابن حبان وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم (٥) حديث ابن عمر ماجرع رجل جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله ابن ماجه.

على الظاهر وأصل  
الطهارة وقد كان  
أصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
يسألون على الأرض من  
غير سجادة ويمشون  
حفاة في الطرق وقد  
كانوا لا يعملون وقت  
النوم بينهم وبين التراب  
حائلاً وقد حكوا  
يقنعون على الحجر  
في الاستنجاء في بعض  
الأوقات وكان أمرهم في  
الطهارة الظاهرة على  
التساهل واستعصاؤهم  
في الطهارة الباطنة  
وهكذا شغل السوفية  
وقد يكون في بعض  
الأشخاص تقصود في  
الطهارة ويكون مستند  
ذلك رغبة النفس في  
اتساع ثوبه تخرج ولا  
يألي بما في باطنه من  
الغل والحقد والكبر

غِيظَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى (١) « وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جُرْعَةِ غِيظِ كَظْمِهَا عَبْدٌ وَمَا كَظْمُهَا عَبْدٌ إِلَّا مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا (٢) » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ كَظَمَ غِيظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْفِذَهُ دَعَا اللَّهَ عَلَى رَدِّهِ مِنَ الْخَلْقِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَى الْحَوَرِ شَاءَ (٣) » الْآثَارُ : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ عَنْهُ مِنْ أَتَى اللَّهَ لَمْ يَشْفِ غِيظَهُ وَمَنْ خَافَ اللَّهَ لَمْ يَفْعَلْ مَا يَشَاءُ وَلَوْ لَوَلَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَكُنَّا فِيهِ مَاتَرُونَ . وَقَالَ ثِقْلَانُ لِابْنِهِ : يَا بَنِي لَا تَذْهَبْ مَاءَ وَجْهِكَ بِالْمَسَالَةِ وَلَا تَشْفِ غِيظَكَ بِغَضَبِكَ وَاعْرِفْ قَدْرَكَ تَنْفَعُكَ مَعِيشَتُكَ . وَقَالَ أَيُّوبُ حَلَمٌ سَاعَةً يَدْفَعُ شَرًّا كَثِيرًا ، وَاجْتَمَعَ سَفِيَانُ التَّوْرِيُّ وَأَبُو خُرَيْبَةَ الْبَرْبُوعِيُّ وَالْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ فَخَذُوا الزَّهْدَ فَاجْمَعُوا عَلَى أَنْ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ الْحِلْمُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْحَزَنِ . وَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا تَقْضَى بِالْعَدْلِ وَلَا تَمْطَى الْجُرْلُ فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى عَرَفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَسْمَعُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ - فَهَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ فَقَالَ عُمَرُ صَدَقْتَ فَكَأَنَّمَا كَانَتْ نَارًا فَاطْفَأَتْ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَيْسٍ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ اسْتَكْلَلُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ إِذَا رَضِيَ لَمْ يَدْخُلْهُ رِضَانُهُ بِالْإِبْطِلِ وَإِذَا غَضِبَ لَمْ يَخْرُجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ وَإِذَا قَدَرَ لَمْ يَتَنَاوَلَ مَا لَيْسَ لَهُ . وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى سُلَيْمَانَ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَوْصِنِي قَالَ لَا تَغْضَبُ قَالَ لَا أَقْدَرُ قَالَ فَإِنْ غَضِبْتَ فَأَسْكُ لِسَانَكَ وَيَدَكَ .

### ( بيان فضيلة الحلم )

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكليف الحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من حاج غيظه وبحاجة فيه إلى مجاهدة شديدة ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وإن حاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دالة كمال العقل واستيلائه وانسكار قوة الغضب وخضوعها لقلل ولكن ابتداء التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمُ بِالْحِلْمِ وَمَنْ يَتَغَيَّرِ الْخَيْرُ يَحْطِهُ وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يَوْقَهُ (١) » وأشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم طريقته التحلم أولا وتكليفه كإكتساب العلم طريقته العلم . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيطلب جهلكم حكمكم (٢) » وأشار بهذا إلى أن التكبر والتجبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين ، وكان من دعائه ﷺ « اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِالْعِلْمِ وَزِينِ بِالْحِلْمِ وَأَكْرِمْنِي بِالتَّقْوَى وَجَلِّنِي بِالْمَافِيَةِ (٣) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ابْتَغُوا الرِّفْعَةَ عِنْدَ اللَّهِ قَالُوا وَمَاهِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ تَصِلُ مِنْ قَطْمِكَ وَتَمْلِكُ مِنْ حَرَمِكَ وَتَعْلَمُ عَمَّنْ جَهْلُ عَلَيْكَ (٤) »

(١) حديث ابن عباس إن لعنهم أبابا لا يدخل منه إلا من شق غيظه بمعصية الله تقدم في آفات اللسان  
(٢) حديث مامن جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبدا وما كظمها عبدا إلا مملأ الله قلبه إيمانا ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف ويتلق من حديث ابن عمر وحديث الصحابي الذي لم يسم وقد تضمن (٣) حديث من كظم غيظا وهو قادر على أن ينقله دعه الله على رءوس الخلائق حتى يخيره من أذى الحور شاء تقدم في آفات اللسان .

### ( فضيلة الحلم )

(٤) حديث إنما العلم بالعلم والحلم بالحلم الحديث الطبراني والدارقطني في المثل من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف (٥) حديث أبي هريرة اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم الحديث ابن السني في رياضة التلدين بسند ضعيف (٦) حديث كان من دعائه اللهم اغني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجليني بالمافية أجله أصلا (٧) حديث ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي ؟ قال تصل من قطمك الحديث الحاكم والبيهقي وقد تقدم .

والعجب والرياء والافتقار  
ولله ينصركم على  
الشخص لو داس  
الأرض خافيا مع وجود  
رخصة التبرع ولا  
يشكره عليه أن يتكلم  
بكلمة غيبة يهرب بها  
دينه وكل ذلك من قلة  
العلم وترك التأدب  
بصفة الصادقين من  
الملاءم الراغبين وكانوا  
يكرهون كثرة الدلائل  
في الاستبراء لأنه ربما  
يستترخي الصبر ولا  
يمسك البول ويتولد  
منه القطر للفرط .  
ومن حكايات للتصوفة  
في الوضوء والطهارات  
أن أبا عمرو الزجاجي  
جاءه بمكة ثلاثين سنة  
وكان لا ينفوط في الحرم  
ويخرج إلى الحل وأقل  
ذلك فرسخ . وقيل  
كان بعضهم على وجهه

وقال صلى الله عليه وسلم « خمس من سنن اللرسلىن الحىام والىلم والحجامة والسواك والتعطىر <sup>(١)</sup> وده على كرم الله وجهه قال النى صلى الله عليه وسلم « إن الرجل للسلم لىدرک بالىلم درجة الصائم القائم وإنه لىكتب جبارا عىندا ولا ىملك إلا أهل ىته <sup>(٢)</sup> » وقال أبوه رىرة « إن رجلا قال لرسول الله إنى قرابة أسلمهم وقطونى وأحسن إلیهم ویستونون إلی ویمهلون على وأحلهم عنهم قال إن كان کاغول فکأما تسفهم لل ول لا یرال معک من الله ظهیر مادمت على ذلک <sup>(٣)</sup> » الذى ىنه بالرىل وقال رجل من للسلىن « اللهم لیس عىدى صدقة أصدق بها فأعما رجل أصاب من عرضى شىئا فوعىلى صدقة فأوحى الله تعالى إلی النى <sup>(٤)</sup> « إنى قد غفرت له <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « أبعجز أحدکم أن ىكون كأبى ضمضم قالوا وما أبى ضمضم قال رجل عن کان قبلکم کان إذ أصبح یعول اللهم إنى تصدقت الیوم بمرضى على من ظلفى <sup>(٦)</sup> » وقیل فى قوله تعالى « ربانىین - أى علماء علماء وعن الحسن فى قوله تعالى - وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - قال علماء إن جعل علیهم لم یجھلوا. وقال عطاء بن أبى رباح - یمشون على الأرض هونا - أى حلما وقال ابن أبى حبيب فى قوله عز وجل - وکلما قال الکلم تنهى الیلم. وقال مجاهد - وإذ مروا باللغو مروا کراما - أى إذا وصفوا. وروى « أن ابن مسعود مر ببلغم مر ضافا لرسول الله صلى الله علیه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى کرما <sup>(٧)</sup> » ثم تلا إبراهیم بن میسره وهو اللى أوى قوله تعالى - وإذا مروا باللغو مروا کراما - وقال النى صلى الله علیه وسلم « اللهم لا یدرکى ولا یدرک زمان لا یتعون فى العلم ولا ىستحون فىه من الیلم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب <sup>(٨)</sup> » وقال صلى الله علیه وسلم « لیسى منکم ذوو الأحلام والهى ثم الذین یلونهن ثم الذین یلونهن ولا یختفوا فتختلف قلوبکم وإیاکم وهیشت الأسواق <sup>(٩)</sup> » وروى « أنه وعد فى النى صلى الله علیه وسلم الأشیخ فأتاه راحلته ثم عقلیا وطرس عنه ثوبین کانا علیه وأخرج من العىة یوبن حسنین قلبسهما ذلک بین

(١) حديث خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر أبو بكر بن أبي عامر في الثانی والآحاد والترمذی الحکیم فی نوادر الأصول من رواية ملیح بن عبد الله الحطینی عن أبيه عن جده ولترمذی وحسنه من حديث أبي أيوب أربع فأسقط الحلم والحجامة وزاد التسكح (٢) حديث طي إن الرجل السلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم الحديث الطبرانی الأوسط بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أسلمهم ويقطعون وأحسن إليهم ويسبونني ويجهلونني وأحلهم عنهم الحديث رواه مسلم (٤) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو صدقة عليه الحديث أبو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب من رواية عبد المجيد بن أبي عيسى بن جبر عن أبيه عن جده بإسناد لين زاد البيهقي عن علي بن زيد وعليه هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه رواه ابن عينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا من المسلمين ولم يسمه وقال أظنه أبا مضمض قلت وليس بأبي مضمض إنما هو علي بن زيد وأبو مضمض ليس له حجة وإنما هو متقدم (٥) حديث أبي عبيد أحمد ك أن يكون كأي مضمض الحديث تقدم في آفات اللسان (٦) حديث إن ابن مسعود مر بفلان معرضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كرميا ابن المبارك في البر والصفة (٧) حديث اللهم لا يدركني ولا أدرك زمان لا يتقون في العلم ولا يستحيون فيه من الخلق الحديث أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف (٨) حديث يلقى منكم أولو الأحلام والنهي الحديث مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله ولا تختلفوا تختلفوا بكم فهي عند أبي داود والترمذی وحسنه وهي عند مسلم في حديث آخر لابن مسعود .

قرح لم يسدمل انفق  
 عشرة سنة لأن الماء  
 كان يصره وكان مع  
 ذلك لا يمنع تجديد  
 الوضوء عند كل  
 فريضة وبضهم نزل  
 في عينه للماء فحملوا  
 إليه الدواء وبدلوا  
 له مالا كثيرا ليدويه  
 فقال للدواي يحتاج  
 إلى ترك الوضوء أياما  
 ويكون مستلقيا على  
 قفاه فلم يفعل ذلك  
 واختار ذهاب بصره  
 على ترك الوضوء .  
 [ الباب السادس  
 والثلاثون في فضيلة  
 الصلاة وكبر شأنها ]  
 روى عن عبد الله بن  
 عباس رضي الله عنهما  
 أنه قال قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم  
 « لما خلق الله تعالى  
 حنة عدن وخلق فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ثم أقبل يمشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام إن فيك يا أشجع خلقين مجيئهما الله ورسوله قال ما هما بأني أنت وأمرى رسول الله قال الحلم والأمانة فقال خلتان تخلقتهما أو خلقان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جباي على خلقين مجيئهما الله ورسوله <sup>(١)</sup> وقال عليه السلام «إن الله يحب الحلم الحلي الذي لا تتعسف بالآل بالالتقي ويغض الفاحش البذي السائل اللحف النقي» <sup>(٢)</sup> وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تقعدوا بشيء من عمله تقوى تحجز عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفه وخلق يعيش به في الناس» <sup>(٣)</sup> وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا جمع الله الخلق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون لهم إن اتراكم سراعا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا إذا ضلنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حملنا فقال لهم ادخلوا الجنة فمهم أجز العالمين» <sup>(٤)</sup> . الآثار : قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا العلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك ولولدك ولكن الخير أن يكثر عليك ويظم حلمك وأن لا يبايئ الناس بعبادة الله وإذا أحسنت حدث الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزيّنوه بالوقار والحلم . وقال أكنتم بن صفي دعاة العقل الحلم وجماع الأمر الصبر . وقال أبو الدرداء أدرت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورق فيه إن عرفتهم هذوك وإن تركهم لم يتركوك قالوا كيف تصنع ؟ قال تفرضهم عن عرضك ليوم تفرقك . وقال علي رضي الله عنه إن أول معاوض الحلم من خلقه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ البعد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية للمروبن الأهمى أرى الجال أشجع قال من رد جهله بعلمه قال أي الرجال أسخى قال من بذل دينه لصالح دينه . وقال أنس بن مالك في قوله تعالى - فإذا التقى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - إلى قوله - عظيم - هو الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبا فغفر الله لك وإن كنت صادقا فغفر الله لي . وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة فلم على فاستعبدني بها زمانا . وقال معاوية لعنابة بن أوس بعدت قومك يا عاربة قال يا أمير المؤمنين كنت أعلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسمى في حوائجهم فمن فعل مثل في قوم وفي ومن جاوزني فهو أفضل مني ومن قصر عني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا عمر كمل هل للرجل حاجة ففضيها فتكس الرجل رأسه واستحي . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك . وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بحمصة كانت عليه وأمره بألف درهم فقال بعضهم جمع خمس خصال محمودية : الحلم وإحاطة الأذى وتخليص الرجل مما يمد من الله عز وجل وحمله على التمدن والتوبة

(١) حديث يا أشجع إن فيك خصلتين مجيئهما الله الحلم والأمانة الحديث متفق عليه (٢) حديث إن الله يحب الحلم الحلي الذي لا تتعسف بالآل بالالتقي الحديث (٣) حديث ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تقعدوا بشيء من عمله تقوى تحجز عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفه وخلق يعيش به في الناس» (٤) حديث إذا جمع الله الخلق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس الحديث وفيه إذا جهل علينا حملنا البقي في شب الإيمان من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقي في إسناده ضعف .

مالعين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال لها تسكمني قتالت - قد أفلق للؤمنون الدين هم في صلاتهم خاشعون - ثلاثا وشهد القرآن الحميد بالصلاح للمصلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتاني جبرائيل لدورك الشمس حين زالت وصلى في الظهر» واشتاق الصلاة قبل من الصلي وهو النار والحبسة للوجه إذا أرادوا أن يهربوا تعرض على النار ثم تقوم وفي البعد اعوجاج لوجود نفسه الأمارة بالسوء وسبغات وجه الله الكريم التي لو كشف سبحانه أحرقت من أدركته يصيب بها

ودرجوعه إلى مدح بعد التمدح جميع ذلك بشئ من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد بن قنوق  
بنى وبين قوم منازعة في أمر وإنى أريد أن أتركه فأخى أن يقال لى إن تركك له ذل فقال جعفر  
إنما الدليل الظالم وقال الحليل بن أحمد كان يقال من أساء فأحسن إليه فقد جعل له حاجز من قلبه  
يردعه عن مثل إساءته وقال الأحنف بن قيس لست بحليم ولكنى أعلم وقال وهب بن منبه من رحم  
يرحم ومن عصمت يسلم ومن يعجل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يعرض على الشر لا يسلم ومن لا يدع  
الراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يحصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن عذرا الله  
يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله يخسر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستعين بالله يظفر وقال  
رجل لمالك بن دينار بلغنى أنك ذكرتى بسوء قال أنت إذن أكرم على من قضى إني إذا ضلت  
ذلك أهديت لك حسنتى . وقال بعض العلماء العلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به وقال رجل  
لبعض الحكماء والله لأضيقك سببا يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لأمى وصلى السبع ابن مريم  
عليه الصلاة والسلام يقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا قيل له إنهم يقولون شرا وأنت  
تقول خيرا فقال كل ينطق بما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحليم  
إلا عند النضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه . ودخل على بعض الحكماء صديق  
له فقدم إليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرضت للسائدة وأقبلت على شتم  
الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتيه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نظم فتمطت دجاجة  
على للسائدة فألست ماعليا فلم غضب أحد منا قال نعم قال فأحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة  
فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم  
حكيم فأوجعه فلم يغضب فقبل له في ذلك فقال أقتنه مقام جحر تشرت به فذبحت الغضب وقال محمود الوراق:

سأزيم نضى الصنع عن كل مذنب وإن سكثرت منه على الجرائم  
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثلى مة اوم  
فأما الذى فوقى فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم  
وأما الذى دونى فإن قال صنت عن إجابته عرضى وإن لأم لأم  
وأما الذى مثلى فإن زله أو هفا فضلت إن الفضل بالحلم حاكم

( بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام )

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابله بثله فلا يجوز مقابلة النية بالنية ولا مقابلة التجسس  
بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر الماصى وإنما القصاص والقرامة على قدر ما ورد الشرع به  
وقد فضله في الفقه . وأما السب فلا يقابل بثله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن امرؤ عيرك  
بما فيك فلا تعيره بما فيه » (١) وقال « اللسان ما قاله فوهى على البادى » ما جند المظلم » وقال « للسان  
شيطانان يهتران » (٢) وشم رجل أبا بكر الصديق رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ يتصرعه  
قام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر إنك كنت ساكتا لما شتمنى فلما تكلمت قتلت قال لأن الملك كان  
يجب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس في مجلس فيه الشيطان » (٣)

(١) حديث إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد تقدم

(٢) حديث اللسان شيطانان يهتران تقدم (٣) حديث شتم رجل أبا بكر رضى الله عنه وهو  
ساكت فلما ابتدأ يتصرعه قام صلى الله عليه وسلم الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة متصلا  
ومرسلا قال البخارى للرسول أصح .

الصل من وهج  
السلوة الإلهية  
والعظمة الربانية  
ما يزول به اعوجاجه  
بل يتحقق به معراج  
فالمصل كالمصطفى بالار  
ومن اصطفى نار الصلاة  
وزال بها اعوجاجه  
لا يعرض على تار جهنم  
إلا علة القسم . أخبرنا  
الشيخ العالم رضى  
الدين أحمد بن إسماعيل  
القزوينى بإجازة قال أنا  
أبو سعيد محمد بن أبي  
العباس بن محمد بن أبي  
العباس الحليل قال أنا  
أبو سعيد الفريزاذى  
قال أنا أبو إسحق أحمد  
ابن محمد قال أنا  
أبو القاسم الحسن بن  
محمد بن الحسن قال أنا  
أبو زكريا يحيى بن محمد  
السنبري قال أنا جعفر  
ابن أحمد بن الحافظ

وقال قوم يجوز للفاقة بما لا كذب فيه وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعبير بمثل نهى تزويه والأفضل تركه ولكنه لا يصح به والذي رخص فيه أن يقول من أنت وهل أنت إيمان بن فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل أنت إلا من بن هذيل وقال ابن مسعود وهل أنت إيمان بن أمية ومثل قوله بأحق قال مطرف كل الناس أحق فبما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى يرى الناس كلهم حتى في ذات الله تعالى (١) وكذلك قوله يا جاهل إذما من أحد إلا وفيه جهل قد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سي الحاق باصفيق الوجه يا لئلا للأعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياة لما تسكمت وما أحقرتك عين بما فعلت وأخرأك الله وانتقم منك . فأما النجعة والفتية والكذب وسب الوالد بن غرام بالاتفاق لما روى أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد له إن ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني أن يأثم بضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والقبح والسب ما روى عائشة رضي الله عنها أن زواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك بسألك العدل في ابنة أبي حنيفة والتي صلى الله عليه وسلم تأثم فقال يا بنة أعمى قالت نعم قال فأحي هذه فرجعت إليهن فأخبرتهن بذلك فقلن ما أغيت عنا شيئا فأرسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تسامني في الحب فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر فما زالت تذكرني وأنا ما كنته أنتظر أن يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسيبها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كلا إنها ابنة أبي بكر (٢) . حتى أنك لا تنصو منها في الكلام قطوقها سيبتها ليس المراد به القبح بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم « للسببان ما لا يفلى البادي » منها حتى يمتد للظلم (٣) . فأثبت للظلم انتصار إلى أن يمتد في هذا القدر وهو الذي أباحه هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق ولا تبدل الرخصة في هذا القدر ولكن الأفضل تركه فانه يجره إلى ما وراءه ولا يمكنه الانتصار على قدر الحق فيموال السكوت عن أصل الجواب لعله أيسر من التبرع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدري على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن يعود سريعاً ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يعمد على الدوام الناس في الغضب أربعة فبعضهم كالخلفاء سريع الوقود وسريع الخمود وبعضهم كالنصابي « الوقود بطي » الخمود وهذا هو بطي « الوقود سريع الخمود وهو الأحمد ما لم يمتد إلى فتور الحية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطي » الخمود وهذا هو شرم وفي الخبر « المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذه تلك (٤) » وقال الشامي رحمه الله من استنضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان وقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطي » الغضب سريع النوى ومنهم سريع الغضب سريع النوى . فذلك تلك ومنهم سريع الغضب بطي » النوى « ألا وإن خيرهم البطي » الغضب السريع النوى « وشرهم السريع الغضب البطي » النوى (٥) »

قال أنا أحمد بن حنبل  
قال ثنا آدم بن أبي  
إياس عن ابن مسعود  
عن الصلاء بن  
عبد الرحمن عن أبيه  
عن أبي هريرة رضي  
الله عنه أن النبي صلى  
الله عليه وسلم قال يقول  
الله عز وجل تسمت  
الصلاة يعني وبين  
عبدى نصفين فإذا قال  
العبد بسم الله الرحمن  
الرحيم قال الله عز وجل  
عبدى عبدى فإذا  
قال الحمد لله رب العالمين  
قال الله تعالى حمدى  
عبدى فإذا قال  
الرحمن الرحيم قال الله  
تعالى أنى على عبدى  
فإذا قال مالك يوم  
الدين قال فوض إلى  
عبدى فإذا قال إياك  
نعيد وإياك نستعين  
قال هذا يعني وبين

- (١) حديث ابن عمر في حديث طويل حتى يرى الناس كلهم حتى في ذات الله تعالى
- (٢) حديث عائشة إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يا رسول الله أرسلني أزواجك بسألك العدل في ابنة أبي حنيفة الحديث رواه مسلم (٣) حديث السببان ما لا يفلى البادي الحديث رواه مسلم وقد تقدم (٤) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضى تقدم .
- (٥) حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات الحديث تقدم .



ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يصاب أحدا في حال غضبه لأنه ربما يمتدى الواجب ولأنه ربما يكون متغيا عليه فيكون متشقا لبقطة ومرحبا نفسه من ألم التقيظ فيكون صاحب حظ ينفى أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه . ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويهره فشمته السكران فرجع عمر قتيلا له بأمر المؤمنين لما شتمك تركته قال لأنه أغضبني ولو عزرتك لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم أحب أن أضرب مسلما حية لنفسي . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا أنك أغضبتني لما قتلته .

### ( القول في معنى الحقد وتأنيجه وفضيلة الفؤ والرفق )

اعلم أن الغضب إذا زعم كظمه لجزع عن التثني في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدًا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استنقاله والبغضة له والنفاق عنه وأن يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم «للمؤمن ليس بمحقود (١)» فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمينة أمور: الأول الحسد وهو أن يحسدك الحقد على أن تمنى زوال النعمة عنه فتمن بضمه إن أصابها وتبر بصمية إن زلت به وهذا من فعل المنافقين وسيأتي ذمه إن شاء الله تعالى . الثاني أن تزيد على إضمار الحسد في الباطن فقتلتم بها أصابه من البلاء . الثالث أن تهجره وتصارمه وتقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك . الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استنصاره . الخامس أن تسكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره . السادس أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه . السابع إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه . الثامن أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظالم وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الخمسة المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تصي الله به ولكن تستقله في الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على النعمة له أو ترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجاتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لا يبرئك لعقاب الله ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسلح وكان نريه لكونه تكلم في واقعة الإفك نزل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - إلى قوله - ألا تحبون أن يغفر الله لكم - فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد إلى الاتفاق عليه (٢) والأول الذي يبقى على ما كان عليه فإن أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة لنفسه وإرغامًا للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال القربين فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة - أحدها أن يستوفى حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل . الثاني أن يحسن إليه بالفؤ والصلة وذلك هو الفضل . الثالث أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الأراذل والثاني هو اختيار الصديقين والأول هو منتهى درجات الصالحين ولذا ذكر الآن فضيلة الفؤ والاحسان .

### ( فضيلة الفؤ والاحسان )

اعلم أن معنى الفؤ أن يستحق حقا فيسقطه ويرى عمن قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم

### ( فضيلة الفؤ )

(١) حديث المؤمن ليس بمحقود تخدم في العلم (٢) حديث لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسلح نزل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - الآية منفق عليه من حديث عائشة .

عبدى فاذا قال - اهدنا  
السلطان السقيم  
سلطان الدين أنعمت  
عليهم غير الضروب  
عليهم ولا الضالين -  
قال الله تعالى هذا  
لبدي ولبيدي ماسأل  
فالصلاة صلة بين الرب  
والعبد وما كان صلة  
بينه وبين الله خلق  
العبد أن يكون خاشعا  
لصلة الربوبية على  
العبودية وقد ورد أن  
الله تعالى إذا نجل  
نفس خضع له ومن  
يتحقق بالصلة الصلاة  
تلع له طوابع التجل  
فيخشع والفلاح للذين  
هم في صلاتهم خاشعون  
وبانتفاء الخشوع ينشئ  
الفلاح وقال الله تعالى  
- وأقم الصلاة لذكري -  
وإذا كانت الصلاة  
لذكر سبحانه يقع

النيظ فذلك أفردناه قال الله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - وقال الله تعالى - وأن تصفوا أقرب للتقوى - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث والذى تسمى يده لو كنت حلاقاً لحلفت عليهن ما تمس مال من صدقة تصدقوا ولا عفا رجل عن مظلة يبتغي بها وجه الله إلا ازاده الله بها عزاً يوم القيامة ولا تفتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد إلا رقة فتواضعوا برفضكم الله والعفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا يترككم الله والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فصدقوا برحمتكم الله <sup>(٢)</sup> » وقالت عائشة رضى الله عنها « مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلة ظلمها قط مالم يترك من محارم الله فإذا اتك من محارم الله شيء كان أشد من ذلك غضبوا ما خير بين <sup>(٣)</sup> من الاختيار أيسرها مالم يكن <sup>(٤)</sup> إنما <sup>(٥)</sup> » وقال عقبه « لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فابتدرته فأخذت يده أوبدري فأخذ يدي فقال : يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتمضى من حرمك وتصفو عن ظلمك <sup>(٦)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « قال موسى عليه السلام يا رب أى عبادك أعز عليك قال الذى إذا قدر عفا <sup>(٧)</sup> » وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذى يعفو إذا قدر فاعفوا <sup>(٨)</sup> كم الله « وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذه بمظلمته فقال له صلى الله عليه وسلم : إن للظلمين هم للفلاحون يوم القيامة <sup>(٩)</sup> » فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا بث الله الخلاق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات : يا معشر للوحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بعضكم عن بعض <sup>(١٠)</sup> » وعن أبي هريرة « أن رسول الله

فيها النسيان قال الله تعالى - لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - فمن قال ولا يعلم ما يقول كيف يصل وقد ناه الله عن ذلك فالسكران يقول الذى لا يحضور عقل والناقل يصل لا يحضور عقل فهو كالسكران وقيل في غرائب التفسير في قوله تعالى - فاخلع نعليك إنك بالواد للقدس طوى - قيل نعليك همك بمرأئك وغنمك فالاهتمام بغير الله تعالى سكر في الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفون أبصارهم إلى السماء في الصلاة وينظرون عينا وشالاً فلما زالت

(١) حديث ثلاث والذى تسمى يده إن كنت حاقلاً لحلفت عليهن ما تمست صدقة من مال الحديث الترمذى من حديث أبي كبشة الأنمارى ومسلم وأبى داود نحوه من حديث أبي هريرة (٢) حديث التواضع لا يزيد العبد إلا رقة فتواضعوا برفضكم الله الأصهبانى في الترغيب والترهيب وأبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث عائشة مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلة ظلمها قط الحديث الترمذى في الشياكل وهو عند مسلم باللفظ آخر وقد تقدم (٤) حديث عقبه بن عامر يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك الحديث ابن أبى الدنيا والطبرانى في معارج الأخلاق والبيهقى في الشعب باستاد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث قال موسى يارب أى عبادك أعز عليك قال الذى إذا قدر عفا الحرانطى في معارج الأخلاق من حديث أبى هريرة وفيه ابن لهيعة (٦) حديث إن للظالمين هم للفلاحون يوم القيامة وفي أوله قصة ابن أبى الدنيا في كتاب العفو من رواية أبى صالح الحنفى مسنداً (٧) حديث أنس إذا بث الله عز وجل الخلاق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا معشر للوحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بعضكم عن بعض أبو سعيد أحمد بن إبراهيم القرى في كتاب التبريرة والذكرة بلفظ ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة يأمة محمد إن الله تعالى يقول ما كان لى قبلكم قد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى وإسناده ضعيف ورواه الطبرانى في الأوسط بلفظ نادى مناد يا أهل الجمع تاركوا اللظام بينكم وثوابكم لى وله من حديث أم هانئ - ينادى مناد يا أهل التوحيد ليعب بعضكم عن بعض وعلى الثواب .

على الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى السكبة فأخذ بضادى الباب فقال ما تقولون وما تظنون فقالوا قول أمّ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف - لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (١) « قال غفروا كأنما تشربوا من القبور فدخلوا في الاسلام . وعن سهل بن عمرو قال « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه في باب السكبة والناس حوله فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا معشر قريشي ما تقولون وما تظنون ؟ قال قلت يا رسول الله هل قول خيرا ونظن خيرا أم خير من رحيم وابن عم رحيم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى يوسف - لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم - (٢) « وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة قبل ومن ذا الذي على الله أجر ؟ قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا ألفا فيدخلونها بغير حساب (٣) « وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى بعد إلا أقامه والله غفور رحيم فقرأ - وليعفوا وليصغروا - الآية (٤) « وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من جاءهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من أذى دينا حنيا وقرأ في دبر كل صلاة - قل هو الله أحد - عشر مرات وعفا عن قاتله قال أبو بكر أو إحداهن يا رسول الله قال أو إحداهن (٥) « . الآثار : قال إبراهيم التيمي إن الرجل ليطغى فآمرهم بهذا إحسان وراء الغفو لأنه يشتغل قلبه بعرشه لمعية الله تعالى بالظلم وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب . وقال بعضهم إذا أراد الله أن يتعفب عبدا يقضى له من بظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر إنك أن تاتى الله ومظلمتك كما هي خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها . وقال يزيد بن ميسرة إن ظلمت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول إن آخر يدعو عليك أنك ظلمته فإن شئت استجبت لك وأجبتا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسعكما غفوى . وقال مسلم بن يسار رجل دعا على ظالمه كل الظالم إلى ظلمه فانه أسرع إليه من دعائك عليه إلا أن يتداركه بعمل وقن أن لا يعمل . وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال بلغنا أن الله تعالى بأمر مناديا يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شيء فليقيم يقوم أهل الغفو فيكافئهم الله بما كان من غفوم عن الناس . وعن هشام بن محمد قال أتى النعمان بن النضر برجلين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما فغفا عنه والآخر أذنب ذنبا خفيفا ضاق به وقال :

تفو للفرق عن التظلم من الذنوب فضلا  
وقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهالا

(١) حديث أمي هرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى السكبة فأخذ بضادى الباب فقال ما تقولون وما تظنون فقالوا قول أمّ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف - لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (١) « قال غفروا كأنما تشربوا من القبور فدخلوا في الاسلام . وعن سهل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه في باب السكبة والحديث بنحوه لم أجده (٢) حديث أنس إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة قبل من ذا الذى أجره على الله قال العافون عن الناس الحديث الطبري في مكارم الأخلاق وفيه الفضل ابن يسار ولا يتابع على حديثه (٤) حديث ابن مسعود لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى بعد إلا أقامه والله غفور رحيم الغفو الحديث أحمد والحاكم وصححه وتقدم في آداب الصحبة (٥) حديث جابر ثلاث من جاءهن مع إيمان دخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء الحديث الطبراني في الأوسط وفي الدعاء بسند ضعيف .

- الذين هم في صلاحهم  
خالصون - جعلوا  
وجوههم حيث  
يسجدون وما روى بعد  
ذلك أحد منهم ينظر  
إلا إلى الأرض روى  
أبو هريرة رضى الله  
عنه عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال  
« إن العبد إذا قام إلى  
الصلاة فانه يبنى بدي  
الرحمن فذا التفت قال  
له الرب إلى من تلتفت  
إلى من هو خير لك منى  
ابن آدم أقبل إلى فانا  
خير لك ممن تلتفت  
إليه « وأبصر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
رجلا يبيت بلحيت في  
الصلاة فقال لو خضع  
قلب هذا خضع  
جوارحه « وقد قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « إذا صليت

إلا لعسرف حلها وخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال وقد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر قال فكتبت عنده إذ أتى رجل فأمر بقتله فقتل رجل من السليين وأنا حاضر فقلت يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو ؟ قلت سمعته يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليقم فلا يقوم إلا من عفا فقال والله لقد سمعته من الحسن فقلت والله لسمعت منه فقال خلتنا عنه . وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمسكنكم الفرصة فإذا أمكنكم فليكنم بالصنع والإنفال . وروى أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال لراهب أ رأيت ذالقرنين ؟ كان نبييا ؟ فقال لا ولكنه إنما أعطى ما أعطى بأربع خصال كنى فيه : كان إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لقد . وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر عفا . وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة معنى القصد والغضب . وأق هشام رجل بلغه أمر عمر فلا أقیم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتسلّم أيضا فقال الرجل يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل - يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها - أفجاد الله تعالى ولا تسلكم بين يديك كلاما . قال هشام بلى وبحك تسلكم . وروى أن سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين قليل له أقطعه فانه من بعدنا فقال بل أستر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة . وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدرهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وإني لم أجد فاجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون : اللهم أقطع يد السارق الذى أخذها اللهم اقل به كذا فقال عبد الله اللهم إن كان حمله على أخذها حجة فبارك له فيها وإن كان حمله جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه . وقال الفضيل ما رأيت أزهده من رجل من أهل خراسان جلس إلى في السجدة الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت أهلى الدنانير بكى ؟ فقال لا ولكن ثلثين وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرف عتلى على إدحاض حجة فبكأى رحمة له وقال مالك بن دينار أتينا منزل الحكم بن أيوب ليلا وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفرائج فقد ذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من يعهم إياه وطردهم له في الحب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر مالى من كيد النساء ومن الجبس ثم قال يا أمير ما ذا صنع الله به أداله منهم ورفض ذكره وأطى كفته وجعله على خزائن الأرض فساذا صنع حينما كمل له أمره وجمع له أهله - قال لا تثرى عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين - بعرض للحكم بالفو عن أصحابه قال الحكم فأنا أقول لا تثرى عليكم اليوم ولو لم أجد إلا ثوبى هذا لو أريتم تحت وكب ابن القفع إلى صديق له يسأله الفو عن بعض إخوانه فلان هارب من زلت إلى عفوك لا أقد منك بك . واعلم أنه لن يزداد الذنب عظما إلا ازداد الفو فضلا . وأق عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأعشى فقال لراهب بن حيوة مآرى ؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ما عجب من الظفر فأعط الله ما عجب من الفو فضا عنهم . وروى أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأقلت منه فأخذ أخا له فقال له إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال أ رأيت إن جئت بكنتاب من أمير المؤمنين غلى سبيلى قال نعم قال فأتنا أتيت بكنتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى ثم تلا - ألم لم ينبا بما فى صحب موسى وإبراهيم الذى وفى أن لا تزورا زورا زرا أخرى - فقال زياد دخلوا سيئه هذا رجل قد لقن حجة . وقيل مكتوب فى الإيجل من استغفر لمن ظلمه قدهزم الشيطان .

فصل صلاة مودع  
فالمصل سائر إلى الله تعالى قبله يودع هو ودينه وكل شيء سواه والصلاة فى اللغة هى الدعاء فكان الصلى يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها السنة يدعوها ظاهرها وباطنها ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع والتقلب والمحيات فى تعلقات متضرع سائل محتاج فإذا دعا بكيته أجابه مولاه لأنه وعده فقال - ادعونى أستجب لكم - كان خالد بن الرضى يقول عجب لهذه الآية - ادعونى أستجب لكم بأمرهم بالدعاء وعدمه بالاجابة ليس بينهما شرط والاسجابة والاجابة

## ( فضيلة الرفق )

اعلم أن الرفق محمود ويضاد العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سبب الشهادة الحرس واستيلاءه بحيث يدهش عن التفكير وينبع من الثابت فالرفق في الأمور مجرمة لا يشرها إلا حسن الخلق ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولأجل هذا أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبأنه قال «يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق قد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق قد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup> وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق»<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق وإذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق وما من أهل بيت محرمون الرفق إلا حرموا عبه الله تعالى»<sup>(٣)</sup> وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله رفق يحب» الرفق يعطى عليه ما لا يعطى على العنف»<sup>(٤)</sup> وقال عليه السلام «يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دهم على باب الرفق»<sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «من محرم الرفق يحرم الخير كله»<sup>(٦)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «أبعاوال ولي فرفق ولان رفق الله تعالى بيوم القيامة»<sup>(٧)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «تدرون من محرم على النار يوم القيامة كل حين لين سهل قريب»<sup>(٨)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «الرفق بين والخرق شؤم»<sup>(٩)</sup> وقال عليه السلام «التأني من الله والمجلة من الشيطان»<sup>(١٠)</sup> وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله «إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فأخصني منك غير فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثا ثم أقبل عليه فقال هل أنت مستوصم مرتين أو ثلاثا قال نعم قال إذا أردت أمر اقتدبر عاقبتك فإن كان رشدا فأمضه وإن كان سوى ذلك فاتته»<sup>(١١)</sup>

## ( فضيلة الرفق )

(١) حديث يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق قد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة الحديث أحمد والقبلي في الضعفاء في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر الليثي وضعفه عن القاسم عن عائشة وفي الصحيحين من حديثها يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله (٢) حديث إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق أحمد بسند جيد والبيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة (٣) حديث إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق الحديث الطبراني في الكبير من حديث جرير بإسناد ضعيف (٤) حديث إن الله رقيق يحب الرفق الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث يا عائشة ارفقي إن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دهم على باب الرفق أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبي داود يا عائشة ارفقي (٦) حديث من محرم الرفق يحرم الخير كله مسلم من حديث جرير بدون قوله كله فهي عند أبي داود (٧) حديث أبعا وال ولي فلان ورفق رفق الله بيوم القيامة مسلم من حديث عائشة وفي حديث فيه ومن ولي من أمر أمي شيئا فرفق بهم فارقي به (٨) حديث تدرون على من تحرم النار على كل حين لين سهل قريب الترمذي من حديث ابن مسعود وتقدم في آداب الصلوة (٩) حديث الرفق بين والخرق شؤم الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلامها ضعيف (١٠) حديث التأني من الله والمجلة من الشيطان أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد لفظ الأئمة من الله وقد تقدم (١١) حديث أتاه رجل فقال يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك الحديث وفيه فإذا أردت أمرا اقتدبر عاقبتك فإن كان رشدا فأمضه الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من حديث أبي جعفر

في قعود دعاء البد  
فإن الدعاء الصادق  
العلم بمن يدعو بنور  
يقينه فخرى الحجب  
وتهف الدعوة بين  
يدى الله تعالى متقاربة  
للحاجة وخمس الله  
تعالى هذه الأمة بأزله  
فاتحة الكتاب وفيها  
تقديم التناء على الدعاء  
ليكون أسرع إلى  
الاجابة وهي تعلم الله  
تعالى عبادته فكيفية  
الدعاء وفاتحة الكتاب  
في السبع للثاني  
والقرآن العظيم قيل  
سميت ثمانين لأنها نزلت  
على رسول الله صلى الله  
عليه وسلم مرتين مرة  
بمكة ومرة بالمدينة  
وكان لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
بكل مرة نزلت منها قسم  
آخر بل كان لرسول

وعن عائشة رضى الله عنها « أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بئر صعب فجعلت تصرفه بينا وهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة عليك بالرقق فانه لا يدخل في شيء إلا زانة ولا ينزع من شيء إلا شانه <sup>(١)</sup> » . الآثار : بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فأمرهم أن يوافوه فلما أتوه قام حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أيها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالتيب والمعاونة على الخير ، أيها الرعاة إن للرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورقه وليس جهل أبغض إلى الله ولا أظلم من جهل إمام وخرقه ، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية بمن هودونه . وقال وهب بن منبه الرقيق في الحلم ، وفي الخبر موقوفا ومرقوعا « العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده <sup>(٢)</sup> » . وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان بزيه العلم وما أحسن العلم بزيه العمل وما أحسن العمل بزيه الرقيق وما أضيق شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم . وقال عمرو بن العاص لابنه عبدالله : ما للرفق ؟ قال أن تكون ذا أناة فتلاين الولاية . قال فما الحرق ؟ قال معادة إيمانك ومناواة من يقدر على ضررك . وقال سفيان لأصحابه تدرون ما للرفق قالوا قل يا أبا محمد قال أن تضع الأمور من مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والوسط في موضعه ، وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج اللفظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل :

ووضع الندى في موضع السيف باللا مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كافي سائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة فأميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فلذلك كثرت له الترخيع على جانب الرفق دون العنف وإن كان العنف في عمله حسنا كما أن الرفق في عمله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق المأمور وهو أقدم الزيد بالشهد وهكذا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : روى أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يماثيه في الثاني فكتب إليه معاوية . أما بعد : فإن التزم في الخير زيادة رشد وإن الرشيد من رشد عن العجلة وإن الخائب من خاب عن الأناة وإن التثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيبا وإن العجل مخطئ . أو كاد أن يكون مخطئا وإن من لا ينفعه الرفق يضره الحرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي ، وعن أبي عون الأنصاري قال ماتتكم الناس بكلمة مصيبة إلا ولى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها . وقال أبو حمزة السكوفي لاتخذ من الحقد إلا مالا يدمنه فإن مع كل إنسان شيطانا واعلم أنهم لا يسطونك بالشدة شيئا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه . وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس كطاب ليل فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على التدور وإتمام الكمال من بعض مواقع الرفق من مواقع العنف فيعطى كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن النجح معه في الأكثر .

الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقرؤها على التردد مع طول الزمان فهم آخرو هكذا الصلوات المحققون من أمته ينكشف لهم عجائب أسرارها وتكشف لهم كل مرة درجها وكل حيلة مثنى لأنها استكتبت من الرسل وهي سبع آيات وروث أم رومان قالت رأيت أبو بكر وأنا أتجلى في الصلاة فزجرني فزجرا كدت أن أنصرف عن صلاتي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليكن نظراؤه لا يتجلى قبل البود فان سكون الأطراف من تمام الصلاة » وقال رسول الله صلى الله

هو للسمى عبدالله بن مسور الهامشي ضعيف جدا ولا ينبغي في كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل الأنصاري عن أبيه عن جده إذا هممت بأمر فاجلس فذكر عاقبة وإسناده ضعيف (١) حديث عائشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء إلا زانة ولا ينزع من شيء إلا شانه (٢) حديث العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائمه والرفق والده وأبو الشيخ في كتاب الثواب وفضائل الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه القاضي في مستند الشباب من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة وكلاهما ضعيف.

(القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وظاية الواجب في إزالته)

(بيان ذم الحسد)

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج القصد فهو فرع وقصد والتقصير أصله ثم إن للحسد من الفروع القديمة ما لا يكاد يحصى ، وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١) وقال صلى الله عليه وسلم في التهي عن الحسد وأسبابه وعمراته « لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » (٢) وقال أنس « كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الأنصار بنفض لحيتين وضوء قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان قد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبسمه عبد الله بن عمرو ابن العاص فقال له إني لأحيت أبي فأقسمت أن لأدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فقلت قال نعم فبات عنده ثلاث ليل فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا قلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يتم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير أني ما سمعته يقول إلا خيرا فلما مضت الثلاث وكدرت أن أحقر عمله قلت بإعبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملا كثيرا لما الذي بلغ بك ذلك فقال ما هو إلا ما رأيت فلما وليت دعائي فقال ما هو إلا ما رأيت غير أني لأجد على أحد من المسلمين في نفس غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه قال عبد الله قلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطبق » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالفجر من ذلك إذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض وإذا حسدت فلا تبغ » (٤) وفي رواية « ثلاثة لا ينجو منهن أحد قتل من ينجو منهن » فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم « دب إليكم داء الأم قلبكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحاقلة لأقول حالمة الشعر ولكن حالمة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما شئت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم

(القول في ذم الحسد)

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباضوا الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة الحديث بطوله وفيه أن ذلك الرجل قال لأجد على أحد من المسلمين في نفس غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه البزار ومي الرجل في رواية له سعدا وفيها ابن أبي شيبة (٤) حديث ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطمن والحسد الحديث وفي رواية وقل من ينجو منهن ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهري وموسى بن يعقوب الأزمي ضعفهما الجمهور والرواية الثانية في رواتها ابن أبي الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف ولا يطعن أن من حديث حارثة ابن النعمان نحوه وتقدم في آفات اللسان (٥) حديث دب إليكم داء الأم الحسد والبغضاء الحديث الترمذي من حديث مولى الزبير عن الزبير .

عليه وسلم « تمودوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن وتفاق القلب ». أما عجل اليهود قيل كان موسى يحامل بني إسرائيل على ظاهر الأمور لثقة للنبي أوحى الله تعالى إليه أن يحل التوراة بالذهب ، ووقع قلبه والله أعلم أن موسى كان يرد عليه الوارد في صلاته وعماله مناجاته فيعوج به باطنه كبحر ساكن تهب عليه الريح فتتلاطم الأمواج فكان تحامل موسى عليه السلام تتلاطم أمواج بحر القلب إذا هب عليه نهب

« كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحمد أن يظلب القدر » (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « إنه يصيب أمتي داء الأمم قالوا وما داء الأمم قال الأثر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعدوا التحاسد حتى يكون البني ثم المرجح » (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم « لا تظهر الثباتة لأخيك فيعافيه الله ويبينيك » (٣) « وروى أن موسى عليه السلام لما تمجلى إلى ربه تعالى رأى في ظل العرش جلا فنبطه بمكانه فقال إن هذا لكريم على ربه فساءل ربه تعالى أن يجبره بأخيه فلم يجبره وقال أحدثك من عمله ثلاث : كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يبق والده ولا يعنى بالخمعة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى : الحاسد عدو لعمق متسخط قضائي غير راض يشمق التي نعمت بين عبادي وقال صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم اللال فتحاسدون ويقتلون » (٤) « وقال صلى الله عليه وسلم « استعنوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » (٥) « وقال صلى الله عليه وسلم « إن لم الله أعداء قبل ومن هم فقال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » (٦) « وقال صلى الله عليه وسلم « ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الأمراء بالجوهر والعرب بالصبيبة والمهاجرين بالكبر والتجار بالحيانة وأهل الرستاق بالهمزة واللباء بالحسد » (٧) « الآثار : قال بعض السلف أول خطبة كانت هي الحسد حسد إبليس آدم عليه السلام على ربه فأنى أن يسجد له فحله الحسد على الصبيبة . وحكى أن عون بن عبد الله دخل على الفضل الهلب وكان يومئذ على واسط فقال إني أريد أن أعظك بشيء فقال وما هو قال إليك والكبر فانه أول ذنب عصي الله به ثم قرأ - وإذا قلنا فاعلم أنكم تسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس - الآية وإياك والحرص فانه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ - اهبطوا منها - إلى آخر الآية وإياك والحسد فانه أكل

الفضل وربما كانت الروح تتطلع إلى الحضرة الإلهية فتم بالاستملاء والقلب بها تشبك وامتزاج فيضطرب القلب ويشاكل فرأى اليهود ظاهره فبايعوا من غير حظ لبواطهم من ذلك ولهذا لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكارا على أهل الوسوسة « هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وفابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد به وإن الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها إذ كان قلبه ساهيا لها » وأعلم أن الله تعالى

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحمد أن يظلب القدر أبو مسلم الكشي والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الزقاني عن أنس وزيد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر بلفظ كادت الحاجة أن تكون كفرا وفيه ضعف أيضا (٢) حديث إنه يصيب أمتي داء الأمم فليكنم قالوا وما داء الأمم قال الأثر والبطر الحديث ابن أبي الدنيا في دم الحسد والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد جيد (٣) حديث لا تظهر الثباتة لأخيك فيعافيه الله ويبينيك الترمذي من حديث وثائق بن الأسقع وقال حسن غريب وفي رواية ابن أبي الدنيا فيعافيه الله (٤) حديث أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر لهم اللال فتحاسدون ويقتلون ابن أبي الدنيا في كتاب ثم الحمد من حديث أبي عامر الأشعري وفيه ثابت بن أبي ثابت جهله أبو حاتم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد إن محمدا أخاف عليكم من بعدى ما منع عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ولهما من حديث عمرو بن عوف البصري والله ما الفقر أختى عليكم ولكي أختى أن تبسط عليكم الدنيا الحديث ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو وإذ افتحت عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتنافسون ثم تحاسدون ثم يتدبرون الحديث ولأحمدوا الزار من حديث عمر لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم المدواة والبضاض إلى يوم القيامة (٥) حديث استعنوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث إن لم الله أعداء قبل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس إن لأهل الم حسادا فاحذروهم (٧) حديث ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله ومن هم قال الأمراء بالجور الحديث وفيه واللعاء بالحسد أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين .



ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ - وأتلف عليهم نبأ ابن آدم بالحق - الآيات، وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفسك وإذا ذكر القدر فأسكت وإذا ذكرت النجوم فأسكت. وقال بكر بن عدي أنه كان رجل يشي بعض اللوك فيقوم بمجاءه الملك فيقول أحسن إلى الحسن بأحسنه فان للسوء سيكفيك إساءته فحسده رجل على ذلك للقام والكلام ففسى به إلى الملك فقال إن هذا الذي يقوم بمجاءك ويقول ما يقول زعم أن الملك أجبر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه إليك فإنه إذا نادى منك وضع يده على أذنه للآثم ربع البصر فقال له انصرف حتى أنظر غرغ من عند الملك فعدا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه نوم غرغ الرجل من عنده وقام بمجاءه الملك على عادته فقال أحسن إلى الحسن بأحسنه فان للسوء سيكفيك إساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه ريحة التوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا إلا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بمجازة أو صله فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جله تبنا وبث به إلى فأخذ الكتاب وخرج فلقية الرجل الذي سمى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال له في فقال هو لك فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك قال إن الكتاب ليس هو لي فآله الله في أمري حتى تراجع قال فقال ليس لكتاب للملك مراجعة فذبحه واسلخه وحشا جله تبنا وبث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله فصبج الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقيني فلان فاستوبه من فوجته له قال له الملك إنه ذكر لي أنك زعم أني أجبر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لأنه لأعني طعاما فيه نوم فسكرته أن تشمه قال صدقت أرجع إلى مكانك فقد كفى للسوء إساءته . وقال ابن سيرين رحمه الله ما حدث أحدنا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بنو يعقوب نعم ولكن غمه في صدره فإنه لا يضره ما لم تعد به بدا ولا لسانا . وقال أبو البرداء ما أكثر عبد ذكر الموت إلا فرح فحول حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد فإنه لا يرضيه إلا زوالها ولذلك قيل :

كل العداوات قد ترجى إيمانها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسد ما يلحق . وقال أعرابي ما رأيت ظالما أبغبه بمظالم من حاسد إنه يرى النعمة عليك تقة عليه . وقال الحسن بن علي بن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه لك امرأته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار . وقال بعضهم الحاسد لا ينال من الجاهل إلا منعة وذلا ولا ينال من اللاتسكة إلا لينة وبضا ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ولا ينال عند الترفع إلا هدة وهولا ولا ينال عند الوقف إلا فضيحة ونكالا .

( بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه )

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أتم الله على أخيك نعمة فلك فيها حالتان : إحداها أن تذكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة التمتع بحسب زوالها عن النعم عليه . الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تذكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تخلص باسم اللاتفة وقد تسمى للنافعة حسدا والحسد منافسة وتوضع أحد الطرفين موضع الآخر ولا حرج في الأسماء بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن يضبط

( بيان حقيقة الحسد وحكمه )

أوجب الصلوات الخمس  
وقد قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
« الصلاة عماد الدين  
فمن ترك الصلاة فقد  
كفر » فالصلاة تحقيق  
العبودية وأداء حق  
الربوبية وسائر  
العبادات وسائل إلى  
تحقيق سر الصلاة .  
قال سهل بن عبد الله  
يحتاج العبد إلى السنن  
الرواتب لتسكيل  
الفرائن ويحتاج إلى  
النوافل لتكبير  
السنن ويحتاج إلى  
الآداب لتكبير  
النوافل ومن الأدب  
ترك الدنيا والذي ذكره  
سهل هو معنى ما قال  
عمر بن الخطاب إن  
الرجل ليشيب عارضاه  
في الإسلام وما أكل  
قه صلاة قيل وكيف

والنافاق يحسد (١) ، فأما الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أسأبها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهيج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آفة الفساد ولوأمنت فساد لم يفسدك بتمتعته ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط قضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة وأى نصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة وإلى هذا أشار القرآن بقوله - إن تمسك حسنة تؤثم وإن تصب كسبة يفرحوا بها - وهذا القرع ثبابة والحسد والكفارة يتلازمان وقال تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم - فأخبر تعالى أن جهنم زوال نعمة الإيمان حسداً وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكفون سواء سدو كراهة تعالى حسداً إخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى - إذ قالوا ليوסף وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين - اقتلوا يوسف وأطرحوه أرضاً يخيل لكم وجهه إليكم - فلما كرهوا حب أبيهم له وسأموه ذلك وأجروا زواله عنه فقبوه عنه وقال تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - أى لا تضيق صدورهم به ولا يهتمون فأخى عليهم بدم الحسد وقال تعالى في مرض الانسكار - أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله - وقال تعالى - كان الناس أمة واحدة - إلى قوله - إلا الذين أتوا من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم - قيل في التفسير حسداً وقال تعالى - وما نفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم - فأزل الله العلم ليجتمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتعاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوماً قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن يرسله وبالكتاب الذي تنزله إلا ما نصرتنا (٢) . فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرقتهم إياه فقال تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - إلى قوله - أن يكفروا بما آتاهم الله بغياً - أى حسداً . وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم : جاءني وأنى عمن عندك يوماً فقال أبي لمعى ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداته أيام الحياة (٣) فهذا حكم الحسد في التحريم . وأما للنافعة والنافقة بدل الحسد إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل للنافقة والنافقة بدل الحسد

ذلك قال لا يثم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها وقد ورد في الأخبار « إن البدي إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن للصلى ليشر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد لو علم للصلى من ينابى ما لفتت » أو ما ائتمل وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة مافرق على أهل السموات فقه ملائكة في الركوع منذ خلقهم الله لا يرضون من

(١) حديث الثؤمن يضبط والنافاق يحسد لم أجده أصلاً مرفوعاً وإعما هو من قول التفضيل بن عياض كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد (٢) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوماً قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن يرسله الحديث في زول قوله تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا - ابن اسحاق في السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه وهو منقطع (٣) حديث قالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم : جاءني وأنى عمن عندك يوماً فقال أبي لمعى ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى الحديث ابن اسحاق في السيرة قال حدثني أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضاً .

قال قم بن العباس لما أراد هو والفضل أن يأبيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قال لا لى حين قال لهما لا نهيا إليه فانه لا يؤمر كما عليا فقالا له ما هذا منك إلا غشاة والله لقد زوجك ابنته لما تقسنا ذلك عليك (١) أى هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إليك فاطمة والثلاثة في اللغة مشتقة من الفاسة والذي يدل على إباحة للثلاثة قوله تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال تعالى سبحانه إلى مغفرة من ربكم - وإعسا للثلاثة عند خوف القوت وهو كالمدين بنسباقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به وبلغه الناس (٢) ثم فر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري قال « مثل هذه الأمة مثل أربعت رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء » وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة قال « ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أتقنه في مثل ما أتقنه فمن المعاصي فهما في الوزر سواء (٣) » فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة غنيته للصبي لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فاذا لاجر على من يضيئ غيره في نعمة ويشتهى لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، ثم إن كانت تلك النعمة دنية وأجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه الثلاثة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمصيبة وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كالنفاق الأموال في السكرام والصدقات فالمنافسة فيها مندوب إليها وإن كانت نعمة ينتم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته والحق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة النعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه وبحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في الباحات ، ثم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا وعجب عن اللقائمات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان . وهنا دقيقة غامضة ؛ وهو أنه إذا أيس من أن يقال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وإعسا يزول نقصانه إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود فاذا انسأ أحد الطرفين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشقى عنده من دوامها إذ يزولها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو أتى الأمر إليه ورد

(١) حديث قال قم بن العباس لما أراد هو والفضل أن يأبيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤمرهما أن يؤمرهما على الصدقة قال لا لى الحديث هكذا وقع للمصنف أنه تم والفضل وإعسا هو التفضل والطلب ابن ربيعة كما رواه مسلم من حديث للطلب بن ربيعة بن الحارث قال اجتمع ربيعة بن الحارث وابن العباس بن عبد المطلب فقالا والله لو بشنا هذين الثلايين قالى وللفضل بن عباس اتبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما قد ذكر الحديث (٢) حديث لاجد إلا في اثنين الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم في العلم (٣) حديث أبي كبشة مثل هذه الأمة مثل أربعت رجل آتاه الله مالا الحديث رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح

الركوع إلى يوم القيامة  
وهكذا في السجود  
والقيام والتعود والعبد  
التيقظ يتصف في  
ركوعه بصفة الراكعين  
منهم وفي السجود  
بصفة الساجدين وفي  
كل هيئة هكذا يكون  
كالواحد منهم وبينهم  
وفي غير القرينة  
ينبغي للمصل أن يبعث  
في ركوعه متلذذا  
بالركوع غير مهم  
بالرفع منه فان طرقة  
سامة بحكم الجيلة  
استغفر منها ويستديم  
تلك الهيئة ويتطلع  
أن بذوق الحشوع  
اللائق بهذه الهيئة  
ليصير قلبه بلون الهيئة  
وربما يترامى لراكم  
الحق أنه إن سق  
هم في حال الركوع  
أو السجود إلى

إلى اختياره لسمى في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك فيبقى عما يجده في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بقوله «ولله المني بقوله صلى الله عليه وسلم» ثلاث لا يفتك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة (١) ثم قال «وله منهن» عرج إذا حسدت فلا تبخ «أي إن وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به ويبدأ أن يكون الإنسان مريدا لحاق بأخيه في النعمة فيجز عنها ثم يفتك عن ميل إلى زوال النعمة لا يجد لأحالة ترجيحها له على دوامها فهذا الحد من الثافة يراحم الحد الحرام فينبغي أن يحتاط فيه فانه موضع الخطر وامن إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحسدوا واتهم ويكاد يجر ذلك إلى الحسد المخطور إن لم يكن قوى الإيمان رزق التقوى ومهما كان محرره خوف التفاوت وظهور خصائه عن غيره جره ذلك إلى الحسد للسموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقى إلى مساواته بإدراك النعمة وذلك لأرضاعه فيه أصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن يعني عنه في ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه. وأما مراتبه فأربع: الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الحب. الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة مالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لأزوالها عنه ومكرهه فقد النعمة لآلئهم غيره بها. الثالثة: أن لا يشتهي عنها لنفسه بل يشتهي مثلها لأن يهز عن مثلها أحب إليه كإظهار التفاوت بينهما. الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الأخير هو الملعون عنه إن كان في الدنيا وللندوب إليه إن كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض وتسمية الرتبة حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى - ولا تمنوا ما فضل الله به منكم على بعض فخصه بثل ذلك غير مذموم وأما غيبة عين ذلك فهو مذموم.

### ( بيان أسباب الحسد والثافة )

أما الثافة فسيبها حب ما فيه الثافة فإن كان ذلك أمرا دينيا فسيبها حب الله تعالى وحب طاعته وإن كان دينيا فسيبها حب مباحات الدنيا والتتم فيها وإنما نظرنا الآن في الحسد للذموم وبداخلة كثيرة جدا ولكن يحصر جملة سبعة أبواب: العداوة والتعزؤ والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وغلها فانه مما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالأمثال بل بحسد الحسبي للآلئ بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب إساءته إليه أو أولى من يحبه وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يشكر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتال كبره وخاخره لمره نفسه وهو للراد بالتعزؤ وإما أن يكون في طبعه أن يشكر على المحسود ويحتج ذلك عليه لنعمة وهو للراد بالكبر وإما أن تكون النعمة عظيمة والنسب عظيم فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو للراد بالتعجب وإما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه وإما أن يكون يحب الرياسة التي تنفي على الاختصاص بنعمة لا يساوي فيها وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل لحب النفس وشحها بالخير لئلا يباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الأسباب. السبب الأول: العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد

الرفع منه ما وفي المنة  
حبها فيصكون منه  
المينة مستترقا فيها  
مشغولا بها عن غيرها  
من المينات فبذلك  
يتوفر حظ من بركة  
كل هيئة فان السرعة  
التي يتقاضى بها الطبع  
سبب الفتور وخف  
في مهاب التفتحات  
الإلمية حتى يشكامل  
حظ البعد فتحمي  
آثاره بحسن الاسترسال  
ويستقر في مقصد  
الوصال. وقيل في  
الصلاة أربع هيآت  
وسنة أذكار فالمينات  
الأربع القيام والقعود  
والركوع والسجود  
والأذكار الستة التلاوة  
والتسبيح والحمد  
والاستغفار والثناء  
والصلاة على النبي عليه  
الصلاة والسلام فصارت

(١) حديث ثلاث لا يفتك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة الحديث تقدم غير مرة.

( بيان أسباب الحسد والثافة )

فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض وجه من الوجوه أبغضه فلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضى التشنى والانتقام فإن عجز للبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فهما أصابت عدوه بيلة فرح بها ونظما مكافأة له من جهة الله على بفضه وأنها لأجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه ضد مراده وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذى آذاه بل أنعم عليه. وبالجملة فالحسد يلزم البغض والمداوة ولا يفرقهما وإنما غاية التقي أن لا يبنى وأن يكره ذلك من نفسه فأما أن يبغض إنسانا ثم يستوى عنده مسرته ومساوئته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعنى الحسد بالمداوة إذ قال الله تعالى - وإذا قاتلواكم قاتلوا أنفسكم وإذا خلوا عوا عليكم الأنا من التيقظ قولوا أن يظنكم إن الله عليهم بذات الصدور. إن تمسكتم حسنة تسوؤم - الآية، وكذلك قال تعالى - ودواما عنكم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر - والحسد بسبب البغض ربما يقضى إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك السر وما يجري مجراه. السبب الثاني: التعزير وهو أن يقل عليه أن يرتفع عليه غيره فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علما أو مالا خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فانه قد رضى بمساوئته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه. السبب الثالث: الكبر وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستغفره ويستخدمه ويتوقع منه الاشياءه والتناجاة في أغراضه فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ويرفع عن متابعته أو ربما يتشوف إلى مساوئته أو إلى أن يرتفع عليه فيعود متكبيرا جدا أن كان متكبيرا عليه من التكبر والتعزير كان حسدا أكثر الكفار لرسول الله ﷺ إذ قالوا كيف يقدم علينا غلام يتهم وكيف نطأ على رؤسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - (١) أى كان لا يقل علينا أن تواضع له وتبته إذ كان عظميا وقال تعالى يصف قول قريش - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - كاستحقارهم والأغفانهم. السبب الرابع: الحجب كما أخبر الله تعالى عن الأمم السابقة إذ قالوا لما أتت لإبائهم مثلنا - وقالوا - أنؤمن لبشرين مثلنا - ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لحاسرون - فتمجبوا من أن يفوز بربة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشرا مثلكم لحسودهم وأحبوا زوال النبوة عنهم جزا أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لآعن قصد تكبر وطلب رياسة وتقديم عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب وقالوا متجبين - أبش الله بشرا رسولا - وقالوا - لولا أنزل علينا اللاتكة - وقال تعالى - أو يحببتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم - الآية. السبب الخامس: الخوف من فوت للتاخذ وذلك يخص بمتراسمين على مقصود واحد فان كل واحد بمسح صاحبه في كل نعمة تكون عوناه في الانفراد بمقصود ومن هذا الجنس تحاسد الضرائف في الزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الأخوة في الزاحم على نيل للزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والسالى وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل للربة من قلب الأستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل للزلة من قلبه للتوصل به إلى السال

(١) حديث سبب نزول قوله تعالى - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - ذكر ما بين اسحاق في السيرة وإن قاتل ذلك الوليد بن الحيرة قال أنزل على محمد وأركوا كبير قريش وسيدها وترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد حميف فحس عظماء القريتين فأرسل الله فيا بلنى هذه الآية ودواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تصديرهما من حديث ابن عباس إلا أنهما قالا مسعود بن عمرو وفي رواية لابن مردويه جبيب بن عمير الثقفي وهو صحيح.

عشرة كاملة تفرق هذه العشرة على عشرة صفوف من اللاتكة كل صف عشرة آلاف فيجتمع في الركبتين ما يفرق على مائة ألف من اللاتكة.

[ السباب السابع والاثنتون في وصف صلاة أهل القرب ]  
ونذكر في هذا الفصل كيفية الصلاة بهايتها وشروطها وآدابها الظاهرة والباطنة على الكمال بأقصى ما انتهى إليه فهمنا وعلما على الوجه مع الاعراض عن ثقل الأتوال في كل شيء من ذلك إذ في ذلك كثرة ومخرج عن حد الاختصار والابجاز المقصود فتقول وبالله التوفيق: ينبغي للعبد أن يستمد لصلاة

والجاء وكذلك تحاسد الواعظين للزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضها نيل المال بالقبول  
عندهم وكذلك تحاسد العالمين الزاحمين على طائفة من التفقه محصورين إذ يطلب كل واحد منزلة  
في قلوبهم لتوصل بهم إلى أغراض له . السبب السادس : حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير  
توصل به إلى المقصود وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب  
عليه حب التناء واستغفزه القبح بما يدح به من أنه واحد البحر وفريد مصر في فنه وأنه لا نظير  
له فانه لو مع نظيره له في أقصى العالم لساء ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه  
في اللذة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما ينفرد هو به ويفرح  
بسبب تفرده وليس السبب في هذا عدواة ولا تمزوا ولا تسكير على المحسود ولا خوف من فوات المقصود  
سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمزلة في قلوب  
الناس للتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود يشكرون معرفة رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستباحتهم معها نسخ عليهم السبب السابع :  
خبث النفس وشحها بالحير لبياد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا يطلب مال إذا  
وصف عنده حسن حال جدد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشقى ذلك عليه وإذا وصف له  
اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصد وتفنن عيشهم فرح به فهو أبدأ يحب الإدبار لغيره  
ويبخل بنعمة الله على عبادته يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه ويقال البخيل من يبخل بمال  
نفسه والشحيح هو الذي يبخل بماله غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عبادته الذين ليس بينه  
وبينهم عدواة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس وردالة في الطبع عليه وقت  
الجيالة ومما جعلته شديدة لأن الحسد الثابت بأسر الأسباب أسبابه عارضة تصور زوالها يقطع في  
إزالتها وهذا خبث في الجيلة لا عن سبب عارض قصر إزائه إذ يستحيل في العادة إزائه فبهذه هي  
أسباب الحسد وقد مجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فظلم فيه الحسد  
بذلك ويقوى قوة لاشد معها على الإخفاء والمجاملة بل يهتك حجاب المجاملة وتظهر العدواة  
بالمسكفة وأكثر المحاسنات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب وقلا يتجدد سبب واحد منها .

( بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقربان والإخوة وبني الم والأقارب

وتأكده وقتله في غيرهم وضعفه )

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها وإنما يقوى بين قوم مجتمع  
جملة من هذه الأسباب فيهم وتنتظر إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يمتنع عن قبول  
التسكير ولأنه يتكبر ولأنه عدو ولغير ذلك من الأسباب وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم  
روابط يجمعون بسببها في مجالس المحاطبات ويتواردون على الأغراض فإذا خالف واحد منهم صاحبه  
في غرض من الأغراض قهر طبعه عنه وأبغضه وبغيت الحقد في قلبه فصد ذلك يريد أن يستقره  
ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لفرسه ويكره تمسكه من النعمة التي توصله إلى أغراضه وترادف  
جملة من هذه الأسباب إذ لا رابطة بين شخصين في بلدين متباعدتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك  
في محلتين ، ثم إذا تجاورا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما  
فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تنور فيه أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم  
دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد  
البراز إلا بسبب آخر سوى الاجتناب في الحرمة وحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب

قبل دخول وقتها  
بالوضوء ولا يوقع  
الوضوء في وقت الصلاة  
فذلك من المحافظة  
عليها ويحتاج في معرفة  
الوقت إلى معرفة الزوال  
ونفاوت الأقدام لطول  
النهار وقصره ويتميز  
الزوال بأن الظل مادام  
في الانقصاص فهو  
النصف الأول من النهار  
فاذا أخذ الظل في  
الازدياد فهو النصف  
الأخر وقد زالت الشمس  
وإذا عرف الزوال وأن  
الشمس على كم قدم  
تزال يعرف أول الوقت  
وأخره ووقت العصر  
ويحتاج إلى معرفة  
للتأزل ليل طلوع الفجر  
ويسمى أوقات الليل  
وشرح ذلك بطول  
ويحتاج أن يفرد له باب  
فاذا دخل وقت الصلاة

والرأفة تحسد ضرتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لأن مقصد البرزخ مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد إذ مقصد البراز التروة ولا يحصل إلا بكثرة الريون وإنما ينافعه فيه برزخ آخر إذ حريف البراز لا يطلبه الاسكاف بل البراز ثم مزاحمة البراز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشترى بها وينفرد بهذه الحصة ولا ينافحه العالم على هذا الفرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ لواعظ أكثر من حسده للفقير والطبيب لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد خاص فأصل هذه المحاسبات العداوة وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد والفرض الواحد لا يجمع متباينين بل متساينين فذلك يكثر الحسد بينهما نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب النصيب في جميع أطراف العالم بما هو فيه فإنه يحسد كل من هو في العالم وإن يمد عن يساره في الحصة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فإن الدنيا هي التي تضيق على التزاحمين أما الآخرة فلا تضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوته صواته وأرضه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضا لأن المعرفة لا تضيق عن المارفين بل للمعلوم الواحد بطله ألف العالم ويفرح بمعرفته ويشتد به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة المارفين زيادة الأنس ونعمة الاستفادة والإفادة فذلك لا يكون بين علماء الدين محسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا تضيق فيه وغرضهم التزلة عند الله ولا تضيق أيضا فيها عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعم لذة قائه وليس فيها محاماة ومزاحمة ولا تضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم نعم إذا قصد العلماء بالملم المال والجاه فحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للحسادة وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح بذلك وبذلك الفرق بين العلم والمال لأن المال لا يهل في يد مالم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر وهل في قلب غيره تعليمه من غير أن يرتحل من قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفسك في جلال الله وعظمته وملكوته أرضه وسماه صار ذلك الله عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا من أحافيه فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذة بل زادت لذته بؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فإن قيم الماروف وجته معرفته التي هي صفاته يأمن زوالها وهو أبدا يحيى بخارها فهو بروحه وقلبه مفتد بها فكيف غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطفها دانية فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتفع في جنه عالية وراض زاهرة فإن فرض كثرة في المارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين - ونزعنا ما في صدورهم من غل - إخوانا على سرر متقابلين - فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فإذا ينظرونهم عند انكشاف النطاء ومشاهدة المهورب في النقي فاذن لا يتصور أن يكون في الجنة محسدة ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محسدة لأن الجنة لا مصايقة فيها ولا مزاحمة ولا امتال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من

يقدم السنة الرابطة في ذلك سر وحكمة وذلك والله أعلم أن العبد تشمت إبليس وتفرق همه لما إلى بمن الخاطئة من الناس وقيامه بهام العاش أوسو جري بوضع الجيلة أو صرف هم إلى أكل أو نوم يقتضى العادة فاذا قدم السنة يجذب إبليس إلى الصلاة ويشتمل للحادثة ويذهب بالسنة الرابطة أثر الفتنة والكبدورة من الباطن فينصليح الباطن ويصير مستعدا للفرصة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطسرق النفحات ثم بعد ذلك التوبة مع الله تعالى عند القرينة عن كل ذنب محمله ومن الذنوب عامة وخاصة فالعامة السكائر

صفات البدين من سمة عليين إلى مضيق سجين ولذلك رسم به الشيطان العين وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ماخض به من الاجتهاد ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى وعمرّد وعصى فقد عرفت أنه لاحد إلا أنوار على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البسائين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء ولكن السماء لسمعة الأنظار وافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزامم ولا تحاسد أصلاً فليكن إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعمة لا زحمة فيها ولئلا تكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله ومجائب ملكوت السموات والأرض ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً فإن كنت لا تشاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وقررتك رأيك وضعت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور وإلا لعين لا يشاق إلى لذة الواقع والعصى لا يشاق إلى لذة الملك فإن هذه لذات يختص بإدراكها الرجال دون الصبيان والنحسين فكذلك لذة المعرفة يختص بإدراكها الرجال - رجال لانهم تجارة ولا يسع عن ذكر الله - ولا يشاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يذوق لم يدرك ومن لم يعرف لم يشق ومن لم يشق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك يبقى مع المحرومين في أسفل السافلين - ومن يش عن ذكر الرحمن فيض له شيطاناً فهو له قريب - .

( بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب )

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة لا نوب ولا تدوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل والعلم الكافع لمرض الحسد هو أن تعرف حقيقة أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيها ومهما عرفت هذا عن بصيرة وتمكن عدّ نفسك وصديق عدوك فأرقت الحسد لاجتماعه أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكهت نصته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه غنى حكته فاستكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدة التوحيد وقضى في عين الإيمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انصف إلى ذلك أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحتهم وفارقت أولياء الله وأبناءه في جهنم الخبير لعباده تعالى وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبايا في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتحوها كما يحو الليل النهار وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو أنك تتألم بحسدك في الدنيا وتوتغلب به ولا تزال في كد وعظم إذا عدّ أنك لا تخلف الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً متعصب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشبه الأعداء لك وتشبه أعدائك فقد كنت تريد الهنة لعدوك فتجنبت في الحال محتك وعظم هذا ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولولم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى القطة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءمة مع عدم المع فكيف وأنت عالم بحسب الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما عجب من الغافل كيف يترسّس لخط الله تعالى من غير شعور ناله بل مع ضرر عظمه وألم يقاسيه فيلك دينه ودياره من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودياره فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما عده الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بد أن يدوم إلى أجل معلوم قدّره الله سبحانه فلا حيلة في دفعه بل كل تنوّه عنه بتقديره ولكل أجل كتاب ولذلك شكاه من الأنبياء من جملة طالمة مستولية على الخلق فأوحى الله إليه قرآن من قدامها حتى تنقضي أيامها أي ما قدر ناهي الأزل

والصائر مما أوما إليه الشرع ونطق به الكتاب والسنة والخاصة بذنوب حال الشخص فكل عبد على قدر صفاء حاله له ذنوب تلائم حاله وبصرفها صاحبها وقيل حسنات الأبرار سيئات القربين. ثم لا يسلي إلا جماعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضل صلاة الجماعة صلاة الفذ ببيع وعشرين درجة » ثم يستقبل القبلة بظاهره والخفصة الإلهية ياطنه ويقرأ - قل أعوذ برب الناس - ويقرأ في نفسه آية التوجه وهذا التوجه قبل الصلاة والاستفتاح قبل الصلاة لوجه الظاهر بأصراه إلى القبلة وتخصيص



لا سبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضي للذة التي سبق القضاء بدوام إقبالها فيها ومهما نزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة ولذلك يقول بيت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي ، وهذا غاية الجهل فاته بلاء تشتت به أولا لنفسك فانك أيضا لاتخضع عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة تولا على أحد من الخلق ولا نعمة الايمان أيضا لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان . قال الله تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم - إذ ما يريد المحسود لا يكون ، نعم هو يضل بارادته الضلال فغيره فان إرادة الكفر كفر ، فمن اشتبه أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكلمنا سائر النعم ، وإن اشتبهت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباء فان كل واحد من حق الحساد أيضا يشتهي أن يخسب بهذه الحاصية ولست بأولى من غيره فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزول النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تسكرها . وأما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح . أما منفعة في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لاسيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالنسبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فلهذا تهديا إليه : أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزول . نعم كان لله عليه نعمة إذ وقفك للحسنة فنقلها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك عقوبة إلى عقوبة . وأما منفعة في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساة الأعداء ونهمهم وشقاوتهم وكونهم معذيين مغموين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أمان أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة يسبهم وقد ضلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنتظر إلى نعمة الله عليه فينتطح قلبك حسدا ، ولذلك قول :

لامات أعداؤك بل خدوا  
حق روافيك الذي يكمد  
لازلت محسودا على نعمة فاعسا الكمال من يحسد

فرض عدوك بفسادك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وولية عنده لما أنت فيها تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهي عدوك فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذا طامحت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع بعدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخالق والخالق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دائماً شئت أم أبيت باقية ثم لم تخمس على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك لأنه لما رآك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب الحبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته الحاقق بدرجة الأكار في الدين لم يفته ثواب الجلبهم معها أحب ذلك غاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتعوز بثواب الحب فيفضه إليك حتى لاتلحقه بحبك كالم تلحقه بسلك . وقد قال أعرابي لابي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : للرمع من أحب <sup>(١)</sup> » وقام أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال « يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعدت لها ؟ »

(١) حدث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من أحب متفق عليه من حديث ابن مسعود

جهته بالتوجه دون  
جهة الصلاة ثم رفع  
يده حطو منكبيه  
بحيث تكون كفاه  
حذو منكبيه وإيهامه  
عند حجمة أذنيه  
ورءوس الأصابع مع  
الأذنين ويضم الأصابع  
وان نشرها جزو الغم  
أولى فاته قبل النشر  
نشر العكس لا نشر  
الأصابع ويكبر ولا  
يدخل بين يديه أكبر  
ورائه أقادو مجرماً أكبر  
ويصل للذ في الله ولا  
يالتع في ضم الماء من  
الله ولا يشد  
بالتكبير إلا إذا  
استقرت اليدين حطو  
التكبير ويرسلهما مع  
التكبير من غير تقص  
فالوقار إذا سكن القلب  
تفككت به الجوارح  
وتأيدت بالأولى

قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا آتى أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أنتم من أحببت (١) قال أنس لما فرح المسلمون بحد إسلامهم كفرحهم يومئذ إشارة إلى أن أكرهيتهم كانت حب الله ورسوله قال أنس فنحن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعد مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم . وقال أبو موسى قلت « يا رسول الله الرجل يحب الصلبي ولا يسلو ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من أحب (٢) » وقال رجل لعمر بن عبد العزيز إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالما فكن عالما فإن لم تستطع أن تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع أن تكون متعلما فأجبه فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبعاث الله لقد جعل الله لنا عزجا فانظر الآن كيف حسدك إبليس قوت عليك ثواب الحب ثم لم يتبع به حتى يفسد إليك أخاك وحملك على الكراهة حتى أثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من أهل العلم وتحب أن يخطئ في دين الله تعالى ويتكشف خطؤه ليفتضح وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأي ثم يزيد لي ذلك فليتك إذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الآثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث « أهل الجنة ثلاثة : الحسن والمحب والكاف عنه (٣) » أي من يكف عنه الآذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع الداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها أئنته قد نفذ فيك حسد إبليس وما نفذ حسدك في عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في بقطة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرى سها إلى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلى حقيقته فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانية فبرئ أشد من الأولى فيرجع إلى عينه الأخرى فيصمها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشبهه وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخريه الشيطان منه بل حاله في الحسد أقبح من هذا لأن الرمية العائدة لموت إلا العيين ولو بقيتا لقاتتا بالموت لاحتالة الحسد يعود بالآثم والآثم لا يؤت بالموت ولمه بسوقه إلى غضب الله وإلى النار فلأن تذهب عنه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها الحبيب النار فانظر كيف اتهم الله من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن الحسود فلم يزها عنه ثم أزالها عن الحاسد إذ السلامة من الآثم نعمة والسلامة من التهم والسكد نعمة قد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحق المكر السيء إلا بأهله - وربما يبتلى بعين ما يشبهه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساواة إلا ويبتلى بمثلا حتى قالت عائشة رضي الله عنها : ما عنت لثمان شيئا إلا نزل لي حتى لو عنت له القتل لقتلت ، فهذا إثم الحسد نفسه فكيف ما يجز إليه الحسد من الاختلاف وجود الحق وإطلاق اللسان واليد بالقواش في التشفى من الأعداء وهو الداء الذي فيه هلاك الأمم السالفة ، فهذه هي الأدوية العلوية فها تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انقطعت نار الحسد من قلبه وعلم أنتم هلك نفسه ومفرج عدوه ومسخط ربه ومنقص عيشه . وأما العمل الدافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما ينافي إضاء الحسد من قول وضل فينبني أن يكلف نفسه تقيضه فان يشه الحسد على القدح في محسوده كلف لسانه للدع له والثناء عليه وإن حمل على التكبر عليه أزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه وإن بهته على كلف الإنصاف

والأصوب وجميع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يخب عن قلبه حالة التكبير أنه يصل الصلاة بينهما . وحكي عن الجليل أنه قال لكل شيء صفة وصفوة الصلاة التكبير الأولى وإنما كانت التكبير صفة لأنها موضع النية وأول الصلاة . قال أبو نصر السراج صحت ابن سالم يقول التنية بالله لله ومن الله والآفات التي تدخل في صلاة العبد بعد النية من المدوة ونصيب العدو وإن كثر لا يوازن بالنية التي هي لله بالله وإن قل . وسئل أبو سعيد الخزاز كيف الدخول في الصلاة ؟ فقال هو أن تحبل على الله تعالى

- (١) حديث سؤال الأنعري متى الساعة فقال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس
- (٢) حديث أبي موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب الصلبي ولا يصل الحديث وفيه هو مع من أحب متفق عليه من حديث بلطف آخر مختصرا الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال الهم مع من أحب.
- (٣) حديث أهل الجنة ثلاثة : الحسن والمحب له والكاف عنه لم أبعد له أصلا .



ملتنا إلى لحظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله قد يفتي أمره إلى أن لا يثقت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بمن واحدته عين الرحمن ويرى الكل عباد الله وأصلهم أفعال الله وبرامهم مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخافض لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويورد المدو إلى منازعته أعني الشيطان فإنه ينازع بالوسوسة فهما قابل ذلك بكرهته وألزم قلبه هذه الحالة قد أدى ما كلفه . وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأتيهم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال غمه فإنه لا يضره ما لم يبد . وروى عنه موقوفا ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاث لا يغلونهم للؤمن وله منهن مخرج فخرجهم من الحسد أن لا يئس » والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة المدو وتلك الكراهة تنم عن البني والإيذاء فإن جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد فاذا كان كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث المعنى إذ يبعد أن يعني عن البدي إرادته إساءة مسلم واشتاقه بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن ذلك في أعدائك ثلاثة أحوال : أحدها أن تحب مساوئهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بقلبك وتنفقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك ليل منك وهذا معناه قطعا أنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه . الثاني أن تحب ذلك وتظهر القبح وإساءته إما بلسانك وإيجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا . الثالث وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت نفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يغل عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

### ( كتاب ذم الدنيا )

( وهو الكتاب السادس من ربيع اللهكات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الذي عرف أوليائه غوائل الدنيا وآفاتهما . وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدا وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فصلوا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورته أمرا قبيحة تستحيل الناس بحملها ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصلها ثم هي فرارة عن طلبها شحيحة بإقبالها وإذا أتيت لم يؤمن شرها وويلها إن أحسنت ساعة أساءت سنة وإن أساءت مرة جعلت سنة فدوائر إقبالها على التقارب دارة وتجارة بينها خاسرة بآرة وآفاتنا على التوالي لصدور طلابها راسخون عجزوا أحوالها بذل طلبها ناطقة فكل مغرور بها إلى الدن مضيره وكل متكبر بها إلى التجرس ميسره شأنها الحرب من طالبها والطلب لها ربها ومن خدمها فاته ومن أعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن اللذات ملأمتها تحب السقم وشبابها يسوق إلى الهرم ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم فهي خداعة مكاراة طيارة فرارة لا تزال تزئج لطلابها حتى إذا صاروا من أصحابها كثرت لهم عن آياتها وشوشت عليهم مناظم أسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجايبها فإذا ختمت قوائمها

### ( كتاب ذم الدنيا )

ثم تلي المرحلة لها يخشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخيل في الباطن من السكون الذي صار بمثابة المرحلة فالتفت فكيف تراحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا البعد وقد تراحم مطالعة العظمة والنبوة في ذلك كون النية غير أنه لاية لطف الحال يخشى الروح : مطالعة العظمة والقلب يتميز بالنية فكأن النية موجودة بالطف صفاتها مندرجة في نور العظمة اندراج الكواكب في ضوء الشمس ثم يقبض يده اليمنى بيمينه اليسرى ويجعلها بين السرة والمصدر واليسرى

ورشتهم بصواب ساهما بينا أمهما منها في سرور وإنعام إذ أولت عنهم كأنها أنفثت أحلامهم عكرت عليهم بدواهيها فطحتهم طعن الحصيد ووارتهم في أكفانهم تحت الصيد إن ملكوت واحد منهم جميع ما طامت عليه الشمس جلته حصيدا كأن لم يكن بالأمس نحي أمهما سرورا وتدم غرورا حتى يأملون كثيرا وينون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعجاء متورا ودعائهم ثورا هذه صفاتها وكان أمر الله قدرا مقدورا، والسلامة والسلام على محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا وعلى من كان من أهله وأصحابه في الدين ظهر أو لم يظهر الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا.

[ أما بعد ] فإن الدنيا عدوة قسوة وعدوة لأولياء الله وعدوة لأعداء الله أما عدوتها لله فأنها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها، وأما عدوتها لأولياء الله عز وجل فأنها تزيت لم يزينتها وعتمت زهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الضر في مقاطعها، وأما عدوتها لأعداء الله فأنها استدرجهم بكمزها وكيدها فافتضح بهم بشكها حتى وثقوا بها وعزلوا عنها غفلتهم أوجع ما كانوا إليها فاجتروا منها حسرة تنقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد فهم في قرأها يتجسرون ومن مكابدها يستشيون ولا يثابون بل يقال لهم - اخسأوا فيها ولا تكلمون - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وإذا عظمت غوائل الدنيا وشروها فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وما هي وما الحكمة في خلقها مع عدوتها وما مدخل غرورها وشروها فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأفعال المتعلقة بها ووجه الحاجة إلى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى وهو العين على ما يرضيه .

### ( بيان ذم الدنيا )

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يستثوا إلا ذلك فلا حاجة إلى الاستنباد بآيات القرآن لظهورها وإعنا نورد بعض الأخبار الواردة فيها قدر دوى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال : آثرون هذه الشاة هينة على أهلها ؟ قالوا من هوأنها ألقوها قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « الدنيا سجن للؤمن وجنة للكافر <sup>(٢)</sup> » وقال رسول الله ﷺ « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان فيها <sup>(٣)</sup> » وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحب دنياه أضرب آخرته ومن أحب آخرته أضرب دنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة <sup>(٥)</sup> »

(١) حديث مر على شاة ميتة فقال آثرون هذه الشاة هينة على صاحبها الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذي وقال حسن صحيح ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث السننورد بن شدداد دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر (٢) حديث الدنيا سجن للؤمن وجنة للكافر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان فيها من حديث أبي هريرة وزاد إلا ذكر الله وما والاه عالم ومتعم (٤) حديث أبي موسى الأشعري من أحب دنياه أضرب آخرته الحديث أحمد والبراز والطبراني وابن جبان والحاكم وصححه (٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا واليهي في شعب الإيمان من طريقه من رواية الحسن مرسلا .

لكرامتها تجمل فوق

اليسرى ويعد السبعة

والوسطى على الساعد

ويقبض بالثلاثة

البواقي اليسرى من

الطرفين وقد نسر أمير

الؤمنين على رضى

الله عنه قوله تعالى

- فصل ربك وانحر -

قال إنه وضع اليمنى على

الثمال تحت الصدر

وذلك أن تحت الصدر

عرقا يقال له الناحر

أى ضع يديك على الناحر

وقال بعضهم وانحرأى

استقبل القبلة بنحرك

وفى ذلك سر خفي

يكشف به من وراء

أستار الغيب وذلك أن

الله تعالى بلطف

حكته خلق آدمى

وشرفة وكرمه وجسه

محل نظره ومورد حبه

ونخبة ما فى أرضه

وقال زيد بن أرقم : كنا مع أبي بكر الصديق رضى الله عنه فعدا جبراب فأنى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرّون على مسأله قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما بك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت بدفع عن نفسه شيئا ولم أره أحدًا فقلت يا رسول الله ما الذى تدفع عن نفسك قال « هذه الدنيا » مثلت لى فقلت لها إليك عنى ثم رجعت فقلت إنك إن أقلت لى لم يفت منى من بعدك <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « يا عجايل العجب للصديق بدار الخلود وهو يسعى لدار الضرور <sup>(٢)</sup> » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة قال « هلوا إلى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك الزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا <sup>(٣)</sup> » وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الحرق وأن الأجسام التى ترى بها تستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون إن بنى إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحلية والنساء والطيب والثياب <sup>(٤)</sup> » وقال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا ربا فتخذكم عبيدا اكثروا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا غافى عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « يا معشر الحوارين إنى قد كتبت لكم الدنيا على وجهها فلا تتعشوها بدمى فإن من خبت الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبت الدنيا أن الآخرة لا تدرى إلا بتركها آفا عبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة وأورثت أهاها حزنا طويلا وقال أيضا : بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا تانز عنكم فيها للوكة والنساء فأما للوكة فلا تانزعوهم الدنيا فانهم لن يرضوا لكم ما تركتموهم وديانهم وأما النساء فاقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجمى الموت فيأخذ بشفقه . وقال موسى بن يسار قال النبى <sup>(٥)</sup> « إن الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها <sup>(٦)</sup> » وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر فى موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال فرعباد بن بنى إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال : لتسبيحة فى صفيحة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فإن ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم « لهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فألبست أو صدقت فأبقيت <sup>(٧)</sup> »

(١) حديث زيد بن أرقم كما مع أبى بكر فعدا جبراب فأنى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى الحديث وفيه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت بدفع عن نفسه شيئا الحديث البراز يستدعى بنحوه والهاكم وصحح إسناده وابن أبى الدنيا واليهى من طريقه بلفظه (٢) حديث عجايل العجب للصديق بدار الخلود وهو يسعى لدار الضرور ابن أبى الدنيا من حديث أبى جرير مرسل (٣) حديث إنه وقف على مزبلة فقال هلوا إلى الدنيا الحديث ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا واليهى فى شعب الإيمان من طريقه من رواية ابن ميمون البخى مرسل وفيه بنية بن الوليد وقد عننه وهو مدلس (٤) حديث إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث أبى سعيد دون قوله إن بنى إسرائيل الخ والشرط الأول متفق عليه ورواه ابن أبى الدنيا من حديث الحسن مرسل بالزيادة التى فى آخره (٥) حديث موسى بن يسار إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها ابن أبى الدنيا من هذا الوجه بلافا واليهى فى الشعب من طريقه وهو مرسل (٦) حديث الهاكم

ومحاسبه روحانيا  
وجسائيا أرضيا وسمويا  
منتصب القائمة مرتفع  
المحية فصفه الأعلى  
من حدائق المستودع  
أسرار السموات وصفه  
الأسفل مستودع  
أسرار الأرض محل  
شبه ومركزها النصف  
الأسفل ومحل روحه  
الروحانى والقلب  
النصف الأعلى لجواذب  
الروح مع جواذب  
النفس يتطاردان  
ويتعاربان وباعتبار  
تطاردهما وتضالهما  
تكون لمة الملك ولمة  
الشیطان ووقت الصلاة  
يكثر التطارد لوجود  
التجاذب بين الإيمان  
والطبع فيكشف  
الحلل الذى صار قلبه  
سمويا مقرودا بين  
القضاء والبقاء لجواذب

قال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها جمع من لا عقل له وعليها يامد من لا علم له وعليها يحسد من لا قه له ولها يسى من لا يقين له (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وأثم الله قلبه أربع خصال: هال لا يقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا (٢) » وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها قتلت بلى رسول الله فأخذ يدي وأتى بي واديا من أو دية للمدينة فإذا مزلة فيهارءوس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرءوس كانت تحرس كحرسكم وتأمل كأملكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي سائرة رمادا وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الحرق البالية كانت رباشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجون عليها أطراف البلاد فمن كان يا كيا على الدنيا فليكن قال فما رحنا حتى اشتد بكأنا (٣) » وروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال له إن للخراب ولد للفناء . وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يادنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنع وتزينت لهم إنى قذفت في قلوبهم بضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدوى لأحد ولا يدم لك أحد وإن بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للأبرار الذين أطمعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وقدوا إلى من قبورهم إلا النور يسى أمامهم وللأنسكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها وتقول يوم القيمة يا رب اجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكني يا الله في الأرض لك لهم في الدنيا أراضا لك لهم اليوم (٤) » وروى في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحرك معدته فخرج الثقل ولم يكن ذلك بمجولا في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فذلك نهيها عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أي شيء تريد ؟ قال آدم أريد أن أضع ماني بطي من الأدنى قيل للملك قل له في أي مكان تريد أن تضعه أعلى القرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك ؟ أهبط إلى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « ليحيين أنوام يوم

التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير (١) حديث الدنيا دار من لادار له الحديث أحمد من حديث عائشة مقصرة على هذا وعلى قوله ولها جمع من لا عقل له دون بقية وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه ومال من لامال له وإسناده جيد (٢) حديث من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وأثم الله قلبه أربع خصال الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر دون قوله وأثم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس بإسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف (٣) حديث أبي هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قتلت بلى يا رسول الله فأخذ يدي وأتى بي واديا من أو دية للمدينة فإذا مزلة الحديث لم أجد له أصلا (٤) حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لا ينظر إليها الحديث تقدم بضمه من رواية موسى بن يسار مرسل ولم أجد باقيه

النفس متصاعدة من  
مركزها والجوارح  
وتصرفها وحركتها  
مع معاني الباطن  
ارتباط ومسوازنة  
فوضع النبي على النبال  
حصر النفس ومنع  
من صعود جوازها  
وأترك ذلك يظهر بدفع  
الوسوسة وزوال  
حديث النفس في  
الصلاة ثم إذا استولت  
جسواذب الروح  
وعسكت من الفرق  
إلى القدم عند كمال  
الأنس وتحقق قوة  
العين واستيلاء سلطان  
للشاهدة تصير النفس  
مقهورة ذليلة ويستعير  
مركزها بنور الروح  
وتقطع حينئذ جوازها  
النفس وعلى تسدير  
استتارة مركز النفس  
يزول كل العبادة

القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار . قالوا يا رسول الله مصليين ؟ قال نعم كانوا يصلون ويسومون ويأخذون هنة من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه <sup>(١)</sup> . وقال صلى الله عليه وسلم في بيته خطبه « للؤمن بين غنايتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيؤبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فيزود البعد من نفسه نفسه ومن دنياه لأخرته ومن جاهلته ومن شياه لحرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتם للأخرة والى نفس يده ما بعده للوت من مستعقب ولا بد الدائم من دار إلا الجنة أو النار <sup>(٢)</sup> » وقال عيسى عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم للساء والنار في زمان واحد وروى أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدرا لها بالان دخلت من أحدها وخرجت من الآخر وقيل ليسى عليه السلام لو أخذت بيتا يتكك قال يكتينا حلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت <sup>(٣)</sup> » وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال « هل منكم من يريد أن يشعب الله عنه الصمى ويجهل بصيرا ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمه فيها أعمى الله قلبه في قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمه أعطاه الله عفا بغير علم وهدى بغير هداية ألا إنه سيكون بدمك قوم لا يستقيم لهم للكم إلا بالقتل والتجبر ولا التني إلا بالقصر والخلو والمجبة إلا باتباع الحموى الأيمن أدرك ذلك الزمان منكم فصر على الفقر وهو يقدر على الثنى وصبر على البضاء وهو يقدر على المجبة وصبر على القتل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب تحسين صديقا <sup>(٤)</sup> » وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه اللطم والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه فوقت عينه على خيمة من بيدقافاهة فادفأها امرأة غاد عنها فإذا هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله تعالى إليه ما أوك في مستقر رحمتي لأزورك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها يدي ولأطمعن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولأمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى ابن مريم . وقال عيسى ابن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وقره وأمنها ويثق بها وتخذله وويل للمفتقر كيف أترهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يودعون وويل لمن الدنيا همه والحطاي عملهم كيف يفتضح غدا بذنبه . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : « يا موسى مالك ولدك القائلين إنها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بقتلك فبقتك الدار هي إلا العامل يعمل فيها فتعت الدار هي يا موسى إني مرصد للظالم حق أخذ منه المظلوم » . وروى « أن رسول الله ﷺ بث بأبي عبد بن الجراح فجا بمال من البحرين فسمعت الأنصار يقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث لجبيتين أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث سالم مولى أبي حذيفة بسند ضعيف وأبو منصور الديلمي من حديث أنس وهو ضعيف أيضا (٢) حديث للؤمن بين غنايتين بين أجل قد مضى الحديث البيهقي في الشعب من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وفيه انقطاع (٣) حديث احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه من رواية أبي الدرداء الزهراوى مرسل وقال البيهقي إن بعضهم قال عن أبي الدرداء عن رجل من الصحابة قاله الله لا يدري من أبو الدرداء قال وهذا منكر لا أصل له (٤) حديث الحسن هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه الصمى الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه هكذا مرسل وفيه إبراهيم بن الأشعث حكاه في أبو حاتم.

ويستغنى حيثئذ عن مقاومة النفس ومنع جوازها بوضع العين على الشمال فيسبل حيثئذ ولعل لذلك والله أعلم ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى مسبلا وهو مذهب مالك رحمه الله ثم قرأ سوحت وجهي سألته وهذا التوجه إذا لموجه قلبه والذى قبل الصلاة لوجه قلبه ثم يقول سبحانك اللهم وسبحك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك اللهم أنت للكم لا إله إلا أنت سبحانك ومحمدك أنت ربى وأنا عبدك ظلت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبى جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن



فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتمرضوا له فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أنظركم ممتمن أن أبا عبيدة قتب شيئا قالوا أجل يا رسول الله قال فأجبروا وأملوا مايسركم فوالله ما افقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها قتلكم كما أهلككم (١) « وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض قليل ما بركات الأرض قال زهرة الدنيا (٢) « وقال عليه السلام « لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا (٣) « قهي عن ذكرها فضلا عن إصابة عينا . وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها موتى في الألفية والطرق فقال يا مشرك الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا ياربوح الله وعدنا أن لو علنا خرم فسل الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل فنادم يجيوك فلما كان الليل أشرف على نشر ثم نادى بأهل القرية فأجابهم بحب ليك ياربوح الله قال ما حالكم وما قستكم قال بننا في عافية وأصبحنا في الهسابة قال وكيف ذاك ؟ قال بحبنا الدنيا وطاعتنا أهل العاصي قال وكيف كان حيكم للدنيا ؟ قال حب الصبي لأمه إذا أقبلت فرحنا بها وإذا أدبرت حزنا وبكينا عليها قال فما بال أمهاتكم لم يجيوني قال لأنهم ملجعون بلغم من نار بأبدى ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لأنني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنا ملحق على شفير جهنم لأدري ألنجو منها أم أأكبب فيها قال للشيخ للحواريين لا أكل خبز الشعير بالملح الجريش وليس للسوح والترم على الزايل كثير مع عافية الدنيا والآخرة . وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الضياء لاتبقت فبناه أعرابي باقة له فسبها فشق ذلك على للسدين فقال صلى الله عليه وسلم « إنه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه (٤) « وقال عيسى عليه السلام من الذي يبنى على موج البحر دار تملك الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علنا علما واحدا بحبنا الله عليه قال أبضوا الدنيا بحكم الله تعالى وقال أبو الرداء قال رسول الله عليه السلام « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولمهات عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة (٥) « ثم قال أبو الدنيا من قيل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجنكم إلى الصمدات تجارون ويكونون على أنفسكم وتتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راعع إليها إلا ما لا بد لكم منه ولكن ييب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملاك بأعمالكم وصيرتم كالذين لا يملكون فبفضكم شر من البهائم التي لاتدع هواها مخافة مما في أعقابكم لا تمحون ولا تصاحون وأنتم إخواني في دين الله ما فرق بين أهوائكم لاخبت سر أركم ولو اجتمعتم

(١) حديث بثأ أبا عبيدة بن الجراح فجاء بماله من البحر ين فسمعت الأنصار يهدمون أبا عبيدة متفق عليه من حديث عمرو بن عوف البدرى (٢) حديث أبي سعيد إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض الحديث متفق عليه (٣) حديث لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا البقي في الشعب من طريق ابن أبي الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثي مرسل (٤) حديث أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الضياء لاتبقت فبناه أعرابي باقة له فسبها فشق ذلك على للسدين فقال صلى الله عليه وسلم « إنه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه البخارى (٥) حديث أبي الرداء لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولمهات عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة الطبراني دون قوله ولمهات الجوزاد وخرجنكم إلى الصمدات الحديث وزاد الترمذى وابن ماجه من حديث أبي ذر وما تلذذتم بالنساء على القرى وأول الحديث متفق عليه من حديث أنس وفي أفراد البخارى من حديث عائشة .

الأخلاق فانه لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف عني سيئها إلا أنت ليك وسمديك فالخير كله بيدك ببارك وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك وبطرق رأسه في قيامه ويكون نظسه إلى موضع السجود ويكمل القيام بانتصاب القائمة وزرع يسر الانطواء عن الركبتين والخواصر ومطاطف البدن ويغف كأنه ناظر بجميع جسده إلى الأرض فهذا من خشوع سائر الأجزاء ويتكئون الجسد يتكئون القلب من المشوع وبرواح بين القدمين بقدر أربع أصابع فان ضم الكعبين

على البر لتحايثكم ما لكم تصاحون في أمر الدنيا ولا تصاحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه وبنيه على أمر آخرته ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم لو كنتم توقنون غير الآخرة وشربها كما توقنون بالدنيا لأترتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموركم . فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا لاجل منها تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققتكم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فالتونا ثنتين لكم ولزركم من النور ما تطلعون إليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فتعذركم إنكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأتخذون بالحزم في أموركم ما لكم تفرحون باليسر من الدنيا تصيدونه وتحزنون على اليسر منها يغوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها للصائب وتسمون فيها للسام وعلمتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم إني لأرى الله قد تبرا منكم بلقي بضعكم بضاً بالسروور وكلكم بكره أن يستقبل صاحبه بما يكره عفاة أن يستقبله صاحبه بثله فاصطبحت على القل ونبتت مراعيكم على الدمن وتضافتم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يبارك فان كان فيكم خير فقد أحمتكم وإن تطلبا ما عند الله تجدوه يسير أو باهتعتين على نفسى وعابكم . وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الخواريين ارضوا بدنى الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنى الدين مع سلامة الدنيا . وفي معناه قيل :

أرى رجلا بأدنى الدين قد تقصوا وما أراهم رضوا في العيش بالدين

فاستغن بالدين عن دنيا اللوك كالمه تنفى اللوك بدنيام عن الدين

وقال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لير ترك الدنيا أبر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ولئن أنيتمكم بسدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب (١) « وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى لآثر كنن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها ، ويرمى موسى عليه السلام برجل وهو يبيى ويرجع وهو يبيى فقال موسى يارب عبدك يبيى من محافتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقط لم أغفر له وهو يحب الدنيا . الآثار : قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً أولها : من عرف الله فطاعه وعرف الشيطان فصاه وعرف الحق فآتبعه وعرف الباطل فأتاها وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلها وقال الحسن : رحم الله أنوما كانت الدنيا عندهم ودية فأدوها إلى من اتهمهم عليها ثم راحوا خافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فأتها في تحره وقال لقمان عليه السلام لابنه : يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينةك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها بالإيمان بالله تعالى وشراعها بالتوكل على الله عز وجل لعلك تتجو وما تراك ناجيا . وقال الفضيل طالت فكرتى في هذه الآية - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ليلوهم أهم أحسن عملا وإننا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا - وقال بعض الحكماء : إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداة يوم فلا تهلك في أكلة وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى ويرعها النار وقول لبعض الرهبان كيف ترى الدهر ؟ قال يخلق الأبدان ويعبد الآمال ويقرب النية ويمد الأمنية . قيل فما حال أهله ؟ قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب . وفي ذلك قيل :

هو الصفد للهي عنه  
ولا يرفع إحسدى  
الرجلين فانه الصفن  
للهي عنه نهى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
عن الصفن والصفد  
وإذا كان الصفن منيا  
عنه ففي زيادة الأعباد  
على إحدى الرجلين  
دون الأخرى معنى  
من الصفن فالأولى  
رعاية الاعتدال في  
الاعتماد على الرجلين  
جميعا ، ويكره اشتغال  
الصماء وهو أن يخرج  
يده من قبل صدره  
ويجتنب السدل وهو  
أن يرخى أطراف  
الثوب إلى الأرض ففيه  
معنى الخيلاء وقيل هو  
الذى يلتف بالثوب  
ويجعل يديه من داخل  
فيركع ويسجد كذلك  
وفي معناه ما إذا جعل

(١) حديث ثنائيتكم بسدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ، لم أجده له أصلا .

ومن محمد الدنيا ليس بشيء فسوف لعمري عن قليل يلومها  
إذا أدبرت كانت على لئله حسرة وإن أقبلت كانت كثير همومها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم تكن فيها وتذهب الدنيا ولا تكون فيها فلا تسكن إلا بان عيشها  
نكد وصفوها كدراً وأهلها منها على وجل إما بنعمة زائلة أولية نازلة أو مينة قاضية . وقال بعضهم :  
من عيب الدنيا أنها لا تملئ أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص ، وقال سفيان أمارى  
النم كأنها مضروب عليها قد وضعت في غير أهلها . وقال أبو سليمان الداراني : من طلب الدنيا على  
الهيئة لما لم يسط منها شيئاً إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على الهيئة لما لم يسط منها شيئاً إلا أراد  
أكثر وليس لهذا غاية . وقال رجل لأبي حازم أعفوك إليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر  
ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذ إلا ما أمن حله ولا تضعه إلا في حقه ولا يشرك حب الدنيا وإنما قال  
هذا لأنه لو أخذ نفسه بذلك لأتعبه حتى يترحم بالدنيا ويطلب الخروج منها . وقال يحيى بن معاذ :  
الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئاً فيجىء في طلبه فيأخذك ، وقال الفضل لو كانت  
الدنيا من ذهب بغي والآخرة من خرف يبق لكأن يبنين لنا أن نختر خرفا يبق على ذهب بغي  
فكيف وقد اخترنا خرفا بغي على ذهب يبق ، وقال أبو حازم إياكم والدنيا فإنه بلغني أنه يوقف العبد  
يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله ، وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من  
الناس إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والمارية مردودة ، وفي ذلك قيل :

وما للمال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن تردّ الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها قالت استكواعن ذكرها فلو لاموقع من قلوبكم  
ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئاً أكثر من ذكره وقيل لا يراهم من آدم كيف أنت فقال :  
ترفع دينانا بتزويق ديننا فلا ديننا يبق ولا ماترّع  
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدينه لما يتوقع

وقيل أيضاً في ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنصا

كعبان بغي بينانه فأقامه فلما استوى ماقد بناه تهديا

وقيل أيضاً في ذلك :

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذلك إلى انتقال

وما دينك إلا مثل فيه أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يابن : بع دينك بآخرتك ترجعها جميعا ولا تبغ آخرتك بدينك تخسرهما جميعا .  
وقال بطرف بن الشخير لا تنظر إلى خض عيش اللوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرقة ظنهم  
وعود متقلهم . وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للكافر وجزء  
للكافر فاللؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع . وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أرا منها شيئاً  
فليصبر على معاينة الكلاب ، وفي ذلك قيل :

يا خاطب الدنيا إلى تسها تنح عن خطبتها تسلم

إن التي تحط غدارة قرية العرس من اللآثم

وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله أنه لا يصح إلا فيها ولا ينال ما عندهم إلا بتركها ، وفي ذلك قيل :  
إذا امتحن الدنيا ليب تكشف له عن عدو في ثياب صديق

يده داخل القمص  
ويجنب الكف وهو  
أن يرفع ثيابه يديه  
عند السجود ويكره  
الاختصار وهو أن  
يجعل يده على الحاصرة  
ويكره الصلب وهو  
وضع اليدين جميعا على  
الحصرين ونجافي  
الضدين فإذا وقف في  
الصلاة على الهيئة التي  
ذكرناها تجنبنا للسكارة  
قدّم القيام وكله  
فقرأ آية التوجه  
والدعاء كما ذكرنا ثم  
يقول أعوذ بالله من  
الشيطان الرجيم ويقولها  
في كل ركعة أمام  
القراءة ويقرأ الفاتحة  
وما بعدها محضو قلب  
وجمعهم ومواطأة بين  
القلب واللسان يحفظ  
وافر من الوصلة والدنو  
والهيئة والخشوع

وقيل أيضا : إراقد الليل مسرورا بأوله  
أفنى القرون التي كانت منعمة  
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك  
قد كان في الدهر نفاعا وضرا  
يا من يهائى دنيا لا يقاء لها  
يحيى ويصبح في دنياه سفارا  
هلا تركت من الدنيا معاقبة  
حتى تمانق في الفردوس أيكارا  
إن كنت تخشى جانح الحلة تسكها  
فينى لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه لما بث محمد صلى الله عليه وسلم أتى إليس جنوده فقالوا قد بث نبى وأخرجت أمة قال محبوبون الدنيا قالوا نعم قال لأن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي أن لا يبعدوا الأوثان وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ السال من غير حقه وإغناقه في غير حقه وإمساكه عن حقه والسر كله من هذا نبع . وقال رجل لبي كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال : وما أصف لك من دار من مص فيها مقيم ومن آمن فيها ندم ومن ائتمرها حزن ومن استغنى فيها افتقر في حللها الحساب وفي حرامها القباب ومتشابها العذاب ، وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فاتها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا . وقال أبو سليمان الداراني إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا زاحما فإذا كانت الدنيا في القلب لم تراحمها الآخرة لأن الآخرة كرمعة والدنيا شجرة ، وهذا تشديد عظيم ورجو أن يكون ما ذكره سيارب الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأجمعا غلب كان الآخر تبعه ، وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا تخرج هم الآخرة من قلبك وقد مر ما تحزن للآخرة تخرج هم الدنيا من قلبك ، وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال : الدنيا والآخرة ضربان فقدر ما مرضى إحداها تسخط الأخرى ، وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يملون أشرفت الدنيا أم غربت ذهبت إلى ذا أودھيت إلى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يصدق في منته وصل منه أبغض له أن يتبع فيه ؟ يعني يتم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم ذلك يوم قفره ، وقال الفضيل لو أن الدنيا بخداف غير هارعت حتى حلالا لأحاسب عليها في الآخرة لكنك أتذرهما كما يتفرد أحدكم الجيفة إذا ضرب بها أن تصيب ثوبه ، وقيل لما قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقه مخطومة بجمل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم ير فيه إلا سيفه وموسره ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو أخذت منا قة فقال يا أمير المؤمنين إن هذا يفتن القلب وقال سفيان خذ من الدنيا ليدنك وخذ من الآخرة لقلبك ، وقال الحسن والله لقد عديت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بعجم للدنيا ، وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنمية الأكياس وغنفة الجبال لم يرفوها حتى خرجوا منها فأسألوا الرجعة فلم يرجعوا ، وقال لقمان لا يته يا بني إنك استدبرت الدنيا من يوم زلتها واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تحرب منها أقرب من دار تباعد عنها ، وقال سعيد بن مسعود إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك للغبون الذي يلبس بوجه وهو لا يشعر وقال عمرو بن الماس عني النضر : والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهده فيه منكم والله ما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والى عليه أكثر من الذي له (١)

(١) حديث عمرو بن الماس والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهده فيه منكم الحديث الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه .

والخشبة والتعظيم والوقار والشاهدة والساجدة وإن قرأ بين الداعية وما يقرأ بعدها إذا سكت إماما في السكنة الثانية : اللهم باعديني وبين خطايي كما باعدت بين للشرق والغرب وقضى من الخطايا كما تبنى التوب الأبيض من اللبس اللهم اغسل خطايي بالماء والثلج والبرد غسلا ، وإن قلها في السكنة الأولى غسلا روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال ذلك وإن كان منفردا يقولها قبل القراءة ويعلم العبد أن ثلاثه نطق القلب وكل مخاطب للشخص يتكلم بلسانه ولسانه

وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى - فلا تزنكم الحياة الدنيا - من قال ذا قاله من خلقه ومن هو أعلم بها إياكم وما دخل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتح رجل على نفسه باب يغفل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه حشرة أبواب . وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلاله حساب وحرمانها عذاب إن أخذه من حله حوسب به وإن أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيته في دينه ويحزج من مصيته في دنياه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك . أما بعد : فكأنك بأخر من كتب عليه اللوث قد مات فأجاب عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا هي ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم هب لمن يعرف أن للوث حق كيف يفرح وهب لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وهب لمن رأى قلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها وهب لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب . وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائة سنة فساءه عن الدنيا كيف وجدها فقال سئيات بلاء وسئيات رخاء يوم فيوم وليلة قليلة يولد ولديك هالك فلو لا المولود لباد الحق ولولا المساكات ضاقت الدنيا بمن فيها قال له سل ما شئت قال عمر مضى فقدمه أو أجل حضر فدفنه قال لا مملك ذلك قال لأحاجة لى إليك . وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت بيلوغ أملك وإنما بلغت باقتضاء أحلك ثم سوف يملكك كأن منفعة لنترك وقال بشر من سأل الله الدنيا فأنما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم مافى الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألحق الله إليه شيئا يسوءه . وقال الحسن لا يخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بعشرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لبعض الباطنات التي قال إنما نال التنى من عتق من رقى الدنيا . وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطالحنا في حب الدنيا فلا يأمر بضنا بضنا ولا ينهى بضنا بضنا ولا يدعنا الله في هذا فليت شرى أبى عذاب الله ينزل علينا . وقال أبو حازم يسر الدنيا يغفل عن كثير الآخرة . وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأهنا منها لمن أهانها . وقال أيضا إذا أراد الله بعبده خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يسلك فإذا أعاد عليه وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا . وكان بعضهم يقول في دعائه يا مسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك أمسك الدنيا عني وقال محمد بن النكدر أن أيت لؤن رجلا صام الدهر لا يخطر وقام الليل لا ينام وصدق بماله وجاهه في سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤرق به يوم القيامة فيقال إن هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عديم مع ما عرفنا من الذنوب والحطايا وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالي تنادى ربهما منذ خلقها إلى يوم غضبها يارب يارب لم يفضي يقول لها اسكني بالإشياء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فلي جلد الحير إليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بهي من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عليه هواه فهو الغالب وقيل لبرمات فلان قال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع ضيع قبله أنه كان يغفل ويغفل وذكروا أبو أمامة البرقي قال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا . وقال جهم الديناني ضيق الدنيا تنفسها ونحن نحبها كيف لو لم نحب الدنيا وقيل لحكيم الديناني هي قالين تركها قبل الآخرة تنهي قالين طلبها وقال حكيم الديناري خراب وأخر ب

يسر عما في قلبه وهو  
أمكن للتسليم إلهام  
من يكلمه من غير  
لسان فعل ولكن  
حيث تعلم الإلهام  
إلا بالكلام جعل اللسان  
ترجما نأذا قال باللسان  
من غير مواضع القلب  
لما اللسان ترجما نأولا  
القارى متكلما قاصدا  
إسراع الله حاجته  
ولا مستعما إلى الله  
قاهما عنه سبحانه  
ما يخاطبه وما عند غير  
حركة اللسان بقلب  
غائب عن قصد  
ما يقول فينبى أن  
يكون متكلما مناجيا  
أو مستعما راضيا فأنزل  
مراتب أهل الخصوص  
في الصلاة الجلع بين  
القلب واللسان في  
التلاوة ووراء ذلك  
أحوال الغوامس بطول



على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه أو تأتي سلطانه قهده من القواعد أو تدب إلى جسمه فتسحقه أو تنجسه حتى هو ضيق به بين أحبابه فالله أعلم بحق بالدم هي الآخنة ما تطل الراجعة تها بيناهي تصحك صاحبها إذ أصحكت منه غيره وبيناهي تبيك له إذ أبكت عليه وينتهي بسط كفتها بالاعطاء إذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتقره بالتراب غداسوا عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجدد في الباقي من الداهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا . وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز . أما بعد : فإن الدنيا دار ظن ليست بدار إقامة وإنما أزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة فأحذرهما يأمر المؤمنين فإن أراد منها تركها والتي منها قهرها لها في كل حين قيل تدل من أعزها وتقر من جمعها هي كالماء يأكله من لا يعرفه وفي حقه فكأن فيها كالدواي جراحه يحمي قليلا عفاة ما يكره طويلا ويصير على شدة الدواء عفاة طول الداء فأحذر هذه الدار القادرة الخيانة الحداة التي قد تزييت بخدمها وفخت بفرورها وحلت بأمانها وسوت مخطاها فأصبحت كالعروس الحلبية ، اليونان نظرة والغلوب على الوالمة والنفوس لها طاشقة وهي لأزواجها كلهم قالية فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالأول مزجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنهما . ذكر فاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاعترى وطني ونسي للماد فشغل فيها ليه حتى زلت به قدمه فغطت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات اللوت وتألمه وحسرات القوت بنصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقد علم غير ما قد أحذر بها يأمر المؤمنين وكن أسرا ماتكون فيها خذرماتكون لها فإن صاحب الدنيا كما أطلعنا منها إلى سرور أسخطته إلى مكروه السار في أهلها طار والنافع فيها غدر ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء تسرورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها مالمولى وأدبر ولا يدري ما هوأت ينتظر أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وإن آدم فيها على خطر إن عقل ونظر فهو من النسيان على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خيرا ولم يضرب لها مثلا لكائنات الدنيا قد أغفلت النائم ونهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فمالها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم عناتي بها وخزائنها لينقصه ذلك عند الله جناح يموضة فأبى أن يقبلها (١) إذ كره أن يخالف على الله أمره وأوجب ما ينقصه خالفه أو يفرغ ما وضع ملكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لأعدائه اغترارا فيظن للفرور بها التقدر عليها أنه أكرم بها ونسى ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه (٢) ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل أنه قال لموسى عليه السلام : إذا رأيت النقي مقبلا قل ذنب جعلت عقوبته وإذا رأيت القمر مقبلا قل مرحبا بشعار الصالحين وإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه كان يقول إداي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابي رجلاي

(١) حديث الحسن وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز عرضت أي الدنيا على نبيك صلى الله عليه وسلم مخاتي بها وخزائنها الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسلارواه أحمد والطبراني متصلا في حديث أبي مويبة في أثناء حديث فيه إني قد أعطيت خزائن الدنيا والحديث وسنده صحيح وللمزني من حديث أبي أمامة عرض على ربي ليحبل لي بفضاء مكة ذنبا الحديث (٢) حديث الحسن مرسل في شد الحجر على بطنه ابن أبي الدنيا أيضا هكذا وإليخاري من حديث أنس رفنا عن بطون ناعن حجر حجر فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرتين وقال حديث غريب .

بالإسلام وقلب مفتوح  
بنور الإنعام فتخرج  
الكلمة من القرآن  
من لسانه ويسمعها  
قبله ففزع الكلمة  
في فضاء قلب ليس فيه  
غيرها فيتمسكها القلب  
بحسن التمسك واللبذ  
نعمة الإصغاء  
ويشعر بها بحلاوة  
الاستماع وكال الوحي  
ويدرك لطيف معناها  
وشريف خواها معاني  
تلطف عن تفصيل  
الذكر وتشكل غنى  
التكرار ويصير الظاهر  
من معاني القرآن قوت  
النفس فالنفس للماضية  
متنوعة معاني القرآن  
عن حديثها لكونها  
معاني ظاهرة متنوعة  
إلى عالم الحكمة  
والنهضة تتسرب  
مناسبتها من النفس

وطماي وفاكفي ما أنبت الأرض آيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على الأرض  
 أحد أغنى مني . وقال وبني مني لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون  
 قال لا يرعونكما بلهما الذي لبس من الدنيا فإن ناصيته يدي ليس ينطق ولا يطرף ولا يتنفس  
 إلا بأذني ولا يسبحكما ما تنع به منها فأعما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة الترفين فلو شئت أن أزيحكما  
 بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتا فقلت ولكني أرغب لك  
 عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أفضل بأوليائي إلى لأدوم عن نعمهما كما بنود الراعي الشفيق  
 غنمه عن مراتع الملحكة وإلى لأجنيهم ملاذها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن منازل القرع وما ذاك  
 لمواتهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا إنما يتزين لي أوليائي بالقل وال خوف  
 والخضوع والتقوى تثبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهي إيهم التي يلبسون وديارهم التي يظهر  
 وضيمهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي يافزون ورجاؤهم الذي يأمون ومجدهم الذي يفخرون  
 وسياهم التي يهرفون فإذا قليتهم فأخضض لهم جناحك ودلل لهم قليلك ولسانك واعلم أن من أخافني  
 ولما قد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة . وخطب لي كرم الله وجهه يوم ما خطبة فقال يا  
 اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم وعجزيون بها فلا تترسكم  
 الحياة الدنيا فانها بالبلاء مخوفة وبالفناء معروفة وبالقدر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال وهي بين  
 أهلهادول وسجل لا تدوم أحوالها ولا يسل من شرها زائلها بين أهلها منها في رخاء وسرور وإدام  
 منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفه العيش فيها مضموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما  
 أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصصهم بحماهم وكل حرفة فيها مقدور وحظه فيها  
 موفور . واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى عن كان أطول  
 منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأمر ديارا وأبدأ ثارا فأصبحت أمواتهم هامة خادمة له به . طول  
 ثقابها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عاقية واستبدلوا بالقصور الشديدة السرر  
 والنجارق للمهدة الصخور والأحجار للسندقق القبور اللاطقة للهدمة فحلها مقرب وما كنهها مقرب  
 بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالمران ولا يتواصلون تواصل الجيران  
 والإخوان على ما بينهم من قرب السكان والجوار ودنو الدار . وكيف يكون بينهم تواصل وقد طعنهم  
 بكسله البلاء وأكلتهم الجناد والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نصارة العيش رفاتا فحجبهم  
 الأجاب وسكنوا تحت التراب وظنوا فليس لهم إياب هيئات هيئات - كلا إنها كلة هو قائلها ومن  
 ورائهم برزخ إلى يوم يمشون - فكان قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلاء والوحدة في دار للكلوى  
 وارتهنتم في ذلك الضيق وضمتكم ذلك السئود فكيف بكر لو عايتكم الأمور وبترت التبور وحصل  
 ما الصدور وأوقعتكم التحصيل بين يدي للكل الجليل فطارت القلوب لإشغافها من سالف الذنوب  
 وهنكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم الميوب والأسرار هنالك تحجز كل نفس بما  
 كسبت إن الله عز وجل يقول - ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنة -  
 وقال تعالى - ووضع الكتاب قري المجريين مشفقين مما فيه - الآية جلنا الله ولياكم عاملين بكتابه  
 متبين لأوليائه حتى يعلنا وإياكم دار القامة من فضله إنه حميد مجيد . وقال بعض الحكماء : الأيام  
 سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه وعمرتك بليلة وأيامه حتى يسترق جميع  
 أجزائك فكيف بقاء - لامتكم مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في يدك لو كفت لك عما أحدثت  
 الأيام فيك من النفس لاستوحشت من كل يوم ياى عليك واستقلت عمر الساعة بك ولكن تدير الله

للكوة لامة رسم  
 الحكمة ومعاني القرآن  
 الباطية التي يكشفها  
 من للمكوت قوت  
 القلب وتخلص الروح  
 للقدس إلى أوئل  
 سرادات الجبروت  
 بمطالعة عظمة للتكم  
 ويمثل هذه الطالعة  
 يكون كالاستغراق  
 في لجج الأعشاق كما  
 نقل عن مسلم بن يسار  
 أنه صلى ذات يوم في  
 مسجد البصرة فوقعت  
 أسطوانة تسامع  
 بسقوطها أهل السوق  
 وهو واقف في الصلاة لم  
 يعلم بذلك ثم إذا أراد  
 الركوع فصل بين  
 القراءة والركوع ثم  
 يركع منظو القامة  
 والنصف الأسفل بحاله  
 في القيام من غير انطواء  
 الركبتين ويمضي



فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وإنها لأمر من العاقبة إذا عجزها الحكيم وقد أعيت الواصف ليوها بظواهر أفضالها وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرشدنا إلى الصواب . وقال بعض الحكماء : وقد استوصف الدنيا وقدر جأها قال : الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك لأن ماضى عنك قد فاتك إدراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنهأ ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الإنسان بالثغير والقصان والدهر موكل بقتيت الجماعات وأنغام الشمل وتنقل الدول والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور . وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فقال : يا أيها الناس إنكم خلقتُم لأمر إن كنتم تصدقون به فإنكم حق وإن كنتم تكذبون به فإنكم هلكي إنما خلقتُم للأبد ولستكم من دار إلى دار تتقلون عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص . ومن شرابكم شرابكم لا تصفونكم نصفه تسرون بها إلا بفراق أخرى تسكرون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل . وقال على كرم الله وجهه في خطبته : أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها البلية أجسامكم وأنتم تريدون تمديد بها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلخوا أطرافها وكانهم قد قطعوه وأفضوا إلى علم فكأنهم بلفوه . وكم عسى أن يجري المجرى حتى ينتهي إلى الغاية وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا اليأسوا وضربها فانه إلى الإقطاع ولا تفرحوا بتناعها وتنعها فانه إلى زوال هيجت لطالب الدنيا وللولت يطلبه وغافل وليس يخفول عنه . وقال محمد بن الحسين : لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرزها لأوليائه وأنها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابها من فتنها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلبي لبسوا من الثياب ماستر الدورة وأكلوا من الطعام أدنأها سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بين أيها غاية وإلى الآخرة أنها باقية فتروا من الدنيا كزاد الراكب غفروا الدنيا وعمرها بها الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فسلموا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم تيموا قليلا وتعموا طويلا كل ذلك يتوفى في ملامح السكريم أحبا ما أحب لهم وكره ما كره لهم .

( بيان صفة الدنيا بالأمثلة )

اعلم أن الدنيا سرية الفناء قرية الانقضاء تصد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر إليها قراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالاً سريعاً ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس عند انقضائها ومثلها الظل فانه متحرك ساكن ، متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا يدرك حركته بالبصر المظاهر بل بالبصرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أنشد وقال :

أحلام نوم أو كظلم زائل إن الألييب بمثلها لا يندم

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يشتمل كثيرا ويقول :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها إن اقتراراً بظلم زائل حتى

وقيل إن هذا من قوله . ويقال إن أعرابيا نزل قوم قدموا إليه طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة لهم فقام هناك فالتصوا الحية فأصابته الشمس فانتبه فقام وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كظلمة ثنية ولا يد يوماً أن ظلك زائل

وكذلك قيل : وإن اسر دنياء أكبر همه لستمسك منها بحبل غرور

مرقيه عن جنبيه  
وبعد عتقه مع ظميره  
ويضع راحتيه على  
رصعته منشورة  
الأسابع . روى مصعب  
ابن سعد قال صليت إلى  
جنب سعد بن مالك  
فجلت يدي بين ركبتي  
وبين غدي وطبقتهما  
فضرب يدي وقال  
اضرب بكفك على  
ركبتك وقال يا محمدنا  
كنا نعمل ذلك فأمرنا  
أن نضرب بالأكف  
على الركب ، ويقول :  
سبحان ربي العظيم  
ثلاثا وهو أدنى الكمال  
والكمال أن يقول  
إحدى عشرة وما يأتي  
به من المدد يكون بعد  
التسكين من الركوع  
ومن غير أن يمزج آخر  
ذلك بالرفع ويرفع يده  
للكركوع والرفع من

[ مثال آخر للدنيا من حيث التفرير بغيرها ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها ] تشبه خيالات المنام وأصناف الأحلام قال رسول الله ﷺ « الدنيا حلم وأهلها عليا عجازون ومعاقبون <sup>(١)</sup> » وقال يونس بن عيسى ما شبعت قسى في الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فينبأ هو كذلك إذ انتبه فكذلك الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فإذا ليس بأيديهم شيء مما كانوا إليه وفرحوا به . وقيل لبعض الحكماء أي شيء أشبه بالدنيا قال أحلام السام [ مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيتها ] أعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أولا والتوصل إلى الإهلاك آخرها وهي كأمراء تزين للخطباء حق إذا استكثمهم بجهنم وقد روى أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرأها في صورة مجرزة هتاء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا أحصيهم قال فكلمهم مات عنك أم كلمهم طلقك قالت بل كلمهم قتل قال عيسى عليه السلام يؤسا لأزواجك الباقيات كيف لا يمترون بأزواجك الماضين كيف نهلكيهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر [ مثال آخر للدنيا في عمالة ظاهرها باطنها ] أعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبعة السرائر وهي شبه مجوزة مزينة تخدع الناس بظاهرها فإذا وقوا على باطنها وكشفوا التناع عن وجهها عثمل لهم قبايعها فتدسوا على اتباعها وخجلوا من ضف عقوقهم في الاغترار بظاهرها وقال العلماء ابن زياد رأيت في المنام مجوزا كبيرة متصبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها بخت ونظرت وتعبت من نظرم إليها وإقبالها عليها قتل لها وملك من أنت ؟ قالت أو ما تعرفني . قلت لأدري من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شرك قالت إن أحببت أن تضاد من شري فابض الدم . وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم مجوزة مشوهة تمطاه تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يسفون ويرقصون فلما كانت عذائي أقبلت على قتلت لوظفرت بك لصمت بك مثل ماضت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال : رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد . وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة مجوزة تمطاه زرقاء أنيابها بادية مشوه خلفها فتشرف على الخلائق فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون نعموذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تاحرتم عليها بها تقاطعتم الأرحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادى أي رب أين أبناي وأشيائي فيقول الله عز وجل : الخلقوا بها أتباعها وأشياعها وقال الفضيل بلغني أن رجلا عرج بروحه فإذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الخي والياب وإداليمر بها أحد إلا جرحته فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس وإذا هي أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس مجوزة تمطاه زرقاء عشاء قال قتل أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يخذك الله مني حتى تنفض الدم قال قتل من أنت ؟ قالت أنا الدنيا [ مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها ] أعلم أن الأحوال ثلاثة : حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك إلى الأزل . وحالة لا تكون فيها شاهد الدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد . وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مالي وللدنيا وإنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرقت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها <sup>(٢)</sup> » ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها

الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود وإنما ينظر إلى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح : اللهم لك ركنك ولك خشعك وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري وعظمي وعقلي ويكون قلبه في الركوع متصفا بمحسوس الركوع من التواضع والإخبات ثم يرفع رأسه قائلا : مع الله فنحمده علما بقلبه ما يقول فإذا استوى قائما بحمد ويقول : ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت

(١) حديث الدنيا حلم وأهلها عليا عجازون ومعاقبون لم أجده أصلا (٢) حديث مالي وللدنيا وإنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرقت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها (٣) ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها بنحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس .

ولم يبال كيف انتقضت أيامه في ضر وصيق أوى سمة ورفاهية بل لا يبنى لبنة على لبنة «توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة» (١) ورأى بعض الصحابة يبنى بيتا من جص قال: «أرى الأمر أعجل من هذا وأُنكر ذلك» (٢) وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قطرة فاعبروها ولا تبصروها وهو مثال واضح فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة والهدى للبل الأول على رأس القطرة والهدى هو الليل الآخر وبنيهما سافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفا كان فلا بد من العبور والبناء على القطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان [مثال آخر للدنيا في لبن موردها وخشونة مصدرها] أعلم أن أوائل الدنيا تبدو هيئة لبنة يظن الخوض فيها أن حلاوة خضفها كحلاوة الخوض فيها وهي بات فان الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه إلى سدان الفارسي يتألفها قال مثل الدنيا مثل الحبة ابن سبأ وقتل معها فأعرض عما يبغيك منها لئلا ما يبغيك منها وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها كن أسر ماتكون فيها أحذر ماتكون لها فان صاحبها كما اطمأن منها إلى سرور أو خضع عنه مكره وهو السلام [مثال آخر للدنيا في خدر الخلاص من تجمتها بعد الخوض فيها] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما مثل صاحب الدنيا كالماشى في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا يتبل قدماه» (٣) وهذا يبرك في جهالة قوم ظنوا أنهم مخوضون في التجمع الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطردة وعلاقتها عن مواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا حمام فيه لكانوا من أعظم المتفجعين بفرارها فكان الشئ على الماء يقتضى بلالا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملاسة الدنيا تقتضى علاقة وظلة في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر المريض إلى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم إن الدابة إذا لم تركب وتمتن تصب وتبتر خلتها كذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ وبحق أقول لكم إن الزق مالم يخرق أو يتعل بوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب مالم تحرقها الشهوات أو بدنسها الطمع أو يقسها التبع فسوف تكون أوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وإنما مثل عمل أحدكم كشل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبت أعلاه خبت أسفله» (٤) [مثال آخر لما بقي من الدنيا وقتله بالإضافة إلى ما سبق] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقى متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع» (٥)

(١) حديث مواضع لبنة على لبنة الحديث ابن حبان في الثقات للطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف من سأل عن أو سره أن ينظر إلى فيل ينظر إلى أعنت صاحب مشعر لم يضع لبنة على لبنة الحديث (٢) حديث رأى بعض أصحابه يبنى بيتا من جص فقال أرى الأمر أعجل من هذا أبو داود والترمذي من حديث عبيدة بن عمرو وقال حسن صحيح (٣) حديث إنما مثل صاحب الدنيا كشل الماشي في الماء الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من رواية الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ووصله البيهقي في الشعب وفي أثره من رواية الحسن عن أنس (٤) حديث إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة الحديث ابن ماجه من حديث معاوية فرقه في موضعين ورجاله ثقات (٥) حديث مثل هذه الدنيا كشل ثوب شق من أوله إلى آخره أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس بسند ضعيف.

من شيء بعد ثم يقول أهل التناء والمجد أحق ما قال البديوك لنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجدمك الجدفان أطال في الاغالة القيام بعد الرفع من الركوع فليل لرب الجسد مكررا ذاك مهماماء فأما في العرض فلا يطول تطويلا يزيد على الحد زيادة بينة ويتع في الرفع من الركوع تمام الاعتدال بإقامة الصلابة ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا ينظر الله إلى من لا يقم صلبه بين الركوع والسجود ثم يهوى صاحبها ويكون في هوى مكررا

[ مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك ] قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا زاد عطشا حتى يقتله [ مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أولها ولنضارة أولها وخبث عواقبها ] اعلم أن شهوات الدنيا في القلب بقيدة كشهوات الأطمعة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنقيص ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا بلغت في المعدة غايتها وكأن الطعام كلما كان أفد طعاما أكثر دسائسها وطعمه حلاوة كان رجيحه أفتد وأشد تنافسا فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وألذ وأقوى فتنتها وكراهتها والتأذي بها عند الموت أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فإن من نهت داره وأخذ أهله وماله وولده فتكون مصيبتهم وألموتهم جمعة في كل ما قد قدر الله به وجهه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمر ولا مفر من الموت إلا بقدر ما في الدنيا وقد روى **« أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاک بن سفيان الكلاني : ألت توفى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والساء قال بلى قال فلإلام يصير قال إلى ما قد علمت يارسول الله قال فإن الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم <sup>(١)</sup> »** وقال أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وإن قدحه وملحه لإلام يصير <sup>(٢)</sup> »** وقال صلى الله عليه وسلم **« إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وإن قزحه وملحه <sup>(٣)</sup> »** وقال الحسن قد رأيتهم يطبونه بالأفاديه والطيب ثم يرمون به حيث رأيته وقد قال الله عز وجل - فلينظر الإنسان إلى طعامه - قال ابن عباس إلى رجيحه وقال رجل لابن عمر إن أريد أن أسألك وأستحي قال فلا تستحي وأما قال إذا قضى أحدنا حاجته قام ينظر إلى ذلك منه قال نعم إن الملك يقول له انظر إلى ما جعلت به انظر إلى ما ذاصر . وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى أرىكم الدنيا فيذهب بهم إلى مزرعة فيقول انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعدايهم وصنمهم [ مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة ] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر أحدكم يرجع إليه <sup>(٤)</sup> »** [ مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظم بسببها ] اعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهى بهم إلى جزيرة فأمرهم اللامح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم القام وخوفهم مرور السفينة واستجالتهم فترقوا في نواحي الجزيرة ففقدوا سفينةهم فاضطروا إلى السفينة فصادف للكان خالبا فأخذ أوسع الأماكن وألينا وأوقفها لمراده وبضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها للفتنة وتغامت طيورها الطيبة وأحائها الوزنة القريبة وصار يلحظ من ربها أجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة للنظر العجيبة النفوس السالبة أعين الناظرين

(١) حديث أنه قال للضحاک بن سفيان الكلاني ألت توفى بطعامك وقد ملح وقزح الحديث وفيه فإن الله ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم أحمد والطبراني من حديثه نحوه وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه (٢) حديث أبي بن كعب إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم الحديث الطبراني وابن جبان بلفظ إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبد الله بن أحمد في زيادته بلفظ جعل (٣) حديث إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا الحديث الشطر الأول منه غريب والشطر الأخير هو الذي تقدم من حديث الضحاك بن سفيان إن الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا (٤) حديث ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر يرجع إليه مسلم من حديث للتورود بن شداد .

مستقيظا حاضرا خاشعا عالما بما يهوى فيه وإليه وله من الساجدين من يكشف أنه يهوى إلى تخوم الأرضين متنيا في أجزاء لللك لامتلاء قلبه من الحياء واستثمار روحه عظيم الكبرياء كما ورد أن جبرائيل عليه السلام تستر حافية من جناحه حياء من الله تعالى . ومن الساجدين من يكشف أنه يطوى بساط العسكون وللكان ويرسح قلبه في قضاء الكشف والبيان قهوى دون هوى أطباق السموات وتمحي لقوة شهوده تمسك بلبس الكائنات ويسجد على طرف

بحسن زبرجدها ومجائب صورها ثم تنبه لحطرات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكانا ضيقا  
 حرجا فاستقر فيه وبعضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه بإحاطتها  
 فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا وزاده ماحله من الحجارة ضيقا وصار تقيلا عليه  
 ووبالا فقدم على أخيه ولم يقدر على رميده ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على  
 أخذه وليس ينفعه التأسف وبعضهم تولى التياض ونسى للركب وبعد في متفرجه ومتزعه منه حتى  
 لم يلقه نداء للالاح لاشتغاله بأكل تلك الحمار واستمتاع تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار وهو  
 مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منك عن هوكك بنسب يشابه  
 وغصن يجرح بدنه وشوكه تدخل في رجله وصوت هائل يزعج منه وعوسج يخرق ثيابه وبنتك  
 عورته ويمنعه عن الانصراف لو أرادها فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف متقلا بمسامه ولم يجد في  
 للركب موضعا فبقى في الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يلقه النداء وسارت السفينة خلفهم من اقترسته  
 السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأوحال ومنهم من نهشت الحيات  
 فنفرقوا كالجيف النتنه ، وأما من وصل إلى المركب بنقل ما أخذه من الأزهار والأحجار فقد استرقت  
 وشغلته الحزن بحفظها والخوف من قوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذلت تلك الأزهار وكثرت  
 تلك الألوان والأحجار فظهرت روائحها فصارت مع كونها مضيقا عليه مؤذنة بقتلها وحشيتها فوجد  
 حيلة إلا أن ألغاه في البحر هربا منها وقد أثر فيه ما أكل منها فارتدت إلى الوطن إلا وجد أن ظهرت عليه  
 الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيا مدبرا ومن رجع قريبا فماتته إلا سمة المهل فأذى ضيق المكان مدة  
 ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد للكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالمًا فهذا  
 مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحفظهم الماحلة ونسيانهم مودمهم ومصدرهم وغففتهم عن قافية أمورهم  
 وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تنزه أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشم التبت وهي زينة  
 الدنيا وشيء من ذلك لا يصعبه عند الموت بل يصير كلا وبوبالا عليه وهو في الحال شاعل بالهزن  
 والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل [ مثال آخر لا غرار الخلق بالدين وانصاف  
 بإيمانهم ] قال الحسن رحمه الله بلقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « إيمان مثل ومثلكم  
 ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكلوا ما بقوا فقتلوا الزاد  
 وخسروا الظهر وبقوا بين ظهري المفازة ولا زاد ولا حيلة فأتوا بالهلكة فيبيناهم كذلك إذ خرج  
 عليهم رجل في حلة تقطر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا إلا من قريب فلما انتهى  
 إليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا فقال علام أئتم قالوا على ما ترى فقال أرايتهم إذ هدبكم إلى ماء رواء  
 ورياض خضر ما تملكون ؟ قالوا لا نصيبك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فأعطوه عهودكم ومواثيقكم  
 بالله لا يصونه شيئا قال فأوردكم ماء رواء ورياضا خضرا فكشفت فيهم ماشاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا  
 يا هذا قالوا الرحيل قال إلى أين قالوا إلى ماء ليس كانكم وإلى رياض ليست كانكم فقالوا كثرتم  
 والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أننا لن نجده وما تصنع جيش خير من هذا قالت طائفة منهم أقبلهم [ أمثلوا  
 هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تنصوه شيئا وقد صدقكم في أول حديثه فوالله لا صدقكم  
 في آخره فراح فيمن اتبعه وتغلف فيهم فبدرم عدو فأصبحوا بين أسير وقتيل <sup>(١)</sup> ] مثال آخر لستم

(١) حديث الحسن بلقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إيمان مثل ومثلكم ومثل  
 الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء الحديث ابن أبي الدنيا هكذا بطوله لأحمد والبراء والطبراني من  
 حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء فبا يرى الناس ملكان الحديث وفيه قال

رداء الظلمة وذلك  
 انتهى ما انتهى إليه  
 طائر الهمة البشرية  
 ونفى بالوصول إليه  
 القوى الانسانية  
 وشاؤات الأنبياء  
 والأولياء في صرايب  
 الظلمة واستشعر  
 كنهها لكل ضمير على  
 قدره حفظ من ذلك  
 وفوق كل ذي علم عليم  
 ومن الساجدين من  
 يتسع عاؤه وينتشر  
 ضياؤه ويحظى  
 بالصنفين ويبسط  
 الجناحين فيتواضع  
 بقلبه لإجلال ويرفع  
 بروحه كراماد إضالا  
 فيجتمع له الأسى  
 والهمسة والمخسور  
 والنيق والقرار والقرار  
 والإسرار والجوار  
 فيكون في سجوده  
 ساعيا في بحر شهوده

الناس بالدنيا ثم تجميعهم على فراقها [ اعلم أن مثل الناس في أعطوا من الدنيا مثل رجل هيا دارا وزينها وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد قد دخل واحد داره قد علم إليه طريق ذهب عليه غور ووراجين ليضمه ويتركه لمن يلمحه لا يملكه ويأخذه فجعل رحمه وظن أنه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن أنه له فلما استرجع منه صجر وتجعجج ومن كان عالما برحمته انتفع به وشكره ورد به بطيب قلب وانشرح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيافة سبقت على المجازين لاطل التبعين ليزودوا منها وينفعوا بما فيها كما ينفع المسافرين بالواري ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراغها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتا وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه .

### ( بيان حقيقة الدنيا وما هيها في حق العبد )

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا الذمومة ما هي وما الذي ينبغي أن يجنب منها وما الذي لا يجنب فلا بد وأن نبين الدنيا للذمومة الأمور باعتبارها لكونها عذوة طاعة لطريق الله ما هي فنقول دنياك وآخرتك عبارة عن حالين من أحوال قلبك فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والتراخي للتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فكل مالك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة وقدة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقا إلا أن جميع مالك إلى الميل وفيه نصيب وحظ فليس بذيوم بل هو ثلاثة أقسام . القسم الأول : ما صاحبك في الآخرة وتبقى معك ثم تتركه بعد الموت وهو شيثان العلم والميل سقط وأغنى بالعلم بالعلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوته أرضه وسمائه والعم بشريعة نبيه وأغنى بالعمل البعادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأمن العالم بالعلم حتى يصير ذلك الله الأشياء عنده فيهبج النوم والطعم والنكح في لذته لأنه أشهى عنده من جميع ذلك قد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكننا إذا ذكرنا الدنيا للذمومة لم نعد هذان الدنيا أصلا بل قلنا إنما في الآخرة وكذلك العابد قد يأمن بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكننا لسنا نفي بالدنيا للذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم « حبيب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرعة عيني في الصلاة » (١) فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتعريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا لأنها لسان في هذا الكتاب تعرض إلا للدنيا للذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا . القسم الثاني . وهو للقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا تمرة له في الآخرة أصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتمتع بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والعورات كالتمتع بالفناطير القطر من الذهب والنضة والحيل للسومة والأنام والحرف والظلمان والجواري والحيل والواشي والتصور والدور ورفع الثياب ولذات الأطمعة حفظ العبد من هذا كله هي الدنيا للذمومة وفيها يفضول أو في محل الحاجة نظر طويل إذ روى عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الداء على حصن فأتخذه كنيفا أشق أي أحد للسكين إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر اتهاوا إلى مفازة فذكر نحوه أخضر منه وإسناده حسن (١) حديث حبيب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرعة عيني في الصلاة النساء والحاكم من حديث أنس دون قوله ثلاث وتقدم في النكاح .

لم يختلف منه عن السجود بشرة كإفاد سيد البشر في سجوده سجد لك سواي وخيالي - وقد يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها - الطوع للروح والقلب لما فيها من الأهلية والكره من النفس لما فيها من الأجنبية ويقول في سجوده : سبحان ربّي الأعلى ثلاثا إلى الضر الذي هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لأنهما يسجدان وفي الهوى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأخذه يكون ناظرا نحو أرنبة آفة في السجود فهو أبلغ في الخضوع للساجد ويأمر بكفيه الصلى

عليه درهين فكتب إليه عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمرد كان لك في بناء فارس والروم ما كنت في به عن عمران الدنيا حين أرا: الله خرابها فإذا أتاك كتابي هذا فقسر لك في دمشق أنت وأهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضلا من الدنيا فتأمل فيه. القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد والخشن وكل ما لا يد منه لينأتى للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأول لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه فهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا لدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يتقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أعنى طهارته عن الأدناس وأنه يذكر الله تعالى وجهه لله عز وجل صفاء القلب وطهارته لا يحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى والواجبة عليه والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ولا يحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي للنجاة للسعدت بعد الموت. أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من النجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الأخبار «إن أعمال العبد تنازل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجله جاء قيام الليل يدفع عنه وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه» الحديث. وأما الأنس والحب فهما من السعدت وهما موصلان العبد إلى لغة اللقاء وللشاهدة وهذه السعادة تسجل عقيب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد وكانت العوائق توقعه عن دوام الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخل بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سلبا من اللوانع آتيا من العوائق وكيف لا يكون يحب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غضب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الخيلة في الرجوع إليه ولذلك قيل:

ما حل من كان له واحد خيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما إنما هو فراق لمحابب الدنيا وقدم على الله تعالى فإذا سالك طرق الآخرة هو الواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يقطع عنه شهوات الدنيا ويضعف إليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تتال إلا بخوت ومليس ومسكن وبحاج كل واحد إلى أسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذ العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكافت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وإن أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التمتع صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يمرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما وإلى ما يحول بينه وبين النجيات الملا ويمرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول الوقف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضا عذاب فمن نوقش الحساب عذب<sup>(٢)</sup> إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عذاب»<sup>(٣)</sup>

(١) حديث مناضلة أعمال العبد عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجله جاء قيام الليل يدفع عنه الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن سمرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن الخزومي ضعه البخاري وأبو حاتم ولأحمد من حديث أسماء بنت أبي بكر إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا أحزبه عمله الصلاة والصيام الحديث وإسناده صحيح (٢) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه

ولا يلحقها في التوب ويكون رأسه بين كفيه ويداه حذو منكبيه غير ميامن ومتساير بهما، ويقول بصد المسيح: اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين. وروى أمير المؤمنين على رضى الله عنه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك «وإن قال سبح قدوس رب الملائكة والروح فحسن روت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك ويجافي مرقبه عن

وقد قال أيضا : حللها عذاب . إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يموت من الدرجات الملا في الجنة وما ردد على القلب من التحسر على ثوبها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو أيضا عذاب وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أمرائك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف ينقطع قلبك عليها حسرات مع علك بأنما سعادات منصرمة لا بقاء لها ومتنصة بكدورات لا صفاء لها لها حالك في قوت سعادة لا يحيط الوصف بسظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تم في الدنيا ولو بسباح صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة أو شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة أضعاfe وهو المتي بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه وهذا من النعم الذي تسئل عنه <sup>(١)</sup> «أشاره إلى الساء البارد والترض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من خصان الحظ ، ولذلك قال عمر رضى الله عنه اعزلوا عني حسابي حين كان به عطش ففرض عليه ماء بارد يسمل فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه فانه ناقيلها وكثير حارماها وحلالها ملعونة إلا ما أتت على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأقن كان حذره من نعيم الدنيا أشد حتى إن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما تم ثم رماه إذ تمثله إبليس وقال رغبت في الدنيا وحتى إن سليمان عليه السلام كان يطمع الناس لئلا يذللوا لطمعه وهو يأكل خبز الشجر فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتنا وشدة فان الصبر عن لذات الأطمعة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى «زوى الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوى أياما <sup>(٢)</sup>» «وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع <sup>(٣)</sup>» ولهذا سلط الله البلاء والحن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فلا مثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفروا من الآخرة حظهم كاتبعن الوالد الشفيق ولده لذة القواكه ويعلم أم القصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بغلا عليه وقد عرف بهذا أن كل ما ليس فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت لما الذي هو لله . فأقول الأشياء ثلاثة أقسام : منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذي يمر عنه بالمعاصي والمحظورات وأنواع التمتعات للباحث وهي الدنيا المحضة المدسومة فهي الدنيا صورية ومعنى ومنها ماصورته لله ويمكن أن يجعل لعمر الله وهو ثلاثة الفسكو والد كرو السكب عن الشهوات فان هذه الثلاثة إذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى أمراته واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وإن كان الغرض من الفسكو طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحلية لصحة البدن والاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالقي وإن كان يظن بصورته أنه لله تعالى ومنها ماصورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله وذلك كالأكل والنكاح وكل ما يرتبط به جأؤه وجأؤه ولده فان كان القصد حفظ النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وإن كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم «من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخراتي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استغفا عن السألة موقوفي على بن أبي طالب بإسناد منقطع بلفظ وحرماها النار ولم أجده مفروقا <sup>(٤)</sup>» حديث هذا من النعم الذي تسئل عنه تقدم في الأطمعة <sup>(٥)</sup> حديث زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه عليه وسلم فكان يطوى أياما محمد بن خفيف في شرف القراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت ليارسول الله عجباً لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك الحديث وهو من طريق إسحاق معضنا ولترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله الحديث قال الترمذى حسن صحيح <sup>(٦)</sup> حديث كان يشد الحجر على بطنه من الجوع تعم .

جنبيه ويوجه أصابه في السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الإبهام ولا يفرش ذراعيه على الأرض ثم يرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجهاً الأصابع إلى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تسكف ضمهما وتفرجهما وقول : رب اغفر لي وارحمي واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا تبطل هذه الجلسة في الفريضة أما في النافلة فلا بأس معها أطال الله رب اغفر وارحم مكروا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكرر الإقامة في التمود وهو ههنا أن يضع



وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر (١) فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة وبصر عنه الهوى وإليه الاشارة بقوله تعالى - ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الأولى - وبجماع الهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة مجتمعا قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر والمنقذات من الذهب والفضة والحيل للسومة والأناجم والحراث ذلك منافع الحياة الدنيا - فقد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله إن قصد به وجه الله والاستكثار منه تتم وهو لغير الله وبين التمتع والضرورة درجة يسير عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضرب في الاقتصاد على حد الضرورة غير يمكن وطرف يزاحم جانب التمتع ويقرب منه ويبنى أن يحذر منه ويحفظ وسائله متشابهة بقرينة من حام حول الحى يوشك أن يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من خد الضرورة مما يمكن اقتدائه بالأنبياء والأولياء عليهم السلام إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حد الضرورة حتى إن أويسا لقرئى كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فيناله بيتا على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنو الستنان والثلاث لا يرون له وجهها وكان يخرج أول الأذان ويأتي إلى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن يلتقط النوى وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره وإن لم يصب ما يقوته من الحشفة باع النوى واشترى بشمه ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من الزبال من قطع الأكسية فيفسلها في الفرات ويلقى بعضها إلى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربما مر الصبيان فيرمونه وينظرون أنه مجنون فيقول لهم بالإخوته إن كنتم ولا بد أن ترموني فارموني بأحجار صغار فأتى أخاف أن تدموا عني فحضر وقت الصلاة ولا أميب للساء فهكذا كانت سيرته وقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن » (٢) إشارة إليه رحمه الله ولما دلى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال ققاموا فقال اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من قرن فجلسوا كلهم إلا رجلا واحدا فقال له عمر أقرئ أنت؟ فقال نعم فقال أتعرف أويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما ذلك تسأل عنه بأمر المؤمنين والله ما بينا أحق منه ولا نحن منه ولا وأوحى منه ولا أدنى منه فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت إلا لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر » (٣) فقال هرم بن حبان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أويسا القرني وأسأل عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فرفته بالتمت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الأدمة خلوق الرأس كث اللحية متغير جدا كره الوجه متعيب للنظر قال

(١) حديث من طلب الدنيا حلالا مكثرا مافاخر إلى الله وهو عليه غضبان الحديث أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن أشار به إلى أويس القرني تخدم في قواعد القنادل أجده أصلا (٣) حديث عمر يدخل الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر يريد أويسا ورويناه في جزء ابن الجاهك من حديث أبي أمامة يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمي أكثر من ربيعة ومضر وإسناده حسن وليس فيه ذكر لأويس بل في آخره فكان للشيعة يرون أن ذلك الرجل عبان بن عفان .

أليه على عقيبته ثم إذا أراد التهوؤ إلى الركة الثانية يجلس جلسة خفيفة الاستراحة ويفعل في بقية الركعات هكذا ثم يشهد وفي الصلاة للمراج وهو معراج القلوب والشهد مقر الوصول بعد قطع مسافات الهيئات على تدرج طبقات السموات والتجليات سلام على رب البريات فليذهن لما يقول ويتأدب مع من يقول ويبرد سكينة يقول ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويثله بين عباد الله الصالحين فلا يبقى عبد في الباء ولا في الأرض من عباد الله إلا ويسلم عليه بالنسبة الروحية

وسلمت عليه فرد على السلام ونظر إلى قنلت حياك الله من رجل ومددت يدي لأصاغته فأني أن  
بصاغتي قنلت رحمك الله يا أيوس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خفقت العبرة من حي إياه  
ورقق عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت لحياك الله يا هارم بن حيان كيف  
أنت يا أخى ومن ذلك على قال قلت الله فقال لإله إلا الله سبحانه الله - إن كان وعد ربنا لمفعولا -  
قال فصبت حين عرفي ولا والله ما رأيت قبل ذلك ولا رأي قنلت من أين عرفت اسمي واسم أبي  
وما رأيتك قبل اليوم ؟ - قال بنأى العليم الخير - وعرفت روحى وروحك حين كنت نفسى ففسك إن  
الأرواح لها نفس أكفئ الأجساد وإن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا ويتعاونون بروح الله وإن لم  
يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وخرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث أحصه منك قال إنى لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ولم تسكن لى معه محبة أبى وأبى رسول الله ولكن رأيت رجلا قد قصصوه وبلغنى من حديثه كالفلك  
ولست أحب أن أفصح على نفس هذا الباب أن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا فى نفسى شغل عن  
الناس يا هارم بن حيان قنلت يا أخى اقرأ على آية من القرآن أسمعا منك وادع لى بدعوات وأوصنى  
بوصية أحفظها عنك فاني أحبك فى الله جبا عديدا قال فقام وأخذ يدي على شاطئ القرات ثم قال  
أعود بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال : قال ربى والحق قول ربى وأصدق  
الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بعبين.  
ما خلقناها إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون - حتى انتهى إلى قوله - إنه الوعر الزر الرحيم - فشق شقفة  
ظننت أنه قد غشى عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان وبوشك أن توت فإما إلى الجنة وإما إلى  
نار ومات أبوك آدم ومات أمك حواء ومات نوح ومات إبراهيم خليل الرحمن ومات موسى نبي  
الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وهو رسول رب العالمين  
ومات أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخى وصفى ثم قال يا هارم قال قنلت رحمك  
الله إن عمر لم يمت قال فقد ناه إلى ربى ونفى إلى نفسى ثم قال أنا وأنت فى اللوى كأنه قد كان ثم  
صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي إياك يا هارم بن حيان  
كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين قد نصبت إلى نفسى ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك  
طرفة عين ما بقيت وأتذكر قومك إذا رجعت إليهم وانصح للأمة جميعا وإياك أن تغارق الجماعة قد بشر  
فتفارق دينك وأنت لاتعلم قد دخل النار يوم القيامة ادع لى ونفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم  
أنه يحبنى فبك وزارنى من أجلك ففرق وجهي فى الجنة وأدخله على فى دارك دار السلام واحفظه  
مادام فى الدنيا حيا كان وضم عليه ضيعة وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من الدنيا فيسره  
له تسيرا واجعله لما أعطيته من ثمناك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعك الله  
يا هارم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فأني أكره  
الشهرة والوحدة أحب إلى إني كثير اللهم شديد التهم مع هؤلاء الناس مادمت حيا فلا تسأل عني  
ولا تطلبني واعلم أنك متى على بالك وإني لم أرك ولم ترى فاذا كرتى وادع لى فأني سأذكرك وأدعوك  
إن شاء الله أنطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا فخرصت أن أمشي معه ساعة فأني على وفارقه  
فبكى وأبكى وجعلت أنظر فى فقاء حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أمدا  
يخبرني عنه فجئى رحمه الله وغفر له فكذلك كانت سيرة أبناء الآخرة المرعفين عن الدنيا وقد عرفت  
مما سبق فى بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما ظنلته الحضرة أو أظنلته القبراء

والخاصة بالطرية ووضعه  
يده اليمنى على غنقه  
اليمين مقبوضة الأصابع  
إلا السبحة ويرفع  
السبحة فى الشهادة فى  
إلا الله لا فى كلمة التنى  
ولا يرفسها متصبة بل  
مائلة رأسها إلى الفخذ  
منطوية فهذه هيئة  
خشوع السبحة ودليل  
سراية خشوع القلب  
إليها ويدعو فى آخر  
صلاته لنفسه وللمؤمنين  
وإن كان إماما ينبغي  
أن لا يفرد بالدعاء بل  
يدعو لنفسه ولئن  
وراءه فإن الامام للتيقظ  
فى الصلاة كحاجب دخل  
على سلطان ووراءه  
أصحاب الخواص يسأل  
لهم ويعرض حاجتهم  
وللمؤمنون كالبيان  
يشد بضه بضاهذا  
وصفهم الله تعالى فى

إلا ما كان لله عز وجل من ذلك وعند الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو أن الحاج إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخزخز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحث في بينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر متعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالمع والعدل هو من الآخرة لا من الدنيا ، ثم إذا قصد تلذذ البدن وتمتع بهى من هذه الأسباب كان منحرفا عن الآخرة وبغضى على قلبه التسوية قال الطنafsي : كنت على باب بنى شية في المسجد الحرام سبعة أيام طأوا قدمي في الليلة الثامنة مناديا وأنا بين القفظة والنوم : ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقل فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى .

( بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى أنسهم أنفسهم

وحاقتهم ومصدرهم وموردهم )

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور قد يظن أن الدنيا عبارة عن أحادها وليس كذلك ، أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الأرض وما عليها قال الله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبأهم أيهم أحسن عملا - فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملابس ومطعم ومشرب ومنسكح ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام : للمعادن والنبات والحيوان . أما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والدواي وأما المعادن فيطلبها للآلات والأواني كالنحاس والرصاص ولتقده كالذهب والفضة ولغير ذلك من اللقاصد وأما الحيوان فينقسم إلى الإنسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للساكن وظهورها للمركب والزينة وأما الإنسان فقد يطلب الآدمي أن يملك أيدان الناس ليستخدمهم ويستغفرهم كالغلمان أو ليتمتع بهم كالجوارى والنسوان ويطلب قلوب الناس ليجلبها بأن يفرس فيها التعظيم والأكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاء إذ معنى الجاء ملك قلوب الآدميين فهذه هي الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين - وهذا من الإنس - والقناطير والقنطرة من الذهب والفضة - وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من الآتي والواقيت وغيرها - والجمل السومقوال أنعام - وهي البهائم والحيوانات - والحشوش وهو النبات والزرع فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستغرق بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلقة بالدنيا كالعبد والكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والدناءة وحسب النساء وحسب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها . العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله بأصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق إنما أنسهم ومآجهم ومتعلقيهم بالدنيا لهما بين العاليتين علاقة القلب بالمحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم أن هذه الأعيان التي هيئتها لنا لم تخلق إلا لعلف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى وأعى بالدابة البدن فإنه لا يلقى إلا بطعم ومشرب وملبس ومسكن كالإتيق الجمل في طريق الحج إلا بطعم وماء وجلال ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يسلف الناقة ويتهددها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ومحمل إليها أنواع الحشيش ويريد لها الماء بالتلج حتى

كلامه بقوله سبحانه -

كأنهم بيان مرصوص -

وفي وصف هذه الأمة

في السكب الساقطة

صفتهم في صلاتهم

كصفتهم في قتالهم

حدثنا بذلك شيخنا

ضياء الدين أبو النجيب

السهرودي إملاء قال

أنا أبو عبد الرحمن محمد

ابن عيسى بن شعيب

لأبني قال أنا أبو الحسن

عبد الرحمن بن محمد

للظفر الواعظ قال

أنا أبو محمد عبد الله

ابن أحمد السرخسي

قال أنا أبو عمران

عيسى بن عمر بن

العباس السمرقندي

قال أنا أبو محمد عبد الله

ابن عبد الرحمن

الداري قال أنا مجاهد

ابن موسى قال ثمانين

هو ابن عيسى أنه سأل

نحوه القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو نائمه والحاج البصير لا يهيمه من أمر الجبل إلا القدر الذي يقوى به على التمسك فيه ثم يهبطه وقلبه إلى السكينة والحج وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة ، فكذلك البصير في السفر إلى الآخرة لا يشتغل بتعمد البدن إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت الساء إلا بالضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجها من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن ههنا ما يدخل بطنه قيمته ما خرج منها أكثر مما ضل الناس عن الله تعالى هو البطن ، فإن القوت ضروري وأمر للسكن ولللبس أهون ولوعرقوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور وانصرفوا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا وإنما استغرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتابست أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة قاهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنستهم عاقبة أمورهم . فقول : الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق منكبين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطرب إلى ثلاث القوت وللسكن ولللبس فالقوت للبقاء واللبس لدفع الحر والبرد والسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والوالد ولم يخلق الله القوت والسكن واللبس مصالحيه يستغنى عن صنعة الإنسان فيه ، ثم خلق ذلك للبهائم فإن النبات ينمى الحيوان من غير طبع والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغنى عن البناء ويقتنع بالصحراء ولباسها شعورها وجودها فتستغنى عن اللباس والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتصاد والحياكة والبناء . أما البناء فللمسكن ، والحياكة وما يكتفها من أمر الثزل والحياطة فللملبس ، والفلاحة للمطعم ، والرعاية للمواشي والحيل . أما المعلم والركب ، والاقتصاد نفى به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب فالنخل يحصل النباتات والرعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها ، والقتن يحصل ما يبت وتنج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونفى بالاقتصاد ذلك ويدخل تحت صناعات وأشغال عدة ، ثم هذه الصناعات تنقسم إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتصاد والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب أو من المعادن كالحديد والبرص وغيرها أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع آخر من الصناعات التجارية الحداثة والحرز وهؤلاء هم عمال الآلات ونفى بالتجار كل عامل في الحطب كصفا كان والحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والبرص وغيرها وغرضنا ذكر الأجناس فأما أحاد الحرف فكثيرة . وأما الحراز فنحن به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها فهذه الصناعات . ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل مضطرب إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه وذلك لسببين : أحدهما حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان ولا يكون ذلك إلا بالاجتماع القدر والأشعر عشرتهما . والثاني التعاون على تهية أسباب الطعام ولللبس ولترية الولد فإن الاجتماع يغني إلى الولد لاعتالة الواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهية أسباب القوت ثم ليس يكفي الاجتماع مع أهل والولد في الثزل بل لا يمكنه أن يعيش كذلك مالم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فإن الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها وتحتاج الآلة إلى حداد ونجار ومحتاج الطعام إلى طحان وخباز وكذلك كيف يفرد بتحصيل لللبس وهو يغتفر إلى حراسة القطن والآلات الحياكة والحياطة

كعب الأبحار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال نعمة محمد ابن عبد الله يولد بمكة وبهاجر لطيفة ويكون ملكه بالشام وليس بضائع ولا صخاب في الأسواق ولا يكافى بالبيئة السيئة ولكن ينفو ويغفر ، أمته المحامدون يعمدون الله في كل سره ويكبرون الله على كل عجزهم يوضئون أطرافهم ويأترون في أوساطهم يصفون في صلاتهم يصفون في قتالهم دويهم في مساجد كدوى النحل يسمع منادهم في جو السماء فالإمام في الصلاة مقدمة الصف في محاربة الشيطان فهو أولى

وآلات كثيرة فذلك امتنع عيش الإنسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع ثم لواجتماعهم حواء مكتوفة لتأذوا بالحر والبرد والطر والصوص فافتقروا إلى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبماعه من الآلات والأثاث والمنازل تدفع الحر والبرد والطر وتدفع أذى الجيران من الصوصية وغيرها لكن المنازل قد قصدها جماعة من الصوص خارج المنازل فافتقر أهل المنازل إلى التناصر والتماون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتماولوا تولدت بينهم خصومات إذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للأبوين على الولد لأنه ضيف يحتاج إلى قوام به ومما حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم إذ ليس لها قوة الخاصة وإن ظلمت فالمرأة فتخاصم الزوج والولد فتخاصم الأبوين هذا في التزل ، وأما أهل البلد أيضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على للرعي والأراضي واليهاد وهي لا تقي بأغراضهم فيتنازعون للامعالة ثم قد يجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة يسمى أومرض أوهرم وتعرض عوارض غشافة ولور ترك ضائعا لهلك ولو وكل تخفه إلى الجميع لتناذروا ولو خص واحد من غير سبب بخصه كان لا بد من له فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى فمنها صناعة للساحة التي بها تعرف مقادير الأرض لتحكم القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع الصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل فصل الخصومة ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي أن يسبط به الحقائق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في العلامات وشروطها فهذه أمور سياسية لا بد منها ولا يشغل بها إلا خصوصون صفات مخصوصة من العلم والتجيز والهداية وإذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون إلى العايش ويحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستغفر الناس فست الحاجة إلى أن يصرف إلى معاشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مال لها إن كانت أو تصرف الفناء إليهم إن كانت الدواوة مع الكفار فإن كانوا أهل ديانة وورع فتعوا بالقليل من أموال الصالح وإن أرادوا التوسع فتمس الحاجة للامعالة إلى أن يمدم أهل البلد بأموالهم لمجدوم بالحراسة فتحدث الحاجة إلى الحراج ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الحراج الحاجة لصناعات أخرى إذ يحتاج إلى من يوظف الحراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال وإلى من يستوفي منهم بالرقق وهم الجباة ولتفرجون وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة وهم الخزان وإلى من يفرق عليهم بالعدل وهو القارض للمساكر وهذه الأعمال لو تولها عدد لا يحصهم رابطة أغرم النظام فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدبرهم وأمير مطاع يبين لكل عمل شخصاً ويختار لكل واحداً يليق به ويراعى النصف في أخذ الحراج وإعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بد الجنداء الذين هم أهل السلاح ويعد الملك الذي يراقبهم بالدين الكاثر يدبرهم الحاجة إلى الكتاب والخزان والحساب والحياة والعمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاغفال بالحرف فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو للسمى فرع الحراج ، وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمهترقون والثانية الجندة الخماة بالسيف والثالثة للثقة دون بين الطائفتين في الأخذ والمطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم ، فانظر كيف ابتداء الأمر من حاجة القوت والملبس

الصليين بالخسوع  
والإتيان بوظائف  
الأدب ظاهرا وباطنا  
والصلون للتيقظون كما  
اجتمعت ظواهرهم  
تجتمع بواطنهم  
وتناصر وتعاود  
وتسرى من البعض  
إلى البعض أنوار  
وبركات بل جميع  
السليين للصليين في  
أقطار الأرض بينهم  
تعاضد وتناصر بحسب  
القلوب ونسب الاسلام  
ورابطة الايمان بل  
يمدم الله تعالى بالملائكة  
الكرام كأمد رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
بالملائكة السوءيين  
حاجاتهم إلى محاربة  
الشیطان أسس من  
حاجاتهم إلى محاربة  
الكفار ولهذا كان  
يقول رسول الله صلى

والسكن وإلى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا ويفتح بسببه أبواب أخرى وهكذا تنهاى إلى غير حد محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهوأة منها سقط منها إلى أخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات إلا أنها لا تنم إلا بالأموال والآلات والمال عبارة عن أعيان الأرض وماعيلها مما ينتفع به وأعلها الأغذية ثم الأمكنة التي يأوى الإنسان إليها وهي الدور ثم الأمكنة التي يسمى فيها للتعبى كالخوانيت والأسواق وللزراع ثم السكوة ثم اثاث البيت والآلة ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقرة آلة الحرث والفرس آلة الركوب في الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والتجار يسكنون قرية لا يمكن فيها الزراعة فالضرورة محتاج الفلاح إليها ومحتاجان إلى الملاح فيحتاج أحدهما أن يبدل ماعنه للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق الماوضة إلا أن التجار مثلا إذا طلب من الفلاح الغذاء يأكله ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى آلة فلا يبيعه والفلاح إذا طلب الآلة من التجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتعوق في الأغراض فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليرصد بها صاحبها أرباب الحاجات وإلى آيات يجمع إليها ما يعمل الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الآيات ليرصد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الآواق والمخازن فيجعل الفلاح الحبوب فإذا لم يصادف محتاجا يباعها بضمن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار أرباب الحاجات طعاما في الربح وكذلك في جميع الأئمة والأموال ثم يحدث لاهالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشتررون من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات ويذنون ذلك ويتبعثون به لتنظم أمور الناس في البلاد بسببهم إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج إلى البعض فيخرج إلى النفل فيحدث التجار للتسكفون بالنقل وباعهم عليه حرص جمع السال لاهالة فيتمون طول الليل والنهار في الأسفار لقروض غيرهم وتصيبهم منها جمع السال الذي يأكله لاهالة غيرهم إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى في غلبتهم وجهلهم نظاما لبلاد ومصلحة للبلاد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتمت همهم زهدوا في الدنيا ولو ضلوا ذلك لبطلت المايعى ولو بطلت لها كواهلها لك الزهاد أيضا. ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدرا الإنسان على حملها فيحتاج إلى دواب تحملها وأصحاب السال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب البياع الحاجات إلى التقدين فان من يريد أن يشتري طعاما يتوب في أن يدرى المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والماملة تجرى في أجناس مختلفة كبايع ثوب بطعام وحيوان ثوب وهذه أمور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يوسط بين التبايعين يبدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك الدل من أعيان الأموال ثم يحتاج إلى مال يطول بقاءه لأن الحاجة إليه تدوم وأبقى الأموال للمادن فانخذت القود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فست الحاجة إلى دار الضرب والصارفة وهكذا تتداسى الأعمال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى مآثره فهذه أفعال الخلق وهي معاشهم وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشرة إلا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشغل به ويزعم عنه ما يقع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لجزءه عن الحرف فيحتاج إلى أن يأكل مما يسمى فيه غيره فيحدث منه حرقان خبيستان القوصية والسكداية إذ يجمعها أنهما يأكلان من سعى غيرهما ثم الناس يحترزون من القوص والسكدين ويحفظون عنهم أموالهم فانفقوا إلى صرف عقولهم في استنباط

الله عليه وسلم ورجعنا  
من الجهاد الأسفل إلى  
الجهاد الأكبر  
تقدركم الأملاك  
بل بأقسامهم الصادقة  
تساك الأملاك فإذا  
أراد الخروج من  
الصلاة يعلم على عينه  
وينوي مع التسليم  
الخروج من الصلاة  
والسلام على الملائكة  
والحاضرين من المؤمنين  
ومؤمنات الجن ويجعل  
خذه مبينا لمن على عينه  
يلوؤه عنقه ويفضل  
بين هذا السلام  
والسلام عن يساره  
قد ورد النبي عن  
المواصلة، وللمواصلة  
خمس اثنتان تخص  
بالامام وهو أن لا يوصل  
القراءة بالتكبير  
والركوع بالقراءة  
واثنتان على المأموم وهو

الحيل والدائير . أما اللصوص : فأنهم من يطلب أعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتعمون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد . وأما الضغائن منهم فيفزعون إلى الحيل إما بالثقب أو التليق عند انتهاز فرصة الغفلة وإما بأن يكون طرار أو سلا إلى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب مآنتجته الأثكار المروقة إلى استباطها . وأما السكدي فإنه إذا طلب ماسعي فيغيره وقيل له اتب واعمل كما عمل غيرك فثالث والطالة فلا يحطى حيثما فاقروا إلى حيلة في استخراج الأموال وتعيد المذر لأتسهم في الطالة فاحتالوا للتمل بالمعز إما بالحقيقة كجماعة يعمون أولادهم وأتسهم بالحيلة ليمنروا بالعمى فيعطون وإما بالتماسي والتفالج والتجانن والتمارض وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك حيلة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلمسون أقوالا وأضالا يتعجب الناس منها حتى تيسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخروا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتسخير والمها كآلة الشيعة والأضال للضحكة وقد يكون بالأشعار الفرية والكلام للنثور للسجع مع حسن الصوت والشعر الوزون أهد تأثيرا في النفس لاسيما إذا كان فيه نصب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة وضلائل أهل البيت أو الذي يحرك داعية المشق من أهل المجانة كسنة الطالين في الأسواق وصنعتا يشبه العوض وليس بعوض كبيع التوبذات والخشيش الذي يخيل بألمه أنها أدوية فيضع بذلك السبيان والجبال وكأصحاب القرعة والقائل من للتجنين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ والكدون على ردوس النابر إذا لم يكن ويراهم طائل على وكان غرضهم استيالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية وأنواعا تزيد على ألف نوع وألفين وكل ذلك استنبط بديق الفكرة لأجل العيشة فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبوا عليها وجروا إلى ذلك كله الحاجة إلى القوة والكسوة ولكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومقالبهم ففاهوا وضلوا وسبق إلى عقولهم الضعيفة بدران كدورتها زحمة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة فاقسمت مغايرهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه : فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا القصد أن نعيش أياما في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيا كلون ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمهترفين ومن ليس له تتم في الدنيا ولا قدم في الدين فإنه يتعب نهارا ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كبير السواني فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت وطائفة أخرى زعموا أنهم فطنوا لأمر وهو أنه ليس القصد أن يشقى الإنسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في أن يقضى وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهو لا نسوا أنفسهم وصرفوا همهم إلى اتباع النساء وجمع لذات الألعمة بأكل الأثام ويطنون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فشنلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فأسهبوا ليلهم وأتعبوا نهامهم في الجمع ففهم يتبون في الأسفار طول الليل والنهار ويترددون في الأعمال الشاقة ويكتسبون ويعمومون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة شحا وبغلا عليها أن تنقص وهذه قذتهم وفي ذلك مأهم وحركتهم إلى أن يدرکہم الموت فيبقى تحت الأرض أو يظفر به من يأكله في الشهوات والذوات فيكون للجوع تبه وبواله وللاكل لذته ثم الدين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يعتبرون . وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء وللح بالتجمل والروءة فهو لا يتبون في كسب العايش ويضيعون على أنفسهم في اللطم والمشر وبصرفون جميع ملهم إلى الملابس الحسنة والدواب

أن لا يوصل تكبيرة  
الاحرام بتكبيرة  
الامام ولا تسليمة  
بتسليمة وواحدة على  
الامام وللمؤمنين وهو  
أن لا يوصل تسليم  
القرض بتسليم النفل  
ويجزم التسليم ولا يعد  
مدا ثم يدعو بعد  
التسليم بما يشاء من  
أمر دينه ودنياه  
ويدعو قبل التسليم  
أيضا في صلب الصلاة  
فانه يستجاب ومن  
أقام الصلوات الخمس  
في جماعة فقد ملأ  
البر والبحر عبادة  
وكل المقامات والأحوال  
زبدتها الصلوات  
الخمس في جماعة وهي  
سر الدين وكفارة  
المؤمن ونجس  
للخطايا على ما أخبرنا  
شيخنا شيخ الاسلام

النفيسة ويترخفون أبواب الدور وما يقع عليها أضرار الناس حتى يقال إنه غف وإنه ذو ثروة ويظنون أن ذلك هي السعادة فهمتهم في نهارهم وليلهم في تهمد موقع نظر الناس . وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس واحتياج الخلق بالتواضع والتوقير صفروا همهم إلى استعجار الناس إلى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس وبرون أنهم إذا اتحت ولا يتهم واتقادت لهم رعاياهم قد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية للطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الماغلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكير في آخرتهم ومعادهم . ووراء هؤلاء طوائف بطول حصرها تزيد على ثيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وإنما جرمهم إلى جميع ذلك حاجة الطعم واللباس والسكن ونسوا ما أراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وإنجرت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها وتداعى بهم ذلك إلى مهال لم يمكنهم الرقي منها فن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية القصد منها فلا يخوض في شغل وحرقة وعمل إلا هو عاوم بقصوده وعالم بحفظه ونصيه منه وأن غاية مقصوده تعهد بدته بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك إن سلك فيمسيل التقليل اندفت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهممة إلى الاستعداد له وإن تعدى به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلل إلى غير نهاية فتشعب به المعلوم ومن تشعبت به المعلوم في أودية الدنيا فلا يبالى الله في أي وأداهلكم منها فإذ شأنا للزممكن في أشغال الدنيا وتنبه ذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فسدتم الشيطان ولم يتركهم وأسلمهم في الاعراض أيضا حتى انقسموا إلى طوائف فظننت طائفة أن الدنيا دار بلاء وعنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء تعبد في الدنيا أو لم يتعبد فأروا أن الصواب أن أن يقنوا أنفسهم للذلاص من عنة الدنيا وإليه ذهب طوائف من البعاد من أهل الهند فهم يتجهجون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق ويظنون أن ذلك خلاص لهم من عمن الدنيا وظننت طائفة أخرى أن القتل لاخلص بل لا بد لأول من إمامة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وشهدوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فقد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة وبعضهم عجز عن قلع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبس لأصل له فوقع في الإلحاد وظهر لبعضهم أن هذا التعب كله لله وأن الله تعالى مستغن عن عبادة البعاد لا ينقصه عسبان عاص ولا تزيد عبادة متعبد فعدوا إلى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطواوا بساط الشرع والأحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة البعاد وظن طائفة أن القصد من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى فإذا حصلت المعرفة قد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيطة فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنه ارضع علمهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتحنوا بالكثايف وإنما التكليف على عوالم الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة بطول إحصائها إلى ما يبلغ ثيفا وسبعين فرقة وإنما الذلجى منها فرقة واحدة وهي السالكه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقطع الشهوات بالكلية أما الدنيا فأخذ منها قدر الزاد وأما الشهوات فيقطع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والمقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يتقوى به البدن على العبادة

ضياء الدين أبو العجب السهروردي رحمه الله إجازة قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري إجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس بن زكريا قال ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن عاصد قال ثنا الحسين بن الحسن المروزي قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا يحيى ابن عبد الله قال سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والصلوات الخمس كنارات لأخطايا فردوا إن شئتم» إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى لهذا كرم» .



ومن للسكن ما يحفظ عن الموص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنهه واشتغل بالله كره والسكر طول المعروبي ملازم لسياسة الشهوات ومراقب لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالقداء بالفرقة الناجية يوم الصبابة فإنه عليه السلام لما قال «التأجى منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم؟ قال أهل السنة والجماعة قليل ومن أهل السنة والجماعة؟ قال ما أنا عليه وأصحابي»<sup>(١)</sup> وقد كانوا على التبرج القصد وعلى السبل الواضح الذى ضلناه من قبل فاتهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدنيا وما كانوا يترهبون ويهجون الدنيا بالسكينة وما كان لهم فى الأمور تحريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك هو المذهب والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره فى مواضع والله أعلم.

ثم كتاب ذم الدنيا والمحدث أولا وآخرها صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

### (كتاب ذم البخل وذم حب المال)

(وهو الكتاب السابع من ربيع الهملكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مستوجب الحمد رزقه اليسوط ، وكاشف الضرر سد القنوط ، الذى خلق الخلق ، ووسع الرزق ، وأدخلى على العالمين أصناف الأموال ، وأبشاهم فيها بتقلب الأحوال . ورددهم فيها بين السر واليسر والنقى والفقر والطمع والياس والثروة والإفلاس والعجز والاستطاعة والحرس والقناعة والبخل والجود والفرح بالوجود والأسف على الفقد والإيتار والإشفاق والتوسع والإيلاق والتبذير والتنتير والرضا بالتقابل واستحقاق الكثير كل ذلك ليلاهم أيهم أحسن محملا وينظر أيهم آخر الدنيا على الآخرة بدلا وأغنى عن الآخرة هدولا وحولا وأخذ الدنيا ذخيرة وخولا . والصلاة على محمد الذى نسج بخله ملا وطوى بشريته أديا : ومحلا على آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذلا وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن فتن الدنيا كثيرة الشبه والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف ولكن الأموال عظم فتنها وأظم عنها وأعظم فتنة فيها أنه لا فنى لأحد عنها إنما وجدت فلا سلامة منها فإن فقد المال حصل منه الفقر الذى يكاد أن يكون كفرا وإن وجد حصل منه الطيقان الذى لا يكون عاقبة أمره إلا خسران . وبالجملة فهى لا تخلو من القوائد والآفات وفوائدها من النجيات وآفاتها من الهملكات وتميز خيرها عن شرها من المعوصات التى لا تقوى عليها إلا ذوو البصائر فى الدين من العلماء الراغبين دون المترصين المترين وتشرح ذلك مهم على الأفراد فإن ما ذكرناه فى كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا فى المسال خاصة بل فى الدنيا عامة إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمسال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتنشئ القبيح حكم الضرب والحسد

(١) حديث أترق الأمة وفيه التأجى منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة الحديث الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه تترقى أمقى على ثلاث وسبعين مئة كلهم فى النار إلا ملة واحدة قتالوا من هى يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي ولأبى داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهى الجماعة وأسانيدها جيد .

(كتاب ذم البخل وذم حب المال)

[الباب الثامن]

والصالحون فى ذكر

آداب الصلاة

وأسرارها

أحسن آداب الصل

أن لا يكون مشغول

القلب بشئ قل أو كثر

لأن الأكياس لم يرضوا

الدنيا إلا ليقسوا

الصلاة كما أصرها لأن

الدنيا وأهملها لما

كانت شاغلة لقلب

يرضوها خيرة على

عمل المناجاة ورغبة

فى أوطان القبريات

وإذعانا بالباطن لرب

البريات لأن حضور

الصلاة بالظاهر إذعان

الظاهر و فراغ القلب

فى الصلاة محاسن

الله تعالى إذعان الباطن

فقر وياحضور الظاهر

وتخلف الباطن حتى

لا يغفل إذعائهم فتختم

عبوديتهم فيجتنب أن

بعضها والكبر وطلب المال بعضها. ولها أبعاد كثيرة وبمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في السال وحده إذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقهه صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختيار والامتحان. ثم الفاقده حالتان: القناعة والحرص وإحداها مذمومة والأخرى معجوبة وللحرص حالتان طمع فيها في أيدي الناس وتشمير الحزب والصناعات مع اليأس عن الحاق والطمع شر الحاتين. وللاوجد حالان: إسالة بحكم البخل والشح وإشفاق وإحداها مذمومة ولأخرى محمود وللشفق حالتان تبرز اقتصادا والمهمود وهو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف النظام عن التموض فيها مهم. ونحن نعرض ذلك في أربعة عشر فصلا إن شاء الله تعالى وهو بيان ذم السال ثم مدحه ثم تفصيل فوائده السال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الأغنياء ثم ذم البخل ثم حكايات الجلاء ثم الآثار وغضه ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في السال ثم ذم الغنى ومدح الفقر إن شاء الله تعالى.

### (بيان ذم اللال وكراهة حبه)

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون - وقال تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم - فمن احتار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وخسرنا عظيما، وقال عز وجل - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - الآية - وقال تعالى - إن الإنسان ليطغى أن أراه أسمى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - وقال تعالى - ألم تترككم - وقال رسول الله ﷺ - حب للال والشرف يقتلن التعاق في القلب كما خبث الماء البقل (١)، وقال صلى الله عليه وسلم - ما ذهبتان ضاريتان أرسلتا في زينة غم بكثر إفساد أخيهما من حب الشرف واللال والجاه في دين الرجل للسم (٢)، وقال صلى الله عليه وسلم - هلك السكرون لإمان قال به في عباد الله هكذا وهكذا قليل مام (٣)، وقيل - يا رسول الله أي أمتك شر قال - الأغنياء (٤)، وقال صلى الله عليه وسلم - لا سيأر بعدكم قوم يأكلون أطيب الدنيا ولو أنها لو ركبون

يكون باطنه مرته  
جبه ويدخل الصلاة  
وقيل من فقه الرجل  
أن يبدأ بقضاء حاجته  
قبل الصلاة ولهذا  
ورد وإذا حضر العشاء  
والعشاء تقدم والعشاء  
على العشاء ولا يصلي  
وهو حاقن يطالبه البول  
ولا حارق يطالبه النط  
والحرق أيضا ضيق  
الحب ولا يصلي أيضا  
وخفه ضيق يشغل قلبه  
قد قيل لا رأى لحارق  
قبل الذي يكون معه  
ضيق في الجملة ليس من  
الأدب أن يحل وعنده  
ما يغير مزاج طنه عن  
الإعتدال كنهه لأشياء  
التي ذكرناها وإلهام  
الفرط والغضب وفي  
الغضب ولا يدخل معه كم  
في الصلاة وهو مطب  
ولا يصلي أحدكم وهو

(١) حديث حب السال والشرف يذبن العقل في القلب كما يثبت الماء البقل لم أجده بهذا اللفظ وذكره بعد هذا بلفظ الجاه بدل الشرف (٢) حديث ما ذهبتان ضاريتان أرسلتا في زينة غم بأكثر فسادا لها من حب للال والجاه في دين الرجل للسم الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث كعب بن مالك وقالا جاثان مكان ضاريتان ولم غولا في زينة وقالا الشرف بدل الجاه قال الترمذي حسن صحيح والطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد ما ذهبتان ضاريتان في زينة غم الحديث وللإمام من حديث أبي هريرة ضاريتان جاثان واستاد الطبراني فيها ضعيف (٣) حديث هلك الأكرثون لإمان قال صلى الله عليه وسلم - هلك السكرون لإمان قال به في عباد الله هكذا وهكذا قليل مام (٤) حديث في عباد الله وهو متفق عليه من حديث أبي ذر بلفظ هم الأخصرون فقال أبو ذر من هم فقال هم الأكرثون أموالا إلا من قال هكذا الحديث (٥) حديث قيل يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء غريب لم أجده بهذا اللفظ والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن جعفر شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغدوا به يأكلون من الطعم لو أنوا وفيه أصرم بن حوشب ضعيف ورواه هاد بن السري في الزهد من رواية عروة بن ربيع مر سلا وللإمام من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إن من شرار أمتي الذين غفوا النعيم وتنت عليه أجسامهم.

فره الخيل وألوانها وشكعون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لم يطون من القليل لاتشبع وأنسى الكثير لاتنفع ما تكون على الدنيا يندون وروحون إليها اتخذوها آلهتهم دون إلههم وربا دون ربهم إلى أمرها يتهون ولطوام يتعون فزعة من محمد بن عبد الله ابن أدرکه ذلك الزمان من عقب عبيك وخلف خلفك أن لا يسلم عليهم ولا يودم رضاهم ولا يبيع جنازتهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام (١) وقال صلى الله عليه وسلم «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حظه وهو لا يشتر (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأفنت (٣)» وقال رجل «يا رسول الله مالي لأحب للوث قال هل معك من مال؟ قال نعم يا رسول الله قال قدم لك فان قلب المؤمن مع الله إن قدمه أحب أن يلقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره والثالث إلى عثرته فالتى يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله والتى يتبعه إلى قبره فهو أهله والتى يتبعه إلى عثرته فهو سمه (٥)» وقال الحواريون لميسى عليه السلام : مالك تمشى على الماء ولا تنهد على ذلك ؟ فقال لهم ما منزلة الدنار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لهما وللدرهم عندى سواء . وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضى الله عنهما : يا أخى إياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كلها تسكبأه الصراط له ماله امضى فقد أدبت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كفيه كلها تسكبأه الصراط ذل له ماله ويملك ألا أدبت حق الله في فإ يزال كذلك حتى يدعو بالويل والتبور (٦)» وكل ما أوردهنا في كتاب الزهد والفرق في ضم القنى ومدح الفقر يرجع جمعه إلى دم تسال فلا نطول بشكر بزمه وكذا كل ما ذكرناه في ضم الدنيا في تناول دم السال يحكم العموم لأن السال أعظم أركان الدنيا وإيمانك كرا لأن ما ورد في السال خاصة آل صلى الله عليه وسلم «إذا مات العبد له ثلاثا تسكبأه وقال الناس ما خلف (٧)»

(١) حديث سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها وشكعون أجمل النساء وألوانها الحديث بطوله الطبراني في الكبير والأوسط من حديث أنس أمة سيكون رجال من أمم يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يتشددون في الكلام أولئك شرار أمم وسنده ضعيف ولم أجده لبقائه أصلا (٢) حديث دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حظه وهو لا يشتر البزار من حديث أنس وفيه هامش بن التوكل صفه ابن حبان (٣) حديث يقول العبد مالي مالي الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وأبي هريرة قد تقدم (٤) حديث قال رجل يا رسول الله مالي لأحب للوث الحديث لم أتبع عليه (٥) حديث أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره الحديث أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث التيمان بن بشر بإسناد جيد نحوه ورواه أبو داود الطيالسي وأبو الشيخ في كتاب الثواب والطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضا وفي الكبير من حديث سمرة بن جندب وللشيخين من حديث أنس يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد الحديث (٦) حديث كتب سلمان إلى أبي الدرداء وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه الحديث . قلت ليس هو من حديث سلمان إنما هو من حديث أبي الدرداء أنه كتب إلى سلمان كذا رواه البيهقي في الشعب وقال بدله الدنيا المسال وهو منقطع (٧) حديث إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة

غضبان «فلا ينبغي للعبد أن يتلى بالصلاة إلا وهو على أتم الحيات وأحسن لبسة المصلين يسكنون الأطراف وعسم الألفاظ والإطراق ووضع الجبين على التراب لما أحسنا من حيث جسد ذليل واقف بين يدي ملك عزز وفي رخصبة شمع دون الثلاث حركات متواليات يمتاز وأراب المزمعة بتركون الحركة في الصلاة جملة وقد حركته يدي في الصلاة وعندى شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلاة أنكر على وقال عند إن العبد إذا وقف في الصلاة ينبغي أن يبقى جامدا مجمدا لا يتحرك منه شيء . وقد جاء

وقال صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا الضعة فتجربوا الدنيا » (١) . الآثار : روى أن رجلا نال من أنى البرداء وأراه سودا فقال اللهم من قبل بي سودا فأصبح جسمه وأطل عمره وأكثرت ماله فانظر كيف رأى كثرة اللئال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لأنه لا بد وأن يقضى إلى الطغيان. ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما إنك ما لم تخرج عنى لاتفتنى . وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش بمطابخها فقالت ما هذا ؟ فلو أرسل إليك عمر بن الخطاب قالت فخر الله الله ثم سلت سترًا كان لها قطعتة وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يدها وقالت : اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد ماى هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رخصهما لميس ثم وضعهما على جبينه ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا وقال عبيد بن رافع إن الدرهم والدينارين أئمة للناقضين يقادون بها إلى النار . وقال يحيى بن معاذ الدرهم عرق فان لم تحسن رقيقته فلا تأخذه فانه إن لدغك تنلك معه قبل وما رقيقته قال أخذه من حله ووضعه في حقه وقد علاه ابن زياد ثملت في الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقلت إن شرك أن يبيدك الله منى فأبيض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أمتانها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل :

إني وجدت فلا تظنوا غيري أن التورع عند هذا الدرهم  
فأما قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن تلك تحوى للهم

وفي ذلك قيل أيضا :

لا يضرنك من لره . فليس رقة أو إزار فوق عظم الساق منه رقة  
أو جبين لاح فيه . أثر قد خلعه أراه الدرهم تصرف حبه أو ورعه

وروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال بأمر المؤمنين صنعت صنعا لم يصعه أحد قبلك تركت ولديك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من أولاد فقال عمر أقصدوني فأقدموه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فاني لم أمتهم فخا لهم ولم أعظم حقا لغيرهم وإنما ولدي أحد رجلين إما مطيع لله فأنه كافيه والله يتولى الصالحين وإما عاص لله فلا أبالي على ما وقع . وروى أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقتله لئال لو ادخرته لمولده من بعده فل لا ولكي أدخره لنفسه عند ربي وأدخره لولدي . وروى أن رجلا قال لأبي عبد الله ما أضي لا تنهب بشر وتترك أولادك غير فأخرج أبو عبد الله مائة ألف درهم ودل يحيى بن معاذ مئتين لم يسمع الأولون والآخرون بثمنها للبد في ماله عند موته قيل وما قال يؤخذ منه كله ويصل عنه كله .

( بيان مدح اللئال والجمع بينه وبين التمس )

اعلم أن الله تعالى قد سمى اللئال خيرا في مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز - إن ترك خيرا - الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم اللئال الصالح للرجل الصالح » (٢) وكل ما جاء في ثواب الصدقة والجمع فهو ثناء على اللئال إذ لا يمكن الوصول إليها إلا به وقال تعالى - ويستخرجنا من كثرها رحمة من ربك - وقال تعالى فمنا على عادة - ويعيدكم بأموال ونين ويحمل لكم جنات ويحمل لكم

يلج به وقد تقدم في آداب الصحبة (١) حديث لا تخذوا الضعة فتجربوا الدنيا الترمذي والحاكم وصححه إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ قرعوا (٢) حديث نعم اللئال الصالح للرجل الصالح أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح اللفظ نعموا قال للمرد.

في الخبر « مجة  
أشياء في الصلاة  
من الشيطان : لعاف  
والناس ولو توسعة  
والنؤب والحسك  
واللثاق « والفث  
الكس من الشيطان  
يضأ وقيل السهو  
والشك . وقد روى  
عن عبد الله بن عباس  
رضي الله عنهما أنهما  
إن الحشوع في الصلاة  
أن لا يعرف الصلي من  
على يمينه ويحمله . وقيل  
عن صفيان أنه قال :  
من لم يجمع قدس  
صلاته ، وروى عن معاذ  
ابن جبل أنه سمع من  
ذلك قل : من عرف  
من عن يمينه ويحمله  
في الصلاة متحمدا فلا  
صلاة له وقال بعض  
العلماء من قرأ كلمة  
مكتوبة في حائط أو

انما را - وقال صلى الله عليه وسلم «كاد الفقر أن يكون كفرا»<sup>(١)</sup> وهو تدعى على المال ولا تقب على وجه الجمع بعد القم وللح إلا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائه حتى يتكشف لك أنه خير من وجهه وشر من وجهه وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فإنه ليس خير محض ولا شر محض بل هو سبب الأثرين جميعا وما هذا وصفه في سراج العالمة تارة ويذم أخرى ولكن البصر المميز يدرك أن الممجد منه غير المذموم وببانه بالامتداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر الملقح فيه هو أن مقصد الألباس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعم الدائم وللك النعم والمقد إلى هذا دأب السكرام والألباس إذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «من أكرم الناس وأكسبهم فقال: أكرمهم الموت ذكرنا وأقدمهم امتدادا»<sup>(٢)</sup> وهذه السعادة لا تتأهل إلا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالجمال وسائر الأسباب وأعلىها النسبة ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة أحسنها والمال من جملة الخارجات وأدناها الزهرا والديناير فإنها خادمان ولا خادم لها وما إذا نزلت بها ولا يراد أن لها بها إذ النفس هي الجوهر العيس للطلب سعادتها وأنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء والطعام ولللباس يخدم البدن وقد سبق أن المقصود من الطعام إبقاء البدن ومن اللباس إبقاء النفس ومن البدن تكبريل النفس وتزيينها بالملم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجهه وشره وأنه من حيث هو ضرورة للطعام ولللباس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لذلك الغاية ملتفتا إليه غير ناس لها فقد أحسن واتسع وكان ما حصل له العرض محمودا في حقه فاذا نال المال آلة ووسيلة إلى مقصود صحيح ووصلح أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادرة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو إذا محمود مذموم محمود بالإضافة إلى المقصد المحمود ومذموم بالإضافة إلى المقصد المذموم فمن أخدم من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو لا يشمر<sup>(٣)</sup> كأورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطمة لسبيل الله وكان المال مسلا لها وآلة إليها عظم الخطر فإنما يزيد على قدر السكينة فاستأذ الأنبياء من شره حتى قال نبياء عليه الصلاة والسلام «اللهم اجعل قوت آل محمد كقوت آل عيسى» فلم يطلب من الدنيا إلا ما يمتنع خيره وقال «اللهم أحیی مسكينا وأميت مسكينا واحشني في رمة الساكنين»<sup>(٤)</sup> واستأذ إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال - واجنبي وبني أن نعيد الأصنام وعني بها هذين الحبرين النصب والنقصة إذ رتبة النبوة أجل من يخشى عليها أن تقصد الإلهية في شيء من هذه الحجارة إذ أقد كفى قبل النبوة عبادتها مع الصغر وإنما معنى عبادتها جملها والاعتقار جملها والركون

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا أبو مسلم اللخمي في سننه والبيهقي في شعب الأيمان من حديث أنس وقد تقدم في كتاب ذم النصب (٢) حديث من أكرم الناس وأكسبهم قال أكرمهم الموت ذكرنا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ أي المؤمنين أكيس ورواه ابن أبي الدنيا في الموت بلفظ المصنف وإسناده جيد (٣) حديث من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو لا يشمر تقدم قبله بتسعة أحاديث وهو بعبارة أحذروا الدنيا (٤) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد كقوت آل عيسى عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللهم أحیی مسكينا وأميت مسكينا الترمذي من حديث أنس وابن ماجه والحاكم وصححه بإسناد من حديث أبي سعيد وقد تقدم .

بساط في صلاته فصلاته  
باطلة قال بعضهم لأن  
ذلك عدوه عملا وقيل  
في تفسير قوله تعالى  
- والذين هم على صلاتهم  
داهون - قيل هو  
سكون الأطراف  
والطعام نيسة . قال  
بعضهم إذا سكبت  
النسيئة الأولى فاعلم  
أن الله ناظر إلى ضعفك  
عالم بما في ضميرك  
ومثل في صلاتك الجفة  
عن يمينك والناظر عن  
شمالك وإنما ذكرنا  
أن تمثل الجنة والنار  
لأن القلب إذا هزل  
بذكر الآخرة ينقطع  
عنه الوسواس فيكون  
هذا التمثيل تدابيرا  
لقلب يدفع الوسوسة .  
أخبرنا شيخنا  
ضياء الدين أبو النجيب  
السهروردي بإجازة قال

إليها قال نبينا صلى الله عليه وسلم «تس عبد الدينار وتس عبد الدرهم تس ولا تمشي وإذا شيك فلا تنقش»<sup>(١)</sup> فيمن أن محبها عابدها ومن عابدها فهو عابدها من كل من كان عبدا لله فهو عابده من أي من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كما بدت وهو شرك إلا أن الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار ولما يتفك عنه المؤمنون فانه أخفى من دبيب الخلق وشرك جلي يوجب الخلود في النار نموذج بالله من الجميع .

### ( بيان تفصيل آفات اللال وفوائده )

اعلم أن اللال مثل حبة فيها سم وتزيق فوائده ترياقه وغوائله مومه لمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره . أما القوائد : فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية : أما لدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فان معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم ينهالكوا على طلبها وأما الدينية فتتخصر جميعا في ثلاثة أنواع . النوع الأول : أن ينقذ على نفسه إماني عبادة أو في الاستعانة على عبادة أما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل إليه إلا بالمال وهما من أهوات القربايت والفقير محروم من فضلها وأما فيما يقويه على العبادة فذلك هو العلم واللبس والسكن والنسك وضروورات العيشة فان هذه الحاجات إذا لم تيسر كان القلب مصروفا إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين ومالا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة فأخذ السكافة من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين من العوائد الدينية ولا يدخل في هذا التتم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط . النوع الثاني : ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام . أما الصدقة فلا يغنى ثوابها وإنما لتطفي غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلا فيما تقدم . وأما المروءة فعنى بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وما يجري مجراها فان هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من القوائد الدينية إذ به يكتب الصد الأخوان والأصدقاء وبه يكتب صفة السخاء وينتقى بزره الأسيخاء فلا يوصف بالجوذ إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والقوة وهذا أيضا من أعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من خير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها . وأما وقاية العرض فعنى به بئذ المال لدفع هجو الشراء وثلب السفهاء وقطع السنهم ووضع شرهم وهو أيضا من تجز فآلده في الحاجة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما وى به المرء عرضه كتب له به صدقة»<sup>(٢)</sup> وكيف لا وفيه منع المتأب عن مصيبة النية واحتراز عما يتور من كلامه من الدواوة التي تحمل في المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة . وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان تتيه أسبابه كثيرة ولولاها بغسه ضاعت أوقاته وتعدر عليه سلوك سبيل الآخرة بالتفكير والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه كنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيره ويحصل به غرضه فانت متعوب إذا اشتغلت به إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر مالا يتصور أن يقوم به غيرك فتضيع الوقت في غيره خسران

أنا عمر بن أحمد  
الصغار قال أنا أبو بكر  
ابن خلف قال أنا  
أبو عبد الرحمن قال  
صحت أبا الحسين  
الفارسي يقول صحت  
محمد بن الحسين يقول  
قال سهل من خلا قلبه  
عن ذبيح الآخرة  
تعرض لوساوس  
الشيطان فأما من بالشر  
بالنفس فهو اليقين  
ونور المعرفة فيستغنى  
بشأه عن تمثيل  
مشاهدة قال أبو سعيد  
الحراز إذا ركع لأدب  
في ركوعه أن ينتصب  
ويدين ويهدى في  
ركوعه حتى لا يبقى  
منه مفصل إلا وهو  
منتصب نحو العرش  
العزيز ثم يعظم الله  
تعالى حتى لا يسكون  
في قلبه شيء أعظم

(١) حديث تس عبد الدينار تس عبد الدرهم الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ولم يقل وانتش وإعنا على آخره بل فقط تس وانتكس ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم (٢) حديث ما وى المرء عرضه به فهو صدقة أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم .

النوع الثالث : مالا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء الساجد والقنابر والرباطات ودور للرعى ونصب الحباب في الطريق وغير ذلك من الأوقاف الرصدة لخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدائرة بعد الموت للستجابة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متبادلة وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحفظ والمحافظة من التخلص من ذلك السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى البر والمجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يتنصيه المال من الحفظ والدينية . وأما الآفات فدينية ودنيوية أما الدينية ثلاث . الأولى : أن يجر إلى المعاصي فإن الشهوات متفاداة والمعززة بحول بين لذه وللصحة ومن الصحة أن لا يجد وبهما كان الإنسان آيسا عن نوع من الصية لم تحرك داعيته فإذا استثمر القدرة عليها انضمت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي والتركيب الفجور فإن اقتحم ما اشتاء هلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد فتنة البراء أعظم من فتنة الضراء . الثانية : أنه يجر إلى التهم في اللباحات وهذا أول الدرجات فقي يقدّر صاحب المال على أن يتناول خير الشعر وبليس الثوب الحسن وبترك لذائذ الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام في ملكه فأحسن أحواله أن يتمم بالديار ويمرن عليها ثمه فيصير التهم مأكوتا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه إلى البعض فإذا اعتداه به برما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيفتح الشبهات ويحوض في الرأفة والداهنة والكذب والظاني وسائر الأخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياء وينسبر له تنعمه فإن من كثر ماله كثر حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن ياتقهم ويهين الله في طلب رضام فإن سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الحفظ فلا يسلم من هذه أصلا ومن الحاجة إلى الخلق ثور العداوة والصدافة وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والغيرة وسائر المعاصي التي تفسد القلب واللسان ولا يغلو عن التمدى أيضا إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه . الثالثة : وهي التي لا ينفع عنها أحد وهو أنه يلجأ لإصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما تشغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام : في المال ثلاث آفات أن يأخذ منه عير حله ، قيل إن أخذ منه حله ؟ قال يسهه في عير حقه قيل إن وضعه في حقه فقال يشغله لإصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء الضال فإن أصل العبادات ومغها وسرها ذكر الله والتفكير في جلالة وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضجة عسى ويصبح متفكرا في خصوصية الفلاح ومحاسبتها وفي خصوصية الشركاء ومنافعهم في الماء والحدود وخصوصية أعوان السلطان في الخراج وخصوصية الأجراء على التقصير في العمارة وخصوصية الفلاحين في خيائهم وسرقهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر أصناف الأموال ويهدأ عن كثرة الشغل النقد المكثور تحت الأرض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يجر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه وأودبه أن يسكر الدنيا لانهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية يسوى ما يقاميه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والتفكير والهم والتعب في دفع الحساد ونجس المصاعب في حفظ المال وكسبه فاذن رباق المال أخذ التوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عدا ذلك مسموم وآفات نال الله تعالى السلامة وحسن اللون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير .

من الله ويصرف في نفسه حتى يكون أقل من الجاه وإذ ارفع رأسه وحده الله يعلم أنه سبحانه وتعالى يسمع ذلك . وقال أيضا ويكون منه من الخشية ما يكاد يذوب به . قال السراج إذا أخذ العبد في التسلاوة فلا أدب في ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى وكأنه يقرأ على الله تعالى . وقال السراج أيضا من أذهب قلب الصلاة إلى القوم مراعاة القلب من الخواطر والمواضع ونفى كل شيء غير الله تعالى فلا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيكون مع النفس

( بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة والياس بما في أيدي الناس )

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً بقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حرصاً على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يتبع بقدر الضرورة من الطعام والملبس والسكن ويقتصر على أهله قدر ما وأخيه نوماً ويرد أمه إلى بوم أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما يد شهوره فان تشوق إلى الكثير أو طول أمه فانه عز القناعة وتدنى لهالة الطمع ودل الحرص وجره الحرص والطمع إلى مساوي الأخلاق وارتكاب التكرات الخارقة للمروآت وقد جبل الأدي على الحرص والطمع وفقه القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تَاب » وعن أبي واقد الليثي قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أتيتاه فلما دعا أوحى إليه بقتله ذات يوم فقال : إن الله عز وجل يقول : إنا أنزلنا للمال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثمان ولو كان له الثاني لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تَاب » وقال أبو موسى الأشعري زلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديان من مال لغنى واديان ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تَاب » وقال صلى الله عليه وسلم « من هوام لا يشعان منوم العلم ومنوم المال » وقال صلى الله عليه وسلم « يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب المال أو كما قال » ولما كانت هذه جيلة للأدي مغلّة وخرقة مهلكة أتى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن أحد فقير ولا غني إلا ود يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس الغنى من كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس » ونهى عن شدة الحرص ونبأ بالغنى الطلب فقال « ألا أيها الناس أجعلوا في الطلب فانه ليس لبيد إلا ما كتب له ولن ينهب عيد من الدنيا حق بأية ما كتب له من الدنيا وهي راحة »

(١) حديث لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس (٢) حديث أبي واقد الليثي إن الله عز وجل يقول : إنا أنزلنا للمال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - الحديث أحمد والبيهقي في الشعب بسند صحيح (٣) حديث أبي موسى زلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم لو أن لابن آدم واديان من مال الحديث مسلم مع اختلاف دون قوله إن الله يؤيد هذا الدين ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه طي بن زيد متسكماً به (٤) حديث منومان لا يشعان الحديث الطبراني من حديث بن مسعود بسند ضعيف (٥) حديث يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من حديث فضالة بن عبيد وسلم من حديث عيد الله بن عمرو قد أفلع من أسلم وورق كفافاً وقنع الله بما آتاه (٧) حديث مامن أحد غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا فوتا ابن ماجه من رواية تميم بن الحارث عن أنس وقنع ضعيف (٨) حديث ليس الغنى من كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس متفق عليه من حديث أبي هريرة (٩) حديث ألا أيها الناس أجعلوا في الطلب فانه ليس لبيد إلا ما كتب له الحاكم من حديث جابر بنحوه وصححه إسناده وقد تقدم في آداب الكسب والعاش .

والعمل الذين دخلوا في الصلاة بها فإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى طمغ من حشور القلب فكأنهم أبداً في الصلاة فهذا هو أدب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يبتلى له حفظ العدد من كمال استخراجه وكان يجلس واحد من أصحابه يحد عليه كم ركعة صلى . وقيل : فصلاة أربع شعب حشور القلب في الحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وشروع القلب بلا اوتياب وضوع الأركان بلا ارتقاب لأن عند حشور القلب رفع الحجاب وعند شهود الضلوع التاب وعند حشود النفس فتح الأبواب وعند خضوع



وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أيّ عبادك أغني؟ قال أنعمهم بما أعطيتهم ولأبهم أعدل؟ قال من أنصف من نفسه. وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن روح القدس نفث في روعي إن قسا لن تموت حتى تستكمل رزقكم فاتقوا الله وأجروا على الطلب» (١) وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فليك رغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار» وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قسا تكن أشكر الناس وأحب الناس ماحب نفسك تكن مؤمنا» (٢) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطعم فيما روله أبو أيوب الأنصاري: «أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم قتل يارسول الله عظمي وأوجز قال: إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا وأجمع اليأس مما في أيدي الناس» (٣) وقال عوف بن مالك الأشجعي: «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تباعون رسول الله قنا أو ليس قد باعناك يارسول الله ثم قال ألا تباعون رسول الله فبسطنا أيدينا فباعناه فقال قائل منا قد باعناك فلي ماذا نبيعك؟ قال أن تصدوا الله ولا تشركوا به شيئا وصلوا الخس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا» (٤) قال فلقد كان بعض أولئك الفريسة سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه. الآثار: قال عمر رضي الله عنه: «إن الطعم قهر وإن اليأس غنى وإنه من يئس مما في أيدي الناس استغنى عنهم. وقيل لبعض الحكماء: ما ألقى؟ قال قلة نبيك ورضاك بما يكتفيك وفي ذلك قيل:

المعيش ساحت تمر وخطوب أيام تحسّر  
أقم بميشك ترسه وأرك هواك تبش حر  
فأرب حث ساقه ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يمل الحزب اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد. وقال سفيان: خير دينكم ما لم يتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم. وقال ابن مسعود: مامن يوم إلا وملك ينادي يا ابن آدم قليل بكتيك خير من كثير بطنيك. وقال سميط بن هبلان: إنما بطنك يا ابن آدم خير في شر قلم يدخلك النار. وقيل لحكيم ما مالك قال التجلد في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس. ويروي أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت وإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابي على غيرك قنا إليك محسن. وقال ابن مسعود: إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل يقول إنك وإنك يقطع ظهرك فاعما يأتيه ما قسم له من الرزق أو مارزق. وكتب بعض بني أمية إلى أبي الحازم يعزم عليه ألا يرض إلا إليه حوائجهم فكتب إليه قد رقت حوائجي إلى مولاي لما أعطني منها قبلت

(١) حديث ابن مسعود إن روح القدس نفث في روعي إن قسا لن تموت حتى تستكمل رزقكم الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحكماء مع اختلاف وقد تقدم فيه (٢) حديث أبي هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث أبي أيوب إذا صليت فصل صلاته ودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه وجمع اليأس مما في أيدي الناس ابن ماجه وتقدم في الصلاة كما نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الإسناد (٤) حديث عوف بن مالك كما عذر رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أو ثمانية أو تسعة قتل ألا تباعون الحديث وقيل لا تسألوا الناس. مسلم من حديثه ولم يخل قال قائل ولا قال تسموا وقل سوط أعدم وهي عند أبي داود وابن ماجه كاد كرها الصب

الأركان وجود الثواب  
فمن أتى الصلاة بلا  
حضور القلب فهو  
مصل لاه ومن أتاه  
بلا شهود العقل فهو  
مصل ماه ومن أتاه  
بلا خضوع النفس فهو  
مصل خاطي ومن  
أتاه بلا خشوع  
الأركان فهو مصل  
جاف ومن أتاه كما  
وصف فهو مصل واف.  
وقد ورد عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
«إذا قام البدل إلى  
الصلاة المكتوبة مقبلا  
على الله بقلبه وصمته  
وبصره انصرف من  
صلاته وقد خرج من  
دنوه كيوم ولدته أمه  
والله لا يغفر بشل الوجه  
خطيئة أصابها وبشل  
يديه خطيئة أصابها  
وبشل رجليه خطيئة

وما أمسك عن قنص . وقيل لبعض الحكماء : أي شيء أسر للعامل وأبما شيء أعون على دفع الحزن ؟  
 فقال أسرها إليه ما قدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء . وقد بعض  
 الحكماء : وجدت أطول الناس غما الحسود وأهناهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحرس إذا  
 طمع وأخضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم للقرط وفي ذلك قيل :

أرضه يال فني أسي على ثقة إن الذي قسم الأرزاق يرضه  
 فالررض منه يصون لا يدنس والوجه منه جديد ليس يخلقه  
 إن القناعة من يجل بساحتها لم يبق في دهره شيئا يؤرقه

وقد قيل أيضا :

حتى متى أنا في حلّ وترحال وطول سعي وإهدار وإقبال  
 ونالج الدار لا أنفك مقربا عن الأجرة لا يدرون ما حالي  
 بشرق الأرض طوراً ثم مغرباً لا يخطر الوت من حرص على مالي  
 ولو قمت أنا في الرزق في دعة إن القنوع التي لا كثرة المال

وقال عمر رضي الله عنه : ألا أخبركم بما أستعمل من مال الله تعالى حلتان لثاني وقيل وما يسنى  
 من الظهر لمبى وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرضهم ولا بأرضهم  
 فوافقه ما أدري أجل ذلك أم لا كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة على السكفة التي تجب  
 القناعة بها . وعاب أعرابي أخاه على الحرس فقال يا أخي أنت طالب ومطلوب بطلبك من لا تقوته  
 وتطلب أنت ما قد كفيته وكان ما طالب منك قد كشف لك وما أنت فيه قد حلت عنه كأنك يا أخي  
 لم تر حريصاً محروماً وراهداً مرزوقاً وفي ذلك قيل :

أراك يزيدك الإثراء حرصاً على الدنيا كأنك لا تموت  
 فهل لك غاية إن صرت يوماً إليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي حكى أن رجلاً صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي ؟ قال أدعك وأكلك قالت والله  
 ما أهني من قرم ولا أهبس من جوع ولكن أعطك ثلاث خصال هي خير لك من أكلني ، أما واحدة  
 فأعطك وأنا في يدك وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل فإلهات  
 الأولى قالت : لا تلهم على ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قاله هات الثانية قالت لا تصدقني  
 بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا غشقي لو ذهبت لأخرجت من حوصلي  
 درتين رنة كل درة عشرون مثقالاً قال ففعل على شفته وتلف وقال هات الثالثة قالت أنت  
 قد نسيت الثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهم على ما فاتك ولا تصدقني بما لا يكون  
 أنا لمحي ودي ورشي لا يكون عشرون مثقالاً فكيف يكون في حوصلي درتان كل واحدة عشرون  
 مثقالاً ثم طارت فذهبت وهذا مثال لطمع الأدي فانه يحبه عن ذلك الحق حتى بقدر  
 ما لا يكون أنه يكون . وقال ابن السكك : إن الرجاء حل في قلبك ويبد في رجلك فأخرج الرجاء  
 من قلبك فخرج القيد من رجلك . وقال أبو محمد الزبيدي : دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في  
 ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رأيته تبسم قلت فائدة أطلع الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين  
 البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما ثالثاً وأنشدني :

إذا صدّ باب عنك من دون حاجة فدعه لا تخشى بفتح لك بابها  
 فلن تهرب البطن يكفيك سلؤه ويكفيك سوائ الأمور اجتنابها

أصابها حتى يدخل في  
 صلاته وليس عليه  
 وزرعه وكرت السرة  
 عند رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم  
 فقال أي السرة أبيع  
 فقالوا الله ورسوله أعلم  
 فقال لمن أبيع السرة  
 أن يسرق الرجل من  
 صلاته قالوا كيف يسرق  
 الرجل من صلاته ؟  
 قال لا يتم ركوعها ولا  
 سجودها ولا خشوعها  
 ولا القعدة فيها .  
 وروى عن أبي عمرو بن  
 العلاء أنه قدّم للامامة  
 فقال لا أصلي فلما ألحوا  
 عليه كبر فغضب عليه  
 قدّموا ما أضافوا  
 أفانق سلك فقال لما  
 قلت استوتوا فغضب في  
 هاتف هل استويت  
 أنت مع الله فغضب وقال  
 عليه السلام إن العبد

ولذلك ميذا لحرصك واجتنب ركوب الهوى يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن حلام لكسب ما يذهب الموم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها و... إنها قال الطمع وشبهه النفس وطلب الخواص. وقال رجل للفضيل فسرى قول كعب قال يطعم الرجل في الشيء يطعمه يذهب عليه دينه وأما الشراء فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا يحب أن يفوتها شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قضاه لك خزم أخذك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حيك للدنيا سلت عليه إذا مرت به وعده إذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعد له فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان. قال بعض الحكماء: من هيب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على أجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال. وقال عبد الواحد بن زيد: مررت براهب قلت له من أين تأكل؟ قال من يدير الأطعم الحخير الذي خلق الرعا بأنهم بالطين وأومأ بيده إلى رعا أضراسه فبجحان التقدير الحخير.

(بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة)

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان: الصبر والملم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور: الأول وهو العمل، الاقتصاد في العيشة والرفق في الإنفاق فمن أراد عز القناعة فلينبذ عن نفسه أبواب الخروج ما أسكه وبرد نفسه إلى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع إخافه لم يمكنه القناعة بل إن كان وحده فلينبذ أن يفتح ثوب واحد خشن ويقع بأي طعام كان ويخلل من الإدام ما أسكه وبوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فليرد كل واحد إلى هذا القدر فإن هذا القدر ييسر بأدنى جهد ويمكن معه الإجمال في الطلب والأعصاد في العيشة وهو الأصل في القناعة ونفى به الرفق في الإنفاق وتركه الحرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب الرفق في الأمر كل» (١) وقال صلى الله عليه وسلم: «مأكل من اقتصد» (٢) ودل على الله عليه وسلم «ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية والقصد في التني والفقر والسمل في الرضا والقتب» (٣) وروى أن رجلا أبصر أبا البرداء يلتقط جبا من الأرض وهو يقول: إن من تهمك رفاك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الاقتصاد وحسن السم والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة» (٤) وفي الخبر: «التدبير نصف العيشة» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم: «من اقتصد أغناه الله ومن بذر أغره الله ومن ذكر الله عز وجل

(١) حديث إن الله يحب الرافي في الأمر كله متفق عليه من حديث عائشة وقدره (٢) حديث ما عالج من اقتصد أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بنط مقتصد (٣) حديث ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في التني والفقر والسمل في الرضا والتضبط البزار والطبراني وأبو نعم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السم والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير ودل السم الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس ودل التؤدة بدل الله الصالح وقال من أربعة (٥) حديث التدبير نصف العيشة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلاد بن عيسى ج له المقبلي ورواه ابن ماس

إذا أحسن الأضوء  
وصلى الصلاة لوتها  
وحافظ على ركوعها  
وسجودها ومواقيتها  
قلت حفظك الله كما  
حفظني ثم صمدت لها  
نور حتى تنهي إلى  
الهاء حتى تصل إلى  
الله فتشفع لصاحبها  
وإذا أصابها قالت  
ضيقك الله كما ضيقني  
ثم صمدت لها ظلة  
حتى تنهي إلى أبواب  
الهاء فتخلق دونها ثم  
تلف كما تلف الثوب  
لخلق فيضرب بها  
وجه صاحبها وقال  
أبولسيان الداراني إذا  
وقف المبد في الصلاة  
يقول الله تعالى ارفعوا  
الحجب فيما بيني وبين  
عبيدي فإذا التفت  
يقول الله أرخوها فيما  
بين يميني ويساره

أحب الله <sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أردت أمراً فليكن بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً» <sup>(٢)</sup> والتؤدة في الاضاق من أهم الأمور . الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدره لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه فانه قد حرمه الحرص ليست في السبيل وصول الأرزاق بل ينبغي أن يكون واقفاً بوعده الله تعالى إذ قال عز وجل - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - وذلك لأن الشيطان يمدد الفقر ويأمرك بالفحشاء . ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تموت وتحتاج إلى احتال القبل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفاً من التسبب ويضجك عليه في احتاله التسبب قدما مع التفتة عن الله ثموم تسب في ثاني الحال وربما لا يكون . وفي مثله قيل:

ومن يتقى الساعات في جمع ماله عتاقة فقر فاقدي فضل الفقر

وقد دخل ابننا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما «لا تأبسا من الرزق ما نهزمت رؤسكما فإن الانسان قلده أمه أحر ليس عليه قتر ثم يرزقه الله تعالى» <sup>(٣)</sup> ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن مسعود وهو حرير فقال له «لا تسكر حملك ما قدر يكن وما تزيق بأهلك» <sup>(٤)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «الأيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لمبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة» <sup>(٥)</sup> ولا ينفك الانسان عن الحرص إلا بعسن فتهته بتدبير الله تعالى في تدبير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لهامه مع الاجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله لعبد من حيث لا يحتسب أكثر قل الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب - فإذا انسده عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلابد أن يضطرب قلبه لأجله . وقال صلى الله عليه وسلم «أبي الله أن يرزق عبده يؤمن بالإيمان حيث لا يحتسب» <sup>(٦)</sup> وقال سفيان الثوري قال رأيت حياً يحتاج إلى لا يترك التقي قدداً لضرورته بل ياتي الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه ، وقال للفضل الضبي قلت لأخيراً من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فإذا صدر وأنت في وقال لو لم نفسي إلا من حيث ندرى لم نفسي . وقال أبو حازم رضي الله عنه وجدت الدنيا عيشين شيئاً منهما هو لي قلن أهله قبل وقته ولو طلته بقوة السموات والأرض وشيئاً منهما هو لغيري فذلك لم الله فيما معي فلا أرجوه فيما بقي منع الذي لميري مي كما منع الذي لي من غيري في أي هذين أفني عمرى فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وإنداره بالفقر . الثالث أن يعرف ما في القناعة من عز الاستثناء وما في الحرص والطمع من الدلل فإذا تحقق عنده ذلك انبثرت رغبته إلى القناعة لأنه

(١) حديث من اتق الله أعفاه الله الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحبه الله وخبره به عمران بن هارون البصري قال النهدي شيخ لا يعرف حاله أتى خبر منكر أي هذا الحديث لأحمد وأبي يعلى في حديث لأبي سعيد ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله . (٢) حديث إذا أردت أمراً فليكن بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً رواه ابن المبارك في البر والصلة وقد تقدم (٣) حديث لا تأبسا من الرزق ما نهزمت رؤسكما الحديث ابن ماجه من حديث حبة وسواء ابن خالد . وقد تقدم (٤) حديث لا تسكر حملك ما قدر يكن وما تزيق بأهلك قاله ابن مسعود أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف في صحته ورواه الأصفهاني في الترهيب والترهيب عن رواية مالك بن عمرو للمناقرى مرسل (٥) حديث ألايها الناس أجملوا في الطلب الحديث قد قبل هذا بإضافة عمر حديثاً (٦) حديث أبي الله أن يرزق عبده يؤمن إلا من حيث لا يحتسب ابن حبان في الضعفاء من حديث علي بن إسماعيل ورواه ابن الجوزي في اللصوصيات .

عبدى وما اختار نفسه . وقال أبو بكر الوراق ربما أصلى ركعتين فأصرف منهما وأنا استحي من الله حياء رجل الصرف من الزنا فلهذا هذا لظلم الأديب عنه ومعرفة كل إنسان بأدب الصلاة على قدر حظه من القرب . وقيل لموسى بن جعفر إن الناس أفسدوا عليك الصلاة بعمرهم بين يدك قال إن الذي أصلى له أقرب إلى من الذي عصى بين يدي وقيل كان زين العابدين على بن الحسين رضي الله عنهما إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لا يعرف من تغير لونه فيقال له في ذلك يقول آلديون بين يدي

في الحرص لا يحلو من تعب وفي الطمع لا يحلو من ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطعم عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال ولأنهم ثبت بغوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فإن من كثرت طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلازمه المداينة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو رديك العقل ناقص الإيمان قال صلى الله عليه وسلم « عز المؤمن استغناؤه عن الناس » (١) ففي القناعة الحرية والعز ، ولذلك قيل استغن عن شئت تكن نظيره واحتج إلى من هلت تكن أسيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره . الرابع أن يكثر تأمله في تتم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحق أن الأكراد والأعراب والأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى صحت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمتع أحاديثهم ويطالع أحوالهم وغير عقله بين أن يكون على مشابة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير فإنه إن تتم في البطن فالخارج أكثر أكلًا منه وإن تتم في الواقع فالخزير أعلى رتبة منه وإن تزين في اللبس والحيل في اليهود ومن هو أعلى رتبته منه وإن قنع بالقليل ورضى به لم يساهم في رتبته إلا الأنبياء والأولياء الخامس أن يفهم ما جمع للآل من الخطر كما ذكرنا في آفات السال وما فيه من خوف السرفة والنهب والضياع وما في خلوايل من الأمن والفرار ويتأمل ما ذكرناه في آفات السال مع ما يغوثه من اللداعة عن باب الجنة إلى خمسة أيام فإنه إذا لم يتنعم بما عاكف فيه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبداً إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه فإن الشيطان أبداً يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول لم تغتر عن الطلب وأرباب الأموال يتنعمون في الطاعم ولللابس ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول ولم تغتر في نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتهم فتريد أن تتميز عنهم . قال أبو ذر أوصاني خليلي صلات الله عليه أن تنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقي (٢) أي في الدنيا . وفي أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في السال والخلق فليتنظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل الله عليه » (٣) فبهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الصبر وقصر الأمل وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهرًا طويلاً فيكون كالمرضى الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء .

( بيان فضيلة السخاء )

اعلم أن السال إن كان مفقوداً فينبغي أن يكون حال اليد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجوداً فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واسطناع للروف والتباعد عن الشح والبخل فإن السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة ، وعنه عبر التي صلى الله عليه وسلم حيث قال « السخاء شجرة من هجر الجنة أخصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بفصل من هجرناه ذلك

(١) حديث عز المؤمن استغناؤه عن الناس الطبراني في الأوسط والحاكم وصححه إسناده وأبو الشيخ في كتاب التواب وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد أن جبريل قاله لني صلى الله عليه وسلم في أثناء حديث وفيه زفر بن ساجان عن محمد بن عبيدة وكلاهما مختلف فيه وجهه القضاء في مسند الشهاب من قول النبي صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر لمن هو فوق أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في السال والخلق فليتنظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل الله عليه متفق عليه وقد تقدم

من أريد أن أفهم .  
وروى حماد بن يسار  
عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم أنه قال  
« لا يكتب للعبد من  
صلاته إلا ما يقبل » وقد  
ورد في لفظ آخر  
« منكم من يصلي  
الصلاة كاملة ومنكم  
من يصلي النصف  
والثالث والرابع والجلس  
حتى يبلغ العشر » قال  
الخواص ينبغي للرجل  
أن ينسوي ثوبه  
لنقصان فراشه فإن  
لم ينسوي لم يحسب له  
منها شيء . بلغنا أن الله  
لا يقبل نافلة حتى  
تؤدي فريضة يقول  
الله تعالى : منكم من  
العبد السوء بدأ  
للهدية قبل قضاء  
الدين ، وقال أيضاً  
انقطع الخلق عن الله

النص إلى الجنة (١) « وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى إن هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموا بهما ما استطعتم (٢) « وفي رواية » فأكرموا بهما ما يحببهما « وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » ما جيل الله تعالى وليله إلا على حسن الخلق والسخاء (٣) « وعن جابر قال » قيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال الصبر والبساطة (٤) « وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » خلقنا مجبها الله عز وجل وخلقنا يفضها الله عز وجل فأما الذين مجبها الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما الذين يفضها الله فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبده خيرا استعمله في قضاء حوائج الناس (٥) « وروى القدام بن شريح عن أبيه عن جده قال » قلت يا رسول الله دلت على عمل يدخلني الجنة قال إن من موجبات الغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام (٦) « وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيأ أخذ بضمن منها فلم يتركه ذلك النص حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيها أخذ بضمن من أغصانها فلم يتركه ذلك النص حتى يدخله النار (٧) « وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم » يقول الله تعالى طلبوا الفضل من الرحمان عبادي تعيشوا في أكذلفتهم فاني جات فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي (٨) »

(١) حديث السخاء شجرة في الجنة الحديث ابن حبان في الضعفاء من حديث عائشة وابن عدى والدارقطني في الاستجداد من حديث أبي هريرة وسأبى عنه وأبو نعيم من حديث جابر ولا ضعف ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبي سعيد (٢) حديث جابر مرفوعا حكاية عن جبريل عن الله تعالى إن هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق الدارقطني في الاستجداد وقد تقدم (٣) حديث عائشة ما جعل وليله إلا على السخاء وحسن الخلق الدارقطني في الاستجداد دون قوله وحسن الخلق بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدى من رواية بنية عن يوسف بن أبي السفر عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة ويوسف ضعيف جدا (٤) حديث جابر أى الإيمان أفضل قال الصبر والبساطة أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء بلفظ سهل عن الإيمان وفيه يوسف بن محمد بن النكدر ضعف الجمهور ورواه أحمد من حديث عائشة وعمر بن عتبة بلفظ ما الإيمان قال الصبر والبساطة وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقي في الزهد بلفظ أى الأعمال أفضل قال الصبر والبساطة وحسن الخلق وإسناده صحيح (٥) حديث عبد الله بن عمرو خلقنا مجبها الله وخلقنا يفضها الله فأما الذين مجبها الله فحسن الخلق والسخاء الحديث أبو منصور الديلمي دون قول في آخره وإذا أراد الله بعبده خيرا وقال فيه الشجاعة بذل حسن الخلق وفيه محمد بن يونس الكديمي كذب أبو داود وموسى ابن هارون وغيرهما ووثقه الخطيب وروى الأصمغاني جميع الحديث موقفا على عبد الله بن عمرو وروى الديلمي أيضا من حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا صير حوائج الناس إليه وفيه يحيى بن شبيب ضعف ابن حبان (٦) حديث القدام بن شريح عن أبيه عن جده إن من موجبات الغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام الطبراني بلفظ بذل السلام وحسن الكلام وفي رواية له يوجب الجنة طعام الطعام وإفشاء السلام وفي رواية له عليك بحسن الكلام وبذل الطعام (٧) حديث أبي هريرة السخاء شجرة في الجنة الحديث وفيه والشح شجرة في النار الحديث الدارقطني في الاستجداد وفيه عبد العزيز بن عمران الزهري ضعيف جدا (٨) حديث أبي سعيد يقول الله تعالى طلبوا الفضل من الرحمان عبادي تعيشوا في أكذلفتهم فاني جات فيهم رحمتي ابن حبان في الضعفاء والحرثي في معارج الأخلاق والطبراني

تعالى بخصائص  
إخداها أنهم طلبوا  
التواقل وضيعوا  
الفرص والثانية  
أنهم عملوا أعمالا  
بالظواهر ولم يأخذوا  
أنهم بالصدق فيها  
والاصح لها وأن الله  
تعالى أقبل من عامل  
عملا بالصدق وإصابة  
الحق وفتح العين في  
الصلاة أولى من  
ضمض العين إلا أن  
تشقت هم بفرق  
النظر فيضمض العين  
للاستراحة على الحضور  
وإن تادب في الصلاة  
يضم شفتيه بقدر  
الامكان ولا يلق دقة  
بصدره ولا يراحم في  
الصلاة غيره قيل ذهب  
للزحوم صلاة للرأحم  
وقيل من ترك الصف  
الأول خالفه ابن بريق

وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجاؤا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلما عثر» (١) وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البئر وإن الله تعالى ليباهي ب مطعم الطعام للأنفة عليهم السلام» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاهتها» (٣) وقال أنس «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وأتاه رجل فسأه فأمره به بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة» (٤) وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم «إن الله عبادا يختصم بالعم لمنافع العباد فمن بخل بملك للمنافع على العباد قلها الله تعالى عنه وحولها إلى غيره» (٥) وعن الهذلي قال «آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني النضير فأمر بقتلهم وأمردهم رجل فقال صلى الله عليه وسلم «أبي طالب كرم الله وجهه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذهب واحد فإبالي هذا من بينهم؟» فقال صلى الله عليه وسلم «نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء وأترك هذا فان الله تعالى شكره سخاء فيه» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «إن لكل شيء ثمرة وثمرته للعروف تمجيد السراح» (٧) وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طعام الجواد دواء وطعم البخل داء» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم

في الأوسط وفي محمد بن مروان السدي الصغير ضعيف ورواه العقيلي في الضعفاء خلفه عبد الرحمن السدي وقال إنه مجهول وتابع محمد بن مروان السدي عليه عبد الملك بن الخطاب وقد غفزه ابن القطان وتابعه عليه عبد الغفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لا بأس بعديته وتكلم فيه الجوزجاني والأزدى ورواه الحاكم من حديث علي بن فضال عنه صحيح الإسناد، ليس كآل (٩) حديث ابن عباس تجاؤا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلما عثر الطيراني في لأوسط والخراطي في مكارم الأخلاق، وقال الخراطي أقبلوا السخي زلته وفيه لئث بن أبي سلمة مختلف فيه ورواه الطبراني فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه باسناد ضعيف ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الدار قطن (١٠) حديث ابن مسعود الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البئر الحديث لم أجده من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ آخر أسرع إلى البيت الذي ينشئ وفي حديث ابن عباس يقول كل فيه من الشفرة إلى منام البئر ولأبي الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر الرزق إلى أهل البيت الذي فيه السخاء الحديث وكلها ضعيفة (١١) حديث إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق وسفاهتها الخراطي في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كرز وهذا مرسل ولا طبراني في الكبير والأوسط والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالي الأمور وفي الكبير والبيهقي معالي الأخلاق الحديث وإسناده صحيح وتقدم آخر الحديث في أخلاق النبوة (١٢) حديث أنس لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه فأناه رجل فسأه فأمره به بشاء كثير بين جبلين الحديث مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (١٣) حديث ابن عمر إن الله عبادا يختصم بالعم لمنافع العباد الحديث الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السدي وفيه لئث بن وهبة ابن معين يرويه عن أبي عثمان عبد الله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدى (١٤) حديث الهذلي آتى النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني النضير فأمر بقتلهم وأمردهم رجل فقال صلى الله عليه وسلم «إن الله شكره سخاء فيه لم أجده أصلا» (١٥) حديث إن لكل شيء ثمرة وثمرته للعروف تمجيد السراح لم أقف على أصل (١٦) حديث نافع عن ابن عمر طعام الجواد دواء وطعم البخل داء ابن عدي والدار قطن في غرائب مالك وأبو علي الصدقي في غواليه والرحاه

على أهله قدام في الثاني أعطاه الله مثل ثواب الصنف الأول من غير أن ينقص من أجورهم شيء وقول إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة يسمع خفقان قلبه من ميل، وروى عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل حتى كان يسمع في بعض سكك المدينة وسئل الجنييد ما فريضة الصلاة؟ قال نطق العلائق وجمع الميم والحضور بين يدي الله وقال الحسن ماذا عز عليك من أمر دينك إذا هانت عليك صلاتك. وقيل أوحى الله تعالى إلى بعض

« من عظمت نعمه الله عظم مؤنة الناس عليه <sup>(١)</sup> » فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال. وقال عيسى عليه السلام : استكثروا من شيء لاتأكله النار قبل وما هو من العرف. وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « الجنة دار الأسخياء <sup>(٢)</sup> » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهد السخي أحب إلى الله من عالم خيل وأموأ الداء البخل <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « اصنع للعروف إلى من هو أمه وإلى من ليس بأهله فإن أميت أمه قد أميت أهله وإن لم تصب أهله فأت من أهله <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن بدلاء أمي لم يدخلوا الجنة بسلام ولا صاموا ولكن دخلوها بسخاء الأتس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين <sup>(٥)</sup> » وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ن الله عز وجل جعل للعروف وجوها من خلقه حبب إليهم للعروف وحبب إليهم فضله ووجه طلاب العروف إليهم وبسر عليهم إعطائه كما يسر الفتي إلى البلدة الجديدة فيحبها ويحبها أهلها <sup>(٦)</sup> » وقال ﷺ « كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما أنفق به الرجل عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل من نفقة على الله خلفه <sup>(٧)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « كل معروف صدقة والبال على الخير كما عمله والله يحب إغاثة اللهفان <sup>(٨)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم

نقات اعة قل ابن البطان وإهم المشاهير نقات إلا مقدم بن داود فان أهل مصر تكلموا فيه .  
(١) حديث من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه ابن عدي وابن حبان في الضعفاء  
من حديث معاذ بن نفط ما عظمت نعمة الله على جده إلا ذكره وفيه محمد بن مهران قال أبو حاتم  
بمجهول والحديث باطل ورواه الحرأطفي في مكارم الأخلاق . من حديث محمد بن إسحاق بن عمار وفيه عيسى  
ابن محمد أحد التلويكين ورواه العجلي من حديث ابن عباس قال ابن عدي يروي من وجوه كلها  
غير مخرجة (٢) حديث عائشة الجدة دار الأسخياء ابن عدي والدار قطنى في الاستجداء والحرأطفي  
في الدار قطنى لا يصح ومن طريقه روله ابن الجوزى في اللوضعات . وقال الذهبي حديث منكر  
ما أنقته سوى جعفر . قلت رواه الدار قطنى فيه من طريق آخر وفيه محمد بن الوليد اللقوى وهو  
ضعيف جدا (٣) حديث أبي هريرة إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة  
الحديث الترمذى وقال غريب ولم يذكر فيه وأدوا الداء البخل ورواه بهذه الزيادة الدار قطنى فيه  
(٤) حديث اصنع المعروف إلى أهله وإلى من ليس من أهله الدار قطنى في الاستجداء من رواية جعفر  
ابن محمد عن أبيه عن جده مرحلا وقدّم في آداب العيشة (٥) حديث إن بدلا أقم لم يدخلوا  
الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسباحة لأنس الحديث الدار قطنى في الاستجداء وأبو بكر بن  
لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس وفيه محمد بن عبد العزيز البارك الدينورى أورد ابن عدي  
له ما تكبر وفي الزان إنه ضعيف منكر الحديث ورواه الحرأطفي في مكارم الأخلاق من حديث أبي  
سعيد نحوه وفيه صالح اللرى متكلم فيه (٦) حديث أبي سعيد إن الله جعل المعروف وجوها من خلقه  
حب إليهم المعروف الحديث الدار قطنى في الاستجداء من رواية أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
ورواه الحاكم من حديث طي وصححه (٧) حديث كل معروف صدقة وكل ما أثنى الرجل على نفسه  
وأهله كتبه له صدقة الحديث ابن عدي الدار قطنى في الاستجداء والحرأطفي والبيهقي في الشعب من حديث  
جابر وفيه عبد الحميد بن الحسن اللخالي وثقه ابن معين وضمه الجمهور والجملة الأولى من عند البخارى  
من حديث حار . وعند مسلم من حديث حذفة (٨) حديث كل معروف صدقة والدال على الخبر كناعلة

الأنبياء قال إذا  
دخلت الصلاة فمبلى  
من قلبك الخشوع  
ومن بدتك الخشوع  
يؤمن عينك النموع  
فاني قريب . وقال  
أبو الخير الأنطع رأيت  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم في المنام  
قلت يا رسول الله  
أوصني فقال وبأب الخير  
عليك بالصلاة فاني  
استوصيت ربي  
فأوصاني بالصلاة وقال  
لي إن أرب ما يكون  
منك وأنت تمل :  
وقل ابن عباس رضي  
الله عنهما ركهنا في  
مضكر خير من قيام  
ليلة . وقيل إن عهد  
ابن يوسف المرغاني  
رأى حاتميا الأصم  
واقفا يخط الناس فقال  
له يا حاتم أراك تمظ



« كل معروف فضله إلى غنى أو فقير صدقة <sup>(١)</sup> » وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فإنه سقى وقال جابر « بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا ففخر لهم قيس سبع ركائب فخذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت <sup>(٢)</sup> ». الآثار : قال على كرم الله وجهه إذا أقبلت عليك الدنيا فأنتق منها فاتها لا تنفي وإذا أدبرت عنك فأنتق منها فاتها لا تنيق وأنشد :

لا يخذلن دنيا وهي مقبلة      فليس يتقصها التذير والسرف  
وإن تولت فأحرى أن تجود بها      فالجود منها إذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الروعة والتجدة والكرم فقال أما الروعة فحفظ الرجل دينه وحذره نفسه وحسن قيامه بنفسه وحسن التنازعة والاقدام في الكراهية . وأما التجدة فالذب عن الجار والصبر في للوطن . وأما الكرم فالترفع بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والورقة بالسائل مع بذل المائل . ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعتي ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال بئس الله عز وجل عن ذلم قامه بين يدي حتى أقرأ رقعتي . وقال ابن السكيت عجبت لمن يشتري للمالك بجماله ولا يشتري الأحرار بعمروقه . وسئل بعض الأعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا وأعطى ما نلنا وأغضى عن جاهلنا . وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف يذلل ماله للطلاب لم يكن سخيوا إنما السخي من يتدبر بحقوق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكر له إذا كان يقينه شوابه الله تبارك وتعالى . وقال للحسن البصري ما السخاء ؟ فقال أن تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم ؟ قال أن تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف ؟ قال الاضائق لحب الرياسة . وقال جعفر الصادق رحمه الله عليه لا مال إلا أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة إلا وإن الله عز وجل يقول : إن جواد كرم لا يجاورني لئيم والآن من الكفر وأهل الكفر في النار والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة . وقال حذيفة رضي الله عنه تروى في دينه آخر في معيشته يدخل الجنة بسماحته . وروى أن أنحف بن قيس رأى رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي مناه قبل : أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقتك فالمال لك

وسمى واصل بن عطاء الغزال لأنه كان يجلس إلى الغزاليين فإذا رأى امرأة ضيقة أعطاها شيئا . وقال الأعمش كتب الحسن بن علي إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما يطلب عليه في إعطاء الشراء فكسب إليه خير للمال ما وفي به العرض . وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالإخوان والجود بالمال . قال وورث أبي حسين ألف درهم فبث بها صررا إلى إخوانه . وقال قد كنت

والله يحب إفائة الهفان الدار قطني في المستجاد من رواية الحاجب بن أرطاة عن حمزة بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مفرقا فالجملة الأولى تقدمت قبله والجملة الثانية تقدمت في العلم من حديث أنس وغيره والجملة الثالثة رواها أبو يعلى من حديث أنس أيضا وفيها زيادة لغيري ضعيف <sup>(١)</sup> حديث كل معروف فضله إلى غنى أو فقير صدقة الدار قطني فيه من حديث أبي سعيد وجابر والطبراني والحرثي كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر بساندين ضعيفين <sup>(٢)</sup> حديث جابر بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا ففخر لهم الحديث وفيه قال إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت الدار قطني فيه من رواية أبي حمزة الحميري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله .

الناس أتحسن أن  
تصلي ؟ قال نعم قال كيف  
تصلي ؟ قال أقوم بالأمر  
وأشئ بالحسنة  
وأدخل بالهبة وأكبر  
بالعظمة وأقرأ بالتريل  
وأركم بالخشوع  
وأسجد بالتواضع  
وأتمد للشد بالتمام  
وأسلم على السنة  
وأسلمها إلى ربي  
وأحفظها أيام حياتي  
وأرجع باليوم على نفسي  
وأخاف أن لا تهبل  
معي وأرجو أن تهبل  
معي وأنا بين الخوف  
والرجاء وأشكر من  
علمني وأعطاني من  
سألتني وأحذرني إذ  
هداني فقال محمد بن  
يوسف مثلك يصلح  
أن يكون واعظا وقوله  
تعالى - لا تحزبوا  
الصلاة وأنتم سكارى-

أَسَأَلَ اللهَ تَعَالَى لِأَخَوَانِ الْجَنَّةِ فِي صَلَاتِي أَفَأَبْغِلَ عَلَيْهِمَ بِالْمَالِ . وَقَالَ الْحَسَنُ بَذِلَ الْمَجُودُ فِي بَذْلِ  
الْجُودِ مَتَنِي الْجُودِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْكَ قَالَ مَنْ كَثُرَتْ أَيَادِيهِ عِنْدِي  
قِيلَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَالَ مَنْ كَثُرَتْ أَيَادِيهِ عِنْدَهُ . وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ إِذَا الرَّجُلُ امْتَكَنَ مِنْ  
نَفْسِهِ حَتَّى أَضْعَعَ مَعْرُوفِي عِنْدَهُ فَيُعِدِّي مِثْلَ يَدِي عِنْدَهُ وَقَالَ لِلْمُهْدِيِّ لَشَيْبِ بْنِ شَبَّةٍ كَيْفَ  
رَأَيْتَ النَّاسَ فِي دَارِي فَقَالَ بِأَمْرِ لِلْمُتَمَنِّينَ إِنْ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لِيَدْخُلَ رَاجِئًا وَيَخْرُجَ رَاضِيًا وَيُمَثِّلَ  
مِثْمَثًا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَقَالَ :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَصْكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى يَصَابَ بِهَا طَرِيقُ الصَّنِيعِ  
فَإِذَا اصْطَلَحَتْ صَنِيعَةً فَاصْطَلَحَتْ بِهَا اللَّهُ أَوْ لَدَوِي الْقَرَابَةَ أَوْ دَعِ

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِيُخْلَانَ النَّاسَ وَلَكِنْ أَمْطَرَ لِلْعُرُوفِ مَطَرًا فَإِنْ أَصَابَ  
السَّكْرَامَ كَانُوا لَهُ أَهْلًا وَإِنْ أَصَابَ الْإِسْخَاءَ كُنْتُ لَهُ أَهْلًا .

( حكايات الأسخياء )

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ السَّكْدَرِ عَنْ أُمِّ دُرَّةٍ وَكَانَتْ تَخْدُمُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ إِنْ مَعَاوِيَةَ بَشَّ إِلَيَّ  
بِمَالٍ فِي غَرَارَيْنِ ثَمَانِينَ وَمِائَةَ أَلْفٍ دَرَاهِمٍ فَدَعَيْتُ بِطَبِيقٍ فَجَعَلَتْ تَقْسِمُهُ بَيْنَ النَّاسِ فَلَمَّا امْتَسَقَتْ  
يَاجِرِيَّةٌ هَلُمِّي فَطَوْرِي فَجَاءَتْهَا غَيْرُ وَزَيْتٍ فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ دُرَّةٍ مَا اسْتَطَمْتُ فَيَا قَسَمْتَ الْيَوْمَ أَنْ تَشْتَرِيَ  
لَنَا بِدَرَمٍ لَحْمًا فَتَقَطِّرَ عَلَيْهِ فَقَالَتْ لَوْ كُنْتُ ذَكَرْتَنِي لَقَعَلْتُ . وَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ قَالَ أَرَادَ رَجُلٌ  
أَنْ يُضَارَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَأَتَى وَجْهَهُ قَرِيضٌ فَقَالَ يَقُولُ لَكَ عَبْدُ اللَّهِ تَعْدَاوَةٌ عِنْدِي الْيَوْمَ فَأَتَوْهُ  
حَتَّى مَاتُوا عَلَيْهِ الدَّارَ فَقَالَ مَا هَذَا فَأَخْبَرَ الْحَبْرَ فَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بِشِرَاءِ فَاكِهِ وَأَمَرَ قَوْمًا فَطَبَخُوا  
وَحَبِزُوا وَقَدَّمَتْ الْفَاكِهَةَ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْرَغُوا مِنْهَا حَتَّى وَضَعَتْ الْوَلَدُ فَأَكَلُوا حَتَّى صَدَرُوا وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ  
لَوْ كَلَّاهُ أَوْ وَجَدْتُ لَهَذَا كُلِّ يَوْمٍ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَلْيَعِزَّ عِنْدَنَا هَؤُلَاءِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَقَالَ مَصْبُوبٌ  
الزَّيْرُ حُجَّ مَعَاوِيَةَ فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الْمَدِينَةِ قَالَ الْحَسَنِ بْنُ عَلِيٍّ لِأَخِيهِ الْحَسَنِ لَا تَتَلَقَّهِ وَلَا تَسَلِّمْ عَلَيْهِ  
فَمَا خَرَجَ مَعَاوِيَةَ قَالَ الْحَسَنِ إِنْ عَلَيْنَا دِينًا فَلَا بَدَّ لَنَا مِنْ إِيَّائِهِ فَرَكِبَ فِي أَرْمِهِ وَلَحَقَهُ فَلَمْ عَلَيْهِ  
وَأَخْبَرَهُ بِدِينِهِ فَهَرَوْا عَلَيْهِ يَخْتَنِي عَلَيْهِ ثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَقَدْ أَهْبَا وَتَخَلَّفَ عَنْ الْإِبْلِ وَقَوْمٌ يَسُوقُونَهُ  
فَقَالَ مَعَاوِيَةُ مَا هَذَا فَذَكَرَ لَهُ فَقَالَ اصْرَفُوهُ بِمَا عَلَيْهِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ . وَعَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْوَاقِدِيُّ قَالَ  
حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ رَفَعَ رَقْعَةً إِلَى الْأُمَوِيْنَ يَذْكُرُ فِيهَا كَثْرَةَ الدِّينِ وَقِلَّةَ صَبْرِهِ عَلَيْهِ فَوَقَعَ لِلْأُمَوِيْنَ عَلَى ظَهْرِ  
رَقْعَتِهِ أَنَّكَ رَجُلٌ اجْتَمَعَ فِيكَ خَصْلَتَانِ السَّخَاءُ وَالْحَيَاءُ فَأَمَّا السَّخَاءُ فَهُوَ الَّذِي أَطْلَقَ مَا فِي يَدَيْكَ  
وَأَمَّا الْحَيَاءُ فَهُوَ الَّذِي يَمْنَعُكَ عَنْ تَبْلِيغِنَا مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وَقَدْ أَمَرْتُكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ فَإِنْ كُنْتَ  
قَدْ أَصَبْتَ فَازْدَدْ فِي بَسْطِ يَدِكَ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ أَصَبْتَ فَجَنَابَتُكَ عَلَى نَفْسِكَ وَأَنْتَ حَدَّثْتَنِي وَكَنْتُ عَلَى  
قَضَاءِ الرَّشِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلزَّيْرِ بْنِ  
الْعُرْوَمِ يَازَيْرُ اعْلَمْ أَنَّ مَفَاتِيحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بَازَاءُ الْعَرْشِ يَسْتَلِمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ جَدْرَ نَفْسَتِهِ  
فَمَنْ كَثُرَ كَثْرَتُهُ وَمَنْ قَلَّ قَلَّتْ لَهُ وَأَنْتَ أَعْلَمُ <sup>(١)</sup> قَالَ الْوَاقِدِيُّ فَوَاللَّهِ لِمَا كَرِهَ الْأُمَوِيُّونَ إِلَيَّ بِالْحَدِيثِ  
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْجَارِثَةِ وَهِيَ مِائَةُ أَلْفِ دَرَاهِمٍ . وَسَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنِ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَاجَةً فَقَالَ لَهُ  
بِهَذَا حَقُّ سَوَالِكِ إِلَيَّ يَعْظُمُ لِي وَمَعْرِفِي بِمَا يَجِبُ لَكَ تَكْبَرُ عَلَى يَدِي تَحْجُزُ عَنْ نَيْلِكَ بِمَا أَنْتَ  
أَهْلُهُ وَالْكَبِيرُ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلٌ وَمَا فِي مَلِكِي وَفَاءٌ لِعُسْكَرِكَ فَإِنْ قَبِلْتَ لِلْيُسُورِ وَرَفَضْتَ

قِيلَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا  
وَقِيلَ مِنَ الْإِهْتِمَامِ وَقَالَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ صَلَّى  
وَكُنْتُ وَلَمْ يَحْدِثْ  
نَفْسَهُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا  
غَضِبَ اللَّهُ مَا هَدَمَ مِنْ  
ذَنْبِهِ وَقَالَ أَيْضًا إِنْ  
الصَّلَاةُ تَمَسَّكَ وَتَوَاضَعَ  
وَتَضَرَّعَ وَتَوَدَّعَ وَتَرَفَّعَ  
يَدَيْكَ وَتَقُولُ : اللَّهُمَّ  
اللَّهُمَّ لَنْ لَا يَحْمِلَ ذَلِكَ  
فَهِيَ خِدَاجٌ أَوْ نَاقِصَةٌ  
وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا  
تَوَضَّعَ لِلصَّلَاةِ تَبَاعَدَ  
عَنْ الشَّيْطَانِ فِي  
أَقْطَارِ الْأَرْضِ خَوْفَانِهِ  
لَأَنَّهُ تَأَهَّبَ لِقُدُوحِهَا  
لِللَّهِ فَإِذَا كَبَّرَ حَبَبَ  
عَنْهُ إِبْلِيسُ قَبْلَ  
يَضْرِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ  
سَرَادِقٌ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ  
وَوَاجِهُهُ الْجِبَارُ يُوَجِّهُهُ  
فَإِذَا قَالَ اللَّهُ أَكْبْرًا طَلَعَ  
لِللَّهِ فِي قَلْبِهِ قَادًا

(١) حَدَّثَ أَنَسُ يَازَيْرُ اعْلَمْ أَنَّ مَفَاتِيحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بَازَاءُ الْعَرْشِ الْحَدِيثُ وَفِي أَوَّلِهِ قَصْدٌ لِلْأُمَوِيْنَ  
الدَّارِ قَطْعِي فِيهِ وَقَدْ إِسْنَادَهُ الْوَاقِدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزَّهْرِيِّ بِالْعَمَّةِ وَلَا يَصِحُّ .

عن مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أنكفاه من واجب حنك فعلت فقال يا ابن رسول الله أقبل وأسكر العطية وأعذر على اللع فدم الحزن بوكه وجل بحاسبه على قفاته حتى استسقاها قالها الفاضل من الثلثة ألف درهم فأحضر خمسين ألفا قال فما فعلت بالحياة دينار قال هي عندي قال أضرها فأحضرها فدفع الدنانير والدرام إلى الرجل وقال هات من عملها لك فأنا بمحالين دفع إلى الحسن رداه لكراه المحالين فقال له مواله والله ما عندنا درهم فقال أرجوا أن يكون لي عند الله أجر عظيم.

واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لنأجار صوام قوام تمنى كل واحدنا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بصر فقال احملوا حملوا فقال ابن عباس ما أصفناه أعطيتناه ما يشفه عن قيامه وصيامه أرجوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس لدينا من القدر ما يشتغل مؤننا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا . وحكى أنه لما أعجب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال والله لأظعن الشيطان أن عدوه فاله محاو يجهزهم إلى أن رخصت الأسعار ثم عزل عنهم فرحل ولتجار عليه ألف ألف درهم ففرهم بها حل نساءه وقيمتها خمسمائة ألف فلما تمذر عليه ارتجاعها كتب إليهم بيمينها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تله صلاته . وكان أبو طاهر بن كثير شيئا فقال لرجل يحق على بن طالب لما وهبت لي ثمنك بموضع كذا وكذا فقال قد فعلت وحقه لأعطيك ما يلبها وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر: والله ما عندي ما أعطيك ولكن قد منى إلى التاضى وأدع على بشرة آلاف درهم حتى أقركك بها ثم احبسى فان أهلى لا يتركونى محبوسا ففعل ذلك فلم يس حق دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس . وكان معن بن زائدة عاملا على المراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فأقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يتأه له فقال يوما لبعض خدام معن إذا دخل الأمير البستان فصرى فلما دخل الأمير البستان أعله فكتب الشاعر بيتا على خشية وألقاها في الماء الذى يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالحشية أخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها :

أيا جود معن ناج معنا بحاجتى فملى إلى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقال له فأمره بشتر بدر فأخذها ووضع الأمير الحشية تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرأها فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق على أن أعطيه حتى لا يبق في بيت مالى درهم ولا دينار . وقال أبو الحسن الدلائى خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حججا فأتاهم أقامهم فجاءوا وعطشوا ففروا بسجور في خباء فلما قالوا هل من شراب أقالت نعم فأتوا إليها وليس لها إلا شوية في كسر الحمية فقالت احبلوها وامتدقوا لبنا ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهوى لكم ماتا كلون فقام إليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيات لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نمر من قريش تريد هذا الوجه فاذا رجعتا سألين فألمى بنا فانا صامون بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال وبك تدعين شاتى قوم لاتعرفينهم ثم تقولين نمر من قريش قال ثم بعد مدة ألبتاهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلها وجملا يتقلان البحر إليها ويبعانه ويتبعشان بضعه

يكنى في قلبه أكبر  
من الله تعالى يقول :  
صدقت الله في قلبك  
كما تقول وتشمع من  
قلبه نور يلحق  
بلمسكوت العرش  
ويكشف بذلك النور  
ملكوت السموات  
والأرض ويكتب له  
حشو ذلك السور  
حسنات وإن الجاهل  
النافل إذا قام إلى الصلاة  
احتوشته الشياطين كما  
يحتوش الذباب على  
قطعة العسل فاذا أكبر  
اطلع الله على قلبه فاذا  
كان شئ في قلبه أكبر  
من الله تعالى عنده  
يقول له كذبت ليس  
الله تعالى أكبر في  
قلبك كما تقول فيثور  
من قلبه دخان يلحق  
ببنات السماء فيكون  
حجابا لقلبه من

فمرت المجوز يعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره فصرف المجوز وهي له منكرة فبعت غلامه فدعا بالمجوز وقال لها يا أمة الله أنصرفي ؟ قالت لا قال أنا صيفك يوم كذا وكذا قالت المجوز بأني أنت وأمي أنت هو ؟ قال نعم ثم أمر الحسن فاشترى لها من شاة الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعت بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بك وصلك أخي ؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعت بها مع غلامه إلى عبد الله ابن جعفر فقال لها بك وصلك الحسن والحسين ؟ قالت بأني شاة وألني دينار فأمر لها عبد الله بأني شاة وألني دينار وقال لها لو بدأت بي لأصحبها فرجعت المجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار . وخرج عبد الله بن عمر بن كرز من للسجد يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من قتيب فشي إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام ؟ قال صلاحك وفلاحك رأيتك تمشي وحدك قلت أتيت بنصي وأعوذ بالله إن طار بجناحك مكروه فأخذ عبد الله يده ومشي معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفنها إلى الغلام وقال استبق هذه فتم ما أذك أهلك . وحكى أن قوما من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخياءهم للزيارة فترأوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاءوا من السفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بغيرك بنجبي وكان السخي الليث قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل سير مميم فقال له في النوم نعم فباعه في النوم بغيره بنجبه فلما وقع بينهما القد عمد هذا الرجل إلى بغيره فخره في النوم فالتقه الرجل من نومه فاذا الله شبح من نحر بغيره قام الرجل فخره وقسم ليه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل بعت من فلان بن فلان شيئا ذكر الليث صاحب القبر قال نعم بعت منه بغيري بنجبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو أي وقد رأيته في النوم وهو يقول إن كنت أبني فارفع نجبي إلى فلان بن فلان وسياه . وقدم رجل من قريش من السفر فرأى رجلا من الأعراب على قارعة الطريق قد أقصده الدهر وأضر به المرض فقال يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لتلامه ما بي معك من النفقة فادفعه إليه فصب التلام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم فذهب لينهب فلم يقدر من الضعف فبكي فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقلت ما أعطيك ؟ قال لا ولكن ذكرت ما ناكل الأرض من كرمك فأبكاني . واشترى عبد الله بن عمر من خالد بن عتبة بن أبي معيط داره التي في السوق بثمانين ألف درهم فلما كان الليل جمع بكاه أهل خاله فقال لأهله ما هؤلاء ؟ قالوا يكون لدرهم فقال يا غلام اتهم فأعلمهم أن السالك والدلهم جميعا . وقيل بعت هرون الرشيد إلى مالك بن أنس رحمه الله بخمسة دنانير فبلغ ذلك الليث بن سعد فأخذ إليه ألف دينار فغضب هرون وقال أعطيتة خمسمائة وتطيه ألفا وأنت من رعي فقال يا أمير المؤمنين إن لي من غناتي كل يوم ألف دينار فاستحييت أن أعطى مثله أقل من دخل يوم . وحكى أنه لم يحب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار . وحكى أن امرأة سألت الليث بن سعد رحمه الله عليه شيئا من عمل فأمر لها بقرى من عمل قليل له إنها كانت تقنع بدون هذا ؟ فقال إنها سألت على قدر حاجتها ونحن فطحي على قدر النعمة علينا . وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثمانية وستين مسكينا . وقال الأعمش اشتكت شاة عندى فكان خيعة بن عبد الرحمن يودعها بالنداء والشيء ويسألني هل استوفت علفها وكب صبر الصبيان منذ قدوا لبنا وكان نعي ليد أجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اليد حتى وصل إلي في عة الشاة أكثر من ثلثائة

لللكوت فزداد ذلك الحجاب صلابة ولبتم الشيطان قلبه فلا يزال ينفع فيسه وينفث ويوسوس إليه ويزين حتى ينصرف من صلاته ولا يقبل ما كان فيه . وفي الخبر ولولا أن الشياطين يحومون على قلوبنا آدم لنظروا إلى ملكوت السماء . والقلوب الصافية التي كل أديها لكحال أدب قولها تصير ساهرة تدخل بالعكس في الساء كما تدخل في الصلاة والله تعالى حرس الساء من تصرف الشياطين فاقلب الساجد لاسبيل للشيطان إليه فبقى هو اجس ضائقة عند ذلك لا تنطق بالتمنن بالساء كما خطا تصرف

دينار من بره حتى نمت أن الشاة لم تبرا . وقال عبد الملك بن مروان لأسماه بن خارجة بلنى عنك خصال لحدثنى بها ، فقال هل من غيرى أحسن منها منى فقال عزمت عليك إلا حدثتنى بها فقال يأمر المؤمنين مامدود رجل بين بنى جليس لى قط ولا صنت طلما قط فدعوت عليه فوما إلا كانوا أمن لى منى عليهم ولا نصب لى رجل وجهه قط يسألنى شيئا فاستكرت شيئا أعطيته إياه . ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فأذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر إليه سليمان نثل بهذا البيت قال :

إنى صحت مع الصباغ مناديا باسم بين على التقي اللوان

ثم قال ما حاجتك ؟ قال دينى قال وكم هو ؟ قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومنه . وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانه قليل له إتهم يستحيون من مالك عليهم من الدين قال أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه قيس بن سعد حتى فهو منه برى . قال فانسكرت درجته بالشيء لكثرة من زاره وعاده . وعن أبى إسحق قال صليت الفجر فى مسجد الأشعث بالكوفة أطلب غربا لى فلما صليت وضع بين يدى حلة وعلان قلت لست من أهل هذا للسجد فقالوا إن الأشعث بن قيس الكندى قدم الباحة من مكة فأمر لكل من صلى فى المسجد بحلة وعلان . وقال الشيخ أبو سعد الحر كوشى التيسابورى رحمه الله : صحت محمد ابن محمد الحافظ يقول صحت الشافى المجاور بمكة يقول : كان بمصر رجل عرف بأن يجمع الفقراء ميتا فولد ليضم مولود قال لجئت إليه وقلت له ولد لى مولود وليس مئى مقام مئى ودخل لى جماعة فلم يفتح بشئ فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت نخل وتصنع وإنى درت اليوم على جماعة فسكنتم دفع شئ لى مولود فلم يتفق لى شئ . قال ثم قام وأخرج دينارا وقدمه نصفين وناولى نصفه وقال هذا دين عليك إلى أن يفتح عليك بشئ . قال فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لى به قال فرأى ذلك المحتسب تلك البلية ذلك الشخص فى منامه فقال صحت جميع ما قلت وليس لى إذن فى الجواب ولكن احضر منزلى وقل لأولادى يغفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خبيثة دينار فاحملها إلى هذا الرجل فلما كان من المند تقدم إلى منزل البيت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدينارين وجاءوا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا ما لك وليس رؤى أى حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ولا يتسخى نعتا . نحن أحياء فلما ألحوا عليه حمل الدينارين إلى الرجل صاحب الولود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فسكره نصفين فأعطاه النصف الذى أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفينى هذا وتصديق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدرى أى هؤلاء أسخى . وروى أن الشافى رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا يسألنى فلما توفى بلفه خبروا فأنتم غفر وقال اتونى بتذكرته فأنى بها ففطر فيها فأذا على الشافى سبعون ألف درهم دين فكشبت على نفسه وقضاه عنه وقال هذا غسل إياه أى أراد به هذا . وقال أبو سعيد الواعظ الحر كوشى لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلونى عليه فرأيت جماعة من أخفاده وزرهم فرأيت فيها الخير وأثار الفضل قلت بلغ أثره فى الخير إليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى - وكان أبوها صالحا - وقال الشافى رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبى سليمان لئى . بلنى عنه أنه كان ذات يوم راكبا حمارة فحرقها فاقطع زره فمر على خياط فأراد أن ينزل إليه لبسوى زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط إليه فسوى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قتلها وأنشد الشافى رحمه الله نفسه :

الشیطان والصلوب

للراة بالقرب تدرج

بالقريب وتخرج فى

طبقات السموات وفى

كل طبقة من أطباق

الباء يتخلفشى ومن

ظلة النفس ويقد

ذلك على الحاجس إلى

أن يتجاوز السموات

ورف أمام العرش

فصد ذلك بهضب

بالكلية حاجس النفس

بساطع نور العرش

وتدرج ظلمات النفس

فى نور القلب اندراج

الليل فى النهار وتأذى

حيث حقوق الآداب

على وجه الصواب .

وما ذكرنا من أدب

الصلاة يسر من كثير

وعأن الصلاة أكبر

من صفنا وكل من

ذكرنا وقد غلط

أصول ونشوا أن

يلحف قلبي على مال أجود به على الفقيلين من أهل اللروات  
إن اعتذارى إلى من جاء يسألني مائس عندي لمن إحدى اللصيات  
وعن الريح بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال يارب أعطه أربعة دنانير  
 واعتذر إليه عن . وقال الريح سمعت الجبدي يقول قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بشرة آلاف  
دينار فضرب خبائه في موضع خارج عن مكة وشرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه بقبض  
له قبضة وسطبه حتى صلى الظهر وتنفض الثوب وليس عليه شيء . وعن أبي نؤير قال أراد الشافعي  
الخروج إلى مكة ومعه مال وكان قلما يسك شيئا من سباحته فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا المال  
ضيعة تكون لك ولولدك قال غفرج ثم قدم علينا فسأله عن ذلك للمال فقال ما وجدت بمكة ضيعة  
يمكن أن أشتريها لمعرفي بأصلها وقد وقف أكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا يكون لأهلي إذا  
حبوا أن يزلوا فيه وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول :

أرى نفسي تنوي إلى أمور يقصر دون مبلتها مالي  
ففي لا تطاوعني يخلص ومالي لا يخلصني فضالي

وقال محمد بن عباد الهلي دخل أبي على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها  
فأخبر بذلك المأمون فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يا أمير المؤمنين: منع للوجود سوء ظن  
بالجود ، فوصله بمائة ألف أخرى . وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمره بمائة ألف درهم  
فبكي فقال له سعيد ما يبكيك ؟ قال أبكي على الأرض أن تأكل مثلك فأمره بمائة ألف أخرى .  
ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شككة بآيات امتدحه بها فوجده عيلا فقبل منه اللدعة وأمر حاجبه  
بنيله ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضي فأقامه شهرين فأوحشه طول اللقام فكتب  
إليه يقول :

إن حرما قبول مدحتنا وترك ما رغبني من الصدق  
كالدرهم والدينارين في البيع حرام إلا يدا بيد

فلما وصل البيتاني إلى إبراهيم قال لحاجبه كم أقام بالباب ؟ قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا  
وجئت بدواة فكتب إليه :

أهبلتنا فأنك عاجل برّنا قسلا ولو أهملتنا لم تقل  
نقد القليل وكن كأنك لم تقل وتقول نحن كأننا لم نعمل

وروي أنه كان لعنان على طلحة رضي الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عنان يوما إلى المسجد  
فقال له طلحة قد تبها مالك فاقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك . وقالت سعدى  
بنت عوف دخلت على طلحة فرأيت منه تقلا فقلت له مالك ؟ فقال اجتمع عندي مال وقد غني فقلت  
وما يضحك ادع قومك فقال يا غلام على يقوى قصصه فيهم فسألت الخادم كم كان ؟ قال أربعة آلاف .  
وجاء أعراي إلى طلحة فسأله وتغرب إليه برحم فقال إن هذه الرحم مأسألى بها أحد فقلت إن لي  
أرضا قد أعطاني بها عنان ثلثمائة ألف فان شئت فاقبضها وإن شئت تبها من عنان ودفت إليك  
الثلث فقال الثمن فباعها من عنان ودفع إليه الثمن . وقيل بكي على كرم الله وجهه يوما فقبل مايكيك  
فقال لم يأتي ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانني . وآلى رجل صديقا له ففق عليه  
الباب فقال ماجاه بك ؟ قال على أربعة آلاف درهم دين فوزن أربعة آلاف درهم وأخرجها إليه وعاد يبكي  
فقلت امرأته لم أعطته إذ شق عليك فقال إنما أبكي لأنني لم أتعقد حاله حتى احتاج إلى مغاغة  
فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين .

للقصود من الصلاة  
ذكر الله تعالى وإذا  
حصل الله كرفأى  
حاجة إلى الصلاة  
وسلكوا طرقا من  
الضلال وركبوا إلى  
أباطيل الخيال وهو  
الرسوب والأحكام  
ورفضوا الحلال  
والحرام وقوم آخرون  
سلكوا في ذلك طريقا  
أدبهم إلى قصان الحال  
حيث سلكوا من  
الضلال لأنهم اعتفوا  
بالفرائض وأنكروا  
فضل النوافل واغتفوا  
يسير روح الحال  
وأهملوا فضل الأعمال  
ولم يعلموا أن الله في  
كل هيئة من الميئات  
وكل جرحكة من  
الحركات أسرار  
وحكما لا توجد في شيء  
من الأذكار والأحوال



« شر ما في الرجل شح هالغ وجبن خالغ »<sup>(١)</sup> « وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية قالت : واشهدها فقال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنه شهيد فقله كان يتكلم فيها لابنيه أو ييخل بما لا ينقصه »<sup>(٢)</sup> وقال جبير بن مطعم « بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من خير إذ علقت رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى حمرة غطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان في عدد هذه العشاء نعماً لتسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً »<sup>(٣)</sup> وقال عمر رضي الله عنه « قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسماً قتل غير هؤلاء كان أحق به منهم فقال انهم يخبروني بين أن يسألوني بالفحش أو ييخلوني ولست ياخذ »<sup>(٤)</sup> وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ثمن بعير فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقبهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنبأ وقال معروفاً وشكراً ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله ﷺ فأخبره بما قال فقال صلى الله عليه وسلم « لكن فلان أعطيتهم ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحدكم ليسألني فينطلق في مسأله متأبطها وهي نار فقال عمر فلم تعطهم ما هو نار فقال يأبون إلا أن يسألوني ويأني الله لي البخل »<sup>(٥)</sup> وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجود من جود الله تعالى فجعودوا بحمد الله لكم ألا إن الله عز وجل خلق الجود فعبده في صورة رجل وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة طوبى وعدأ غصنها بأغصان سدر للنتهى ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بنصن منها أدخله الجنة ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة وخلق البخل من مقتنه وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بنصن منها أدخله النار ألا إن البخل من الكفر والكفر في النار »<sup>(٦)</sup> وقال ﷺ « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ الجنة إلا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يبلغ النار إلا بخل »<sup>(٧)</sup>

وقد تقدم قبله بسبعة أحاديث والمسلم من حديث جابر اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فقد كرهه بافظ آخر ولم يذكر الفحش<sup>(١)</sup> حديث شرماني الرجل شح هالغ وجبن خالغ أبو داود من حديث جابر بسند جيد<sup>(٢)</sup> حديث وما يدريك أنه شهيد فقله كان يتكلم فيها لا يعنيه أو ييخل بما لا ينقصه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث أنس أن أمه قالت لهنك الشهادة وهو عند الزمذي إلا أن رجلاً قال له أبشر بالجنة<sup>(٣)</sup> حديث جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من حنين عاقت الأعراب به الحديث البخاري وتقدم في أخلاق النبوة<sup>(٤)</sup> حديث عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسماً الحديث وفيه ولست ياخذ ، مسلم<sup>(٥)</sup> حديث أبي سعيد في الرجلين الذين أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارين فلقبهما عمر فأنبأ وقال معروفاً الحديث وفيه ويأني الله لي البخل رواه أحمد وأبو يعلى والبراز نخوع ولم يقل أحمد إنهما سألاه ثمن بعير ورواه البراز من رواية أبي سعيد عن عمر ورجال أسانيدهم ثقات<sup>(٦)</sup> حديث ابن عباس الجود من جود الله فجعودوا بحمد الله لكم الحديث بطوله ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مسنده ولم أقف له على إسناد<sup>(٧)</sup> حديث السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ إلا سخي الحديث تقدم دون قوله فلا يبلغ في الجنة إلى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرج له ولده في مسنده .

نفسه لأن فيه خلقاً من أخلاق الصمدية وأيضاً لأنه من أعمال السر من فيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله وقيل في تفسير قوله تعالى - السائحون - السائحون لأنهم ساحوا إلى الله تعالى بجوعهم وعطشهم وقيل في قوله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - هم الصائمون لأن الصبر اسم من أسماء الصوم ويفرغ الصائم إفراغاً ويجازف له مجازفة وقيل أحد الوجوه في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - كان عملهم الصوم . وقال



وقال أبو هريرة **« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فدى بني لحيان من سيدكم بأبي لحيان ؟ قالوا سيدنا جد بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوا من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجوح <sup>(١)</sup> »** وفي رواية أنهم قالوا **« سيدنا جد بن قيس »** فقال بهم تسودونه قالوا إنه أكثر مالا وإنا على ذلك لترى منه البخل فقال عليه السلام : **« وأى داء أدوا من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا لمن سيدنا يا رسول الله ؟ قال سيدكم جرير بن البراء »** وقال على رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« إن الله يفض البخل في حياته السخى عند موته <sup>(٢)</sup> »** وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« السخى الجهل أحب إلى الله من العابد البخل <sup>(٣)</sup> »** وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم **« الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب عبد <sup>(٤)</sup> »** وقال أيضا **« خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق <sup>(٥)</sup> »** وقال صلى الله عليه وسلم **« لا يبنى المؤمن أن يكون غيلا ولا جبانا <sup>(٦)</sup> »** وقال صلى الله عليه وسلم **« يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أعظم عند الله من الشح حلف الله تعالى بمرته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل <sup>(٧)</sup> »** وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم **« كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون فقال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم المرش قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك صف لي ذنبك قال يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من المال وإن السائل لي يئسني يسأني فكأنما يستغني بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم إليك عني لا تحرقني ببارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو كنت بين الركن والمقام ثم صليت ألفي ألف عام ثم بكيت حتى تجرى من دموعك الأنهار وتسقي بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لا بكك الله في النار ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول - ومن يبخل فأنما يبخل عن نفسه - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - <sup>(٨)</sup> »** الآثار ، قال ابن عباس رضي الله عنهما المالحق الله

(١) حديث أبي هريرة من سيدكم بأبي لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بلفظ بأبي سلفه وقال سيدكم جرير بن البراء وأما الرواية التي قال فيها سيدكم عمرو ابن الجوح فرواها الطبراني في الصغير من حديث كعب بن مالك بأسناد حسن (٢) حديث على بن الله ليفض البخل في حياته السخى عند موته ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مسنده ولم أجده إسناده (٣) حديث أبي هريرة السخى الجهل أحب إلى الله من العابد البخل الترمذي بلفظ ولجاهل سخى وهو بقية حديث إن السخى قريب من الله وقد تقدم (٤) حديث أبي هريرة لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد النساء وفي إسناده اختلاف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان في مؤمن الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٦) حديث لا يبنى المؤمن أن يكون غيلا ولا بخيل لم أره بهذا اللفظ (٧) حديث يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أعظم من الشح الحديث وفيه لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل لم أجده بتسامه وللترمذي من حديث أبي بكر لا يدخل الجنة بخيل وقد تقدم (٨) حديث كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي الحديث في ذم البخل وفيه قال إليك عني لا تحرقني ببارك الحديث بطوله وهو باطل لأصله .

يحيى بن معاذ إذا ابتلى الريد بكثرة الأكل بكت عليه اللاتكة رحمة له ومن ابتلى بهرس الأكل قد أحرق بنار الشهوة وفي قيس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها في كف الشيطان متعلق بها فإذا جوع بطنه وأخذ حلقه وراض نفسه بيس كل عضواً أحرق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله وإذا أشبع بطنه وترك حلقه في لذائذ الشهوات فقد رطب أعضائه وأمكن الشيطان ، والشبع نهر في النفس ترده الشياطين والجوع نهر في الروح ترده اللاتكة وينهزم الشيطان من جائع تائم فكيف إذا كان

جنة عدن قال لها تزي قترنت ، ثم قال لها أظهرى أنهارك فأظهرت عين السليل وعين الكافور وعين التسنيم فغضب منها في الجنان أنهار المحروا وآمار السل والابن ثم قال لها أظهرى سرورك وحبائك وكرباسيك وحليك وحورك عينك فأظهرت فنظر إليها فقال تسلمي فالتفت طوي لم دخلني فقال الله تعالى وعزى لأسكك بخيلا . وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز : أف البخل لو كان البخل قيسا مالبسته ولو كان طرخا ماسلكته ، وقال طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه : إنا لنجد بأموالنا ما يمدد البخلاء لكننا نصبر ، وقال محمد بن السكندر كان يقال : إذا أراد الله بقرم شرا أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي غلاتهم ، وقال علي كرم الله وجهه في خطبته إنه سيأتي على الناس زمان عضوض بعض اللوسر على مافي يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى سولانفسوا الفضل بينكم - وقال عبيد الله بن عمرو الشح أحد من البخل لأن الشح هو الذى يشح على مافي يده غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخل هو الذى يبخل بما في يده . وقال الشعبي لأدري أيهما أجد غورا في نار جهنم البخل أو الكذب . وقيل ورد على أنو شروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من اتقى سعيها وعند الغضب وقورا وفي القول متأنيا وفي الرفقة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا ، وقام الروي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجى وأهل الكذب مذمومون وأهل النجى معوتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه . وقال الضحاك في قوله تعالى - إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا - قال البخل أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يصرون الهدى ، وقال كعب : مامن صاحب إلا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم يحل لممسك تلقا ومحل لمنفق خلفا . وقال الأصمعي سمعت أعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكأعما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه . وقال أبو خنيفة رحمه الله لا أرى أن أعدل بخيلا لأن البخل يحمله على الاستقصاء فأخذ فوق حقه خيفة من أن يضيع فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . وقال علي كرم الله وجهه : والله المستعصى كريم قط حقه . قال الله تعالى - عرّف بضه وأعرض عن بعض - وقال الجاحظ ما بقي من الذات إلا ثلاث ذم البخلاء وأكل القديد وحك الجرب . وقال بشر بن الحرث البخيل لا غية له قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنك إذا لبخل (١) » . ومحدث امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صومامة إلا أن فيها بخلا قال فما خيرها إذا (٢) وقال بشر : النظر إلى البخل يفسد القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين ، وقال يحيى بن معاذ : مافي القلب للأشياء إلا بحب ولو كانوا أفعارا أو لبخلاء إلا نبض ولو كانوا أبرارا . وقال ابن العزّز أغفل الناس بحاله أجدوم بضره . وفي يحيى بن زكريا عليه السلام إبليس في صورته قال له يا إبليس : أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال أحب الناس إلى المؤمن البخل وأبغض الناس إلى الفاسق السخي قال له لم قال لأن البخل قد كثفني بخله والفاسق السخي أخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولي وهو يقول لولا أنك لمجي لما أخبرتك .

### ( حكايات البخلاء )

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعا بعض جيرانه وقدم إليه طباخة بيض فأكل منه فأكثر (١) حديث أنك لبخل [١] (٢) حديث محدث امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صومامة قوامه إلا أن فيها بخلا الحديث تقدم في آفات اللسان .

[١] قول العراقي إنك لبخل ، هكذا بالنسخ من غير ذكره ولم نرجه الشارح أيضا فليظنراه .

قائما وبما يق الشيطان  
شجانا قائما فكيف  
إذا كان نائما قلب  
للريد الصادق يصرخ  
إلى الله تعالى من طلب  
النفس الطعام والشراب  
دخل رجل إلى  
الطباخي وهو يأكل  
خبزا يابساً قد به الماء  
مع ملح جريش فقال  
له كيف تشتهي هذا  
قال أدعه حتى أشتيه  
وقيل من أسرف في  
مطعمه ومشر به بجبل  
الصغار والذل إليه في  
دنياه قبل آخره فقال  
بضم الباب العظيم  
الذي يدخل منه إلى  
الله تعالى قطع الغذاء  
وقال بشر إن الجوع  
يسنى التؤاد ويميت  
الحوى ويورث السلم  
الدقيق وقال ذوالنون  
ما أكلت حتى جعت

وجعل يشرب الماء فامتخ بطنه ونزل به السكر والملوث فجعل يتأوى فلما جهده الأمر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك : ثياباً ما أكلت فقال هاهنا ثياباً طباها ببيض الوث ولا تفك، وقبل أقبل أعرابى يطالب رجلاً وبين يديه تين فضطى التين بكسائه فجلس الأعرابى فقال له الرجل هل تحسن من التران شيئاً قال نعم قرأ والزيتون وطور سينين فقال وأين التين قال هو تحت كسائك . ودعا بعضهم أخاه ولم يطعمه شيئاً فحبسه إلى العصر حتى اشتد جوعه وأخذ مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له يحياى أى صوت تشتهى أن اسمك قال صوت للقل . وبكى أن محمد بن يحيى ابن خاله بن برمك كان غيلاً يبيع البخل فسل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له فأنزل صف لي مائدته فقال هي قتر في قتر ومخافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال السكرم الكاتبون قال فما يأكل منه أحد قال بل الباب فقال سوانك بدت وأنت خاص بعونك عرق قال أنا والله ما أقدر على إبرة أخطئه بها ولو ملك محمد بيتاً من بغداد إلى التوبة لمولود إبراهيم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يقوت النبي عليه السلام بطبلون منه إبرة ويسألونه إعارتهم ليأها ليطبخ بها قيس يوسف الذى قد من در ماضل . ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم غلاً حتى يرقم إليه فإذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله قليل له ترك لا تأكل إلا الروموس في الصيف والشتاء فلم تختر ذلك قال نعم الرأس أعرف سره فأمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يشفي فيه وليس بطعم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه إن مس عيناً أو أذناً أو خذاً وقتل على ذلك وأكل منه ألواناً عنه لونا وأذنه لونا ولسانه لونا وغصمته لونا ودماغه لونا وأكفى مؤنة طبخه قد اجتمعت في فيه مرافق وخرج يوماً يريد الحليفة المهدي فقاتله له امرأة من أهله مالى عليك إن رجعت بالجائزة فقال إن أعطيت مائة أنف أعطيتك درهما فأعطى ستين ألفاً فأطعها أربعة دنانير واشترى مرة لحماً بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم إلى القصاب بنصفان دائق وقال أكره الاسراف ، وكان للأعمش جار وكان لا يزال يمرض عليه للزلز يقول : لودخلت فأكلت كسرة وملعاً فبأني عليه الأعمش ففرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال سربنا فدخل منزله فقرأ إلى كسرة وملعاً فجاء سائل فقال له رب لتزلز بورك فيك فأعاد عليه للسلة فقال له بورك فيك ففأ سأل الثالثة قال له اذهب والإدواء خرجت إليك بالعسا قال فداده الأعمش وقال اذهب ويحك فلا والله ماريت أحداً أصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملع فوافقه ما زادني عليهما .

(يان الإيثار وفنه)

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما يتقسم إلى درجات فأرفع درجة السخاء الإيثار وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه وإعما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج إليه لئلا يحتاج أولئك محتاج والذل مع الحاجة أشد . وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة فكيف من يبخل بمسك المال ويعرض فلا يتأذى ويشتهي الشهوة فلا يتعنه منها إلا البخل بالثمن ولو وجدها مجاناً لأكلها ، فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه وغيره مع أنه محتاج إليه فانظر ما بين الرجلين فإن الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة في السخاء ، وقد أنشأ الله على الصحابة رضى الله عنهم به قال - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أعما امرئ» انتهى شهوة فرد شهوة وآثر على نفسه غفر له (١) وقالت عائشة رضى الله عنها «ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية

(١) حديث أعما رجل انتهى شهوة فرد شهوة وآثر على نفسه غفر له ابن حبان في الضعفاء وأبو الشيخ

ولا شربت حتى رويت  
إلا عصيت الله أو همت  
بعصية . وروى القاسم  
ابن محمد عن عائشة  
رضي الله عنها قالت :  
كان يأتي علينا الشهر  
ونصف شهر ما ندخل  
بيتنا نأكل للصباح  
ولا نسهره قال قلت  
سبحان الله فبأني  
شئ كنتم تعيشون  
قالت بالفرو والساء وكان  
لنا جيران من الأنصار  
جزاها الله خيراً كانت  
لهم منافع فربما واسونا  
بشيء . وروى أن  
حفصة بنت عمر رضى  
الله عنها قالت لأبيها  
إن الله قد أوسع الرزق  
فأنا أكلت طهراً  
أكثر من طعامك  
وليس ثياباً ألبس من  
ثيابك فقال إنى  
أخاصمك إلى نفسك

حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا (١) » وزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته بإطفاء السراج وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف فما أصبح قال له رسول الله ﷺ لقد عجب الله من صنعك الليلة إلى ضيفكم وزلت - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (٢) » فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى والإيثار أعلى درجات السخاء ، وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صماه الله تعالى عظميا فقال تعالى - وإنك لمن خلق عظيم - وقال سهل بن عبد الله التستري : قال موسى عليه السلام : يارب أرني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأنته فقال : يا موسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلتها بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشفت له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت تلتف نفسه من أنوارها وقرورها من الله تعالى فقال يارب بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة قال بخلق اختصاصه به من بينهم وهو الإيثار ، يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره إلا استحييت من محاسنه وبوأته من جنتي حيث يشاء . وقيل خرج عبدا لله ابن جعفر إلى ضيعة له فزول على غيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه إذ أتى الصلाम بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الصلाम فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال مارأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا ففكرت أن أشبع وهو جائع قال فما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا ، قال عبد الله بن جعفر : ألام على السخاء إن هذا الغلام لأسخى مني فاشتري الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعق الغلام ووجهه منه ، وقال عمر رضى الله عنه : أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : إن أخى كان أحوج مني إليه فبعث به إليه فلم يزل كل واحد يمش به إلى آخر حتى تداوله سبعة آيات ورجع إلى الأول ، وبات على كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام : اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدهما أطول من عمر الآخر فأبكا يؤثر صاحبه بالحياة فاخارا كلاهما الحياة وأجابها ، فأوحى الله عز وجل إليهما أفلا كنتم مثل من بنى أبي طالب آخيت بينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبريل عليه السلام يقول معي بمن مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك اللاتسكة فأنزل الله تعالى - ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد - (٣) وعن أبي الحسن الأنطاكي أنه اجتمع في الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم (١) حديث عائشة ماضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متواليات ولو شئنا لشبعنا ولكننا نؤثر على أنفسنا البيهقي في الشعب بلفظ ولكنه كان يؤثر على نفسه وأول الحديث عند مسلم بلفظ ماضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبر برحق معنى لسيله ولشيوخين ماضع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعا حتى قبض ، زاد مسلم من طعام (٢) حديث زول به ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب به إلى أهله الحديث في زول قوله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدهما أطول من الآخر

ألم يصنع من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا يقول مرارا فبكت فقال قد أخبرتك والله لا شاركه في عيشته الشديد لى أصيب عيشة الرخاء . وقال بعضهم ما تخلت لعمر دقيقا إلا وأنا له طاص . وقالت عائشة رضى الله عنها : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خبر برحق معنى لسيله . وقالت عائشة رضى الله عنها : أديعوا قرق باب لللكوت يفتح لكم قالوا كيف نديم قالت بالجوع والطش والظما . وقيل ظهر إليس ليحيى بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق فقال ما هنه قال

عنده ثيف وثلاثون قسا وكاثوا في قرية بقرى ولم أرغفة مددوة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وألقوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيئا فإشارا لصاحبه على نفسه . وروى أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شي . فترع خبثه من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه . وقال حذيفة المدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمي ومعي شي من ماء وأنا أقول إن كان به رقيقته ومسحت به وجهه فاذا أنا به قلت أسقيك فأشار إلى أن نعم فاذا رجل يقول آ فإشار ابن عمي إلى أن انطلق به إليه فثبته فاذا هو هشام بن العاص قلت أسقيك فسمع به آخر فقال آ فإشار هشام انطلق به إليه فثبته فاذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فاذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين . وقال عباس بن دهقان : ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بجر بن الحرث فانه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فزنع قميصه وأعطاه إياه واستعار ثوبا لسات فيه . وعن بعض الصوفية قال : كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فبقينا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بدابة ميتة فضدنا إلى موضع عال وقد كنا فلما نظر الكلب إلى لثته رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاه إلى تلك اللثة وقد ناحت ووقعت الكلاب في اللثة فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت اللثة وبقى العظم ورجعت الكلاب إلى البلد فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلا ثم انصرف . وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة إلى الاعادة ههنا وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل .

### ( بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما )

لهلك يقول قد عرف بشواهد التبرع أن البخل من الهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الإنسان غيلا ؟ وما من إنسان إلا هو يرى نفسه سخيا ورعا يراه غيره غيلا وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقولون هذا غيلا ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من إنسان إلا ويجد من نفسه حيا للسعال ولأجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بماسك السعال غيلا فاذا لا ينفك أحد عن البخل وإذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل إلا الامساك فما الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق به البعد صفة السخاوة ونواها فنقول : قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس يبغيل وهذا غير كاف فان من رد اللحم مثلا إلى القصاب والحزب للخبز بنصفان حبة أو نصف حبة فانه يد غيلا بالانفاق وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضاهيهم في لقمة ازدادوها عليه أو تمره أكلوها من ماله يد غيلا ومن كان بين يده رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخذه عنه يد غيلا وقال قائلون : البخل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضا قاصر فانه إن أريد به أنه يستصعب كل عطية فكمن من يبغيل لا يستصعب العطية القليلة الخالصة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وإن أريد به أنه يستصعب بعض العطايا فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من وإسراف من غير روية . وقيل الجود عطاء

الحديث في نزول قوله تعالى - ومن الناس من يثرى نفسه ابتغاء مرضات الله - أحمد محمدا من حديث ابن عباس شري على نفسه فليس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم أتف لحنه الزيادة على أصله وفيه أبو بلج مختلف فيه والحدث منكسر .

الشهوات التي أصيب بها ابن آدم قال هل تجد لي فيها شهوة قال لا غير أنك شبت ليلة فقلناك عن الصلاة والله كره فقال لا جرم إلى لا أشبع أبدا قال إبليس لا جرم إلى لا أنصح أحدا أبدا . وقال شقيق العبادة حرقوا حانونها الحلوة وآلاتها الجوع . وقال لقمان لابنه إذا ملكت اللذة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقصدت الأعضاء عن العبادة . وقال الحسن لا تجمعوا بين الأدميين فانه من طعام الملققين وقال بعضهم أعوذ بالله من زاهد قد أقصدت معدته ألوان الأعذية فبكره للرديد أن يوالى في الإفطار أكثر

من غير مسألة على رؤية التقليل . وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالمطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤية أن لئال الله تعالى والصدقة عز وجل يعطى عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وأثر غيره باللفة فهو صاحب إيثار ومن لم يبدل شيئا فهو صاحب بخل، وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل شول : السال خلق لحكمة ومقصد وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن إيساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه ويمكن بذله للصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبدل حيث يجب البذل فالإيساكة حيث يجب البذل وبخل البذل حيث يجب الإيساكة تمييز بينهما وسط وهو الممود وبغنى أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء وقد قيل له - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها لكل البسط - وقال تعالى - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والبغى وهو أن يقدر بذله وإيساكه بقدر الواجب ولا يكتفى أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصرها فهو متبجح وليس بسخي بل يغنى أن لا يكون لقلبه علاقة مع السال إلا من حيث يراد السال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه . فان قلت فقد صار هذا موقفا على معرفة الواجب فالذي يجب بذله . فأقول : إن الواجب فسخان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع أدخل كالذي يمنع أداء الزكاة ومنع عياله وأهله النفقة أو يؤديها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وإنما يتسخي بالسكف أو الذي يتيمم الحديث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل . وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقيم واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله استقبح منه مالا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه وعمايكه مالا يستقبح مع الأجانب ويستقبح من الجار مالا يستقبح مع البعيد ويستقبح في المضايقة من المضايقة مالا يستقبح في المعاملة فيختلف ذلك بماله من المضايقة في ضيافة أو ماملة ومما به المضايقة من طعام أو ثوب إذ يستقبح في الأطعمة مالا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلا أو شراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة مالا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي ومن منه للمضايقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عام أو جاهل أو موسر أو فقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إباحكم الشرع وإنما يحكم المروءة وذلك لا يمكن التمسك على مقداره ولعل حد البخل هو إيساكه السال عن غرض ذلك الغرض هو أمم من حفظ السال فان صيانة الدين أمم من حفظ السال فنان الزكاة والنفقة وبخل وصيانة المروءة أمم من حفظ السال والضايق في الدقائق مع من لا يحسن المضايقة معه هانك ستر المروءة لحب السال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ السال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجته في الآخرة وإيساكه المال عن هذا الغرض بخل عند الأكياس وليس يبخل عند عوام الخلق ، وذلك لأن نظر العوام مقصور على حفظ الدنيا فيرون إيساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضا

من أربعة أيام فان النفس عند ذلك تركن إلى العادة وتتسح بالنسوة . وقيل الدنيا بطك فلي قدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا . وقال عليه السلام « ماملأ آدمي وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم ثيابا يضمن صلبه فان كان لا محالة ثلث لطماته وثلاث لشرا به وثلاث لنفسه » وقال فصح للوصلي : محبت ثلاثين شيئا كل يوصي عند مفارقتي إياه برك عشرة الأحداث وقلة الأكل .

[ الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإنظار ]

جمع من للشاغل

حمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج فإنه وقال قد أدبت الزكاة الواجبة وليس على غيره ما يختلف استقبح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحيته واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب الرومة الثلاثة به فقد تبرأ من البخل ، ثم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم ينفذ زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فإذا اقتست نفسه لبذل المال حيث لا يوجبها الشرع ولا توجه إليه للامانة في العادة فهو جواد بقدر ما تقنع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاضطاع للزحف وراء ما توجه العادة والرومة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو باع وليس بجواد فانه يشتري اللذ بحاله وللذخ لتبذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى وأما الأدمي فاسم الجود عليه مجاز إذ لا ينفذ الشيء إلا لفرض ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من المهجاء مثالا من ملامة الخلق أو ما يشوقه من تعظيمه من التمتع عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعراض معجلة له عليه فهو متاضل لا جواد كما روى عن بعض التبعيدات أنها وقعت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل نفيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها هي عماشيت وأشاروا إلى حبان بن هلال فقالت ما للسخاء عنكم قالوا المطاء والبذل والابثار قالت هذا السخاء في الدنيا لما السخاء في الدين قالوا أن تعبد الله سبحانه سخرة بها أنفسنا غير مكرهة قالت تريدون على ذلك أجرا ؟ قالوا نعم قالتوا قالوا لأن الله تعالى وعدنا بالحسنه عشر أمثالها قالت سبحانه الله فإذا أعطيت واحدة وأخذت عشرة فبأي شيء تستعين عليه قالوا لما في السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متممين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئا بغيري ؟ إن هذا في الدنيا ليس بسخاء وقالت بعض التبعيدات الحمد يربون أن السخاء في الدرهم والدينار قط قبل قيمه قالت السخاء عندي في اللهب وقال الهادي السخاء في الدين أن تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك يذل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بباحة من غير إكراه ولا ترديد بذلك ثوابا عاجلا ولا أجلا وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختار لنفسك.

## ( بيان علاج البخل )

اعلم أن البخل سببه حب المال ولحب المال سببان : أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فان الانسان لو علم أنه يموت بعد يوم رجعا أنه كان لا يبخل بماله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل فانه يقدر بقادهم كفافه نفسه فيمسك لأجلهم ولذلك قال عليه السلام « الولد مبخلة مجنة مجنة » (١) فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلّة الثقة حتى « الرزق قوى البخل لاهالة السبب الثاني : أن يحب عين السالفين الناس من معه ما يكتفيه لبقية عمره إذا انصرف على ما جرت به عادته بفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند (١) حديث الولد مبخلة زاذني رواية هزينة ابن ماجه من حديث يعلى بن مرة دون قوله يحزن نرواه بهذه الزيادة أبو يعلى والبراز من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث الأسود بن خلف وإسناده صحيح.

الصوفية كانوا يمدحون الصوم في السفر والحضر على الدوام حتى لحقوا بالله تعالى . وكان أبو عبد الله بن جابر قد صام ثيفا وخمسين سنة لا يغير في السفر والحضر فجهده به أصحابه يوما فأفطر فاعتل من ذلك أما إذا رأى المرید صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائما ویدع للأفطار جانبا فهو عون حسن له على ما يريد . روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا وعدت تسعين » أي لم يكن له فيها موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد

للرض بل صار محبا للدنانير عشقا لما يتد بوجودها في يده وقد رته عليها فيكرها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت تخضع أوبأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمع نفسه بأن يأكل أو تصدق منها بجة واحدة وهذا مرض القلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض من زمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لأن الوصول إلى اللذيق لذيذ ثم قد نسي الحاجات وصير القلب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فراقفو جاهل إلا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب اللال وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر وتعالج طول الأمل بذكر اللوت والنظر في موت الأقران وطول تعبه في جمع اللال وضايعة بسددهم وتعالج التفات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه وكف من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبأن يعلم أنه يجمع للال لو لم يرد أن يترك ولده وغيره وينقلب هو إلى شروان ولده إن كان تريا صالحا فانه كافيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على الصيبة وترجع مظلمته إليه ويعالج أيضا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعده الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال الخلاء ونقرة الطبع عنهم واستباحتهم لانه ما من يجمل إلا ويستفيع البخل من غيره ويستقل كل يجمل من أصحابه فيعلم أنه مستقل ومستقدر في قلوب الناس مثل سائر الخلاء في قلبه ويعالج أيضا قلبه بأن يتفكر في مقاصد اللال وأنه لماذا خلق ولا يحفظ من اللال إلا بقدر حاجة إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذهبه هذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل إن كان عاقلا فان تحركت الشهوة فينبغي أن يجيب الحاضر الأول ولا يتوقف فان الشيطان بعده الفقر وغروره وصدعه عنه . حتى أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الحلاء فدعا نفيذاه وقلع الزرع عن القميص وادفعه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم أمن على نفسي أن تغير وكان قد خطر لي بذه لي أتزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفا كالأيزول العشق إلا بفارقة للمشوق بالفرغ من مستقره حتى إذا سافر وفارق تكلفا وصبر عنه مدة تمل عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق اللال تكلفا بأن يذله بل لورماه في الماء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه أن يندع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينطف بد ذلك على الرياء ويتركه ويلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلي للنفس عند فطامها عن اللال كالتدريس على الصبي عند النظام عن الذي باللب بالصافير وغيرها لا يخفى واللعب ولكن لينفك عن الذي إليه ثم ينقل عنه إلى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلط بعضها على بعض كالتسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعوته بها إلا أن هذا منيف في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبذل الأقوى بالأضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كاللآل فلا فائدة فيه فانه يقلع من علة ويترك في أخرى مثله إلا أن علامة ذلك أن لا يتقل عليه البذل لأجل الرياء فيذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عايه مع الرياء فينبغي أن يذلل فان ذلك يذلل على أن مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إلى أن تلتجئ جميع اجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها

في ذلك مارواه أبو قتادة قال مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بمن صام الدهر ذل ولا صام ولا أفطر « وأول قوم أن صوم الدهر هو أن لا يفطر الديدان وأيام التشريق فهو الذي يكره وإذا أفطره هذه الأيام فليس هو الصوم الذي كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد وأفضل الصيام صوم أخي داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما « واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر . ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما أو يصوم



ثم يأكل بعضها بضاحي ترجع إلى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لاتزالان إلى أن تلب أحدهما  
الأخرى فتأكلها وتضمن بها ثم لاتزال تبقى جامعة وحدها إلى أن تموت فذلك هذه الصفات الحبيبة  
يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يجمعها ويجعل الأضنف قوتا للأتوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة  
ثم تقع العناية بمحوها وإذا بها بالجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يصل  
بمقتضاها فاتها تختفي لامحالة أفعالا وإذا خولقت خردت الصفات وماتت مثل البخل فانه يتقضى إمسك  
للال فإذا منع مقتضاه وبذل اللال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طلبا وسقط  
التب فيه فان علاج البخل بعم وعمل فالعلم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع  
إلى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يسمى ويصم فيمنع تحقيق المعرفة  
فيه وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى المزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة  
الدواء وإمكان استعماله فانه لا حيلة فيه إلا الصبر إلى اللوث وكان من عادة بعض شيوخ الصوفا  
في معالجة علة البخل في الريدن أن يمنهم من الاختصاص بزواياهم وكان إذا تومم في مرقد فرحه  
بزائوته وما فيها نقله إلى زاوية غيرها ونقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع مملكه وإذا رآه  
يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرج بها يأمره بتسليمها إلى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يلبس  
إليه قلبه فهذا يحتاج إلى قلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبا فان كان له  
ألف متاع كان له ألف محبوب ولذلك إذا سرق كل واحد منه ألفت به مصيبة بقدر حبه فاذا مات تزل  
به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب السكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالقد  
والهلاك . حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروز مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا  
شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أو فقرا قال كيف قال إن كسر كان  
مصيبة لأجيرها وإن سرق صرت فقيرا إليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة  
والفقر ثم انقضى يوما أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكماء ليه لم يحمل  
إليها وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى النار وعدوة أولياء الله  
إذ تمنهم بالصبر عنها وعدوة الله إذا قطع طريقه على عبادته وعدوة نفسها فانها تأكل نفسها فان اللال  
لا يحفظ إلا بالحرز والحراس والحران والحراس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدرهم والدنانير  
فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى ينفى ومن عرف آفة اللال لم يأنس به ولم يفرح به ولم يأخذ منه  
إلا بقدر حاجته ومن فتح بقدر الحاجة فلا ييخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس ييخل ولا يحتاج إليه فلا  
يتعب نفسه يحفظه فينذله بل كالماء على شط الدجلة إذ لا ييخل به أحد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة.

( بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله )

اعلم أن اللال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حبة يأخذها الرقيق ويستخرج منها  
الترياق ويأخذها القافل فيقتله منها من حيث لا يدري ولا يخلو أحد عن سم اللال إلا بالمحافظة على  
خس وظائف . الأولى : أن يعرف مقصود اللال وأنه لما ذاق خلق وأنه لم يحتج إليه حتى يكتسب ولا يحفظ  
إلا قدر الحاجة ولا يطمع من منه فوق ما يستحقه . الثانية : أن يراعى جهة دخل اللال فيجتنب الحرام  
المحض وما القابل عليه الحرام كال السلطان ويجتنب المجات للكروية القاذفة في الروة كالهديا  
التي فيها شوائب الرشوة كالسؤال الذي فيه القلة وهتك الروة وما يجري مجراه . الثالثة : في التقدير  
الذي يكتبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة لم يسكن  
ومطمه لسكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى ومادام ما تلا إلى جانب القلة وتقربا من حد

يوما ويفطر يومين  
ومنهم من كان يصوم  
يوم الاثنين والخميس  
والجمعة . وقيل : كان  
سهل بن عبدالله يأكل  
في كل خمسة عشر يوما  
مرة وفي رمضان يأكل  
أكلة واحدة وكان  
يفطر بالماء القراح  
للسنة . وحكى عن  
الجنيد أنه كان يصوم  
على الدوام فاذا دخل  
عليه إخوانه أفطروهم  
ويقول ليس فضل  
الساعدة مع الإخوان  
بأقل من فضل الصوم  
غير أن هذا الاقطار  
يحتاج إلى علم قد  
يكون الداعي إلى ذلك  
شره النفس لا نية  
للوافة وتخليص النية  
لحسن اللواقعة مع  
وجود شره النفس  
صعب ، وصحت شيئا

الضرورة كان حقا وبجي من جملة المحققين وإن جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لمعها وقد ذكرنا  
تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد . الرابعة : أن راعى جهة المخرج ويقتصد في الاثاق غير  
مبذر ولا مفر كاذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضمه في غير حقه فان الاثم في  
الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء . الخامسة : أن يصلح نيته في الأخذ والترك  
والاثاق والامساك فباخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقاقا له  
إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال على رضي الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع ما في الأرض  
وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس زاهدا فليست كل  
جميع حركاتك وسكناتك هي مقصورة على عبادة أو مابين على العبادة فان أبعد الحركات عن  
العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة  
في حقه وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من قبض وإزار وفراش وآنية لأن  
كل ذلك مما يحتاج إليه في الدين وما يفضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن يتنفع به عبد من  
عباد الله ولا يمتنع منه عند حاجته لأن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حبه للمال جوهرها وتزيانها  
والتي سمها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يأتى ذلك إلا لمن رجع في الدين قدمه وعظم فيه علمه  
والعلم إذا تشبه بالعالم في الاستسكار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة شبه الصبي الذي  
يرى للزعم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج زياها فيقتدى به ويظن أنه أخذها مستحسنا  
صورتهما وشكلها ومستلينا جلدها فيأخذها اقتداء به فتقلته في الحال إلا أن قتيل الحية يدرى أنه  
قتيل وقتيل السال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية قتيل :

هي دنيا كية تنفث السم وإن كانت الحبة لانت

وكا يستحيل أن يتشبه الأعمى بالبصر في تخطي قلال الجبال وأطراف البحر والطرق للشوك كالفعال  
أن يتشبه العاقل بالعالم الساكل في تناول السال .

( بيان فم التقي ومدح الفقر )

اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفصيل التقي الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر  
والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكننا في هذا الكتاب ندل أن الفقر أفضل وأعلى من التقي  
على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحرف المحاسبي  
رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة  
مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الأمة في علم المال قوله السبق على جميع  
الباشرين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال  
بعد كلام له في الرد على علماء السوء : بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال يا غساة السوء تصومون  
وتصلون وتصدقون ولا تعملون متوهمون وتدرسون مالا تصلون قياسوه ما يحكون تتوبون بالقول  
والأمان وتعلمون الحموى وما يشي عنكم أن تتقوا جلودكم وقلوبكم دسة بحق أقول لكم لا تسكنوا  
كالنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه الخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم  
ويبقى القل في صدوركم باعبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقص من الدنيا شئوته ولا تنقطع  
منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل  
تحت أقدامكم بحق أقول لكم أقدم آخرتكم صلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى  
الناس أخسر منكم لو تعلمون وبلغكم حتام تصفون الطريق للدليلين وتقيمون في محل للتبخرين

يغول إلى سنين ما أكلت  
شيئا بشهوة نفس ابتداء  
واستدعاء بل يقدم إلى  
الشيء فأراه من فضل  
الله ونعمته وفضله  
فأوافق الحق في فعله .  
وذكر أنه في ذات يوم  
اشتهى الطعام ولم يحضر  
من عاداته تقديم الطعام  
إليه قال فتحت باب  
البيت الذي فيه الطعام  
وأخذت رمانة لا كلها  
فدخلت السنور  
وأخذت دجاجة كانت  
هناك قتلت هذا عقوبة  
لي على تصرفي في أخذ  
الرمانة . ورأيت الشيخ  
أبا السعد رحمه الله  
يتناول الطعام في اليوم  
مراتى وقت أحضر  
الطعام أكل منه  
ويرى أن تناوله للطعام  
مواظقة الحق لأن حاله  
مع الله كان ترك الاختيار  
في ما كوله وملبوسه

كانتم تدعون أهل الدنيا ليركبوها لكم مهلا مهلا وليكم ماذا يبقى عن البيت الظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يبقى عنكم أن يكون نور العلم أوهكم وأجوافكم منه وحشة متعطلة يا عبيد الدنيا لا كسيد أغنياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تبتلعكم عن أصولكم فتبتكم على وجوهكم ثم تتكلم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم تدفكم من خلفكم حتى تسلكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سواتكم ثم يهزكم بسوء أعمالكم ثم قال الحارث رحمته الله إخواني فهو لاء علماء سوء شياطين الإنس وقتة على الناس رغبا في عرض الدنيا ورفضها وأكروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون أو ينفو الكرم فضله [وبعد] فإن رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره مزجج بالتبصير فينتج عنه أنواع المومنون المعاصي وإلى البوار والتلف مصيره فرح الهالك برجاله فلم يبق له دنياه ولم يسلم له دينه - خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين - فيأله من مصيبة ما أفظمتها ورزية ما أجلها أفرأقوا الله إخواني ولا يقرنكم الشيطان وأولياؤه الأنسين بالحجج الداحضة عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأقصهم الماذير والحجج ويعزمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيزين المفلورون بذكر الصعابة لينذرهم الناس على جمع المال ولقد دهام الشيطان وما يشعرون وعك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن ابن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها لي لسانك قلبك لأنك متى زعمت أن أخبار الصعابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والرياسة قد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أبقى وأفضل من تركه قد ازدريت محمدا والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهدة في هذا الخبر الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجبل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أبقى من تركه قد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للأمة لإنهم عن جمع المال <sup>(١)</sup> وقد علم أن جمع المال خير لأنه قد غشهم زعمك حين نهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان للأمة ناصحا وعليهم مشقفا وبهم رؤوفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل قد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أو زعمت أن الله تعالى لم يسلم أن الفضل في الجمع فذلك نهم عنك وأنت عالم بما في المال من الخير والفضل فذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون تدبر بعقلك مادها لك الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصعابة وعك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ودَّ عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يوت من الدنيا إلا قوتا ولقد بلغتني أنه لما توفي عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إننا غاف على عبد الرحمن فإيا ترك قتاله كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كعب طيبا وأشق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمرَّ بعظم لحي بغير فأخذه يده ثم انطلق يريد كعبا فبقي لسكبه إن أبا ذر يبلط فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من

(١) حديث الترمذي عن جمع المال ابن عدى من حديث ابن مسعود ما أوحى الله إلى أن أجمع للمال وأكون من التاجرين الحديث ولأبي نعيم والحطيب في التاريخ والبيهقي في الزهد من حديث الحارث بن سويد في أثناء الحديث لا يجمعوا مالا تأكلون وكلاما ضعيف .

و جميع تصاريفه وكان حاله الوقوف مع فضل الحق وقد كان له في ذلك بداية بمن مثلها حتى قل أنه كان يبقى أياما لا يأكل ولا يعلم أحد بحاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب إلى تناول شيء ويتنظر فضل الحق ليساقه الرزق إليه ولم يشعر أحد بحاله مدة من الزمان ثم إن الله تعالى أظهر حاله وأقام له الأصحاب والتسليمات وكانوا يتكلمون الأطمعة ويأتون بها إليه وهو يرى في ذلك فضل الحق والواقعة . صحت بقول أصبح كل يوم وأحب ما إلى الصوم وينقض الحق على تحبب الصوم فضله فأوافق الحق في فضله . وحكى عن بعض

أبي ذر قال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية ترع من أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأنا معه فقال « يا أبا ذر قلت لبيك يارسول الله فقال : الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدمه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا أبا ذر قلت نعم يارسول الله بأبي أنت وأمي ، قال ما سررتني أني مثل أحد أفتقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يارسول الله ؟ قال بل قيراطان ثم قال يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل <sup>(١)</sup> » فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفا حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت للدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضى الله عنها ما هذا ؟ قبل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فأنها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين والسلميين يدخلون سعيًا ولم أر أحدا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخلها معهم حيا <sup>(٢)</sup> » فقال عبد الرحمن إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقاها أحررا لم لي أن أدخلها معهم سعيًا وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف « أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حيا <sup>(٣)</sup> » وبحك أيها القتون لما احتجباك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتواضعه وصنائه للرفوف وبذله الأموال في سبيل الله مع محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراه بالجنة <sup>(٤)</sup> أيضا يوقف في عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للنفق ولصنائع اللزوف وأتفق منه قصدا وأعطى في سبيل الله ممحا منع من السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار محبوبا في آثارهم حيا . فما ظنك بأمثالنا الفرق في فن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تفرغ في تحاليل الشبهات والسحت وتكالب على أوساخ الناس وتقلب في الشهوات والزينة واللباهة وتقلب في فن الدنيا ثم تنحس بعبد الرحمن وترع

(١) حديث أبي ذر الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا الحديث متفق عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التي في أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف كسب طيبا وترك طيبا وإنكار أبي ذر عليه فلم أقف على هذه الزيادة إلا في قول الحارث بن أسد الحماسي بلقي كاذكره للصف وقد رواها أحمد وأبو يعلى أنضر من هذا لفظ كعب إذا كان قضى عنه حق الله فلا بأس به فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب لو كان هذا الجبل لي نهب الحديث وفيه ابن لجة (٢) حديث عائشة رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين والسلميين شعثا الحديث في أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حيا رواه أحمد مختصرا في كون عبد الرحمن يدخل جوادون ذكر قراء المهاجرين والسلميين وفيه عمارة بن زاذان مختلف في الحديث (٣) حديث أنه قال أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حيا الزبارة من حديث أنس بسند ضعيف والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيف فيه خالد بن أبي مالك ضعفه الجمهور (٤) حديث بشر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف بالجنة الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث أبو بكر في الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وهو عند الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال البخاري والترمذي وهذا أصح

الصادقين من أهل واسط أنه سلم سنين كثيرة وكان يطير كل يوم قبيل غروب الشمس إلا في رمضان . وقال أبو نصر السراج أنكر قوم هذه الخرافة وإن كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لأن صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجموع وأن لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لي أن هذا إن قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم قد تمتع برؤية عدم الجمع برؤية الصوم وهذا يسلسل والأليق بمواقفة العلم إمضاء الصوم قال الله تعالى ولا تطلبوا أعيانكم ولكن أهل الصدق لهم نيات فيما يعملون فلا يمارضون والصدق

أنت إن جمعت المال فقد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وتعلم ويحك إن هذا من قياس إبليس ومن قتياله لأوليائه وأسأف لك أحوالك وأحوال السلف تعرف فضائحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتخفيف والبذل في سبيل الله ففسكبوا حلالا وأكلوا طيبا وأتقوا قصدا وقدّموا فضلا ولم يمنوا منها حقاً ولم يخافوا بها لكنهم جادوا لله بأكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيراً فبأنه أكد ذلك أنت والله إنك لبعد الشبه بالقوم [وبعد] فإن أخبار الصحابة كانوا للسكنة عبيد ومن خوف الفقر آمنين وبالله في أرزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاد راضين وفي الرخاء عاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا هم متواضعين وعن حبّ العلوّ والكثرة ورعين لم ينالوا من الدنيا إلا البليغ لهم ورضوا بالقلّة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرّعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهرتها فبأنه أكد ذلك أنت . ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقيمت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب هجّلت غيوتهم من الله وإذا رأوا الفقر مقبلاً قالوا مرحبا بشمار السالحين وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كشيء حزينا وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحاً مسروراً فبأنه إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت لست كذلك قال إني إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذ كان لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لي بآل محمد أسوة وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأغفقوا وقالوا مالنا والدنيا وما براد بها فكأنهم على جناح خوف وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه أحوال السلف ونتمهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا . فبأنه أكد ذلك أنت إنك لبعد الشبه بالقوم وأسأف لك أحوالك أيها اللقون ضدا لأحوالهم وذلك أنك تلعنى عند التقي وتبطر عند الرخاء وتعرج عند السراء وتنفل عن شكر ذي النعماء وتخط عند الضراء وتخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتفيض الفقر وتأف من السكنة وذلك غرر المرسلين وأنت تأف من غررهم وأنت تدّخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظنّ بالله عز وجلّ وقلة اليقين بفضائه وكفى به إمّا وعساك تجمع للمال ليعم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شرار أمّتي الذين غدّوا بالنعيم فريت عليهم أجسامهم <sup>(١)</sup> » وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليجيء يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لم يقال لهم - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعن بها - وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فبالها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع للمال للتكاثر والعلوّ والفخر والزينة في الدنيا . وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أو للتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكثّر بما حلّ بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والعلوّ نعم وعساك للسكّن في الدنيا أحبّ إليك من النقلة إلى جوار الله فأنت تكره لقاء الله وإنه قتالك أكره وأنت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا . وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أسف على دنياه فاتته اتقرب من النار مسيرة شهر وقيل سنة » وأنت تأسف على ما فاتك غير مكثّر بقرئك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك أحيانا لتوفّر دنياك وتضرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها . وقد بلغنا أن رسول الله

محمود لبيته كيف كان  
والصادق في خفائه  
صدقه كيف قلب وقال  
بعضهم إلّا رأيت  
الصوفي يصوم صوم  
الطوطى فاتمه فاعقد  
اجتمع منه شيء من  
الدنيا . وقيل إذا كان  
جماعة متواضعين  
أشكلا وفيهم مريد  
يعونه على الصيام فإن  
لم يساعده يهتموا  
لافطاره ويتكفوا  
رفقاه ولا يعملوا حاله  
على حاله وإن كانوا  
جماعة مع شيخ  
يصومون لسومه  
ويغفرون لافطاره إلا  
من يأمره الشيخ بفير  
ذلك . وقيل إن بعضهم  
صام سنين بسبب شباب  
كان يصعبه حتى ينظر  
الشباب إليه فيتأذّب  
به ويصوم بصيامه .

(١) حديث شرار أمّتي الذين غدّوا بالنعيم الحديث قدّم ذكره في أوائل كتاب ذم البخل عند الحديث الرابع منه من أسف على دنياه فاتته اتقرب من النار مسيرة سنة .

صلى الله عليه وسلم قال «من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه» (١) وبلغنا أن بعض أهل العلم قال إنك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفركك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تفتي بأمور دينك أضفاف ما تفتي بأمور آخرتك وعساك ترى مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انقاص دينك ولم يخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للموت والرضا في الدنيا وعساك تعرض للمخاوفين مساخطاً لله تعالى كما تكرم وتظمم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك وعساك تخفى من المخاوفين مساويك ولا تكثر بطائع الله عليك فيها فكانت الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس فكانت البسطة أعلى عندك قدراً من الله ، تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوى الألباب وهذه الثالب فيك أفد لك متلوذا بالأنداز وتخرج بمال الأبرار هبات هبات ما يهلكك عن السلف الأخيار والله لقد بلغنى أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهق منك فيما حرم عليهم إن الذى لا بأس به عندكم كان من اللوحيات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاماً منك لكبائر المعاصي فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم وليك أشفقت من سيئاتك كما أشفقتوا على حسناتهم أن لا تقبل ليت صومك على مثال إفطارهم وليت اجتهدك في العبادة على مثل قورم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغنى عن بعض الصحابة أنه قال غنمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهتهم ما زوى عنهم منها لمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق أمثالكم في السفالة أويوسفه الكريم بفضل [وبعد] فانك إن زعمت أنك متأس بالصحابة يجمع لك اللال لتعفف والبذل في سبيل الله فقدر أمرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك لا وجدوا في دهرهم أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا ، لقد بلغنى أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن تقع في باب من الحرام أقتطع من غسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب السكبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جميع اللال لأعمال البر مكر من الشيطان لبوقك بسبب البر في اكتساب الشبهات للمزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اجتراً على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام» (٢) أيها المغرور أما علمت أن خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهما واحداً مخافة أن لا يكون حلالاً خير لك من أن تصدق بألف دينار من شبهة لا تدرى إهل لك أم لا فان زعمت أنك أتقى وأورع من أن تتلبس بالشبهات وإنما تجمع اللال بزعمك من الحلال قبل في سبيل الله ويحك إن كنت كما زعمت بالقاء في الورع فلا تعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا للسالة وبلغنا أن بعض الصحابة قال ما سررت أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذلك رحمتك الله ؟ قال لا نغنى عن مقام يوم القيامة فيقول

ويحك عن أبي الحسن  
للكى أنه كان يصوم  
الدهر وكان مقبلاً  
بالبصرة وكان لا يأكل  
الحبز إلا ليلة الجمعة  
وكان قوته في كل شهر  
أربع دواينق يسل  
يسده حبال اليف  
ويبيعها وكان الشيخ  
أبو الحسن بن سالم  
يقول لا أسلم عليه  
إلا أن يخطر ويأكل  
وكان ابن سالم اتهمه  
بشهوة خبيثة في ذلك  
لأنه كان مشهوراً  
بسين الناس وقال  
بعضهم ما أخلص له  
عبد قط إلا أحب أن  
يكون في جبال يعرف  
ومن أكل فضلاً من  
الطعام أخرج فضلاً  
من الكلام وقيل أقام  
أبو الحسن التنبؤ

(١) حديث من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه لم أجده إلا بلاغا للحارث بن أسد الهامى كما ذكره المصنف عنه (٢) حديث من اجتراً على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام متفق عليه من حديث النعمان بن بشير نحوه وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام أول الحديث .

[illegible]

(١) حديث من نوقس الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث يؤتى بالزجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأشفقه في حرام فيقال انذبوا به إلى النار الحديث بطوله (٣) حديث يدخل صمالك للهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسة عام الترمذي ووصفه وابن ماجه من حديث أبي سعيد بلفظ قراء مكان صمالك ولهما والفسائي في الكبرى من حديث أبي هريرة يدخل القراء الجنة الحديث ولسلم من حديث عبد الله بن عمر إن قراء للهاجرين يسقون الأغنياء إلى الجنة ياربين خروفاً .

بالرحم مع أصحابه سبعة  
أيام لم يأكلوا فخرج  
بعض أصحابه ليظهر  
فرأى قسر بطيخ  
فأخذه وأكله فرآه  
إنسان فاتبع أثره وجاء  
برفق فوضه بين يدي  
القوم فقال الشيخ من  
جنى منك هذه الجناية  
فقال الرجل أنا وجدت  
قسر بطيخ فأكلته  
فقال كن أنت مع  
جنايتك ورددك قال  
أنا تألب من جنابك  
فقال لا كلام بمداتوبة  
وكانوا يستحبون  
صيام أيام البيض وهي  
الثالث عشر والرابع  
عشر والخامس عشر  
روى أن آدم عليه  
السلام لما أهبط إلى  
الأرض أسود جسده  
من أثر اللصبة فلما  
تاب الله عليه أمره أن

فيا كلون ويستمتون والآخرون جنة على ركبهم فيقول قلمك طبق أتم حكم الناس ومولكم فأروني ماذا صنعتُم فيما أعطيتكم (١) « وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ما سر في أن يحرر النعم ولا أن يكون في الرعي الأول مع محمد عليه السلام وحزبه يقوم فاستبقوا السباق مع الخففين في زمرة الرسلين عليهم السلام وكوّنوا وجلين من التخلف والافتقار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل الثقلين لقد بلغني « أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضي الله عنه عطش فاستسقى فأني بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خففت العبرة ثم بكى وأبكى ثم مسح السموع عن وجهه وذهب ليكنم فماد في البكاء فلما أكثر البكاء قيل له أكل هذا من أجل هذه الشربة قال نعم بينا أنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومأمه أحدني البيت فغري فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول إليك عني قفقت له فذاك أني وأمى ما أرى بين يديك أحدا من تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت إلى بعثتها ورأسها فقالت لي يا محمد خذني قفقت إليك عني فقالت إن تخرج مني يا محمد فإنه لا يجو مني من جدك فأخاف أن تكون هذه قفقتي فطعني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « يقوم فهؤلاء الأخبار بكوا ورجل أن تقطعهم عن رسول الله ﷺ بشربة من حلال وبحك أنت في أنواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الاقتطاع أفلاك ما أعظم جهلك وبحك فان تخلفت في القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد المصطفى انظرن إلى أحوال جزعت منها للأنبياء والأنياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن أردت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن إلى وقوف طويل وصراح طويل ولئن رضيت بأحوال المتخلفين لتطعن عن أصحاب الجبين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم التمتيعين ولئن خالفت أحوال الثقلين لتكونن من الخنسين في أحوال يوم الدين فتدبر وبحك ما سمعت [وبعد] فان زعمت أنك في مثال خيار السلف فتح بالقليل زاهد في الحلال بنول مالك مؤثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا لذلك مبض للتسكّر والنهي راض بالفقر والبلاء فرح بالقلّة والسكينة مسرور بالذلّ والضعف كاره للعلو والرفعة قوي في أمره لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توقف في المسألة ولن يحاسب مثلك من الثقلين وإنما تجمع للال الحلال للبدل في سبيل الله وبحك أيها المفلور فتدبر الأمر وأمعن النظر أما علمت أن ترك الاشتغال بالمسال وفرغ القلب للذكر والتذكّر والتدكار والفكر والاعتبار أسهل الدين وأيسر للحساب وأخف للمسألة وأمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أضعافا بلغان عن بعض الصحابة أنه قال لو أن رجلا في حجره دنائير يعطيها والآخريه ذكر الله كان الله أكرأ أفضل. وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أكبر به وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم نفسه وأما الآخر فإنه جانيها فم يطلبها ولم يتناولها فأيهما أفضل قال بيد الله ما بينهما انتهى جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها وبحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل إن تركت الاشتغال بالمسال إن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنتم لم يشك وأرضى باللك وأقل لمعومك فإعذرني في جمع المال وإن كنت بترك المال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر نعم وعشلك بذكر الله أفضل من بدل المال في سبيل الله

يصوم أيام البيض  
فايض ثلث جسده  
بكل يوم صامه حتى  
ايض جميع جسده  
بصيام أيام البيض  
ويستحيون صوم  
الصف الأول من  
شعبان وإنظار نصفه  
الأخير وإن واصل بين  
شعبان ورمضان فلا  
بأس به ولكن إن  
لم يكن صام فلا يستقبل  
رمضان يصوم أو  
يومين وكان يكره  
بعضهم أن يصام رجب  
جميعه كراهة المضاهاة  
برمضان ويستحب  
صوم الشر من ذي  
الحجة والشر من  
المهرم ويستحب الخميس  
والجمعة والسبت أن  
يصامهم الأشهر الحرام  
وورد في الخبر من صام  
ثلاثة أيام من شهر

- (١) حديث يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيستمتون ويأكلون الحديث ثم أله أصلا
- (٢) حديث أن بعض الصحابة عطش فاستسقى فأني بشربة ماء وعسل الحديث في دفع النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا عن نفسه وقوله إليك عني الحديث البزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال كنا عند أبي بكر فدعا بجراب فأني بماء وعسل الحديث قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضعيف



فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل . [ وبعد ] فلو كان في جمع المال فضل عظيم  
لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تأسي بنبينا إذ هداك الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجانية  
الدنيا وبحكم تدبر ما صحت وكن على يقين أن السعادة والقوز في مجانية الدنيا فصرع لواء المصلطي ساجدا  
إلى جنة المأوى فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سادات المؤمنين في الجنة من إذا  
تقدمي لم يجد عشاء وإذا استقرض لم يجد قرضا وليس بفضل كسوة إلا ما يواريه ولم يجد قدر لي أن يكتب  
ما يضيء يمسى مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه - فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين  
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا <sup>(١)</sup> » ألا يخفى متى جمعت هذا المال بهذه البليات فانك  
مبطل فيها ادعيت أنك للبر والفضل تجعده لاولئك كنك خوفا من الفقر تجعده وللنعم وللزينة والتكاثر  
والفخر والمال والرياء والسمة والتعظم والتكرمة تجعده ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال ولحك  
راقب الله واستحي من دعائك أيها الثرور وبحكم إن كنت مفتونا بحب المال والدينا فكن مفران  
الفضل والخير في الرضا بالبلغة ومجانة الفضول - نعم وكن عند جمع المال مزايل تهلك معترقا باساءتك  
وجلا من الحساب فذلك أنجي لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجب لجمع المال . إخواني اعلو أن  
دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أروع الناس وأزهدم في الباطل لهم وعنف في  
دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال . يبلغ القوت وستر العورة فأما جمع المال في دهرنا فاعاذنا  
الله وإياكم منه [ وبعد ] فأين لنا يمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدم واحتياطهم وأين لنا مثل  
ضائرهم وحسن نياتهم دهرنا ورب الساء بأدواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورد في مساعدة  
الحقنيين يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا  
قليل وقتنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين . هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل القفر على التفتي  
ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد  
ويشهد له أيضا ماروي عن أبي أمامة الباهلي « أن ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله ادع الله أن يرزقني  
مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال  
يا ثعلبة أمالك في أسوة أمارضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير  
معى الجبال ذهباً فضة لسارت قال والذي يشك بالحق نبياً لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل  
ذي حق حقه ولأفعلن ولأفعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاخذ غنا  
فتمت كما ينعم الدود ضافت عليه المدينة فتحي عنها قتلز واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر  
والعصر في الجماعة ويدع ما سواهم ثم تمت وكثرت فتحي حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تمتو كما ينعم الدود  
حتى ترك الجمعة وطلق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في الدين وسأل رسول الله صلى الله  
عليه وسلم عنه فقال ما ضل ثعلبة بن حاطب ؟ فقيل يارسول الله اتخذ غنا ضافت عليه المدينة وخير بأمره  
كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأزل الله تعالى - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم  
وتركهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم - وأزل الله تعالى فرائض الصدقة فبشر رسول الله صلى الله  
عليه وسلم رجلا من جينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن  
يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال مراً ثعلبة بن حاطب وبخلان رجل من بني سليم وخذا صدقةتهما  
وقد تقدم قبل هذا في هذا الكتاب (١) حديث سادات المؤمنين في الجنة من إذا تقدمي لم يجد  
عشاء الحديث عزاء صاحب مسند الفردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة عن حمصرا  
بلفظ سادة القفر في الجنة الحديث ولم أره في معارج الطبراني

حرلم الخسيس والجمة  
والسبت بعد من النار  
بجسامة عام .

[ الباب الحسادى  
والأربون في آداب  
الصوم ومهامه ]

آداب الصوم في  
الصوم ضبط الظاهر  
والباطن وكشف

الجوارح عن الآثام  
كف النفس عن الطعام  
ثم كف النفس عن

الاهتمام بالأقسام صمت  
أن بسن الصالحين  
بالعراق كان طريقه

وطريق أصحابه أنهم  
كانوا يصومون وكلا  
فتح عليهم قبل وقت

الافطار يخرجون ولا  
يفطرون إلا على ما فتح  
لهم وقت الافطار

وليس من الأدب أن  
يسلك الريد عن  
الباح ويخطر بجرام

غرجا حتى أتيا ثعلبة فسأله الصدفة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى غرغا ثم قعدا إلى قانطاطا نحو السلمي فسمع بهما قيام إلى خيار لسان إله فمزها للصدقة ثم استجلبها بها فلما رأوها قالوا لا يجب عليك ذلك وما تريد تأخذ هذا منك قال بل خذوها غنى بها طيبة وإعلمي لتأخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا ثعلبة فسأله الصدقة قال أروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأها قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للسلمي فأخبراه بالنبي صنع ثعلبة وبالله صنع السلمي فأرسل الله تعالى في ثعلبة - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ففدا آتاهم من فضله بخوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لأم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منعي أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك أمرتك فلم تلعني فلما أتى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان <sup>(١)</sup> فهذا طينان للمال وشو به وقد عرفته من هذا الحديث ولأجل بركة الفقر وشو به النبي أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم القفر لنفسه ولأهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال كانت لي من رسول الله منزلة وجاءه فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاءه فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم يا بني أنت وأمي يا رسول الله قيام وقت معي حتى وقتت ياب منزلة فاطمة ففرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذي يشك بالحق نيامي إلى الإعباء قال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار يده فقالت هذا جسد قد واريته فكيف رأيي فألقى إليها ملاء كانت عليه خلقة فقال شدي بها لي رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنته كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أتى لست أقدر على طعام آكله قد أجهدني الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنته فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولوسألت ربي لأعطيني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب يده على منكبها وقالها أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قصب لأدنى فيها ولا أصعب ثم قال لها اقنعي بأبن محم فوالله لقد رزقك سيدي في الدنيا سيدي في الآخرة <sup>(٢)</sup>

(١) حديث أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه الحديث بطوله الطبراني بسند ضيف (٢) حديث عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاءه فقال فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وفيه قد رزقك سيدي في الدنيا سيدي في الآخرة لم أجده من حديث عمران وأحمد والطبراني من حديث معقل بن يسار وصأت النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل لك في فاطمة نمودها الحديث وفيه أما ترضين أن زوجتك أقدم أمي سلما أو كثرتم

الآكام قال أبو الهريفة  
يا حبذا نوم الأكياس  
وفطرم كعب يبنون  
قيام الحق وصيامهم  
والدرة من ذي يقين  
وتوى أفضل من  
أمثال الجبال من  
أعمال للقرين ومن  
فضيلة الصوم وأدب أن  
يقل الطعام عن الحدة  
الذي كان يأكله  
وهو مفطر والإفاذا  
جمع الأكلات بأكلة  
واحدة قد أدرك بها  
ما فوت وقصود القوم  
من الصوم قهر النفس  
ومنها عن الاتساع  
وأخذهم من الطعام قدر  
الضرورة لهم أن  
الاتساع على الضرورة  
يجذب النفس من  
سائر الأفعال والأقوال  
إلى الضرورة والنفس  
من طبعها أنها إذا

فانظر الآن إلى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت  
 القدر وترك المال ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم  
 لم يشك في أن قد المالك أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه من أداء الحقوق  
 والتوفيق من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال الملم بإصلاحه وانصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر  
 إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال ، وقد روى عن جرير عن ليث قال سمعت رجلا عيسى بن مريم  
 عليه السلام قال أكون معك وأصحبك فانطلقا فأتينا إلى شط نهر جلسا يتفانيان ومعهما ثلاثة  
 أرغفة فأكل أرغفين وبقى أرغيف ثالث قام عيسى عليه السلام إلى النهر فغرب ثم رجع فلم  
 يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لأدري قال فانطلق معه صاحبه فرأى طيبة  
 ومعها خشفان لما قال فدعا أحدهما فثام فدعاه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف  
 قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالله أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري  
 ثم اتبنا إلى وادي ماء فأخذ عيسى يد الرجل فشيا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالله أراك  
 هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري فأتينا إلى مغارة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع  
 ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبيا باذن الله تعالى فصار ذهباً فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال لك لي وثلاث  
 وثلاث من أخذ الرغيف فقال أنا الذي أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فأتى  
 إليه رجلان في المغارة ومعهم السال فأراد أن يأخذهما منه ويتلوه فقال هو بيننا أثلاثا فباشوا أحدهم  
 إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما ثم أكله قال فبشوا أحدهم فقال الذي بث لأى شيء أقاسمهم هؤلاء هذا  
 للمال لكنني أضع في هذا الطعام مما فقلتلهما وأخذ السال وحدي قال ففعل وقال ذلك الرجل لأى  
 شيء نجعل لهذا ثلث السال ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمنا السال بيننا قال فلما رجع إليهما قتلوهما كلا  
 الطعام فأتا بقي ذلك السال في المغارة وأوثك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك  
 الحالة فقال لأصحابه هذه فاحذروها . وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأديهم شيء  
 مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فإذا أصبحوا تهدوا تلك القبور وكنسوها وصالحوا  
 عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قبض لهم في ذلك مهابين من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين  
 إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى إليه حاجة فإن كان له حاجة فليأتني فقال ذو القرنين  
 صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتيني فأبيت فما أنا قد جئت فقال لو كان لي إليك  
 حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين مالى أراك على حالة لم أر أحدا من الأمم عليها قال وما ذلك قال ليس لكم  
 دنيا ولا شيء . ألا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا نعم أكرهناها لأن أحدنا لم يطعم منها شيئا  
 إلا تأتت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فإذا أصبحتم تعاهدتموها  
 فكنتنتموها وصليتم عندها قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل . قال  
 وأراك لا طعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتبتموها وركبتموها  
 فاستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الأرض بلاغا ونعما يكتفى به إن آدم  
 أدنى البش من الطعام وأبما ما جاوز الحنك من الطعام لم نجده طعاما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط  
 ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول حجة فقال إذا القرنين أندري من هذا قال لا ومن  
 هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فقتلهم وطمعوا فأتى الشعبان  
 ذلك منه حصة بالموت فصار كالخبر للفقير وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرتهم تناول

علا وأعظمهم حلا وإسناده صحيح .

أثرت له تعالى في  
 شيء واحد على  
 الضرورة تأدى ذلك  
 إلى سائر أحواله فيصير  
 بالأكل النوم ضرورة  
 والقول والقول ضرورة  
 وهذا باب كبير من  
 أبواب الخير لأهل  
 الله تعالى يجب رعايته  
 واقتضاه ولا يخفى بلم  
 الضرورة وفائدتها  
 وطلبها لإعبد إريد الله  
 تعالى أن يجزيه  
 ويدينه وبسطه  
 وبريه ويمنع في  
 صومه من ملاعبة  
 الأهل وللأمة فإن  
 ذلك أزه للصوم  
 ويتسحر استعمالا  
 السنة وهو أسمى إلى  
 إضفاء الصوم لمنين  
 أحدها عود بركة  
 السنة عليه والكان  
 التقوية بالطعام على

جمجمة أخرى بالية فقال إذا القرنين هل تدري من هذا قال لا أدري ومن هو قال هذا ملك مملكة الله  
بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالذي من النعم والعظم والتجبر فتواضع وخضع فاعز وجل وأمر  
بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه في آخرته ثم أهوى إلى جمجمة  
ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهمذين فانظر إذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين  
هل لك في صحبتي فأعفك أخا ووزيرا وشريكا فيا آتاني الله من هذا المال قال ما أصلي أنا وأنت في  
مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم ؟ قال من أجل أن الناس كلهم عدو ولي صديق قال  
ولم قال يصادونك لما في يديك من الملك والمال والهيبة ولا أجد أحدا يناديني لرفض تلك ولما عدنى  
من الحاجة وقلة الشيء قال فاضرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا بفنائه الحكايات تلك على  
آفات النفي مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق .

( تم كتاب ذم المال والبخل بحمد الله تعالى وعونه ، وعليه كتاب ذم الجاه والرياء . )

### ( كتاب ذم الجاه والرياء )

( وهو الكتاب الثامن من ربيع الهلكتات من كتاب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله علام الغيوب ، الطلع على سرائر القلوب ، للتجاوز عن كثائر الذنوب ، العالم بما عتجنه الضمائر  
من خفايا الغيوب ، البصر بسرائر النبات وخفايا الطويات ، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كل وروى  
وحلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا ، فانه المنفرد بالمسكوت ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك ،  
والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه البرئين من الحيانة والإفك ، وسلم تسليما كثيرا .  
[ أما بعد ] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة  
الحفية التي هي أخفى من ديب الجملة السوداء في الصخرة الصامدة في الليلة الظلماء <sup>(١)</sup> » وذاك يحجز عن الوتوف  
على غوائلها محاسنة الماء فضلا عن عامة البعاد والأقبياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن  
مكايدها وإغما يبتلى به العلماء والعباد والشمر من عن سابق الجد بلوسك سبيل الآخرة فانهم مهاجروا  
أنفسهم وجاهدوها فطمعوا عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات  
محجرت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى الظاهر بالحير  
وإظهار العمل والعلم فوجدت محاسنا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بين الوار  
والتعظيم فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تنزع باطلاع الخلق وفرحت بحمد الناس  
ولم تنزع بحمد الله وحده وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوفيه الشبهات ونحله مشاق العبادات  
أطلقوا أنفسهم بالمدح والتثناء والتوا في التفرط والإطراء ونظروا إليه بين التوقير والاحترام وتبركوا  
عشاهة تعلقته ورغبوا في ركعته دأته وحرصوا على اتباع رأيهم فاعوه بالحمد وقوا السلام أكرموه في المحافل  
غاية الإكرام وسامعوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروهم بالطعام والملابس وتصارعوا له  
متواضعين واتقادوا له في أغراضه موقرين فأصاب النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات وشهوه هي أغلب  
الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والمفحورات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها

الصيام ، وروى أنس  
ابن مالك عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
قال « تسحروا فإن في  
السجود بركة »  
ويصل الفطر عملا  
بالسنة فإن لم يرتدوا  
الطعام إلا بعد المشاء  
وبريد إحياء ما بين  
المشاهدين فطر بالماء  
أو على أعداد من  
الزبيب أو التمر أو  
بأكل لتبسات إن كانت  
النفس تنازع ليصفوله  
الوقت بين المشاهدين  
فاحياه ذلك له فضل  
كثير وإلا فيقتصر  
على الماء لأجل السنة  
أخبرنا الشيخ العالم  
ضياء الدين عبد الوهاب  
ابن أبي قال أنا أبو النضر  
الطبري قال أنا أبو نصر  
الرباعي قال أنا أبو محمد

### ( كتاب ذم الجاه والرياء )

(١) حديث إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الحفية ابن ماجه والحاكم من حديث شداد  
ابن أوس وقالا الشرك بدل الرياء وفسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل منعه وهو عند  
ابن المبارك في الزهد ومن طريقه عند البيهقي في الشعب بلفظ المصنف .

في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله وبعبادته الرضية وإنعسا حياته بهذه الشهوة المحببة التي تحمي عن دركها العقول النافذة القوية ويرى أنه محاسن في طاعة الله ومجنب لحارم الله والنفس قد أبطلت هذه الشهوة تزينا للمباد وحصنا للخلق وفرجا عما نالت من التزلة والوقار وأجبطت بذلك ثواب الطاعات وأجود الأعمال وقد أثبت اسمه في جريدة للتائقين وهو يظن أنه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ومهواة لا يرقى منها إلا القربون وقد ذلك قبل آخر ما يخرج من ردوس الصديقين حب الرياسة وإذا كان الرياء هو الدماء الدفين الذي هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والحذر منه وينضح القرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين : الشطر الأول في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوا أشد من حب المال وبيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيق وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب للدخ والتناء وكراهية القم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهية القم وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والقم ففي اثنا عشر فصلا منها نقشا معاني الرياء فلا بد من تدبيرا والله للوفيق للصواب بلطفه ومنه وكرمه .

( بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت )

الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوني قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا اسحق بن موسى الأنصاري قال ثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن قرعة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بحسب المرء من الشر إلى ما يصيب في دينه وديناه إلا من عصمه الله » (١) وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بحسب المرء من الشر إلى ما يصيب في دينه وديناه إلا من عصمه الله » (٢) وأعمال (٣) « وقد ذكر الحسن رحمه الله للحدث تأويلا ولا بأس به إذا روى هذا الحديث قبله يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع فقال إنه لم ين هذا وإنما سعى به المبتدع في دينه والفاسق في دينه . وقال علي كرم الله وجهه تبذل ولا تشهر ولا ترفع شخصك تذكر وتموا كتم واصمت تلم تسم الأبرار وتظن الفجار وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السخني والله ما صدق الله عبده إلا سره أن لا يشعر بكمائه . وعن خالد بن ممدان أنه كان إذا كثرت حلقته قام عفاة الشهرة . وعن أبي العالقة أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة أقام . ورأى طلحة قوما يمشون معه نحو من عشرة فقال ذباب طمع وفراس نار . وقال سلم بن حذيفة ينادي إلى أحب عبادي إلى أحب فطرا » وقال عليه السلام « لا يزال الناس بخير ما جهلوا الفطر » والافتقار قبل الصلاة سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرة من ماء أو مذقة من لبن

أعلم أصلحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول إلا من شره الله تعالى لنشر دينه من غير تكاف طلب الشهرة منه قال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بحسب امرئ من الشر أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه وديناه إلا من عصمه الله » (١) وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بحسب المرء من الشر إلى ما يصيب في دينه وديناه إلا من عصمه الله » (٢) وأعمال (٣) « وقد ذكر الحسن رحمه الله للحدث تأويلا ولا بأس به إذا روى هذا الحديث قبله يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع فقال إنه لم ين هذا وإنما سعى به المبتدع في دينه والفاسق في دينه . وقال علي كرم الله وجهه تبذل ولا تشهر ولا ترفع شخصك تذكر وتموا كتم واصمت تلم تسم الأبرار وتظن الفجار وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السخني والله ما صدق الله عبده إلا سره أن لا يشعر بكمائه . وعن خالد بن ممدان أنه كان إذا كثرت حلقته قام عفاة الشهرة . وعن أبي العالقة أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة أقام . ورأى طلحة قوما يمشون معه نحو من عشرة فقال ذباب طمع وفراس نار . وقال سلم بن حذيفة ينادي إلى أحب عبادي إلى أحب فطرا » وقال عليه السلام « لا يزال الناس بخير ما جهلوا الفطر » والافتقار قبل الصلاة سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرة من ماء أو مذقة من لبن

(١) حديث أنس حسب امرئ من الشر أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه وديناه البيهقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث جابر بحسب امرئ من الشر الحديث مثله وزاد في آخره أن لا ينظر إلى صوركم الحديث هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله ورواه مسلم مقتصرًا على الزيادة التي في آخره وروى الطبراني والبيهقي في الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلفظ كفى بالمرء إنما ورواه ابن يونس في تاريخ الرياء من حديث ابن عمر بلفظ هلاك بالرجل وقصر دينه بالبدعة وديناه بالقسق وإسنادهما ضعيف .

فوقه لو تظنون ما أغلق عليه باني ما أتيتي منكم رجلا . وقال الحسن إن خفي النعال حول الرجل فلما تلبث عليه قلوب الحقي . وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة وإلا فإني عسى أن يبقى هذا من قلب للؤمن . وروى أن رجلا صاحب ابن عيرز في سفر فلما فارقته قال أو صني قال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتنتهي ولا تعني إليك وتساءل ولا تمثل فافعل . وخرج أيوب في سفر فشمه ناس كثيرون فقال لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أني لهذا كاره لحشيت القت من الله عز وجل . وقال معمر ثابت أيوب على طول قصته فقال إن الشهرة فيما مضى كانت في طول وهوى اليوم في تشميره . وقال بضمهم كنت مع أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال يا كوهذا الحجر الناهق يشير به إلى طلب الشهرة . وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والذباب الرديئة إذ الأجبار تمتد إليهما جميعا . وقال رجل ليشترين الحرث أو صني فقال أخلد ذكر لك وطيب مطعمك وكان حوشب يسكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافضح وقال أيضا لا يمدح حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

### ( بيان فتية الجول )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك <sup>(١)</sup> » . وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم « رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاء الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا <sup>(٢)</sup> » . وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل متكبر مستكبر جواظ <sup>(٣)</sup> » . وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينسكوا وإذا قالوا لم ينسكوا ولو لم يأتهم أحد من قومهم لم يفتقروا » . وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أمي من لو أتى أحدكم يسأله دينار لم يعطه ياءه ولو سأله درهم لم يعطه ياءه ولو سأله قسما لم يعطه ياءه ولو سأله الله الجنة لأعطاء ياءها ولو سأله الدنيا لم يعطه ياءها وامنعها ياءها لا هوأها عليه رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره <sup>(٤)</sup> » . وروى أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل يسكي عند

أو تمرات . وفي الخبر « كم من صائم حظه من صيامه الجوع والمطعم » قيل هو الذي يجوع بالبهار ويفطر على الحرام وقيل هو الذي يصوم عن الخلال من الطعام وينظر على لحوم الناس بالنية . قال سفيان من غتاب فصدومه وعن مجاهد خصلتان تضعدان الصوم الفية والكذب قال الشيخ أبو طالب للسكي قرن الله الأسناع إلى الباطل والقول بالاثم بأكل الحرام فقال - سمعون للكذب أسكنون لاسحت - . وورد في الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع

(١) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك مسلم من حديث أبي هريرة رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره وللحاكم رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبؤ عنه أربعين الناس لو أقسم على الله لأبره وقال صحيح الإسناد ولأبي نعيم في الحلية من حديث أنس بسند ضعيف رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وهو عند الحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيفه (٢) حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاء الجنة لم يعطه من الدنيا شيئا ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب (٤) حديث أني هريرة إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له قاله ابن إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم الحديث [١] (٥) حديث إن من أمي من لو أتى أحدكم فسأله دينار لم يعطه ياءا الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ثومان باسناد صحيح دون قوله ولو سأله الدنيا لم يعطه ياءا وامنعها ياءا وهو عليه .

[١] قول العراقي لم يؤذن لهم الحديث هكذا في النسخ من غير او وقال الشارح يرضى له العراقي فليعلم .

قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يريك ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن البير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفاء الذين إن قابوا لم يفتنوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصايح الهدى ينجون من كل غبراء مظلة <sup>(١)</sup> » وقال محمد بن سويد يخط أهل المدينة وكان بهار جل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم في بيتناهم إذ جاء رجل عليه طمران خفان فضلى ركعتين أوجز فيها ثم بسط يديه فقال يارب أقصمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة فترد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تقشفت السماء وأمطروا حتى صالح أهل المدينة من مخافة الترقى قال يارب إن كنت تعلم أنهم قد اكشفوا فارفع عنهم وسكن الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج إليه فقال إني أتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخشى بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتسلمني أن أخضك بدعوة ثم قال ما الذي بلغك ما رأيت قال أطمعت الله فم أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني . وقال ابن مسعود كونوا بتنايع السلم مصايح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض . وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى « إن أعبط أوليائي عبد مؤمن خفيف الحاد ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعة ربه والسر وكان فاضلا في الناس لا يشار إليه بالأصابع ثم سبر على ذلك قال ثم نشر رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال عجبت منيته وقل ترائه وقلت بوا كيه <sup>(٢)</sup> » وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أحب عباد الله إلى الله التبرأ قيل ومن التبرأ ؟ قال القارون بدينهم يمتعون يوم القيامة إلى المسيح عليه السلام . وقال الفضيل بن عياض بائني أن الله تعالى يقول في بعض ما بين به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترك ألم أحمك ذكرك . وكان الحليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني عند نفسي من أوضع خلقك واجعلني عند الناس من أوسط خلقك وقال الثوري وجدت قلمي يصلح بمكة وللمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء . وقال إبراهيم بن آدم ما قرئت عني يوما في الدنيا قط إلا مرة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان في البطن جفري للؤذن برجلي حتى أخرجني من المسجد . وقال الفضيل إن قدرت على أن لا تعرف فاضل وما عليك أن لا تعرف وما عليك أن لا يبقى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وإنما المطلوب بالمشورة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحسب الجاه هو منشأ كل فساد . فان قلت فأى شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة الطهارة فكيف فاتهم فضيلة الخمول . فاعلم أن للذموم طلب الشهرة فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من البديفليس بعموم . نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الأنبياء وهم كالترقيق الضعيف إذا كان معه جماعة من الترقى فالأولى به أن لا يعرف أحد منهم فاتهم يشتمون به فيضعف عنهم فيهلك معهم وأما القوى فالأولى أن يعرفه الترقى ليتلقوا به فينجبهم ويثاب على ذلك .

### ( بيان فم حب الجاه )

قال الله تعالى - تلك الدار الآخرة يجملها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً - جمع بين إرادة الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة للخالى عن الإرادة تين جميعا وقال عز وجل من كان يريد الحياة

(١) حديث معاذ بن جبل إن البير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفاء الحديث الطبراني والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيفه فيه عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرقى متروك (٢) حديث أبي أمامة إن أعبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاد الحديث الترمذي وابن ماجه بإسنادين ضعيفين .

والعطش من آخر التبار حتى كادتا أن تهلكا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله في الإفطار فأرسل إليهما قدحا وقال قولوا لهما قيثا فيه ما كتبتا فأتاهما نصفه دما عبيط ولما غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملائته فغضب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صائتا وأفطرتا على ما حرم الله عليهما » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شامه فليقل إني صائم » وفي الخبر « إن الصوم أمانة

الدنيا وزيتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون . وهذا أيضا متناول بمعومه حب الجاه فانه أعظم للذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زيتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب للال والجاه يبتتان التفاف في القلب كما يبيت اللاء البقل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذنبان ضاريان أرسلنا في زرية غنم بأسرع إفساداً من حب الشرف واللال في دين الرجل المسلم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم لمن كرم الله وجهه « إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء (٣) » نسأل الله العفو والعافية عنه وكرمه .

### ( بيان معنى الجاه وحقيقته )

اعلم أن الجاه واللال هما ركنا الدنيا ومعنى اللال ملك الأعيان المتنعج بها ومعنى الجاه ملك اللوب للقلوب تعظيمها وطاعتها وكما أن النقي هو الذي يملك الدراهم والدنانير أي يقدر عليه ما يوصل بهما إلى الأغراض وللقاصد قضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس أي يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه وما ربه وكما أنه يكتب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتب قلوب الخلق بأنواع من العلامات ولا تعير القلوب مسخرة إلا للمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفاً من أوصاف الكمال اتقاده وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كالآلة في نفسه بل يكفي أن يكون كلاً عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كلاً كلاً ويدعن قلبه للوصف به اعتقاداً ضرورياً بحسب اعتقاده فان اعتقاد القلب حال القلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعولمها وتغلباتها وكما أن حب اللال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترقي الأحرار ويستعبدهم ويملك رعايهم يملك ذلهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم لأن للالك يملك العبد قهراً والعبد متأب بطبعه ولو خشي ورأيه أنسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعاً وبيني أن تكون له الأحرار عبيداً بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له لما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذاً معنى الجاه قيام التزلة في قلوب الناس أي اعتقاد القلوب لتست من نوت الكمال فيه فيقدر ما يعتقدون من كاله تدعن له قلوبهم ويقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب ويقدر قدرته على القلوب يكون فرحه ووجهه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالملاح والإطراء فان للملح للكال لا يسكت عن ذكر ما يفتقده فيمنى عليه والخدمة والإعانة فانه لا يخلل يذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرة له مثل العبد في أغراضه وكالإيثار وترك التنازعة والتعظيم والتوقير بالمناخعة والسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع اللقاءات فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه في القلب اشتغال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص إما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية

فليحفظ أحدكم أماته  
والصوفي الذي لا يرجع  
إلى معلوم ولا يدري  
مق يساق إليه الرزق  
فاذا ساق الله إليه  
الرزق تناوله بالأدب  
وهو دائم المراقبة  
لوقته وهو في إفطاره  
أفضل من الذي له  
معلوم ممد فان  
كان مع ذلك يصوم  
قد أكل الفضل .  
حكى عن روم قال  
اجترت في المهاجرة  
يعض سلك بفساد  
فقطعت فتقدمت إلى  
باب دار فاستقيت  
فاذا جارية قد خرجت  
ومعها كوز جديد  
ملآن من الماء البود  
فما أردت أن أتناول  
من يدها قالت  
صوفي وشرب بالهار  
وضربت بالسكوز

(١) حديث للال والجاه يبتتان التفاف الحديث تقدم في أول هذا الباب ولم أجد (٢) حديث ماذبان ضاريان أرسلنا في زرية غنم أسرع إفساداً من حب الشرف واللال في دين الرجل المسلم (٣) حديث إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم في العلم من حديث أنس ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع الحديث ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس بسند ضعيف حب الثناء من الناس يعمي ويصم .



أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يمتدحه الناس فلا فان هذه الأوصاف كلها تنظم على في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم .

( بيان سبب كون الجاه محبوا للطبع حتى لا يغلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة )

اعلم أن السبب الذي يقتضى كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوا بهيئة يقتضى كون الجاه محبوا به بل يقتضى أن يكون أحب من المال كما يقتضى أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساوى في القدر وهو أنك تعلم أن الدرهم والثمانية لا غرض في أعيانها إلا لتصلح لمطعم ولا مشرب ولا منسكح ولا ملبس وإنما هي والحسب بما تجاوبوا واحدة ولكم ما يحبون لأنهما وسيلة إلى جميع المحاب وفرجة إلى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل بالإنسان بها إلى ما أراده فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استغفارها يفيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض فالاختلاف في السبب يقتضى الاختلاف في المحبة وترجيح الجاه على المال يقتضى أن يكون الجاه أحب من المال وملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه : الأول ، أن التوصل بالجاه إلى المال أسير من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم والأزاهد الذي غروره له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال ييسره فإن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب وبمذوقه لمن اعتقد فيه الكمال ، وأما الرجل الخسيس الذي لا ينصف بصفة كمال إذا وجد كثرًا ولم يكن له جاه يحفظ ماله أراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم ييسر له فادن الجاه آلة وسيلة إلى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فذلك صار الجاه أحب . الثاني هو أن المال ليس عرض لا يلبى والتلف بأن يسرق ويصعب ويطلع فيه للوكة والظلمة ويحتاج فيه إلى الحفظ والحراس والحراش وتطرق إليه أخطار كثيرة وأما القلوب فإذا ملكتها فلا تمرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيقة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أبدى التهايب والفساد وأثبتت الأموال الغار ولا يؤمن فيه النصب والظلم ولا يستغنى عن الرقابة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي محفوظة محروسة بأشهرها والجاه في أمن وأمان من النصب والسرقة فيها ، ثم إنما تنصب القلوب بالنصرص وتبيح الحال وتغير الاعتقاد فيها صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاولة فعله . الثالث أن ملك القلوب يسرى وينسى ويزيد من غير حاجة إلى تنب ومقاساة فإن القلوب إذا ذهنت لشخص واعتقدت كماله بلم أو عمل أو غيره أفضحت الألسنة لا سيما بما فيها فيصف ما يحقده فغيره ويقتضى ذلك القاب أيضا ولهذا ينبغي حب الطبع الصيت وانتشار الذكر لأن ذلك إذا استطار في الأفطار اقتضى القلوب ودعاهما إلى الإذعان والتنظيم فلا يزال يسرى من واحد إلى واحد ويزيد وليس له مردمين وأما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنائه إلا بنصب ومقاساة الجاه أبدأ في الجاه بنفسه ولا مرد لوقته والمال واقف ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت ونطقت الألسنة بالثبات استحققت الأموال في مقابلته فهذه جميع ترجيحات الجاه على المال وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح . فان قلت فالإشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي أن يحب الإنسان المال والجاه ، ثم القدر الذي يتوصل به إلى جلب اللذات ودفع الضرر معلوم كالحاجة إلى اللبس والسكن وللمطعم أو كاليتلى مرض أو بقوبة إذا كان لا يتوصل إلى دفع النقوبة عن نفسه إلا بمال أو جاه فحينئذ للمال والجاه معلوم إذ كل ما يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب وفي الطباع أمر محجب وراء هذا وهو حب جميع الأموال وكثرة السكون وإدخار الثخائر واستكثار الخزان وراء جميع الحاجات حتى لو كان للبدن واديان من ذهب لا ينبغي لها ثابا وكذلك يحب الإنسان اتساع الجاه وانتشار الصيت إلى أقصى البراءة فيعلم قطعه أنه لا يطقها ولا يتأهده صاحبها ليعظمه أو ليروه بمال أو ليعنوه على غرض من أغراضه ومع ذلك فإنه يلتذ به

على الأرض والضرر  
قال روم فاستحييت  
من ذلك . وتذرت  
أن لا أنظر أبدا  
والجماعة الذين كرهوا  
دوام الصوم كرهوه  
لمسكان أن النفس إذا  
ألتت الصوم وتموده  
الجمعة عليها الإفطار  
وهكذا يشودها  
الإفطار تنكره الصوم  
فيرون الفضل في أن  
لا تركز النفس إلى  
عامة ورأوا أن إفطار  
يوم وصوم يوم أهد  
على النفس . ومن  
أدب التسقراء أن  
الواحد إذا كان  
بين جمع وفي محبة  
جماعة لا يصوم إلا  
يأذنهم وإنما كان ذلك  
لأن قلوب الجميع متعلقة  
بخطوره وم على غير  
معلوم فان صام يذن

غاية الالتئاذ وجب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل قاه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة . فقول نم هذا الحب لانتفك عنه القلوب . وله سببان : أحدهما جلي تدركه البكافة . والآخر خفي وهو أعظم السببين ولكنه أدقها وأخفها وأبسطها عن أنهما الأذكياء فضلا عن الأغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها إلا القواصون . فأما السبب الأول فهو دفع ألم الحوف لأن الشفيق يسوء الظن مولع والانسان وإن كان مكفيا في الحال فانه طويل الأمل ويخطر بباله أن السال الذي فيه كفايته ربما يتلف . فيحتاج إلى غيره . فإذا خطر ذلك بباله حاج الحوف من قلبه ولا يدفع ألم الحوف إلا الأمن المحاصل بوجود مال آخر يزفع إليه إن أصابت هذا المال جائحة فهو أبدا لشفتقه على نفسه وجه للحرية . بقدر طول الحياة . ويقدر هجوم الحاجات . ويقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ويستشعر الحوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى إن أصيب بطاقة من ماله استخى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فذلك لم يكن كنهه موقف إلى أن يملك جميع مافي الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « منومان لا يشبعان منهنم العلم ومنهنم المال » (١) ومثل هذه العلة تطرد في حب قيام الملة والبهاء في قلوب الأباغع عن وطنه وبلده فانه لا يخو عن تقدير سبب زيجهم عن الوطن أو زرعج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه وبحاج إلى الاستماتة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلا إحالة ظاهرة كان للنفس فرح وولادة قيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الحوف . وثما السبب الثاني وهو الأقوى أن الروح أمر رباني بهوصفه الله تعالى إذ قال سبحانه - وبسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - أو معنى كونه ربانيا أنه من أسرار علوم المكشوفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ولكذلك قبل معرفة ذلك تعلم أن القلب ميلا إلى صفات بهيمة كالأكل والواقع وإلى صفات سبعة كالقتل والضرب والإيذاء . وإلى صفات شيطانية كالسكر والحديمة والإغواء وإلى صفات ربوية كالسكر والزم والتعير وطلب الاستعلاء وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتخصيلها فلو لم فيه من الأمر الرباني يهب الربوية بالطبع ومعنى الربوية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لاحالة كمال الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا في حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والتفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواء فان ماسواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن للية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل السكامل من لا نظير له في رتبته وكما أن إشراق نور الشمس في أقطار الأفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل مافي العالم يرجع إلى إشراق آتوار القدرة فيكون تابه ولا يكون متنيا فاذن معنى الربوية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فانه بطبعه يحب لأن يكون هو التفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية : مامن إنسان إلا وفي باطنه ماصرح به فرعون من قوله - أنا ربكم الأعلى -

الجمع وضع عليهم ياء  
لا يترهم إذ خار الصام  
مع السلم بأن الجمع  
للفطرين يحتاجون  
إلى ذلك فان الله تعالى  
بأن الصام رزقه إلا أن  
يكون الصام محتاج إلى  
الرفق لضعف حاله  
أو ضعف بنيته  
لشيوخه وغير ذلك  
وهكذا الصام لا يليق  
أن يأخذ نصيبه  
فدخره لأن ذلك من  
ضعف الحال فان كان  
ضعفا يسترف بحاله  
وضعه فدخره الذي  
ذكرناه لأفهامهم على  
غير معلوم فأما الصنوفة  
التيومون في رباط على  
معلوم فأما التيومون  
الصيام ولا يترهم  
مواقف الجمع في الإفطار  
وهذا يظهر في جميعهم  
لهم معلوم يقدم لهم

(١) حديث منومان لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث أبي مسعود بسند ضعيف والبراز والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس بسند لين وقد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يظهر سر الروح البخاري من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

ولسكه ليس بحد مجالا وهو كما هل فان العبودية قبر على العس والربوبية محبة بالطبع وذلك  
للقسبة الربانية التي أوما إليها قوله تعالى - قل الروح من أمر ربي - ولكن لما هجرت النفس عن  
ذلك انتهى الكمال لم تسقط شهواتها للكمال فهي محبة للكمال ومشية له وملتقة به لذاته الخفى  
آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محبة لذاته ولكمال ذاته ومفيض للهلاك الذي هو عدم ذاته  
وعدم صفات الكمال من ذاته وإنما الكمال بسد أن يسلم التفرد الوجود في الاستيلاء على كل  
الوجودات فان أكل الكمال أن يكون وجود غيره منك فان لم يكن منك فان تكون مستويا عليه  
صار الاستيلاء على الكل محبوا بالطبع لأنه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه محبة ذاته ويجب  
كمال ذاته ويلتذ به إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره محبة الارادة  
وكونه مسخرًا لك تردده كيف تشاء فأحب الإنسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء للوجود  
به إلا أن للوجودات مقسمة إلى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته وإلى ما يقبل التغيير  
ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق كالأفلاك والكواكب وملكووت السموات وقوس للالائكة  
والجن والشياطين وكأطيال والبحار وما تحت الجبال والبحار وإلى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالأرض  
وأجزائها وما عليها من العادن والنبات والحوان ومن جعلها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغيير  
مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فاذا اتسمت للوجودات إلى ما يقدر الإنسان على التصرف فيه  
كالأرضيات وإلى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى ولللائكة والسموات أحب الانساب أن يستولى على  
السموات بالمع والاحاطة والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع استيلاء إذا للمع المعاطبة كدخل  
محت العلم والعالم كالمتولى عليه فذلك أحب أن يعرف الله تعالى ولللائكة والأفلاك والكواكب  
وجميع محبات السموات وجميع محبات البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء  
نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من هجر عن صفة محبة إلى معرفة طريق الصفة فيها كمن يعجز عن  
وضع الشطرنج فانه قد يشتهي أن يعرف اللعب به وأنه كيف وضعه وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة  
أو الشيفة أوجر الثقيل أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه يشتهي أن يرى  
معرفة كيفية فهو متألم ببعض العجز متلذذ بكمال العلم إن علمه . وأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي  
يقدر الإنسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي  
قبائل : أجساد وأرواح أما الأجساد فهي الدوام والتأثير والأمنعة فيجب أن يكون قادرا عليها بفعل  
فيها مشاء من الرفع والوضع والتسلم والنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية  
والربوبية محبة بالطبع فذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ملابسه ومطعمه وفي شهوات  
نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالهرم والقلية حتى يتصرف  
في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار وإن لم يملك قلوبهم فانها رغبسا لم تتفك كاله حتى يصير محبوا بها  
وتقوم التهم متزكة فيها فان الخشية القهرية أيضا لذيفة لما فيها من القدرة . القسم الثاني : نفوس  
الآدميين وقلوبهم وهي أنفس ماضية وجه الأرض فهو محبة أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون  
مسخرة له متصرفة تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب  
إنما تستخر بالحب ولا يحب إلا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية  
والصفات الإلهية كلها محبة بالطبع للنفس الرباني من جملة معاني الإنسان وهو الذي لا ياله الموت  
فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه عمل الإيمان وللمعرفة هو الواصل إلى لقاء الله تعالى والساعي  
إليه فاذن معنى الجلاء تسخير القلوب ومن تسخر له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء

بالتأمر فأما إذا كانوا  
على غير معلوم فتدليل  
مساعدة الصوام  
للفطرين أحسن من  
استدعاء الواقعة من  
الفطرين لاصوام وأمر  
القوم بينه من الصدق  
ومن الصدق افتقاد  
النية وأحوال النفس  
فكل صحت النية فيه  
من الصوم والانقطاع  
والواقعة وترك الواقعة  
فهو الأفضل فأما من  
حيث السنة فمن يوافق  
له وجه إذا كان صامعا  
وأفطر للواقعة وإن  
صام ولم يوافق فله وجه  
فأما وجه من يفسر  
ويوافق فهو مأخوذا به  
أو زريعة طاهر عن  
نبيذ في الفضل الحافظ  
القسمي قال أنا  
بو الفضل محمد بن  
عبد الله قال أنا السيد

كال وهو من أوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة واللذات والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للقدورات وما دام يبقى معلوماً ومقدوراً فالشوق لا يسكن والتقصان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «منهومان لا يشبعان» فاذن مطلوب القلوب والكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل إنسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم واللذات والجاه محبواً وهو أمروراء كونه محبواً بالأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فإن هذه القوة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الإنسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به إلى الأغراض بل ربما يغوث عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع الجوانب وللشكوك لأن في العلم استيلاء على العلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبواً بالطلب إلا أن في حب كمال العلم والقدرة أعالي طلبة من ياتهم إن شاء الله تعالى.

(بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لاحقة له)

قد عرفت أنه لا كمال بعد قوت التفرد بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي ويانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه: أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى. الثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون العلوم مكتشوفة به ككشفنا ثاماً فإن للمعلومات مكتشوفة لله تعالى بأنواع الكشف على ما هو عليه فذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للأطوار في تفاصيل صفات العلوم كان أقرب إلى الله تعالى. الثالث: من حيث بقاء العلم أبداً الأبد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باقي لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يغير لا يتغير. والاختلاف كان أقرب إلى الله تعالى والمعلومات قسمان: متغيرات وأزليات. أما المتغيرات فتألف من العلم بكون زيد في الدار فانه علم لمعلوم ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فيقلب جهلاً فيكون نقصاناً لا كمالاً فكما اعتقدت اعتقاداً موافقاً وتصور أن يغلب التعبد فيه عما اعتقدته كنت بصد أن يتقلب كالك قصا ويمود عليك جهلاً ويتحقق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كملكك مثلاً بارتفاع جبل ومساحة أرض وبعيد البلاد وتباعد ما بينها من الأميال والقرايع وسائر ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم بالصفات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الأعصار والأهم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال إلى حال فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يبقى كمالاً في القلب.

القسم الثاني: هو للمعلومات الأزلية وهو جواز الجزئات ووجوب الواجبات واستحالة التستحيالات فان هذه معلومات أزلية أبدية إذ لا يستحيل الواجب قط جائزاً ولا الجائز محالاً ولا المحال واجباً فكل هذه الأقسام داخلة في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفعاله فالعلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله وحكمته في ما سكوت السموات والأرض وتربيب الدواب لا آخر وما يتعلق بهو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كما لنفسه بدالات وتكون هذه المعرفة نوراً للعارفين بعد اللوث - يعني بين أيديهم وبأسمائهم يقولون ربنا نعم لنا نور نأى تكون هذه المعرفة قرائن مال يوصل إلى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فانه يجوز أن يصير ذلك سراجاً يضيء النور بسراج آخر يتبين منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى يمكن لمطعم في هذا النور فيبقى - كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها - بل كظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سبحانه

أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي قال أنا أبو بكر محمد بن حمويه قال ثنا عبد الله بن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني طهارة ابن خاله عن حماد بن جريد عن محمد بن الحسن بن محمد بن أبي بكر عن أبي سعيد الحدرى قال اصطلحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاماً فلما قدم إليهم قال رجل من القوم إنى صائم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «وما لكم أخيراً لم تكلفوا لكم ثم تقول إن صائم أفطس وأفنى يوماً مكانه» وأما وجه من لا يوافق قدور ودان رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبائه أكثروا وبلال صائم

ظلمات بعضها فوق بعض - فاذن لاسمادة إلا في معرفة الله تعالى وأحاط بذلك من المعارف فبها ما لا فائدة له أصلاً كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرها ومنها ماله منفعة في الإجابة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار فإن معرفة لغة العرب تبين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تبين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والأعمال التي تغيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى - قد أطلع من زكاهما - وقال عز وجل - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى وإدراك الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات وإدلو وجودات كلها من أفعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى وهذا حكم كمال العلم كما نؤمن أن يكون لها ما يحكم الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال . وأما القدرة فليس فيها كمال حقيق للعبد بل للعبد علم حقيق وليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقيب إرادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة بأحداث الله كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربيع النجاة فكمال العلم يبقى معه بعد اللوث ويوصله إلى الله تعالى فأما كمال القدرة فلا يتم له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة له إلى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوة يده للبطش ورجله للتمشي وحواصيه للادراك فإن هذه القوى آلة للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه لتتوصل به إلى العلم والشرب والملبس والسكن وذلك إلى قدر معلوم فإن لم يستعمله للوصول به إلى معرفة جلال الله فلا خبر فيه إلا أنه من حيث الله فلا حاجة التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالاً فقد جهل فالخلق أكثرهم هالكون في محمرة هذا الجبل فانهم يظنون أن القدرة على الأجساد بغير الحشمة وعلى أعيان الأموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به ونهال الكواكب ففسدوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية أما العلم فلا بد أن يكون من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر بقهرها بالملائكة الذين لا يستغفرون الشهوة ولا يستوفهم الغضب فإن دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال أنه تعالى استعالة التغيير التآثر عليه فمن كان عن التغيير والتأثر بالعوارض أهد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومزلة عندنا أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنما لم نورد في أقسام الكمال لأن حقيقته ترجع إلى عدم نقصان فإن التغيير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها في الذات وفي صفات الكمال فاذن الكمالات ثلاثة إن عدنا عدم التغيير بالشهوات وعدم الاتقياء لها كمال كمال العلم وكال الحرية وأعلى به عدم العبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية وكمال القدرة للعبد طريق إلى اكتساب كمال العلم وكال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته إذ قدرته على أعيان الأموال وعلى استحضار القلوب والأبدان تتقطع بالموث ومعرته وحرية لا يتعدان بالموث بل بقيان كماله فيه ووسيلة إلى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون واستكبروا على وجوههم استكباب العبدان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وإن سلم لبقائه وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي إذا حصل كان أبدأ لا تعطاه له هؤلاء الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخره فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يسمعوا قوله تعالى - المال والبنون زينة

تقال رسول الله تأسل  
رزقنا ورزق بلال في  
الجنة فاذا علم أن  
هناك قلباً يتأذى أو  
ضلالاً يرجي من موافقة  
من يشتم موافقة  
يفخر بحسن النية  
لا حكم الطبع وتماضيه  
فان لم يجد هذا الشيء  
لا يبتغي أن يلبس عليه  
الثروة ولباعة النفس  
بالبقية فليتم صومه  
وقد تكون الإجابة  
لداعية النفس لالتضاء  
حق أخيه . ومن  
أحسن آداب الفقير  
الطالب أنه إذا أفطر  
وتناول الطعام رجحاً  
يحد باله متفرياً عن  
حبته ونفسه متبذلة  
عن أداء وظائف  
العبادة فيقطع مزاج  
القلب للتضرع بأهواب  
التضرع عنه ويذهب

الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا فالعلم والحرياهي الباقيات الصالحات التي تبقى كالا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال - أعسا مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض - الآية وقوله تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء - إلى قوله - فأصبح هشيا نفروه الريح - وكل ما تذروه الريح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات قد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كل على أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل وإليه أشار أبو الطيب بقوله : ومن ينق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فاقدي فعل الفقر إلا قدر البلغة منها إلى الكمال الحقيق اللهم اجعلنا ممن وفقته للخير وهديته بطريقك .

( بيان ما محمد من حب الجاه وما ينم )

مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها حكمه حكم ملك الأموال فإنه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالسالم والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا يمكن أن يزول منه كالأخرة وكما أنه لا بد من أدق ماله لضرورة الطعام وللشرب ولللبس فلا بد من أدق جاء لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كالا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام والمال الذي يتنازع به العلماء فكذلك لا يخلو عن الحاجة إلى خادم غنمه ورفيق بيته وأستاذ يرشده وسلطان يخرسه ويدفع عنه ظم الأشرار عليه لأن يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعو إلى الخدمة ليس يذموم وجهه لأن يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مراقبته وما يذموم وجهه لأن يكون له في قلب أستاذه من المحل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والثناء به ليس يذموم وجهه لأن يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه ليس يذموم فأن الجاه وسيلة إلى الأعراض كالسالم فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا ينقض إلى أن لا يكون السالم والجاه بأعيانها محبوبين له بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان أن يكون له في داره بيت ماء لأنه مضطر إليه قضاء حاجته ويود أن لا يستغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس محال البيت السالم فكل ما يراد للتوصل به إلى محبوب فالجوب هو التصود للتوصل إليه وتذكر التفرقة بمثال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الساء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان بهجر زوجته كما أنه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الانسان زوجته لثباتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقى مستصحبها لكانها فيها ذواها والحب دون الأول وكذلك الجاه والمال وقد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين لخيرهما لأجل التوصل بهما إلى مهمات البدن غير مضموم وجههما لأعيانها فيا يجاوز ضرورة البدن وحاجته مضموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان مالم عمله الحب على مباشرة مضيعة ما يتوصل به إلى اكتساب كذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة فان التوصل إلى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي . فان قلت : طلبه للثروة والجاه في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الإطلاق كيفما كان أو يباح إلى حد مخصوص على وجه مخصوص . فأقول : يطلب ذلك على ثلاثة أوجه : وجهان مباحان ، ووجه محظور . أم الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام للثروة في قلوبهم باعتقادهم فيه سعة وهو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوى أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لأنه كذب وتلبس إما بالقول أو بالمقامة . وأما أحد الباحثين فهو أن يطلب للثروة صفة هو متصف بها

الطعام بركات يصلها أو بآيات يتلوها أو بأذكار واستغفار يأتي به بقدر ورد في الخبر . أذيسوا طماكم بالله كرم . ومن مهام آدبه الصوم كنهان مهما . أمكن إلا أن يكون متسكنا من الإخلاص فلا يبالى ظهر أم بطن .

[ الباب الثاني والأربعون في ذكر الطعام وما فيه من الصلحة والفائدة . ] الصوفي يحسن نيته ووجه مقصده ووفور عليه وإتيانه بأدائه صبر جادته عبادة والصوفى موهوب وقته في ويريد حياته فكذلك قال الله تعالى لنبية أمرا له - قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي

كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى - اجملنى على خزائن الأرض إني حفيظ علم - فإنه طلب التزلف في قلبه بكونه حفيظا عليها وكان محتاجا إليه وكان صادقا فيه . والثاني أن يطلب إيفاء عيب من عيوبه ومعصية من ماصيه حتى لا يطم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لأن حفظ السر على التبايع جائز ولا يجوز هناك السر وإظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفى عن السلطان أنه يضرب الحجر ولا يلقى إليه أنه ورع فإن قوله إني ورع تلبس وعدم إقراره بالسررب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالسررب . ومن جهة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتضاده فإن ذلك رياء وهو ملبس إذ يخيل إليه أنه من المحاضرين الحاشدين لله وهو مرء بما ينفعه فكيف يكون غلطا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكذا لا يجوز له أن يتملك مال غيره بتلبس في عوض أو في غيره فلا يجوز له أن يتملك قلبه بتزوير وخداع فإن ملك القلوب أعظم من ملك الأموال .

( بيان السبب في حب اللذات والتأني وإرتياح النفس به وميل

الطبع إليه وبضها لقدم وشرتها منه )

اعلم أن حب اللذات والتأني القلب به أربعة أسباب: السبب الأول وهو الأقوى شعور النفس بالكمال فإنا بينا أن الكمال محبوب وكل محبوب فادرك كذا قد عرفت النفس بكمالها ارتاحت واهترت وتلذذت وللذات يشعر نفس المدح بكمالها فإن الوصف الذي به مدح لا يغلو إيمان يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فإن كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لا يغلو عن لذة كتمانها عليه بأنه طويل القامة أيضا اللون فإن هذا نوع كمال ولكن النفس تنفل عنه فتعول عن لذته فإذا استشعرته لم يجد حدوث الشعور عن حدوث لذة وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليه الشك فاللذة فيه أعظم كالتأني عليه بكمال العلم أو كمال الورع أو بالحسن الطالق فإن الإنسان رعبا يكون شاكا في كمال حسنه وفي كمال علمه وكال ورعه ويكون مشتاقا إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستيقنا لسكونه عديم النظر في هذه الأمور إذ تطمئن نفسه إليه فإذا ذكره غيره أورد ذلك طعاما وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وإنما تعظم اللذة بهذه الملة مهماسد التأني من بصير بهذه الصفات خير بها لا يجازف في القول إلا عن حقيق وذلك كفتح الحديد بشيء أستاذاه عليه بالكياسة والدكاء وغزارة الفضل فإنه في غاية اللذة وإن صدر عن مجازف في الكلام أو لا يكون بصيرا بذلك الوصف ضمنت اللذة وبهذه الملة يفيض الدم أيضا ويكرهه لأنه يشعره بتقصان نفسه والتقصان ضد الكمال المحبوب فهو محموق والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الألم إذا صدر الدم من بصير موقوف به كذا ذكرناه في اللذات . السبب الثاني : أن اللذات يدل على أن قلب اللذات محلو للصدوح وأنه مريد له ومعتد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذبة وبهذه الملة تعظم اللذة مهماسد التأني ممن تستمع قدرته وينتفع باقتناس قلبه كالمولود والأكارب ويضعف مهما كان اللذات عن لا يؤبه به ولا يهتد على شيء فإن القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر حقيق فلا يدل اللذات إلا على قدرة قاصرة وبهذه الملة أيضا يكره الدم ويتألم به القلب وإذا كان من الأكابر كانت نكاته أعظم لأن القامت به أعظم . السبب الثالث : أن تمام اللذات ومدح الماسد سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيا إذا كان ذلك ممن يلمت إلى قوله ويستدب آتاه وهذا محض بشاء يقع على الملا فلا جرم . كما كان أجمع أكثر والمشي أجدر بأن يلمت إلى قوله كان اللذات ألم والذم أحد على النفس . السبب الرابع : أن اللذات يدل

له رب العالمين -  
تدخل على الصوفى  
أمور العادة لموضع  
حاجته وضرورة  
بهرته ويحف بمادته  
نور يفتق وحسن  
نيتة فتتور العادات  
وتتشكل بالبيادات  
ولهذا ورد «نوم العالم  
عبادة ونفسه تسبيح»  
هكذا مع كون النوم  
عين النفل ولكن كل  
ما يستعان به على العبادة  
يكون عبادة فتناول  
الطعام أصل كبير  
يحتاج إلى معلوم كثيرة  
لاشغاله على المصالح  
الدينية والدينية  
وتتلقى أثره بالقلب  
والقلب به قوم إلى الدين  
بإجراء سنة الله تعالى  
بذلك والقلب مركب  
القلب وبها عمارة  
الدنيا والآخرة وقد

على حشمة المدح واضطرار اللادح إلى اطلاق اللسان بالثناء على المدحوخ إما عن طوع وإما عن قهر فان الحشمة أيضا قدينة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللثة تحصل وإن كان اللادح لا يعتقد في الباطن مامدح به ولكن كونه مضطرا إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم يكون لذته بقدر تمتع اللادح وقوته فتكون لذته ثناء القوى الممتنع عن التواضع بالثناء أعده لهذه الأسباب الأربعة قد تجمع في مدح مامدح واحد فيقطع بها الالتئاذ وقد يخترق فتتقص اللذة بها أما العلة الأولى وهي استشعار الكمال فتدفع بأن يعلم للمدحوخ أنه غير صادق في قوله كما إذا مدح بأنه نسيب أو سخي أو أحمق أو يعلم أو متدبر عن المخطورات وهو يعلم من حقه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذته الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وجبة اللذات فان كان يعلم أن اللادح ليس يعتقد بما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة يطلب اللذة الثانية وهو استيلاءه على قلبه وتبقى لذته الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه إلى التعلق بالثناء فان لم يكن ذلك من خوف بل كان بطريق الحب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذته لقوات الأسباب الثلاثة فهذا ما يخفى الفطاء عن علة التئاذ النفس بالمدح والتألم بسبب الذم وإنما ذكرنا ذلك ليحرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المهددة وخوف اللذة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والله الوفي بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مسلم.

### ( بيان علاج حب الجاه )

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا على مراعاة الخلق مشغوبا بالتودد إليهم وللرعاة لأجلهم ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتا إلى ما يحظ منزلته عندهم وذلك بذل النفاق وأصل الفساد ومجر ذلك لا محالة إلى القساح في العبادات وللرعاة بها وإلى اهتمام المخطورات لتوصل إلى اقتصاص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وإفساها لارين بذنوب شارين وذو عيه السلام « إنه يبيت النفاق كما يبيت الماء البقل » إذا النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب للزفة في قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم وإلى التظاهر بعمل محمدهم وخالف عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه إذن من المهلكات فيجب علاجه وإزالته عن القلب فانه طبع جبل على القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك إن صما وسلم فسأخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسطة الأرض من المشرق إلى المغرب فقلل خسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كالمان مات فبطلت من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا تقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صفر الجاه في عينه إلا أن ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحق العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز « أما بعد ، فيكتبك بأخبر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كاتوا كذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه « أما بعد فكأنك بالدينيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهو لا كان الفاتهم إلى العاقبة فكان حملهم لما بالقوى إذ علموا أن العاقبة للتقين فاستحقروا الجاه والمال في الدينيا وأبصار أكثر الخلق ضيقة مقصورة على العاجلة لا يمتدونها إلى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى « سئل يتوهمون الحياة الدنيا والآخرة سيرا وأجنى سؤالا عز وجل - كلاب تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هنا حده فينبى أن يصلح قلبه من حب الجاه بالم بالأمات العاجلة وهو أن يتفكر في الأخطار

ورده « أرض الجنة  
فإن نباتها السميع  
والتقديس » والقالب  
بفردته على طبيعة  
الحيوانات يستأن به  
على حمارة الدنيا والروح  
والقلب على طبيعة  
اللائحة يستأن بهما  
على حمارة الآخرة  
وأجتماعهما صلحا  
لعنارة الدارين والله  
صلى ركب الأدمى  
بطيف حكمة  
من أخص جنواهر  
الجنة نيات والروحانيات  
وجعله متودع خلاصة  
الأرضيين والسماوات  
جنس عالم الشهادة  
وما فيها من الثبات  
والحيوان ثنوام بدن



التي يستهدف لها أبواب الجاه في الدنيا فان كل ذى جاه محسود ومقصود بالأيذاء وخائف على الدوام على جاهه وعجز من أن تنفیر منزله في القلوب والقلوب أهد تنفیرا من القدر في غلباتها وهي مترددة بين الإقبال والاعراض فكل ما يني على قلوب الخلق يضاها ما يني على أمواج البحر فانه لا يثبت له والاستئصال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك محرم عاجلة ومكثرة للذة الجاه فلا يني في الدنيا مرجوها بخوفها فضلا عما يقوت في الآخرة فيها يني أن يصلح البصرة الضعيفة وأما من نفذت بصيرته وقوى إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم . وأما من حيث العمل فاستأط الجاه عن قلوب الخلق بعباشرة أفعال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأسى بالحول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخلق وهذا هو منتهى الامتية إذ فتحوا الفواحش في صورتها ليسقطوا أنفسهم من أعين الناس فيسلو من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب السليين وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محذور لأجل ذلك بل له أن يفعل من الباحات ما يسقط قدره عند الناس كارتوي أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وقبلا وأخذ يأكل بشره ويطعم القعدة فلما نظر إليه الملك سقط من عهته وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس وهذا في جوارحه نظر من حيث الفقه إلا أن أبواب الأحوال ربما يخالجون أنفسهم بما لا يفي به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون مفرط منهم فيه من صورة التصبر كذا قبل بعضهم فانه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماما وليس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وألقوا إته طرار وهرروه وأزوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة إلى موضع المحول فان المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزل التي ترسخ له في القلوب بسبب عزله فانه ربما يظن أنه ليس محب لذلك الجاه وهو معروف وإنما سكنت نفسه لأنها قد ظفرت بمقصوده ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه قد وه أو نسبوه إلى أمره . لائق به جزع نفسه وتألّت وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإدانة ذلك القبار عن قلوبهم وربما يحتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتليس ولا يالئ به وبه يتبين بعد أنه محب للجاه المنزل ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المنزل في قلوب الناس مادام يطلع في الناس فإذا أحرز قوته من كسبه أومن جهة أخرى وقطع طعمه عن الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالزاد فلا يالئ أكان له منزلة في قلوبهم أم لم يكن كالألئ يالئ يا في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لأنه لا يرام ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشغل قلبه بالناس ولم يكن قيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه إلا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على تجنب ذلك بالأخبار الواردة في ذم الجاه ودمج المحول والنال مثل قولهم المؤمن لا يخالون ذلة ولا علة وينظر في أحوال السلف وإشعارهم للذل على العز ورغبته في ثواب الآخرة رضى الله عنهم أجمعين .

( بيان وجه العلاج لحب الدخ وكرهه الدم )

اعلم أن أكبر الناس إنما هلكوا بخوف منعة الناس وسد مدحهم فصار حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من النهم وذلك من المهلكات فيجب عليه الجته وطريقه قلائصه الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم . أما السبب الأول : فهو استشعار الكمال بسبب توا

الآدمي قال الله تعالى  
يا خلق لكم ما في  
الأرض مما يفتكون  
الطير والوحش والجمادات  
والرطوبة والسيرورة  
والبرودة  
بواسطة النبات وحيل  
النبات أقوام البحار واثبات  
مسخرة آدمي يستعين  
بها على أمر معاشه لقوام  
بدنه فالطعام يصل إلى  
المعدة وفي المعدة يطبع  
أريج وفي الطبع يطبع  
أريج فإذا أراد الله  
اعتدال مزاج البدن  
أخذه كل طبع من  
طبع المدة ضده من  
الطعام فأخذ الحرارة  
للبرودة والرطوبة  
للبسوسة فيستدل

للساح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم لا فإن كنت متصفا بها فهي إما صفة تستحق بها للدخ كالمع والورع وإما صفة لا تستحق للدخ كالثرة والجاه والأعراض الدينية فإن كانت من الأعراض الدينية فالقرح بها كالقرح بثبات الأرض الذي يصير على القرب حشياً تغدوه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كماله للنبي:

أهدأ أتم عندي في سرور . ييقن عنه صاحبه انشالا

فلا ينبغي أن يخرج الإنسان بمرض الدنيا وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح الساح بها بل بوجودها والدخ ليس هو سبب وجودها ، وإن كانت الصفة مما يستحق القرع بها كالمع والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن الحاجة غير معلومة وهذا إنما يقتضي القرع لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الحاجة باقى ففى الخوف من سوء الحاجة فخل عن القرع بكل ما فى الدنيا بل الدنيا دار أحران وغوم لا دار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الحاجة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالتم والتقوى لا بمدح الساح فإن اللذة فى استئثار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به الإنسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذى فى أحشائه وما أليب الروائح التى تفوح منه إذا قضى حاجته وهو لم يمتثل عليه أمأؤه من الأقدار والأثان ثم يفرح بذلك فسكذلك إذا أثنوا عليك بالصالح والورع ففرحت به والله مطلع على خبايا باطنك وغوائل سريرتك وأقدار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا الماحز إن صدق فليكن فرحك بصفتك التى هى من فضل الله عليك وإن كذب فينبغي أن يضحك ذلك ولا تفرح به ، وأما السبب الثانى وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتغيير قلب آخر فهذا يرجع إلى حب الجاه والمزلة فى القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المزلة عند الله ، وبأن تعلم أن طلبة المزلة فى قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به . وأما السبب الثالث وهو الحشمة التى اضطرت المادح إلى المدح فهو أيضا يرجع إلى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق القرع بل ينبغي أن يضحك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على المدوح عظيمة كما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان . قال بعض السلف : من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل فى بطنه . وقال بعضهم : إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال لك بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل ، وروى فى بعض الأخبار أن من صبح فهو قاصم للظهور « أن رجلا أتى على رجل خيرا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت فأت على ذلك دخل النار (١) » وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح « وبحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفاح إلى يوم القيامة (٢) » وقال عليه السلام « ألا لعنادوا وإذا رأيتم المادحين فأحشوا فى وجوههم التراب (٣) » فهذا كان الصعابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظم من المدح وقتته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى إن بعض الخفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال أنت يا أمير المؤمنين خير منى وأعلم فتغضب وقال إنه لم أمرك بأن تركى ، وقيل لبعض الصعابة لا يزال الناس بخير ما أهلك الله تغضب وقال

المزاح وبأمن الأعوجاج  
وإذا أراد الله تعالى  
إفناء قلب وتخريب  
بنية أخذت كل  
طبيعة جنسها من  
المكحول فتميل  
الطباع ويضطرب  
المزاج ويسلم البدن  
فلك تقدير العزيز  
العليم . روى عن  
وهب بن منبه قال :  
وجدت فى التوراة صفة  
آدم عليه السلام فى  
خلقت آدم وركبت  
جسده من أربعة  
أعضاء من رطب  
وبابس وبارد وسخن  
وذلك لأنى خلقت من  
التراب وهو أبس  
ورطوبته من الماء

(١) حديث أن رجلا أتى على رجل خيرا فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت ومات على ذلك دخل النار لم أجده له أصلا (٢) حديث ويحك قطعت ظهره الحديث قاله للمادح تقهم . (٣) حديث ألا لعنادوا وإذا رأيتم المادحين فاحشوا وجوههم التراب تقدم دون قوله ألا لعنادوا .

إني لأحسب عراقيا ، وقال بعضهم لما مدح : اللهم إن عبدك تحرب إلى بفتك فأشهدك على منته  
وإنما كرهوا اللع خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وم يفرحون عند الخلق فكان اشتغال قلوبهم  
بحالم عند الله ينض إليهم مدح الخلق لأن المدوح هو القرب عند الله والندوم بالحقيقة هو الجحد  
من الله للخلق في النار مع الأشرار ، فهذا المدوح إن كان عند الله من أهل النار لما أعظم حبه إذا  
فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وتناؤه عليه إبليس  
أمره يد الخلق ، ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قل التماه إلى مدح الخلق وذهب  
وسقط من قلبه حب للحد واشتغل بما يهيم من أمر دينه ، والله للوفى الصواب برحمته .

### ( بيان علاج كراهة الله )

قد سبق أن الله في كراهة الله هو ضد الله في حب للحد فإصلاحه أيضا فيهم منته القول الوجه فيه  
أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال : إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة ،  
وإما أن يكون صادقا ولكن قصده الإيذاء والتشتت ، وإما أن يكون كاذبا فإن كان صادقا وقصده  
النصح فلا ينبغي أن تلمه وتضبط عليه وتغضب بسببه بل ينبغي أن تتفقد منه فإن من أهدى إليك  
عيوبك فقد أرشدك إلى اللهلك حتى تقيه فينبى أن تفرح به وتشتغل بإزالة الصفة للندوم عن نفسك  
إن قدرت عليها فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له فذلك إياه فانه غاية الجهل وإن كان قصده التشتت  
فأنت قد انتفعت بجهله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك إن كنت غافلا عنه  
أو قبجه في عيبك لينبت حركك على إزالته إن كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك  
وقد استفدت منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أبيض لك أسبابها بسبب مامعته من اللذمة فها قد صدت  
الدخول على ملك وثوبك ماوث بالصدرة وأنت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لغفت أن يحز رقبك  
لتأويك مجلسه بالصدرة قال لك ذلل أيها اللوث بالصدرة طهر نفسك فينبى أن تفرح به لأن تزيهك  
بقوله غنية وجميع مساوى الأخلاق مهلكة في الآخرة والإنسان إنما يمر به من قول أعدائه فينبى  
أن تتنعم . وأما قصد العدو التشتت لجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تضبط عليه  
بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به . الحالة الثالثة : أن يقتري عليك بما أنت برىء منه عند الله  
تعالى فينبى أن لا تذكره ذلك ولا تشتغل بنعمه بل تفكر في ثلاثة أمور : أحدها أنك إن خلوت  
من ذلك العيب فلا يخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فأشكر الله تعالى إذ لم  
يظلمه على عيوبك ودفعه عنك بذكرا ما أنت برىء عنه ، والثاني أن ذلك كفارات لبقية مساويك  
وذنوبك فكانت رماك بسبب أنت برىء منه وطهرتك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتربك  
قد هدى إليك حسناته وكل من مدحك قد قطع ظهرك ، فساالك تفرح بقطع الظهر وتحرز  
لهذا الحسنات التي تقربك إلى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله . وأما الثالث فهو أن  
السكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه باقرائه وتعرض لبقائه الأليم فلا ينبغي أن  
تضبط عليه مع غضب الله عليه فاشتت به الشيطان وتقول اللهم هلكه بل ينبغي أن تقول اللهم أصلحه  
اللهم تب عليه اللهم ارحمه كال قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فانهم لا يفلحون (١) »  
لما أن كبروا لآفته وشجوا وجهه وقتلوا محم حمزة يوم أحد ودعا إبراهيم بن آدم لمن شح  
رأسه بالخفرة قيل له في ذلك فقال علت آلى مأجور بسببه وما نالني منه إلا خير فلا رضى أن يكون

(١) حديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يفلحون قاله لما ضربه قومه البقي في دلائل النبوة وقد تقدم  
والحديث في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبي من الأنبياء حين ضربه قومه .

وحراره من قبل  
النفس وبروده من  
قبل الروح وخلفت  
في الجسد بعد هذا  
الخلق الأول أربعة  
آواع من الخلق هن  
ملاك الجسم يدنى  
وهن قوامه فلا يقوم  
الجسم إلا بهن ولا تقوم  
هن واحدة إلا بأخرى  
وهن اللة السوداء  
واللة الصفراء واللهم  
والبسلم ثم أسكت  
بعض هذا الخلق  
في بعض فجعلت مسكن  
اليوسة في اللة  
السوداء وتسكرن  
الزطوة في اللة الصفراء  
ومسكن الخزرة في  
الله ومسكن البرودة

هو معاقبة بسبي وعما يهون عليك كراهة اللدحة قطع الطمع فان من استغنى عنه مما فاضل لم يحظم أثر ذلك في قلبه وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه ومادام الطمع قائما كان حب الجاه واللدح في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت حمتك إلى تحصيل اللذة في قلبه مصر وقتولا يزال ذلك لا يهدم الدين فلا ينبغي أن يطمع طالب المال والجاه وعجب للدم وميض الدم في سلامته فان ذلك يعد جدا .

### ( بيان اختلاف أحوال الناس في اللدح والدم )

اعلم أن الناس أربعة أحوال بالإضافة إلى الدماء والسادح : الحالة الأولى أن يفرح بالمدح ويشكر المادح وينضب من الدم ويحذر على الدماء ويكافئه أو يحب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات النسي في هذا الباب . الحالة الثانية أن يمتنع في الباطن على الدماء ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح بباطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور وهذا من نقصان إلا أنه بالإضافة إلى ما قبله كمال . الحالة الثالثة وهي أول درجات النكال أن يتوسى عنده دأبه ومادحه فلا تغمه اللدحة ولا تسره المدحة وهذا قد يظه بعض العباد بنفسه ويكون مفرورا وإن لم يتعن نفسه بسلامته ، وعلاماته أن لا يجد في نفسه استقلال اللذات عند تطويع الجلوس عندها كثيرا مجرد في المادح وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجته للدم وأن لا يكون انقطاع الدماء من جلسته أهون عليه من انقطاع المادح وأن لا يكون موت المادح المطر عليه أشد نكابة في قلبه من موت الدماء وأن لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الدماء وأن لا تكون زلة المادح أخف على قلبه وفي عينه من زلة الدماء فمهما خاف الدماء على قلبه كما خاف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه المرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يتعشرون أنفسهم بهذه العلامات وربما عجز العابد ببل قلبه إلى المادح دون الدماء والشرطان يحسن له ذلك ويقول الدماء قد عصى الله بمحكك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وإنما استتال لك الدماء من الدين المحض وهذا محض التلبس فان العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب كبايرا المعاصي أكثر مما ارتكب الدماء في مذمة ثم إنه لا يستقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم أن المادح الذي مدح لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد للذمة نفسه والمذمة من حيث إنها معصية لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره فاذن العابد المفرور لنفسه يصب وهو لا يتعشرون ثم إن الشيطان يحل إليه أنه من الدين حتى يضل على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكاييد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويخسر في الآخرة وفهم قال الله تعالى - قل هل ينبيك بالأحمرين أم لا الذين ضل سبيلهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسون ضلالتهم - فالحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة أن يكره المدح ويمقت المادح إذ يعلم أنه قد نعت عليه ذممة لا تظهر مضرته في الدين وعجب الدماء إذ يعلم أنه مهد إليه عيبه ومرغده إلى ميمه ومهد إليه حسنة فقد قال الله تعالى - رأس التواضع أن تذكر بالبر والتقوى (١) وهو قد روي في بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور أمثاله إن صرح إذ روي أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ويل للصائم ويول للقائم ويول لصاحب الصوفى وإلامن ، قيل يا رسول الله إلا من ؟ قال إلا من تزهدت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة وأستحب المذمة (٢) »

(١) حديث رأس التواضع أن يكره أن يذكر بالبر والتقوى لم أجده أصلا (٢) حديث ويول للصائم ويول للقائم ويول لصاحب الصوفى الحديث لم أجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث أنس ويول لمن ليس الصوف غالف فله قوله ولم يخرج له فيه في مسند .

في العلم فأما جيد اعتدلت فيه هذه الصلح الأربع التي جعلتها ملاك وتوابع فكانت كل واحدة منهن ربما لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدلت بنته فان زادت منهن واحدة عليهن هزمتين ومالت يمين ودخل عليه المقيم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاعتين ويبرز عن مقداره من فأم الأمور في الطعام أن يكون حلالا وكل ما لا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع

وهذا هديد جدا وفاة أمثالنا الطمع في الحاة الثانية وهو أن يضر القرح والكراهة على الدائم والملاح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فأما الحالة الثالثة وهي التسوية بين الساد والملاح فلنساظم فيها ثم إن طالبنا أعشنا بسلامة الحالة الثانية فإنها لا تفي بها لأنها لا بد وأن تتسارع إلى إكرام الساد وقضاء حاجاته وتتناقل على إكرام الدائم والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا تقدر على أن تسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا تقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين الساد والدائم في ظاهر الفعل فهو جدير بأن يتخذ قدوة في هذا الزمان إن وجد فانه السكينة الأحرى يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب أضافها درجات أما الدرجات في اللبس فهو أن من الناس من ينفق المدحة والثناء وانتشار السميت فيتوصل إلى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرأس بالبادات ولا يبالي بفارقة المخطورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالملاح وهذا من الهل لكن منهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالبادات ولا يائس المخطورات وهذا هو شجاع فر هارغان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الأعمال لا يمكن أن يضبطها فهو شك أن يقع فيها لا يحل لئيل الحمد فهو قريب من المالكين جدا ومنهم من لا يريد للمدحة ولا يسعى لطلبها ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكفف السكران فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة التي قبلها وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور إليه بالتفكير في آفات اللذخ فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من إذا سمع اللوح لم يسر به ولم يختم به ولم يؤثر فيه وهذا هو خير وإن كان قد بقي عليه بقية من الإخلاص ومنهم من بكره اللوح إذا سمعه ولكن لا يتبى به إلى أن ينضب على الدامح ويشكر عليه وأقصى درجاته أن بكره ويضرب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا أن يظهر الغضب وقلبه يحب له فان ذلك عين التناقض لأنه يريد أن يظهر من نفسه الإخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تفاوت الأحوال في حق الدائم وأول درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار القرح ولا يكون القرح وإظهاره إلا بمن في قلبه حق وحقد على نفسه لجردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبساتها الخبيثة فيفضها بغض العدو والانسان يفرح بمن ينم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح إذا سمع ذمها ويشكر الدائم على ذلك ويحتد لظنه وذكاه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنينة عنده إذا صار للذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الناس وإذا سقيت إليه حسنات لم ينضب فيها فصاه يكون خيرا لميوه التي هو عاجز عن إمطها ولوجامد الريد نفسه طول عمره في هذه الحيلة الواحدة وهو أن يستوى عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه كثيره وبينه وبين السعادة غقيات كثيرة هذه إحداها ولا يقطع شيئا منها إلا بالجملة الهة الشديدة في العمر الطويل :

### ( الشطر الثاني : من السكيات في طلب الجاه ولزقة بالبادات )

وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما رآه به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الحق وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في إظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط اليد للبادات بسبب رؤية الحق وبيان ما يجب على الريد أن يعلمه قلبه قبل الطاعة وبصدها وهي عشرة فصول وبالله التوفيق

سكبر الأمر وأتعب  
طلب الحلال . ومن  
أدب الصوفية رؤية  
النعم على النعمة وأن  
يتدى " بفسل اليد  
قبل الطعام قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
« الوضوء قبل الطعام  
ينفي القفر » وإلحاحا كان  
موجبا لنفي القفر لأن  
غسل اليد قبل الطعام  
استقبال النعمة بالأدب  
ودلك من شعرك  
النسمة والشكر  
يستوجب المزيد فصار  
غسل اليد مستجلبا  
لنعمة منها للفر  
وقد روى أنس بن  
مالك رضى الله عنه  
عن النبي صلى الله

## ( بيان دم الرياء )

اعلم أن الرياء حرام وللرائي عند الله عقوبات وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار والآيات : قوله تعالى - فويل للساكنين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون - وقوله عز وجل - والذين يكرهون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور - قال مجاهد : هم أهل الرياء وقال تعالى - إنما نعلمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - فهدح المخلصين ينفي كل إرادة سوى وجه الله والرياء ضد وقال تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (١) - نزل ذلك فيمن يطلب الأجر والحمد بعبادته وأعماله . وأما الأخبار : فقد قال عليه السلام - حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم الجهاد ؟ قال - وأن لا يصلح العبد بطاعة الله يريد بها الناس - وقال أبو هريرة في حديث الثلاثة : للقتول في سبيل الله وللصدق عماله والقاري : لكتاب الله كما أوردناه في كتاب الاخلاص وإن الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قاري فأخبر صلى الله عليه وسلم أنهم لم يشأوا أن يراءوا من هم الذي أحبط أعمالهم (٢) وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم - من رأى رياء الله به ومن مع مع الله به (٣) وفي حديث آخر طويل - إن الله تعالى يقول لا تكن إن هذا لم يردني بصله فأجعلوه في سبعين (٤) وقال عليه السلام - إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذ اجزأني الصاد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل يجدون عندكم الجزاء (٥) وقال صلى الله عليه وسلم واستبدوا بالله عز وجل من حب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم أعد للقراء الرائين (٦) وقال عليه السلام - يقول الله عز وجل : من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه بريء وأنا أغني الأغنياء عن الشرك (٧)

عليه وسلم أنه قال « من أحب أن يكثر خير بيته وليتوضأ إذا حضر غذاؤه يريد مني الله تعالى » وقوله تعالى - ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه - تفسيره تسمية الله تعالى عند ذبح الحيوان . واختلف الشافعي وأبو حنيفة رحمهما الله في وجوب ذلك وفهم « صوفى من ذلك بغير القيام بظاهر التفسير أن لا يأكل كل الطعام إلا بمقرونا بالذكر قرئته فريضة وقته وأدبه ويرى أن تناول الطعام والذبيحة من إقامة النفس ومتابعة

(١) حديث نزول قوله تعالى - من كان يرجو لقاء ربه - الآية فيمن يطلب الآخرة والجهد بعبادته وأعماله الحاكم من حديث طاوس قال رجل إلى أنف اللوقف أبشئ وجه الله وأحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية هكذا في نسخ من السند ترك ولله - سقط من عباس أو أبو هريرة والبراد من حديث معاذ بسند ضعيف من صام رياء فقد أشرك الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية (٢) حديث أبي هريرة في الثلاثة : للقتول في سبيل الله وللصدق عماله والقاري : لكتاب الله فان الله يقول لكل واحد منهم كذبت رواء مسلم وسبأني في كتاب الاخلاص (٣) حديث ابن عمر من رأى رياء الله به ومن مع مع الله به متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله وأما حديث ابن عمر فرواء الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية شيخ ينفى أن يزيد عنه بلفظ من مع الناس مع الله به سامع خلقه وحقه وصرفه وفي الزهد لأن للبارك ومسند أحمد بن منيع أنه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث إن الله يقول لا تكن إن هذا لم يردني بصله فأجعلوه في سبعين ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في الاخلاص وأبو الشيخ في كتاب العظيمة من رواية حمزة بن حبيب مرسلا ورواه ابن الجوزي في اللوضعات (٥) حديث إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الحديث أحمد والبيهقي في الشعب من حديث محمود بن لبيد ورواية ورجاله ثقات ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج (٦) حديث استبدوا بالله من حب الحزن قيل وما هو ؟ قال واد في جهنم أعد للقراء الرائين الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وصححه ابن عدى (٧) حديث يقول الله من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كله

وذلك عيسى المسيح صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم موم أحدكم طيهن رأسه ولحيته ومسح ثقبته ثلاثا يرى الناس أنه صائم وإذا أعطى يمينه فليخف عن شياؤه وإذا صلى فليخف سره فإنه قسم التناء كما قسم الرزق ، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله عز وجل عملا فيه متجاوزة من رياء » (١) وقال عمر لعاذ بن جبل حين رآه يبكي ما يبكيك ؟ قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن أدنى الرياء شرك » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية » (٣) وهي أيضا ترجع إلى خطايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم « إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق يمينه فكاد يغبها عن شياؤه » (٤) ولذلك ورد « أن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضفا » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « إن للرأي ينادي عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط أجره كذهب فخذ أجره ممن كنت تعمل له » (٦) وقال شداد بن أوس « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي قلت ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال إني تخوفت على أمي التبرك أما إني لا يجدون صبا ولا حمسا ولا قرأ ولا حجرا ولكنهم يراءون بأعمالهم » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الأرض مادت بأهلها نخلق الجبال فغيرها أو تادها للأرض فقالت لللائكة ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذايت الحديد ثم أمر الله الماء بإطفاء النار وأمر الأربع فكسدت الماء فاختلفت اللائكة فقالت نسأل الله تعالى قالوا يارب ما أشد ما خلقت من خلقك ؟ قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد علي من قلب ابن آدم حين يتصدق يمينه فيخفها عن شياؤه فهذا أشد خلقا خلقت » (٨) وروى عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لعاذ بن جبل حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بكي نماذا حتى ظننت أنه لا يسكر ثم سكنت ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال « يا عاذ قلت ليك بأي أنت وأي يارسول الله قال الحديث مالك واللفظ له من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا منه روى ومسلم عن تقدم وتأخير دونها أيضا وهي عند ابن ماجه بسند صحيح (١) حدث لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء لم أجده هكذا (٢) حديث معاذ بن أدنى الرياء شرك الطبراني هكذا والحاكم بلفظ إن اليسير من الرياء شرك وقد تقدم قبل هذه الورقة (٣) حديث أخوف ما أخاف عليكم الرياء الحديث تقدم في أول هذا الكتاب (٤) حديث إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق يمينه فكاد أن يغبها عن شياؤه متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه في حديث سبعة يظلمهم الله في ظله (٥) حديث تنفيل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضفا البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء أن الرجل ليعمل العمل فيكسبه له عمل صالح ممول به في السر ضفت أجره سبعين ضفا قال البيهقي هذان أفراد بقية عن شيوخه المهوواين وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف بفضل الله ذكر الحق الذي لاسمعه الحفظه على الله ذكر الذي تسمعه الحفظه سبعين درجة (٧) حديث إن المرالي ينادي يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط أجره الحديث ابن أبي الدنيا من رواية جيلة الجعفي عن صحابي لم يسم وزاد يا كافر يا خاسر ولم يقل يا مرائي وإسناده ضعيف (٧) حديث شداد بن أوس إني تخوفت على أمي الشرك الحديث ابن ماجه والحاكم نحوه وقد تقدم قريبا (٨) حديث لما خلق الله الأرض مادت بأهلها الحديث وفيه لم أخلق خلقا هو أشد من ابن آدم يتصدق يمينه فيخفها عن شياؤه الترمذي من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب .

هو لها ويرى ذكر الله تعالى دواءه وزيادته . روت عائشة رضي الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام في ستة تمر من أصحابه فجاء أعرابي فأكل بقمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه لو كان يسمى الله لكفاهم فأذا أسكن أحدكم طعاما فليقل بسم الله فإن نسي أن يقول بسم الله فليقل بسم الله أوله وآخره » ويستحب أن يقول في أول لقمة بسم الله الرحمن الثاني بسم الله الرحمن وفي الثالثة يتهوشر





لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تاج رجلا وعندك آخر ولا تعظم على الناس فيقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فمزعك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى - والناشطات نشطا - أتدري من هن؟ يا معاذ؟ قلت ما هن؟ بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم. قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن يطبق هذه الحصال ومن ينجو منها؟ قال يا معاذ إنه ليسر على من يسره الله عليه (١) قال فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث. وأما الآثار؟ فيروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلا يبطأ في رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب ورأى أبا أمامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك. وقال على كرم الله وجهه: للرائي ثلاث علامات: بكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أتى عليه وينقص إذا ذم. وقال رجل لعبد بن الصامت أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمد الناس قال لا شيء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك الحديث. وسأل رجل سيدي بن السيب فقال إن أحدنا يصطنع العروف عيب أن يحمده ويؤجر فقال له أعجب أن تمقت؟ قال لا قال فإذا علمت أنه عملا فأخاصه. وقال الضحاك: لا يغولن أحدكم هذا الوجه الله ولوجهك لا يغولن هذا لله وللرحم فإن الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له اتصم مني فقال لا بل أدمعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيئا إما أن تدعها لي فأعرف ذلك أودعها لله وحده فقال ودعها لله وحده فقال فتم إذن. وقال الحسن: لقد سمعت أقواما إن كان أحدهم تعرض للحكمة لولطيق بها لنفسته ونفست أصحابه وما يمنعه منها إلا عافاة الشهرة وإن كان أحدهم ليبر في الأذى في الطريق فبأمنه أن ينعيه إلا عافاة الشهرة. ويقال إن الرازي ينادي يوم القيامة بأربعة أسماء يا امرأتى يا غدا يا خاسر يا فاجر اذهب غدا أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندي. وقال الفضيل بن عياض: كانوا يرادون بما يعملون وصاروا اليوم يرادون بما لا يعملون. وقال عكرمة: إن الله يسطي العبد على نيته ما لا يسطيه على عمله لأن النية لارباب فيها. وقال الحسن رضي الله عنه: للرائي يريد أن يظلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأرياء فلا بد قلوب المؤمنين أن تعرفه. وقال قتادة: إذا رأى العبد يقول الله تعالى انظروا إلى عبيدي يستهزئ بي. وقال مالك بن دينار: القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء اللوك وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن. وقال الفضيل: من أراد أن ينظر إلى مرآة فلينظر إلى. وقال محمد بن المبارك الصوري: أظهر السمات بالليل فإنه أشرف من سمك بالهار لأن السمات بالهار للخنزيرين وسمت الليل لرب العالمين. وقال أبو سليمان: التوقي عن العمل أشد من العمل. وقال ابن المبارك: إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان فليل له وكيف ذلك؟ قال يجب أن يذكر أنه مجاور بمكة. وقال إبراهيم بن آدم: ماصدق الله من أراد أن يشهر.

(١) حديث معاذ الطويل إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها الحديث بطوله في صعود الحفظة بعمل العبد ورد لللائكة له من كل سماء ورد الله تعالى له بعد ذلك عزاء المصنف إلى رواية عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل عن معاذ وهو كما قال رواء في الزهد وفي إسناده كما ذكر من لم يسم رذاه ابن الجوزي في الموضوعات.

تحدث رطوبة السهو  
والنفقة وتارة يوسه  
الحسم والحزن بسبب  
الحظوظ العاجلة في هذه  
كلها عوارض يظن  
لها التيقظ ويرى تخير  
القلب بهذه العوارض  
تغير مزاج القلب عن  
الاعتدال والاعتدال  
كما هو مهم طلبه  
للقالب فلقب أمم  
وأولى وتطرق  
الانحراف إلى القلب  
أسرع منه إلى القلب  
ومن الانحراف ما يستقم  
به القلب فيموت لولت  
القلب واسم الله تعالى  
دواء نافع مجرب يقى  
الأسواء وينصب الهدى  
ويجلب الشفاء. حكى

## ( بيان حقيقة الرياء وما يراى به )

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمة مشتقة من الساع وإعما الرياء أصله طلب للترقة في قلوب الناس بمرأهم خصال الخير إلا أن الجاه وللترقة طلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب للترقة في القلوب بالعبادات وإظهارها عند الرياء هو إرادة العباد بطلاعة الله فالرائى هو العابد وللراى هو الناس للطلوب رؤيتهم بطلب للترقة في قلوبهم وللراى به هو الحصول التى قصد للرائى إظهارها والرياء هو قصد إظهار ذلك وللراى به كثير ونجمه خمسة أقسام وهى بجامع ما يترتب به البذل للناس وهو البدن والذى والقول والعمل والأنواع والأشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يراون بهذه الأسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات فهون من الرياء بالطاعات .

[ القسم الأول : الرياء في الدين بالدين ] وذلك بإظهار التحول والفسار ليوم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة ولبدل بالنحو على قلة الأكل وبالفسار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرأى بتشيعت الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريع الشعر وهذه الأسباب مهما ظهرت استدلت الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمراقبتهم فذلك تدعو النفس إلى إظهارها لنيل تلك الرأى وقرب من هذا خفض الصوت وإغارة السنين وذبول الشفتين يستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم وأن وقار الشرح هو الذى خفض من صوته أو ضعف الجوع هو الذى ضعف من قوته وعن هذا قال السليح عليه السلام : إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه . وكذلك روى عن أبي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزح الشيطان بالرياء ، ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهين فهذه مرادة أهل الدين بالدين ، فأما أهل الدنيا فيراون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتناسها .

[ الثانى : الرياء بالهيئة والذى ] أما الهيئة فتشيعت شعر الرأس وحلق الشارب وإطراق الرأس فى لكى والهدوء فى الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها إلى قريب من الساق وتقصير الأكمام وترك تنظيف الثوب وتركه محرقا كل ذلك يرأى به ليظهر من نفسه أنه متبع لسنة فيه ومقتد فيه بعبادته الصالحين ومن ذلك لبس الرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الإفلاس من حقائق التصوف فى الباطن ومنه التمتع بالازار فوق العمامة وإسبال الرداء على العنق ليرى به أنه قد انتهى تشبهه إلى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف إليه الأعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يليسه من هو خال عن العلم ليوم أنه من أهل العلم والراءون بالذى على طبقات فمنهم من يطلب للترقة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فلبس الثياب المحرقة الوسجة القصيرة الفليضة ليرأى بنظنها ووسخها وقصرها وتخرفها أنه غير مكتر بالدين ولولئك أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يليسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لحوفه أن يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب فى الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل اللوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردم القراء ولولبسا الثياب المحرقة البذلة ازدردتهم أعين اللوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فذلك يطلبون الأصواف الدقيقة والأكسية الرقيقة والرقعات الصبغة والقوط الرقيقة فيلبسوها ولعل قيمة ثوب أحد الأغنياء ولونه وهيبته لون

أن الشيخ محمدا  
التزالى لما رجع إلى  
طوس وصف له فى  
بعض القرى عبد صالح  
قصد زائرا فصادفه  
وهو فى صحراء لا يذير  
الخطبة فى الأرض فلما  
رأى الشيخ محمدا جاء  
إليه وأقبل عليه جاء  
رجل من أصحابه  
وطالب منه البذر  
ليتوب عن الشيخ  
فى ذلك وقت اعتناله  
بالتزالى فامتنع ولم يسطه  
البذر فسأله التزالى  
عن سبب امتناعه  
فقال لأنى أبذر هذا  
البذر بقباب حاضر  
ولسان ذاكر أرجو  
البركة فيه لكل من

ثياب الصلحاء فيلبسون القبول عند الفريشين وهؤلاء إن كفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالتعب خوفًا من السقوط من أعين الملوك والأغنياء ولو كفوا لبس الديق والسكران الدقيق الأبيض والقصب العلم وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفًا من أن يقول أهل الصلاح قد رغوا في زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته في زى مخصوص فيقتل عليه الانتقال إلى مادونه أو إلى ما فوقه وإن كان مباح خيفة من اللئمة، وأما أهل الدنيا فراءاهم ثياب النفيسة وللراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل في اللبس والسكن وأنثا البيت وفرة الخيول وبالثياب المصنعة والطباخة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فاتهم يلبسون في يومهم الثياب الخشنة ويشدد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة مالم يبالقوا في الزينة .

[ الثالث : الرياء بالقول ] ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار لأجل الاستعمال في المحاوراة وإظهارها لتزارة الملوك ولإثباته على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الحلق وإظهار القصب للمعكرات وإظهار الأسف على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وإدعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والفقهاء على من يروى الحديث ببيان خلل في لفظه يعرف أنه بصير بالأحاديث والمبادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح لإظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد إغحام الحضم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وأنواعه لا تنحصر . وأما أهل الدنيا فراءاهم بالقول بحفظ الأسماء والأمثال والتفاسيح في العبارات وحفظ النحو الغريب للإغراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لسهولة القلوب .

[ الرابع : الرياء بالعمل ] كإهداء الصلح بطول القيام ومدا الظاهر وطول السجود والركوع وإطراق الرأس وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج والصدقة وباطعام الطعام والإحسان في الشيء عند اللقاء كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في الكلام حتى إن الرائي قد يسرع في الشيء إلى حاجته فإذا اطاع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار وإطراق الرأس خوفًا من أن ينسب إليه العجلة وقلة الوقار فإن غاب الرجل عاد إلى محبته فإذا رآه عاد إلى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لا اطلاع لإنسان عليه غش أو لا يعتقد فيه أنه من العباد والصلحاء ومنهم من إذا سمع هذا استحيا من أن تخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى إذا رآه الناس لم يفتقر إلى التغيير ويظن أنه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياءه فانه صار في خلوته أيضا مراثيا فانه لا يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في اللأ لاخوف من الله وحياه منه، وأما أهل الدنيا فراءاهم بالتبخر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطأ والأخذ بأطراف الثوب وإدارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة .

[ الخامس : الرياء بالأصحاب والأزاريين والمخالطين ] كالتدب يتكلف أن يسترير عالما من العلماء ليقال إن فلانا قد زار فلانا أو عابدا من العباد ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه أو ملكا من الملوك أو عالما من عمال السلطان ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالتدب بكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرة واستغاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراءاته ترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره من لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت بالبلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فتهذه جماع ما يرائي به الرءاؤون وكلهم يطلون بذلك الجاه والثرة في قلوب العباد ومنهم من شنع بحسن الاعتقادات فيه فكمن رهاب أنزوى إلى دبره سنين كثيرة وكمن عابد اعتزل

يتناول منه حيثما فلا  
أحب أن أسلمه إلى  
هذا فيذر بلسان غير  
ذا كرو قلب غير حاضر  
وكان بسن الفقراء  
عند الأكل جرع  
في تلاوة سورة من  
القرآن يحضر الوقت  
بذلك حتى تشمر  
أجزاء الطعام بأنوار  
الذكر ولا يقب الطعام  
مكروه ويشتر مزاج  
القلب وقد كان شيخنا  
أبو النجيب السهروردي  
يقول أنا أكل وأنا  
أصل يشير إلى حضور  
القلب في الطعام وربما  
كان يوقف من يمنع  
عنه الشواغل وقت  
أكله فلا يتفرق منه

إلى قلة جبل مدة مدبرة وإنما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولوعرف أنهم نسبوه إلى جرعة في دبره أو صومته لتشوش قلبه ولم يتع بهم الله براءة ساحة بل يشتد ذلك غمه ويسعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب جرد الجاه فانه لا يذو كذا ذكرناه في أسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وإن كان سريع الزوال لا يثبت به إلا الجاه ولكن أكثر الناس جهال ومن المرأين من لا يتع بقيام منزلته بل يطمس مع ذلك إطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد اقتشار الصيت في البلاد لشكر الرحلة إليه ومنهم من يريد الاقتشار عند اللواتي قبل شفاعة وتجنز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهو لا يشعر طبقات المرأين الذين يراءون بالأسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء. فان قلت فالرياء حرام أم مكروه أم مباح أو فيه تفصيل . فأقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث إنه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن يمكن كسب المال بتبليسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وإن كان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج إليه الإنسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضاً محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال - إني حفيظ علمي - وكان للالف قسم نافع ودرياق نافع فكذلك الجاه وإن كان كثير للمال يلهي ويغني ويشتد ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد فتنه الجاه أوسع من فتنه المال وكاناً لا تقول تلك المال الكثير حرام فلا تقول أيضاً تلك القلوب الكبيرة حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز . نعم انصرف الهم إلى سعة الجاه مبدأ الشرور كما انصرف الهم إلى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها وأما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله إن زال فلا ضرر فيه فلا جاء أوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصرف الهم إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فلي هذا قول تحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مرادة وهو ليس بحرام لأنه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل نجعل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يوماً إلى الصحابة فكان ينظر في حب اللاء ويسوى عمامته وشعره فقالت أو فعل ذلك يا رسول الله قال نعم إن الله تعالى يحب من البعد أن يتزين لآخوانه إذا خرج إليهم <sup>(١)</sup> نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لأنه كان مأموراً بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع وأسئلة قلوبهم ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدر به أعينهم فان أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون الرئائير فكان ذلك تصدر رسول الله ﷺ ولكن لو قصدوا صده بأن يحسن نفسه في أعينهم خذوا من ذمهم ولومهم واستروا حالاً إلى توقيرهم واحترامهم كان قد قصدوا أمباحاً إذ للإنسان أن يجتزى من ألم اللزقة ويطلب راحة الأنس بالآخوان ومهما استغفروا واستغفروهم لم يأنس بهم فاذا نال المرادة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الفرض المطلوب بها ولذلك قول الرجل إذا شق ماله على جماعة من الأغنياء لافي معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتد الناس أنه سخي فهذا مرادة وليس بحرام وكذلك أمثاله. أما العبادات كالصدقة

وقت الأكل ويرى  
هذه ذكر حضور القلب  
في الأكل أثر كبير  
لا يسهل الإجمال له ومن  
لقد ذكر عند الأكل  
التكبر فهاهنا الله تعالى  
من الأسنان للينة على  
الأكل فيها الكسرة  
ومنها الفاطمة ومنها  
الطاحنة وما جعل الله  
تعالى من الماء الحلو في  
القم حتى لا يشير الدوق  
كما جعل ماء العين مالحاً  
لما كان شهما حتى  
لا يغمد وكيف جعل  
الدواء تنبع من أرجاء  
اللسان والقم ليعين  
ذلك على المضغ والورغ  
وكيف جعل القوة  
الحاضرة مسطرة على

(١) حديث عائشة أراد أن يخرج على أصحابه وكان ينظر في حب اللاء ويسوى عمامته وشعره الحديث ابن عدي في الكامل وقد تقدم في الطهارة .

والصلاة والصيام والغزو والحج فللمرأى فيه حالتان: إحداهما أن لا يكون له قصد إلا الرّياء المحض دون الأجر وهذا يطل عبادة لأن الأعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على إحباط عبادته حتى يقول صار كما كان قبل العبادة بل يصي بذلك ويأثم كما دلت عليه الأخبار والآيات. وللغنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالباد وهو التلبس وللكر لأنه خيل إليهم أنه غلص مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك والتلبس في أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس أنه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته أثم به لما فيه من التلبس وتلك القلوب بالخداع وللكر. والثاني يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد عبادة الله تعالى خلق الله فهو على مستزى بالله ولذلك قال قتادة إذا زار العبد قال الله الملائكة انظروا إليه كيف يستزى في ومثاله أن يمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وإنما وقوفه للاحظة جارية من جواري الملك أو غلام من غلماته فإن هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقرب إلى الملك بخدمة بل يقصد بذلك عبدا من عبيده فأى استحقاق يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراعاة عبد ضعيف لا يملك له خرا ولا ضما وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب إليه من الله إذ أثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق اللوى فهذا من كبار اللهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر (١) ، ثم بعض درجات الرّياء أشد من بعض كاسيات يياته في درجات الرّياء إن شاء الله تعالى ولا غلو شيء منه عن شيء غليظ أو خفيف بحسب ما به الرّاءاتة ولولم يكن في الرّياء إلا أنه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه وإن لم يقصد التقرب إلى الله فقد قصد غير الله ولعمري لو عظم غير الله بالسجود للغير كفر جاحل إلا أن الرّياء هو الكفر الخفي لأن للرأى عظم في قلبه الناس فاتتحت تلك العظمة أن يسجد ويركع فكان الناس هم للعظمون بالسجود من وجوههما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك لأنه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده بإظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفيا لا شر كاجليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العبادة علىكون من ضره وقصه ورزقه وأجله ومصلح حاله وما له أكثر مما يملكه الله تعالى فذلك عدل بوجهه عن الله وإلهه وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكه الله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مسكافة له على صميمه فإن العبادة كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لأنفسهم تفعا ولا ضرا فكيف يملكون لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزى والدعن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بل يقول الأنبياء فيه نفسى نفسى فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتبه بطمعه السكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي أن نشك في أن للرأى بطاعة الله في سخط الله من حيث القل والقياس جمعا هذا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعا في صدقته وأصلاته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما قلناه من الآثار قول سعيد بن السيب وعبادة بن الصامت : إنه لأجره فيه أصلا .

### ( بيان درجات الرّياء )

اعلم أن بعض أبواب الرّياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات

(١) حديث مى الرّياء الشرك الأصغر أحمد من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج فجعله في مسند رافع وتقدم قريبا وللاحاكم وصح إسناده من حديث شاذان بن أوس كذا نعتى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرّياء الشرك الأصغر .

الطعام نفسه وتجزئه متعلقا مددها بالكبد والكبد بمثابة النار والعدة بمثابة القدر وعلى قدر فساد الكبد تقل الحاجة وتزداد الطعام ولا ينفصل ولا يصل إلى كل عضو نصيبه وهكذا تأثير الأعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين ويطول شرح ذلك فمن أراد الاعتبار فليطالع شرحه فمصرح الأعضاء ليرى السبب من قدرة الله تعالى من تعاضد الأعضاء وتعاونها وتعلق بعضها ببعض في إصلاح الغذاء واستجذاب

فيه وأركانه ثلاثة للرأى به والرأى لأجله وهى قصد الریاء . الركن الأول: نفس قصد الریاء وذلك لا يخلو إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب وإما أن يكون مع إرادة الثواب فإن كان كذلك فلا يخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعة . الأولى: وهى أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلا كالذى يصلى بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلى بل يرعى صلى من غير طهارة مع الناس فهذا مجرد قصدته إلى الریاء فهو للمقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أذأها فهذه الدرجة العليا من الریاء . الثانية: أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضميا بحيث لو كان في الحالوة لكان لا يفضله ولا يعمل ذلك القصد على العمل ولولم يكن قصدا الثواب لكان الریاء يعمل على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل عمله على العمل لا ينفي عنه الفت والإثم . الثالثة: أن يكون له قصد الثواب وقصد الریاء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يشته على العمل فلما اجتمعا انبثت الرغبة أو كان كل واحد منهما بالآخر لا يستقل عمله على العمل فهذا قد أقصد مثل ما أصلح فخرجوا أن يسلم رأسا برأس لاله ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد كتبتنا عليه في كتاب الإخلاص . الرابعة: أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولولم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الریاء وحده لما أقدم عليه فالذى نظنه والعلم عند الله أنه لا يعبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يصاب على مقدار قصد الریاء ويصاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك » فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الریاء أرجح . الركن الثانى: للرأى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الریاء بأصول العبادات وإلى الریاء بأوصافها . القسم الأول وهو الأغلظ الریاء بالأصول وهو على ثلاث درجات: الأولى الریاء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الریاء وصاحبه مخلد في النار وهو الذى يظهر كفى الشهادة وباطنه مشحون بالكذب ولكنه رأى بظاهر الاسلام وهو الذى ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل - إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك بارسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون - أى في دلائهم بقوله على ضاهرهم وقال تعالى - ومن الناس من بهجيك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه هو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها - الآية وقال تعالى - وإذا لقوك فقلوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الفيلظ - وقال تعالى - يرادون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذنبين بين ذلك - والآيات فيهم كثيرة وكان الفياق يكثر في ابتداء الإسلام ممن يدخل في ظاهر الإسلام ابتداء لمرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدائر الآخرة ميلانى قول للعدة أو يعتقد على بساط الشرع والأحكام ميلانى أهل الإباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافة فهو لاء من المنافقين وللارائين المخلفين في النار وليس وراء هذا الریاء رياء وحال هؤلاء أشد حالا من السكفار المجاهرين فاتهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر . الثانية: الریاء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير . ومثاله أن يكون مال الرجل في بدعيه فيأمره بأخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان في يده لما أخرجهما أو بدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الحالوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهى خلوة من الخلق ليطير وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف اللزمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبر الدابة لاعترا رغبة ولكن

القوة منه للأعضاء واتسامه إلى الدم والثقل واللبن لتفدية الولود من بين فرث ودم لنا خالصا سائغا للشارين خبارك الله أحسن الخالقين فالشكر في ذلك وقت الطعام وتحرف لطيف الحكم والقدر فيه من الذكر وما ينهب داء الطعام للغير مزاج القلب أن يدعو في أول الطعام ويسأل الله تعالى أن يجعله عونا على الطاعة ويكون من دمه: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومارزقتنا مما تحب اجعله عونا لنا على

خوفا من الناس أو يتركو أو يحج كذلك فهذا مراد منه أصل الإيمان بالله يستند أنه لا يبعد  
سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند  
اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس  
أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محبتهم أشد من رغبته في ثواب الله ، وهذا غاية الجهل  
وما أجدر صاحبه بالقت وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد. الثالثة: أن لا يراني  
بالإيمان ولا بالرائض ولكنه يراني بالثواب والسنن التي تركها لا يحصى ولكنه يكسل عنها في الخلوة  
لتتور رغبته في ثوابها ولإثارة الكسل على ما يرجي من الثواب ثم يمتع الرياء على فعلها وذلك  
كخسور الجماعة في الصلاة وعبادة للربيع واتباع الجنائز وغسل الميت وكالتجبد بالليل وصيام يوم  
عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس ، قد فعل للرأي جملة ذلك خوفا من الذممة أو طلبا للمحبة  
ويعلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الرائض فهذا أيضا عظم ولكنه دون ما قبله فإن  
الذي قبله أثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق  
فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله ، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابا على ترك النافعة  
لو تركها وكأنه على الشطر من الأول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء بأصول العبادات . القسم  
الثاني : الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات: الأولى أن يراني بفعل ما في  
تركه قصان العبادة كالذي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فإذا رآه الناس  
أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتم القعود بين السجدين ، وقد قال ابن مسعود من فعل  
ذلك فهو استهانة يستهين بها به عز وجل : أي أنه ليس يبالي بإطلاع الله عليه في الخلوة فإذا أطلع  
عليه أتمى أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي إنسان مترجيا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن  
الجملة كان ذلك منه تقديمًا فقام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة . وهذا حال الرائي بتحسين  
الصلاة في اللأ دون الخلوة وكذلك الذي يتأخر إخراج الزكاة من الذنائب الرديئة أو من الحب الرديء  
فإذا أطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصوم صومه عن الغيبة  
والرفق لأجل الخلق لا لإكالة لعبادة الصوم خوفا من الذممة ، فهذا أيضا من الرياء المحظور لأن فيه  
تقديمًا للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء بأصول التطوعات فإن قاله الرائي إنما فعلت ذلك  
صيانة لأستهم عن التوبة فاتهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان  
بالذم والتبعية وإنما قصدت صياتهم عن هذه اللصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتليس  
وليس الأمر كذلك فإن ضررك من قصان صلاتك وهي خدمة منك لمولانا أعظم من ضررك بنية  
غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شغقتك على نفسك أكثر وما أنت في هذا إلا كمن يهدى وصيفة  
إلى ملك لينال منه فضلا ولا ولاية يتقلدها فهدىها إليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الأطراف ولا يبالي  
به إذا كان للملك وحده وإذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل  
من يرأى جانب غلام للملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر ، نعم الرائي في هذه حالتان: إحداهما  
أن يطلب بذلك الثروة والمهمة عند الناس وذلك حرام قطعا . والثانية : أن يقول ليس يحضرني  
الإخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خفت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذهمهم  
وغيبتهم فامتفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا أرجو عليه نوبا فهو خير من أن ترك تحسين الصلاة  
فيفوت الثواب وتحصل الذممة فهذا فيه أدنى نظر ، والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص  
فإن لم تحضره التوبة فينبغي أن يستمر على عادته في الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمرءاة بطاعة الله

ما يحب وما ذويت عنا  
بما يحب اجعله فراغا  
لنا فيها تحب .

[ الباب الثالث  
والأربعون في آداب  
الأسكل ]

لئن ذلك أن يتندبه  
بالمح وبمحم به روى  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه قال لعلي  
رضي الله عنه « يا علي  
أبدأ طامك بالمح  
واهتم بالمح فان للمح  
شفاء من سبعين داء  
مها الجنون والجلدم  
والبرص ووجع البطن  
ووجع الأضراس »  
وروت عائشة رضي الله  
عنها قالت « بلغ رسول  
الله صلى الله عليه وسلم

فإن ذلك استهزاء كما سبق . الدرجة الثانية : أن يرأى يفعل مالا تقصان في تركه ولكن فعله في حكم التسكعة والتسعة لبيادته كالنطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة إلى التسكيرة الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة للتعادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الأجود على الجيد في الزكاة وإعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه . الثالثة : أن يرأى زيادات خارجة عن شئ التواضع أيضا كتنويع الجماعة قبل القوم وقصده للصف الأول وتوجهه إلى عين الإمام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى أين وقصود متى يحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى ما يرأى به وبضه أشد من بعض والكل مذموم . الركن الثالث : للرأى لأجله فإن للرأى مقصودا لإحالة وإنما يرأى لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض لإحالة وله أيضا ثلاث درجات : الأولى وهي أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التحكك من مصيبة كالذي يرأى مباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة التواضع والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولي القضاء أو الأوقاف أو الوصايا أو مال الأيتام فيأخذها أو يسلم إليه نفقة الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الدواخل فيأخذها ويحجدها أو تسلم إليه الأموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها أو كلها أو يتوصل بها إلى استباح الحليج ويتوصل بقوتهم إلى مقاصده الفاسدة في الماصي ، وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التحجب إلى امرأة أو غلام لأجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وخلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج إلى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرقعة من امرأة أو غلام وهؤلاء أبيض الراغبين إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سلا إلى مصيبته وأخذوها آلة وتجرا وبضاعة لهم في فسقهم وقرب من هؤلاء وإن كان دونهن من هو مقترف جرعة أتهم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينشئ التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد ودبىه واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال إنه يتصدق بحال نفسه فكيف يستحل مال غيره ، وكذلك من ينسب إلى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى . الثانية : أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء وبشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الأموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد إما امرأة بيننا لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة ، كالذي يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليروغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الأول فإن للطلوب بهذا مباح في نفسه . الثالثة : أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يد من الخاصة والزهاد ويعتقد أنه من جملة العامة كالذي يمشى مستعجلا فيقطع عليه الناس فيحس للناس ويترك المجلة كيلا يقال إنه من أهل اللهو والسهولة من أهل الوقار ، وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدامنه للزاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن ويقول ما أعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه أنه لو كان في خلوة لمسا كان يشغل عليه ذلك وإنما يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير والكل الذي يرى جماعة يصلون التراويح أو يتجهدون أو يصومون الخبيس والاثنيين أو يصدقون فيواقهم خيفة أن ينسب إلى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان

في إبهامه من وجهه  
اليسرى لدغة فقال على  
بذلك الأيسر الذي  
يكون في الصبيخ فحشا  
يلج فوضه في كفه  
ثم لمق منه ثلاث لحقات  
ثم وضع يفته على  
الدغة فسكت عنه  
ويستحب الاجتماع  
على الطعام وهو سنة  
الصوفية في الربط  
وغيرها . روى جابر  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه قال « من  
أحب الطعام إلى الله  
تعالى ما كثرت عليه  
الأيدي » وروى أنه  
قال « يا رسول الله  
إننا نأكل ولا نصعب



لا يعمل شيئا من ذلك وكانى يحطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الأشهر الحرم فلا يشرب خمر أو فامن أن يعلم الناس أنه غير صائم فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله أو يدعى إلى طعام فيمتنع لظن أنه صائم وقد لا يصحح بأن صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرى أنه صائم ثم يرى أنه غفلس ليس بمراء وأنه يحقر من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرأيا فيرى أن يقال إنه سائر لعبادته ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر نفسه فيه عذرا صريحا وعرضا بأن يتكلم بمرض يقتضى فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أفطرت تطيبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كي لا يظن به أنه يتعذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل أن يقول إن فلانا يحب للأخوان شديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من طعامه وقد أُلح على اليوم ولم أجده بدا من تطيب قلبه ومثل أن يقول إن أى ضعيفة القلب مشقة على نطق أن لو صمت يوما مرضت فلا تدعى أصوم فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا السخ عرق الرياء في الباطن أما المحاسن فانه لا يالى كيف نظر الحلق إليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخاف علم الله فيكون ملبسا وإن كان له رغبة في الصوم قد فتح يعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له أن في إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسألي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ورأب أصناف الرايين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد اللسكات وإن من شدته أن في مشاوب هي أخفى من ديب النمل كما ورد به الخبر يزل فيه حول العلماء فضلا عن العباد الجاهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله اعلم.

### ( بيان الرياء الحفي الذي هو أخفى من ديب النمل )

اعلم أن الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يمشى على العمل ويعمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاله وأخفى منه قليلا هو مالا يعمل على العمل بمجردة إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجهه الله كأنى يعتاد التهجيد كل ليلة ويقل عليه فإذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لو لا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك مالا يؤثر في العمل ولا بالنسيب والتخفيف أيضا ولو لكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء إلى العمل لم يكن أن يعرف إلا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر بأطلاع الناس على طاعته قرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفى منه يريح السرور ولو لا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنا النار في الحجر فأظهر عنه اطلاع الحلق أثر الفرح والسرور ثم إذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية نصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الحفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتنافى تنافيا خافيا أن شكاف سببا يطلع عليه بالتمريض وإلقاء الكلام عرضا وإن كان لا يدعوا إلى التصريح وقد يخفى فلا يدعوا إلى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالجمائل كإظهار النحول والصفار وخضض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجيد وأخفى من ذلك أن يخفى بحث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدوه بالسلام وأن يقابله بالبشاشة والتوقير وأن يشوا عليه وأن ينشطوا في قضاء حوائجه وأن يسامحوه في البيع والشراء وأن يوسعوا له في اللسان فان قصر فيه مقصر تقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفاها مع أنه لم يطلع عليه ولو

قال لكم خفزون على طامكم اجتمعوا واذكروا اسم الله عليه يارك لكم فيه ومن عادة الصوفية الأكل على السفر وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخبرنا الشيخ أبو زرعة عن القومى بإسناده إلى ابن ماجه الحافظ القزويني قال أنا محمد ابن الثني قال ثنا معاذ ابن هشام قال ثنا أبي عن يونس بن القرات عن قتادة عن أنس ابن مالك قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قال

لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود الصادة كدنيا في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بملئ الله ولم يكن خاليا عن شوب خفى من الرياء خفى من ديب التل<sup>(١)</sup> وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون. وقد روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال: إني الله عز وجل يقول للقاء يوم القيامة: ألم يكن يرخص عليكم السرا أن تكونوا تتدرون بالسلام ألم تكونوا ترضى لكم الخواص في الحديث « لا أجر لكم قد استوفيت أجوركم » وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه أنه قال إن رجلا من السواح قال لأصحابه إنا إنما فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان فنخاف أن نكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم إن أحدنا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن ترضى له لمكان دينه وإن اشترى شيئا أحب أن يرخص عليه لمكان دينه فيلج ذلك ما سلكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس قال السائح ما هذا قبل هذا الملك قد أظلك فقال للعلام اتنى بطعام فأثاه يثقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدته وبأكل أكلا عنيقا فقال الملك ابن صاحبك؟ فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس، وفي حديث آخر خبر فقال الملك ما عند هذا من خير فأنصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لى ذم فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يجهدون لذلك في عيادة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على إخفائها أعظم مما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة بإخلاصهم على ملا من الخلق إذ علوا أن الله لا يقبل في القيامة إلا الخالص وعلوا شدة حاجتهم وفاقهم في القيامة وأنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجرى والله عن ولده وبشتغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد نفسى نفسى فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فأنهم يستنجون مع أنفسهم الذهب للقرى الخالص لهم بأن أرباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والتبهرج والحاجة تشد في البادية ولا وطن يفرع إليه ولا حيم يتسكك به فلا ينسى إلا الخالص من النقد فكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزيادة التي يزودونه له من التقوى فإذن شوائب الرياء الخفى كثيرة لا تنحصر ومهما أدرك من نفسه غفرة بين أن يعلم على عبادته إنسان أو بهمة فيه شعبة من الرياء فإنه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرة البهائم أو الصبيان الرضع أم غابوا، اطلموا على حركته أم لم يطلوا فلو كان مخلصا قائما بملئ الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب وتقصان عقاب كالأبقر على البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفى ولكن ليس كل شوب يحبط للأجر مفسدا لامل بل فيه تفصيل. فان قلت لما ترى أحدا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله أو بضه محمود وبضه مذموم. فنقول أولا: كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم، فأما محمود فأربعة أقسام: الأول أن يكون قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله ولكن لما اطلم عليه الخلق علم أن الله أطلمهم وأظهر الجليل من أحواله يستدل به على حسن صنع الله به ونظره إليه وإلطافه به فأنه يستر الطاعة وللصية ثم الله يستر عليه للصية ويظهر الطاعة ولا لطف أعظم من ستر التبيح وإظهار الجليل ليكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس

فصلام كانوا يأكلون؟  
قال على السفر ويصفر  
اللحمة ويجود الأكل  
بالمضغ وينظر بين  
يديه ولا يطلع وجوه  
الأكلين وقعد على  
رجله اليسرى وينصب  
اليمنى ويجلس جلسة  
التواضع غير متكبر  
ولا متميز نهى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
أن يأكل الرجل  
متكبرا وروى « أنه  
أهدى لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
شاة فجأ رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
على ركبته يأكل  
فقال أعرابي ماهذه  
الجلسة يا رسول الله؟

(١) حديث في الرياء شوائب أخفى من ديب التل أحمد والطبراني من حديث أبي موسى الأشعري اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب التل، ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق وضعه هو والدار قطنى.

وقيام للزئلة في قلوبهم وقد قال تعالى - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا - فبذلك ظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به . الثاني أن يستدل بظاهر الله الجليل وسره القبيح عليه الدنيا أنه كذلك بفضل في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ «ماستر الله على عبد ذنباً في الدنيا إلا استره عليه في الآخرة (١)» فيكون الأول فرحاً بالقول في الحال من غير ملاحظة للمستقبل وهذا الثبات إلى المستقبل . الثالث أن يظن رغبة الظلمين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العلانية بما أظهر آخره وأجر السر بما قصده أولاً ومن اتقى به في طاعة فله مثل أجر أعمال القديين بمن غير أن يتقص من أجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فإن ظهور محال الرجعية وموجب للسرور لاحالة . الرابع أن يحمد للظلمين على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبجهم للطبع وببيل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الإيمان من يرى أهل الطاعة فيقته ويحسده أو يذمه ويهزأ به أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمد عليه فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله وعلامة الإخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بمحدم غيره مثل فرحه بمحدم إياه . وأما للندوم وهو الخامس فهو أن يحسب فرحه بقيام منزله في قلوب الناس حتى يمدحوه ويظنوه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالأكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم .

( بيان ما يحبط العمل من الرياء الحفي والجلبى وما لا يحبط )

فتقول فيه : إذا عقد العبد العبادة على الإخلاص ثم ورد عليه واد الرياء فلا يخفى ما أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور ومن غير إظهار فهذا لا يفسد العمل إذ العمل قد تم على نص الإخلاص سالماً عن الرياء فلا يطرأ بعده فيرجو أن لا ينعطف عليه أثره لاسياً إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يمتن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره بظاهر الله ولم يكن منه إلا ما دخل من السرور والارتياح إلى قلبه ، نعم لو تم العمل على الإخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الإظهار فتحدث به وأظهره فهذا يخوف . وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحبط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلاً يقول قرأت البقرة فقال ذلك حظ من هواي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له «ما صمت ولا أفطرت (٢)» فقال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيجوز أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالاً على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به إذ بعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل بمطالقات العمل بل الأقبس أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مرآته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فإن ذلك قد يسل الصلاة ويحبط العمل وأما إذا ورد واد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلاً وكان قد عقد على الإخلاص ولكن ورد في أثناءها واد الرياء فلا يخفى إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياء باعاً على العمل فإن كان باعاً على العمل وحتم العبادة به حبط أجره ، ومثاله أن يكون في تطوع فتجدت له نظارة

(١) حديث ماستر الله على عبد في الدنيا إلا استره عليه في الآخرة مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث قال لرجل قال صمت الدهر ، ما صمت ولا أفطرت . مسلم من حديث أبي قتادة قال عمر يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر قال لا صام ولا أفطر ولا يطرب من حديث أسماء بنت زيد في أثناء حديث فيه قال رجل إني صائم قال بعض القوم إنه لا فطر إنه يصوم كل يوم قال النبي صلى الله عليه وسلم لا صام ولا أفطر من صام الأبد لم أجده بل فطر الخطأ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلقني عبداً ولم يجعلني جباراً عنيداً . ولا يبتدىء بالطعام حتى يبدأ للقدم أو الشئ روى حذيفة قال «كنا إذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً لم يضع أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين» روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا يأكل أحدكم يمينه ويشرب يمينه ولا يأخذ يمينه وليعط يمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب

أوحضر ملك من الملوك وهو يشتكى أن ينظر إليه أريد كرسيا نسيه من ماله وهو يريد أن يطلبه لولا الناس لقطع الصلاة فاستمته أخوفا من مذمة الناس قد حبط أجره وعليه إعادة إن كان في فريضة وقد قال **عليه السلام** « العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله <sup>(١)</sup> » أي النظر إلى خاتمه وروى « أنه من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله <sup>(٢)</sup> » وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك مفرد لما يطرأ بقصد الباقي دون الخاص والصوم والحج من قبيل الصلاة وأما إذا كان وارد الرياء بحيث لا يمتنع من قصد الاتمام لأجل الثواب كالوحضر جماعة في أثناء الصلاة فخرج بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لأجل نظرم وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضا فهذا رياء قد أثر في العمل واتهم باعثا على الحركات فإن غلب حتى اتفق معه الإحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مضمورا فهذا أيضا ينبغي أن يقصد العبادة معها مضمورا كمن ترك أركانها على هذا الوجه لأننا نكتفي بالنية السابقة عند الإحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما ينافيها ويضرها أو يمتنع أن يقال لا يقصد العبادة نظرا إلى حالة العقد وإلى بقا قصد أمل الثواب وإن ضيق بهجوم قصد هو أغلب منه . ولقد ذهب الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى إلى الإحباط في أمره أو هو أن من هذا وقال إذا لم يرد إلا مجرد السرور بإطلاع الناس على سروره أو كعب التزلف والجلالة قال قد اختلف الناس في هذا فاصارت فرقة إلى أنه يحبط لأنه خفى العزم الأول وركن إلى حمد الخلق وقيل لم يمتنع عمله بالإخلاص وإتمام العمل بمخاتته ثم قال ولا تقطع عليه بالحيط وإن لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس والأغلب على قلبي أنه يحبط إذا ختم عمله بالرياء ثم قال إن قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى : إنها حالتان فإذا كانت الأولى لله لم تنقض الثانية . وقد روى « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيقطع عليه فيفسرني ذلك أجرا إن أجر السر وأجر العلانية <sup>(٣)</sup> » ثم تكلم على الخبر والأثر فقال أما الحسن فإنه أراد بقوله لا يضره أي لا يبعد العمل ولا تنقضه الخطئة وهو يريد الله ولم يقل إذا عقد الرياء بعد عقد الإخلاص لم يضره وأما الحديث فكلامه عليه بكلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه : أحدها أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ . الثاني : أنه أراد إن يسره به الاقتداء به أو لسرور آخر محمودهما ذكرناه قبل لاسرورا بسبب حب المصداق والمزلة بدليل أنه جعل له به أجرا ولأداه من الأمة إلى أن للسرور بالمصداق أجرا وبغايته أن يعفى عنه فكيف يكون له مخلص أجر وللمرائي أجران . والثالث : أنه قال أكثر من يروي الحديث يرويه غير متصل إلى أبي هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالمعومات الواردة في الرياء أولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميل إلى الإحباط والأقيس عندنا أن هذا القدر إذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وإعسا انضاف إليه السرور بالإطلاع فلا يقصد العمل لأنه لم ينمعه به أصل نيته وبقيت تلك

بجاهه ويأخذ بجاهه . وإن كان للأكل تمرا أو ماله همه لا يجمع من ذلك ما يرى ولا يؤكل على الطبق ولا في كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويرمي ولا يأكل من ذروة التريد . روى عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا وضع الطعام فخذوا من حاشيته وذروا وسطه فإن البركة تنزل في وسطه » ولا يعيب الطعام روى أبو هريرة رضي الله عنه قال ما بع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله ابن ماجه من حديث معاوية بن أبي سفيان يلفظ إذا طاب أسفله طاب أعلاه وقد تقدم (٢) حديث من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله لم أجمع بهذا اللفظ ولشيوخين من حديث جندب من سمع الله به ومن رأى رأى الله به ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٣) حديث إن رجلا قال أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيقطع عليه فيفسرني فقال لك أجران الحديث البيهقي في شعب الإيمان من رواية ذكوان عن ابن مسعود ورواه الترمذي وابن حبان من رواية ذكوان عن أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيفسره فإذا اطلع عليه أهمله قال له أجر السر والعلانية قال الترمذي غريب وقال إنه روى عن أبي صالح وهو ذكر أنه مرسل .

النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام ، وأما الأخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما إذا لم يرد به إلا الحاق وأما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساويا لقصد التواب وأغلب منه أما إذا كان ضيقا بالاضافة إليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الأعمال ولا ينبغي أن يفسد الصلاة ولا يبعد أيضا أن يقال إن الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص مالا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما أوفى عما أوردناه الآن فليرجع إليه فهذا حكم الرياء الطارىء بعد عقد العبادة إما قبل الفراغ أو بعد الفراغ . القسم الثالث : الذي يقارن حال العقد بأن يتبدى الصلاة على قصد الرياء فان استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في أنه يقضى ولا يتبدى بصلاته وإن ندم عليه في أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام فعبا بزمه ثلاثة أوجه قالت فرقة لم تتعد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة نازمه إعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون تحرجه الصلاة لأن التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزم إعادة شيء بل يستغفر الله قبله ويتم العبادة على الاخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ باخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك شوب أبيض لطبخ بنجاسة عارضة فإذا أزيل العارض عاد إلى الأصل فقالوا إن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقرن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار إلى حالة لا يالى بحمد الناس وذهم صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس القصة جدا خصوصا قال يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أفعالا زائدة في الصلاة فتفسد الصلاة كذلك قول من يقول لو ختم باخلاص صح نظرا إلى الآخر فهو أيضا ضيف لأن الرياء يفسد في النية وأولى الأوقات بمراعاة أحكام النية حال الافتتاح فالذي يستقيم في قياس الفقه هو أن يقال إن كان باعثة بمجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامثال الأمر لم ينفذ افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم الصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصلى لأجل الناس فهذه صلاة لانية فيها إذا النية عبارة عن إجابة باعث الدين وهما لا باعث ولا إجابة فأما إذا كان بحيث لو لا الناس أيضا لكان يصلى إلا أنه ظهر له الرغبة في الحمد فأيا فاجتمع الباعثان فهذا إما أن يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم أو في عقد صلاة وحيث فإن كان في صدقة فقد عصى بإجابة باعث الرياء وأطاع بإجابة باعث الثواب فنعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر وإن كان في صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل إلى النية فلا غلو إيمان تكون فرضا أو غلا فإن كانت تقبل فالحكمها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه إذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والافتداء به باطل حتى إن من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله أن قصده الرياء بظاهر حسن القراءة ولو لا اجتماع الناس خلفه وخلاف بيت وحده لمال إلى يصح الافتداء به فان الصبر إلى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضا بتطوعه فصعب باعتبار ذلك قصد صلاته وصح الافتداء به وإن اقرن به قصد آخر وهو به عاص فأما إذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الانبعاث بجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لأن الإيجاب لم يتنهى باعثا في حقه بمجرد استقلاله وإن كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لأدى الفرائض ولو لم يكن باعث القرص لأنشأ صلاة تطوعا لأجل الرياء فهذا العمل والنظر وهو محتمل جدا فيجوز أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال

طعاما قط إن اشتبه  
أكله وإلا تركه وإذا  
سقطت القصة يأكلها  
قد روى أنس بن  
مالك رضى الله عنه  
عن النبي صلى الله عليه  
وسلم أنه قال « إذا  
سقطت قصة أحدكم  
فليطعم عنها الأذى  
ولم يأكلها ولا يدعها  
للشيطان وبالمق  
أصابه » قد روى جابر  
عن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال « إذا  
أكل أحدكم الطعام  
فليمتص أصابه فإنه  
لا يدري في أى طعامه  
تكون البركة » وهكذا  
أمر عليه السلام  
بإسالات القصة وهو

الأمس يباع مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار منصوبة فانه وإن كان عاصيا بإتباع الصلاة في الدار المنصوبة فانه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة أما إذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون أصل الصلاة مثل من بادر إلى الصلاة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر إلى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يتبدى صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لأن باعث أصل الصلاة من حيث إنها صلاة لم يمارسه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا أبعد عن القدرح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السرور باطلاع الناس عليه إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل فبعد أن يغسد الصلاة فهذا مآثره لاها بقانون الفقه والسألة غامضة من حيث إن الفقهاء لم يترضوا لها في فن الفقه ، والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرس على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على إفساد العبادات بأن الحواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيها تراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم القلب والشهادة وهو الرحمن الرحيم .

( بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه )

قد عرفت عما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للحقت عند الله تعالى وأنه من كباثر الهلكات وما هذا وصفه لجدير بالثمنير عن ساق الجد في إزالته ولو بالمجاهدة وتعمل الشاق فلا شفاء إلا في شرب الأدوية للرة الشمة وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم إذا الصى بخلق ضعيف العقل والخيال تمتد العين إلى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيقلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وإنما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انقربس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قومه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة إلى هذه المجاهدة ولكنها تنشق أولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان : أحدهما قلع عروقه وأصوله التي منها انتصابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال . القام الأول : في قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب للنزلة والجاه وإذا فضل رجح إلى ثلاثة أصول وهي : لذة المحمدة والفرار من ألم الدم والطمع فيها في أيدي الناس ويشهد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للعراني ما روى أبو موسى « أن أعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية (١) » ومعناه أنه يأنف أن يشهر أو ينم بأنه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل لذكر وهذا هو الحمد بالاسان فقال صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقال ابن مسعود إذا التقى الصفان زلت لللائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك إشارة إلى الطمع في الدنيا . وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولمله يكون قد ملا دفن راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم « من غزا لا يني إلا عقلا فله مانوى (٢) » فهذا إشارة إلى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطعم فيه ولكن يغدر من ألم التهم كالبخيل بين الأسخياء وهم يصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالتقليل كي لا يخجل وهو ليس يطعم في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يغر من الزحف خوفا من الدم وهو لا يطعم في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن إذا أبس

مسحها من الطعام قال أنس رضي الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلاط القصعة ولا ينفخ في الطعام فقد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا ينفخ في الطعام بذهب بالبركة » وروى عبد الله بن عباس أنه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا في شراب ولا يتنفس في الإناء فليس من الأدب ذلك والخل والبقيل على السفرة من السنة قيل إن اللائكة تحضر المائدة إذا كان

(١) حديث أبي موسى أن أعرابيا قال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية الحديث متفق عليه .

(٢) حديث من غزا لا يني إلا عقلا فله مانوى النسائي وقد تقدم .

من الحمد كره الله وكالرجل بين قوم يسلون جميع الليل فيصلي ركعات مدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطعم في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لغة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن يذم بالجهل ويقتى بغير علم ويصدق العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحركه للرأى إلى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الأول من الكتاب على الجملة ولكننا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس غنى أن الانسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولأنه إما في الحال وإما في المال فإن علم أنه لا ينفذ في الحال ولكنه ضار في المال سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن السلقة تفسد ولكن إذا بان له أن فيهما أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من الضررة ومهما عرف البعد مضرة الرياء وما يغوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من اللذة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم ولتقت الشديدة والحزى الظاهر حيث يتبادى على ردوس الخلائق يا فاجر يا غادر يا مرائى أما استحيت إذا شريت بطاعة الله عرض الدنيا ورأيت قلب البعاد واسترأت بطاعة الله وتعبت إلى العباد بالنقص إلى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتغربت إليهم بالبعد من الله وتعمدت إليهم بالذم عند الله وطلبت رضام بالعرض لسلط الله أما كان أحد أهرن عليك من الله فهما تضرع البعد في هذا الحزى وقابل ما يحصل له من البعاد والتزين لهم في الدنيا بما يغوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع أن العمل الواحد بما كان يرجح به ميزان حسناته لو خلى فإذا فسد بالرياء حوّل إلى كفة الشيطان فترجح به ويهوى إلى النار فلو لم يكن في الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهله الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عزم بسبب الرياء ورد إلى صفى النعال من مراتب الأولياء هذا مع ما يتعرض له في الدين من تشتت المهمل بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإن رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما رضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضام في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ثم أى غرض له في مدحهم وإشادتهم الله لأجل مدحهم ولا يزيد مدحهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعهم يوم قفروا وفاته وهو يوم القيامة وأما الطمع فيا في أيديهم بأن يعلم أن الله تعالى هو للسخر القلوب بالتمتع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من اللذ والحياة وإن وصل إلى الراد لم يخل عن الله واللهة فكيف يترك ما عند الله رجاء كاذب ويوم فاسد قد يصيب وقد غشى وإذا أصاب فلا تقي لذته بألم منته ومذته وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيدهم ذمهم شيئا ما لم يكتبه عليه الله ولا يجعل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة ولا ينفضه إلى الله إن كان محمودا عند الله ولا يزيد مقتا إن كان محموتا عند الله فالعباد كلهم عجلة لا يعلكون أنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضروها قرت رغبته وأقبل على الله قلبه فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكتبه أن الناس لو عرفوا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الاخلاص لقتلوه وسيكشف الله عن سره حتى يفضحه إلى الناس ويرفعهم أنه مرء محموت عند الله ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم «إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليها بقل روت أم سعد  
رضى الله عنها قالت  
«دخل رسول الله صلى  
الله عليه وسلم على عائشة  
رضى الله عنها وأنا  
عندها فقال هل من  
غداة ؟ فقالت عندنا  
خير وعمر وخل فقال  
عليه السلام : نعم الا دام  
الحل اللهم بارك في الحل  
فانه كان إدام الأنبياء  
قبلى ولم يقفر بيت فيه  
خل » ولا يصمت على  
الطعام فهو من سيرة  
الأعاجم ولا يقطع  
اللحم والخبز بالسكين  
فيه نهى ولا يكف يده  
عن الطعام حتى يفرغ  
الجمع فقد ورد عن ابن  
عمر رضى الله عنهما

كذبت ذلك الله الذي لا إله إلا هو <sup>(١)</sup> « إذ لا زين إلا في مدحه ولا شين إلا في ذمه فأى خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مغموم ومن أهل النار وأى شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة القوم الذين أحضر في قلبه الآخرة ونسيها للزبد وللنازل الرفيعة عند الله استحق ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والنصاات واجتمع هموا انصرف إلى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانطفئ من إخلاصه أنوار على قلبه ينتشر بها صدره وينفتح بها لمن لطائف الكشافات ما يزيد به أنه الله ووحشته من الخلق واستحقاقه للدنيا واستظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وأكمل عنه داعية الرياء وبذلك له منهج الإخلاص فهذا وما قد منه في الشطر الأول هي الأدوية الطبية القالمة مفارس الرياء . وأما الدواء العملي : فهو أن يهود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تعلق الأبواب دون القواحيش حتى يفتح قلبه بلم الله وإطلاعه على عباداته ولاتنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به . وقد روى أن بعض أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال : أظهرت ما كان سيئلك أن تخفيه لتأجل السابدهذا فلم يرض في إظهار هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا بد من الرياء مثل الإخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة وإذا صبر عليه مدة بالكسف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك تواصل لطاف الله وما يعبده عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ، ولكن الله لا يغير ما عاهد حتى يشيروا ما بأنفسهم ، فمن البعد المجاهدة ومن الله الهداية ومن البعد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يصيب أجر المحسنين - وإن تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما . - للقلم الثاني :

في دفع العارض منه في أثناء العبادة وذلك لا بد من قلمة بضافان من مجاهد تقسمه قلع مفارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين الخلق وبين واستحقاق مدح الخلق وبين وذهم فالشيطان لا يتركه في أثناء العبادات بل يمارسه بخطر الرياء ولا تنقطع عنه زفاته وهو النفس وميلها إلى الإنمى بالسكية فلا بد وأن يشتغل بدفع ما يمرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد خطر دفعا واحدة كالخاطر الواحد وقد ترادف على التدرج فالأول العلم بإطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوهم هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنة عندهم ثم يتلوهم هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعند الضمير على تحقيقه فالأول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم القصد وإتمام كمال القوة في دفع الخاطر الأول ورده قبل أن يتلوهم الثاني فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أورد رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال مالك وللخلق علوا أولم يلما والله عالم بجهالك فأى فائدة في علم غيره فإن حاجت الرغبة إلى لذة الحمد يذكر ما راسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للفتنة عند الله في القيامة وخيبته في أحوال أوقاته إلى أعماله فكأن أن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة إذ يتفكر في تعرضه لفتنة الله وعقابه الأليم والشهوة تدعوه إلى القبول والكراهة تدعوه إلى الإباء والنفس تطاوع للاحالة أنوارها وأغلبها فاذن لا بد في رد الرياء من ثلاثة أمور : للمعرفة والكراهة والإباء وقد شرع البديق العبادة على عزم الإخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تخضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منظوبا عليها وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف التهم وحب الحمد واستيلاء الحرس عليه بحيث لا يلقى في القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بأفات الرياء وخوف عاقبته إذ لم يبق موضع في القلب

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا وضعت للمائدة فلا تقوم رجل حتى ترفع للمائدة ولا ترفع يده وإن شيع حتى ينسرح القوم وليتعمل فإن الرجل يجعل جليسه فيقبض يده وعسى أن يكون له في الطعام حاجة » وإذا وضع الخبز لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكرموا الخبز فإن الله تعالى سخر لكم ركبات السماء والأرض والحديد والبرق وابن آدم . ومن أحسن الأدب وأهمه

(١) حديث قال شاعر من بني تميم إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال كذبت ذاك الله ، حم من حديث الأقرع بن حابس وهو قال ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات إلا أني لأعرف لأبي سلمة ابن عبد الرحمن سماعا من الأقرع ورواه الترمذى من حديث البراء وحسنه بلفظ قال رجل إن مدحى .



خال عن شهوة الحمد أو خوف البسم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وضم النضب ويعزم على التحمل عند جريان سبب النضب ثم يجري من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسى ساقية عزمه ويمتلئ قلبه غيظا ينزع من قلبه كراهة النضب ويشغل قلبه عنه وكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل ممرارة النضب وإليه أشار جابر بقوله : ياينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تفر ولم تبايه على الموت فأنتيناهما يوم حنين (١) حتى نودى يا أصحاب الشجرة فرجعوا . وذلك لأن القلوب امتلأت بالخوف فنسيت للمهد السابق حتى ذكروا . وأكثر الشهوات التي تهيج فجأة هكذا تكون . إذ نفس معرفة مضرته الداخلة في عقد الإيمان ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فإن الكراهة ثمرة المعرفة . وقد يتذكر الإنسان فيعلم أن الحاضر الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرضه لسخط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيطلب هواه عقله ولا يقدر على تركه لئلا الحال فيسوف بالثوبة أو يتشاغل عن التفكير في ذلك لشدة الشهوة فكأن من عالم يحضره كلام لا يدعوه إلى فعله إلا رياء الحلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة عليه أو كد إذ قبل داعي الرياء مع علمه بآلته وكونه مذموما عند الله ولا تنفع معرفته إذا خلعت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويصل به لكون الكراهة ضعيفة بالإضافة إلى قوة الشهوة وهذا أيضا لا يتفحص بكماله إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل فاذن لا فائدة إلا في اجتناب الثلاث وهي للمعرفة والكراهة والإيذاء فإيذاء معرفة الكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب النقلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكير فيها عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بضما وشمعه وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خبيثة ومنبع كل ذنب لأن حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكير في العافية والاستقامة بنور الكتاب والسنة وآثار العلوم . فإن قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الإيذاء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وحبه له ومنازعته إيذاء إلا أنه كاره لربه وليليه إليه وغير محب إليه فهل يكون في زمرة اللرايين ، فأعلم أن الله لم يكف العباد إلا ما تطيق وليس في طاقة المبدع منع الشيطان عن زغاته ولا وقع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا ينزع إليها وإنما غاية ما يقال شهوة تكراهة استدارها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر فإذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف به ويدل على ذلك من الأخبار ما روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « شكوا إليه وقالوا تعرض لقلوبنا أشياء لأن نخر من السباء فتخططنا الطير أو تهوى بنا الريح في مكان سحيق أحب إلينا من أن نتكلم بها فقال عليه السلام أو قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان (٢) » ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الإيمان الوسوسة فلم يبق إلا حمله على الكراهة للسادة والوسوسة والرياء وإن كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فإذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبأن

(١) حديث جابر ياينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تفر ولا تبايه في قولهم دون ذكر يوم حنين فرواه مسلم من حديث العباس (٢) حديث شكوى الصحابة ما يعرض في قلوبهم وقوله ذلك صريح الإيمان ، مسلم من حديث ابن مسعود مختصرا مثل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال ذلك محض الإيمان ، والنسائي في اليوم والليلة وابن حبان في صحيحه ورواه النسائي فيه من حديث عائشة .

أن لا يأكل إلا بعد  
الجرع ويمسك عن  
الطعام قبل الشبع قد  
روى عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
وماء لا آدمى وعاء شرا  
من بطنه ومن عادة  
الصوفية أن يلقم الحامد  
إذا لم يجلس مع القوم  
وهو سنة روى  
أبو هريرة رضي الله  
عنه قال قال أبو القاسم  
صلى الله عليه وسلم  
« إذا جاء أحدكم خادمه  
بطعام فإن لم يجلسه  
معه فليأكله أكلة أو  
أكلتين فإنه ولي حرمه  
ودخانه » وإذا فرغ من  
الطعام يحمد الله تعالى  
روى أبو سعيد

يندفع بها ضرر الأصغر أولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس أنه قال : الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة (١) وقال أبو حازم ما كان من نفسك ونفستك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فريضته نفسك لنفسك فاعتبها عليه فاذن وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادها بالإياء والكرهات والخواطر التي هي العلوم والتذكريات والتخليلات للأسباب للهجة للرياء هي من الشيطان والرياء غيبيات لا بد لك الخواطر من النفس والكرهات من الإيمان ومن آثار العقل إلا أن للشيطان هنا مكيدة وهي أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بعبادة الشيطان ومطاولته في الرد والجidal حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لأن الاشتغال بعبادة الشيطان ومدافعة انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك قصانا في منزلته عند الله . ولتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب : الأولى أن يرده على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بعبادته وبطيل الجidal معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق قصان لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق والتعرج على قتال قطاع الطريق قصان في السالك . الثانية : أن يعرف أن الجidal والقتال قصان في السالك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بعبادته . الثالثة : أن لا يشتغل بتكذيبه أيضاً لأن ذلك وقوفان قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحباً للكرهات غير مشغول بالتكذيب ولا بالخاصة . الرابعة : أن يكون قد علم أن الشيطان سيجسده عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهما فرغ الشيطان زاد فيها هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيظاً للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمه ويوجب بأسه وقنوطه حتى لا يرجع . يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له إن فلاناً يذكرك قال والله لأغيظن من أمره قيل ومن أمره ؟ قال الشيطان اللهم اغفر له أي لأغيظنه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كلف عنه خيفة من أن يزيد في حسنته . وقال إبراهيم التيمي إن الشيطان يدعو العبد إلى الباب من الأثم فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيراً فإذا رآه كذلك تركه . وقال أيضاً إذا رآك الشيطان متردداً معك وإذا رآك مداوماً ملك وقلاك . وضرب الحارث المحاسبي رحمه الله لهذه الأربعة مثلاً أحسن فيه فقال : مثالم كآربة قصدوا مجلساً من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلاً وهداية ورشداً لحسد على ذلك ضال مبتدع وخائف أن يعرفوا الحق فتقدم على واحد فتمه وصرفه عن ذلك ودعاه إلى مجلس ضلال فأبى فلما عرف إياه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلح له وهو غرض الضال لينوث عليه بقدر تأخره فقامر الثاني عليه نهاء واستوقفه فوق فدفق في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعمل قرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان غلب منه رجاءه بالكيفية الرابع فلم يتوقف له وأراد أن يشغله فزاد في محبته وترك الثاني في الشئ فيوشك أن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يبادوا للجميع إلا هذا الأخير فإنه لا يبادوه خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله . فان قلت فإذا كان الشيطان لا تؤمن بزغاته فهل يجب التردد له قبل حضوره لئلا يزداد انتظارك لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والفلة عنه . قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه : فذهب فريق من أهل البصرة

(١) حديث ابن عباس الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة أبو الوسوسة أبو داود والنسائي في اليوم واليلة بلفظ كيد .

قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل طعاماً قال : الحمد لله الذي أطعنا وسقانا وجعلنا مسلمين « وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أكل طعاماً قال : الحمد لله الذي أطعني هذا وورثني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه « ويتخلل قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تخللوا فإنه نظافة والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة » ويصل يديه بقدر روى

إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشتملوا بحبه فاعتز لهم الشيطان وأيس منهم وخسن عنهم كما أيس من ضغائن الصيادين الدعوة إلى الحذر والناضرات ملاذ الدنيا عندهم وإن كانت مباحة كالخمر والخنزير فارتحلوا من حبا بالكيفية فلم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم إلى الحذر . وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن التردد للحذر منه إنما يحتاج إليهم من قلوبهم وقصص توكله فمن أيقن بأن لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره . ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا بأمر الله فهو الضار والنافع والعارف يستحي منه أن يحذر غيره فالباقيين بالوحداية ينجيه عن الحذر وقالت فرقة من أهل السلم لابد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وملت قلوبهم عن حب الدنيا بالكيفية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلوا عن وسواس الشيطان وزغانه فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل من صفات الله تعالى وأسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولا ينجو أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته - وقال النبي ﷺ «إنه ليغان على قلبي» (١) مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأمره إلا بخير (٢) فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لهما - إن هذا عدوك ولزوجك فلا يغرنكما من الجنة فتشقى إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضي - ومع أنه لم يته إلا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لمغيره أن يأمن في دار الدنيا وهي منبع الحزن والفتن ومعدن للآلذ الشهوات التي عنها وقال موسى عليه السلام فيها أخبر عنه تعالى هذا من عمل الشيطان - ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى - يا أي آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبويك من الجنة - وقال عز وجل - إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم - والقرآن من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدع الأمن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافي الاشتغال بحب الله فإن من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى - وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وقال تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - فإذا ترك ما أمر الله بالحذر من العدو الكافر وأنت تراه فإن يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه أولى ولذلك قال ابن حجر - صيد راء ولا يراك بوشك أن تظفر به وصيد يراك ولا تراه بوشك أن يظفر بك فأشار إلى الشيطان فكيف وليس في الفتنة عن عداوة الكافر إلا لائل هو شهادة وفي إهمال الحذر من الشيطان التعرض للعار والضاب الآليم فليس من الاشتغال بالله الإعراض عما حذر الله وبه يضل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قاذح في التوكل فإن أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخنادق لم يقدح في توكل رسول الله ﷺ فكيف يقدح في التوكل الخوف مما يخوف الله به والحذر مما أمر الله بالحذر منه وقد ذكرنا في كتب التوكل ما يبين غلطهم وزعم أن معنى التوكل التزويج عن الأسباب بالكيفية وقوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - لا يتناقض امتثال التوكل معهما اعتقاد القلب أن الضار والنافع والحي والحيت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويعتد أن الهادي والضال هو الله ويرى الأسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه

(١) حديث إنه ليغان على قلبي تقدم (٢) حديث إن شيطانه أسلم فلا يأمر إلا بخير تقدم أيضا .

أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بات وفي يده عمر لم يفسد فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه » ومن السنة غسل الأيدي في طست واحد وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آرعوا الطسوس وخالعوها الجوس » ويستحب مسح العين بيل اليد . وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا توضأتم فأمروا أعينكم بالساء ولا تفضوا أيديكم فانها

في التوكل وهذا ما اختاره الحارث الهامبي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم ومآقيله يشبه أن يكون من كلام النبا الذين لم يزرع لهم ويظنون أن ما يهجم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو يمد ثم اختلقت هذه القرعة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم إذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا إن غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم إن ذلك يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال القلب كله بالشیطان وذلك مراد الشيطان من أن يفتننا بالعبادة ويذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة إلى الحذر منه فنجمع بين الأمرين فانا إن نسيتنا ربما عرض من حيث لا نعتنب وإن تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان أما الأول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا ينبغي غلطه وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به لا يقوى على دفعه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا إيمان ذكره وأما القرعة الثانية فقد شاركت الأولى إذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان بقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان بنقص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه إبليس وغيره فالخلق أن يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فإذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكف عنه بكل الهمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان فانه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبهه وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند ترغية الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يغتوه مهم عند طلوع الصبح فيترجم نفسه الحذر وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل أوانه لما أسكن في قلبه من الحذر مع أنه باليوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو إذا كان اشتغاله بمجرد ذكره تعالى قد أدانت منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة وأشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصدوا وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا - لذكر شر العدو واستضاءوا بنور الله كحق صرفوا خواطر العدو وقال القلب بمرأيد تطهيرها من الماء القدر ليضجر منها الماء الصافي فالاشتغال بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القدر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد تزح الماء القدر من جانب ولكنه تركه جاريا إليهم من جانب آخر فيطول تيبه ولا يخف البئر من الماء القدر والبصير هو الذي جبل لجري الماء القدر سدا وملاها بماء الصافي فإذا جاء الماء القدر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب.

### ( بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات )

اعلم أن في الإسراع للأعمال قائمة بالإخلاص والنجاة من الرياء وفي الإظهار قائمة بالافتقار وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم للمسلمون أن السر أحرز للمسلمين ولكن في الإظهار أيضا فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السر والملاينة فقال - إن تبدوا الصدقات فتنهاهم وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - والإظهار قسبان أحدهما في نفس العمل والآخر بالحدث بما عمل - القسم الأول : إظهار نفس العمل كالصدقة في اللأ ترغيب الناس فيها كما روى عن الأنصاري

مراوح الشياطين «  
قبل لأبي هريرة في  
الوضوء وغيره قال  
نعم في الوضوء وغيره.  
وفي غسل اليد يأخذ  
الأشنان باليمين وفي  
الحلال لا يزدرد  
ما يخرج بالحلال من  
الأسنان وأما ما يلوكة  
بالسان فلا بأس به  
ويحتمل التصنع في  
أكل الطعام ويكون  
أسكله بين الجمع  
كأكله منفردا فإن  
الرياء يدخل على العبد  
في كل شيء. وصف  
لبعض العلماء بعض  
العباد فلم يثن عليه  
قيل له تعلم به بأسا  
قال نعم رأيته يتصنع

التي جاء بالصرة فتتابع الناس بالصطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه » (١) وتجري سائر الأعمال هذا المجري من الصلاة والصيام والحج والتزو وغيرها ولكن الاقتداء بالصدقة على الطباع أغلب ، ثم التمازي إذا هم بالخير وحسب استعداد وشدة الرحل قبل التوهم تحريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن التزو في أصله من أعمال العالنية لا يمكن إسراره فالمبادرة إليه ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن إسراره كالخج والجهاد والجمعة فالأفضل المبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه لتحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلاة فإن كان إظهار الصدقة يؤدي للتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لأن الإبداء حرام فإن لم يكن فيه إغواء قد اختلف الناس في الأفضل فقال قوم السر أفضل من العلانية وإن كان في العلانية قدوة ، وقال قوم السر أفضل من علانية لاقدوة فيها أما العلانية للقدوة فأفضل من السر ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخسهم بنصيب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل المصلين ويدل عليه قوله عليه السلام « له أجرها وأجر من عمل بها » وقد روى في الحديث « إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا وضاعف عمل العلانية إذا استمر بهامه على عمل السر سبعين ضعفا » (٢) وهذا الوجه للخلاف فيه فانه مهما اتفقت القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين لما يقتدى به أفضل لأعماله وإنما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينصفه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وتبينتان : إحداهما أن يظهره حيث يسلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به أهله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محله وإنما العالم للرفوف هو الذي يقتدى به الناس كافة فخير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والنفاق وذموه ولم يتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وإنما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الحفي فيدعو إلى الاظهار بلذر الاقتداء وإنما شهوته التجميل بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين وقليل مام فلا ينبغي أن يمدح الضعيف منه بذلك فبهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال التريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة من الترقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبوا به فهلكوا وهلك التريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة من الترقى فرحمهم فأقبل عليهم عذابه دائم مدة مديدة وهذه ملة أقدام السباد والعلاء فانهم يتشبهون بالأقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط أجورهم بالرياء والتفطن لذلك فامض وعحك ذلك أن يمرض على نفسه

(١) حديث من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وفي أوله قصة مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي (٢) حديث إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا وضاعف عمل العلانية إذا استمر بهامه على عمل السر سبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث أبي السرداء مقتصرا على الشهر الأول بسجوه وقال هذا من أفراد جبة عن شيوخه المجهولين وقد تقدم قبل هذا بنحو ورتين وله من حديث ابن عمر عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء وقال نضر بن بقة عن عبد الملك بن مهران وله من حديث عائشة بفضل أو ضاعف الذكر الحفي الذي لا يسمعه الحفظة على الذي تسمعه سبعين ضعفا وقال نضر بن معاوية بن يحيى الصدقي وهو ضعيف.

في الأكل ومن تصنع في الأكل لا يؤمن عليه التصنع في العمل وإن كان الطعام حلالا فليقل الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات ونزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم أطمئنا طيبا واستعملنا صالحا وإن كان شبهة يقول الحنفية على كل حال اللهم صل على محمد ولا تجعله عونا على معصيتك وليكثر الاستغفار والخزن ويكنى على أكل الشبهة ولا يضحك فليس من يأكل وهو يكتن بأكل وهو يضحك

أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدى الناس بما يد آخر من أقرانك ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان فإن مال قلبه إلى أن يكون هو للقتدى به وهو الظاهر للعمل فباعته الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فاتهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفروا عليه مع إسراره لما بال قلبه يميل إلى الاظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم فجذر البعد خدع النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقد تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يبدل بالسلامة شيئا والسلامة في الإخفاء وفي الاظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالا فالخدر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء . القسم الثاني : أن يتحدث بمافعله بعد الفراغ وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشد لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجرى في الحكاية زيادة ومبالغة ولنفس الله في إظهار الدعوى عظيمة إلا أنه لو طرق إليه الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الدامية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوى قلبه وتم إخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب إليه إن صفت النية وسلت عن جميع الآفات لأنه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد قل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأتقياء . قال سعد بن معاذ ماصليت صلاة منذ أسلمت لحدثت نفسي بغيرها ولا تمت جنازة لحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولاً قط إلا علمت أنه حق ، وقال عمر رضي الله عنه : ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر لأني لا أدري أيهما خير لي ، وقال ابن مسعود : ما أصبحت على حال فتخنت أن أكون على غيرها . وقال عثمان رضي الله عنه : ما تنفيت ولا تخيت ولا مسست ذكرى يميني منذ بابت رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> وقال شداد بن أوس : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها غير هذه وكان قد قال لعلمه اثنا بالفرصة لبث بها حتى ندرك القداء ، وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت : لا تبكوا على فاني ما أحدث ذنباً منذ أسلمت . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ما قضى الله في قضاء قط فسرت أن يكون قضى لي بغيره وما أصبح لي هوى إلا في مواقع قدر الله فهذا كله إظهار لأحوال الشريعة وفيها غاية الرأفة إذا صدرت من برائي بها وفيها غاية الترغيب إذا صدرت من يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للأتقياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسد باب إظهار الأعمال والطاعات بحيلة على حب التقية والاقتداء بل إظهار المراتي للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للعرائي ، فكيف مخلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو وراء عند الله ، وقد روى أنه كان يجتاز الإنسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات للصليين بالقرآن من البيوت فنصف بعضهم كتاباً في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصف فاطهار الراي فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف ريأؤه ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأتوم لاخلق لهم <sup>(٢)</sup> كما ورد في الأخبار وبعض الرائين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم .

(١) حديث عثمان قوله ما تنفيت ولا تخيت ولا مسست ذكرى يميني منذ بابت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو جلى الوصلى في مجمه باسناد ضعيف من رواية أنس عنه في أثناء حديث وإن عثمان قال يارسول الله قد كره بلفظ منذ بابتك قال هو ذاك يا عثمان <sup>(٢)</sup> حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأتوم لاخلق لهم ما حدثنا فالأول متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم والثاني رواه النسائي من حديث أنس بسند صحيح وتقدم أيضاً .

( بيان الرخصة في كتاب الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم له )

اعلم أن الأصل في الاخلاص استواء السريرة والملاينة كما قاله عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل الملاينة قال يا أمير المؤمنين وما عمل الملاينة ؟ قال ما إذا أطلع عليك لم تستحي منه ، وقال أبو مسلم الخولاني ما عملت عملا أبالي أن يطلع الناس عليه إلا إيتاني أهلى والبول والغائط إلا أن هذه درجة عظيمة لا يتأهلها كل واحد ولا يغتر الإنسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لاسيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والأمان والله مطلع على جميع ذلك فإرادة العبد لاختفائها عن العبيد ربما يظن أنه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور أنه يستتر ذلك ليرى الناس أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر للرأى وأما الصادق الذي لا يرى الله ستر للمعاصي ويصح قصد فيه ويصح اغتنامه باطلاع الناس عليه في ثمانية أوجه : الأول أن يفرح بستر الله عليه وإذا اقتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره في القيامة إذ ورد في الخبر « أن من ستر الله عليه في الدنيا ذنبا ستره الله عليه في الآخرة » (١) وهذا غم يشأ من قوة الإيمان . الثاني أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله » (٢) فهو وإن عصى الله بالذنوب فلم يخل قلبه عن محبة ما أحبه الله ، وهذا ينشأ من قوة الإيمان بكراهة الله لظهور المعاصي وأما الصادق فيه أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضا ويستم بسببه . الثالث أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالذم ويتنازع العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة أيضا ينبغي أن يكره الحمد الذي يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر ، وهذا أيضا من قوة الإيمان إذ صدق الرغبة في فراغ القلب لأجل الطاعة من الإيمان . الرابع أن يكون ستره ورغبته فيه لكرهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فإن الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الإنسان به عاص وإجماعا يسمي إجماعا عتق نفسه من ذم الناس ودعته إلى الملاجيز حذرا من ذمهم وليس يجب على الإنسان أن لا يهتم بتم الحلق ولا يتألم به ، نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه لعله أن الضار والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا وأكثر الطباع تتألم بالذم لمساقيه من الشعور بالنقصان ورب تتألم بالذم محمود إذا كان الدمام من أهل البصرة في الدين فانه شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يهتم به ، نعم التلم للذم هو أن يهتم بفوات الحمد بالورع كأنه يحب أن يحمده بالورع ولا يجوز أن يحب أن يحمده بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فإن وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابله بالكرهية والرد . وأما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمغموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور أن يكون السبب بحيث لا يجب الحمد ولكن يكره الذم وإجماعا أنه أن يتركه الناس حمدا وذا فكم من صابرين لهذا الحمد لا يصر على ألم الذم إذا الحمد بطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم . وأما الذم فانه مؤلم بحب الحمد إلى الطاعة طلب ثواب إلى الطاعة في الحال . وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه إلا الأمر واحد وهو أن يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فإن ذلك غاية التقصان في الدين بل ينبغي أن يكون غمه باطلاع الله عنه أنه أكثر . الخامس أن يكره الذم من حيث إن الدمام قد عصى الله تعالى به وهذا من الإيمان وعلايته أن يكره ذمه ليرى ما أيضا

(١) حديث أن من ستر عليه في الدنيا يستر عليه في الآخرة تقدم قبل هذا بورة (٢) حديث من ارتكب من هذه القاذورات شيئا فليستر بستر الله الحاكم في الاستدراك وقد تقدم .

ذلك حياء وتكلفا  
وإذا أكل عند قوم  
طعاما فقل عند فراغة  
إن كان بعد للغرب  
أنظر عندكم الصائون  
وأكل طعامكم الأبرار  
وصلت عليكم اللالكة  
وروي أيضا عليكم  
صلاة قوم أبرار ليسوا  
بأغني ولا تجار يصلون  
بالليل وصومون  
بالتهار . كان بعض  
الصحابة يقول ذلك .  
ومن الأدب أن  
لا يستحقر ما يقدم له  
من طعام وكان بعض  
أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول  
ماندرى أيهم أعظم  
وزرا الذي يحقر

فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع . السادس : أن يستر ذلك كيلا يقصد جسر إذاعرف ذنبه وهذا وراء ألم القلم فإن القلم مؤلم من حيث يشعر القلب بقصده وانوخسته وإن كان ممن يؤمن شره . وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستر ذلك حذرا منه . السابع : مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم القلم والقصد بالشعر وهو خلق كريم يحدث في أول الصبا معها أشرق عليه نور العقل فيستحي من القبائح إذا شوهدت منه وهو وصف محمود إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحياء خير كله » <sup>(١)</sup> وقال <sup>(٢)</sup> « الحياء شعبة من الإيمان » <sup>(٣)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « الحياء لا يأتي إلا بخير » <sup>(٤)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الحي الحليم » <sup>(٥)</sup> فالذي يستحي ولا يبالي أن يظهر فسقه فلهنا جمع إلى الفسق والتهتك والوقاحة فقد الحياء فهو أشد حالاً ممن يستحي ويستحي إلا أن الحياء بمنزلة الرياء ومشبهه اشتباها عظيماً قل من يفتن له ويدعى كل مرءاه أنه مستحي وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وينتج عنه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور أن يخلص معه ويتصور أن يرائي معه ويأمنه أن الرجل يطلب من صديق له قرضاً وقسه لانسو باقرضه إلا أنه يستحي من رده وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء . ولا يطلب الثواب فله عند ذلك أحوال : أحدها أن يشافه بالرد الصريح ولا يبالي فينصب إلى قلة الحياء وهذا فعل من لحياء له فإن للسبحي إما أن يتعلم أو يقرض فان أعطى فيستور له ثلاثة أحوال : أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقبض عنده الرد فيهبج خاطر الرياء ويقول ينبغي أن تقطعي حق بغي عليك وعمدك وينشر اسمك بالسخاء أو ينبغي أن تقطعي حق لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل فإذا أعطى فقد أعطى بالرياء . وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء . الثاني أن يتعذر عليه الرد بالحياء . ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهبج داعي الاخلاص ويقول له إن الصدقة واحدة والقرض بثمان عشرة ففيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فنسوخ النفس بالاعطاء لذلك فهذا يخص هيج الحياء بإخلاصه . الثالث أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمد . لأنه لو طلبه مراسلة لكان لا يطلبه فأعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحي منه من الأجانب أو الأراذل لكان يرد . وإن كثر الحد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والرائي يستحي من المباحات أيضاً حتى إنه يرى مستحجلاً في اللشي فيعود إلى الهدوء وأضاحك فيرجع إلى الاشفاق ويؤمن أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل إن بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراذبة الحياء محال ليس فيجب كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي القلاء غير محمود وقد تشاهد مصيبة من شيخ فتستحي من شيئته أن تنكر عليه لأن من إجلال الله إجلال ذي الشبهة للسلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن يستحي من الله فلا تضيق الأمر بالمعروف فالقوى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه . فهذه هي الأسباب التي يجوز لأهلها ستر القبائح والذنوب . الثامن : أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجري .

ما يقدم إليه أو الذي يحقر ما عنده أن يفضله . ويكره أكل طعام للباهة وما تكلف به للأعراس والتعازي لما عمل للنسوان لا يؤكل وما عمل لأهل العزاء لا يأكل بهوما يجري مجراه وإذا علم الرجل من حاله أخيه أنه يفرح بالانسياط إليه في التصرف في شيء من طعامه فلا خرج أن يأكل من طعامه بغير إذنه قال الله تعالى - أو صدقكم - قيل دخل قوم على سيان التوري فلم يجدوه فقتلوا الباب وأنزلوا السفرة

(١) حديث الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٢) حديث الحياء شعبة من الإيمان (٣) حديث الحياء لا يأتي إلا بخير (٤) حديث إن الله يحب الحي الحليم الطبراني من حديث قاطمة وللبزار من حديث أبي هريرة إن الله يحب الغني الحليم المتعفف وفيه لث بن أبي سلمة مختلف فيه .



عليه غيره ويقتدى به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدوة ويحتسب ذلك بالآئمة أو بمن يقتدى به وهذه العلة ينبغي أيضا أن يخفى العاصي أيضا مصيبتهم أهلوه ولله أعلم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الأعداء العمانية وليس في إظهار الطاعة عذر إلا هذا المذنب الواحد ومهما قصد بستر العصية أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مراثيا كما إذا قصد ذلك بإظهار الطاعة. فان قلت فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصالح وحبهم إياه بسببه وقد قال رجل لابي صلى الله عليه وسلم «دلى على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وابذل إليهم هذا الحطام يحبوك» (١) فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمدا وقد يكون مذموما فالحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه تعالى إذا أحب عبدا حبه في قلوب عباده والمذموم أن تحب جهنم وحدهم على حبك وغزوكم وصلاتكم وعلى طاعة بينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والباح أن تحب أن يحبك لصفات محمودة سوى الطاعات الحمودة المصينة بحبك ذلك كحبك المال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض كذلك الأموال فلا فرق بينهما.

(بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات)

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مراثيا به وذلك غلط ومما اقتله الشيطان بل الحق فيما يترك من الأعمال ومالا يترك لحوف الآفات مانه كره وهو أن الطاعات تنقسم إلى المألوفة في عينه كالصلاة والصوم والحج والفروقاتها مقاساة ومجاهدات إنما تصير للبدنة من حيث إنها توصل إلى حمد الناس وحمد الناس لذنب وذلك عند اطلاع الناس عليه وإلى ما هو لذنب وهو أكثر مالا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالحلقة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتذكير والتدريس وإتفاق المال على الحق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة. القسم الأول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصوم والصلاة والحج فتطرات الرياء فيها ثلاث : إحداها ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغي أن يترك لأنه مصيبة لا طاعة فيه فانه تدرع بصورة الطاعة إلى طلب اللذة فان قدر الانسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستحيين من هؤلاء لا تسخين بالعمل لأجله وتسخين بالعمل لأجل عيابه حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليست تلت بالعمل . الثانية أن ينبعث لأجل الله ولكن يترضى الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا ينبغي أن يترك العمل لأنه وجد باعثا دينيا فليشروع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء ومحبين الاخلاص بالمعالجات التي ذكرناها من إلزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول. الثالثة أن يعتدل الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع إلى عقد الاخلاص ويرد نفسه إليه قهرا حتى يتم العمل لأن الشيطان يدعوك أولا إلى ترك العمل فاذا لم يحب واشتقت فيدعوك إلى الرياء فاذا لم يحب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بغايب وأنت مرء وتعيك ضائع فأنت فائدة لك في عمل لا إخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لحوفة أن يكون مراثيا كمن سلم إليه مولا حنطة فيأزؤا وقال خلصها من الزؤان ونهيا منه تنقية بالغة فترك أصل العمل ويقول أخاف إن اشتغلت به لم تخلص خلصا صافيا تقياء ترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل

(١) حديث قال رجل دلى على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله الحديث ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ وازهد في أيدي الناس وقد تقدم .

وأكلوا فدخل سفيان  
فصرح وقال ذكرتموني  
أخلاق السلف هكذا  
كانوا ومن دعى إلى  
طعام فلاجابة من  
السنة وأوكد ذلك  
الوليعة وقد يتخلف  
بعض الناس عن  
الدعوة تكبرا وذلك  
خطأ وإن عمل ذلك  
تصنعا ورياء فهو أقل  
من التكبر . روى  
أن الحسن بن علي  
مرّ بقوم من السالكين  
الذين يسألون الناس  
على الطرق وقد ثروا  
كسرا على الأرض  
وهو على بنته فسا  
مرّ بهم سلم عليهم  
فردوا عليه السلام

أن ترك العمل خوفاً على الناس أن يقولوا إنه مرء فيصون الله به فهذا من مكاييد الشيطان لأنه أولاً أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم إن كان فلا يضره قولهم ويغوثه ثواب البادة وترك العمل خوفاً من قولهم إنه مرء هو عين الرياء قولوا حبه لمحمدتهم وخوفهم من ذمهم فإله وقولهم قالوا إنه مرء أو قالوا إنه غلص وأى فرق بين أن ترك العمل خوفاً من أن يقال إنه مرء وبين أن يحسن العمل خوفاً من أن يقال إنه غافل مقصر بل ترك العمل لأشدهم ذلك ففهم كلها مكاييد الشيطان على العباد الجاهل ثم كيف بطمع في أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس إنك تركت العمل ليقال إنه غلص لا يتنهي الشهرة فيضطررك بذلك إلى أن تهرب فإن هربت ودخلت سرباً تحت الأرض ألقي في قلبك حلالة معرفة الناس لزهديك وهربك منهم وتمطيحهم لك بقولهم بل في ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه إلا بأن تترك قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا تنفع في الدنيا لئلا تترك الكراهة والإيذاء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وإن نزع المدون نازع الطبع فإن ذلك لا ينقطع وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك الحرات لما دمت تجد باعثاً دينياً على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء وأزم قلبك الحياء من الله إذا دعيت فتركه إلى أن تستبدل بحمد أحد الخلقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وأنت تريد حدمهم لقتوك بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياءً من ربك وعقوبة لنفسك فاضل فإن قال لك الشيطان أنت مرء فأعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وإيأته وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وإن لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفاً ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد أن يبق معه أصل قصد الثواب . فإن قلت قد نقل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة . روي أن إبراهيم النخعي دخل عليه إنسان وهو يقرأ فأطبق للصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا قرأ أنا أكل ساعة . وقال إبراهيم النخعي إذا أجهيك الكلام فاسكت وإذا أجهيك السكوت فسلم . وقال الحسن أن كان أحدم لير بالآذى ما يمنعه من دفعه إلا كراهة الشهرة وكان أحدم يأتيه البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة . وقد ورد في ذلك آثار كثيرة . قلنا هذا جارسته ماورد من إظهار الطاعات عن لا يحصى وإظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء وإمالة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الأفضل ، والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء فالأفضل أن يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وأرباب الأعمال قد يبالغون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف فلا اعتداء ببنين أن يكون بالأقوياء وأما إطلاق إبراهيم النخعي للصحف فيمكن أن يكون لهله بأنه يحتاج إلى ترك القراءة عند دخوله واستشفاه بعد خروجه للاشتغال بمكاته فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك وأما ترك دفع الأذى فنذلك عن يخاف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم إياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشية من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا مجرد خوف الرياء وأما قول النخعي إذا أجهيك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالتمساح في الحكايات وغيرها فإن ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت للباح محذور فهو عدول عن مباح إلى مباح حذراً من العجب فأما الكلام الحق للندوب إليه فلم ينس عليه على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وإنما كلامنا في العبادات الخاصة بدين المبدما

وقالوا هم الغذاء يا ابن رسول الله قال نعم إن الله لا يحب للتكبرين ثم نفي وركه فنزل عن دأبه وقعد معهم على الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الأكل مع الاخوان أفضل من الأكل مع العيال . وروى أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صب الرشيد على يده في العسلت فلما فرغ قال يا أبا معاوية ندرى من صب على يدك ؟ قال لا قال أمير المؤمنين قال

لا يتعلق بالأس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء وإمالة الأذى لحوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه الدقائق وإنما ذكره مخوفاً للناس من آفة الشهرة وزجراً عن طلبها . القسم الثاني : ما يتعلق بالحاقق وتعظم فيه الآفات والأخطار وأعظمها الحلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والقنوى ثم إضاق الليل . أما الحلافة والإمارة فهي من أفضل البادات إذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاماً » (١) فأعظم بمادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقد صلى الله عليه وسلم « أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام القسطنطيني » (٢) أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لاترد دعوتهم إمام عادل » (٣) رواه أبو سعيد الحدرى بالإمارة والحلافة من أعظم البادات ولم يزل القنوى يتركونها ويمتدحون منها ويهربون من تخلفها وذلك لما فيه من عظيم الخطر إذ تتحرك بها الصفات الباطنة وينقلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء وتغاذى الأمر وهو أعظم ملاذ الدنيا فإذا صارت الولاية محبوبة كان الوالى ساعياً في حظ نفسه ويوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يتقح في جاهه وولايته وإن كان حقاً ويقدم على ما يزيد في مكانته وإن كان باطلاً وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شراً من فسق ستين سنة عنهم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضى الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « مامن والى عشرة إلا جاء يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه أطاقه عدله أو أوقعه جوره » (٤) رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يأمر المؤمنين أشرف على قال اجلس وأكنتم على وروى الحسن « أن رجلاً ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي خلى قال اجلس » (٥) وكذلك حديث عبد الرحمن بن ممرة إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا عبد الرحمن لاتسأل الإمارة فانك إن

(١) حديث ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاماً الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام القسطنطيني مسلم من حديث عياض بن حماد أهل الجنة ثلاث ذو سلطان مقسط الحديث ولم أرفقه ذكر الأول (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لاترد دعوتهم الامام عادل تقدم (٤) حديث أبي سعيد الحدرى أقرب الناس من مجلس يوم القيامة إمام عادل الأصماني في الرغبة والترهب من رواية عطية العوفى وهو ضعيف عنه وفيه أيضاً إسحق بن إبراهيم الديلمي ضعيف أيضاً (٥) حديث مامن والى عشرة إلا جاء يوم القيامة يده مغلوله إلى عنقه لا يغسكه إلا لعهده أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبراز من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيهما يزيد بن أبي زياد متكلم فيه ورواه أحمد والبراز وأبو يعلى والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورواه البراز والطبراني من حديث بريدة والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبي البرداء مامن والى ثلاثة إلا لقي الله مغلوله يمينه الحديث وقد عزى الضيف هذا الحديث لرواية معقل بن يسار والمعروف من حديث معقل بن يسار مامن عبد يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصيحة إلا لم يرج راحة الجنة متفق عليه (٦) حديث الحسن أن رجلاً ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم خلى قال اجلس الطبراني موسولاً من حديث عصمة هوا بن مالك وفيه الفضل بن المختار وأحاديثه منكورة يحدث بالأباطيل قاله أبو حاتم ورواه أيضاً من حديث ابن عمر بلفظ ازم بينك وفيه الغراب بن ابى الغراب ضعفه ابن معين وابن عدى وقال أبو حاتم صدوق

يأمر المؤمنين إنما  
أكرمت العلم وأجلته  
فأجلك الله تعالى  
وأكرمك كما أكرمت  
العلم .

[ الباب الرابع  
والأربعون في ذكر  
أدبهم في اللباس ونياتهم  
ومقاصدهم فيه ]

اللباس من حاجات  
النفس وضرورتها لدفع  
الحار والبرد كما أن  
الطعام من حاجات  
النفس لدفع الجوع وكما  
أن النفس غير قائمة  
بقدر الحاجة من الطعام  
بل تطلب الزیادات  
والشبهات فهكذا في  
اللباس تنفخ فيه ولها  
فيه أهوية متنوعة

أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها<sup>(١)</sup>، وقال أبو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لأناصر على اثنين ثم ولي هو الخلافة قام بها فقال رافع ألم تقل لي لأناصر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك لمن لم يدل فيها فضله به الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ماورد من فضل الإمارة مع ماورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء في الدين لا ينبغي أن يمتنعوا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا ينبغي أن يدوروا بها فيهلكوا وأعنى بالقوى القدي لايميله الدنيا ولا يستغزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها ولقوا الشيطان فأبى منهم فهو لا يحركهم إلا الحق ولا يسكنهم إلا الحق ولو ذهبت فيهم أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الإمارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرأها صارة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتغير إذا ذقت لذة الولاية وأن تستحل الجاه وتستلذ نفاذ الأمر فتركه العزل فبداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يلزمه الحرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لأن هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يهد نفسه إلا لقوبة في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصريح أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلوهو كاقبل العزل طلاق الرجال فإذا شرع لاسمح نفسه بالعزل وتبيل نفسه إلى اللذاهنة وإهمال الحق وتوهم به في قمر جهنم ولا يستطيع التزوع منه إلى اللوت إلا لأن يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل عجب للولاية ومعهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت في السؤال والطلب فهو أماراة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إنا لآنولئى أمرنا من سألنا»<sup>(٢)</sup> فإذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف علمت أن نهى أبى بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض . وأما القضاء فهو وإن كان دون الخلافة والإمارة فهو في معناها فإن كل ذى ولاية أمير أى له أمر تافدوا بالإمارة محبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والقصاب فيه أيضا عظيم مع العدل عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «القضاء ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة»<sup>(٣)</sup> وقال عليه السلام «من استسقى فقد ذبح بغير سكين»<sup>(٤)</sup> فحكه حكم الإمارة يبنى أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليقلده الأقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلة ولهم بقدر القاضي على القضاء لإبعادهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل التعلق بهم إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لمزولوه أولم يطيعوه فليس له أن يتقلد القضاء وإن تقلده فضله أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرضا له في الإهمال أصلا بل إذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغى أن يفرح بالعزل إن كان يقضى لله فان لم تسمح نفسه بذلك فهو إذن يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلة في البرك الأكفل من النار . وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية

ومكارب مختلفة فالصوفي يرد النفس في اللباس إلى متابعة صريح العلم . قيل لبعض الصوفية توبك عرق قال ولكنه من وجه حلال وقيل له وهو وسخ قال ولكنه طاهر فظفر الصادق في ثوبه أن يكون من وجه حلال لأنه ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من اشترى ثوبا بشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» أى لأفريضة ولا نافعة ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا لأن طهارة الثوب شرط في صحة

(١) حديث عبد الرحمن بن حمزة لانسلى الإمارة الحديث متفق عليه (٢) حديث إنا لآنولئى أمرنا من سألناه متفق عليه من حديث أبى موسى (٣) حديث القضاء ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وتقدم في العلم وإسناده صحيح (٤) حديث من استسقى فقد ذبح بغير سكين أصحاب السنن من حديث أبى هريرة بلفظ من جعل قاضيا وفي رواية من ولي القضاء وإسناده صحيح .

الحديث وجمع الأسانيد الدالة وكل ما يتبع بسببه الجاه ويسظم به القدر فآفته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الحافظون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا إليه نبیلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا لي ودفن بسر كذا وكذا فحظر من الحديث وقال يخفى من الحديث أني أشتبه أن لا أحدث ولو اشتبهت أن لا أحدث لحديث والواعظ محمد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعماتهم وإقبالهم عليه لذة لاتوازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف روج عند العوام وإن كان باطلا ويغفر عن كل كلام يستنله العوام وإن كان حقا ويصير مصروف الهمة بالسكينة إلى ما يحرك قلوب العوام ويسظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس النير وكان يخفى أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولا ثم يقول إذا أتم الله علي هذه النعمة ونفعي بهذه الحكمة فأقصها ليشركني في نعمها إخواني المسلمين فهذا أيضا مما يسظم فيه الخوف والفتنة فحكه حكم الولايات فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والنزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي أن يتركه ويغالف الهوى فيه إلى أن تراض نفسه وتغوى في الدين همنه ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود إليه . فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق . فنقول قد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة وتوعد عليها (١) حتى قال « إنكم تحرمون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها (٢) » وقال « نعمت الرضعة وبشت القاطعة (٣) » ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جمعا وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت للعالم فلم ينهى عنها مع ذلك ؟ وضرب عمر رضي الله عنه أبي بن كعب رأى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول أبي سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فنع من أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على التبع ومذلة على التابع ومحرر كان بنفسه يخطب ويصطف ولا يتمتع منه . واستأذن رجل عمر أن يخط الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فنهى فقال أمتنع من نصح الناس فقال أختي أن تنفخ حتى تبلغ الرضا إذا رأى فيه غاييل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد إلى تعطيل القضاء (٤) بل الرياسة وجبا يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تدرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلال والأغلال من طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لأفلتوا من الحبس وقطعوا السلال وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا أخلاق لهم فلا تشتغل قلبك بأمر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم إنى أقول مع هذا إذا كان في الهدى جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في التهي عنه إلا امتناع بعضهم وإلا فعمل أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فإلما يكن

- (١) حديث التهي عن طلب الإمارة وهو حديث عبد الرحمن بن حمزة لأسئل الإمارة وقد تقدم قبله بثلاثة أحاديث (٢) حديث إنكم تحرمون على الإمارة وإنها حسرة وندامة إلا من أخذها بحقها البخاري من حديث أبي هريرة دون قوله إلا من أخذها بحقها وزاد في آخره نعمت الرضعة وبشت القاطعة ودون قوله حسرة وهي في صحيح ابن حبان (٣) حديث نعمت الرضعة وبشت القاطعة البخاري من حديث أبي هريرة وهو بقية الحديث الذي قبله ورواه ابن حبان بلفظ قبست الرضعة وبشت القاطعة (٤) حديث التهي عن القضاء مسلم من حديث أبي ذر لا تؤمرن على اثنين ولا ثلثين مال يتم

الصلاة وما عدا هذين  
النظرين فنظره في  
كونه يدفع الحر والبرد  
لأن ذلك مصلحة  
النفس وبعد ذلك  
ما تدعو النفس إليه  
فكله فضول وزيادة  
ونظير إلى الخلق  
والصادق لا ينبغي أن  
يلبس الثوب إلا لله  
وهو ستر العورة  
أو لنفسه يدفع الحر  
والبرد . وحكى أن  
سفيان الثوري رضى  
الله عنه خرج ذات يوم  
وعليه ثوب قد لبسه  
مقاولا فقيل له ولم يعلم  
بذلك فهم أن يخلعه  
ويشير ثم تركه وقال  
حيث لبسته نوبت أني

في البلية إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن مته في الظاهر ونحوه إلى العوام أنه إنما يريد الله بوعظه وأنه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا تنم عنه وتقول له اشتغل واجاهد نفسك ، فان قال لست أقدر على شئ فنقول اشتغل واجاهد ، لأننا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم إذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرسته الجاه فهو المالك وحده وسلامته من الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده فخصه فداء لقوم وشغل لمل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوال لا خلاق لهم <sup>(١)</sup> » ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويرى هدف الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته ، فأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأصنام من الكلمات الزخرفية والفاظ السجدة القروية بالأشعار مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخويف المسلمين فيه بالترجيبة والتجربة على المعاصي بطائرات التكت فيجب إخلاء البلاد منهم فاتهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وإنما كلامنا في أعظم حسن الوعظ جميل الظاهر يطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أو ردناه في كتاب العلم من الوعيد الولد في حق علماء السوء ما بين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ، ولهذا قال السبيح عليه السلام : إعلماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تأمرون وتندرسون ما لا تعلمون فيأصوه ما تحكون تروون بالقول والأمانى وتعملون بالهوى وما بيني عنكم أن تتفاجأوا بكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تتكلموا كالمتكلم يخرج من الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى القل في صدوركم باعبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبقى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفدتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى ناس أخس منكم لو تعلمون وبسلكم حتى حق تصفون الطريق للمدلين وتقيمون في محلة التجبرين كأنكم تدعون أهل الدنيا لترككم هالكم بكم هالكم بكم ماذا بيني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا بيني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحنة مغطاة باعبيد الدنيا لا كميده أضياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تغلظكم عن أصولكم فتخفيكم على وجوهكم ثم تتكلم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم تدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلككم إلى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقسكم على سوا أنفسكم ثم يحجزكم بسوء أعمالكم وقد روى الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفضها وآروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون . فان قلت : فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما داع إلى هدى واتباع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه <sup>(٣)</sup> » إلى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي أن يقال للعلم اشتغال بالعلم وأترك المرأة الحلق كأي حال خالجه الرياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن أتم العمل واجاهد نفسك . فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم

البسمة لله والآن نسا  
أغبره إلا لنظر الحلق  
فلا أقض التبة الأولى  
بهذه والصوفية خصوا  
بطهارة الأخلاق وما  
رزقوا طهارة الأخلاق  
إلا بالصالحية والأهلية  
والاستعداد الذي  
هياه الله تعالى لنفوسهم  
وفي طهارة الأخلاق  
وتضادها تناسب واقع  
لوجود تناسب هيئة  
النفس وتناسب هيئة  
النفس هو للشار إليه  
بقوله تعالى - فاذا  
سوته ونفخت فيه  
من روحي - فالتناسب  
هو التسوية فمن  
الناسب أن يكون  
لباسهم مشا كالطعامهم

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النساءى وقد تقدم قريبا (٢) حديث لأن يهدي الله بك رجلا خيرا لك من الدنيا وما فيها متفق عليه من حديث سهل بن سعد بلفظ آخر لك من حمر النعم وقد تقدم في العلم (٣) حديث إنما داع إلى هدى واتباع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه ابن ماجه من حديث أنس بزيادة في أوله ولسلم من حديث أبي هريرة من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه الحديث .

كفضل الخلقة والإمامة ولا تقول لأحد من عباده ترك العلم إذ ليس في نفس العلم آفة وإنما الآفة في إظهاره بالتصدي لوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا تقول له أيضا تركه مادام محققا بشعبا دينيا مزموجا يباحث الرياء أما إذا لم يحركه إلا الرياء ترك الإظهار أتم له وأسلم وكذلك نوافل الصلوات إذا مجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما إذا خطر له وسواس الرياء في أثناء الصلاة وهو كما له فلا يترك الصلاة لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة وإنما تنظم في الولايات وفي التصدي للنسب الكبيرة في العلم . وبالجملة فالمراتب ثلاث : الأولى : الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة . الثانية : الصوم والصلاة والحج والقرن وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعفا وهم لم يؤثر عنهم الترك لحوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على تنجسها مع إتمام العمل به بأدنى قوة . الثالثة : وهي متوسطة بين الرتبين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة ينبغي أن لا يتركها الضعيف والفقير ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء رأسا دون الأقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالوفاة فيه وأن الحذر منه في حق الضعيف أسلم والله أعلم . وههنا رتبة رابعة وهي : جمع المال وأخذته للفرقة على المستحقين فإن في الاشتاق وإظهار السخاء استعجالا للنساء وفي إدخال السرور على قلوب الناس لفة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة ، وكذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وأن من الزهد تركها قربة إلى الله تعالى . وقال أبو الدرداء ما سرتني أنني أفتت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين ديناراً تصدق بها أما إنني لأحرم البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تلبهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وقد اختلف العلماء فقال قوم بإطالع الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل ، وقال قوم الجالس في دوام ذكر الله أفضل والأخذ والإعطاء يشغل عن الله . وقال السبيح عليه السلام يطالب الدنيا ليربها تركها لها أرب ، وقال أقل ما فيه أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكره أكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركها أرب ولا اشتغال بالذكر لا خلاف في أنه أفضل . وبالجملة ما يتعلق بالخلق والنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والأحباب من جعل ويدفع الآفات فإن عجز فلينظر وليجتهد وليستف قلبه ولينز ما فيه من الخير بما فيه من الشر . وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يغلب إليه الطبع . وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه لأن النفس لا تنير إلا بالنور ونفعا تستلذ الخير وتميل إليه وإن كان لا يمد ذلك أيضا في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي وإثبات فهو موكل إلى اجتهد القلب لينظر فيه ليدنو ويدع ما يريه إلى ما لا يريه ثم قد يقع مآخذ كراهة غرور الجاهل فيمسك للمال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في أن غرة المال في اللباحات فضلا عن الصدقات أفضل من إمساكه وإنما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب أن الأفضل الكسب والاشتاق أو التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات فأما للمال الحاصل من الحلال فضرته أفضل من إمساكه بكل حال . فان قلت فبأي علامة تعرف العالم والواعظ أنه صادق غافل في وعظه غير مريد رياء الناس . فاعلم أن لذلك علامات إحداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغز منه علما والناس له أشد قبولا فرح بولم يحسد نعم لأبى بالقبطة وهو أن يتمنى لنفسه مثل علمه ، والأخرى أن الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتخير كلامه بل يبق كما كان عليه فينظر إلى الخلق بين واحدة والأخرى أن لا يحب اتباع الناس له في الطريق ولشي خلقه في الأسواق

وطعامهم مشا  
لكلامهم وكلامهم  
مشا لكلامهم لأن  
التناسب الواقع في  
النفس مقيد بالعلم  
والتشابه والتخالف في  
الأحوال يحكم به العلم  
ومتصفوفة الزمان  
ملقون بشئ من  
التناسب مع مزج  
الهوى وما عندهم من  
التطلع إلى التناسب  
رشح حال سلفهم في  
وجود التناسب . قال  
أبو سليمان الداراني :  
يلبس أحدهم عبادة  
بثلاثة دراهم وشهوته  
في بطنه بخمسة دراهم  
أنكر ذلك لعدم  
التناسب فمن خشن

ولذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها ، وقد روى عن سعيد بن أبي مرزوق قال كنت جالسا إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرسي وهو على بردون أصفر فدخل المسجد على بردونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة أحط من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم رأى وركه تزلزله ومشي نحو الحسن فداركه الحسن متوجها إليه فحافى له عن ناحية جلسته قال سعيد وبخافيت له أيضا عن ناحية جلست حتى صار بيني وبين الحسن فرجة وجلس للحجاج وراء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم لما قطع الحسن كلامه قال سعيد قلت في نفسي لأبكون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج إليه أن يزيد في كلامه يقرب إليه أو يحمل الحسن هية الحجاج أن ينقص من كلامه يتكلم الحسن كلاما واحدا نحو ما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فضيلكم بهذه المأساة وأشباهها فأخذوها حلقا وعادة فانه يلغى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يجالس الذكر رياض الجنة (١) ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم أقر الحجاج فتكلم حتى هجب الحسن ومن حضر من بلغته فلما فرغ طفق قائم فاجرد رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن حين قام الحجاج فقال عباد الله للذين الاتبعون آتي رجل شيخ كبير وأني أغزو فأكلف فرسا وبغلا وأكلف فسطاطا وأن لي ثلثائة درهم من العطاء وأن لي سبع بنات من البغال فشككن حاله حتى روى الحسن له وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قتلهم الله أغنوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزاهم والله غزا في القسايط الملبأ على البغال السبابة وإذا أغزى أخاه أغزاه طاولوا واجلأ لما أقر الحسن حتى ذكرهم بأنيح العيب وأشدّه قام رجل من أهل الشام كان جالسا إلى الحسن فسمى به إلى الحجاج وحكي له كلامه فلم يلبث الحسن أن أمره رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو يتبسم وقفا رأيت فافرا فاه يضحك إنما كان يتبسم فأقبل حتى صد في جلسته فظم الأمانة وقال إنما تجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الحياة ليست إلا في الدينار والدرهم إن الحياة أشد الحياة أن يجالسنا الرجل فظمئن إلى جانبه ثم ينطلق فيسمى بنا إلى شرارة من نار إن أنيت هذا الرجل قال أقصر عليك من لسانك وقولك إذا غزاهم والله كذا وكذا وإذا أغزى أخاه أغزاه كذا لا بالأك تعرض علينا الناس أما على ذلك لانهم يصيحون فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عنى وركب الحسن حمارا يريد التزلزله فينا هو يسير إذ انفتحت فرأى قوما يتبسمون فوقه فقال هل لكم من حاجة أو تأسلون عن شيء أو لافارجوا لنا شيء هذا من قلب العبد فيه السلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتناهبون ويتعاصرون ولا يتواسنون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اختلفوا الحياة الدنيا بالآخره فهم الحاسرون اللهم ارحمنا بلطفك بأرحم الراحمين .

( بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح )

اعلم أن الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد أو يقوم بعضهم فيصليون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة فإذا رآهم انبث نشاطه للواقعة حتى يزيد على ما كان يتأده أو يصل مع أنه كان لا يتأده الصلاة بالليل أصلا ، وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل اللوح فينبعث له نشاط في الصوم ولولا ما لما انبث هذا النشاط فهدار عما يظن أن غيرهم أو أن الواجب

(١) حديث أن مجالس الذكر رياض الجنة تقدم في الأذكار والدعوات .

ثوبه يبنى أن يكون ما كوله من جنسه وإذا اختلف الثوب ولأقول بدل على وجود اعتراف لوجود هوى كامن في أحد الطرفين إما في طرف التسوب لموضع نظر الخلق وإما في طرف للأقول لفرط التره وكلا الوصفين مرض يحتاج إلى الدواوة ليعود إلى حد الاعتدال . ليس أبو سليمان الداراني ثوبا غسلا قال له أحمد لو لبست ثوبا أجود من هذا فقال لبث قلبي في القلوب مثل قيس في الثياب



ترك الواقة وليس كذلك على الإطلاق بل له تضليل لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تموقع العوائق وبغض الاختلال وبغض الشهوات أو تستهويه الغفلة فرميا تكون مشاهدة الغير سبب زوال النقلة أو تدفع العوائق والأشغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله تقطعه الأسباب عن التهجيد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجه أو الحادثة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فإذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تهتر رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كشاهدته لإمام وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فانه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يستويه بطاعة الله فتعرك داعيته للدين لا الرياء أو ربما غارقه النوم لاستنكاره للوضع أو سبب آخر فيتم زوال النوم وفي منزله ربما يلبه النوم وربما يضاف إليه أنه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يصير عليه الصوم في منزله معه أطيب الأطعمه ويشق عليه الصبر عنها فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبت داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تطلب باعث الدين فإذا سلم منها قوى الباعث فهذا وأمثاله من الأسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرأيا إذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزد على صلاتك المعتادة وقد تمكن رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم إليه إلى الكسل لاسيما إذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل فان شه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك غافل ولست تصل لأجلهم بل لله وإنما كنت لا تصل كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشبه إلا على ذوى البصائر فإذا عرف أن المحرك هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركة واحدة لأنه يصى الله بطلب محبة الناس بطاعة الله وإن كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك القبطة وللانفاة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك أن يمرض على شه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الوضع بينه هل كانت شه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سخط شه فليصل فان باعته الحق وإن كان ذلك ينقل على شه لو غاب عن أعينهم فليترك فان باعته الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة مالا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب حمدم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه زوع النفس إلى حب الحمد فهما علم أن الطالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي أن يرد ذلك على شه بالكراهية ويشغل بالعبادة وكذلك قد يكره جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لامن الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحسب ما يكره ولكن بكاه الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيبكي تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يغشى على شه قساوة القلب حين يكون ولا تسمع عنه فيبكي تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يرضى على شه أنه لو سمع بكاهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على شه القساوة فيبكي أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فاعلم أنه خوفه من أن يقال إنه قاسى القلب فينبغي أن يترك التباكي . قال لقمان عليه السلام لانه : لا ترى الناس أنك تخشى الله فيكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والنفس والأعين عند القرآن أو الله كره أو بعض مجارى الأحوال

فكان الفقراء يلبسون  
الرقع وربما كانوا  
يأخذون الحرق من  
الزوايل ويرقصون بها  
نوبهم وقد فعل ذلك  
طائفة من أهل الصلاح  
وهؤلاء ما كان لهم  
معلوم يرجعون إليه  
فكما كانت رقاعهم  
من الزوايل كانت  
لصالحهم من الأبواب .  
وكان أبو عبد الله  
الرفاعي مثابرا على  
الفقر والتوكل ثلاثين  
سنة وكان إذا حضر  
للفقر طعام لا يأكل  
معهم فيقال له في ذلك  
فيقول أتم فأكون  
بحق التوكل وأنا  
أكل بحق للسكنة ثم

تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والتأمل والتأسف وتارة تكون لمشاهدة حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف النفس والأعين ويتحازن وذلك محمود وقد تقترب به الرغبة فيه لدلائله على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك فإن تجردت هذه الداعية فهي الرياء وإن اقترنت بداعية الحزن فإن إياها لم يقبلها وكرهاها سلم بكأوه وتباكيه وإن قبل ذلك وركن إليه قبله حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسلط الله تعالى به وقد يكون أصل الأئين عن الحزن ولكن يمدد ويرد في رفع الصوت تلك الزيادة رياء وهو محذور لأنها في حكم الابتداء لمجرد الرياء وقد يهيج من الخوف ملائعك البعد بدمعته نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعو إلى زيادة تعزيز للصوت أو رفع له أو حفظ السمعة على الوجه حتى ينصر بعد أن استرسلت خشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فتضيق قواه من الخوف فيسقط ثم يستحي أن يقال له إنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزق ويترجم تكلفا ليرى أنه سقط لكونه مفتشا عليه وقد كان ابتداء السقطه عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يبق سرما فتجزع نفسه أن يقال حاله غير ثابتة وإنما هي كبري خاطف فيستبدم الرقة والرخص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سرما فيجزع أن يقال لم تكن غشيت بصيحة ولو كان لدام ضعفه فيستبدم إظهار الضعف والأئين فيشكى على غيره يرى أنه يصف عن القيام ويتمايل في الشئ وتقرب الخطأ يظهر أنه ضيف عن سرعة الشئ فهذه كلها مكاييد الشيطان ونزغات النفس فإذا خطرت فسلها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا ثقافة الباطن واطلموا على ضيمه لقتوه وإن الله مطلع على ضيمه وهو له أشد مقلنا كما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قام وزعم قائم معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذي بالشيخ تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال اللناقين وقد جاء في الخبر «تمودوا بالله من خشوع النفاق» (١) وإياها خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغشيه فإن ذلك قد يكون لحاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للراءاء أنه هذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراق قلبك في كل ما خطر لك وانظر ما هو ومن أين هو فإن كان لله فأفضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كديب النمل ولكن على وجل من عبادتك أي مقبولة أم لا؟ لحولك على الإحلاس فيها واحذر أن تتجدد ذلك خاطر الركون إلى حمدك بعد التروع بالإخلاص فإن ذلك مما يكثر جدا فإذا خطر لك تفكيرك في اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قال يا أيوب أما علمت أن العبد تفصل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس آتي أخشاك وأنت لي مافت . وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامة العيون علانيتي وتضيق لي قلبا أخلو سررتي محافط على رياء الناس من نفسي ومضيا لما أنت مطلع عليه مني أبدى للناس أحسن أمرى وأفضى إليك بأسوأ عمل تقرأ بالناس بحسناتي وفرار مني إليك بيسئاتي فيحل بي مقتك ويحب على غضبك أعذلني من ذلك يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نفر لأيوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم أن الدين حفظوا علانيتهم وأمنوا سر أئرم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء . فليراقب البعد قلبه ليقف عليها في الخبر «إن للرياء سبعين بابا» (٢) وقد عرفت أن بعضه أغص من بعض حتى إن بعضه

يخرج بين العبادين يطلب الكسر من الأبواب وهذا شأن من لا يرجع إلى معلوم ولا يدخل تحت منة . حتى أن جماعة من أصحاب الرقعات دخلوا على جبرين الحرب قتال لهم يقوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الذي فانكم تعرفون به وتكرمون له فليكنوا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذي جعلنا من يعرف به ويكرم له والله ليظهرن هذا الذي حتى يكون الدين كله لله قال له جبر أحسنت يا غلام مثلك من يلبس للرقعة فكان أحدم

(١) حدث تمودوا بالله من خشوع النفاق البيهقي في الشعب من حديث أبو بكر الصديق وفيه الحارث بن عبيد الإبادي صفه أحمد وابن معين (٢) حديث الرياء سبعون بابا ههنا ذكر

مثل ديب الخمل وبضه أخفى من ديب الخمل وكيف يدرك ما هو أخفى من ديب الخمل إلا بشدة التفقد والرقابة وليته أدرك بسد بذل المجهود فكيف يطمع في إدراكه من غير تهقد للقلب واستحسان للنفس وتختبئ عن خدعها ، نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه وإحسانه .

( بيان ما ينبغي للمرء أن يلزم منه قبل العمل وبمده وفيه )

اعلم أن أولى ما يلزم المرء قلبه في سائر أوقاته القناعة بسلم الله في جميع طاعاته ولا يتعبد بسلم الله إلا لمن لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله فأما من خاف غيره وارتجأه لشهية اطلاع على محاسن أحواله فإن كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة الخلق والابحان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تكاد تقل حرصاً على الانشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفناه لخلق منك لسجدوا لك لثافي الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيحصل الناس بحملك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففى مثل هذا الأمر ينبغي أن ثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة . ونعم الجنة ودوامه أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثواباً من عباده . وسلم أن إظهاره لغيره محب إليه وسقوط عنده وإحباط لعمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون على طر رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن يأس عنه فيقول إنما يقدر على الاخلاص الأقوياء فأما المخطئون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لأن المخطئ إلى ذلك أحوج من النقي لأن النقي إن فسدت نوافه بحيث فرائضة كاملة تامة والمخطئ لا تخلو فرائضه عن نقصان والحاجة إلى الجبران بالتواضع فإن لمسلم صار مأخوذاً بالترافض وهلك به فالحطاط إلى الاخلاص أحوج . وقدرى تميم الهادي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يحاسب البديوم القيامة فان قص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكل به فرضه وإن لم يكن له تطوع أخذ بطريقه فألقى في النار (١) فيأتي المخطئ يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بالخلوص التواضع وأما النقي فجهد في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يرجع على السيئات فيدخل الجنة ، فاذن ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافه ثم يلزم قلبه ذلك بسد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به وإذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلاً من عمله خائفاً أنه ربما داخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكاً في قبوله ورده مجوزاً أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبمده إلا في ابتداء العقد بل ينبغي أن يكون متيقناً في الابتداء أنه مخلص ما يريد بسمه إلا الله حتى يصح عمله فاذا

للسنف هذا الحديث هنا وكأنه تصحف عليه أو طي من قوله من كلامه أنه الرياء بالثناء وإنما هو الرياء بالموحدة وللرسوم كتابته بالواو والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ الرياء سبعون حواياً يسرها أن يشكح الرجل أمه وفي إسناده أبو مشر وإسناد صحيح مختلف فيه وروى ابن ماجه أيضاً من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الرياء ثلاثة وسبعون باباً . وإسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين في أبواب التجارات وقد روى البراء حديث ابن مسعود بلفظ الرياء يضع وسبعون باباً والشك مثل ذلك وهذه الزيادة قد يستدل بها على أنه الرياء بالثناء لا بقرانه مع الشرك والله أعلم (١) حديث تميم الهادي في كمال فريضة الصلاة بالتطوع أبو داود وابن ماجه وقدم في الصلاة .

يقى زمانه لا يطوى به  
ثوب ولا يملك غير  
نوبه الذي عليه .  
وروى أن أمير  
المؤمنين علياً رضي الله  
عنه لبس قميصاً اشتراه  
بثلاثة دراهم ثم قطع  
كه من رموس أصابعه  
وروى عنه أنه قال  
لعمري إن الخطاب إن  
أردت أن تلقى صاحبك  
فرقع قميصك واخضع  
لملك وقصر أملك  
وكل دون الشيع .  
وحكى عن الجبري  
قال كان في جامع بغداد  
رجل لا تكاد تجده  
إلا في ثوب واحد في  
الشتاء والصيف فسل  
عن ذلك فقال قد

شرح ومعت لحظة يمكن فيها النعمة والقياس كان الخوف من النعمة عن شاة خفية أجبت عمله من رياء أو هجب أولى به ولكن يكون رجاءه أغلب من خوفه لأنه متيقن أنه دخل بالأخلاص وشك في أنه هل أسند رياء فيكون رجاء القبول أغلب وبذلك تحطم التمتع في الناجاة والطاعة، والإخلاص يتبين والرياء شك وخوفه فذلك الشك جذريان يكثر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو غافل عنه ، والذى يتقرب إلى الله بالسعي في حوائج الناس وإفادة المربين أن يقوم تحته رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل للتلم بلمه قسط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من التلم ولتلم عليه فإن ذلك يحبط الأجر فهما توقع من التلم مساعدة في شغل وخدمة أو مراعاة في الكفى للطريق ليستكثر باستتباعه أو ترددا منه في حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له غيره، نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله بلمه ليكون له مثل أجره ولكن خدمة التلميذ بنفسه قبل خدمته تفرج أن لا يحبط ذلك أجره إذا كان لا ينتظره ولا يريد منه ولا يستعبد منه لوفقه ومع هذا قد كان العلماء يجدون هذا حتى إن بعضهم وقع في برهقاء قوم فأولو احبوا لرفوهم خلف عليهم أن لا يخف معهم من قرأ عليه آية من القرآن أوسع منه حديثا خيفة أن يحبط أجره ، وقال شقيق البلخي أهديت لسيان الثوري ثوبا فرده على قلته له يا أبا عبد الله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده على قال علمت ذلك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين لغيره . وجاء رجل إلى سفيان يدره أوبدرين وكان أبوه صديقا لسيان وكان سفيان يأتيه كثيرا فقال له يا أبا عبد الله في نفسك من أبي شيء فقال رحمه الله أبوك كان وكان وأثنى عليه فقال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا السال إلى فأجب أن تأخذ هذه تستعين بها على عيالك قال قبل سفيان ذلك قال فلما خرج قال لولده يا مبارك الحق فرده على فرجع فقال أحب أن تأخذ مالك فمزل به حتى رده عليه وكأنه كانت أخوته مع أبيه في الله تعالى فكره أن يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت إليه فقلت ويلك أي شيء قلبك هذا حجارة عد أنه ليس لك عيال أما ترحنى أما ترحم إخوانك أما ترحم عيالك فأكرت عليه فقال لي يا مبارك تأكلها أنت هنيئا مرثيا وأسأل ضيا أنا ، فإذا يجب على العالم أن يقوم قلبه طلب الثواب من الله في لعتداء الناس به فقط ويجب على التلم أن يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه وتيل للزلة عنده لا عند الللم وعند الخلق وربما يظن أن له أن رأى بطاعته لينال عند الللم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران في الحال والعلم وربما يفيد وربما لا يفيد فكيف بخسر في الحال عملا شدا على قوم علم وذلك غير جائز بل ينبغي أن يتعلم الله ويبعد الله ويخدم الللم لله لا ليكون له في قلبه منزلة إن كان يريد أن يكون تعلمه طاعة فإن المباد أمره أن لا يبصدا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم فيه وكذلك من يخدم أبوه لا ينبغي أن يخدمهما لطلب للزلة عندهما إلا من حيث إن رضا الله عنه في رضا الوالدين ولا يجوز له أن رأى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فإن ذلك مسمي في الحال وسكشاف الله عن رياه وتسمط منزلته من قلوب الوالدين أيضا وأما الزاهد للعزل عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم عمله فإن ذلك يفسد الرياء في صدره حتى تتيسر عليه البادات في خلوته به وإنما سكونه لمعرفة الناس باعتزله واستعظامهم له وهو لا يدري أنه الخفيف للعمل عليه . قال إبراهيم بن آدم رحمه الله تلمت للمرقم من راهب قال له سمعان دخلت عليه في صومته فقلت يا سمعان منذ كم أنت في صومتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طامك قال يا حنفي ومادعا إلى هذا قلت أحببت أن أعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يبيح من

كنت ولست بكثرة ليس  
التياب فرأيت للة فيها  
يرى النائم حكاكي  
دخلت الجنة فرأيت  
جماعة من أصحابنا من  
القسراء على مائدة  
فأردت أن أجلس  
معهم فاذا بجماعة من  
للائكة أخذوا يدي  
وأقاموني وقفا على  
هؤلاء أصحاب ثوب  
واحد وأنت لك  
قياس فلا تجلس معهم  
فانتهت ونفدت أن  
لا ألبس إلا ثوبا واحدا  
إلى أن ألقى الله تعالى.  
وقبل مات أبو يزيد  
ولم يترك إلا قصبة القدي  
كان عليه وكان مارية  
فردوه إلى صاحبه .

قلبك حتى تكفيك هذه الحصة قال ترى البر الذي بهذا لك قلت نعم قال إنهم يأتون في كل سنة يوما واحدا فيزيتون صومتي ويطوفون حولها ويصومون فكلما تأملت نفسي عن المصلحة كرتها عز تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لمز ساعة فاحتمل يا حنفي جهد ساعة لمن الأبد فوفر في قلبي المرفة فقال حسبك أو أزيدك ؟ قلت بلى قال أزل عن الصومه فزلت فأدلى لي ركة فيا عشرون حصة فقال لي ادخله المير قد رأوا ما أدليت إليك فدا دخلت المير اجتمع على التصاري فقالوا يا حنفي ما الذي أدلى إليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن أخفى بتمنوا قالوا سمعت قلت عشرون ديناراً فأعطوني عشرون ديناراً فرجعت إلى الشيخ فقال يا حنفي ما الذي صنعت قلت بته منهم قال بك قلت بشرين ديناراً قلت أعطأت لو سلوتمهم بشرين ألف دينار لأعطوك هذا عز من لا يبدد فانظر كيف يكون عز من تصبه ، يا حنفي أتقبل على ريك ودع الذهب والجميع. والقصود أن استعصا النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثاً في الحلو وقد لا يشعر العبد به فينبغي أن ياقم تصبه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجرع ولم يضق به ذمراً إلا كراهة ضئيلة إن وجدها في قلبه فيردها في الحال بسبقه وإيمانه فانه لو كان في عبادة واطلع الناس كلمهم عليه لم يزد ذلك خشوعاً ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فاندخل سرور يسير فهو دليل ضئله ولكن إذا قدر على رده بكراهة العقل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون إليه فبرجى له أن لا ينجب سعيه إلا أن يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والاحياء كي لا ينسبوا إليه فذلك لأبأس به ولكن فيه غرور إذ النفس قد تكون شبهتها الحقة إظهار الخشوع وتعلم بطلب الاتقياء فيطالبها في دعواها قصد الاتقياء بموتق من الله غليظ وهو أنه لو علم أن اتقياءهم عنه إنما حصل بأن يمدو كثيراً أو يضحك كثيراً أو يأكل كثيراً فتمسح تصبه بذلك فإذا لم تسمح وصححت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها للزلة عندهم ولا ينجو من ذلك إلا من تقرر في قلبه أنه ليس في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان يصمه فلا يلتفت قلبه إلى الخلق إلا خطرات ضئيلة لا يثيق عليه إزالتها فإذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غنى والآخر فقير فلا يجد عند إقبال الغنى زيادة هزة في نفسه ، لا كرامة إلا إذا كان في الغنى زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرماً به بذلك الوصف لا بالتقوى فمن كان استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مرء أو طماع وإلا فانظر إلى الفقراء يزيد في الرغبة إلى الآخرة ويعجب إلى القلب للسكنة والنظر إلى الأغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر إلى الغنى أكثر مما يستروح إلى الفقير ، وقد حكى أنه لم ير الأغنياء في مجلس أذل منهم فيه في مجلس سفيان الثوري كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمتعون أنهم فقراء في مجلسه ، نعم لك زيادة إكرام لغنى إذا كان أقرب إليك أو كان بينك وبينه حق وصداقة ساقية ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لاتقدم الغنى عليه في إكرام وتوقير أثبتة فان الفقير أكرم على الله من الغنى فإشارك له لا يكون إلا طمعاً في غناه ورياء له ثم إذا سويت بينهما في المبالغة فيخفى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع لغنى أكثر مما تظهره للفقير وإنما ذلك رياء خفي أو طمع خفي كما قال ابن السكك لجارية له مالى إذا أتيت بضاد فحت إلى الحكمة فقالت الطمع يشعل لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطق عند الغنى بما لا ينطق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده مالا يحضر عند الفقير ومكاييد النفس وخفاياها في هذا الفن لاتنصر ولا ينبجك منها إلا أن تخرج ماسوى الله من قلبك وتجرد بالشفقة على نفسك بنية عمرك

وحكى لنا عن الشيخ حماد شيخ شيخنا أنه بقي زماناً لا يلبس الثوب إلا مستأجراً حتى إنه لم يلبس على ملك نفسه شيئاً وقال أبو حمزة الحداد إذا رأيت وضوء الفقير فزوجه فلا ترجو غيره وقيل ما لبس السكركي وكان أستاذ الجبدي وعليه مرعته قيل كان وزن فردم له ونخارصه ثلاثة عشر رطلاً قد يكون جمع من الصالحين على هذا الزمى والتخشن وقه يصكون جمع من الصالحين يتكلمون لبس غير الورق وزى

ولا ترضى لها بالتأثر بسبب شهوات منغصة في أيام متفاربة وتكون في الدنيا كلك من ملوك الدنيا قد أمكنت الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم أنه لو احتسب واجهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الأطباء وحارف الصيادة وعود قسه شرب الأدوية للرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد تحمولا لقلته أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصانا لشدة احتياجه لهما نازعته نفسه إلى شهوة تخسر في توالي الأوجاع والآلام عليه وأداه ذلك إلى اللوث للفرق بينه وبين مملكته للوجب لثباته الأعداء به ومهما اعتد عليه شرب دواء تخسر فبا يستفيد منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء وبدن صحيح وقلب رخي وأمر نافذ فيخفف عليه مهاجرة اللذات ومصابة للكروحات فكذلك المؤمن للريد تلك الآخرة احتسب عن كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار التحول والبقاء بولد والوحشة والحزن والخوف وترك اللؤاسة بالخلق خوفا من أن يحل عليه غضب من الله فيهلك ورجاء أن ينجو من عذابه غف ذلك كله عليه عند هدة يقينه وإيمانه بما فيه أمره وبما أعد له من النعيم القيم في رضوان الله أبد الآبدين ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده للريدين لرضائهم عوناً وبهم ردوفا وعليهم عطفوا ولوشاء لأغنامهم عن التعب ولكن أراد أن يلوهم ويعرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلا ثم إذا تحمل التعب في بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الإعياء وسهل عليه الصبر وجب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة النجاة ما يبلغه عن سائر اللذات ويقويه على إماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمدّه بمعونته فان الكريم لا يضيع سعى الراجي ولا يخيّب أمل المحب وهو الذي يقول : من تقرب إلى شبرا تحريت إليه ذراعا . ويقول تعالى : لقد طال شوق الأبرار إلى لقاءي وإني إلى لقاءهم أشد شوقا . فيظهر المبدأ في البداية جوده وصدق إخلاصه فلا يوزنه من الله تعالى على التقرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورافقه ورحمته . ثم كانت ذم الجاه والرياء والحمد قد وحده .

### ( كتاب ذم الكبير والعجب )

( وهو الكتاب التاسع من ربيع الهللكات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الخالق البارئ الصور العزيز الجبار للتكبر العلى الذي لا يضعه عن جوده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو التها الذي لا يدفعه عن مراده دافع النفي الذي ليس له شريك ولا منازع القادر الذي بهر أياصر الخلاق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر السن الأنبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم إحصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالجزع عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدي القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة إزارة والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيها قسمه بداء اللوث فأعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست أسماؤه والصلاة على محمد الذي أنزل عليه التور للتشكر ضياؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحياء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياءه وسلم تسليما كثيرا .

( كتاب ذم الكبير والعجب )

الفقراء ويكون بينهم في ذلك ستر الحال أو خوف عدم التهوؤ بواجب حق للرفعة وقيل كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرس فيه الرمل لعله كان ينام عليه بلاوطاه وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يصلوا بينهم وبين التراب حائلا ويكون لبس أبي حفص الناعم يعلم ونية يلقي الله تعالى بسحقها وههكذا الصادقون إن لبسوا غير الخشن من الثوب لنية تكون لهم في ذلك فلا يترضى

[أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى الكبرياء دأى والظلمة إزارى فمن نازعنى فيما قسمته <sup>(١)</sup> » وقال <sup>(٢)</sup> « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب للرء بنفسه <sup>(٣)</sup> » فالكبر والعجب دأان مهلكان والتكبر والعجب سقبان مريضان وهما عند الله عقوبتان بنيضان وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح للمهلكات وجب إضاح الكبر والعجب فاتها من قبائح الرديات ونحن نستقصي ياتهما من الكتاب في شطرين شطري الكبر وخطري في العجب : الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة التكبر وآفته وبيان من يسكبر عليه ودرجات التكبر وبيان مآبه التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان أخلاق للتواضعين وما فيه يظهر الكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان الحمدود من خلق التواضع وللهمدوم منه .

### ( بيان ذم الكبر )

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض غير الحق - وقال عز وجل - كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار - وقال تعالى - واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد - وقال تعالى - إنه لا يحب لل متكبرين - وقال تعالى - لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان <sup>(٤)</sup> » وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى الكبرياء دأى والظلمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي <sup>(٥)</sup> » وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقي عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمرو على الصفا فوافقا فضيا بن عمرو وأقام بن عمرو عريكة فقالوا ما ييكلك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أ كبه الله في النار على وجهه <sup>(٦)</sup> » وقال رسول الله ﷺ « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصير ما أصابهم من العذاب <sup>(٧)</sup> » وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما لأطير والأنس والجن والبهائم اخرجوا غروا في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفض حتى جمع زجل لللائكة بالنسيع في السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبك مثقال ذرة من كبر لحسفت به أبعد مما رفعت وقال

(١) حديث قال الله تعالى الكبرياء دأى والظلمة إزارى فمن نازعنى فيما قسمته الحاكم في المستدرک دون ذكر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم في العلم وسأى بعد حديثين بلفظ آخر (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث البزار والطبرانی والبيهقي في الشعب من حديث أنس بن سنده بن وهب وفيه أيضا (٣) حديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من إيمان مسلم من حديث ابن مسعود (٤) حديث أبي هريرة يقول الله تعالى الكبرياء دأى والظلمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته في جهنم مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له وقال أبو داود قدفته في النار وقال مسلم عذبه وقال داود وإزاره بالنسيع وإزاره ما أبا هريرة أبا سعيد أيضا (٥) حديث عبد الله بن عمرو من كان في قلبه مثقال حبة من كبر كبه الله في النار على وجهه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه بإسناد صحيح (٦) حديث لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين الحديث الترمذى وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع دون قوله من العذاب .

عليهم غير أن ليس  
الحسن والرقع يصلح  
لأثر الفقراء بنية  
التفك من الدنيا  
وزهرتها وهجتها وقد  
ورد « من ترك ثوب  
جمال وهو قادر على  
لبسه ألبسه الله تعالى  
من حل الجنة » وأما  
لبس الناعم فلا يصلح  
إلا لعالم بحاله بسير  
بصفات نفسه متفقد  
خفى شهوات النفس  
يلقى الله تعالى بحسن  
النية في ذلك فلحسن  
النسبة في ذلك وجوه  
متعددة يطول شرحها  
ومن الناس من لا قصد  
لبس ثوب بينه  
لا خشو تمولوا لتومته

صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار عتق له أذنًا سمعان وعينان بصران ولسان ينطق يقول  
 وكنت بلاة: بكل جبار عتيد وبكل من دافع الله إلها آخره بالمسورين<sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم  
 « لا يدخل الجنة غريق ولا جبار ولا سيء السكة<sup>(٢)</sup> » وقال علي « نجا الجبار والنارقات النار وأثرت  
 بالشكركين وللجبرين وقالت الجنة حالي لا يدخلني إلا نضواء النس وسقاهم وعجزتهم فقال الله للجنة  
 إنما أنت رحمى أرحم بك من أهله من عبادي وقال لعل إنما أنت عفاني أعذب بك من أهله  
 ولكل واحدة منك مأوىها<sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « بشى البعد عذيب وعنتى وشى الجبار  
 الأمل بشى البعد عذيب واختان ونفى الكبير التمال بشى البعد عذيل وعظاها ونفى القابروا إلى  
 بشى عبد عتا ونفى ونفى البذا والتشهى<sup>(٤)</sup> » وعن ثابت أنه قال « بلغنا أن نوحا يقول يا رسول الله ما أعظم  
 كبر فلان فقال أليس بمده لوث<sup>(٥)</sup> » وقال عبد الله بن عمرو « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن  
 نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا أبنه وقال إني أسركما بفتنتين وأنها كاعن اثنتين أيها كاعن  
 التشرك والكبر وأمركما بلا إلا الله فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة للزبان  
 ووضعت لاه إلا الله في السكة الأخرى كانت أرجح منهما ولو أن السموات والأرضين وما فيهن كانتا  
 حلقة فوضعت لاه إلا الله عليها لقصمها وأمركما ببسحان الله وبعمده فلها صلاة كل شئ وبها يرق  
 كل شئ<sup>(٦)</sup> » قال الشيخ عليه السلام: طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يتجربا. وقال صلى الله عليه وسلم  
 « أهل النار كل حظري جواز مستكبر جاع مناع وأهل الجنة الضعفاء القلون<sup>(٧)</sup> » وقال صلى الله عليه  
 وسلم « إن أجبك إلينا وأمر بك منا في الآخرة أحاسنك أخلاقا وإن أبغبك أخلاقا أو أبدمكنا اثرتا رونا  
 التشدقون التثيقون قالوا يا رسول الله فدعنا لثارتنا ونوالتشدقون فالتثيقون قال التكبرون<sup>(٨)</sup> »  
 وقال صلى الله عليه وسلم « يحشر التكبرون يوم القيامة في مثل صور قدر تطوقم الناس ذرأى مثل  
 صور الرجال يوم كل شئ من الصغار ثم يساقون إلى حجن في جهنم فقله بولس يعلمون نار الأتبار  
 يسقون من طين الحبال عصارة أهل النار<sup>(٩)</sup> » وقال أبو هريرة قاله النبي صلى الله عليه وسلم

بل ليس ما يدعونه  
 الحق عليه فيكون  
 حكم الوقت وهذا  
 حسن وأحسن من  
 ذلك أنه يغفد نفسه  
 فيه فإن رأى النفس  
 شرها وشهوة خفية  
 أو حيلة في التورب الذي  
 أدخله الله عليه  
 يخرجها إلا أن يكون  
 حله مع الله ترك  
 الاختيار فنهى ذلك  
 لايصه إلا أن ليس  
 التورب الذي ساقه الله  
 إليه وقد كان حينما  
 أوجع الجسد المهرودي  
 رحمه الله لا يتصيد  
 بجثة من اللبوس بل  
 كان ليس ما تنق من  
 غير محمد تكلف

(١) حدث يخرج من النار عتق له أذنَان الحديث الترمذى من حديث أبى هريرة وقول حسن صحيح  
 غريب (٢) حديث لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ للملكة تقدم في أسباب الكسب واللغاش  
 والرواف خائن مكان جبار (٣) حديث تحاجب الجنة والنار قالت النار وأثرت بالمكبرين والتعجبين  
 الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٤) حديث بئس البعد عبد تجبر واعتدى الحديث الترمذى  
 من حديث أمعاء بنت حميس زيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال غريب وليس إسنادة بالقوى ورواه  
 الحاكم في المستدرك وصححه ورواه البيهقى في الشعب من حديث نعم بن عمار وضعفه (٥) حديث ثابت بلغنا  
 أنه قيل يارسلو الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت البيهقى في الشعب هكذا أثره لا يلفظ تجبر  
 (٦) حديث عبد الله بن عمرو إن نوحا لما حضرته الوفاة نادى به وقال إنى أمركم بالتيقن وأنما كاعن  
 اثنين أنما كاعن الشرك والكبر الحديث أحمد والبخارى في كتاب الأدب والحاكم في زيادة في نقله  
 قال صحيح الاسناد (٧) حديث أهل النار كلن يحطرى جواهر مستنكر جماع مناع وهذه الزيادة  
 عندما من حديث حنيفة بن وهب الخواصى ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل على جواهر مستنكر  
 (٨) حديث إن أجبتكم إني وأجركم منافى الآخرة أحسنكم أخلاقا الحديث أحمد من حديث أبى  
 ثعلبة الحنفى بلغنى إلى منى وفيه اختطاع ومكحول لم يسع من أن ثعلبة وقد تقدم في رياضة الشمس  
 أول الحديث (٩) حديث يحتر للتكبرون يوم القيامة فذا فى صور الرجال الحديث الترمذى  
 من رواية عمرو بن عبس عن أبيه عن جده وهما حسن غريب -



« يحضر الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور القدر » تطرح الناس لهم أنهم على الله تعالى (١) وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة قلت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن في جهنم واديا يقال له هيب حتى على الله أن يسكنه كل جبار فإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن في النار قصرا يجعل فيه التكبرون ويطبق عليهم » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من نقعة الكبرياء » (٤) وقال « من فارق روحه جسده وهو يرى من ثلاث دخل الجنة: الكبر والدين والقول » (٥) الأثر: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير ، وقال وهب لما خلق الله الجنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر. وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره يوما ومصعب مائة رجل فيهم ثوبان وقد أحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه قال هيبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من جبري البول مرتين ، وقال الحسن العجبي من ابن آدم يصل الحرة يده كل يوم مرة أو مرتين ثم يرضي جبار السموات ، وقد قيل في « وفي أنفسكم أفلا تبصرون هوسيل القاطط والبول » وقد قال محمد بن الحسين ابن علي « ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر قط إلا نقص من عقله قدر ما دخل من ذلك قل » أو أكثر. وسئل سليمان عن الشيعة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر ، وقال النعمان بن بشير على التبريد إن الشيطان مصالي وغلوا وإن من مصالي الشيطان وغلوه البطر بأنهم الله والفضل باطلا والله الكبر على عباده الله وإتباع الهوى في غير ذات الله ، نسأل الله تعالى الغفو والمغاية في الدنيا والآخرة عنه وكرمه . ( بيان فم الاختيال وإظهار آثار الكبر في الشئ وجبر التائب )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطرا » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « بينا رجل يتختر في برده إذ أهبطته نفسه غشف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة » وقال

(١) حديث أبي هريرة يحضر الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور القدر الحديث البزار هكذا عتصرا دون قوله الجبارون وإسناده حسن (٢) حديث أبي موسى إن في جهنم واديا يقال له هيب حتى على الله أن يسكنه كل جبار أبو يعلى والطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد قلت فيه أزهر بن سنان ضعه ابن معين وابن حبان وأورد له في الضعفاء هذا الحديث (٣) حديث إن في النار قصرا يجعل فيه التكبرون ويطبق عليهم البيهقي في الشعب من حديث أنس وقال توابت مكان قصرا وقال فيقول مكان يطبق وفيه أبان بن أبي عياش وهو ضعيف (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من نقعة الكبرياء لم أره بهذا اللفظ وروى أبو داود وابن ماجه من حديث جابر بن مطعم عن النبي ﷺ في أثناء حديث أعوذ بالله من الشيطان من نفسه وقته وهززه قال فثقه الشعر ونقعة الكبر وهززه للوقت وللمحباب السابق من حديث أبي سعيد الخدري نحوه تكلم فيه أبو داود وقال الترمذي هو أشهر حديث في هذا الباب (٥) حديث من فارق روحه جسده وهو يرى من ثلاثة دخل الجنة : الكبر والدين والتناول الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ثوبان وذكر للصف لهذا الحديث هنا موافق للشعور وفي الرواية أنه الكبر بالموحدة والراء لكن ذكر ابن الجوزي في جامع السائدين عن الدارقطني قال إنما هو الكثر بالنون والراء وكذلك أيضا ذكر ابن مردويه الحديث في تفسيره - والدين يتكثرون الذهب والقصة - (٦) حديث لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطرا متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٧) حديث بينا رجل يتختر في برده قد أهبطته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

واختيار ، وقد كان  
يلبس العمامة بشرة  
دنانير ويلبس العمامة  
بدانق . وقد كان الشيخ  
عبد القادر رحمه الله  
يلبس هيئة عضو  
ويشعليل وكان  
الشيخ علي بن الحقيق  
يلبس لبس قهراء  
السواد وكان أبو بكر  
القراء يرتجان بلبس  
فروا خشنا كذا حاد  
العوام ولكل في لبسه  
وهيته نية صالحة  
وشرح تفاوت الأقدام  
في ذلك بطول ، وكان  
الشيخ أبو السعود  
رحمه الله حاله مع الله  
ترك الاختيار وقد  
يساق إليه التوبة

زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبدالله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعت يقول أي بني ارفع إزارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء»<sup>(١)</sup> وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق يوما على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى : ابن آدم أتبعزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا صويتك وعدلتك مشيت بين ردين ولأرض منك وتيد جمت ومنمت حتى إن بلغت التراقي قلت أصدق وأني أوان الصدقة»<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إنما مشيت أمي للطيطاء وخدتمهم فارس والروم سلع الله بهمهم إلى بعض»<sup>(٣)</sup> قال ابن الأعرابي هي مشية فيها اختيال ، وقال صلى الله عليه وسلم «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان»<sup>(٤)</sup> الآثار : عن أبي بكر الهذلي قال بينا نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهمر يريد التصورة وعليه جباب خزقد فقد بضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها بقاؤه وهو يمشي يتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال أفاق شامخ بأفه ثاني عطفه مصر خذ ينظر في عطفيه أي حرق أنت تنظر في عطفيك في قم غير مشكورة ولا مذكورة غير الأخوذ بأمر الله فيها ولا التؤدى حق الله منها والله أن يمشي أحد طيعته يتخلج تخالج المجنون في كل عضو من أعضائه الله نعمته وللشيطان به لفته فسمع ابن الأهمر فرجع يتندر إليه فقال لا تتندر إلى وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى - ولاتمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا - ومر بالحسن شاب عليه رزة له حسنة فدهاه فقال له ابن آدم معجب بشبابه هب لشأنك كان القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لايت حملك ويمك داو قلبك فان حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم . وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاوس وهو يغتال في مشيته فغضب عليه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرقة قال عمر كالتندر بأعم لقد ضرب كل عضوي على هذه الشية حتى لمتها ، ورأى محمد بن واسع ولده غتال فدهاه وقال أندري من أنت أمامك فأشترى بها عاتق درهم وأما أبو بكر فلا ذكر الله في السمين مثله ، ورأى ابن عمر رجلا يمر إزاره فقال إن للشيطان إخوانا كرههم تين أولنا ، وبروي أن مطرف بن عبدالله بن الشخير رأى الهملب وهو يتبختر في جبته فقال يا عبد الله هذه مشية يبضها الله ورسوله فقال له الهملب أماترني فقال بل أعرفك أولك نطفة مذكرة وآخرك جيفة قلدة وأنت بين ذلك تحدل العذرة ففضي الهملب وترك مشيته تلك ، وقال مجاهد في قوله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتمطى - أي يتبختر ، وإذ قد ذكرنا من الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم .

( بيان فضيلة التواضع )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما زاد الله عبدا بغوا إلا عز أو ماتوا واضع أحد له إلا رفاه»<sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يسكان بها فان هور فحبه

(١) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء رواه مسلم مقتصر على الرفع دون ذكر مرور عبدالله بن واقد على ابن عمر وهو رواية لمسلم أن البار رجل من بني ليث غير مسمى (٢) حديث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق يوما على كفه ووضع أصبعه عليها وقال يقول ابن آدم يسبحني وقد خلقتك من مثل هذه الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث بشر بن جعاش (٣) حديث إذا مشيت أمي للطيطاء الحديث الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر للطيطاء بضم اللام وضع الطارين الهملتين بينهما مشاة من تحت مصفرا ولم يستعمل مكبرا (٤) حديث من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان أحمد والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر (٥) حديث ما زاد الله عبدا بغوا إلا عز أو ماتوا واضع الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم

لنا نعم فلبسه وكان يقال له ربما يسبق إلى مواطن بعض الناس الانكار عليك في لبسك هذا الثوب فيقول لا تلقى إلا أحد ورجلين رجل بطالينا بظاهر حكم الشرع فيقول له هل ترى أن ثوبنا يكرهه الشرع أو يجرمه فيقول لا ورجل بطالينا عفاثي القوم من أرباب العزعة فيقول له هل ترى لنا فيها لبسا اختيارا أو ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدح على لبس الناعم ولبس الخشن ولكن يجب

جذبها ثم قال اللهم ضمه وإن وضع نفسه قال اللهم ارفعه (١) وقال صلى الله عليه وسلم «طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأتقى مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل القدر والسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة» (٢) وعن أبي سلفة اللدني عن أبيه عن جده قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صاعاً فأثنيته عند إفطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئاً من عسل فلما رضمه وذاقه وجد حلوة العسل فقال ما هذا؟ قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئاً من عسل فوضعه قال أما إنى لا أحرّم ومن تواضع لله رضى الله عنه ومن تكبر رضى الله عنه ومن اقتصد أغناه الله ومن بذل أقره الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله» (٣) وروى «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في قعر من أصحابه بيته يأكلون قدام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في فخذه ثم قال له اطعم فكلان رجلاً من قريش الجاهل منه وتكره فلما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثله» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبداً رسولاً أو ملكاً نياظماً أدرأبهما أخيراً وكان صفي بن اللالكثة جبريل فرقت راسي إليه فقال تواضع لربك قلت عبد رسول الله» (٥) وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إنما أقبل صلاتكم تواضع لظنني ولم يتواضع في خلقي وأكرم قلبه خوفاً وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجل وقال عليه السلام «الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين التقى» (٦) وقال للشيخ عليه السلام: طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب النار يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرتون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة. وقال بعضهم بل نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إذا هدى الله للإسلام وحسن صورته وجهه في موضع غير شائن له وورق قمع ذلك تواضعاً فذلك من صفوة الله» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «أربع لأعطهم الله إلا من أحب الصمت وهو أول العبادة

(١) حديث مأمون أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يسكانه بها الحديث المقبلي في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة والبيهقي أيضاً من حديث ابن عباس وكلاماً ضعيف (٢) حديث طوبى لمن تواضع في غير مسكنة الحديث البغوي وابن قانع والطبراني من حديث ركب الصري والبزار من حديث أنس وقد تقدم بضه في العلم ووجهه في آفات اللسان (٣) حديث أبي سلفة اللدني عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صاعاً الحديث وفيه من تواضع رضى الله عنه الحديث رواه البزار من رواية طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة فقد ذكر نحوه دون قوله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ولم يقل بقاء وقال الذهبي في اللباز إن خبره متكرر وقد تقدم ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فيه لبن وعسل الحديث وفيه أما إنى لا أزعجهم أنه حرام الحديث وفيه من أكثر ذكر الله أحبه الله وروى للرفوع منه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد دون قوله ومن بذل أقره الله ذكر أبيه قوله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وتقدم في ذم الدنيا (٤) حديث السائل الذي كان به زمانة متكرراً وأما صلى الله عليه وسلم أجلسه على فخذه ثم قال اطعم الحديث لم أجده أصلاً وللوجود حديثاً كالمعجم مجذور ومرواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جابر قال الترمذي غريب (٥) حديث خيرني ربي بين أمرين عبداً رسولاً وملكاً نيا الحديث أبو يعلى من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن عباس وكلاماً الحديثين ضعيف (٦) حديث الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين التقى ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين مرسل وأشد الحاكم أوله من رواية الحسن عن سمرة وقال صحيح الإسناد (٧) حديث إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته الحديث الطبراني موقوف على ابن مسعود نحوه وفيه للسعودي مختلف فيه

أن يختار الله له هبة مخصوصة في فكر الجاهل إلى الله والافتقار إليه ويسأله أن يريه أحب الأثرى إلى الله تعالى وأصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى في رضى بينه فاقه تعالى بفتح عليه ويعرفه رزاً مخصوصاً فيلزم بذلك الأثرى فيكون لربه باقاً ويكون هذا أثمً وأكمل ممن يكون لربه لله. ومن الناس من يتورعظه من العلم وينبسط بما بسطه الله فيلبس الثوب عن علم

والتوكل على الله والتواضع والزهّد في الدنيا (١) « وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 « إذا تواضع البعير رفعه الله إلى السماء السابعة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد  
 إلا رقة فتواضعوا يرحمكم الله (٣) » وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء  
 رجل أسود به جدرى قد تشتر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه  
 وسلم إلى جنبه (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليسبني أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون  
 مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه (٥) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوماً ما لا أرى  
 عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا

رأيت التواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم التكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك منة لهم  
 وصار (٧) . الآثار : قال عمر رضي الله عنه : إن البعد إذا تواضع لله رفع الله حكته وقال انمش  
 رصك الله وإذا تكبر وعدا طوره رصه الله في الأرض وقال أخيراً حساك الله فهو في نفسه كبير  
 وفي عين الناس خفير حتى إنه لأخضر عديم من الحزير . وقال جرير بن عبد الله : انتهت مرة إلى  
 شجرة تحتها رجل نام قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس الطلع فسوت عليه ثم إن الرجل استيقظ  
 فلما هو سلمان الفارسي قد كرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فإنه من تواضع في الدنيا  
 رفعه الله يوم القيامة يا جرير أتدري ما ظلة النار يوم القيامة ؟ قلت لا قال إنه ظلم الناس بعضهم بعضاً  
 في الدنيا . وقالت عائشة رضي الله عنها إنكم لتخفلون عن أفضل القبادات التواضع . وقال يوسف بن  
 أميوط : يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل  
 وقد سئل عن التواضع مله ؟ قال أن تخضع للحق وتتفاداه ولو معتم من عبي قتلته ولو معتم من أجهل  
 الناس قتلته . وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلم أنه  
 ليس لك بدناك عليه فضل وأن ترفع نفسك عن من هو فوقك في الدنيا حتى تعلم أنه ليس له بدناك عليك  
 فضل . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جلالاً أو ثياباً أو عاتماً من تواضع فيه كان عليه بالأيام للقيامه .  
 وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إذا نعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاحتكاك كأنها عاتمها عليك .

(١) حديث أربع لا يعطين الله إلا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع  
 والزهّد في الدنيا الطبراني والحاكم من حديث أنس أربع لا يصعبن إلا بسبب الصمت وهو أول العبادة  
 والتواضع وذكر الله وقلة الشيء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت فيه العوام بن جويرية قال ابن حبان  
 يروي للوضوعلت ثم روى له هذا الحديث (٢) حديث ابن عباس إذا تواضع البعير رفع الله رأسه إلى  
 السماء السابعة البقي في الشعب نحوه وفيه زمة بن صالح ضعفه الجمهور (٣) حديث إن التواضع  
 لا يزيد البعد إلا رقة الحديث الأصفهاني في التزغيب والترهيب من حديث أنس وفيه بشر بن الحسين  
 وهو ضعيف جداً ورواه ابن عدي من حديث ابن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياص  
 وخارجة بن مصعب وكلاهما ضعيف (٤) حديث كان يطعم فجاءه رجل أسود به جدرى فجعل لا يجلس  
 إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه لم أجده هكذا والمروفي أكله  
 مع مجنوه رواه أبو داود والترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كاضم (٥) حديث  
 إنه ليسبني أن يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ، غريب  
 (٦) حديث مالى لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ، غريب أيضاً  
 (٧) حديث إذا رأيتم التواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم التكبرين فتكبروا عليهم  
 فإن ذلك لهم منة وصار ، غريب أيضاً .

ولمّا كان ولا يبال بما  
 لبسه ناعماليس أو خشنا  
 وربما لبس ناعما  
 ولنفسه فيه اختيار  
 وحظ وذلك الحظ فيه  
 يكون مكفراً له محدودا  
 عليه موهوباً له بواقته  
 الله تعالى في إرادة نفسه  
 ويكون هذا الشخص  
 تام الزكية تام الطهارة  
 محبوباً مراداً يسارع الله  
 تعالى إلى مراده ومجاها  
 غير أن ههنا منة قدم  
 لكبر مني للدين .

حكى عن يحيى بن معاذ  
 الرازي أنه كان يلبس  
 الصوف والحلقان في  
 ابتداء أمره ثم صار في  
 آخر عمره يلبس الناعم  
 قليل لأبي يزيد ذلك

وقال كعب ما أتم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نعمها في الدنيا ورفح بها درجة في الآخرة وما أتم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا أمانه الله نعمها في الدنيا وقص له طبقا من الثمار يعذبه به إن شاء الله أو يتجاوز عنه. وقيل لبيد ذلك ابن مروان أي الرجال أفضل ؟ قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصر عن قوة. ودخل ابن السكك على هرون فقال يا أمير المؤمنين إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال يا أمير المؤمنين إن أمرا آتاه الله جمالا في خلقته وموضعا في حبه وبسط له في ذات يده صف في جماله ورواسي من ماله وتواضع في حبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدهاهرون بدواة وقرطاس وكتبه يده . وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى السلك فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين . وقال بعضهم كما تكثره أن برك الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكروا أن برك الفقراء في الثياب الرضمة . وروى أنه خرج يونس وأيوب والحسن بن داود التواضع فقال لهم الحسن أندرون ما التواضع ؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولاتلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا . وقال جهمد: إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام فمخبت الجبال وتطاوت وتواضع الجودي فرقه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه . وقال أبو سليمان : إن الله عز وجل المطلع على قلوب آدميين فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فغصه من بينهم بالكلام . وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولا أني كنت معهم إلى أخشي أنهم حرموا بسبي وقال أرفع ما يكون للؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه . وقال زياد الثوري : الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر . وقال مالك بن دينار : لو أن ناديا ينادي يباب المسجد ليخرج شر كم رجلا والله ما كان أحد يستجيبني إلى الباب إلا رجلا بفضل قوة أوسى قال فما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذه صار مالك مالكا . وقال الفضيل : من أحب الرياسة لم يفلح أبدا . وقال موسى بن القاسم : كانت عندنا زلزلة ورجع حمراء فنهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أنت إيماننا فادع الله عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتني لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال إن الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل إلى النبي رحمه الله فقال له ما أنت ؟ وكان هذا جأبه وعلته فقال أنا النقطه التي تحت الباء فقال له النبي أباد الله شاهدك أو تبطل نفسك موضعا . وقال النبي في بعض كلامه : خل عطل خل اليهود . ويقال من يرى لنفسه قيمة قليل من التواضع نصيب . وعن أبي التفتح بن شحرف قال رأيت على بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظمي فقال لي ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رعية منهم في ثواب الله وأحسن من ذلك تبه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله عز وجل . وقال أبو سليمان : لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد : مادام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قليل له في يكون متواضعا ؟ قال : إذا لم ير نفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه . وقال أبو سليمان : لو اجتمع الخلق على أن يمتحنوا كاتعاضى عند نفي ما قدروا عليه . وقال عروة بن الورد : التواضع أحد مصائد الشرف وكل نعمة عسود عليها صاحبها إلا التواضع . وقال يحيى بن خالد البرمكي : الشرف إذا تنسك تواضع والسفيه إذا تنسك تعظم . وقال يحيى بن معاذ : التكبر على ذوى التكبر عليك بحاله تواضع ، ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الأغنياء أحسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح

قال مسكين يحيى لم  
يصبر على الدون  
فكيف يصبر على  
التحذير من الناس من  
يسبق إليه علم ما حوف  
يدخل عليه من  
اللبوس فيلبسه جهودا  
فيه وكل أحوال  
الصديقين على اختلاف  
توحيها مستحسنة  
- قل كل يعمل على  
شاكلته فربكم أعلم بمن  
هو أهدى سبيلا -  
وليس الحسن من  
الثياب هو الأحب  
والأهلى والأسلم للعبد  
والأبعد من الآفات .  
دخلت على عمر بن

وفي القراء أقيح ، ويقال لأعز إلا لمن تدلل لله عز وجل ولا رخصة إلا لمن تواضع لله عز وجل ولأمن  
 إلا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح إلا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل . وقال أبو علي الجوزجاني :  
 النفس معبودة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والتسبيح  
 والقناعة وإذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك فإذا حاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع  
 مع نصرته الله تعالى وإذا حاجت نار الحسد في نفسه أدركتها التسبيح مع توفيق الله عز وجل وإذا حاجت  
 في نفسه نار الحرس أدركها القناعة مع عون الله عز وجل . وعن الجنيدي رحمه الله أنه كان يقول يوم  
 الجمعة في مجلسه لولائه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ويكون في آخر الزمان زعيم القوم  
 أردنهم <sup>(١)</sup> ماتكلمت عليكم . وقال الجنيدي أيضا : التواضع عند أهل التوحيد تكبر ولعل مراده  
 أن التواضع يثبت نفسه ثم يضاهي والوحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضاهي أو يفهمها عن عمرو  
 ابن شبة قال كنت بمكة بين الصفاء والروثة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غفان وإدام ينفون  
 الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل  
 الشعر قال فجئت أنظر إليه وأناأمله فقال لي مالك تنظر إلى قتلته لم يشبهتك برجل رأيت بمكة ووصفت  
 له السنة قال له أنا ذلك الرجل قتلته ماضل الله بك ؟ قال إني ترفت في موضع يتواضع فيه الناس  
 فوضئني الله حيث يرفع الناس . وقال الليرة : كنا نهاب إبراهيم النخعي هيبة الأمير وكان يقول  
 إن زمانا صرت فيه قبيح الكوفة زمان سوء وكان عطاء السلي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد  
 وأخذ يطنه كأنه امرأة ماضن وقال هذا من أجل يصيبكم ، لومات عطاء لاستراخ الناس . وكان  
 جسر الحافي يقول سلوا على أبناء الدنيا يترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال  
 أعطاك الله مارجوه فقال إن الرجاء يكون بعد للرفة فأبى للرفة . وتخاخرت قريش عند سلمان  
 الفارسي رضى الله عنه يوما فقال سلمان لكنني خلقت من نقطة قدرة ثم أعود جيفة مفتقة ثم  
 آتى لليزان فان تهل فأنا كريم وإن خف فأنا كريم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : وجدنا  
 الكرم في التقوى والتي في اليقين والشرف في التواضع . نسأل الله الكريم حسن التوفيق .

### ( بيان حقيقة الكبر وآفته )

اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر : فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن  
 الجوارح واسم العكبر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فأنها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر  
 موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال متكبر وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فأصل  
 هو الخلق الذي في النفس وهو الاستراخ والركون إلى رؤية النفس فوق التكبر عليه فان الكبر  
 يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه يفصل الكبر عن العجب كما سيأتي فان العجب لا يستدعي  
 غير للعجب بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا إلا أن  
 يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك التبر في صفات الكمال فندذلك يكون متكبرا ولا يكفي أن  
 يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه  
 فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحق غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر ليتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه

(١) حديث يكون في آخر الزمان زعيم القوم أردنهم الترمذي من حديث أبي هريرة إذا اتخذ الناس  
 دولا الحديث وفيه كان زعيم القوم أردنهم الحديث وقال غريب وله من حديث علي بن أبي طالب  
 إذا ضلقت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها وكان زعيم القوم أردنهم ولأن نعيم في الحلية  
 من حديث حذيفة من اقتراب الساعة اثنا وسبعون خصلة فذكرها منها وبعدها فرج بن فضالة ضيف

عبد العزيز أعوده  
 في سرته فرأيت قبيحه  
 وسغا قتلت لاسرته  
 فاطمة اضلوا ثياب  
 أمير المؤمنين قالت  
 قتل إن شاء الله قال ثم  
 عدته فإذا التقيت  
 على حاله قتلته فاطمة  
 ألم أمرم أن تضلوه؟  
 قالت والله ما قيس  
 غير هلم . وقال سالم  
 كان عمر بن عبد العزيز  
 من ألب الناس لباسا  
 من قبل أن يسل إليه  
 الخلافة فلما سلم إليه  
 الخلافة ضرب رأسه  
 بين ركبتيه وبكى ثم  
 دعا بأهل بيته فغلبها  
 وقيل لما مات أبو الدرداء  
 وجد في ثوبه أربعون

لم يشكر بل يبغي أن يرى نفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فنهذه  
 الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لا أن هذه الرؤية تنفي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة  
 تنفع فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك تلك  
 العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك  
 من نقمة الكبرياء» (١) وكذلك قال عمر أخشى أن تنتفض حتى تبلغ الثريا لدى استاذته أن يظ  
 بعد صلاة الصبح فكان الإنسان معها رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفع وتمزز  
 فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضا عزة وتعظما ولذلك  
 قال ابن عباس في قوله تعالى - إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه - قال عظمة قال يملونها قصر الكبر  
 بتلك العظمة ثم هذه العزة تنتفض أحمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فانه  
 مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراء وأقصاء عن نفسه وأبعد وترفع عن  
 مجالسته ومواكفته ورأى أن حقه أن يقوم ملائيق بيده إن اشتد كبره فإن كان أشد من ذلك  
 استشكف عن استخدامه ولم يحمله أهلا لقيام بين يديه ولا بخدمة عنته فإن كان دون ذلك فأتف  
 من مساواته وتقدم عليه في مضائق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر أن يبدأ بالسلام واستبد  
 تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وإن حاج أو ناظر أتف أن يرد عليه وإن وعدا استكف من  
 القبول وإن وعظ عنف في النصح وإن رد عليه شيء من قوله غضب وإن علم لم يرفق بالتملن  
 واستندلم واتهم وأمتن عليهم واستفدهم وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الخمر استجهالا لهم  
 واستحقارا والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها  
 فانها مشهورة ، فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الحق وقضايفك  
 عنه البعاد والزهاد والملاء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم  
 « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر » (٢) وإنما صار حجابا دون الجنة لأنه يحول بين البعد  
 وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعز النفس يخلق تلك الأبواب كلها  
 لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق  
 للتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك  
 الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر  
 على النصيحة اللطيفة وفيه العز ولا يقدر على قبول النصيحة وفيه العز ولا يقدر على الإصغاء للناس ومن اغتياهم  
 وفيه العز ولا يملأ للتواضع لئلا يملأ من خلق ذم إلا وأصاب العز والكبر مضطرا إليه ليحفظه بعهده وما من خلق  
 محمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزه فمما يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من نوى الأخلاق  
 القديمة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لاهلته وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم  
 وقبول الحق والاعتقاد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والتكبرين قال الله تعالى - واللائكة  
 باسطوا أيديهم - إلى قوله - وكنت عن آياته مستكبرون - ثم قال - ادخلوا أبواب جهنم خائدين فيها فبئس  
 مثوى للتكبرين - ثم أخبر أن أعد أهل النار عقابا أقدم عيا على الله تعالى فقال - ثم لنزعن  
 من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عيا - وقال تعالى - فآلذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة  
 وهم مستكبرون - وقال عز وجل - يقول الذين استضعفوا الذين استكبروا لو أنكم لكنا متوكلين -

(١) حديث أعوذ بك من نقمة الكبرياء تقدم فيه (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه  
 مثقال ذرة من كبر تقدم فيه .

رقعة وكان عطاؤه  
 أربعة آلاف . وقال  
 زيد بن وهب : لبس  
 علي بن أبي طالب  
 قميصا رازيا وكان إذا  
 مدّ كفه بلغ أطراف  
 أصابعه فباه الخوارج  
 بذلك فقال أنبيسون  
 علي لباس هو أجد  
 من الكبر وأجدر أن  
 يقتدى في السلم  
 وقيل : كان عمر  
 رضي الله عنه إذا رأى  
 علي رجلا ثوبين  
 رقيقين علاه بالدرة وقال  
 دعوا هذه البراقات  
 للنساء . وروى عن  
 رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أن قال نوروا  
 قلوبكم بلباس الصوف

وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض غير الحق - قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفسيرات سأحجب قلوبهم عن للكوت . وقال ابن جرير سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها . ولذلك قال السبع عليه السلام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب للتواضع ولا تعمل في قلب للتكبر ألا ترون أن من فجع رأسه إلى السقف شجه ومن طأطأ أظله وأكثه فهذا مثل ضربه للتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة وتلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جود الحق في حد التكبر والكشف عن حقيقته ، وقال « من سفه الحق وغشى الناس » (١) .

### ( بيان للتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات التكبر فيه )

اعلم أن التكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو ساير خلقه وقد خلق الإنسان ظلاما جهولا فآتاه بتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذن التكبر باعتبار التكبر عليه ثلاثة أقسام : الأول التكبر على الله وذلك هو الحق أتولى التكبر ولا مثار له إلا الجهل المحض والظن مثل ما كان من تمردوا فانه كان يحدث نفسه بأن يقابل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه تكبره قال أنا ربكم الأعلى إذ استنكف أن يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - لن يستنكف السبع أن يكون عبدا لله ولا للاتكة للقيرون - الآية وقال تعالى - وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أن سجد لغيرنا فأنه تكبروا - القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تميز النفس ورفعها عن الاقباد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الاقباد وهو ظان أنه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للاقباد للحق والتواضع للرسل كما يحكى الله عن قولهم - أؤمن لبشرين مثلنا - وقولهم - إن آتاهم لبشر مثلنا لوئنا أطعنا جبرا مثلكم إنكم إذا لحاسرون - وقال الذين لا يرجون لقاءه لولا أنزل علينا للاتكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا كبيرا - وقالوا لولا أنزل عليه ملك - وقال فرعون فيما أخبر الله عنه - أو جاءهم للاتكة مقتنين - وقال الله تعالى - واستكبر هو وجنوده في الأرض غير الحق - فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعا . قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملك قال حتى أشاور هامان فاشاور هامان فقال هامان بينا أنت رب عبدنا فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رسالة من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف يشاء الله إنا نقول تعالى - أقم يسمون رحمة ربك - وقال الله تعالى - ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا لئلا يستغفروا لهم واستعبادا لتضعهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف نجلى إليك وعندك هؤلاء وأشاروا إلى قراء السليين فازدروهم بأعينهم ففقرهم وتكبروا عن مجالستهم فأزل الله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالقعدة والحق - إلى قوله - ما عليك من حاجبهم - وقال تعالى - واسبر

فانه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة ولا يكم أن تضدوا دينكم محمد الناس وشأنهم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى خيلين فلما نظر إليهما أعجبهما حسنها فوجد الله تعالى قبيل في ذلك فقال خشيت أن يمرض عن ربى فخواضت في لاجرم لا يبيتان في منزلى لما تخوفت فقلت من الله تعالى عن أجلهما فأخرجهما قدضهما إلى أول مسكين لقيه ثم أمر فاسترى له نعلان فحسوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس

(١) حديث للتكبر من سفه الحق وغشى الناس مسلم من حديث ابن مسعود في أثناء حديث وقال بطر الحق وغشى الناس ورواه الترمذي فقال من بطر الحق وغشى الناس وقال حسن صحيح ورواه أحمد من حديث عتبة بن عامر بلفظ الصنف ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي ربيعة هكذا .



نمك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تمد عيناك عنهم يريد زينة الحياة الدنيا (١) ثم أخبر الله تعالى عن جميع حين دخلوا جهنم إذ لم يروا الذين ازدروهم قالوا ما لنا لا نرى رجلا كنا ندعهم من الأشرار قيل ينون عمارا وبلاا وصيبا ولقد رضى الله عنهم ثم كان منهم من منه الكبر عن الفكر والبرقة بفهل كونه صلى الله عليه وسلم حقاً ومنهم من عرف ومنه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى غيرا عنهم - فلما جادهم ما عرفوا كبروا به - وقال - وجعدوا بها واستبقوا أنفسهم ظلماً وعلو - وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله . القسم الثالث : التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحق غير ثأني نفسه عن الأقيادهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستعظمهم ويأخضن مساواتهم وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضاً عظيم من وجهين : أحدهما أن الكبر والعز والمظنة والعلاء لا يليق إلا بالملك القادر فأما العبد للملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء من أن يليق بحاله الكبر لهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا به ، ومثاله أن يأخذ التلام فتنسوة ذلك فضما على رأسه ويجلس على سريره فلأعظم استحقاقه للقت ومأعظم تهديده للخرى والنكال ومأشد استجراره على مولاة ومأقبح ما عاياه ، وإلى هذا الذي الإشارة بقوله تعالى والعظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيها قصمته أي أنه خاص صفى ولا يليق إلا به وللنازع فيه منازع في صفة من صفاتي وإذا كان الكبر على عباده لا يليق إلا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه إذ الذي يستذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق للملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أموره وإن لم يبلغ درجته من أريد الجلوس على سريره والاحتداد بملكه فالحق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه ، ثم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة ما هو الفرق بين منازعة الملك في استغفار بعض عبده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك . الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره لأن التكبر إذا صح الحق من عبيد من عباد الله استكف عن قبوله وتشمر لجده ولذلك ترى الناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يتجادلون تجاهد للتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمز لجده واحمال لدفعه بما يقدر عليه من التلبس وذلك من أخلاق الكافرين والناظرين إذ وصفهم الله تعالى فقال - وقال الذين كفروا لا تنسموا لهذا القرآن والقوا به لعلكم تفلبون - فكل من ينظر للقلبة والإحرام لا يفتن الحق إذ اظفر به قد شتركهم في هذا الحق وكذلك جعل ذلك على الأئمة من قول الوعظ كما قال الله تعالى - وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم - وروى عن عمر رضي الله عنه أنه قرأها فقال إن الله وإننا إليه راجعون قام رجل بأمر المعروف فقتل ثم آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فقتل للتكبر الذي خالفة والذي أمره كبراً وقال ابن مسعود كفى بالرجل إغماً إذا قيل له اتق الله قال عليك نمك وقال رجل كل يمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت لها منه إلا كبره قال لها رفضا بعد ذلك (٢)

(١) حديث قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجلس إليك وعديك هؤلاء الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم - مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص إلا أنه قال قال للمركون وقال ابن ماجه قالت قريش (٢) حديث قال لرجل كل يمينك قال لا أستطيع قال لا استطعت الحديث مسلم من حديث سلمة بن الأكوع .

الصوف واحتذى  
الخصوف وأكل مع  
البيد وإذا كانت  
النفس حلت الآت  
فالوقوف على دناسها  
وخفى شوائها وامن  
هوها عسر جسدا  
فالأيق والأجسد  
والأولى الأحذبالأحوط  
وترك ما يريب إلى ما  
لا يريب ولا يجوز للبيد  
الدخول في السعة إلا  
بعد إقناع علم السعة  
وكل تركية النفس  
وذلك إذا غابت النفس  
غيبه هوها للبع  
وتخلصت التية وتسد  
التصرف بلم صريح  
واضح ولا مزعة قوم  
يركبوها ويراعوا

ي اعتات بده ، فاذن تكبره على الحق عظيم لأنه سيدعوه إلى التواضع على أمر الله وإيماء ضرب إبليس مثلهذا وما حكمه من أحواله إلا ليتبر به فانه قال : أنا خير منه . وهذا التكبر بالنسب لأنه قال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . فعمله ذلك على أن يمنع من السجود الذي أمره الله تعالى به وكان سيدوه التكبر على آدم والحسد له فجرحه ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبدأ الآداب فهذه آفة من آفات التكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبر بآيتين الآيتين إذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله « إني امرؤ قد حبب إلى من أجال ماترى أفن التكبر هو ؟ » قال صلى الله عليه وسلم لا ولكن التكبر من بطر الحق ونمى الناس (١) وفي حديث آخر « من سفه الحق (٢) » وقوله ونمى الناس أى ازدرأهم واستحقرهم وهم عباد الله أمثاله وخبره أنه وهذه الآفة الأولى وسفه الحق هورده وهى الآفة الثانية فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدرأه ونظر إليه بعين الاستصغار أورد الحق وهو يعرفه قد تكبر فيها بينه وبين الحق ومن أنف من أن يخضع له تعالى ويتواضع له بطاعته واتباع رسله قد تكبر فيها بينه وبين الله تعالى ورسله .

( بيان ما به التكبر )

اعلم أنه لا يتكبر إلا على استعظم نفسه ولا يستعظمها إلا هو . يستعظمها صفات الكمال وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني وأدنيوي فالديني هو العلم والعمل والديني هو النسب والجمال والقوة والال وكثرة الأنصار فهذه سبعة أسباب . الأول : العلم وما أسرع التكبر إلى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « آفة العلم الجلاء (٣) » فلا يلبث العالم أن يتميز بجزء العلم يستشعر في نفسه جمال العلم وكاله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر إليهم نظره إلى الإهائم ويستعجلهم ويتوقف أن يبدوه بالسلام فإن بدأه واحد منهم بالسلام أورد عليه يشير أواق له أو أجاب له دعوة رأى ذلك ضيقة عندهم ويداعبه يلزمه شكرها واعتقد أنه أكرمهم وفصل بهم ما لا يستحقون من مثله وأنه ينبغي أن يرقوا له ويخدموه شكره على ضيقه بل القالب أنهم يبرونه فلا يبرهم ويؤرونه فلا يؤروهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخفون من خالطه منهم ويستخفونه في حوائجهم فإن قصر فيه استنكره كأنهم عبيده أو أجراءه وكان تعاميه العلم ضيقة منه إليهم ومعروف لهم واستحقاق حق عليهم هذا إنما يتعلق بالدنيا ، أما في الأمور الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو نفسه أكثر مما يرجوهم وهذا بأن يسمى جاهلا أولى من أن يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الإنسان به نفسه وربه وخطر الحاجة وحجة الله على المفساء وعظم خطر العلم فيه كما يأتي في طريق معالجة التكبر بالعلم ، وهذا العلم يزيد خوفا وتواضعا وتحشما ، ويتقنى أن يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليهم بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الدرداء من ازداد علما ازداد وجما وهو كما قال . فإن قلت لما بال بعض الناس يزاد بالعلم كبرا وأما . فاعلم أن لذلك سببين : أحدهما أن يصحكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما حقيقيا

(١) حديث قول ثابت بن قيس بن شماس إني امرؤ قد حبب إلى من أجال ماترى الحديث وفيه التكبر من بطر الحق ونمى الناس مسلم والترمذي وقد تقدم قبله حديثين (٢) حديث التكبر من سفه الحق ونمى الناس تقدم منه (٣) حديث آفة العالم الجلاء . قلت هكذا ذكره للصف وللرؤف آفة العلم النسيان وآفة الجلال الجلاء هكذا رواه التضاعي في مسند الشاميين من حديث علي بسند ضيف . وروى عنه أبو منصور البجلي في مسند الفردوس آفة الجلال الجلاء وفيه الحسن بن عبد الحميد السكوني لا يدري من هو حدث عن أبيه حديث موضوع فله صاحب الوزن .

لا يرون التزول إلى  
الخصى خوفا من  
فوت فتية الزهد في  
الدنيا واللباس الناعم  
من الدنيا وقد قيل من  
رقى ثوبه رقى دينه  
وقد برخص من ذلك  
لمن لا يتقزم بالزهد  
ويقف على رخصة  
الصرع . وروى علقمة  
عن عبد الله بن  
مسعود رضى الله عنه  
عن النبي صلى الله  
عليه وسلم أنه قال  
« لا يدخل الجنة كل من  
كان في قلبه مثقال فرة  
من التكبر » قال رجل  
إن الرجل يحب أن  
يكون ثوبه حسنا ونعله  
حسنا قال النبي عليه

وإعنا العلم الحقيقي ما يعرف به البدر به ونفسه حطر أمره في لقاء الحجاب منه وهذا يورث الحشية والتواضع دون التكبر والأمن قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - فأما موارد ذلك كعلم الطب والحساب والقتة والشعر والجو وفصل المحسومات وطرق المبادلات فإذا تجرد الإنسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرا وقفاً وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوماً بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه ثورث التواضع غالباً . السبب الثاني أن يخوض الصبد في العلم وهو خبيث الدخلة ودمى النفس حياء الأخلاق فإنه لم يشتغل أولاً بتهديب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه بقيت خبيث الجوهر فإذا خاض في العلم أي علم كان صادف العلم من قلبه منزلاً خبيثاً فلم يطب عمره ولم يظهر في الخبر آثره وقد ضرب وبه لهذا مثلاً فقال العلم كالنبت ينزل من السماء حلوا صافياً فتشربه الأشجار يبرقها فتحول على قدر طوعها فيزداد للرمرارة والحلو حلوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوه على قدر همها وأهواها فيزيد التكبر كبراً والتواضع تواضعاً وهذا لأن من كانت همته الكبير وهو جاهل فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبراً وإذا كان الرجل خائفاً مع جهله فازداد علماً علم أن الحق قد تأكدت عليه فيزداد خوفاً واشفاقاً وذلاً وتواضعاً فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى ثيبه عليه السلام - واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين - وقال عز وجل - ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك - ووصف أوليائه فقال - أدلة على المؤمنين أعزدة على الكافرين - وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضي الله عنه « يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار (١) » ولذلك ذل عمر رضي الله عنه لا تسكونوا جبارة العلماء فلا ينفى علمكم بجهلكم ، ولذلك استأذن تميم الداري عمر رضي الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له وقال إنه الدبع واستأذنه رجل كان إماماً قوم أنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال إني أخاف أن تنتفض حتى تبلغ التريا وصلى حذفة يقوم فلما سلم من صلاته قال لتلتسن إماماً غيري أو لتصان وحدانا فاني رأيت في نفسي أنه ليس في القوم أفضل مني فإذا كان مثل حذفة لا يسلم فكيف يسلم الضعاء من متأخري هذه الأمة فساء أعز على بسيط الأرض عالماً يستحق أن يقال له عالم ثم إنه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فإن وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلاً عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله لو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعينا إليه رجاء أن تشملنا بركته ونسرى إلينا سيرته وسجيته وهيئات فأني أسمع آخر الزمان يتلهم فهم أرباب الإقبال وأصحاب النول قد اقترضوا في القرن الأول ومن يلهم بل يعز في زماننا عالم مختلف في نفسه الأسف والحزن على فوات هذه الحصة فذلك أيضاً إما معدوم وإما عزز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بعثر ما أثم عليه نجا (٢) » لسكان جذبرا بنا أن نتحمم والياذ بالله تعالى ورطة الالباس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أحوالنا ومن لنا أيضاً بالتمسك بعثر ما كانوا عليه ولبتنا تمسكنا بعثر عشرة . فنعلم الله تعالى أن ياملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله . الثاني : العمل والعبادة وليس يغلو عن رذيلة المز والتكبر واسمالة قلوب الناس

السلام إن الله جميل يحب الجمال فكسكون هذه الرخصة في حق من يلبس لا يهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به ومعتل فأما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكبر بها فقد ورد فيه وعيد . روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أزره المؤمن إلى نصف الساق فيا بينه وبين الكمين وما كان أسفل من الكمين فهو في النار من جر إزاره بطرا لم ينظر الله إليه يوم القيامة فيينا رجل ممن كان قبلكم يتبختر في

(١) حديث العباس يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق (٢) حديث سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بعثر ما أثم عليه نجا أحد من رواية رجل عن أبي ذر .

الزهاد والعباد ويرشح الكبر منهم في الدين والدنيا أما في الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم يزارهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيهم والتوسع لهم في المجالس وذكركهم بالورع والتقوى وتهديمهم على سائر الناس في الحظوظ إلى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكأهم يرون عبادتهم على الحق وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو المهلك تخفيقا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم » (١) وإنما قال ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مزدور يخلق الله مقرر بأنه آمن من

مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لقربه قال صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للعلم » (٢) وكمن الفرق بينه وبين من يحبه الله وينظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له مالا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه له فهم يتقربون إلى الله تعالى بالدنو منه وهو يشفق إلى الله بالتزهد والتباعد منهم كأنه مترفع عن محاسنهم فلما أجدرهم إذا حووه لصلاحه أن ينقلهم إلى أعلى درجاته في العمل وما أجدره إذا ازدراهم بعينه أن ينقله إلى أدنى درجاتهم كما روى أن رجلا في بني إسرائيل كان يقال له خليص بن إسرائيل لكثرة فساده من رجل آخر يقال له عابدي بن إسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليص به قال الخليص في نفسه أنا خليص بن إسرائيل وهذا عابدي بن إسرائيل فلو جلست إليه لمل الله برحمي فجلس إليه فقال العابد أنا عابدي بن إسرائيل وهذا خليص بن إسرائيل فكيف يجلس إلي فأنت منه وقال له قم عنى فأوحى الله إلى بني ذلك الزمان مرها فليستقا العمل فقد غفرت للخليص وأجبت عمل العابد. وفي رواية أخرى قد تحولت النمامة إلى رأس الخليص وهذا يعرفك أن الله تعالى إنما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل المامى إذا تواضع هية لله وذل خوفا منه فقد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم بالتكبر والعابد العجيب وكذلك روى أن رجلا في بني إسرائيل أتى عابدا من بني إسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يرفع لك الله فأوحى الله إليه أيها التأتلى « حى » بل أنت لا يرفع الله لك (٣) وكذلك قال الحسن وحى إن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب الطرز الخزانى أن صاحب الخزير ليل صاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآية أيضا نفسا ينفك عنها كثير من العباد وهو أنه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد أن يضر الله له ولا يشك أن يضره فحقوا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جمل وجمع بين الكبر والعجب واعتار بأنه وقد ينتهى الحق والتباعدة بعضهم إلى أن يتحدى ويقولون يجرى عليه وإذا أصيب بنسكة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به الإلشاء غلبه والانتقام له منه مع أنه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة أدوا الأنبياء صلوات الله عليهم ففهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم إن الله أهمل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل راسا ألم بعضهم فلم يصبه مكرهه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل للفرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد استقم له عما لا ينتم لأنبيائه به ولعله في مدت الله بالعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك

(١) حديث إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للعلم ، مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ امرؤ من النثر (٣) حديث الرجل من بني إسرائيل الذى وطئ على رقبة عابد من بني إسرائيل وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يرفع لك الحديث أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة في قصة العابد الذى قال للعاصم والله لا يضر لك الله أبدا وهو بغير هذه الميعة وإسناده حسن .

ردائه إذ أحبه ردؤه  
غضب الله به الأرض  
فهو يتجامل فيها إلى  
يوم القيامة والأحوال  
تختلف ومن صح حاله  
بصحة علمه تمت نيته  
في ما كوله ولبوسه  
وسائر تصاريفه وفي  
كل الأحوال يستقيم  
ويتسد باستقامة  
الباطن مع الله تعالى  
ويشعر ذلك تستقيم  
تجارب العبد كلها  
بحسن توفيق الله تعالى .

[ الباب الخامس  
والأربون في ذكر  
فضل قيام الليل ]  
قل الله تعالى - إذ  
ينشئكم الناس أمة

فنه فهد عبيدة للفرق ، واما الأكياس من العباد فيقولون ما كان قوله عطاء السلي حين كان  
 نهب ربح أوتنع ساعة ما يصيب الناس ما يصيبهم إلا بسبي ولومات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد  
 انصرفه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجيهم لولا كوني فيهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا يتق  
 الله ظاهره وباطنه وهو وجل على نفسه مزود لعمه وسيمه وذلك ربما يضر من الرياء والتكبر والحسد  
 والغل ما هو ضحك للشيطان به ثم إنه يتق على الله بحمله ومن اعتقد جزأه أن فوق أحسن عباد الله قد  
 أحبط بحمله جميع عمله فان الجهل أخفى الماضي وأعظم شيء يبطل العبد من الله حكمه لنفسه بأنه خير  
 من غيره جهل جهل وأمن من مكراهه ولا يأمن مكراهه إلا القوم الخاسرون ولذلك روى أن رجلاً ذكر  
 بخير النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى  
 في وجهه سعة من الشيطان فلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما لك  
 بالله حدثتك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم <sup>(١)</sup> فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 بنور النبوة ما استكن في قلبه سعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله  
 لكن العلماء والعباد في آفة التكبر على ثلاث درجات. الدرجة الأولى : أن يكون التكبر مستترا في قلبه يرى  
 نفسه خيراً من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع ويعمل فعل من يرى غيره خيراً من نفسه وهذا قد رسيخ  
 في قلبه شجرة التكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلمة . الثانية : أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في  
 المجالس والتقدم على الأقرباء وإظهار الانكار على من يقصر في حقّه وأدى ذلك في العالم أن يصرخه  
 فأناس كأنه معرض عنهم وفي العابد أن يبس وجهه ويطلب جبينه كأنه منزّه عن الناس مستغفرهم  
 أو غضبان عليهم وليس يعلم للسكين أن الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يبس ولا في  
 الخد حتى يصمر ولا في الرقبة حتى تغطأ ولا في الذيل حتى يضم إنعسا الورع في القلوب قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم « التقوى هنا وأشار إلى صدره » <sup>(٢)</sup> قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 « أكرم الخلق وأهمهم وكان أوسعهم خلقاً وأكثرهم بشراً وبساً وإنساعاً » <sup>(٣)</sup> ولذلك قال الحرث  
 ابن جزء الزيدى صاحب رسول الله ﷺ يجيئ من القراء كل طليق مضحك فأما الذي تلتفه بغير  
 ولبه لا يبوس من عليك بعلمه فلا كثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك  
 لما قال لثنيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين سو هو لا الذين يظن أثر التكبر  
 على شأئهم فأخف حالاً من هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر التكبر على لسانه حتى  
 يدعو إلى الدعوى والفاخرة والبهاة وتركبة النفس وحكايات الأحوال واللقامات والتشمر لقبلة الغير  
 في العلم والعمل أما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن أين زهده  
 فيقول اللسان فيهم بالنتمس ثم يقف على نفسه ويقول إني لم أنظر منذ كذا وكذا ولا أنا لم ألبس وأتم  
 القرآن في كل يوم وفلان ينام صحراً ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد ترك نفسه ضمناً فيقول  
 تصدني فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض أو ما جرى مجراه يدعي الكرامة لنفسه وما مباحاته  
 فهو أنه لو وقع مع قوم يصابون بالبلل قام وصلى أكثر مما كان يصلي وإن كانوا يصرون على الجوع  
 فيكلف نفسه الصبر ليطلبهم ويظهر له قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفاً من أن يخاله غيره

(١) حديث أن رجلاً ذكر بخير النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي  
 ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سعة من الشيطان الحديث أحمد والبرز والدارقطني من حديث  
 أنس (٢) حديث التقوى هنا وأشار إلى صدره مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث  
 كان أكرم الخلق وأهمهم في الحديث تقدم في كتاب أخلاق النبوة .

منه وينزل عليكم من  
 السماء ماء ليطهركم به  
 ويذهب عنكم رجز  
 الشيطان - نزلت هذه  
 الآية في المسلمين يوم  
 بدر حيث نزلوا على  
 حشيب من الرمل  
 تنوع فيه الأندام  
 وحوافر الدواب وسبقهم  
 للشركون إلى ماء بدر  
 العظيم وغلبهم عليها  
 وأصبح للمسلمون بين  
 محنت وجنب وأصابهم  
 الظما فوسوس لهم  
 الشيطان أنكم تزعمون  
 أنكم على الحق وفيكم  
 نبي الله وقد غلب  
 للشركون على الماء  
 وأنتم تصلون عذتين  
 وجنسين فكذب

أعبد منه أو أتوى منه في دين الله وأما العالم فانه يتماخر ويقول أنا متفان في الموم ومطلع على الحديث ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت ومفضلك ومن لبيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصرفه ويصظم نفسه وأما باباهاه فهو أنه يجتهد في المناظرة أن يغلب ولا يغلب ويهرطول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمنافرة والجدل وتحسين البرارة وتجميع الألفاظ وحفظ العلوم الغريبة لغرب بها في الأثران ويتعظم عليهم ويحفظ الأحاديث أنه نظم أو أمانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله وتقصان أقرانه ويبرح معهما أخطأ واحدهم ليرد عليه ويسو إذا سابوا أحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التي يشرها التعتز بالعلم والعمل وبين من غلو عن جميع ذلك أو عن بعضه فليت شعري من الذي عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» <sup>(١)</sup> كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه من أهل النار وإنما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له إنك عندنا قدرا ما لم تر نفسك قدرا فإن رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الذين ناسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل. الثالث: التكبر بالحسب والنسب فالنبي له نسب شريف يستحق من ليس له ذلك النسب وإن كان رفعه من عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد وأبغف من مخالطهم ومجالستهم وعمرته على الناس الفاخرة فيقول لغيره يا بني اهدني ويأمرني من أنت ومن أبوك فأنا فلان ابن فلان وابن فلانك أن يكلمني أو ينظر إلى ومع مثل تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دقيق في النفس لا ينفك عنه نسيب وإن كان صالحا وما قال إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال فإن غلبه غضب طرد ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبي ذر أنه قال «قالت رجلا عند النبي ﷺ قتل لبا من السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البية على ابن السوداء فضل» <sup>(٢)</sup> وقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقالت للرجل فطف على خدي فانظر كيف نهى رسول الله ﷺ أن يرى نفسه فضلا بكونه ابن بياض وأن ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقنع من نفسه شجرة الكبر بأخص قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لا يبقعه إلا الذل ومن ذلك ما روى أن رجلا تفاخر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم «اتخرا رجلا عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان ابن فلان سقى عدسة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل للذي اتخرا بل التسمية من أهل النار وأنت حاشم» <sup>(٣)</sup> وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا لحما في جهنم أوليكون أمون على الله من الجملان التي تدرف بآنانها القدر» <sup>(٤)</sup> - الرابع: التفاخر بالمال وذلك أكثر

رجون الظفر عليه  
فأنزل الله تعالى مطرا  
من السماء سأل منه  
الوادي فثرب للسلون  
منه واغتسلوا وتوضئوا  
وسقوا الدواب ومثلوا  
الأممية ولبد الأرض  
حتى ثبت به الأقدام قال  
الله تعالى - ويثبت به  
الأقدام - إذ يوحى ربك  
إلى الملائكة أن يأمركم  
أسدكم الله تعالى  
بالملائكة حتى غلبوا  
الشركيين ولكل آية  
من القرآن ظهر  
وبطن وحد ومطلع  
والله تعالى كما جعل  
الحاس رحمة وأمنة  
للمصابة خاصة في تلك  
الواقعة والحادثة فهو

(١) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تقدم (٢) حديث أبي ذر  
قالت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم قتل لبا من السوداء الحديث ابن المبارك في البر الوصلة  
مع اختلاف ولأحمد من حديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بمغرمين تحرولا  
أسود لأن فضلته يتقوى (٣) حديث أن رجلا تفاخر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما  
للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأنك الحديث عبد الله بن أحمد في زوائد السنن حديث أبي ذر  
كعب بإسناد صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى فقط (٤) حديث ليدعن قوم الفخر  
بآبائهم وقد صاروا لحما في جهنم أوليكون أمون على الله من الجملان الحديث أبو داود والترمذي وحسنه

ما يجري بين النساء ويدعو ذلك إلى التفتش والتلب والتقية ود كروب النفس ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد اغتبتها (١) » وهذا منقوشه خفاء التكبر لأنها لو كانت أيضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكأنها أعجبت بقامتها واستصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قلت . الخامس : التكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزانهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في أراضيهم وبين التجملين في لباسهم وخبولهم ومراكبهم فيستعقر التني القدير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكند ومسكين وأنا لو أردت لاغتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما مك وأنت يبق يساوي أكثر من جميع مالك وأنا أغنى في اليوم مالنا كل في سنوكل ذلك لاستعظامه لثني واستعظامه للفقير وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وأفة التني وإليه الإشارة بقوله تعالى - فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - حتى أجابه قال - إن ترن أنا أقل منك مالا ولولا فسي ربي أن يؤمنني خيرا من جنتك ويرسل عليا أحبا بنا من السماء فصيح صيدا زلفا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا - وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره بقوله - يا ليتني لم أشرك بربي أحدا - ومن ذلك تكبر قارون إذ قال تعالى إخبارا عن تكبره - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم - السادس : التكبر بالقوة وعدة البطش والتكبر به على أهل الضعف . السابع : التكبر بالأبناج والأصناف والتلازمة والفسان والبشيرة والأقارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكثرة بالجنود وبين العلماء في المكثرة بالمستفيدين . وبالجملة فسلك ما هو نعمة وأمكن أن يعتقد كمال وإن لم يكن في نفسه كمالا أمكن أن يتكبر به حتى إن المحدث يتكبر على أقاربه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المحدثين لأنه يرى ذلك كمالا فيخبر به وإن لم يكن فضلا إلا نسكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة القصور بالنسوان والفسان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان مخطئا فيه فهداه جهامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من بدلي بشيء منه على من لا بدلي به أو على من بدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو أعلم ولحسن اعتقاده في نفسه . نسأل الله العون بلطفه ورحمته إنه على كل شيء قدير .

#### ( بيان البواحي على التكبر وأسبابه الهيبة له )

اعلم أن التكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال في غيرة وتليق بوجهي أن تسمى تكبرا ويخص اسم التكبر بالباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالتكبر كما سيأتي معناه فانه إذا أعجب بنفسه وبعلمه وبمعلمه أو بشيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما التكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة : سبب في التكبر وسبب في التكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرها . أما السبب الذي في التكبر فهو العجب والذي يتعلق بالتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرها هو الرياء فخصر الأسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد والحسد والرياء . أما السبب فقد ذكرنا أنه يورث التكبر الباطن والتكبر الظاهر ثم التبرك الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال . وأما الحقد فانه يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر وإن حيان من حديث أبي هريرة (١) حديث عائشة دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة الحديث تخدم في آفات اللسان .

رحمة هم المؤمنين  
والناس قسم صالح  
من الأقسام العاجلة  
للمردين وهو أمانة  
لقومهم من منازل  
النفس لأن النفس  
بالنوم لتسترع ولا  
تشكو الكلال والتعب  
إذ في شكايتها ومحبها  
تستدير القلب  
وباحترامها بالنوم  
بشرط العلم والاعتدال  
راحة القلب لما بين  
القلب والنفس من  
اللوادة عند طمأنينتها  
للمردين السالكين  
تقدير لئلا يكون  
ثقل الليل والتأخر يوما  
حتى لا يضطرب الجسد  
فيكون ثمان ساعات

على من يرى أنه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الضرب حدا ورشح في قلبه بضنه فهو كذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقا للتواضع فكأن من رد ذلك لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر لحقده عليه أو بضنه له وعمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته وعلى الأفع من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وإن علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يستعده وإن ظلمه فلا ينتصر إليه وإن جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فانه أيضا يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهته لئذاء وسبب يقتضى الضرب والمقصد ويعمو الحسد أيضا إلى جعد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكأن من جاهل يشاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستكفاه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يمرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يعنه على أن يصادمه بأخلاق التكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه . وأما الرياء فهو يدعو إلى أخلاق التكبرين حتى إن الرجل لينظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا حاسدة ولا حقد ولكن يمنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما القذى يتكبر بالسبب أو الحسد أو الحقد فانه يتكبر أيضا عند المحلوة به مهما لم يكن معها ثالث وكذلك قد يمتنى إلى نسب شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينسب إلى ذلك النسب ويرفع عليه في المجالس ويقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطناً بأنه لا يستحق ذلك ولا كره في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب ولكن بعمله الرياء على أفضال التكبرين وكان اسم التكبر إغما يطلق في الأثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بعين الاحتقار وهو وإن سمى متكبرا فلاجل التشبه بأفعال الكبر . نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم .

( بيان أخلاق للتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر )

اعلم أن التكبر يظهر في تعامل الرجل كصغر في وجهه ونظرة غرور وإطرافه رأسه وجلسه مترجأ ومثاقا وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الإيراد ويظهر في مشيته وتبخره وقيامه وجلسه وحركاته وسكاته وفي تعامله لأفعاله وفي سائر طبقاته في أحواله وأقواله وأعماله فن التكبرين من مجموع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فهذا التكبر بأن يجب قرأ الس له أو بين يديه وقد قال صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فليتنص إلى رجل قاعد أو بين يديه يقوم قيام . وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك (١) . ومنها أن لا يمتنى إلا ومعه غيره بمعنى خلفه . قال أبو الهرداء لا يزال الصديق يزداد من الله جدا ما مضى خلفه . وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده إذا كان لا يمتنى عنهم في صورة ظاهرة ، ومضى قوم خلف الحسن البصري فسمعهم وقال ما بيني هذا من قلب البعد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات يمشى مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشى في خسارهم (٢) إما ليطمئئنه أو لينقذ عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب (١) حديث أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له الحديث تهم في آداب الصحبة وفي أخلاق النبوة (٢) حديث كان في بعض الأوقات يمشى مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضيف حدا أنه خرج يمشى إلى البقيع فشمه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا

لنوم ماعتين من ذلك  
يجلسها للريد بالهار  
وست ساعات بالليل  
وزيد في أحدهما  
وينقص من الآخر  
على قدر طول الليل  
وقصره في الشتاء  
والصيف وقد يكون  
بحسن الإرادة وصدق  
الطلب ينقص النوم  
من قدر الثلث ولا  
يضر ذلك إذا صار  
بالترديد عادة وقد  
يحمل قتل السرقة  
النوم وجود الروح  
والأنس فان النوم  
طبع بارد وطبع ينفع  
الجسد والدمع ويسكن  
من الحرارة واليس  
الحادث في الزواج فان



كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخبيث لأحد هذين الصنيين<sup>(١)</sup>. ومنها أن ليزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. روى أن سفيان الثوري قدم الرملة فبعت إليه إبراهيم بن آدم أن تعال خذنا ثياب سفيان قبل له يأبأ إسحق تبعث إليه بثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضع ومنها أن يستكشف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد فسألت غفلة فبعثت نسي عنه فأخذ ثيابي فخرني إلى نفسه وقال لي لم تعلمون بي ما تعلمون بالجارية وإلى الأعراف رجلا منكم شرا مني . وقال أنس كانت الوليدة من ولادة المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يترفع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت<sup>(٢)</sup>. ومنها أن يتوفى من بحالة الرضى وللمولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدرى قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ناس من أصحابه يأكلون فما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه<sup>(٣)</sup> وكان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما لا يجلس عن طعامه معنوما ولا يرس ولا مبتلى إلا أقدم على مائدة. ومنها أن لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه روى أن عمر بن عبد العزيز ناهى لمة شيف وكان يكتب فكد السراج بطأ فقال الشيف أقوم إلى الصباح فسلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم شيفه قال أفأبته التلام فقال هي أول نومة نامها فقدم وأخذ البطولما الصباح زينا فقال الشيف قلت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا معمر ورجعت وأنا معمر ما تقص مني شي . وخبر الناس من كان عند الله متواضعا . ومنها أن لا يأخذ متاعه ويعمله إلى بيته وهو خلاف عادة للتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك<sup>(٤)</sup> وقال علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كاله ما حمل من شي إلى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح : هو أمير يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان قال أوسع الطريق للأمير يا ابن مالك . وعن الأصبغ بن نباتة قال كان أنظر إلى عمر رضى الله عنه معلقا لحا في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الأسواقي حتى دخل رحله . وقال بعضهم رأيت عليا رضى الله عنه قد اشترى لحا بدرهم لحفه في ملحفته فقلت له أحمل عاك يا أمير المؤمنين فقال لا ، أبو الدبال أحق أن يحمل . ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « البذانة من الإيمان »<sup>(٥)</sup> فقال هرون سألت معنا عن البذانة فقال هو اللون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى السوق ويده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة قرعة فنهض من آدم وعوبت على كرم الله وجهه في إزار مرقوع فقال يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى

ونسي خلفهم فسل عن ذلك قال إني سمعت خنق فالحق فأسفقت أن يقع في حسي شي من الكبر وهو منكر في جماعة ضغاف<sup>(٦)</sup> حديث إخراج الثوب الجديد في الصلاة وإبداله بالخبيث . قلت للعرف تزع الثراك الجديد ورد الثراك الخلق أوزع الحيمة وليس الأنجانية وكلامهما تقدم في الصلاة<sup>(٧)</sup> حديث أنس كانت الوليدة من ولادة المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحار بث تقدم في آداب العيشة<sup>(٨)</sup> حديث الرجل الذي به جدرى وإجلاله إلى جنبه تقدم في بار<sup>(٩)</sup> حديث حله متاعه إلى بيته أبو يعلى من حديث أبي هريرة في شرائه للراويل وحله وتقدم<sup>(١٠)</sup> حديث الذاذة من الإسنان أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة بن ثعلبة وقد تقدم .

عنه من التلث يضر الدماغ ويغشى منه اضطراب الجسم فاذا تاب عن النوم روح القلب وألنه لا يضر نقصانه لأن طبيعة الروح والأنس باردة رطبة كطبيعة النوم وقد قصر مدة طوّل الليل بوجود الروح : قصير بالروح : أوقات الليل الطويلة كالنسيمة كما يقال سلة الوصل سنة وسنة الهجر سنة فقصر الليل لأهمل الروح . قل عن علي بن بكارة قال : منذ أربعين سنة ما حزني إلا طساح الفجر . وقيل لبعضهم

عليه السلام جودة الثياب حيلة في القلب . وقال طاووس إن لأعزل ثوب هذين أناسك رطلي ماداما  
 شيين . وروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشتري له الحلة بألف  
 دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشتري له الثوب خمسة دراهم فيقول  
 ما أجود لولائه قيل له أين لباسك ومركبك وعطرك يأمر المؤمنين فقال إن لي ثوبا قد أعتقوا  
 لم تلق من الدنيا طبخة إلا تانفت إلى الطبخة التي فوقها حتى إذا ذاقته الخلقة وهي أرطب الطباق تانفت  
 إلى ما عند الله عز وجل . وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه  
 قميص مرقع الجلب من بين يديه ومن خلفه فقال رجل يأمر المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست  
 فكس رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل القصد عند الجدة وإن أفضل الفروصا القدرة . وقال  
 صلى الله عليه وسلم « من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعوا له وابغضوا لمرأته كان حقا على الله  
 أن يدخره بعقرى الجنة » (١) . فان قلت قد قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب حيلة القلب .  
 « وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الرجال في الثياب هل هو من الكبر قال لا ولكن من سرفه  
 الحق وخمس الناس » (٢) فكيف طريق الجمع بينهما . فاهل أن الثوب الجديد ليس من ضرورته  
 أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وهو الذي عرفه رسول الله ﷺ من حال ثابت بن قيس إذ قال إني امرؤ حبيب إلى من الجمل ما تزي (٣)  
 فصر أن إليه إلى النظافة وجودة الثياب لا لتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من  
 الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة التكبر  
 أن يطلب التجمل لإفراة الناس ولا يبالى إذا افترده بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجلال أن يحب  
 الجلال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في سنود داره فذلك ليس من التكبر فإذا انقسمت الأحوال  
 نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الأحوال على أن قوله حيلة القلب يعني قد تورث حيلة في  
 القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم إنه ليس من الكبر يعني أن الكبر لا يوجب ويجوز أن لا يوجب  
 الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر ، وبالجملة فإن الأحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من  
 اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالزاداة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلوا واشربوا  
 والبسوا وتصدقوا في خير سرف ولا هيلة » (٤) . « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » (٥) وقال  
 بكر بن عبد الله الزنى البسوا ثياب اللوك وأمنوا فلو بكم بالحشة وإنما خاطب بهذا قوما يطلبون  
 التكبر بثياب أهل الصلاح . وقد قال عيسى عليه السلام : ما لكم تأتون وعليكم ثياب الرهبان  
 وقولكم قلوب الدواب الضواري البسوا ثياب اللوك وأمنوا فلو بكم بالحشة . ومنها أن يتواضع  
 بالاحتال إذا سب وأودى وأخذ حقه فذلك هو الأصل ، وقد أوردنا ما نقل عن السلف من أحوال  
 الأذى في كتاب الغضب والحسد . وبالجملة فجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه  
 وسلم فيه فينبغي أن يقتدى به . ومه ينبغي أن يعلم . وقا أبو سلفة : قلت لأبي سعيد الحدرى

كيف أنت والليل؟ قال  
 مارعيته قط يرى  
 وجهه ثم يصرف  
 وما تأمنه . وقال  
 أبو سليمان الداراني  
 أهل الليل في ليهم  
 أشد لذة من أهل اللهو  
 في هوم . وقال بعضهم  
 ليس في الدنيا شيء  
 يشبه نيم أهل الجنة  
 إلا ما يجده أهل الخلق  
 في قلوبهم . قيل من  
 حلوة المناجاة خلوة  
 الساجدة ثواب عاجل  
 لأهل الليل . وقال  
 بعض العارفين إن  
 الله تعالى يطلع على  
 قلوب السائقين في  
 الأسعاف فيملأها نورا  
 فترد القوائد على قلوبهم

(١) حديث من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعوا له الحديث أبو سعيد الباقى في مسند الصوفية  
 وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة لله الحديث وفي إسناده نظر (٢) حديث سئل  
 عن الرجال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث إن ثابت بن قيس  
 قال لئن صلى الله عليه وسلم إني مرؤ حبيب إلى الرجال الحديث هو الذي قبله مني في السائل وقد تقدم  
 (٤) حديث كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في خير إسراف ولا هيلة النساء وابن ماجه من رواية  
 عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده الترمذى  
 وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضا وقد جعلها المصنف حديثا واحدا .

ما ترى فيما أحدث الناس من اللبس والشرب والركب والطعم فقال ابن أبي بكر: كل شئ شربته والبس  
 شئ وكل شئ من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو حمة فهو مصيبة وسرف وعالج في بيتك من  
 الخدمة ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته كان يملف الناضح ويعقل البعير ويقم  
 البيت ويحلب الشاة ويخسف التمل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطنعن عنه إذا أعيأ ويشتري  
 الشيء من السوق ولا يمتنع من الحياء أن يلقه يده أو يجعله في طرف ثوبه وينقلب إلى أمه بصافح  
 الثني والفقير والكبير والصغير ويسلم بتدنا على كل من استقبله من صغير أو كبير أسوداً أو أحمر حراً وعد  
 من أهل الصلاة ليست له حلة لدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من أن يجيب إذا دعى وإن كان أشعث أغبر  
 ولا يحقر مادي إليه وإن لم يجد إلا حشف العقل لا يرضع غداه لعشاء ولا عشاء لقدامه من الزينة لئلا ين  
 الخلق كريم الطبيعة جميل العاشرة طابق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عيوس شديد غير  
 عنف متواضع في غير مثله جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى وسلم رقيق القلب دائم الإطراق  
 لم يبتسم قط من شيع ولا يمد يده من طمع قال أبو سلمة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثنيها  
 قال أبو سعيد في زهد رسول الله ﷺ قالت ما أخطأ منه حرفاً ولقد قصر إذا أخبرك أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم لم يبتلى قط شيئا ولم يبت إلى أحد شكوى وإن كانت القافة لأحب إليهم اليسار  
 والذى وإن كان ليظن جاعلاً يلتوى ليلته حتى يصبح فما يمنه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه  
 فيؤتى بكنوز الأرض وغارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومفارها لفضل وريما بكيته رحمته  
 عما أوتي من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك  
 وعينك من الجوع يقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا  
 فحسوا على حالهم وقد سوا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجذبني أستحي إن ترفعت في معيشتي  
 أن يغصن في دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب إلى من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شئ أحب  
 إلى من الحقوق إخواني وأخلائتي قلت عائشة رضي الله عنها فوالله ما سكت بذلك جمعة حتى قضى  
 الله عز وجل (١). فما قل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق التواضعين فمن طلب  
 التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض نفسه بما رضى هو به  
 فما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصباً في الدنيا والدين فلا عز ولا رفاة إلا في الأقداء به  
 ولذلك قال عمر رضي الله عنه: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نطلب المزم في غير ما عوتب في بذاته  
 هيئته عند دخوله الشام. وقال أبو الدرداء: أعلم أن الله عداا لهم الأبدال خلف من الأنبياء  
 هم أوتاد الأرض فلما انتقض النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يغضوا  
 الناس بكرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر طيب  
 للبلدين والصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تحجب وتواضع في غير مثله وهم قوم اصطفاهم الله  
 واستخلصهم لنفسه وهم أربعمائة صديقاً أو ثلاثون رجلاً قلوبهم على مثل قلوب إبراهيم خليل الرحمن عليه  
 السلام لا يمتدح الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من خلفه. واعلم يا أخي أنهم لا يلبسون شئاً ولا يؤذونه

(١) حدث أبو سعيد الخدري وعائشة قال الخدري: لأبي سلمة عالج في بيتك من الخدمة ما كان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عالج في بيته كان يملف الناضح الحديث وفيه قال أبو سلمة فدخلت  
 على عائشة فحدثني بذلك عن أبي سعيد فقالت ما أخطأ ما أخطأ ولقد قصر أو ما أخبرك أنه لم يبتلى قط  
 شيئا الحديث طوله لم أتف لها على إسناد.

فستتبرم تنكسر من  
 قلوبهم القوائد إلى  
 قلوب الذين. وقد  
 ورد أن الله تعالى أوحى  
 في بعض ما أوحى إلى  
 بعض أنبيائه أن لي  
 عبادا يحبوني وأحبهم  
 ويستأقون إلي  
 وأشتاق إليهم  
 ويذكرون وأذكروهم  
 وينظرون إلي ونظر  
 إليهم فأنه صدوت  
 طريقتهم أحببتك وإن  
 عدلت عن ذلك مقنتك  
 قال يارب وما علامتهم  
 قال يراعون الظلال  
 النهار كإبراهيم الرامي  
 عنهم ويعنون إلى  
 غروب الشمس كما نحن  
 الطير إلى أوكارها مدا

ولا يخترونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرصون على الدنيا هم أطيب الناس خيرا وألينهم عريكة وأسخام نسا علامتهم السخاء وسجيتهم الشفاعة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حلقم الظاهر وهم فيا بينهم وبين ربهم لا تدرهم الرياح المواصل ولا الحيل الهاربة قلوبهم تصعد ارتياحا إلى الله واشتياقا إليه وقدماء في استباق الحيرات أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم الفالحون - قال الراوي : قلت يا أبا الدرداء ما صفت بصفة أشد على من تلك الصفة وكيف لي أن أجتنبها فقال ما ينكح ويين أن تكون في أوسمها إلا أن تكون نبض الدنيا فانك إذا أبضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدرك حبك للآخرة تزهد في الدنيا وقدر ذلك تبصر ما ينفعك وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتفاه بالصحة . واعلم يا ابن آدم أن ذلك في كتاب الله تعالى للزلز - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . قال يحيى ابن كثير فنظرنا في ذلك فما قلنا للتلقذون يمثل حب الله وطلب مرضاته . اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يارب العالمين فإنه لا يصلح عليك إلا من أرقضته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

( بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له )

اعلم أن الكبر من اللذات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وإزاته فرض عين ولا يزول بمجرد النسي بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القائمة له وفي معالجته مقامان : أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع جذبه من مغرسها في القلب . الثاني دفع العارض منه بالأصباغ الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره . للقام الأول : في استئصال أصله وعلاجه على وجهي ولا يتم الشفاء إلا بمجموعهما أما العلوي فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكتفي بذلك في إزالة الكبر فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أقل من كل ذليل وأقل من كل قليل وأنه لا يليق به إلا التواضع والذلة والمهانة وإذا عرف ربه علم أنه لا يليق العظمة والكبرياء إلا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم للكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا يطول ولكننا نذكر من ذلك ما ينفع في إثارة التواضع وللذلة ويكتفي أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فإن في القرآن علم الأولين والآخرين لمن تمت بصيرته وقد قال تعالى - قتل الإنسان ما كفره - من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره - فقد أشارت الآية إلى أول خلق الإنسان وإلى آخر امره وإلى وسطه فلينظر الإنسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الإنسان فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في حجر العدم دهورا بل لم يكن لقدمه أول وأي شيء أخس وأقل من الهو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ثم من أقدرها إذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحا فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا إلا وهو على أخس الأوصاف والنعوت إذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه حمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يهس ولا يتحرك ولا يطق ولا يمشي ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بعونه قبل حياته وبضعه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماء قبل بصره وبصممه قبل صممه وبكفه قبل نطقه وبضلاجه قبل هداه وبفقره قبل غناه وبسجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله - من أي شيء خلقه من نطفة خلقه - وقدره - ومعنى قوله - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا - إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه - كذلك خلقه أولا ثم امتحن عليه فقال - ثم السبيل يسره - وهذا إشارة إلى ما تيسر له في مدة حياته إلى اللوت وكذلك قال - من نطفة أمشاج نبتليه فجاءه ميميا بصيرا إنا هدينا

جنهم الليل واختلط الظلام وخلص كل حبيب يهيمه نصبوا إلى أقدامهم واقتروا إلى وجوههم وناجسوا بكلامهم وغلغسوا إلى أنفاسهم فيبين صارخ وبالك وبين متأوه وهاك يمين ما يتحملون من أجلى وبسعى ما يشكون من حى أول ما أعطى لهم أن أقبل من نورى في قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثاني لو سكنت السموات السبع والأرضون وما فيها في موازينهم لاستقلت بها لهم والثالث أقبل بوجهى عليهم

السييل إنما كرا وإلا كفورا - ومعناه أنه أحياء بعد أن كان جمادا ميتا ترابا أولا ونقطة ثانيا وأصممه بعدما كان أصم وبصره بعدما كان فاقدا للبصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الأعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد التقدر لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكاه بعد العرى وهذه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره وإلى السيل كيف يسره وإلى طينان الإنسان ما كفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال - وألم ير الإنسان أنا خلقناه من نقطة فإذا هو خيم بين حومن أباته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم جمر تنتشرون - فانظر إلى نعمة الله عليه كيف خلقه من تلك القلة والفقرة والحاجة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد المصموم حيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وهالما بعد الجهل ومهديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان في ذاته لاشئ وأتى شئ آخر من لاشئ وأتى قلة أقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وأعما خلقه من التراب القليل الذي يوطأ بالأقدام والنقطة القذرة بعد العدم المحض أيضا ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وأعما أكل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وأنه لا يلبق الكبرياء إلا به جل - وعلا ولذلك امتن عليه فقال - ألم نجعل له عين ولسانا وغفنين وهدينا له النجدين - وعرف خسته أولا فقال - ألم يك نقطة من مئى مئى ثم كان علقه - ثم ذكر منه عليه فقال - خلق قسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى - ليديم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولا بالاختراع ثم كان هذا بدؤا وهذه أحواله فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أخس الأضياء وأضعف الضفء ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفح من خسته شمع بأفقه وتغلم وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله نعم لو أكله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطنى وينسى البدأ والنشئ ولكنه سلب عليه فداوم وجوده الأمراض الملهثة والأقسام العظيمة والآفات المختلفة والطابع للتضادة من اللذة والبلم والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى رضى أم سخط فنجوع كرها يعطى كرها وعرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه تقما ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد أن يعلم الله فيجبه ويريد أن يذكر الله فينسأ ويريد أن ينسى الله ويفعل عنه فلا يفعل عنه ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهيمه فيجول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه ويشئى الذى مورعا يكون هلاكا فيه ويكره الله وربما تكون حياته فيه يستلذ الأطعمة وتلهك وتزده ويستشع الأدوية وهى تنفخ وتحيه ولا يأمئن في لحظة من ليله أنوهاره أن يسلب همه وبصره وتلغى أعضاؤه ويغنى غفله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطرب ذليل إن ترك بقى وإن اختطف فى عبد مملوك لا يقدر على شئ من نفسه ولا شئ من غيره فأى شئ أفدته لوعرف نفسه وآتى يلبق السكر به لولا جهله فهذا أوسط أحواله فليأمله وأما آخره ومورده فهو الوت انتشار إليه بقوله تعالى - ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره - ومعناه أنه يسلب روحه ومعهم وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جمادا كما كان أول مرة لا يلبق إلا لشكل أعضائه وصوره لاشئ فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قدرة كما كان في الأول نقطة مفردة ثم تلى أعضاؤه وتفتت أجزاؤه وتغنى عظامه وبصره ربما رفاتا ويأكل الدود أجزائه فيتبدى بهدفيه فيقطعها ويغذى فيقطعها ويسائر أجزائه فيصير روثا في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستفد منه كل إنسان ويهرب منه لشدة الإتيان وأحسن أحواله أن يموت إلى ما كان فيصير ترابا يعمل منه السكران وبصره منه البنان فيصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كأن لم يكن بالأمس حصيدا

فترى من ألفت  
بوجسى عليه يعلم أحد  
ما أريد أن أعطيه  
فالسائق للريد إذا خلا  
في ليله يحتاج ربه  
انتشرت أنوار ليله على  
جميع أجزاء نهاره  
وبصر نهاره في حمية  
ليه وذلك لامتلاء قلبه  
بالأنوار فتكون حركاته  
وتصاريفه بالآثار  
تصدر من منبع  
الأنوار المتجمعة من  
الليل وبصر قلبه في  
قبة من قباب الحق  
مسددا حركاته موفرة  
سكناؤه وقد ورد من  
صلى الليل حسن وجهه  
بالبهار ويجوز أن  
يكون لعينين أحدهما

كا كان في أول مره أمدا مديدا ولينه بقي كذلك لما أحسّه لو ترك ترابا ، لابل عليه يمدلول ابل  
ليقاس شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه للتمرة و يخرج إلى أهوال التامة فينظر إلى  
قيامه قاعة وساء مشقة جمره وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونهر من منكرة وقوس منكسة وأحوال  
مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهم ترقر وجنة ينظر إليها المجرم فيتجسر ويرى صحافف منشورة  
فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو ؟ فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها  
وتسبحر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيان يكبان عليك ما كنت تنطق به أو تملحه من قليل  
وكثير وشير وقطير وأكل وشرب وقيام وتعود قد نسيت ذلك وأحس الله عليك فهد إلى الحساب

واستمد للجواب أو تسانق إلى دابر المذاب فينقطع قلبه فرقا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر  
الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فإذا شاهده قال يا ويلتنا ما هذا الكتاب يا ذا صغيرة ولا كبيرة  
إلا أحاسها - فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى - ثم إذا شاء أنصره - فالمن هذا حاله والتكبر  
والتعظم بل ماله وللفرح في لحظة واحدة فضلا عن البطر والأشتر قد ظهر له أول حاله ووسطه ولو  
ظهر آخره والعباد لله تعالى ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون  
إنسانا يسمع خطبا أوليقي عذابا وإن كان عند الله مستحقا للنار والخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع  
إذ أوله التراب وآخره التراب وهو بمنزل عن الحساب والمذاب والسكب والخنزير لا يرب منه الخلق  
ولورأى أهل الدنيا العبد للذنب في النار لصدموا من وحشة خلقته ويوقع صورته ولو وجدوا ربحه  
لما نوا من تنته ولو وقت قطرة من شرايه الذي يسقي منه في جمار الدنيا صاروا أنثمن من الجيفة فمن  
هد: حاله في العاقبة إلا أن ينفو الله عنه وهو على شك من العفو كيف يفرح ويطر وكيف يتكبر  
ويتجبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتدله فضلا وأي عبد لم يذنب دنبا استحق به العقوبة إلا أن  
يعفو الله الكريم بفضله ويحبر الكرم بمنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا قوة إلا بالله  
أرأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنائنه ضرب أنف سوط نجس إلى السجن وهو ينظر أن  
يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملا من الخلق وليس يدرى أي شيء منه أم لا كيف يكون ذلك  
في السجن أفترى أنه يتكبر على من في السجن وما من عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العفو  
من الله تعالى ولا يدرى كيف يكون آخر أمره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا وإشفافا ومعاذ ولا يذاهو  
العلاج المسمى القامع لأصل السكر وأما العلاج العملي فهو التواضع لله: لعلم ولأسرار الخلق: الموطأ على أخلاق  
التواضعين كما وصفه وحكيه من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه  
«كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد كل كما يأكل العبد» (١) «وقيل لسان لم لا تلبس ثوبا جيدا  
فقال إنما أنا عبد فإذا أعنت يوما لبست جيدا» (٢) «شاربه إلى العتيق في الآخرة ولا يمت التواضع بعد المعرفة  
إلا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان بالله والصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين  
وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادا ومن جعلها ما فيها من التواضع بالثقل والنعمة وبالركوع والسجود  
وقد كانت العرب قديما يأتون من الأغنياء فكان يسقط من يد الواحد سوط فلا ينبغي لأخذه  
وينقطع شراك نمطه فلا يسكن رأسه لإصلاحه حتى قال حكيم بن حزام يا بيت الله صلى الله عليه وسلم:  
على أن لا خير إلا أنما يبايعه التي صلى الله عليه وسلم عليه ثم فقه وكل إيمانه بعد ذلك (٣)

(١) حدث كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد كل كما يأكل العبد تقدم في أدب العبدية  
(٢) حدث حكيم بن حزام يا بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا خير إلا أنما الحديث  
رواه أحمد مقتصر على هذا وفيه إرسال حق .

أن الشكاة - فاستشعر  
المصباح - فإذا صار  
سرج اليقين في القلب  
زهر نكرة زيت العمل  
ليل فيزداد للصبح  
إشراقا وتكسب  
مشكاة القلب نور  
وضياء - كان يقول  
سهل بن عبد الله  
اليقيني نار الإيمان  
قيلة والعمل زيت  
وقد قال الله تعالى  
- سبحانه في وجوههم  
من السجود وقال  
تعالى - مثل نوره  
كشكاة فيها مصباح -  
فود اليقين من نور  
الله في زجاجة القلب  
يزداد ضياء بزيت  
العمل فتبقى زجاجة

فما كان السجود عندهم هو منتهى اللذة والفضة أمروا به لتتكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر مائر الخلق فان الركوع والسجود وللثقل قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الأنامل فليواظب على يقضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعا وذلك لحفاء العلاقة بين القلوب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت . فلما الثاني : فما يمرض من التكبر بالأسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فأما معاده مما يغني بالموت فكذلك وهو فن هذا يسر على العالم أن لا يتكبر ، ولكننا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة . الأول النسب فن جتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمرقة أمرين : أحدهما أن هذا جهل من حيث إنه تمزج بكلمة غيره ، ولذلك قيل :

لئن غرت بآباء ذوى شرف قد صدقت ولكن بشي ما ولدوا

فالتكبر بالنسب إن كان خيسا في صفات ذاته فإن أين يجبر خسته بكلمة غيره بل لو كان الذي ينسب إليه حيا لكان له أن يقول النفل لي ومن أنت وإنما أنت دودة خمنت من بولي أقرى أن الدودة التي خلقت من بول إنسان أشرف من الدودة التي من بول فرس هيات بل هما متساويان والشرف للإنسان لا للدودة . الثاني أن يعرف نسبه الحقيقي فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نقطة قدرة وجده العبد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال - الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسبه من حلاوة من ماء مهين - فمن أصله التراب المهين الذي يدا من الأقدام ثم خرج طينة حتى صار حما مسنونا كيف يتكبر وأحسن الأشياء ما إليه انتسابه إذ يقال بالأذل من التراب ويا أنين من الخناء ويا أفقر من اللبنة فان كان كونه من آية أقرب من كونه من التراب ، فقول : افتخر بالقرب دون العبد فالطفة واللينة أقرب إليه من الأب فليحقر نفسه بذلك ثم إن كان ذلك يوجب رضة لقربه فألب الأذى من التراب فمن أين رفته وإذا لم يكن له رقة فمن أين جاءت الرقة لو أنه فاذن أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالأصل بوطأ بالأقدام والفصل تفصل منه الأبدان ، فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد أخبره بذلك والده فلم يزل فيه نخوة الشرف قبينا هو كذلك إذ أخبره عدول لا يشك في قوله ثم إنه ابن هندی حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبس عليه فلم يبق له شك في صدقهم أقرى أن ذلك يبق شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استعشار الحزنى لحسته في شغل عن أن يتكبر على غيره ، فهذا حال البصير إذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة واللينة والتراب إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غيره هال كان يعلم به خسة نفسه لماسة أعضاء آية لكراب والدم فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والأشياء القدرة التي يترده عنها هو في نفسه . السبب الثاني : التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر المقلاء ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم ، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبايح ما يكدر عليه تمززه بالجلال فانه وكل به الأفقار في جميع أجزائه الرجيع في أمعائه والبول في مثانته والناظف في أعنه والبراق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في عروقه والصدية تحت جبرته والدمان تحت يبطه بفصل الفاط يديه كل يوم دفعة أو دفتين ويتردد كل يوم الحلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لوراه بعبه

القلب كالسكب  
الدرى وتنكس آوار  
الرجاحة على مشكاة  
القلب وأيضاً يلين  
القلب بشار النور  
ويسرى ليه إلى القلب  
فيلين القلب بالين القلب  
فيقتشاهان لوجود اللين  
الذي هما . قال الله  
تعالى - ثم نلين جلودهم  
وقلوبهم إلى ذكر الله -  
وصف الجلود باللين كما  
وصف القلوب باللين  
فاذا امتلأ القلب بالنور  
ولان القلب بما يسرى  
فيه من الأنس  
والسرور يندرج  
الزمان والسكان في نور  
القلب ويندرج فيه  
الكلم والآيات والنور

لاستغفره فضلا عن أن عسه أو شمه كل ذلك لمعرف قدرته وذله هذا في حال بوسطه واول أمره خلق من الأقدار الشذية الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج من مجرى الأقدار إذ خرج من الصلب ثم من القدر كجرى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القدر قال أنس رحمه الله : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقدر إلينا أنفسنا ويقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين ، وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خروء إذا رآه يتعثر وكان ذلك قبل خلاقه وهذا أوله ووسطه ، ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعدها بالتطاف والنسل لثارت منه الألتان والأقدار وصار أثق وأقذر من الدواب للهامة التي لا تستهضمها قط فافانظر أنه خلق من أقدار وأسكن في أقدار وسيموت في غير أقدار من سائر الأقدار لم يفتخر بحاله الذي هو تكسره الدمن وكون الأزهار في البوادي فينبأ هو كذلك إذ صار هشيا تذروه الرياح ، كيف ولو كان جماله بافيا وعن هذه القبايح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على التبيح إذ لم يكن قبيح التبيح إليه فينبه ولا كان جمال الجليل إليه حتى يحمده عليه ، كيف ولا يقاه له بل هو في كل حين يصور أن يزول بمرض أو جدرى أو قرحة أو سبب من الأسباب فكمن من وجوه جملة قد سمحت بهذه الأسباب مغمرة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالجلال لمن أكثر تأملها . السبب الثالث : التكبر بالقوة والأبدى ويعتصم من ذلك أن يعلم ماسلط عليه من العلل والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أهجر من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه الدباب شيئا لم يستغفبه متوانة لو دخلت في أهقه أو غلة دخلت في أذنه لفتنته وأن شوكة لو دخلت في رجله ذهجزته وأن حصى يوم غلغل من قوته مالا يتنجس في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقية ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذباية فلا ينبغي أن يفتخر بقوته ثم إن قوى الانسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فحل أو حمل وأي افتخار في صفة يسبقك فيها البهائم . السبب الرابع والخامس : النسي وكثرة المال وفي معناه كثرة الأتباع والتكبر بولاية السلاطين والتعكس من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان كالجمال والقوة والعلم ، وهذا أقبح أنواع الكبر فإن التكبر بحاله كأنه متكبر بفكره وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لماد ذليلا والتكبر بتسكين السلطان وولايته لا يصفه في نفسه بى أمره على قلب هو أشد غلطانا من القدر فإن تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل ، كيف وللتكبر بالنسي لو تأمل لرأى في اليهود من يزيد عليه في الثنى والثرة والتجمل وقد شرف يسبقك به اليهودي وأن شرف بأخذ السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مغلسا فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونسكال فلتفكر به غاية الجهل وكل ماليس إليك قابس لك دوى من هذا الأمور ليس إليك بل إلى واهبه إن أجاد لك وإن استرجعه زال عنك وماتت إلا عبيد مملوك لا تقدر على شيء ومن عرف ذلك لا يد وأن يزول كبره ، ومثاله أن يفتخر المافل بقوة وجهه وماله وحرته واستقلاله وسعة منزله وكثرة خوله وغلمانه إذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق لغلان وإن أبويه كانا مملوكين له فلم ذلك وحكم به الحاكم بقاء ماله فكأخذه وأخذ جميع ماله بيده وهو مع ذلك يخشى أن يساقه ويشكل به لتفريطه في أهواله وتقصيره في طلب ماله كالمكره ان له ماله كما نظر البعيد فرأى نفسه محبوسا في منزل قد أهدقت به حيات والعقارب والحوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة أقترى من هذا حاله هل يخضر بقدرة وثروته وقوته وكاله أم تذلل نفسه ويخضع ؟ وهذا حال كل

وتسرق الأرض أرض  
الذهب بنور دهبها إذ  
يصير القلب صماء  
والقلب أرضا وقدة  
تلاوة كلام الله في محل  
للتأناة تستر كون  
الكائنات والكلام  
المجيد يكونه ينوب  
عن سائر الوجود في  
مزاخرة صفو الشهود  
فلا يبقى حينئذ للنفس  
حديث ولا يسمع  
له جس حسي وفي  
مثل هذه الحالة يصور  
تلاوة القرآن من  
فأعته إلى خاتمة من  
غير وسوسة وحديث  
نفس وذلك هو الفضل  
المطهر الوجه الثاني  
قوله عليه السلام



عاقل بصرفاته يرى غسه كذلك فلا يملك رقبته وبدنه وأعضائه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشبوات وأمراض واستقام هي كالتقارب والحيات مخاف منها الهلاك، فمن هذا حاله لا يتكبر بقوة وقدرة إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة، فهذا طريق علاج التكبر بالأسباب الخارجية وهو أن من علاج التكبر بالعلم والعمل قائمها كالأن في النفس جديران بأن يشرح بهما ولكن التكبر بهما أيضا نوع من الجمل حتى كاستذكرة.

السبب السادس : التكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغاب الأدوية وأبدها عن قبول العلاج إلا بشدة عذبة وجهد جهيد وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما أصلا إلا إذا كان مصاعم ومحمل، ولذلك قال كعب الأحمير: إن العلم طغيانا كطغيان المال، وكذلك قال عمر رضي الله عنه العالم إذا زلزل بزلته عالم فيجز العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالإضافة إلى الجاهل لكثرة مناطق التصرع فضائل العلم ولقد قدر العالم على دفع السكر إلا بمعرفة أمرين : أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد وأنه بمحمل من الجاهل مالا يحتمل عثره من العالم فإن من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم تجايبه أخفى إذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « يؤتى باله في يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك ؟ فيقول كنت آمر بالخير ولا أتبه وأنهى عن الشر وآتبه<sup>(١)</sup> » وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والسكر فقال عز وجل مثل الذين حلوا النوراة ثم لم يعملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - أراد به علماء اليهود، وقال في يعلم من باعوراء - وأمثل عليهم بالذي آتيتهم آياتنا فأنسلع منها - حتى بلغ فثله كمثل السكر إن عمل عليه يلهث أو تركه يلهث - قال ابن عباس رضي الله عنهما : أوتي يعلم كتابا فأخذه إلى شبوات الأرض ثم سكن فيه إليها فثله بالسكر - إن تحمل عليه يلهث أو تركه يلهث - أي سواء آتيت الحكمة أو لم توت له لا بدع شهوته ويكني العالم هذا الخطر فأى عالم لم يتبع شهوته وأى عالم لم يأمر بالخير الذي لا يبه فيها خطر للعالم عظم قدره بالإضافة إلى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو يصدده فإن خطره أعظم من خطره غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره فهذا بذلك وهو كالمالك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فإنه إذا أخذ وقهر اشتبه أن يكون قد كان فقيرا فسكر من عالم يشبه في الآخر: سلامة الجاهل والعباد بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فإنه إن كان من أهل النار فالخزيير أفضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي أن يكون العالم عند نفسه أكبر من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول : باليتي لم تلدني أمي وأأخذ الآخر تبتة من الأرض ويقول باليتي كنت هذه التبتة ويقول الآخر ليتي كنت طيرا أوكل ويقول الآخر ليتي لم ألك شيئا منذ كوراء كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومن ما طالع فكره في الخطر الذي هو يصدده زال بالسكرية كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبد أمره سيده بأمر فخرع فيها فترك بعضها وأدخل النقصان في بعضها وشك في بعضا أنه هل أداها على ما ترضى سيده أم لا فأخبره بخبر أن سيده أرسل إليه رسولا يخرج من كل ما هو فيه عريانا ذليلا وبقية على بابه في الحر والشمس زمانا طويلا حتى إذا ضاق عليه الأمر وبلغ به الجهد أمر برفع حسابه وقضى عن جميع أعماله قليلا وكثيرا ثم أمر به إلى سجن شيق وعذاب دائم لا يروح عنه مائة وقد علم أن سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وغفا عن بعضهم وهو لا يدري من أي الفريقين يكون فإذا تفكر

(١) حديث يؤتى باله في يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه الحديث متفق عليه من حديث أسماء

ابن زيد لفظ يؤتى باله بالرجل وتقدم في العلم

« من صلى بالليل حسن وجهه بالتأثر » معناه أن وجود أموره التي يسوجه إليها تحسن وتتدارك للمونة من الله الكريم في تصاريفه ويكون معانا في مصدره ومورده فيحسن وجهه مقاصده فقال الله وينتظم في سلك السداد مسددا أوفاه لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب [ الباب السادس والأربعون في ذكر الأسباب للعينة على قيام الليل وأدب النوم ] فمن ذلك أن السيد يستقبل الليل عند غروب شمس بتجديد الوضوء ويقدم مستقبل

في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يشكر على أحسن الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفاعة عند نزول العذاب فكذلك العالم إذا تشكرك فباضيه من أوامر ربه بمنايات على جوارحه ودينوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والسبب والتناق وغيره وعلم بما هو بصدده من الخطر العظيم فارقته كبره لاحالة الأمر الثاني: أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده وأنه إذا تكبر صان محموتا عند الله بغيضا وقد أحب الله منه أن يتواضع وقاله إنك عندى قدما مالم تر نفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندى فلا بد وأن يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يستيقن أنه لا ذنب له مثلاً وتصور ذلك وهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام إذ علوا أن من نازع الله تعالى في رداءه الكبرياء قسمه وقد أمرهم الله بأن يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله علمهم فهذا أيضا مما يشتهى على التواضع لاحالة . فان قلت فكيف يتواضع للفاسق للتظاهر بالفسق والله يتدع وكفى يرى نفسه دونه وهو عالم بأنه وكفى يجعل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكفى يخشى أن يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق والتبدع أكثر . فاعلم أن ذلك إنما يمكن بالتفكير في خطر الخيبة لو نظر إلى كافر لم يمكنه أن يتكبر عليه إذ يتصور أن يسلم الكافر فيختم له بالإيمان ويض هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة والسكب والخزير أهل رتبة عن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك فكف من مسلم نظر إلى محرر رضى الله عنه قبل إسلامه فاستغفره وازدراه لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين إلا ما بكر وحده . فالعواقب مطوية من العباد ولا ينظر الماقل إلى الإلحاقية وجميع الفضائل في الدنيا تراءد للعاقبة فاذن من حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل إن نظر إلى جاهل قال هذا عصي الله جهل وأنا عصيته بلم فهو أعذر منى وإن نظر إلى عالم قال هذا قد علم ما لم أعلم فكيف أكون مثله وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سنا قال هذا قد أطاع الله قبل فكيف أكون مثله وإن نظر إلى صغير قال إني عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال ما يدري الله بجهنم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فلا يس دوام الهداية إلى كالم يكن ابتداءها إلى فبملاحظة الحاقبة يقدر على أن ينشئ الكبر عن نفسه وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والتقرب من الله لا حيا يظهر في الدنيا بمالابقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين التكبر وللتكبر عليه ولكن حتى على كل واحد أن يكون مصروف المهمة إلى نفسه مشغول القلب بخوفه له فبته لأن يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشقة كل إنسان على نفسه فادخس جماعة في جنايتهم وعدوا بأن تضرب رءوسهم بل يفرغوا التكبر بعضهم على بعض وإن عمهم الخطر إذ شغل كل واحد منهم نفسه عن الالتفات إلى غيره حتى كأن كل واحد هو وحده في مصيبتهم وخطره . فان قلت فكيف أفيض للبدع في الله وأبغض الفاسق وقد أمرت بيفضها ثم مع ذلك تواضع لهما والجمع بينهما متناقض . فاعلم أن هذا أمر مشبه بلبس على أكثر الخلق إذ يتعرج غضبك لله في إنكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكف من عاد جاهل وعالم مغرور إذا رأى فاسقا جلس جنبه أن جهنم عنده وتزده عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعابد بنى إسرائيل مع خليفهم وذلك لأن الكبر على الطبع ظاهر كونه شرا والحذر منه محتمل والكبر على الفاسق وللبغض يشبه التنبه لله وهو خير فان الضمان أيضا يشكر على من غضب عليه وللتكبر بغضب أحد ما يشتم الآخر ويوجبه وما يمتزجان ملتبساً لا يعين بينهما إلا اللبوقون والذى غلبت من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة البدع أو الفاسق أو عند أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ثلاثة أمور:

القبلة منتظرا جميع  
الليل وصلاة المغرب  
مقيا في ذلك على أنواع  
الأذكار ومن أولها  
النسب والافتقار  
قال الله تعالى ليه  
واستغفر لربك وسبح  
يحمد ربك بالشر  
والإبكار ومن ذلك أن  
يوصل بين المشادين  
بالصلاة أو بال تلاوة  
أو بالذكر وأفضل ذلك  
الصلاة فانه إذا واصل  
بين المشادين بفعل  
عن باطنه آثار  
الكثيرة الحادثة في  
أوقات النهار من رؤية  
الحق وعما لظلم وسوء  
كلامهم فان ذلك كله  
له أثر وخدش في القلوب

أحدها التفاتك إلى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصرف عند ذلك قدرك في عينك . ولتأتى أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله تعالى عليك فله للنة فيه لآلآك ترى ذلك منه حق . لا تصيب بنفسك وإذا لم تصيب لم تكبر . والثالث ملاحظة إلهام حقيقتك ، وفاقته أنه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحق حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه . فان قلت : فكيف أغضب مع هذه الأحوال ؟ فأقول : تغضب لمولآك وسيدك إذ أمر لك أن تغضب له لانتفك وأنت في غضبك لا ترى خشك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على خشك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالحاجة بمواعرفك ذلك بشال لتعلم أنه ليس من ضرورة الغضب لله أن تكبر على الغضوب عليه و ترى قدرته فوق قدره . فأقول : إذا كان عليك غلام وولد هوقة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمر أن يضربه مسحا أساء أده واشغل عمالا يطيع به ويغضب عليه فان كان الغلام يحيا مطعما لمولآ فلا يجد بدا أن يغضب مهما رأى . ولقد قد أساء الأدب وإنما يغضب عليه لمولآ ولأنه أمره به ولأنه يريد التقرب بامثال أمره إليه ولأنه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد أعز لاهلآة من الغلام ، فاذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر إلى التبذع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرها في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسن في الأزل ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه ، ومع ذلك تغضب بحكم الأمر بحجة لمولآك إذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة ، فكذلك يكون بعض الملاء الأكراس فيغضب إليه الخوف والتواضع . وأما الغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالمعاقبة ، وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبة حكم الأمر . السبب السابع : التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لاسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كمن كان لما عرفه من فضيلة العلم ، وقد قال تعالى - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » (١) إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم ، فان قال العابد : ذلك لما عامل بعلمه وهذا عالم فاجر ، فيقال له : أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات ، وكأن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن ، وقد وردت الأخبار بما يشهد بذلك ، وإذا كان هذا الأمر غائبا عنه لم يجوز له أن يحتقر طالما بل يجب عليه التواضع له . فان قلت : فان صح هذا فينبغي أن يكون العالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » . فأعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيها فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجهل الفاسق لذنوب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به ، وإذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فإذا كان كل واحد من العابد والعالم خائفا على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا أمر غيره فينبغي أن يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرخاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة

وتقدم في العلم .

حق النظر إليهم بقبح  
كمدا في القلب يدركه  
من يرقى صفاء القلب  
فيكون أثر النظر إلى  
الحق للبصيرة كالذي  
في المسين ليعبر  
والمواصلة بين  
المشاهدين يرضى بذهب  
ذلك الأثر . ومن ذلك  
ترك الحديث بعد  
انشاء الآخرة فان  
الحديث في ذلك الوقت  
يذهب طراوة النور  
الحادث في القلب من  
مواصلة المشاهدين  
ويقيد عن قيام الليل  
سبا إذا كان عربا  
عن يقظة القلب ، ثم  
تجديد الوضوء بعد  
المشاهد الآخرة أيضا

حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حق إلى مستورين وإلى مكشوفين فينبغي أن لا يتكبر على المستور أقل منه ذنواً وأكثر منه عبادة وأشد منه جباةً . وأما المكشوف حاله لم يظهر لك من الذنوب إلا ما زبد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنباً لأن عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على إحصائها حتى تنم الكثرة ، نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كالورأية ، المقتل والشرب والرائع وجميع ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والتل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتهيل الخطأ في ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله مخفوتاً وقد جرى للنافق الظاهر النفاق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فيكشف القضاء يوم القيامة قراء فوق نفسك بدرجات فهذا يمكن والإمكان البعيد فيما عليك ينبغي أن يكون قريباً عندك إن كنت مشفقاً على نفسك فلا تتكبر فيما هو ممكن لتترك بل يباهو بحروف في حثك فانه لا تزر وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئاً من عذابك فإذا نسكت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق غيرك ، وقد قال وهب بن منبه ماتم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فقد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيراً منه وإنما الناس عنه فرقان : فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعاً بقلبه إن رأى من هو خير منه سره ذلك ونعى أن يلحق به وإن رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو وأهلك نادراً لا إيماناً من له قوة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقاً كريماً بينه وبين الله فريحه الله ويحب عليه ويحتم له بأحسن الأعمال ويرى ظهراً فذاك كثر في غلاباً من فيها أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآت فاجتبطاً ثم قل حينئذ كل غفله وساد أهل زمانه فهذا كلامه . وبالجملة لمن جوز أن يكون عند الله شقياً وقد سبق القضاء في الأزل بشقوته فله سبيل إلى أن يتكبر حاله من الأحوال ، نعم إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيراً من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى أن عبداً أوى إلى جبل فقيل له في النوم اثنت فلانا الاسكاف فله أن يدعو لك فثامفاً له عن عمله فأخبر ما نه يصوم النهار ويكتب فيصدق يعصه ويطمع عياله ببعضه فرجع وهو يقول إن هذا الحسن ولكن ليس هذا كائن فرغ لطاعة الله فأتى في النوم ثانياً فقيل له اثنت فلانا الاسكاف قتل له ما هذ الصغار الذي برحهم فأتاه فساء فقيل له ما رأيت أحداً من الناس إلا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهذه والنبي يدل على فضيلة هذه الحصلة قوله تعالى - يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون - أي أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى - إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون - وقال تعالى - إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين - وقد وصف الله تعالى لللائكة عليهم السلام مع قدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدوام بالاشفاق فقال تعالى غير أنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون - وهم من خشية مشفقون - ففي رال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الأزل وبكشف عنده طاعة الأجل غلب الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك والكبر دليل الأمن والأمن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ، فاذن ما يفسد العابد بإضمار الكبر واحتقار الحق والنظر إليهم بسين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال فبهذه معارف بها زال داء الكبر عن القلب

معين على قيام الليل .  
حكى لي بعض الفقهاء  
عن شيخ له بغراسان  
أنه كان يفتسل في الليل  
ثلاث مرات مرة بعد  
العشاء الآخرة ومرة  
في أثناء الليل بعد  
الابتداء من النوم  
ومرة قبل الصبح  
فلما وضوء والفعل بعد  
العشاء الآخرة أثر  
ظاهر في تسير قيام  
الليل ومن ذلك التعود  
على الذكر أو القيام  
بالصلاة حتى يثلب  
النوم فإن التعود على  
ذلك يمين على سرعة  
الابتداء إلا أن يكون  
واقفاً من نفسه وعادته  
فيتمتع بالنوم

لا غير إلا أن النفس بعد هذه المرفة قد تضرع التواضع وتدعى البراءة من السكر وهي كاذبة فإذا وقعت الواقعة عادت إلى طبعها ونسيت وعدّها فمن هذا لا ينبغي أن يكتفى في الدواة بمجرد المرفة بل ينبغي أن تسلك بالعمل وتجرب بأفعال التواضعين في مواقع هيجان السكر من النفس ، ويأمن أن يتجنّب النفس بنفس امتحانات هي أدلة على استخراج مافي الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة : الامتحان الأول أن ينظر في مسألة مع واحد من أقرانه فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فقل عليه قبوله والافتقار والاعتراف به والشكر له على عنيته وعمره وإخراجه الحق فذلك يدل على أن فيه كبرا دينيا فليتنق الله فيه ويشغل بملاجه ، أما من حيث العلم فإن يذكر حقه خمسة فسمه وخطره عاقله وإن السكر لا يليق إلا بالله تعالى وأما العمل فإن يكلف نفسه ما تقل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالمعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما حسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما ينبغي له فالحسنة شاة للؤمن فإذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها فإذا واطب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعاً وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قوله ومهما تقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم فقيه كبر فإن كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في الملا فليس فيه كبر وإعنا فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس وبذكر القلب بأن سمعته في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق إلى غير ذلك من أدوية الرياء وإن تقل عليه في الخلوة واللأ جبراً فقيه السكر والرياء جميعاً ولا ينفعه الخلاص من أحدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعاً مهلكان . الامتحان الثاني أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويذمهم على نفسه ويغشى خافهم ويجلس في الصدور تحتهم فإن تقل عليه ذلك فهو متكبر فليواطب عليه تسكفا حتى يسقط عنه ثقله فذلك يزيله السكر وهما القديطان يكيدوه وإن جلس في صف المال أو يعمل بينه وبين الأقران بعض الأذال فيظن "أن ذلك تواضع وهو عين السكر فإن ذلك يحف على نفوس التكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكائهم بالامتثال والتفعل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضاً بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم بينهم ولا ينقطع عنهم إلى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث السكر من الباطن . الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير ويعبر إلى السوق في حاجة الرقاء والأقارب فإن تقل ذلك عليه فهو كبر فإن هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والثواب عليها جزيل فتفور النفس عنها ليس إلا الخبث في الباطن فليشتغل بآرائه بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من الطواف التي تزيل داء السكر . الامتحان الرابع أن يعمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورقاته من السوق إلى البيت فإن أتت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء فإن كان يقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وإن كان لا يقل عليه إلا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعاله الهلكة إن لم يجدد له وقد أهل الناس طب القلوب واشتغلوا بطلب الأجساد مع أن الأجساد قد كتبت عليها اللوث لاصالة والقلوب لا تدرك السعادة إلا بسلامتها إذ قال تعالى - إلمن أتى الله فلبس - ويروي عن عبد الله بن سلام أنه حمل حزمة حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في غلمانك وبكتك ما بك بك قال أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تكر ذلك فممنع منها بما أعطته من العزم على ترك الأثرة حتى جربها أمي صادقة أم كاذبة وفي الخبر "من حل الفاكهة أو الفتي" قد برى من السكر (١) . الامتحان الخامس أن يلبس ثياباً بنية فإن خور النفس عن ذلك في اللأ ياء وفي الخلوة كبر . وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله

(١) حديث من حل الثياب والمأكلة قد برى من السكر البهقي في الشعب من حديث أبي أمامة ورضه لفظ من حل بضاعة .

ويستجلبه ليقوم في وقتيه للصعود وإلا فالنوم عن التوبة هو الذي يصلح للريدين والطالين وبهذا وصف المحبون قبل نومهم نوم الترقى وأكلهم أكل الرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهم جتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وإعنا النفس إذا أطعت ووطنت على النوم استرسلت فيه وإذا أزهمت بصدق العزيمة لا تسترسل في الاستقرار وهذا المزاج في النفس بصدق العزيمة

عنه له مسح يلبسه بالليل وقد دل على ذلك عليه وسلم من اعتقل البعر وليس الصوف قد يرى من الكبر<sup>(١)</sup> . وقال عليه الصلاة والسلام : « إنما أنا عبد كل بالأرض وأبلى الصوف وأقل البعر وأذل أصابي وأجيب دعوة المفلوك » فمن رغب عن سقاي من<sup>(٢)</sup> . وروى أن أبا موسى الأشعري قبله إن أنوما يختلفون عن الجعة بسبب ثيابهم فلبس عبادة فصل فيها لباس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فباغتص بالملأ فهو الرياء ، وما يكون في الخلوقة فهو الكبر ، فأعرف فلان من لا يعرف الصبر لا يتقيه ، ومن لا يدرك للرض لا يدأويه .

### ( بيان غاية الرياضة في خلق التواضع )

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة: فطرفة التي يميل إلى الزيادة يسمى تكبراً أو طرفة التي يميل إلى النقصان يسمى تخاساً أو مودة ، والوسط بين تواضعاً . والمحمود أن يتواضع في غير مودة ومن غير تخاس فأن كلا طرفي الأمور ذميم . وأحب الأمور إلى الله تعالى أو ساطعاً لمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو تواضع أي وضع شيئاً من قدره الذي يستحقه والله المبدأ دخل عليه إسكاف فتسنى له من مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له ناله وغدا إلى باب الدار حلة فقد تخاس وتذل ، وهذا أيضاً غير محمود بل محمود عند الله العدل ، وهو أن يعطى كل ذي حق حقه فينبغي أن يتواضع بمثل هذا لأقرانه ومن يقرب من درجته فأما تواضعه للوحي في القيام والشر في الكلام والرفق في السؤال وإجابة دعوته والسعي في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيراً منه بل يكون على نفسه أخوف منه بل غيره فلا يجترعه ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره ، فأذن سبيله في اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران ولين دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وإن كان يشغل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكسف لا تواضع بل الخلق ما يصد عنه الفعل بسهولة من غير قتل ومن غير روية كان خف ذلك وصار بحيث يفتل عليه روية قدره حتى أحب الخلق والتخاس قد خرج إلى طرف النقصان ، فليرفع نفسه بالذليل المؤمن أن تذل نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك فاض في هذا الخلق وفي سائر الأخلاق والليل عن الوسط إلى طرف النقصان وهو الخلق أهون من الليل إلى طرف الزيادة بالتكبر كما أن الليل إلى طرف التبذير في المال أحمد عند الناس من الليل إلى طرف البخل وقهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أخف ، وكذلك نهاية التكبر ونهاية التمسك والتذلل مذمومان وأحدهما أرفع من الآخرة والمحمود المطلق هو العدل ووضع الأمور مواضعها كما يجب على ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة ، ولتقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع .

الشهر الثاني : من الكتاب في السب وفيه بيان ذم السب وآفاته وبيان حقيقة السب والإدلال وحدها وبيان علاج السب على الجلة وبيان أقسام ما به السب وتخصيل علاجه .

### ( بيان ذم السب وآفاته )

اعلم أن السب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى : « ويومئذ نحبس الذين كفروا عنكم وهم يكذبون » . وذكر ذلك في معرض الإنكار وقال عز وجل : « وظلوا أنهم ما فهم حصونهم من الله فأنهم الله من حيث لم يحتسبوا » فرد على الكفار في إعجابهم بعصبيتهم وشوكهم وقال تعالى : « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » وهذا أيضاً يرجع إلى السب بالعمل ، وقد

هو التجافي الذي قال الله تعالى - سبحانه - جنوبهم عن الضائع - لأن الله بقيام الليل وصدق العزقة يصل بين الجنب والضجع نبواً أو نجافوا وقد قيل للنفس نظران : نظراً إلى نعم الله لا يستغفاه الأقسام البدنية ونظراً إلى فوق لا يستغفاه الأقسام الصلوية الروحانية . فأرباب العزقة نجافت جنوبهم عن الضائع نظراً إلى فوق إلى الأقسام الصلوية الزمانية فأعطوا النفوس حقها من النوم ومنوها حظه فانفس

(١) حديث من اعتقل البعر وليس الصوف قد يرى من الكبر البقي في الشعب من حديث أبي هريرة زيادة فيه وفي إسناده القاسم الصمري ضعيف جداً .

(٢) « إنما أنا عبد كل بالأرض وأبلى الصوف الحديث تقدم منه ولم أحد شئته .

يجب الإنسان بعمل هو عظمى فيه كما يجب بعمل هو مصيب فيه . ودل صلى الله عليه وسلم  
 « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه » (١) وقال لأنى طلبة حيث ذكر آخر  
 هذه الأمة ، قال « إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأى بأهليه فليكن تمسك » .  
 وقال ابن مسعود : المهلك في اثنين القنوط والعجب وإنما جمع بينهما لأن السعادة لاتزال إلا باليسر  
 والطلب والجهد والشكر والقنوط لا يسمى ولا يطلب والعجب يستند أن قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسمى  
 فالوجود لا يطلب والحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد العجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد  
 القنوط فمن هنا جمع بينهما . وقد قال تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - قال ابن جرير معناه إذا علمت  
 خيرا فلا تقل علمت . وقال زيد بن أسلم لا تبروها أى لا تمتدوها أبدا بآثارها ومعنى العجب هو في طلبة  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصبت كفه فكأنه أعجب منه  
 العظيم إذ فداه بروحه حتى جرح فخرس ذلك عمر فيه قال المازال يرى في طلبة نأو منذ أميت أمية  
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) والتأوهو العجب في القلة لأنه لم يقل فيه أنه تأوهه واحترق مسلا  
 ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أفت من طلبة قال ذلك رجل فيه نخوة ، فإذا كان  
 لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم . وقال مطرف لأن أبيت  
 ناعما وأصبح نادما أحب إلى من أن أبيت ناعما وأصبح معجبا . وقال صلى الله عليه وسلم « لو لم تذنبوا  
 لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجيب » (٣) فجعل العجب أكبر الذنوب . وكان بشر بن منصور  
 من الذين إذ رؤوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة قتلوا طاعة على العادة فأطاع الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر  
 فظن له بشر ، فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يجننك ناريت منى فان إبليس له أنه الله عبد الله  
 تعالى مع اللاتسكة مدة طويلة ثم صار إلى ماصار إليه . وقيل لانهما رضى الله عنهم فيكون الرجل  
 مسيا قالت إذا ظن أنه حسن وقد قال تعالى - لا تطعوا صدة تكلم بالبن والأذى - ولأن نتيجة استعظام  
 الصدقة واستعظام العمل هو العجب ، فظهر بهذا أن العجب مذموم جدا .

(يان آفة العجب)

اعلم أن آفات العجب كثيرة فإن العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كما ذكرناه فتوهم من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى هذا مع العباد . وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها فيصن ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقد ما طعمه أنه مستغن عن تفقد ما نسيها وما لم يذكره منها فيستغفره ولا يستظلمه فلا يجهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه بغيره . وأما العبادات والأعمال فإنه يستظلمها ويتجسس بها ويغن على الله بفعلها ويؤسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتحسين منها ثم إذا أحب بها عسى عن آفات ما لم يتفقد آفات الأعمال كان كؤسيه ضالها فان الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة حية عن الثواب فلها تنقص وإنما يتقدم من يخلب عليه الإشفاق وال خوف

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث أبي ثعلبة إذا رأيت شحاما طاعا وهوى شيئا  
ورجاء كل ذي رأي رآه فضحك فنسك أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث  
وفى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وأكب عليه حتى أصيبت كفة البخاري من رواية قيس  
ابن أبي حازم قال رأيت يد طلحة علاه وفي بها النبي صلى الله عليه وسلم (٤) حديث لو لم تذاقوا الحسنة  
عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجيب الزائر وابن جبان في الضعفاء والبرقي في الشيبان من حديث  
أنس وفيه سلام بن أبي الصفاء قال البخاري منكر الحديث . وقال أحمد حسن الحديث ورواه  
أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف جدا .

بما فيها مركزون من  
 التراب والجمادية ترسب  
 وتنتحل وتشتت  
 النوم - قال الله تعالى  
 - هو الذي خلقكم من  
 تراب - ولأبى بكل  
 أهل من أصول خلقته  
 طبيعة لازمة له .  
 والرسوب صفة التراب  
 والكسل والتقاعد  
 والتأخر بسبب فلك  
 طبيعة في الإنسان ،  
 فأبى باب المصاة أهل العلم  
 الذين حكم الله تعالى لهم  
 بالعلم فتو له تعالى آمن  
 هو قائم آتاء الليل  
 ساجدا ولا تأمنا ، حتى  
 قال - قل هل ينسوي  
 الذين يطون والذين  
 لا يطون - حكم هؤلاء  
 الذين قاموا بالليل بالعلم

دون العجب والسبب يتر بنفسه ويرأيه ويؤمن بكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله بكان وأن له عند الله منة وحفا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطايه وبخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ومحمداه ويزكها وإن أحب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة من الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ويرأيه ويستكف من سؤال من هو أعلم منه وربما يسبب بالمرأى الخطأ الذي خطره فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيسر عليه ولا يسمع نصيح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بين الاستعجال ويصر على خطئه فإن كان رأيه في أمر ديني أو دنيوي فيستحق فيه وإن كان في أمر دني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولواتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بلاء المؤمنين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصرة لكان ذلك يوصله إلى الحق فهذا وأمثاله من آفات العجب فذلك كان من الهلكات ومن أعظم آفاته أن يقتري السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه . نال الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته .

( بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما )

اعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كالأدلة والحكمة والحكمة كمال تصفي على عمل ومال وغيره حالتان : أحدهما أن يكون خافيا على زواله ومشققا على نكده أو سليه من أصله فهذا ليس بعجب والأخرى أن لا يكون خافيا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه لامن حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضا ليس بعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا إليه ويكون فرحه به من حيث إنه كمال وقيمة وخير ورفعة لامن حيث إنه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له لامن حيث إنه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه فهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله مهما هاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فإذن العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى النعم فإن انضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه بكان حتى يتوقع بعلمه كرامة في الدنيا واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الناساق حتى هذا إدلالا بالعمل فسكانه يرى نفسه على الله دالة وكذلك قد عطى غيره حيثما فيستظمه وعن عليه فيكون معجبا فإن استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى - ولا تمنن تستكثر - أي لاتمدك بمملك وفي الخبر « إن صلاة للدل لاترفع فوق رأسه ولأن تضحك وأنت متترف بدينك خير من أن تبكي وأنت مدل بمملك (١) » والإدلال وراء العجب فلا مدل وهو معجب ورب معجب لا بدل إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء فإن توقع إجابة دعوته واستكررهه يباطنه وتجب منه كان مدلا بعلمه لأنه لا يتعجب من رد دعاء الناسق ويتعجب من رد . فاه نفسه لذلك فهذا هو العجب والإدلال وهو من مقدمات الكبر وأسيائه . والله تعالى أعلم .

( بيان علاج العجب على الجملة )

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلو العجب الجهل المحض فملاجه المرة فللضادة لذلك الجهل قطع فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار اليد كالعبادة والصدقة والتزو وسياحة الحلق وإصلاحهم فإن العجب بهذا أغلب من العجب بالمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول : الورع التقوى والعبادة والعمل الذي به يجب إنما يجب بمن حيث إنه فيه

(١) حديث إن صلاة للدل لاترفع فوق رأسه الحديث لم أجده أصلا .

فهم لموضع علمهم  
أزججوا النفوس عن  
مقار طيبتها ورفوها  
بالنظر إلى اللذات  
الروحانية إلى ذرا  
حقيقتها فتجافت  
جنوبهم عن الضامع  
وخرجوا من صفة  
الفاضل المراجع . ومن  
ذلك أن يفسر العادة  
فإن كان ذا وسادة  
يترك الوسادة وإن  
كان ذا وطاء يترك  
الوطاء وقد كان بعضهم  
يقول لأن أرى في بيتي  
شيطانا أحب إلى من  
أن أرى وسادة فاتها  
تدعوني إلى النوم  
وتفسير العادة في  
الوسادة والوطاء



فهو محله ومجره أومن حيث إنه منه ويسيه ويقدرته وقوته دن كان يجب به من حيث إنه فهو هو  
 محله ومجره يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جمل لأن المثل مسخر ومجرى لادخله في الابداد  
 والتحصيل فكيف يجب بما ليس إليه وإن كان يجب به من حيث إنه هو منه وإليه واختياره  
 حصل وقدرته ثم فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عملها  
 من أين كانت له فلان كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة بدلى بها  
 فينبغي أن يكون إيجابه بمجود الله وكرمه وفضله إذ أفاض عليه مالا يستحق وآثره به على غيره من غير  
 ساقطة ووسيلة فهما رمز الملك لقلانه ونظر إليهم وخلع من مجلتهم على واحد منهم لالصفاء ولا الوسيلة  
 ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي أن يتعجب للنعم عليهم فضل الملك وحكمه وإثاره من غير استحقاق وإيجابه  
 بنفسه من أين وما سببه ولا يبنى أن يجب هو بنفسه ، ثم يجوز أن يجب المبدى قول الملك حكم  
 عدل لايظلم ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب فلولاً أنه غفلت في صفات المصودة بالباطن على التقضى  
 الاثار بالجملة ولما أثنى بها يقال ونك الصفة أيضا هي من خلقة الملك وعطية التي خصك بها من  
 فورك من غير وسيلة أو هي عطية غيره فان كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها بل  
 كان كالأول أعطاك فرما فلم تعجب به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول إنما أعطاني غلاما لأن  
 صاحب فرس فأما غيرى فلا فرس له يقال وهو الذى أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس  
 والغلام معا أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فإذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لا تحسك  
 وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يصور في حق اللوك ولا يصور  
 في حق الجبار القاهر ملك اللوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بإيجاد اللوصف والصفة فانك إن أعجبت  
 بعبادتك وقلت وقتي لعبادة لحي له يقال ومن خلق الحب في فليك تقول هو يقال فالحب والعبادة  
 كلاهما نعمتان من عنده ابتداء لكهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون  
 الإعجاب بمجوده إذ لم يوجودك وجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك هذا لا يمتنع لسبب  
 العابد بعبادته وهب العالم بده وهب الجليل بجماله وهب التنى بفضله لأن كل ذلك من فضل الله وإنما  
 هو محل لفيض فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضا من فضله وجوده . فان قلت لا يمكن أن أجهل  
 أعمالى وأنى أنا عملتها فأنى أنتظر عليها ثوابا ولولا أنها عملى لما انتظرت ثوابا فان كانت الأعمال لمخلوقة  
 لله على سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب وإن كانت الأعمال منى وقدرتى فكيف لا أعجب بها .  
 فاعلم أن جوابك من وجهين : أحدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة . أما صريح الحق فهو أنك  
 وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه لما عملت إذ عملت وما صليت إذ  
 صليت وما رميت إذ رميت ولكن الله رضى فهذا هو الحق الذى انكشف لأرباب القلوب بشاهدة  
 أوضح من إحصاء العين بل خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك  
 العقل والملم وخلق لك الإرادة ولو أردت أن تتق شيئا من هذا من تسك لم تقدر عليه ثم خلق  
 الحركات في أعضاءك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع إلا أنه خلقه  
 على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق في البضو قوة وفي القلب إرادة ولم يخلق إرادة مالم يخلق علما  
 بالمراد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذى هو محل العلم فتدريج في الخلق شيئا بعد شيئا . هو الذى  
 خيل لك أنك أوجدت عملك وقد غلظت ، وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق أفسانى  
 تحريره في كتاب الشكر فانه أثبت به فارجع إليه ، ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثانى الذى  
 فيه مسامحة ما وهو أن تحسب أن العمل حصل قدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل إلا بوجودك

والوطاء تأخير في ذلك  
 ومن ترك شيئا من  
 ذلك والله عالم بنيه  
 وعزيمته يشبه على ذلك  
 بتيسير مرام ومن ذلك  
 خفة اللمة من الطعام  
 ثم تناول ما يأكل من  
 الطعام إذا اقترن بذكر  
 الله وينظرة الباطن  
 أعان على قيام الليل  
 لأن بالذكر ينهب  
 داؤه فان وجد للطعام  
 تقلا على اللمة يبنى  
 أن يعلم أن تقله على  
 القلب أكثر فلا ينام  
 حتى يذهب الطعام  
 بالذكر والثلاوة  
 والاستغفار قال بعضهم  
 لأن أحسن من عشائى  
 لمة أحب إلى من

ووجود عملك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدره فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح يد الله ومهما لم يملك المفتاح فلا يمكنك العمل فالإعدادات خزانها يتوصل إلى السعادات ومفاتيحها القدرة والإرادة والعلم وهي يد الله لها الله أرايت لو أرايت خزان الدنيا مملوءة في قلعة حصينة ومفاتيحها يد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها أنفسمت في بكائك أن تنظر إلى دينار مما فيها ولو أعطاك المفتاح لأخذته من قريب بأن تبسط يدك إليه فتأخذه فقط فإذا أعطاك الخازن القاتح وسلطك عليها ومككك منها فلدت يدك وأخذتها كان إعجابك بإعطائه الخازن القاتح أو بما إليك من مد اليد وأخذها فلا تشك في أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن القوة في تحريك اليد بأخذ المال قريبة وإنما الشأن كله في تسليم القاتح فكذلك مهما خالت القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرفت عنك اللوائح والصوارف حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بكل فالعمل حين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيب الأسباب كلها من الله ليس شيء منها إليك فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ولا تعجب بجموده وقضه وكرمه في إشارته إليك على التساقط من عباده إذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط أخذان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكهم من أسباب الشهوات والمفادات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فهل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من القاسق العاصي بل أثرك وقدمك واسطفاك فضله وأبعد العاصي وأغناه ببدله العاصب بإعجابك بملكك إذا عرفت ذلك فاذن لاتصرف قدرتك إلى اللقدور إلا بتسليط الله عليك داعية لا تحسب سبيل إلى محالها فكانه الذي اضطرك إلى الفعل إن كنت فاعلا تعجبنا لله الشكر والثناء لاك وسببنا في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والسبببات مالتين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه والعجب عن يتعجب إذا رزقه الله فقلا وأقره عن أفاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منقوت يوتي وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعم الدنيا وهو العاقل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظله ولا يدري القورور أنه لو جمع له بين العقل والمال جعلا لكان ذلك بالظلم أعبه في ظاهر الحال إذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمع له بين العقل والنبي وحرمتي منها فلا جعتم لي أو هلا رزقتني أحدهما وإلى هذا أشار على رضى الله عنه حيث قيل له ما بال الفقراء قراء قال إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير رجسا يرى الجاهل الغنى أحسن حالا من نفسه وويل قيل له هل تؤمر جهله وغناه عوضا عن عقلك وتفرقه لامتحن عنه فاذن ذلك بدل على أن نعمة الله عليه أكر ثم يتعجب من ذلك والمرأة الحسنة الفقيرة ترى الخلق والجواهر على الدمية القبيحة تتعجب وتقول كيف يجرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصم مثل ذلك التبع ولا تدرى القورورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو حيرت بين الجمال وبين القبيح مع الغنى لارت الجاهل فلا نعمة الله عليها أكر وقول الحكيم الفقير العاقل قبله يارب لم حرمتني الدنيا وأعطيتها الجاهل كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول أيها الملك لم لا تعطيني السلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لاتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس مهب أي ما أعطيتك فرسا أصارت تمنى عليك وسيلة لك وحجة تطالب بها نعمة أخرى ؟ فهذه أو هام لا تغفل الجاهل عنها ومنعنا جميع ذلك الجهل وبزال ذلك بالحق بأن العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتداء بها قبل الاستحقاق وهذا بين العجب والإدلال وبورث الخشوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يجب

إن أقوم ليله والأحوط  
أن يوتر قبل النوم  
فانه لا يدري ماذا يحدث  
ويستظهره وسواك  
عنده ولا يدخل النوم  
إلا وهو على الطهارة.  
قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : إذا نام  
العبد وهو على الطهارة  
عرج روحه إلى العرش  
فكانت رؤياه صادقة  
وإن لم يم على الطهارة  
تصرفت روحه عن  
الروح فتكون أسامات  
أضغاث أحلام  
لا تصلى « والرب  
التأهل إذا نام في  
المراسم مع الزوجة  
ينتفض وضوءه بالمس  
ولا يؤخره بذلك فائدة

بعله وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولتلك قال دود عليه السلام يارب تأب ليه إلا وإنسان  
من آل داود قائم ولا يأتي يوم إلا وإنسان من آل داود قائم . وفي رواية بأخر ساقعة من آل داود  
ولا عابد من آل داود يبدك وإيايلى وإما يوم وإما يدرك فأوحى الله تعالى إليه داود ومن أين  
لهم ذلك إن ذلك لم يكن إلاي ولولا عني إليك ما قوت وسألك إلى تفك . قال ابن عباس :  
إما أصاب داود ما أصاب من القنب يسببه بعله إذ أضافه إلى آل داود مدلا به حتى وكل إلى قسه  
فأذنب ذنبا أورثه الحزن والندم . وقال داود : يارب إن بني إسرائيل يسألونك بآرهم وإسحق  
وعنوب فقال إني اجتبتهم فصبوا فقال يارب وأنا إني ابتليت صرت فأذل بالمثل قبل وقته فقال الله  
تعالى فاني لم أخبرم بأني شيء أبتليهم ولا في أي شهر ولا في أي يوم أنا أخبرك في سنتك هذه وشرك  
هذا أبتليك غدا بإمرة فأخبر تفك فوقع فيها وقع فيه وكذلك لما ابتك مصاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يوم حنين في قوتهم وكثرهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لانتالي اليوم من قة (١)  
وكلوا إلى أنفسهم فقال تعالى - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تخن عنكم شيئا وضافت عليكم  
الأرض بما رحبت ثم وليت مدبرين - . روى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال لبي إنك ابتليتني  
بهذا البلاء وماورد على أمر إلا أثرت هوك على هواي فودى من غمامة بيشرة آلاف صوت يأأيوب  
أني لك ذلك أي من أين لك ذلك ؟ قال فأخذ رمادا ووضه على رأسه وقال منك يارب منك يارب  
فرج من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته  
مازكناكم من أحد أبدا - وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس وأما منكم من أحد  
ينجيه عمله قالوا ولأنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتخمدن الله برحمته (٢) ولقد كان أصحابه  
من بعده يضمنون أن يكونوا تراثا وتبنا وطيرار مع صفاء أعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لدى بصرة  
أن يسبب بعله أو يبدل به ولا يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب  
ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر إلى الكفار  
والفساق وقد سلوا نعمة الإيمان والطاعة بغير ذنب أدبوه من قبل فخاف من ذلك فيقول إن  
من ليلاي أن يحرم من غير جناية ويعطى من غير وسيلة ليلاي أن يعود ويسترح ماذهب فكف  
من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يلقى معه عجب مجال ، والله تعالى أعلم .

( بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه )

اعلم أن العجب بالأمرأب التي بها يتكره ذكرناه وقد عجب عماليتكره كعبه الرألي الحنا الذي زين به جعله فإبه العجب بحانية أقسام : الأول أن عجب يدينه في حله وهشموه وموتونه وتاسب أشكاه وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فليفت إلى جمال نفسه ويشي أنه نعمة من الله تعالى وهو بمرضة الزوال في كل حال وعلاجه مذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكير في أقدار باطنه وفي أول أمره وفي آخره وفي الوجوه الجملة والأبدان الناعمة أي كيف عرفت في التراب وأنتفت في القبور حتى استغدرتها الطام . الثاني : البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد

(١) حديث قولهم يوم حنين لاذهب اليوم من قلة البري في دلال البوة من رواية الريح بن أنس مرسلان وخلا قال يوم حنين لن تلب اليوم من قلة فتق ذلك على رسول الله ص الله عليه وسلم فأزل الله عز وجل - ويوم حنين إذا أصبحكم كثرتمكم - ولابن مردويه في تفسيره من حديث أنس لما التقوا يوم حنين أعيبتهم كثرته قالوا اليوم قتال قهروا فيه القرع بن فضالة ضفه الجمهور (٢) حديث فامنكم من أحد نبيه محله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

الزوم على الطهارة نام  
 يستمر في التساقط  
 النفس بالسر ولا يحد  
 بطة القلب فأما إذا  
 استمر في الاتساق  
 وغفل فتعجب الروح  
 أيضاً لمكان صلاته  
 ومن الطهارة التي تميز  
 صدق الرؤيا طهارة  
 الباطن عن خدش  
 الهوى وكدورة محبة  
 الدنيا والتسوء عن  
 أغناس الفل والمقد  
 والجسد وقد ورد من  
 أوى إلى فراش لا ينوي  
 ظم أبعد ولا يهتدي على  
 أحد غفلة ما جرتهم  
 وإذا طهرت النفس  
 عن الرذائل اجلجت  
 مرآة القلب وقابل

حين ذلوا فبا أخبر الله عنهم - من أشد منا قوة - وكما انكسر عوج على قوته وأوجب بها فانتعلج جبلا  
 ليعطفه على عسكر موسى عليه السلام فقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بقره هدهد صيف النصار  
 حتى صارت في عنقه وقد يتكل للؤمن أيضا على قوته كما روى عن سلمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن  
 البلية على مائة امرأة ولم يقل إن شاء الله تعالى فحرم ما أراد من الولد (١) وكذلك قول داود عليه السلام  
 إن ابتليتي صبرت وكان إيجابا منه بالقوة فلما ابتلي بالمرأة لم يصبر وبورث السبب بالقوة المهجوم في  
 الحروب وإلقاء النفس في التهلكة وللإبادة إلى الضرب والقتل لكل من قصد بالسوء وعلاجه  
 ما ذكرناه وهو أن يعلم أن حى يوم تضاف قوته وأنه إذا أحببها ربما سلها الله تعالى بأذى آفة  
 يسلطها عليه . الثالث : السبب بالقل والكياسة والنفط لداق الأمور من مصالح الدين والدنيا ومخرجه  
 الاستعداد بالرأى وترك الشهوة واستجبال الناس الخالفين له ولرأيه ويخرج إلى قلة الإصغاء إلى أهل  
 العلم إضرارضا عنهم بالاستغناء بالرأى والقل واستمقارأ لهم وإهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على  
 ما رزق من القل ويشكر أنه بأذى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويمن بحيث يضحك منه  
 فلا يمان أن يسلب عقله إن أحب به ولم يقل بشكره وليستعصر عقله وعلم أنه ما أوتى من  
 العلم إلا قليلا وإن اتسع طفه وأن عاجله مما عرفه الناس أكثر مما عرفه فكيف يعلم معرفة الناس  
 من علم الله تعالى وأن ينهم عقله وينظر إلى الحقى كيف يسجون بقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر  
 أن يكون منهم وهو لا يدري فإن القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبى أن يعرف مقدار عقله  
 من غيره لامن نفسه ومن أعدائه لامن أعدائه فإن من بداهته يقى عليه فيزيده عيا وهو لا يظن  
 بنفسه إلا العاظم ولا يظن لجمل نفسه فيزيده به عجا . الرابع : السبب بالنسب الشريف كسب العافية  
 حتى يظن بعضهم أنه بنحو شرف نسبه ونجاة آياله وأنه منقور له ويتجمل بعضهم أن جميع الحق  
 له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آياه في أخلاقهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد  
 جهل وإن اتقى بآياه فما كان من أخلاقهم السبب بل الخوف والإزراء على النفس واستعظام الحق  
 ومدة النفس وقد شرفوا بالطاعة والطم والحاصل الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد  
 ساوم في النسب وعاركم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عندنا ثومان الخلاب  
 وأحس من الخناير ولذلك قال تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى - لاى اعاوت في أسابكم  
 لاجتماعكم في أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال - وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين أن الشرف  
 بالتقوى لا بالنسب فقال - إن أكرمكم عندنا أتقاكم - ولما قبل رسول الله ﷺ من أكرم الناس من  
 أكيس الناس بل من ينسب إلى نسي ولكن قال أكرمهم أكرمهم لولت ذكر أو أعدمهم لاستعداد (٢)  
 وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على السكة قال الحرث بن هشام وسيل بن عمرو  
 وحال بن أسيد هذا البد الأسود يؤذن قال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وقال النبي  
 صلى الله عليه وسلم «إن الله قد أذهب عنكم عية الجاهلية أي كبرها كلكم بنواكم وأهملهم تراب (٣)»

الروح المحفوظ في النوم  
 وانتشفت فيه هجاب  
 النيب وغراب الأنياء  
 في الصديقين من  
 يكون في منامه مكالة  
 ومحادثة فيأمره الله  
 تعالى وينهاه وبغية  
 في المنام ويسرفه  
 ويكون موضع ما ينتع  
 له في نومه من الأمر  
 والنبى كالأمرو والنهى  
 الظاهر يصى الله تعالى  
 إن أحسنهما بل  
 تكون هذه الأوامر  
 أكدوا عظمه وقالوا  
 المفاات الظاهرة  
 تحسوها النسوبة  
 والثائب من الذنب  
 كن لا نيب له وهذه  
 ألومر خاصة صلي بجاه

- (١) حديث قال سلمان لأطوفن البلية بمائة امرأة الحديث البخارى من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث لما قيل له من أكرم الناس من أكيس الناس قال أكرمهم لولت ذكر أكرم الناس من
- ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله وأكرم الناس وهو بهذه الزيادة عند ابن أبي الدنيا في
- ذكر الوت آخر الكتاب (٣) حديث إن الله قد أذهب عنكم عية الجاهلية الحديث أبو داود
- والترمذى وحسنه من حديث أبي هريرة ورواه الترمذى أيضا من حديث ابن عمر وقال غريب .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يامعشر هريش لاتأني الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا أي أعرض عنكم (١) » فينبأ أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش « ولما نزل قوله تعالى - وأندر عشيرتك الأقربين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يافاطمة بنت محمد ياصفية بنت عبد المطلب همه رسول الله صلى الله عليه وسلم اصملا لأشكيا فاني لأخفي عنكما من الله شيئا (٢) » فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بغيره وقد كان من عافة آياته التواضع اتقوى بهم في التقوى والتواضع وإذا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما اتسم إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق . فان قلت قد قد صلى الله عليه وسلم بعد نوله لفاطمة وصفية « إني لأخفي عنكما من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبليها لهما (٣) » وقال عليه الصلاة والسلام « أرجو سليم خفاقي ولا يرجوها بنو عبد المطلب (٤) » فذلك يدل على أنه سيخفى قرابته بالشفاعة . فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسب أيضا جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يتق الله أن يضرب عليه فانه إن يضرب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعة له لأن الذنوب منقسمة إلى ما يوجب للقت فلا يؤذن في الشفاعة له إلى ما يفي عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيها اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى - ولا يشفعون إلا لمن ارتضى - ويقولوه - من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه - ويقولوه - ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له - ويقولوه - فما تفهم شفاعة الشافعين - وإذا انقسمت الذنوب إلى ما يشفع فيه وإلى ما لا يشفع فيه وجب الخوف والإشفاق لعلامة ولو كان ذنب تقبل فيه الشفاعة لمأمر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها عن المعصية ولسكان بأذن لحاق اتباع الشبهوات لتكامل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة فكذلك لذاتها في الآخرة فالشافعين في الذنوب وترك التقوى انكالا على رحاء الشفاعة ينهأهم أتمالك للريش في شهواته أعبادا على طبيب حافظ قريب مشفق من أب أو أم أو غيره وذلك جهل لأن سعى الطبيب وهمته وحذقه تنفع في إزالة بعض الأمراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا أعبادا على مجرد الطب بل للطبيب أثر في الحمية ولكن في الأمراض الخفية وعند غلبة اعتدال الزاج فهكذا ينبغي أن نفهم غاية الشفاء من الأنبياء والصالحين للأقارب والأجانب فانه كذلك قطعا وذلك لازيل الخوف والحدرو كيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يمتنون أن يكونوا بها من خوف الآخر فممن كال ثوراهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما معهم من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يشكوا عليه ولم يفارقوا الخوف والخشوع قلوبهم .

(١) حديث يامعشر قريش لا تأني الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم الحديث الطبراني من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال يامعشر بني هاشم وسند ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - وأندر عشيرتك الأقربين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يافاطمة بنت محمد ياصفية بنت عبد المطلب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة (٣) حديث قوله بعد قوله للتقدم لفاطمة وصفية ألا إن لكم رحما سأبليها لهما مسلم من حديث أبي هريرة بلطف غير أن لكم رحما سأبليها لهما (٤) حديث أرجو سليم خفاقي ولا ترجوها بنو عبد المطلب الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه أصريم بن حوشب عن إسحاق ابن واصل وكلاما ضعيف جدا .

فيا بينه وبين الله تعالى فإذا أخل بها يخشى أن ينقطع عليه طريق الإرادة ويكون في ذلك الرجوع عن الله واستيجاب مقام القت فان ابتلى الصديق بعض الأحيان بكسل وفشور عزرة يمنع من تجديد الطهارة عند النوم بعد الحدث يمسح أعضائه بالماء مسحا حتى يخرج بهذا القدر عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فصل التيقظين وهكذا إذا كسل عن القيام عقيب الاتيائه يجتهد أن يستاك ويمسح أعضائه بالماء مسحا حتى يخرج في

فكيف يجب بنسه ويتكل على الشاعة من ليس له مثل محبتهم وسابقتهم . الخامس : العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوامهم دون نسب الدين والعلم ، وهذا غاية الجهول وعلاجه أن يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وأثمهم المعقون عند الله تعالى ولو نظر إلى صورهم في النار وأكتانهم وأقدارهم لاستنكف بهم ولتبرأ من الانتساب إليهم ولأنكر على من نسب إليهم استغذارا واستحقارا لهم ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق الخصماء بهم وللانكسار آخفون بنواصيرهم يجرؤهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لتبرأ إلى الله منهم ولكن انتسابه إلى السكب والخزير أحب إليه من الانتساب إليهم خلق أولاد الظلمة إن عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لأبائهم إن كانوا مسلمين ، فأما العجب بنسبهم لجهل محسن . السادس : العجب بكثرة العدد من الأولاد والحكم والظنان والشيرة والأقارب والأنصار والأبناج قال الكفار - نحن أكثر أموالا وأولادا - وكما قال المؤمنون يوم حين لا تغلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفه وأن كلهم عبيد هزلة لا يعلكون لأنفسهم خيرا ولا ضرا . و - كم من قلة قية غلبت قلة كثيرة باذن الله - ثم كيف يجب بهم وأثمهم يستفقدون عنه إذا مات قيدين في قبره ذليلا مهينا وحده لبراقته أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلطونه إلى البلى والحيات والقارص والديدان ولا ينشون عنه شيئا وهو في أحوج وأحواله إليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة - يوم يفر للره من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه - الآية ، فأى خير فيمن يفارقك في أشد أحوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكلم على من لا ينفعك ، وتنتسى نعم من علك نعمك وضرك وموتك وحياتك . السابع : العجب بالمال كما دل تعالى إخبارا عن صاحب الجنتين إذ قال - أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - و رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جالس بجنبه قبر فالتفت عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام : أخشيت أن يبدو إليك فقره (١) . وذلك للعجب بالنسب وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم خوائمه وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة في القيامة وإلى أن المال فاد ورابع ولا أصل له وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « بيننا رجل يتبختر في حلقه قد أهجته نفسه إذ أمر الله الأرض فأشدته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة (٢) » وأشار به إلى عقوبة إهجا به بماله ونفقه . وقال أبوذر « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب جباد ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خلقة فقال لي يا أباذر هذا عند الله خير من قرب الأرض مثل هذا (٣) » وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم السالبيين حقارة الأخنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمنين أن يعجب بثرته بل لا يخلو المؤمنين عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق السال في أخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك قصيره إلى الخزي والبوار فكيف يجب بماله . الثامن : العجب بالرأى الخطأ . قال تعالى - أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا - وقال تعالى - وهم يحبون أنهم

نقلاته وانكسارته عن زهرة العالمين في ذلك ضل كثير لمن كثرت يومه وقد قيامة . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة سرا را عند كل نوم وعند الانتباه عنه ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فإما على جنبه الأيمن كالمحدود وإما على ظهره مستقبلا للقبلة كالملك المسجى ويقول يا حاك اللهم وضعت جنسي وبك أرفعه اللهم إن أمسكت نفسي فافقر لها وارحمها وإن أزلتها فاجعلها بما

(١) حديث رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جالس بجنبه قبر فالتفت عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام : أخشيت أن يبدو إليك فقره . (٢) في الزهد (٣) وقد تقدم أن در كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر ارفع رأسك فرفعت رأسي الحديث وفيه هذا عند الله خير من قرب الأرض مثل هذا إن حان في صحيحه .

محسبون صنعا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك ينقلب على آخر هذه الأمة (١) وبذلك  
 هلكت الأمم السالفة إذا فترقت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون ، وجميع أهل  
 البدع والضلال إنما أضروا عليها لحجيم بأرأهم والسبب بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى  
 والشهوة مع ظن " كونه حقا ، وعلاج هذا السبب أشد من علاج غيره لأن صاحب الرأى الخطأ جاهل  
 بخطئه ولوعرفه تركه ولا يبلغ الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فيفسد مدواته جدا لأن العارف  
 يقدر على أن يبين للجاهل جهله وزيده عنه إذا كان معجبا برأيه وجهله فإن لا يصح إلى العارف وجهه  
 قد سلب الله عليه بلية تهللكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الحرب بما هو  
 سبب سعادته في اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون متبعا لرأيه أبدا لا يفتقر به إلا أن يسجد له  
 قاطع من كتاب أوسنة أودليل عقل صحيح جامع لتسروط الأدلة ولن يعرف الإنسان أدلة التصريح  
 والعقل وتسروطها وما كان الفلط فيها إلا بغيره تاما فوعقل ثاقب وجد وتشر في الطلب ومحارسة للكتاب  
 والسنة وبجاسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الفلطي بضم الأمور  
 والصواب لمن لم يفرغ لاستمراق عمره في العلم أن لا يخوض في للذهب ولا يصح إليها ولا يسميها ولكن  
 يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه لا شيء ليس كشيء وهو السميع البصير - وأن رسوله صادق  
 فيها أخبره ويتبع سنة السلف ويؤمن بحجته ماجاد به الكتاب والسنة من غير بحث وتفتير وسؤال  
 عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشغل التقوى واجتناب المعاصي وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين  
 وسائر الأعمال فإن خاض في للذهب والبدع والتعصب في الملة تدهلك من حيث لا تشعر ، هذا حق  
 كل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم ، فأما الذي عزم على التجرد للعلم وأول مهم له  
 معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه والوصول إلى اليقين والمعرفة في أكثر اللطاب شديد  
 لا يقدر عليه إلا الأقوياء للزوائد بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا ، ففسأل الله تعالى العصمة  
 من الضلال ونموذبه من الاعتراض فيخالات الجاهل .  
 ثم كانت ذم الكبر والعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله  
 العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### ﴿كتاب ذم النور﴾

( وهو الكتاب العاشر من ربيع الهلكات من كتب إحياء علوم الدين )

### ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي بيده مقادير الأمور وقدرته مفاتيح الخيرات والنور ، وخرج أوليائه من الظلمات إلى  
 النور ، ومورد أعدائه ورطام النور ، والصلاة على محمد وخرج الخلائق من الديجور ، وعلى آله وأصحابه  
 الذين لم تخرم الحياة الدنيا ولم يخرم بالله النور ، صلاة تتوالى على محمد وهو مكرم الساعات والشهور .  
 [ أما بعد ] ففتاح السعادة التيقظ والنظرة ومنيع الشقاوة النور والشفقة فلا نعمة لله على  
 عباده أعظم من الإيمان والفرقة ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نعمة أعظم  
 من العكس وللصحة ، ولاداعي إليها سوى عمى القلب بظلمة الجاهلة لا كياس وأرباب البصائر

(١) حديث أنه ينقلب على آخر هذه الأمة الا عيب برأى هو حديث أن ثعلبة التميمي فادارأت شعبا  
 مطعنا وهو ميتا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فملك بكاسة وهو عند أبي داود والترمذي .

### ﴿كتاب ذم النور﴾

حفظ به عبادك الصالحين  
 اللهم إني أسألت نفسي  
 إليك ووجهت وجهي  
 إليك وفوضت أمري  
 إليك وألجأت ظهري  
 إليك رهبة منك ورفقة  
 إليك لا ملجأ ولا منجى  
 منك إلا إليك آمنت  
 بكتابك الذي أنزلت  
 ونبيك الذي أرسلت  
 اللهم قبي عذارك يوم  
 تمت عبادك الحمد لله  
 الذي حكم قهر الحمد  
 لله الذي بطن غير  
 الحمد لله الذي ملك  
 قدر الحمد لله الذي  
 هو بحبي للوني وهو  
 على كل شيء قدير اللهم  
 إني أعوذ بك من  
 غضبك وسوء عقابك

لنورهم كشكة فيها مصباح للصباح في رجاجة الرجاجة كأنها لوكب درى يؤسد من شجر مبارك زيتونة لشرقية ولاغرية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار نور على نور واثقون قلوبهم كطلمات في بحر لجى يشاه موج من فوقه موج من فوطة سحب ظلمات بضها فوق بضى إذا أخرج يده لم يكذبها ومن لم يصل الله له نور المسالة من نور فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فخرج صدورهم للإسلام والهدى والفترون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدورهم ضيقا رججا كأنما يصعد في السماء والنور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا ويق في المسمى فأخذ الموى قائدا والشیطان دليلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، وإذا عرف أن النور هو أم الشقاوات ومنبع الهلكات فلا بد من شرح مداخله وبجاريه وتخصيل ما يكثر وقوع النور فيه ليحذره المرید بعد معرفته فيقبه ظالمون من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد أخذ منها حذره وبقي على الحزم، والبصرة أمه ونحن نشرح أجناس مجاری النور وأصناف للفترون من القضاة والصلوات الصالحين الذين اعتزوا بعبادى الأمور، الجميلة ظواهرها القبيحة سرانها ونشر إلى وجه اختراقهم بها وعظمت عنها فان ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تنفى عن الاستقصاء وفرق للفترون كثيرة ولكن نجملهم بأربعة أصناف. الصنف الأول من العلماء. الصنف الثانى من العباد. الصنف الثالث من للتصوفة. الصنف الرابع من أرباب الأموال والفترون من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فإهم من رأى النكر معرونا كالذى يتخذ للسجد ويخرقها من لئال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسمى فيه لنفسه وبين ما يسمى فيه لله تعالى كالواظ الذى غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الأهم ويشغل بغيره ومنهم من يترك الغرض ويشغل بالرفة ومنهم من يترك الباب ويشغل بالفتن كالذى يكون همه فى الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لا تنضج إلا بتخصيل الدرق وصرى الأمثلة وليبدأ أولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم النور وبيان حقيقته وحده.

### (بيان ذم النور وحقيقته وأمثله)

اعلم أن قوله تعالى - فلا تنسكم الحياة الدنيا ولا ينسكم بالله النور - وقوله تعالى - ولن نسكنكم دنتم أشكم وزعمهم وارتبهم وغرتمكم الأمانه الآية. كاف فى ذم النور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حيدا نوم الأكياس وقطرم كيف يبينون سحر الحق واجتهادهم ولتقال ذوق من صاحب تنوى ويقين أضل من مله الأرض من للفترون (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وينهى عن الله (٢)» وكل ما ورد فى فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم النور لأن النور حياره عن بعض أنواع الجهل إذا الجهل هو أن يتخذ الشيء وراء على خلاف ماهو به النور هو جهل لأن كل جهل ليس بنور بل يستدعى النور فنوروا فيه محسوسا ومنوروا به وهو الذى يفره لهما كان الجهل وللشقيتيا يوافق الموى وكان السبب للوجب للجهل عيبة وغيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تكون دليلا لسمى الجهل الحاصل به غرور أو فتور هو سكون النفس إلى ما يوافق الموى ويحيل إليه الطبع عن عيبة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على غير ما فى الما قبل أو فى الآجل عن عيبة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم

وشر عباده وشر الشيطان وشر كد وشر آيات من البقرة الأربع من الأول الآية الخاصة - إن فى خلق السموات والأرض - وكية الكوسى، وآمن الرسول - وإن ربكم الله - وقالوا الله، وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والمؤذنين ويؤثبنهم فى يديه ويصعب جهاد وجهه وجسده وإن اضف إلى ما فرأعشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها غفن ويقول اللهم

(١) حديث جدا نوم الأكياس وقطرم الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين من قول أبى الدرداء بحره وفيه انقطاع وفى بعض الروايات أبى الورد موضع أبى الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث السكيتي من دلائل تنبيه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث شداد بن أوس



الحير وهم عثطون فيه فأكثر الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدّها غرور الكفار وغرور الصائغ والقساق فورد لهما أمثلة لطيفة التور . المثال الأول : غرور الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غرته الله التور أما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا التقد خير من النسيئة والدنيا تهدو الآخرة نسيئة فهمي إذن خير فلا بد من إشارتها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا ترك اليقين بالشك وهذه أقبيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال - أنا خير منه خلقتي من نار وخلقتي من طين - وإلى هؤلاء الإشارة بقوله تعالى - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعرون - وعلاج هذا التور إما بتصديق الإيعان وإما بالبرهان أما التصديق بمجرد الإيعان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله - ما عندكم ينفد وما عند الله باق - وفي قوله عز وجل - وما عند الله خير - وقوله - والآخرة خير وأبقى - وقوله - وما الحياة الدنيا إلا لمتاع التور - وقوله - فلا تركنك الحياة الدنيا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار قتلوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان (١) . ومنهم من قال نشدتك الله أبشك الله رسولا ؟ فكان يقول نعم فيصدق (٢) وهذا إيعان العامة وهو يخرج من التور ويترك هذا منزلة تصديق الصبي والده في أن حضور للكتب خير من حضور اللب مع أنه لا يدري وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فإن كل مغرور فلتورره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ الصفاء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه أسلان : أعدمهم أن الدنيا تهد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخرة قوله إن التقد خير من النسيئة وهذا على التلبس فليس الأمر كذلك بل إن كان التقد مثل النسيئة في المقدار والقصد فهو خير وإن كان أقل منها فالنسيئة خير فإن الكافر للتور يندل في تجارتها درهما يأخذ عشرة نسيئة ولا يقول التقد خير من النسيئة فلا تركه وإذا حذره الطبيب القواكه ولذا إذا الأظلمة ترك ذلك في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل فقد ترك التقد ورضى بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتبعون في الأحفار قدما لأجل الراحة والربع نسيئة فإن كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فأنسب لفة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فإن أقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشر من جزء من ألف جزء من الآخرة فكأنه ترك واحدا ليأخذ ألف بل يأخذ مالا ياله ولاحد جزء من ألف جزء من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدره مشوبة بأنواع اللذات والنصبات ولذات الآخرة صافية غير مكدره فاذن قد غلط في قوله التقد خير من النسيئة فهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور أطلق

(١) حديث تصديق بعض الكفار بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم من غير مطالبة بالبرهان هو مشهور في السنن من ذلك قصة إسلام الأنصار ويصتهم وهي عند أحمد من حديث جابر وفيه حق بشنا الله إليه من يرب فأوتياه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقره القرآن فينقلب إلى أهله فيفسدون بإسلامه الحديث وهي عند أحمد بإسناد جيد (٢) حديث قول من قاله نشدتك الله أبشك الله رسولا فيقول نعم فيصدق متفق عليه من حديث أنس في قصة ضمام بن ثعلبة وقوله فبني صلى الله عليه وسلم الله أرسلك للناس كلهم فقال اللهم نعم وفي آخره فقال الرجل آمنت بما جئت به ولأطرباني من حديث ابن عباس قال ضمام قال نشدتك به أهو أرسلك بما آتينا كتبك وآتينا رسلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن ندم اللات والعزى قال نعم الحديث .

أيقظني في أحب الساعات  
إليك واستمعاني  
بأحب الأعمال إليك  
التي تهربني إليك زلني  
وتبمدني من سخطك  
بدا أسألك فخطبني  
وأستغفرك فخطبني  
وأدعوك فتسجيب لي  
اللهم لا تؤثمني مكرك  
ولا تؤلني غيوك ولا  
ترفع عني شرك ولا  
تنسذ كرك ولا تعطيني  
من النافلين . ورد  
أن من قال هسذه  
الكلمات بث الله  
تعالى إليه ثلاثة  
أملك يوقظونه للصلاة  
فان صلى ودعا وأطاع  
دعائه وإن لم يتم صديت  
الأملك في المواد وكتب

وأريد به خاص فضل به للغرور عن خصوص معناه فإن من قال النقد خير من النسبة أراد به خير امن  
نسبة هي مثله وإن لم يصرح به وعند هذا يزعم الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك  
والآخره شك وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا أصليه باطل إذ اليقين خير من الشك إذا  
كان مثله والافتاجر في تمبه على يقين وفي ربحه على شك والتفقه في اجتهاده على يقين وفي إدراكه رتبة  
العلم على شك والصيد في ترده في المقتضى على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذا الحزم من ذنب العقلاء  
بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم تجر بقيت جائعا وعظم ضرري وإن  
انجرت كان نهي قليلا ورجحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع السكره وهو من الشفاء  
على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالاضافة إلى ما أخافه من  
المرض ولثوت فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قلائل وهو  
منتهى الصبر بالاضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة فإن كان ما قيل فيه كذبا فما يغوتى إلا التمس أيام  
حياتي وقد كنت في العلم من الأزل إلى الآن لا أتمم فأحسب أني بقيت في العلم وإن كان ما قيل صدقا  
فأبقى في النار أبدا الأبد وهذا لا يطابق . ولهذا قال علي كرم الله وجهه لبعض الملاحدين إن كان ما قلته  
حقا فقد تخلفت وتخلصا وإن كان ما قلته حقا فقد تخلصا وهلك ما قلته هذا من شك منه في الآخرة  
ولكن كلم للحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مغرور . وأما الأصل الثاني من  
كلامه وهو أن الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدر كان: أحدهما: الإيمان  
والتصديق تقليدا للأنبياء والعلماء وذلك أيضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص  
ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علقته وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه  
النبث القلاني فإنه تطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين العلمية بل  
يشق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادى أو ممتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتأثر وقرائن الأحوال أنهم  
أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم منه بالطلب بل لا علم له بالطلب فيعلم كذبه بقولهم ولا يستند  
كذبهم بقوله ولا يتر في علمهم بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان ممتواهم مغرورا فكذلك  
من نظر إلى المقربين بالآخرة والخيرين عنها والقائمين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها  
وجدم خير خلق الله وأعلام رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء  
واتبعهم عليه الخلق على أصنافهم وشذ منهم أحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم  
إلى التمتع فطمع عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فجحدوا والآخرة وكذبوا  
الأنبياء فكما أن قول النبي وقول السوادى لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما وافق عليه الأطباء فكذلك  
قول هذا الفنى الذى استرقته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنبياء والأولياء والعلماء وهذا القدر  
من الامع ن كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به. وأما المدرك  
الثانى لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء والالهام للأولياء ولا تظن أن معرفة النبي عليه السلام لأمر  
الآخرة ولأمور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسباع منه كما أن معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه  
وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وإنما يختلف التقليد قط وحيثا فإن التقليد ليس بمعرفة  
بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء طارئون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأحياء كما هي عليها  
فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهداتهم  
سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونه من  
أمر الله الأمر الذى يقابل الهوى ، لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام ، وليس المراد بالأمر

لهم ثواب عبادتهم  
ويسبح ويحمد ويكبر  
كل واحد ثلاثا وثلاثين  
ويتم المسألة بإله إلا  
الله والله أكبر ولا حول  
ولا قوة إلا بالله العلى  
العظيم .

[ الباب السابع  
والأربسون في أدب  
الانتباه من التلوم  
والعمل بالليل ]  
إذا فرغ المؤمن من أذان  
المغرب صلى ركعتين  
خفيفتين بين الأذان  
والإقامة وكان العلماء  
يصلون هاتين الركعتين  
في البيت يسجلون بهما  
قبل الخروج إلى الجماعة  
كبلا يظن الناس أنهما

الشأن حتى يكون الراديه أنه من خلق الله قط لأن ذلك عام في جميع الخلوقات بل العالم عالمان عالم الأمر وعالم الخلق والله الخلق والأمر فالأجسام ذوات السكينة وللقادير من عالم الخلق إذا خلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزّه عن السكينة والتقدير فانه من عالم الأمر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بجماعه كسر القدر الذي يمنع من إنشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف غيره وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته وأنه في العالم الجسماني غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي التي به بمقتضى ذاته فاتها في جوار الرب تعالى وأنه أمر رباني وحنينه إلى جوار الرب تعالى له طبعه ذاتي لأن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له سولنا تكونوا كآدم بنسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - أي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومطنة استحقاقهم يقال فسقت الربطة عن كاملها إذا خرجت عن معيذتها الفطري وهذه إشارة إلى أسرارهم تزلزلت استحقاقهم ربانيتها العارفون وتشتت من سماع ألفاظها القاصرون فاتها تضرهم كما تضر رياح الورد بالجمل وتبر أعينهم الضعيفة كما تبر الشمس أبصار الحفائض وافتتح هذا الباب من سر القلب إلى عالم السكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادئ مقامات الأنبياء وآخر مقامات الأولياء وأول مقامات الأنبياء ولترجع إلى الغرض المطلوب فالقعود أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك يدفع إمامين تقليدي وإمامين بصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسننهم ويقادهم إذا ضيعوا أو امرأته تعالى وهجروا الأعمال الصالحة ولا بسوا الشبهات واللعنهم فهم مشاركون للكفار في هذا الفرور لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم أمرهم أخف لأن أصل الإيمان يصممهم عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكم أيضا من الفرورين فانه اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا إلى الدنيا وآثروها ومجرد الإيمان لا يكفي للفوز قال تعالى - وإن تفتار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقال تعالى - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم «الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه» (١) وقال تعالى - والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - فوجد للفرقة في جميع كتاب الله تعالى منوط بالآيمان والعمل الصالح جميعا لا بالآيمان وحده فهو أيضا مغرورون أعني للطغيين إلى الدنيا الفرحين به المترفين بنعيمها المهيئين لها الكارهين للموت خيفة قوات لذات الدنيادون الكارهين له خيفة لما بعده نهذ مثال الفرور بالدنيا من السكندر والمؤمنين جميعا . وفذكر للفرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فأما غرور الكفار بالله فثاله قول بعضهم في أنفسهم وبأسنهم إنه لو كان لله من معادفن أحق بهم من غيرنا ونحن أوفر حظافيه وأبعد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين للتجارين إذ قال - وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها متقبلا - وجملة أمرها كما نقل في التفسير أن الكافر منما بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخدم بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفي ذلك كله يظنه المؤمن ويقول اشتريت قصرا يفتى ويحرب ألا اشتريت قصرا في الجنة لا يفتى واشتريت بستانا يغرب ويغنى ألا اشتريت بستانا في الجنة لا يفتى وخدم لا يغنون ولا يجوتون وزوجة من الحور العين لا يوت وفي كل ذلك يرد عليه الكفار ويقول ما هناك شيء موافق من ذلك فهو أكاذيب وإن كان

سنة مرتبة فيقتدى بهم فطاعتهم أنهما سنة وإذا صلى المغرب صلى ركعتي السنة بعد المغرب يسجل بهما فاتها يرفضان مع الفريضة يقرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم يسلم على ملائكة الليل والصكرام الكاتبين فيقول مرحبا عملائك الليل مرحبا بالمسكين الكرمين الكاتبين اكتبوا في صحيفتي أني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق

(١) حديث الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم .

فليكنون لي في الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول لأوتين مالا وولدا - فقال الله تعالى ردّا عليه - أطلع الذئب أم أخذ عند الرحمن عهدا كلا - سورى عن خباب ابن الأرت أنه قال «كان لي على العاص بن وائل دين جئت أنقضه فلم يقض لي قتلتي إني أخذه في الآخرة» وقال لي إذ أصرت إلى الآخرة فإن لي هناك مالا وولدا أفنيك منه فأرسل الله تعالى قوله - أفرأيت الذي كفر بآتنا وقال لأوتين مالا وولدا (١) ه - وقال الله تعالى - ولئن أذقنا مرحمتنا من بعد ضراء مسته ليقولنّ هذا لي وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رجعت إلي ربي إن لي عنده للحسن - وهذا كله من القرور بالله . وسبه قياس من أفضية إبليس فمؤذ بالله منه ، وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لو لا وعدنا الله بما نحول - فقال تعالى جوابا لقولهم - حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير - ومرة ينظرون إلى المؤمنين ، وهم قراء شعث غير فيزدرون بهم ويستخفونهم ، فيقولون - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - ويقولون - لو كان خيرا ماسبقونا إليه - وترتيب القياس الذي نظمته في قولهم أنهم يقولون قد أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن أضافي المستقبل كما قال الشاعر :

هكذا يحسن الله فيما مضى

وإنما يقبس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب إذ يقول لولأني كريم عند الله ومحجوب لما أحسن إلى والتبليس تحت ظنه أن كل محسن محب لابل تحت ظنه أن إنعامه عليه في الدنيا إحسان فقد اغتر بالله إذ ظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان . ومثاله أن يكون لرجل عبدان مفران يفض أحدهما ويجب الآخر ، فالذي يحبه يمنه من اللب ويلزمه للكتب ويحبسه فيه ليلته الأدب ويمنه من الفؤاد وملاذ الأطعمة التي تفرد وسبقه الأدوية التي تنفعه والذي يفضيه يهمله لجيش كيف يبرد فيلبق ولا يدخل للكتب وبأ كل كل ما يشتهي فيظن هذا البذل للهمل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه مكثه من شهوته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يمنه ولم يحجر عليه وذلك محض القرور وهكذا فهم الدنيا ولذاتها فافهمها ملكات ومبشرات من الله فإن الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحمي كأي حمي أحدكم مرض من الطعام والشراب وهو يحبه (٢) هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر . وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجبت عقوبته ورأوا ذلك علامة للقت والاهمال ، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين . والقرور إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله ، وإذا أصرفت عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال - فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمته ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن - فأجاب الله عنه ذلك - كلا - أي ليس كما قال إنما هو ابتلاء فمؤذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت فين أن ذلك غرور . قال الحسن كذبهما جمعا بقوله كلا يقول ليس هذا بأكراهي ولا هذا بهوان ولكن الكريم من أكرمه بطاعته غنيا كان أو فقيرا . وللهان من أهنته بمصيق غنيا كان أو فقيرا وهذا القرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة أو بالتقليد . أما البصيرة فبأن يعرف وجه كون الالتفات

(١) حديث خباب بن الأرت قال كان لي على العاص بن وائل دين جئت أنقضه فمؤذ بالله منه فأرسل الله تعالى قوله - أفرأيت الذي كفر بآتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٢) حديث إن الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه الحديث الترمذي وحسه والحاكم ومعه من حديث قتادة بن النعمان .

والشفاعة والصلوات واللباز حق ، وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور اللهم أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتي إليا . اللهم احطط بها وزري واغفرها ذنبي وقتلها بيازاني وأوجب لي بها ما أمانى وتجاوز عني بأرحم الراحمين فإن واصل بين المشاهدين في مسجد جماعته يسكنون جامعا بين الاعتراف ومواصلته المشاهدين وإن رأى انصرافه إلى منزله وأن للواصلين بين المشاهدين

إلى شہوات الدنيا بعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا إلى الله ويدرك ذلك بالإلهام في منازل العارفين والأولياء وشرحه من جملة علوم الكاشفة ولا يبق بطل العامة. وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى وصدق رسوله وقد قال تعالى - أيحسبون أن ما نعدهم به من مال وبنين ناسرع لهم في الخيرات بل لا يشعرون - وقال تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يملكون - وقال تعالى - فتحنا عليهم أبواب كل شيء إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بئنة فإذا هم يملكون - وفي تفسير قوله تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يملكون - أنهم كلما أخذوا ذنبا أخذنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى - إنما نملئ لهم ليزدادوا إنما - وقال تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار - إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الضرر فإن منشأ هذا الضرر الجهل بالله وصفاته فإن من عرفه لا يأمن مكروه ولا يفتن بأشكال هذه الحيلالات القاسدة وينظر إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا فقال تعالى - هل تحس منهم من أحد - الآية وقد حذر الله تعالى من مكروه واستدراجة فقال - فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - وقال تعالى - ومكروا مكرا ومكرونا مكرا وهم لا يشعرون وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير للماكرين - وقال تعالى - إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيد الفهل الكافرين أمهلهم وريدا - فكلا لا يجوز للعبد للهمل أن يستدل بأعمال السيد إياه وتمكنه من النعم على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرا منه وكيدا مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه فإن يحب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجة أولى فأذن من آمن مكر الله فهو مفترو ومنشأ هذا الضرر أنه استدلل بنعم الدنيا على أنه كريم عند ذلك للنعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الموان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب إلى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على السكرامة وهذا هو حد الضرر . لكأن الثاني : غرور الصاة من المؤمنين بقوله إن الله كريم وإننا نرجو عفوه واتكالمهم على ذلك وإيهامهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية تخييرهم واغترارهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عظيم وأبى معاصي الصياد في بحار رحمته وإننا موحدون ومؤمنون فرجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجائهم الفهمك بصلاح الآباء وعلو رتبهم كافتقار العالوية بنسبهم وعما لفسيرة آدابهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آياتهم إذا تأوهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية التسقي والجور آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى قبياس الشيطان للعالية أن من أحب إنسانا أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءهم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة وينسى التورر أن نوحا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده معه في السفينة فلم يرد فكان من الترفيق - فقال رب إن ابني من أهلي - فقال تعالى - يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح - وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه ، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم وحلى كل عبد مصطفى استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر أمه لمرقة لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله (١) فهذا أيضا اغترار بالله تعالى وهذا لأن الله تعالى يحب اللطيف ويغض العاصي فكما أنه لا يفيض الأب الطليح يغضه لولده العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي

في بيته أسلم لعينه وأقرب إلى الاخلاص وأجمع لهم فافعل . وسئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - فقال هي الصلاة بين المشاءين وقال عليه السلام « عليكم بالصلاة بين المشاءين فانها تذهب بملأفة النهار وتذهب بآخره » ويجعل من الصلاة بين المشاءين ركعتين بسورة البروج والطارق ثم ركعتين بعد ركعتين يقرأ في الأولى عشر آيات من أول سورة البقرة والآيتين ويلحظ في

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم استأذن أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

عجه للأب للطبع ولو كان الحب يسرى من الأب إلى الولد لأوشك أن يسرى البغض أيضا بل الحق أن لأزور وازرة وزر أخرى ، ومن ظن أنه يتجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروي جرب أبيه ويصير عالما بتعلم أبيه ويصل إلى السكينة ويراه عيش أبيه فالتقوى فرض عين فلا يجرى فيه والد عن ولده شيئا وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى - يوم يفر للره من أخيه وأمه وأبيه - إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والسجب . فان قلت فأين الغلط في قول العصاة والتجار إن الله كريم وإن رجوعهم مستوفى مغفرته وقد قال أنا عدا ظن عبيد في قليلين في خيرا فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب . فاعلم أن الشيطان لا يخشى الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر محدود الباطن ولولا حسن ظاهره لما اغدست به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال لا الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله <sup>(١)</sup> وهذا هو التقى على الله تعالى غير الشيطان اسمه فجاه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال إن الذين آمنوا والذين هاجروا واجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - يعني أن الرجاء بهم أبقى وهذا أنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى - جزاء بما كانوا يعملون - وقال تعالى - وإنما توفون أجوركم يوم القيامة - أقرى أن من استعجز على إصلاح أوان وشرط له أجره عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاه الأجير وكسر الأواني وأفسد جمعياتهم جلس ينتظر الأجر ويزعم أن للتاجر كريم أقره العقلاء في انتظاره متعبا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والفرقة قيل للحسن قوم يقولون ترجوا الله ويضعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانتهم يرجون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه . وقال مسلم بن يسار : لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل إنالرجو الله قال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكأن الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجمع أو جامع ولم ينزل فهو متعوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكأن أنه إذا نكح ووطئ . وأزل بقي مرتددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرمح وعن الأم إلى أن يتم فهو كئيس فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مرتددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عابه وأن يختم به بالسوء ويرجو من الله تعالى أن يشنه بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات اللوت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الليل إلى الشهوات بنية عمره حتى لا يعيل إلى المعاصي فهو كئيس ومن عدا هؤلاء فهم الفرورون بالله - وسوف يطون حين يرؤن العذاب من أهل سيلا - . ولعلمن بناء بعد حين - وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم - ربنا أصرنا وصمنا فأرجنا نعمل صالحا إنا موقنون - أي علمنا أنه لا يولد إلا بوقوع ونكاح ولا ينبت زرع إلا بمحراة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فأرجنا نعمل صالحا قد علمنا الآن صدقك في قولك - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى - . كما أتى فيها فوج أسلم خزتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير - أي ألم نسلمك سنة الله في عباده وأنه - توفي كل نفس ما كسبت - . وأن - كل نفس بما كسبت رهينة - فما الذي عرکم الله بعد أن سمعتم وعقلتم - قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير -

(١) حديث الكيس من دان نفسه تقدم قريبا .

واحد إلى آخر الآيتين  
وخمس عشرة مرة قل  
هو الله أحد في الثانية  
آية الكرسي وأمن  
الرسول وخمس عشرة  
مرة قل هو الله أحد  
وقرأ في الركعتين  
الأخيرتين من سورة  
الزمر والواقعة ويصلى  
بعد ذلك مائة فان  
أراد أن يقرأ شيئا من  
حزبه في هذا الوقت  
في الصلاة أو غيرها  
وإن شاء صلى عشرين  
وكلمة خفيفة بسورة  
الاخلاص والشفاعة  
ولو واصل بين العشاءين  
بركعتين يطيلهما  
حسن وفي هاتين  
الركعتين يطيل القيام

فان قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه الممود . فاعلم أنه محمود في موضعين : أحدهما في حق العاصي للهكم إذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وآتي تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا أن يقيم القنوط بالرجاء ويتذكر - إن الله يفر الذنوب جميعا - وأن الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأن التوبة طاعة تستكر الذنوب قال الله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنبأوا إلى ربكم - أمرهم بالإنابة وقال تعالى - وإني لنفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - فإذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وإن توقع للمغفرة مع الإصرار فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطره أن يسمى إلى الجمعة فقال له الشيطان إنك لا تدرك الجمعة فأتم على موضعك فكذب الشيطان وصرا يمدو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج وإن استمر على التجارة فأخذ يرجو تأخير الانعام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت وأول أجل غيره أو لسبب من الأسباب التي لا يعرفها فهو مغرور. الثاني أن تفر نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على القرائن فيرجى نفسه نعيم الله تعالى وما وعده الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - إلى قوله - وأولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون - فالرجاء الأول يقيم القنوط للناصح من التوبة والرجاء الثاني يقيم القنوط للناصح من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب قنوطا في العبادة وركونا إلى البطالة فهو غرّة كما إذا خطر له أن يترك الذنوب ويشغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك ولإيذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرّة وعند هذا واجب على البعد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول إنه مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وإنه مع أنه كريم خلد الكفار في النار أبد الآباد مع أنه لم يضره كفرهم بل سلب المذاب والمحن والأمراض والملل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على إزالتها فمن هذه سته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا أخافوه كيف أغترّ به فالحوف والرجاء قائدان وسائقان يثان الناس على العمل فلا يبحث على العمل فهو متين وغرور ورجاء كاذبة الخلق هو سبب قنوطهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إغراضهم عن الله تعالى وإهمالهم السعي للأخرة فذلك غرور قد أخبر <sup>عليه السلام</sup> وذكر أن المرور سبب على قلوب آخر هذه الأمة (١) وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الأعصار الأول يواظبون على العبادات ويؤتون ما أتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشهوات والشهوات ويكون على أنفسهم في الخلو وأما الآن ترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على المعاصي وانهم اكهم في الدنيا وإغراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم واتقون بكرم الله تعالى وفطره أجون لغيره ومغفرتهم كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالمعنى فلام إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبارواهم بعقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما خلق الثياب على الأبدان أمرهم كله يكون (١) حديث إن المرور يلب على آخر هذه الأمة تقدم في آخر فم الكبير والسحب وهو حديث أبي ثعلبة في إيجاب كل ذي رأى برأيه .

تاليا القرآن حزه  
أومكروا آية فيها الدعاء  
والتلاوة مثل أن يقرأ  
مكروا - ربنا عليك  
توكلنا وإليك أنبنا  
وإليك النصير - أو آية  
أخرى في مضاهها  
يكون جامعا بين  
التلاوة والصلاة والدعاء  
ففي ذلك جمع لهم  
وظهر بالفضل ثم صلى  
قبل المشاء أربعا  
وبعدا ركعتين ثم  
ينصرف إلى منزله  
أو موضع خلوته فيصلي  
أربعا أخرى وقد كان  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يصلي في بيته أول  
ما يدخل قبل أن يجلس  
أربعا ويقرأ في هذه

طمعا لا خوف معه إن أحسن أحمدم قال يتقبل مني وإن أساء قال يفترلي (١) وأخبر أنهم يسمعون الطمع موضع الخوف لجلبهم بتخويجات القرآن وما فيه ويثله أخبر عن النصارى إذ قال تعالى - خلفهم من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى أي شهواتهم من الدنيا بما كان آحادا ولا وقد قال تعالى - ولئن خاف مقام ربه جنتان - ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعبدوا القرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف لا يفكر فيه منفكر إلا يوطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمنا بما هو تولى الناس بهذونه هذا يخرجون الحروف من عمارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأهم بقرونها شعرا من أشعار العرب لا يهتمم الالتفات إلى معانيه والعمل بمساقفه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فائدة أمثلة الفرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والفرور وقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصي إلا أن معاصيهم أكثر هم يتوقون للنفرة ويظنون أنهم ترجع كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل قرئ الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضغاث لغول ولعل ما تصدق به من أموال المسلمين وهو يشك عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصديق بشئ من الحرام أو الحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله، نعم . ومنهم من يظن أن طاعته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يفقد معاصيه إذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالتى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم ينتاب المسلمين ويمزق أعضائهم ويتكلم بالمبارض الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره إلى عديبته حتى أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هدياته طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة وألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال - ما يلفظ من قول لا إله إلا الله رقيب عتيد - فهذا أبدا يتأمل في فضائل التسبيحات والتليلات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة للتائبين والسكاكين والناسمين والناقين يظهرون من الكلام ما لا يضرهم إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك بعض الفرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجره النسخ لما يكتبونه من هدياته الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في قراته كان بعده ويعسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجره نسخه فياجها لمن يحاسب نفسه ويمتنع خوفا على قباط يفته في الأجرة على النسخ ولا يمتنع خوفا من فوت الدروس الأعلى ونعمه ماهذه الإصصية عظيمة لمن تفكر فيها لقد دفنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحقى للفرورين فإهذه أعمال من يصدق بمجاهاه القرآن وإنا نبرأ إلى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه النفقة والفرور على القلوب أن يحنى ويتق ولا يشتره استكلا على أباطيل التى وتمايل الشيطان والهوى والله أعلم .

( بيان أصناف للقرين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف )

الصنف الأول : أهل العلم والفترون منهم فرق - ففرقة أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتمتعوا فيها واشتغلوا بها وأعملوا تنقد الجوارح وحفظها عن اللعاصي وإزالتها الطاعات واغترتوا بملهم وظنوا (١) حديث مقل بن يسار يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال الحديث أبو منصور الدبسى في مستند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه يسند فيه جهالة ولم أره من حديث مقل .

الأربع سورة لقمان  
ويس - وح - الدخان  
وتبارك الملك وان أراد  
أن يخفف فيقرأ فيها  
آية الكرسي وآمن  
الرسول وأول سورة  
الحديد وآخر سورة  
الحشر وصلى بعد  
الأربع إحدى عشرة  
ركعة يقرأ فيها ثلاثمائة  
آية من القرآن من  
- والساء والطارق - إلى  
آخر القرآن ثلاثمائة آية  
هكذا ذكر الشيخ  
أبو طالب للشيخ رحمه  
الله وإن أراد قراءتها  
القدر في أقل من هذا  
العدد من الركات  
وإن قرأ من سورة



أنهم عند الله بئكان وأنهم قد بلنوا من العلم بلننا لايجذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وأنه لايطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون قاتهم لو نظروا بين البصيرة علموا أن العلم علان علم محاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالمادة علم اللرفة وفقاً للعلم بالمحاملة كعرفة الحلال والحرام وعرفة أخلاق النفس للتمومة والممودة وكيفية علاجها والقرار منها ففى علوم أنراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلايتمته دون العمل فثالث هذا كمرىض به علة لايزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لايعرفها إلا حدائق الأطباء فيسمى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فسلمه الدواء وفصله الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها يجتلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعجنه فتمت ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويعلمها للمرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أقرى أن ذلك يخفى عنه من مرضه شيئا هيهات هيهات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لمضنه ذلك من مرضه شيئا إلا أن يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما علم وشربه يصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحياء وجميع شروطه وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفاؤه فكيف إذا لم يشربه أصلا فهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يجعلها وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق للتمومة ومازكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق للممودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذا قال تعالى قد أقطع من زكاه لم يقل قد أقطع من تعلم كيفية تركها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقوله الشيطان لا يفرئك هذا النال فان العلم بالدواء لا يزيل لمرض وإنما مطلبك القرب من الله وثوابه والتمس بحب التواب ويتولى عليه الأخبار الواردة في فضل العلم فان كان السكبن معنوها مغرورا وافق ذلك مراده وهوا فاطمان إليه وأهمل العمل وإن كان كسيفا يقول للشيطان أذكرنى فضائل العلم وتنسيفى ماورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلومه فكيفه كمثل الكلب - وكفوله تعالى - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجار يحمل أسفاراً فأتى أعظم من القليل بالكلب والجار وقد قال عليه السلام «من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد دما» (١) وقال أيضا «يلقى العالم في النار فتندلق أفتاها فيدور بها في النار كما يدور الجار في الرعى» (٢) وكفوله عليه الصلاة والسلام «شر الناس العلماء السوء» (٣) وقول أبي الدرداء: «ويل للذى لا يعمل مرقه لوشاء الله لعله ويول للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات : أى أن العلم حجة عليه إن يقال له ماذا عملت فبما عملت وكيف قضيت شكر الله وقال عليه السلام «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلومه» (٤) فهذا أمانة له ما أوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أن هذا فيما لا يوافق هوى العالم الفاجر وماورد في فضل العلم يوافق فيه الشيطان قلبه إلى ما يهواه وذلك عين التورر فانه إن نظر بالبصيرة فثالثا لما ذكرناه وإن نظر بين الاعيان فالثانى أخره بفضيلة العلم هو الذى أخره بنم العلماء السوء وإن حالهم عند الله أشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده أنه لم خير مع تأكد حجة الله عليه غاية التورر وأما الذى يدعى علوم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يعمل العمل ويضيع أمر الله وحدوده فهو رءا أشد ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف فأخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وطولوه وعرضه وعاداته وعجله

(١) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى الحديث تقدم في العلم (٢) حديث يلقي العالم في النار فتندلق أفتاها الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث شر الناس علماء السوء تقدم في العلم (٤) حديث أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله تعالى بعلومه تقدم فيه

لذلك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وإن لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلى عشر مرات إلى أكثر ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجيد إلا أن يكون واتقا من نفسه في عاداتها بالانتباه للتهجد فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجيد حيث أفضل وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتعبد يسلى ركعة يشفع بها وتره ثم يتفلسف ما شاء ويوتر في آخر ذلك وإذا كان الوتر من أول

ولم يتعرف ما يحبه ويكره وما يهضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملابس الجميع ما يهضب به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زى وهيته وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطفا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا إليه بحرفته له ولنفسه واسمه وبهده وصورته وشكله وعادته في سياسة غلمانه ومعاملته بعينه فهذا مغرور جدا إذ لو ترك جميع ما عرفه واشتدل بحرفته فقط ومعرفته ما يكرهه ويحبه لكان ذلك أقرب إلى نيله للراد من قرب به والاختصاص به بل خصميره في التقوى وإتباعه للشهوات يدل على أنه لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأسامي دون اللغز إذ لو عرف الله حق معرفته لحبب واتقاء فلا يتصور أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفي كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الأسد فن عرف الله تعالى عرف من صفاته أنه يملك العالمين ولا يبالي ولا يسلخ أنه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله إلا ما مؤثقة وأيد عليهم المذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع ولذلك قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وفاقحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابنه مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاعتزاز بالله جهلا واستغنى الحسن عن مسألة فأجاب فقيل له إن قهواءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت قهيبا قط القهيب القاهم إليه الصائم هارم الزاهد في الدنيا وقال مرة القهيب لا يدارى ولا يمارى ينشر حكمة الله فان قيلت منه حمد الله وإن ردت عليه حمد الله فاذن القهيب من قده عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو السالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من اللثورين. وفرقة أخرى: أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا للمعاصي إلا أنهم لم يقتنعوا بغيرهم ليعو انصاف الصفات للتمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وإرادة السوء للأقران والنظراء وطلب الشهرة في البلاد والبلاد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرز عنها ولا يلتفت إلى قوله تعالى «أدنى الرياء شرك» (١) وإلى قوله عليه السلام «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» (٢) وإلى قوله عليه الصلاة والسلام «الحسد يأكل الحسنات كأن كل النار الحطب» (٣) وإلى قوله عليه الصلاة والسلام «حب الشرف واللبال يبتنان النفاق كما يبت الماء البقل» (٤) إلى غير ذلك من الأخبار التي أوردناها في جميع ربيع الهلكات في الأخلاق للمذمومة هؤلاء زينووا ظهورهم وأعمالوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله لا ينظر إلى صورك ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (٥) تصمدوا الأعمال وما تصمدوا القلوب والقلوب هو الأصل إلا لا ينحوا إلا من أتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كثير الحش ظاهرا جسي وباطنا نقي وكثيرون ظاهرا هم زين وباطنها جيفة أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستثار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل تصد للملك ضيافته إلى داره فبجسي باب داره وترك الزابل في صدر داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال إليه رجل زرع زراعا فنبت ونبت معه حشيش فيصده فأمر بتنقية الزرع عن الحشيش فيعلم من أصله فأخذ يجز رءوسه وأطرافه فلا تزال تخرى أصوله فتختب لأن مفارس المعاصي هي الأخلاق البسيمة في القلب فمن

البل يصل بعد الور  
ركبتين جالسا يقرأ  
فيهما يذا زلفت  
والهاكم وقيل هل  
الركبتين قاعدا بمنزلة  
الركمة قاعدا يشفع له  
الور حتى إذا أراد  
التجهد يأتي به ويوتر  
في آخر تهجده ونية  
هاتين الركبتين نية  
التفل لا غير ذلك  
وكثيرا ما رأيت الناس  
يتفاوضون في كيفية  
نيتها وإن قرأ في كل  
ليلة السبعات وأضاف  
إليها سورة الأمل  
فصير ستا قد كان  
العلماء يقرءون هذه  
السورة ويترقبون  
بركتها فإذا استيقظ

- (١) حديث أدنى الرياء شرك تخدم في ذم الجاه والرياء (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تخدم غير مرة (٣) حديث الحسد يأكل الحسنات الحديث تخدم في العلم وغيره (٤) حديث حب الشرف واللبال يبتنان النفاق في القلب الحديث تخدم (٥) حديث إن الله لا ينظر إلى صورك

لا يظهر القلب منها لانهم له الطاعات الظاهرة لإماع الآفات الكثيرة بل هو كرمض ظهر به الجرب موقد  
أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادتة من باطنه فتقش بالطلاء وترك  
الدواء وبقي يقال ما يزيد في المادة فلا يزال يطلى الظاهر والجرب دائم به تنفجر من المادة التي في الباطن  
وفرقة أخرى : علوا أن هذه الأخلاق الباطنة مذمومة من جهة التسرع لإلتانهم لصيهم بأنفسهم  
يظنون أنهم منفكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يتنليم بذلك وإنما يتلى به العوام دون من  
بلغ مبلغهم في العلم فأما هم فأعظم عند الله من أن يتنليم ثم إذا ظهر عليهم غوائل الكبر والرياسة وطلب  
المو والشرف قالوا ما هذا كبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام  
أنف المخالفين من البتدعين وإن لولبت البدون من الثياب وجلس في البدون من المجالس لثمت  
بأعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي دلا على الاسلام ونسب للفرور أن عدوه الذي حذر منه مولاه  
هو الشيطان وأنه يفرح بما يغضه ويسخر به ونسب أن النبي صلى الله عليه وسلم بمجاد نصر الدين  
وبمجاد أرغم الكافرين ونسب ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقتاعة بالفقر والسكنة  
حق عوتب عمر رضى الله عنه في بذادة زيه عند قدومه إلى الشام فقال : إنا قوم أمزنا الله بالاسلام فلا  
نطلب العز في غيره ثم هذا للفرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديق والابريص  
الحرم والجبول والراكب وزعم أنه يطلب بعز العلم وشرف الدين وكذلك مهما أطلق اللسان بالحسد  
في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال إنما هذا غضب  
للحق ورد على البطل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يتعدأه لوطن في غيره من أهل العلم  
أومنعه غيره من رياسة وزوجهم فيها كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه فأم  
لا ينضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من حيث  
باطنه وهكذا يرى بأعماله وعلومه وإذا خطر له خاطر الرياء قال هيات إني أغرضي من إظهار العلم  
والعمل اقتداء الخلق بى ليهتدوا إلى دين الله تعالى فينتخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل للفرور  
أنه ليس يفرح باقتداء الخلق بشيئه كما يفرح باقتدائه به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم  
على يد من كان كرم له بعيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يغرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على  
يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضا ويقول إنما ذلك لأنهم إذا اعتدوا بى كان  
الأجر لى والثواب لى فإنيما فرحى ثواب الله لا بقبول الخلق قولى هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره  
على أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الحقول وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في  
منجن وقيد بالاسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل الاسلاسل حتى يرجع إلى موضه الذي به تظهر رياسه  
من تدريس أو وعظ أو غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد إليه ويثنى عليه ويتواضع له وإذا  
خطر له أن التواضع للسلطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيات إنما ذلك عند الطمع في ما لهم فأما  
أنت فترضك أن تشفع للسليين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه  
أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبوله عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن  
جميع السليين قل ذلك عليه ولو قدر على أن يقيح حاله عند السلطان بالطن فيه والكذب عليه  
لفعل وكذلك قد يتهنى غرور بعضهم إلى أن يأخذ من ما لهم وإذا خطر له أن يحرام قال له الشيطان  
هذا مال لا مال له وهو لصالح للسليين وأنت إمام للسليين وعالمهم وبك قوام الدين ألا فعل لك أن تأخذ  
قدر حاجتك فيقترب بهذا التلبس في ثلاثة أمور : أحدها في أنه مال لا مال له فانه يعرف أنه يأخذ الخراج  
من السليين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الأمر وقوع الخطط

من النوم فمن أحسن  
الأدب عند الالتباه  
أن يذهب يباطنه إلى  
الله ويصرف فكره  
إلى أمر الله قبل أن  
يجول الفكر في شيء  
سوى الله ويشغل  
اللسان بالذكر فالصادق  
كالطفل الكلف بالكى  
إذا نام ينام على حبة  
الشيء وإذا اثنى  
يطلب ذلك الشيء  
الذى كان كلف به على  
حسب هذا الكلف  
والشفل يكون اللوث  
والقيام إلى الحشر  
فليظن ويعتبر عند  
اقتباه من النوم ما همه  
فانه هكذا يكون عند  
القيام من القبر إن

في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخالطها فلا خلاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لأمالك له ويجب أن يقسم بين الشرة ويرد إلى كل واحد عشرة وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله إنك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ، ولعل الدين قد دبتهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرئاسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الدين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فوجب التحقيق دجال الدين وقوم مذهب الشياطين لإمام الدين إذا الإمام هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف . والدجال هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعل موشع هذا أشنع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام لعالم سوء إنه كصخرة وقست في فم الوادي فلا هي تشرب للماء ولا هي تترك الماء فخلص إلى الزرع وأنصف غرور أهل العلم في هذه الأعصار للتأخرة خارجة عن الحصر وفيها ذكر تأنيبه بالقليل على الكثير ، وفرقة أخرى أحكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر المعاصي وتقدموا أخلاق النفس وصفات القلب من الريا والمجد والحق والكبر وطلب التواضع واجهادوا أنفسهم في التبري منها وقفلوا من القلوب منها بها الجلية القوية ولكهم بعد مرورون إذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكاييد الشيطان وخبايا خداع النفس ماذق وغصن مدركه فلم يفتنوا لها وأهلوها وإعما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وقتش عن كل حشيش رآه فقلعه إلا أنه لم يفتش على ما لم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وطن أن الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من أصول الحشيش شجلب لطف فانبسجت تحت التراب فأعلمها وهو يظن أنه قد اقتناها فإذا هو بها في غفلته وقد نبت وقويت وأفست أصول الزرع من حب لا يدري فكذلك العالم قد فعل جميع ذلك ويهمل عن الرقابة للعنايا والتفتد للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وتزنيها وتحسين ألفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى أن باعته الحرس على إظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعته الحق هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف وكثرة الرحلة إليه من الأفاق وانطلاق الألسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وإيثاره في الأغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتفتد بحسن الاصفاء عند حسن اللفظ والابراء والتفتد بتعريض الرؤوس إلى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والأتباع والسفدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية من بين سائر الأقران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن من إطلاق لسان الطعن في الكافة القليلين على الدنيا لاعتناءهم بمسببة الدين ولكن عن إدلال بالخيال واعتداد بالتخصيص ولعل هذا للسكين للفرور حياته في الباطن بما انتظم له من أمر وإمارة وعز واتحاد وتوقير وحسن ثناء فلو تفتت على القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فسامي تشوش عليه قلبه وتغلط أوراذه ووظائفه وعسا يعتد بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج إلى أن يكذب في تقطيع عيونه وعسا يؤثر بالكرامة وللراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبؤ قلبه عن عرف حقه وورعه وإن كان ذلك على وفق حاله وعسا يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع وإعما ذلك لأنه أطوع له وأتبع لمراذه وأكثر ثناء عليه وأشد إعسا إليه وأحرص على خدمته وللملم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لا خلاصه وصده وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى في ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية في عسا له ووعده بتلك التواب في إيثاره الخمول

كان همه الله فيه هو وإلأنهم غير الله واليد إذا انتبه من النوم فباطنه عائد إلى طهارة القطرة فلا يدع الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور القطرة الذي انتبه عليه ويكون فأرا إلى ربه يباطنه خوفا من ذكر الأغيار ومهسا وفي الباطن بهذا للبار قد اتقى طريق الأنوار وطرق النضجات الإلمية فقدر أن تنصب إليه أقسام الليل أصباها ويصير جناب القرب له موقلا ومأبا ويقول

والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقد في العزلة ولا إخفاء لذة القبول وعزة الرئاسة ولعل مثل هذا هو للراد بقول الشيطان من زعم من بنى آدم أنه بعله امتنع من قبحه ووقع في حباله وعساه يصنف ويجهتد فيه طائفاً أنه يجمع علم الله ليتفقه به وإنما يريد به استطراد اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدح تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه إلى نفسه قل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى الصنف والله يعلم بأنه هو الصنف لا من ادعاه وله في تصنيفه لا غلوم من الثناء على نفسه إما صريحاً بالمدح أو الطوية العريضة وإما ضمناً بالطنن في غيره ليستبين من طعنه في غيره أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علماً وقد كان في غيبة عن الطعن فيه ، وله يحكى من السلام للزيف ما يزيد تزييفه فيمزيه إلى قائله وما يستحسنه قلله لا يزيه إليه ليظن أن من كلامه فيقله بينه كالسارق له أو يشبهه أدنى تغيير كالذي يسرق قميصاً فيتخذ به قباء حق لا يعرف أنه مسروق ، وله يجتهد في تزيين ألفاظه وتسجيته وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الزكاة ويرى أن غرضه ترويج الحكمة ونحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى شمع الناس وعساده فلا يعمروا أن بعض الحكماء وضع ثلثاً من تصنيفه في الحكمة فأوحى الله إلى نبي زمانه قل له قد ملأت الأرض ثقافاً وإني لأقبل من ثقافتك شيئاً ولعل جماعة من هذا الصنف من للقرين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو اختلفوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يقبه وأنه أكثر بما أو غيره فيفرح إن كان أتباعه أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثر الأتباع منهم إذا انفرقوا واشتغلوا بالأفادة تآخروا وتحاسدوا ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا اقطع عنه إلى غيره يقل على قلبه ووجد في نفسه فقرة منه فيعد ذلك لاهتزاز طعنه لا كرامه ولا يتشمر قضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما أتى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان أشنع له في دينه لأنه من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحداً منهم إذا تحرك في مبادئ الحسد لم يقدر على إظهاره فيتمثل بالطنن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول إنما غضبت لدين الله لأنفسى ، ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وإن أتى عليه بما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه يظهر أنه كارهه فية للسلين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك ، فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يظن له إلا الألكياس ولا يشزه عنه إلا الأقوياء ولا مطعم فيه لأمثال الثامن الضعفاء إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه فإذا أراد الله بعبده خيراً بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءت سميت به فهو مرجو الحال وأمره أقرب من للقرين للزكي لنفسه للمعن على الله بعمله وعلمه الظان أنه من خيار خلقه فتعوذ بالله من الغفلة والاعتقار ومن للفرقة بخفايا العيوب مع الإجمال ، هذا غرور الذين حصوا العلوم للهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ، ولذا ذكر الآن غرور الذين قموا من العلوم بحالهم فهم وتركوا اللهم وهم بمفترون إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم وإما لاتصايرهم عليه ، فمنهم فرقة اتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والمصنوعات وتفصيل الامارات الدينية الجارية بين الخلق لمصالح العباد وخصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم للذهب وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرصوا اللسان عن التثنية ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن الكسب إلى السلطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرصوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وما رتب الله الحكمة لهم لاعمروا ومن وجب من : أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثاهم

باللسان الحدقة الذى  
أحياناً يسد ما أمانتاً  
وإليه النشور ويقراً  
النشر الأواخر من  
سورة آل عمران ثم  
يقصد الماء الطهور  
قال الله تعالى - وينزل  
عليكم من السماء ماء  
ليطهركم به - وقال  
عز وجل - أنزل من  
السماء ماء فصالت  
أودية بقدرها - قال  
عبد الله بن عباس  
رضي الله عنهما للماء  
القرآن والأودية  
القبوب فصالت  
بقدرها واحتملت  
ما وسعت والماء مطهر  
والقرآن مطهر والقرآن  
بالنظير أجدر فالماء

مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لأبلى مثالمه مثال من به علة البواسير  
والبرسام وهو مشرف على الهلاك ويحتاج إلى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وتكرار  
ذلك ليلا ونهارا مع علمه بأنه رجل لا يحض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تنفع علة الاستحاضة  
لامرأة وتسلمني عن ذلك وذلك غاية النور فكذاك للتفقه للسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع  
الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر الهلكات الباطنة وربما يخطئه اللوث قبل التوبة والتلاقي  
فيلقي الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والإجارة والظهار واللعان والجراحات  
والديات والدعاوى والبيئات ويكتب الحيز وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه وإذا  
احتاج غيره كان في الفتن كثيرة فيشتغل بذلك وعمره على لما فيه من الجاه والرياسة والمال وقد  
دهاه الشيطان وما يشعر إذ يظن للفرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدرى أن الاشتغال  
بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين مصيبة ، هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد  
بالفقه وجه الله تعالى فانه وإن قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقليه  
فهذا غروره من حيث الصل ، وأما غروره من حيث العلم بحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم  
الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن في المحدثين وقال إنهم تفة  
أخبار وحيلة أسفار لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى باد الاجالة  
وعظمته وهو العلم الذي يورث الحوف والهبة والخشوع ويجعل على التقوى قرآنة آمنان الله مغترابه  
مشكلا على أنه لا بد وأن يرحمه فانه قوام دينه وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فتدرك  
المعلوم التي هي أهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما صم في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر أن ذلك  
الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المحفوظة والمرجوة ليستشعر القلب الحوف ويلزم التقوى إذ لا تعالى  
- فلو لا نخر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون -  
والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الأموال الجسدية والمعاملات وحفظ  
الأبدان بالأموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آفة الدين مركب ونسأ العلم المهم هو  
معرفة سلوك الطريق وقطع غيقات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى  
وإذا مات مولوا بتلك الصفات كان محبوبا عن الله فثاله في الانحصار على علم الفقه مثال من اقتصر من  
سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في أنه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقصود عليه  
ليس من الحج في شيء ولا يبيعه وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم  
الفقه على الخلافات ولم يعمه إلا تعلم طريق المجادلة والإلزام وإلحاق الخصوم ودفع الحق لأجل التلبؤ بالمجاهة  
فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات أرباب المذاهب والتفقد لسيوب الأقران والتلقف لأنواع  
التسبيبات المؤذية وهؤلاء هم سباع الإنس طبعهم الأيذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم إلا للضرورة وما يلزمهم  
لمباهات الأقران فكل علم لا يحتاجون إليه في المباحة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى يحمو  
الصفات المذمومة وتبديلها بالحمودة فانهم يستحضرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وإنما التحقيق  
عندهم معرفة تفاصيل الرعدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه القدين  
من قبلهم على الفتاوى لكن زادوا إذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق  
الجدل في الفقه بدع لم يفرها السلف ، وأما أدلة الأحكام فيشتغل عليها علم المذهب وهو كتاب الله  
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ما يهيما ، وأما جمل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع  
والتركيب والتدبئة فانما أبدعت لإظهار الغلبة والإلغام وإقامة سوق الجدل بها فزور هؤلاء أشد

يقوم غيره مقامه  
والقرآن والعلم لا يقوم  
غيرهما مقامهما ولا يسد  
مسدحا فالداء الطهور  
يطهر الظاهر والعلم  
والقرآن يطهران  
الباطن ويذهبان  
رجز الشيطان فالنوم  
خفة وهو من آثار  
الطبع وجدير أن  
يبتكون من رجز  
الشيطان لما فيه من  
الفقة عن الله تعالى  
وذلك أن الله تعالى أمر  
قبض القبضة من  
التراب من وجه  
الأرض فكانت القبضة  
جهة الأرض والجلدة  
ظاهرها جرة وباطنها  
أمة قال الله تعالى

كثيرا وأتبع من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى اشتغلوا بلم الكلام والمجادلة في الأمواء والرد على  
 المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة القالات المختلفة واشتغلوا بتمل الطرق في مناظرة  
 أولئك وإغماهم واقتروا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لبعد عمل إلا بإيمان ولا يصح إيمان  
 إلا بأن يتم جديهم وما سموه أدلة عقادهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وأنه لا إيمان لمن لم  
 يعتقد مذهبه ولم يتم علمهم ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها ثم هم فرقتان ضالقة وحققة فالضالة هي التي  
 تدعو إلى غير السنة والحققة هي التي تدعو إلى السنة والفرور شامل لجميعهم . أما الضالة فلنفلتباعن  
 ضلالها وظلتا بنفسها التجاه وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بغيرا وإنما أثبت من حيث إنها لم تثم  
 رأيها ولم تحكم أولا شروط الأدلة ومنهاجها فرأى أحدهم الشبهة دليلا وبالدليل شبهة . وأما الفرقة  
 الحققة فأنما اغترارها من حيث إنها ظنت بالجدل أنه أهم الأمور وأفضل القربات في دين الله ورحمت  
 أنه لا يتم لأحد دينه مالم يفصح ويبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرر دليل  
 فليس يؤمن أو ليس كامل الإيمان ولا مقرب عند الله فهذا الظن القاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل  
 والبحث عن القالات وهذياناات البدعة ومناقضاتهم وأهمالوا أنفسهم وقلوبهم حتى حمت عليهم ذنوبهم  
 وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدهم يظن أن اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه  
 لاتذاهه بالقلبة والإغما وقتة الرياسة وعن الالتواء إلى الذب عن دين الله تعالى بحيث يصيرته فلم  
 يلتفت إلى القرن الأول فان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيرا  
 من أهل البع والهوى فما جعلوا أعمارهم ودينهم غير ضال للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد  
 قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتكلموا فيه إلا من حيث رأوا حاجة وتوموا غايل يقول قد كروا  
 بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلاله وإذا رأوا مصرا على ضلالة هجره وأعرضوا عنهوا بضوئه  
 الله ولم يلزموا للاطلاع معه طول العمر بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السننوس السنة ترك الجدل  
 في الدعوة إلى السنة إذ روى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما ضل قوم قط بعد  
 هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» (١) وخرج رسول الله ﷺ يوما على أصحابه وهم يتجادلون ويخصمون  
 فغضب عليهم حتى كأنه فقي في وجهه حب الرمان (٢) حرمة من الغضب فقال: «ألهذا بعثتم أبا هذا أم لم  
 أن تضربوا كتاب الله بعضه بعضا انظروا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتهم عنه فاتهاوا فقد جرم  
 عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم إنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بحث إلى  
 كافة أهل اللك فلم يقدم معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سؤال الديراد إلزاما  
 جادلهم إلا بتلاوة القرآن للزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لأن ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها  
 الإشكالات والشبه ثم لا يقدر على معوها من قلوبهم وما كان يسجز عن مجادلتهم بالفتيات ودقائق  
 الأقضية وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والإلزام ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يضرخوا بها وقالوا لولمّا  
 أهل الأرض وهلكنا لم تنفضا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة  
 أكثر مما كان على الصباة مع اليهود والنصارى وأهل اللك وما ضيعوا العمر بتحري مجادلتهم فإنا  
 نضيق العمر ولا نصره إلى ما ينفضا في يوم قفرا وفاقتنا ولم نخوض فيها لا نأمن على أنفسنا الخطأ في  
 تفاسيله ثم ترى أن المتبع ليس يترك بدعته بمجده بل يزيده التصب والمحسومة تشددا في بدعته  
 فاشتغالى بمخاصمة نقي ومجادلتها ومجاهدتها لترك الدنيا للأخرة أولى هذا لو كنت لم أنعمن الجدل

(١) حديث ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل تقدم في العلم وفي آفات اللسان (٢) حديث  
 خرج يوما على أصحابه وهم يجادلون ويخصمون فغضب حتى كأنه فقي في وجهه حب الرمان الحديث تقدم.

- إلى خالق بشرام  
 طين - فالبشرة والبشر  
 عبارة عن ظاهره  
 وصورته والأدلة عبارة  
 عن باطنه وأدبيته  
 والأدلة مجمع الأخلاق  
 الحميدة وكان التراب  
 موطى أقدم إبليس  
 ومن ذلك اكتسب  
 ظلمة وصارت تلك  
 الظلمة مصحونة في طينة  
 الأدبي . ومنها الصفات  
 للذمومة والأخلاق  
 الرديئة . ومنها الفتنة  
 والسوء فاذا استعمل  
 الساء وقرأ القرآن أتى  
 بالمطهرين جميعا وبذهب  
 عنه رجز الشيطان  
 وأز وطأته وعكسه  
 بالعلم والخروج من

والحسومة فكيف وقد نيت عنه وكيف أدعو إلى السنة بترك السنة فالأولى أتفقد نفسي وأنظر من صفاتها ما ينصفه الله تعالى وما يحبه لأنزله عما ينصفه وأمسك بما يحبه . ورفقة أخرى : اشتغلوا بالوعظ والتذكير وأعلام رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا إلىها خلق إليها قد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء أشد الضرر لأنهم يجيئون بأنفسهم غاية الإعجاب ويظنون أنهم ماتبحروا في علم الهبة إلا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم مخلصون وما تقوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها مزهون ولولا أنه مقرب عند الله ما عرفه معنى القرب والحمد وعلم السلوك إلى الله وكيفية قطع النازل في طريق الله المسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى ويرى أنه من الراجين وهو من التترين للضمين ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى أنه من التوكلين على الله وهو من المتكئين على العز والجاه والمال والأسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من الراضين بل وصف الإخلاص فيترك الإخلاص في الوصف وصف الرياء ويذكره وهو يرأى بذكره ليتعدي فيه أنه لو أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق الرياء وصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء إلى الله وهو منه فار وعجوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقرب إلى الله وهو منه متباعد ويحث على الإخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات للضمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الحق وهو على الحق أشد حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لضاقت عليه الأرض بما رحبت وزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أفرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لما ت غما وحسدا ولو أتى أحد من الترددین إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه هؤلاء أعظم الناس غرة وأبدهم عن التنبه والرجوع إلى السداد لأن الرغبة في الأخلاق الحمودة وللفر عن للضمومة هو العلم بنوازلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يسأل وكيف سبيل تخوفه وإنما الخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف فم إن ظن نفسه أنه موصوف بهذه الصفات الحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعى مثلا حب الله لما الذي تركه من محاب نفسه لأجله ويدعى الخوف لما الذي امتنع منه بالخوف ويدعى الزهد لما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعى الأنس بالله فمقى طاب له الخلوة ومقى استوحى من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يتنزل بالخلوة إذا أحق به المريدون وراه يستوحى إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحى من محبوبه ويستروح منه إلى غيره فالأكياس يتمتعون أنفسهم بهذه الصفات وبطالون بها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموتقى من الله غليظ والمترون بحسنون بأنفسهم الظنون وإذا كشف النطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أوتابهم فيدور بها أحدهم كابدور الجار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأسرون بالحسب ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وإنسا وقع الضرر لهؤلاء من حيث إنهم يصادقون في قلوبهم شيئا ضميما من أصول هذه المأني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفضله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المأني فظنوا أنهم ما قنوا على وصف ذلك وما رزقهم الله هله وما ضغ الناس بكلامهم فيها إلا لتأصافهم بها وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والدرقة العلم وأن كل ذلك غير الاصناف بالصفة

حيز الجهول فاستمال الطهور أمر شرعى له تأثير في تور القلب بإزاء النوم الذي هو الحكم الطبيعي الذي له تأثير في تكدير القلب فيذهب نور هذا بظلمة ذلك ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مما مست النار وحكم أبو حنيفة رحمه الله بالوضوء من التهمة في الصلاة حيث رآها حكا طبيعا جالبا للآثم والإثم رجس من الشيطان والماء ينهب رجس الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من التية والكتنب وعند النصب لظهور



فلم يفرق أحاد المسلمين في الاضاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل بمراد ما منه  
وقل خوفه وظهر إلى الخلق ماله وصف في قلبه حب الله تعالى ، وإيما مثاله مثاله مريض يصف  
المرض ويصف دواءه بخصاته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرض لا يقدّر على وصف الصحة  
والشفاء وأمسيابه ودرجاته وأصنافه فهو لا يفرقهم في صفة المرض والاضاف بمراد ما يفرق في الوصف  
والعلم الطالب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجبل فكذلك العلم بالخوف والحب  
والنكول والزهد وسائر هذه الصفات غير الاضاف بمقتضاها ، ومن التيسر عليه وصف الحقائق  
بالاضاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا يعب في كلامهم بل منهاج وعظم منهاج  
وعظ القرآن والأخبار ووعظ الحسن البصري وأمثاله رحمة الله عليهم . وفرقة أخرى . منهم عدلوا  
عن التناج الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله على التدور في بعض  
أطراف البلاد إن كان ولنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطط وتلقيق كانت خارجة عن قانون التمرع  
والاعتقار طلبا للأغراب ، وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسبيح الألفاظ وتلقيقها فأكثر همهم  
بالأسجاع والاستمجاد بأشعار الوصال والفرق وغرضهم أن تكثروا في مجالسهم الزخرفات والتواجدولو  
على أغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا أو ضلوا عن سواء السبيل فإن الأولين وإن يصلحوا  
أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصحوا كلامهم وعظمهم ، وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله  
ويجرون الخلق إلى التورور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي ورغبة في الدنيا  
لا سيما إذا كان الواعظ متزينا بالثياب والحيل والرائب فانه تشبه هيئة من فرقه إلى قدمه بشدة  
حرصه على الدنيا فما يفسده هذا التورور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا ولا  
يغنى وجه كونه مغرورا . وفرقة أخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فهم  
يحتفظون بالكلمات على وجهها ويؤدونها من غير إحاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على التناثر ،  
وبعضهم في المحاريب ، وبعضهم في الأسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه إذا تميز بهذا القدر  
عن السوق والجنديّة إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الفرض وصار مغفورا  
له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن أن حفظه للكلام أهل  
الدين يكفيه ، وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى استغرقوا أوقاتهم في علم  
الحديث أعنى في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد الغريبة العالية فحمة أحدهم أن  
يدور في البلاد ويرى الشيخ يقول أنا أروى عن فلان ولقد رأيت فلانا ومضى من الاستناد ما ليس  
مع غيره ، وغرورهم من وجوه : منها أنهم كلمة الأسفار فانهم لا يصرفون العناية إلى فهم معاني  
السنّة ففهم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أن ذلك يكفهم . ومنها أنهم إذا لم يفهموا معانيها  
لا يسمعون بها وقد يفهمون بعضها أيضا ولا يسمعون به . ومنها أنهم يتركون العلم الذي هو فرض عين  
وهو معرفة علاج القلب ويشتغلون بتكثير الأسانيد وطلب المال منها ولا حاجة بهم إلى شيء من ذلك .  
ومنها وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضا لا يقيمون جرط السماع فإن السماع مجرده وإن  
لم تكن له فائدة ولكنه مهم في غسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ التفهم بعد الإثبات والعمل بعد  
التفهم فالأول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم التثمر وهؤلاء اقتصرُوا من الجحلة على السماع  
ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينাম والصبي يطلب  
ثم يكتب اسم الصبي في السماع فإذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يفهل ولا يسمع  
ولا يمتنى ولا يضبط وربما يشتغل بحديث أو نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه

النفس وتصرف  
الشرطان في هذه  
"واطن ، ولو أن  
التحفظ السراعي  
للمراقب الحساب كما  
انطلقت النفس في سباح  
من كلام أو ماسكة  
إلى غلبة الناس أو  
غير ذلك مما هو بمرسة  
تحليل عقد العزيمة  
كالخوض فيها لا يجرى  
قولا وفلا عقب ذلك  
بتجديد الوضوء لثبت  
القلب على طهارته  
وزاخرته ولصكان  
الوضوء لصفاء البصيرة  
بثابة الجفن الذي  
لا يزال خفّة حر كته  
يجلو البصر سوما جملها  
إلا العالمون - فتسكروا

لم يشعر به ولم يعرفه ، وكل ذلك جهول وغرور . إذ الأصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ، ورويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان هجرت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تضي لتسمع فتحفظ وتروي كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تفتري منه حرفاً ولو غيرك منه حرفاً أو أخطأ علمت خطأه ولحفظك طريقان : أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستدعيه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الأحوال . والثاني أن تكتب كما تسمع وتصحح للكتاب وتحتفظ حتى لا تنسى إليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غيروه فاذا لم تحفظه لم تشمر بتغييره فيكون محفوظاً بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكراً لما سمعته وتأمين فيه من التغيير والتحريف ، فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوزت أن يكون ما فيه مغيراً أو غارق حرفه منه للنسخة التي سمعتها لم يجر لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لذلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئاً يخالف ما فيه ولو في كلمة ، فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوقفت عليها لتقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى : ولا تقف ما ليس لك به علم - وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان إنا سمعنا ما في هذا الكتاب إذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح . وأقل شروط السماع أن يجري الجليح على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتأثير ، ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والمغفل والتائم والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصبي في اللهد ، ثم إذا بلغ الصبي وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازهم ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في اللهد لأنه لا يسمع ولا يحفظ . فالصبي الذي يلعب والمغفل والشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وإن استجراً جاهل فقال يكتب سماع الصبي في اللهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بأن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فما ينفع هذا وهو إنما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر إذا صار شيخاً على أن يقول سمعت بعد بلوغى أتى في صباى حضرت مجلساً يروى فيه حديث كان يقرع سمعى صوته ولا أدري ما هو فلا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز إثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لأنه سمع صوتاً غفلاً لجاز إثبات سماع صبي في اللهد وذلك غاية الجهول ، ومن أين يأخذ هذا ؟ وهل للسمع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ونضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأذاها كما سمعها <sup>(١)</sup> وكيف يؤذى كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا الخش أنوع الضرور وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيواً إلا الذين سمعوا في الصبا على هذا الوجه مع الثقة إلا أن للمحدثين في ذلك جاهوا وقبولاً غفلاً للساكنين أن يشترطوا ذلك فيقول من يجمع لذلك في حلقهم فينقص جاههم وتخل أيضاً أحاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدمو ذلك واقتضوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يقرع سمعه مدممة وإن كان لا يدري ما يجري ، وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم

(١) حديث نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها الحديث أصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد ابن ثابت والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود وقال الترمذي حديث حسن صحيح وابن ماجه قسط من حديث جبير بن مطعم وأئس .

فما ينبتك عليه تجد  
بركته وآثره ، ولو  
اغسل عند هذه  
للتجديدات والموارض  
والانتباه من النوم  
لكان أزيد في تور  
قلبه ولكان الأجدر  
أن البعد يقتل لكل  
فريضة بأذلا مجهوده  
في الاستعداد لمناجاة  
الله ويحسد غسل  
الباطن بصدق الإنابة  
وقد قال الله تعالى  
- متينين إليه واتقوه  
وأقيموا الصلاة -  
قدم الإنابة للدخول  
في الصلاة ولكن من  
رحمة الله تعالى وحكم  
الحقيقة السهلة السمحة  
أن يرفع الحرج ويعوض

علماء الأصول باللقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين أصول اللقه فهذا عرور هؤلاء ولوصمواعلى  
الشرط لكانوا أيضا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي إلقاء أعمارهم في جمع الروايات والأسانيد  
وإبرازهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق  
الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السباع فكان  
أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام « من حسن إسلامه للره تركه ما لا ينهيه <sup>(١)</sup> » فقام وقال  
يكفيني هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره ، فهكذا يكون سماع الأكياس الذين يحدرون التورور .  
وفرقة أخرى : اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغرب اللغة واغترروا به وزعموا أنهم قد غفر لهم  
وأهم من علماء الأمة إذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فأقنى  
هؤلاء أعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثلهم كمن غنى بجمع المعرفي تعلم  
الحط وتصحيح الحروف وتحسينها وزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تعلمها  
وتصحيحها ولو قل لم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الحط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقي زيادة  
على السكتاية وكذلك الأديب لو عقل لعرف أن لغة العرب كلمة الترك وللضبع عمره في معرفة لغة  
العرب كالضبع له في معرفة لغة الترك والمهند وإنما فارقها لغة العرب لأجل ورود الترجمة بها  
فيكون من اللغة علم التربين في الأحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فأما  
التمتع فيه إلى درجات لا تنتهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني  
الترجمة والعمل بها فهذا أيضا مغرور بل مثاله مثالي من ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في  
القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذ للتعود من الحروف المعاني وإنما الحروف ظروف وأدوات  
ومن احتاج إلى أن يشرب السكجيين ليزول ما به من الصفراء وضع أوقاته في تحمين القمح الذي  
يشرب فيه السكجيين فهو من الجهال الغرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءات  
والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها ونجدوا لها وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج إليه في  
تلم العلوم التي هي فرض عين غالب الأنصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر  
للمعمل والكالب بالاضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بطريق  
الاضافة إلى المعرفة ولب بالاضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر  
الأعلى العلم بمخارج الحروف والقائمون بهذه الدرجات كلهم منترون إلا من أخذ هذه الدرجات  
منازل فلم يرجع عليها إلا بقدر حاجته فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى لباب العمل فطالب  
بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيتها عن  
الشوائب والآفات فهذا هو للتعود المنحوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدع له ووسائل إليه  
وقصور له ومنازل بالاضافة إليه وكل من لم يبلغ القصد قد خاب سواء كان في المنزل القرب أو في المنزل  
البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها . فأما علم الطب والحساب والصناعات  
وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يشتد أصحابها أنهم يتألون المنفرة بها من حيث إنها علوم فكان  
الغرور بها أقل من التورور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمودة كما يشارك القشر  
اللب في كونه محمودا ولكن الحمد منه لعينه هو المنتهى والثاني محمود لا وصول به إلى المقصود  
الأنصى فمن أخذ القشر مقصودا وعرج عليه قد اغتر به . وفرقة أخرى : عظم غرورهم

(١) من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينهيه الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة  
وهو عند مالك من رواية أبي بن الحسين مرسل وقد تقدم .

بالوضوء عن الفضل  
وجوزأداء مفترضات  
بوضوء واحد دفعا  
للحرج عن عامة الأمة  
واللخوص وأهل  
العزبة مطالبات من  
بواطنهم تحكم عليهم  
بالأولى وتلجئهم إلى  
سلوك طريق الأئمة  
فاذا قام إلى الصلاة وأراد  
استفتاح التهجد يقول  
الله أكبر كبيرا والحمد لله  
كثيرا وسبحان الله  
بكرة وأصلا ويقول  
سبحان الله والحمد لله  
السمعات عشر مرات  
ويقول الله أكبر  
ذو الملك والملكوت  
والجبروت والكبرياء  
والعظمة والجلال

في قرن الفقه فظنوا أن حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق وأسأدوا تأويل الألفاظ للبهمة واغترتوا بالقواهر وأخطئوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتوى عما يكثر ولكن هذا نوع عم الكفاة إلا ألا كياس منهم فتشير إلى أمثلة : فمن ذلك خوام بأن المرأة متى أبرأت من الصداق برى الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسه إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الحق تضطر إلى طلب الخلاص خبرى الزوج لتخلص منه فهو إبراء لاطئ طيبة نفس وقد قال تعالى - فان طبع لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا - وطيبة النفس غير طيبة القلب قد يريد الانسان قلبه مالا تطيب به نفسه فانه يريد الحجابة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وإنما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لاعن ضرورة تخالبه حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونها فهذه مصادرة على التحقيق بأكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض فينظر إلى الإبراء الظاهر وأنها لم تكره بسبب ظاهر والا كراه الباطن ليس يطلع الحق عليه ولكن معها تسدى القاضي الأكبر في صيد القيامة للقضاء لم يكن هذا حسوبا ولا مفيدا في تحصيل الإبراء وذلك لا يحل أن يؤخذ مال إنسان إلا بطيب نفس منه فلو طلب من الانسان مالا على ملائمة الناس فاستحيا من الناس أن لا يصطبه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يصطبه ولكن خاف أن يهزأ الناس وخاف ألم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار الأيمن وهو ألم التسليم فسله فافترق بين هذا وبين الصادرة إذ معنى الصادرة إيلاء البدن بالصوت حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب يذل للال فيختار أهون الأيمن والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب لقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فإن الباطن عند الله تعالى ظاهر وإنما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لأنه لا يمكنه الوقوف على مافي القلب وكذلك من يعطى انشاء لشر لسانه أو لشر سماعته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بسد أن غفر له يارب كيف لي بخمسي فأمر بالاستحلال منه وكان ميتا فأمر ببدائه في صخرة بيت المقدس فنادى بأوريا فأجابك ليك يا بني الله أخرجتني من الجنة فسادا تريد ؟ فقال إني أسأت إليك في أمر فبه لي قال قد فعلت ذلك يا بني الله فأنصرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت ؟ قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال ليك يا بني الله فقال إني أذنبت إليك ذنبا قال ألم أهبك لك قال ألتأني ما ذكك الذنب قال ما هو يا بني الله ؟ قال كذا وكذا وذكر شأن المرأة فاضطع الجواب ، فقال بأوريا ألا تخشعني قال يا بني الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى أتف بمك بين يدي الله فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس حتى وعده الله أن يستوبه منه في الآخرة ، فهذا ينبغي أن الهبة من غير طيبة قلب لا يخذ وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون في الإبراء والمبة وغيرهما إلا إذا خلى الانسان واختياره حتى تنبت الدواعي من ذات نفسه لأن تضطر برواثة إلى الحركة بالحيل والازام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته وانها بهامها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان أراد به أن مطالبة السلطان والساعي سقطت عنه قد صدق فان مطعم نظرم ظاهر للملك وقد زال وإن ظن أنه يعلم في القيامة ويكون كمن لم يملك السال أو كمن باع لحاجته إلى البيع لاطئ لهذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم

والقدرة اللهم لك الحمد  
أنت نور السموات  
والأرض ولك الحمد  
أنت بهاء السموات  
والأرض ولك الحمد  
أنت تقوم السموات  
والأرض ولك الحمد  
أنت رب السموات  
والأرض ومن فيهن  
ومن عليهن أنت الحق  
وملك الحق ولقد ذك  
حق والجنة حق والنار  
حق والنبيون حق  
وعهد عليه السلام حق  
الله لك أسليت وبك  
آمنت وعليك توكلت  
وبك خاصمت وإليك  
حاجت فاغفر لي ما قدمت  
وما أخرت وما أسررت  
وما أعلنت أنت للقدم

«ثلاث مهلكات شح مطاع<sup>(١)</sup>» وإتصاص شحه مطاعا بما ضله وقبه لم يكن مطاعا قد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله مطلع على قلبه وجهه اللال وحرصه عليه وأنه بلغ من حرصه على المال أن استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهد والقرور ومن ذلك بإحاطة الله حال الصالح لفتيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء للقرورون لا يميزون بين الأمان والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل حال تم رعوتهم إلا به يرونه حاجة وهو محض القرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها في العبادية وسلوك طريق الآخرة فكل ماتوا له البعد للاحتساب به على الدين والعبادة فهو حاجته وماعدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولودعنا نصفه غرور الفقهاء في أمثال هذا لأننا فيه مجلدات والقرور من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاحتساب فإن ذلك يطول . الصنف الثاني : أرباب العباد والعمل والقرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الزود ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بتبجح من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور إلا الأكياس وقليل مام . فمنهم فرقة : أهملوا الفرائض واشتغلوا بالتضائل والتوافل وربما تصمقوا في التضائل حتى خرجوا إلى الصدوان والسرف كالتي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى للماء المحكوم بطهارته فيقوى الشرع ويقدّر الاحتمالات البعيدة قربة في النجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القربة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو اغتلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة إذ توسأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال تخافه من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج إلى الاسراف في صب الماء وذلك منهى عنه<sup>(٢)</sup> وقد يطول الأمر حتى يضع الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت وإن لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييع العمر الذي هو أعز الأشياء فبالله مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق سني ولا يقدر على صد العباد إلا بما يغيل إليهم أنه عبادة فيصدم عن الله بمثل ذلك . وفرقة أخرى : غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا بدعه الشيطان حتى يقصد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تنفث الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يشرون صفة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يضلون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويترون بذلك ويظنون أنهم إذا انصروا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتجاوزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم . وفرقة أخرى : تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من خارجها فلا يزال يحاط في التشديدات والفرق بين العباد والظاهر وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لأهمه غيره ولا يتفكر فيها سواء ذاهلا عن معنى القرآن والامتناع به وصرف الفهم إلى أسرارته وهذا من أفسح أنواع القرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام .

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث النهي عن الاسراف في الوضوء الترمذي وضعفه وابن ماجه من حديث أبي بن كعب إن لوضوءه شيطانا يقال له الوهسان الحديث وتقدم في عجائب القلب .

وأنت للآخر لا إله إلا  
أنت اللهم أنت قسى  
توابعها وزكها أنت خير  
من زكها أنت وليها  
ومولاه اللهم اهدني  
لأحسن الأخلاق  
لا يهدي لأحسنا إلا  
أنت وأصرف عني سيئها  
لا يصرف عني سيئها إلا  
أنت أسألك مسئلة  
البائس المسكين  
وأدعوك دعاء الفقير  
الذليل فلا تصلي  
بدعائك رب هنيئا  
وكن لي رهقا راحيا  
يا خير السائلين  
ويا أكرم السائلين ثم  
يصل ركعتين تحية  
الطهارة يسرا في  
الأولى بعد الفاتحة

ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤذيها ويجهها فأخذ يؤذي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعددها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فلأحراره بأن تمام عليه السياسة ورد إلى دار المجانين وبحكم عليه بفقد العقل. وفرقة أخرى : اغتروا بقراءة القرآن فيهنوته هذا وربما يغمثونه في اليوم والليل مرة ولسان أحدهم يجري به وقلبه يتردد في أودية الأمانى إذ لا يشكر في معاني القرآن ليزجر زواجره ويشطع عواظهم ويقف عند أوامره ونواهيهم ويحترع عوامض الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن القصد من إزال القرآن المهمة به مع الفقه عنه. ومثاله : مثال عبد كتب إليه مولاه ومالكه كتاباً وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه إلا أنه يكرر الكتاب بصوته وتتمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن أن ذلك هو الراد منه فهو مغرور . نعم تلاوته إنما تراد لكيلا ينسى بعد لحظه وحفظه يراد لهنا ومنه يراد للعمل به والاستماع بعناية وقد يكون له صوت طيب فهو جرحوه وبلذبه ويتر باسئلادنه ويظن أن ذلك لئلا مناجاة الله تعالى وصاح كلامه وإعسا هي لفته في صوته ولوردد إلحانه بشعر أو كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه معرفة أن لفته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته. وفرقة أخرى : اغتروا بالصوم وربما صاموا الأيام الشريفة وهم فيها لا يعنفونهم بالسهم عن النية وخواطرهم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الإفطار والسهم عن الهديان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيعمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور . وفرقة أخرى : اغتروا بالخير فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام وضيوع في الطريق الصلاة والفرائض ويجزون عن طهارة الثوب والبدن ويترضون لمكس الظلة حتى يؤخذ منهم ولا يخدمون في الطريق من الرث والحمام وربما ساجع بعضهم الحرام وألفقه على الرضاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيصبي الله تعالى في كسب الحرام أولاً وفي إنفاقه بالرياء ثانياً فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث بذائل الأخلاق ونعيم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور. وفرقة أخرى : أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس وبأمرهم بالخير وينسى نفسه وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة وإذا باشر منكرها ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر على وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإعسا غرضه الرياء والرياسة ولوقام بتشهد السجدة غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولوجاه غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم أخذ حقاً وزوجت على مرتبي وكذلك قد يتفك إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإعسا غرضه أن يقال إنه إمام المسجد فلو تقدم غيره وإن كان أودع وأعلم منه قل عليه . وفرقة أخرى : جاؤوا بمكة أو المدينة واغترروا بمكة ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهريهم وباطنيهم قلوبهم مملقة يلازم ملغنة إلى قول من يعرفه أن فلانا جاور بذلك وتراه يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة وإذا سمع أن ذلك قبيح ترك صريح التحدى وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه قد جاور وعدين طعمه إلى أساخ أموال الناس وإذا جمع من ذلك شيئاً شمع به وأمسك لم تسمح نفسه بلقمة تصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل

- ولوانهم إذ ظفروا  
أحسبهم - الآية وفي  
الثانية - ومن حمل  
سوا أو ظلم نفسه ثم  
يستغفر الله يجد الله  
غفوراً رحيماً ويستغفر  
بعد الركعتين مرات  
ثم يستفتح الصلاة  
بركعتين خفيئتين  
إن أراد قرأ فيها  
بآية الكرسي وآمن  
الرسول وإن أراد غير  
ذلك ثم صلى ركعتين  
طويلتين هكذا روى  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه كان  
يتجد هكذا ثم صلى  
ركعتين طويلتين  
أقصر من الأولين  
وهكذا يتدرج إلى أن

والطمع وجملة من الهلكات كان عنها يحول لو ترك المجاورة ولكن حب الخدمة وأن يقال إنهم من المجاورين أئمة المجاورة مع التضعف بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يحرف مداخل آفاتهما واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل التور في الصلاة من كتاب الصلوات في الحج من كتاب الحج والزكاة والثلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وإعنا الترضي الآن الإشارة إلى مجامع ما سبق في الكتب . وفرقة أخرى زهدت في المال ونعت من اللباس والطعام بالدون ومن للسكن بالساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد قد ترك أهون الأمور وباه بأعظم اللهيكن فإن الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدرك منتهى لذاتها الرياسة وأن الراغب فيها لا بد وأن يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومراييا ومتصفا بجميع خباثات الأخلاق ثم وقد يترك الرياسة في الحالوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور إذ يتعول بذلك على الأغنياء ويغنى معهم السلام وينظر إليهم بسين الاستعقار ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم ويجب جملته ويتصف بجملة من خباثات القلوب وهو لا يدري ويرى على المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له إنه حلال غلته في الظاهر وردة في الخفية لم يسمع به نفسه خوفا من فم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من أقد أبواب الدنيا ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فرسبا لا يخلو من توفيق الأغنياء وتقدمهم على الفقراء والليل إلى البريد له ولثنتين عليه والنفرة عن السائلين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان نعوذ بالله منه وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما صلى في اليوم والليلة مثالا للصدقة وتغنم القرآن وهو في جميع ذلك لا يحيط له مراعاة القلب وتغفد وتطهير من الرياء والكبر والسب وسائر الهلكات فلا يدري أن ذلك مهلك وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفوره لعله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة ترجع بها كفة حسناته وهيئات وفرة من ذي توفى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا للزور مع سوء خلقه مع الناس وخشوته وتلوث باطنه عن الرياء وحب التناء فإذا قيل له أنت من أتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرج للزور بذلك وصديق به وزاده ذلك غرورا وظن أن تركية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخواص باطنه . وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالقرائن ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وجملة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد لفريضة لغة ولا يشتد حرصه على العبادة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيها يرويه عن ربه « ما تقرب للتعربون إلى مثل أداء ما اقترضت عليهم » <sup>(١)</sup> وترك الترتيب بين الخبرات من جملة الضرور بل قد يمتنع على الإنسان فرضان : أحدهما جنون والآخر لا يثبت ، أو فضلا أحدهما يضيق وقته والآخر يوسع وقته فإن لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فإن المصيبة ظاهرة والطاعة ظاهرة وإعنا التامض تدهيم بعض الطاعات على بعض كتقديم القرائن كلها على النوافل وتقدم فروض الأغنياء على فروض الكفايات وتقدم فرض كفاية لائقهم به على مقاربه غيره وتقدم الأهم

(١) حديث ما تحرب للتعربون إلى مثل أداء ما اقترضت عليهم ، البخاري من حديث أبي هريرة بنسقت ما تحرب إلى عبيد .

يصل اثنتي عشرة ركعة  
أو ثمان ركعات أو يزيد  
على ذلك فإن في ذلك  
فضلا كثيرا والله أعلم .  
[ الباب الثامن  
والأربعون في تحميم  
قيام الليل ]  
قال الله تعالى - والذين  
يبيتون لربهم سجدا  
وقياما - وقيل في تحميم  
قوله تعالى - فلا تعلم نفس  
ما أخفى لهم من قرة  
أعين جزاء بما كانوا  
يعملون - كان عليهم  
قيام الليل وقيل في  
تفسير قوله تعالى  
- استنبوا بالصبر  
والصلاة - استنبوا  
بصلة الليل على مجاهدة  
النفس ومضاربة الصلوة

من فروض الأعيان على ما دونه وتقدم ما يؤتى على ما لا يؤتى وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالد على حاجة الولد إذ « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له : من أبر يا رسول الله . قال أمك ثم من قال أمك . قال ثم من قال أمك . قال ثم من قال أبك . قال ثم من . قال أدناك فأدناك » فينبغي أن يبدأ في الصلة بالأقرب ، فإن استويا فبالأحوج ، فإن استويا فبالأقرب والأدور ، وكذلك من لا ينفق ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يجمع وهو مغرور بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحق وهذا من تقديم فرض أم على فرض هو دونه وكذلك إذا كان على البدن مباد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت والاشتغال بالوقاف بالوعد مصيبة وإن كان هو طاعة في نفسه ، وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فينلظ القول على أبويه وأمه بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإيذاؤها عذور . والحذر من الإيذاء أهم من الحذر من النجاسة . وأمثلة خايل المحذورات والطاعات لا تنحصر . ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور ، وهذا غرور في غاية التموض لأن الغرور فيه في طاعة إلا أنه لا يغلظ لسيرورة الطاعة مصيبة حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها ومن جعلته الاشتغال بالذهب والحلاف من الفقه في حق من بقي عليه غفل من الطاعات والمعامي الظاهرة والباطنة للتلقة بالجوارح والتعلقة بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجه ، فعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرياسة والجاه وقلة البهاة وقهر الأقران والتقدم عليهم يسمى عليه حتى يتر به مع نفسه ويظن أنه مشغول بهم دينه . الصنف الثالث للتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والفترون منهم فرق كثيرة . ففرقة منهم وهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزنى والميعة والنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيتهم وفي ألهاظهم وفي آدابهم ومراميمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السباح والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالتمسك وفي تنفس الصمءاء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من التماثل والميئات فلما تكلفوا هذه الأمور ونشبهوا بهم فيها غلوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياسة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظواهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يصدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحرموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحية وتجاهدون على التقير والقطمير ويغزو بعضهم أعراض بعض مهما خالقه في شيء من غرضه . وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة مجبوز صمت أن الشجان والأبطال من اللقائين ثبتت أساؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار الملكة فأتقت نفسها إلى أن يقطع لها بملكة قلبت دوما ووضعت على رأسها منقرا وتعلقت من رجز الأبطال أياتا وتعودت إيراد تلك الأيات بنصائحهم حتى تسيرت عليها وتعلقت كنية بتقزم في اللبدان وكيف تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شاكلتهم في الزى والنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى المسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجان فلما وصلت إلى المسكر أنفذت إلى ديوان العرض وأمر بأن يجرد عن المنقر والدرع وينظر ماعته وتحنن بالبارزة مع بعض الشجان يعرف قدر عنايته في الشجاعة فلما جردت عن المنقر والدرع فإذا هي مجبوزة ضعيفة زمنة لا تطيق حمل المنقر والمنقر ؟ قيل لها أجبت للاستزاء بالملك والاستخفاف بأهل حضرة والتلبس عليهم

(١) حديث من أبر قال أمك الحديث الترمذي والحاكم وصححه من حديث زيد بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم في آداب الصلوة .

وفي الخبر « عليكم قيام الليل فانه مرضاة لربكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهات عن الاثم وملئنا للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطرده لعداء من الجسد . وقد كان جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى قل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الفداة يوضوء الضاء . منهم سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض . ووهيب بن الورد . وأبوسلمان البزازي . وطلح بن بكر . وحبيب العجمي . وكهمس ابن التهامي . وأبو حازم . وعبد بن المنذر . وأبو حنيفة رحمه الله



خدوها فألقوها قدم الفيل لسفنها فألقيت إلى الخيل فهكذا يكون حال الدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزي والرقع بل إلى سر القلب. وفرقة أخرى : زادت على هؤلاء في الضرور إذ شق عليهم الانتداء بهم في بذاة الثياب والرمضاء بالون فأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بداً من التزين بزهرهم فتركوا الحرير والإبريسم ولبسوا اللقعات الفيسية والقوط الرقيقة والسجادات للصبغة ولبسوا من الثياب وهو أرفع قيمتين الحرير والإبريسم وطن أحد مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرصاً ونسب آتهم إنما لو نوا الثياب لثلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ ، وإنما لبسوا اللقعات إذ كانت ثيابهم عرفة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد . فأما قطع القوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة اللقعات منها فمن أين شبه ما عتاده هؤلاء أظهر حماقة من كافة الفرقين فاتهم يتعمون بنفس الثياب ولديهم الأطعمة ويطبلون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجنبون للعاصي الظاهرة فضلاً عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تنسد عقيدته في أهل التصوف كافة ويظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم للتشبهين وشرم . وفرقة أخرى : ادعت علم العرفة ومشاهدة الحق ومجاورة القامات والأحوال وللإقامة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كليات فهو يرددها ويظن أن ذلك أمل من علم الأولين الآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بين الازدراء فضلاً عن العوام ، حتى إن الفلاح ليرك فلاحته وألحائه يترك حياكنه ويلزمهم أياماً ممدودة ويلتقف منهم تلك الكلمات الزينة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي وغير عن سر الأسرار ويستقر بذلك جميع العباد والطاء ، فيقول في العباد لهم أجراء متعبون ، ويقول في العلماء لهم بالحدث عن الله معجوبون ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من القربين ، وهو عند الله من الفقار الناقين ، وعند أرباب القلوب من الحق الجاهلين لم يحكم قط علماً ولم يهذب خلقاً ولم يرتب عملاً ولم يراقب قلباً سوى اتباع المعوى وتلفق الهديان وحفظه . وفرقة أخرى : وقفت في الإباحة وطولوا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن محمل فلم أصب نفس . وبعضهم يقول : قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كفوا ما لا يمكن ، وإنما يشتر به من لم يجرب . وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال ، ولا يلزم الأحق أن الناس لم يكفوا قلع الشهوة والغضب من أصلها بل إنما كفوا قلع مادتها بحيث يتقار كل واحد منها بالحكم العقل والشرع . وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها ، وإنما النظر إلى الصلوب ونفوسنا والهبة بعب الله وواصلته إلى معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدم عن طريق الله قوتهم فيها ويرفضون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ كانت تصدم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يكون عليها وينوحون سنين متواليه وأصناف غرور أهل الإباحة من التشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط وسواوس يخدعهم الشيطان به الاشتغالهم بالمجاهدة قبل إحكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحساء أصنافهم يطول.

تعالى وغيرهم عدم  
وسامهم بأنسابهم  
الشيخ أبو طالب الكي  
في كتابه قوت القلوب  
فمن هجر عن ذلك  
يستحب له قيام تشبه أو  
تلك ، وأكل الاستحباب  
سدس الليل فلما أن  
ينام ثلث الليل الأول  
ويقوم نصفه وينام  
سدس الآخر أو ينام  
النصف الأول ويقوم  
ثلثه أو ينام السدس .  
روى أن داود عليه  
السلام قال يارب إني  
أحب أن أتعبد لك فأني  
وقت أقوم فأوحى الله  
تعالى إليه : يا داود  
لا تقم أول الليل ولا  
آخره فانه من قام أوله  
نام آخره ومن قام آخره  
نام أوله ولكن قم  
وسط الليل حتى

وفرقة أخرى : جاوزت حد هؤلاء واجتذبت الأعمال وطلقت الحلال واشتغلت بتفقد القاب وصار أحدهم يدعى للقمامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه القمامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها ، فمنهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى وزعم أنه والله بأنه وله قد تغلغل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إثارة هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياه من الحلق ولو خلا لما تركه حياه من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل إلى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فافهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا بما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب واتقى به ومانع مقام من اللقيات للنجيات لإلواقيهم غرور وقد اخترت به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربيع للنجيات من الكتاب فلا يمكن إعادتها ، وفرقة أخرى : ضيق على نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الحلال وأهلوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ، ومنهم من أهل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري للسكين أن الله تعالى لم يرش من عبده بطلب الحلال قط ولا يرش بشار الأعمال دون طلب الحلال بل لا يرش به إلا تفقد جميع الطاعات والماضي ، فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفي وينجي فهو مغرور . وفرقة أخرى : ادعوا حسن الحلق والتواضع والسباحة قصدوا لخدمة الصوفية فجعلوا قوماً وتسكفوا بغدسهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وإعما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الارفاقي وغرضهم الاستتاع وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتجبة ثم إنهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لشكر أتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية وزعم أن غرضه البر والافتقار وباعت جميعهم الرياء والسمة وآية ذلك إهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهراً وباطناً ورضاهم بأخذ الحرام والافتقار منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كن يصر مساجد الله فيطيلها بالندرة وزعم أن قصده العمارة . وفرقة أخرى : اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعركة خدعها علماً وحرقة فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالنفس عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والفتنة عن كونه عيباً عيب والاتفات إلى كونه عيباً وشغفون فيه بكلمات مسالمة تضعب الأوقات في تلقفها ومن جمل طول عمره في التفتيش عن عيوب وتحري علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يفي به . وفرقة أخرى : جاوزوا هذه الرتبة ابتدءوا سلوك الطريق واقتنع لهم أبواب المعرفة فكلموا تشموا من مبادئ المعرفة رائحة تجسبوا منها وفرحوا بها وأعجبهم غرابتها فتهدت قلوبهم بالانفلات إليها والتفكر فيها وفي كيفية اقتناع بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لأن هجاب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل مجهود وتقيدها قصر خطاه وحرم الوصول إلى القصد وكان مثاله مثال من قصد ملكاً كافرأى في باب مبداهة وروضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلاً فوقه ينظر إليها ويتعجب حتى فاتته الوقت الذي يمكن فيه لقاءه لذلك . وفرقة أخرى : جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في

تخلو وأخلو بك وادرس إلى حوائجك ويكون القيام بين نومتين وإلا فيغالب النفس من أول الليل ويتفدل فإذا غلبه النوم ينام فإذا اتبته يتوشأ فيسكون له قسومتان ونومتان ويسكون ذلك من أفضل ما يهمل ولا يصل وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى يتقل ما يقول ، وقد ورد « لا تكابدوا الليل » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانة تصل من الليل فإذا غلبها النوم صلت بمجل قهري رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال « ليعمل أحدكم من الليل ما تيسر

الطريق ولا إلى ما تيسر لهم من المطايا الجزية ولم يرجعوا على الفرج بها والانتفاذ إليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله فوقفوا وغلطوا فان الله تعالى سبعت حجاباً من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا وابلن أنه قد وصل ، وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى إخباراً عنه - فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي - وليس للعين في هذه الأجسام اللبثة فانه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحداً والجبال يطمون أن الكوكب ليس بآله فتشلى إبراهيم عليه السلام لا يفره الكوكب الذي لا يفر السوادية ، ولكن الراد به أنه نور من الأنوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين ولا تصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهي حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر الترات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - يصل إلى نور بعد نور ويتجمل إليه في أول ما كان يلقاه أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمراً فيترق إليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلا بعده فقال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النفس والأخطاط عن ذروة الكمال فقال لأحب الآقلين - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - وسالك هذه الطريق قد بينت في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد ينتر بالحجاب الأول وأول الحجب بين الله وبين المبدوء نفسه فانه أيضاً أمر رباني وهو نور من أنوار الله تعالى : أعني سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليسع لجملة العالم ومحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره إشراقاً عظيماً إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الأمر محجوب بمسكة هي كالسائر له فإذا انجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه وربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل بعد إلى القمر فضلاً عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس إذ التجلى يلتبس بالتجلى فيه كما يلتبس لون ما يترادى في الرأى بالرأى فيظن أنه لون الرأى وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل :

رقى الزجاج ورفقت الحجر فقشاهما فتشاكل الأمر

فكأنما حجر ولا قحح وكأنما قحح ولا حجر

وهذه العين نظر النصارى إلى المسيح فأروا إشراق نور الله قد تلا لأفئدة فغلطوا فيه كمن يرى كوكباً في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فمديده إليه لا يخدم وهو مغرور وأنواع الغرور في طريق السالك إلى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه أيضاً كان الأولي تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستغربه إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو إخراجهم من الغرور الذي هو فيه بل ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه وما يتجلى بهذه المختصر وخيال القاصر وجده الزخرف ويصدق أيضاً بما يحكيه من المكاشفات التي أخبر عنها أولياء الله من عظم غروره ربما أصرم كذباً بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل - الصنف الرابع : أرباب الأموال والمفترون منهم فرق

فاذا غلبه النوم قلتم

وقال عليه السلام :

« لا تشادوا هذا الدين

فانه متين لمن يشاده

بخله » ولا تبضن إلى

نفسك عبادة الله

ولا يلقى بالطالب ولا

ينبئ له أن يطلع القجر

وهو نائم إلا أن يكون

قد سبق له في الليل

قيام طويل فيعذر في

ذلك على أنه إذا استيقظ

قبل القجر بساعة مع

قيام قليل سبق في

الليل يكون أفضل

من قيام طويل ثم

النوم إلى بعد طلوع

القجر فاذا استيقظ

قبل القجر يصح

الاستغفار والتسبيح

ويشتمك للساعة وكما

يسلى بالليل مجلس

قليل بعد كل ركعتين

ففرقة منهم : يحرّمون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون  
أساميهم بالأجر عليها ليتخذ ذكرهم سبيلا لئلا يذنبوا وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك  
وقد اتفقوا فيه من وجهين : أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا  
والجهات المظورة فهم قد تعرضوا لخطيئة في كسبها وتعرضوا لخطيئة في إنفاقها وكان الواجب عليهم  
الامتناع عن كسبها فاذن قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله وردها إلى  
ملاكها إما بأعيانها وإما بربطها عند السجرات فأن هجروا عن ذلك كان الواجب ردها إلى الوردية فإن  
لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها إلى أم الصالح وربما يكون الأمم المتفرقة على السالكين وهم  
لا يعلمون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالأجر وغرضهم من بنائها الرياء وطلب  
الثناء وحرصهم على جانيها لبقاء أسمائهم للكتابة فيها لبقاء الخير . والوجه الثاني أنهم يظنون بأنفسهم  
الإخلاص وقصد الخير في الإنفاق على الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق ديناراً ولا يكتب اسمه على  
للموضع الذي أنفق عليه لثق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه واقفه مطلق عليه كتب اسمه أو لم يكتب  
ولولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتخر إلى ذلك . وفرقة أخرى : ربما اكتسبت المال  
من الحلال وأتقت على المساجد وهي أيضا مفروقة من وجهين : أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما  
يكون في جوابه أو يله قراءه وصرف المال إليهم أم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء المساجد  
وزينتها وإنما يخفى عليهم الصرف إلى المساجد ليعلم ذلك بين الناس . والثاني أنه يصرف إلى  
زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المسلمين ومختلفة لأبصارهم (١)  
والمقصود من الصلاة الحشوع وحضور القلب وذلك فيمد قلوب المسلمين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال  
ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يفتري به ويرى أنه من الخيرات ويمد ذلك وسيلة إلى الله تعالى  
وهو مع ذلك قد تعرض لخطيئة الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له ويمتثل لأمره وقد شوش قلوب  
عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا فيشتبهون مثل ذلك في يوتهم  
ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته إذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى . قال مالك  
ابن دينار : أتى رجلان مسجداً فوق أحدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه الممسكان عند  
الله صديقاً فهكذا يبنون أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلوث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على  
المسجد لا أن يرى تلوث المسجد بالحرام أو بزخارف الدنيا منتهى على الله تعالى ، وقال الحواريون  
للمسيح عليه السلام انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمي أمي بحق أقول لك لا يترك الله من هذا  
المسجد حجراً قائماً على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا ييبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة  
التي تصنعكم شيئا وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة بها يمر الله الأرض وبها يغرب إذا  
كانت على غير ذلك . وقال أبو البرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زخرتم مساجدكم وحليتم  
مصاحفكم فإلهام عليكم » وقال الحسن « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبنى مسجداً المدينة أتاه  
جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء لا زخرفة ولا نقش » وفرو هذا من حيث

ويسبح ويستغفر  
وصل على رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
فانه يجد بذلك روحاً  
وقوة على القيام وقد  
كان بعض الصالحين  
يقول هي أول نومة فإن  
انتهت ثم عدت إلى  
نومة أخرى فلا أنام  
الله عني . وحكي  
في بعض الفقهاء عن  
شيخه أنه كان يأمر  
الأصحاب بنومة واحدة  
بالليل وأكلة واحدة  
ليوم واحدة . وقد  
جاء في الخبر « فمن  
الليل ولو قدر حلب  
هامة » وقيل يكون  
ذلك قدر أربع ركعات  
وقدر ركعتين . وقيل  
في تخصيص قوله تعالى  
« تؤتي الملك من تشاء  
وتنزعه الملك من تشاء »

(١) حديث النهي عن زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش البخاري من قول عمر بن الخطاب أكن  
الناس ولا تحمر ولا تصفر (٢) حديث إذا زخرتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فإلهام عليكم ابن  
المبارك في الزهد وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف موقوفاً على أبي البرداء (٣) حديث  
الحسن مرسل لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء  
ولا زخرفة ولا نقش لم أجده .

إنه رأى للنكر واتكل عليه . وفرقة أخرى : يتفقون الأموال في الصدقات على الفقراء والساكنين ويطلبون به المأفول الجامة ومن الفقراء من عادته الشكر والإنشاء المعروف ويكرهون التصديق في السر ويرون إخفاء الفقير لما يأخذ منهم جناية عليهم وكفرنا وربما يحرصون على إحقاق المال في الحج فيجمعون مرة بعد أخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا وذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا صيب يهون عليهم السفر ويسقط لهم على الرزق ويرجون محرومين مسولين يهوى بأعدم بيده بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يؤاسد قال أبو نصر الحارثي رجل جاء يودع بشر ابن الحرث وقال قد عزمت على الحج تأمرني بشيء فقال له كم أعددت للنفقة فقال ألفي درهم قال بشر فأى شيء تبتغي بحجك زهدا أو اشتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أضل ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أشس مديون يقضى دينه وقبر يرم شتمه ومعيلى بنى عياله ومرى يقيم بخره وإن قوى قلبك تعطيتها واحدا فاضل فان إدخالك السرور على قلبك للسلم وإغاثة الهمهان وكشف الضر وإغاثة الضعيف أفضل من مائة حبة بعد حبة الاسلام ثم فأخرجها كأمرناك وإلا فقد لنا مافى قلبك فقال يا أبا نصر سرفى أقوى فى قلبى تقسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له السال إذا جمع من وسع التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تفضى به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل التقيين . وفرقة أخرى : من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى ثقة كهيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لأن البخل للهلاك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج إلى قلمه بأخراج للسال قد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثالي من دخل في ثوبه حبة وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبغ السكجيين ليسكن به الصفاء ومن قتله الحية متى يحتاج إلى السكجيين ، ولذلك قيل لبشر إن فلانا الذى كثير الصوم والصلاة فقال للسككين ترك حاله ودخل في حال غيره وإنما حال هذا إطعام الطعام للجياع والافتاق على السالكين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه الدنيا ومنه للفقراء . وفرقة أخرى : غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم إنهم يخرجون من المال الحبيث الرديء الذى يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويردد في حاجاتهم أو ممن يحتاجون إليه في المستقبل للاستسخرار في خدمة أومن لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون ذلك إلى من يینه واحدا من الأكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات لينة ومحيطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره وهذا أمثاله من غرور أصحاب الأموال أيضا لا يحصى وإنما ذكرنا هذا التدر لتنبه على أجناس الفقراء . وفرقة أخرى : من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الله كرو واعتقدوا أن ذلك ينهبهم ويكسبهم وانخدوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد صماع الوعظ دون العمل ودون الانضاط أجرا وهم مغرورون لأن فضل مجلس الله كرو لكونه مرغبا في الخير فان لم يسبح الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لأنها تمسك على العمل فان ضغفت عن العمل على العمل فلا خير فيها وما راد لغيره فاذا قصر عن الأداء إلى ذلك النسر فلا قيمة له وربما يشر بما يسمه من الواظف من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كرفة النساء فيكرو ولا عزم ورما يسمع كلاما معوجا فلا يزيد على أن يصفى يديه ويقول بإسلام سلم أو نعوذ بالله أو سبحان الله ويظن أنه قد أدى الخير كله وهو مغرور

هو قيام الليل ومن  
حرم قيام الليل كسلا  
وخورا في المزيعة  
أو تهاونا به لقلة  
الاعتداد بذلك  
أو اغترارا بحاله فليكن  
عليه قد قطع عليه  
طريق كبير من الخير  
وقد يكون من أرباب  
الأحوال من يكون له  
لواء إلى القرب ويعد  
من دعة القرب ما يفتقر  
عليه داعية الشوق  
ويرى أن القيام وقوف  
في مقام الشوق وهذا  
يخلط فيه ويهلك به  
خلق من للدهسين  
والذى له ذلك ينبغي  
أن يعلم أن استمرار  
هذه الحالة متعذر  
والإنسان متعرض  
للقصور والتخلف  
والشبهة ولا حيلة لأجل

وإنما مثله مثال المريض الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري أو الجائع الذي يحضر عنده من يصف له الأطعمة الدنية الشهية ثم ينصرف وذلك لا يثنى عنه من مرضه وجوعه عشتيا فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يثنى من اللهشتيا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغيير أمير أفضالك حتى قيل على الله تعالى إقبالا قويا أو ضيقا وتعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فإذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا . فان قلت لما ذكرته من مداخل الغرور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاسترخاء منه وهذا وجوب اليأس إذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خبايا هذه الآفات . فأقول الانسان إذا قهرت همة في شيء أظهر اليأس منه واستعظم الأمر واستوعر الطريق وإذا صبح منه الهوى اهتدى إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خبايا الطرق في الوصول إلى الترضى حتى إن الانسان إذا أراد أن يستزل الطير الحلقى في جو السماء مع بدئه منه استنزه وإذا أراد أن يخرج الخوص من أعماق البحار استخرجها وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو القضة من تحت الجبال استخرجها وإذا أراد أن يختص الوحوش للطلقة في البراري والبحارى اقتصها وإذا أراد أن يستخر السباع والفيلة وعظم الحيوانات استخبرها وإذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعى وبحث بها أخذها واستخرج الدرياق من أجوافها وإذا أراد أن يخذ الدياج للون للنقش من ورق الثوت أخذته وإذا أراد أن يرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض وكل ذلك باستنباط الحيل وإعداد الآلات فسخر الفرس لركوب الكلب لاصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهما الشبكة لاصطياد السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل الأدبى كل ذلك لأن همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه فبجزع من تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو أصبح وهم هذا العلم الواحد بل هو كما يقال هو صبح منك الهوى أرشدت للحيل . فهذا شيء لم يجزه عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم بإحسان فلا يصح عنه أيضا من صدقت إرادته وقوت همة بل لا يحتاج إلى عشر ثوب الحلقى في استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها . فان قلت قد قربت الأمر فيه مع أنك أكثرت في ذكر مداخل الغرور فم ينجو البدن من الغرور . فأعلم أنه ينجو منه ثلاثة أمور : بالقل والعلم والفرقة فلهذه ثلاثة أمور لا بد منها . أما النقل فأعنى به الفطرة الفريضة والنور الأصلى الذى به يدرك الانسان حقائق الأشياء فالقطة والكيس فطرة الحق والبلاهة فطرة والبلد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فضاء العقل وذكاؤه اللهم لا بد منه في أصل الفطرة فهذا إن لم يغطر عليه الانسان فاكتسب بغير تمكن . نعم إذا حصل أصله أمكن نخوته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تبارك الله الذى قسم العقل بين عباده أشناتا <sup>(١)</sup> » إن الرجلين ليستوى عملهما ويرجأ وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كاللدة في جنب أحد وماتهم الله فلهذه حظا أفضل من العقل واليقين . وعن أبي هريرة أنه قيل « يا رسول الله أرايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويرجع ويحتر ويصدق ويغزو في سبيل الله ويوجد للرئيس ويشيع الجنائز ويعين الضيف ولا يلم منزله عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يجزى على قدر عقله <sup>(٢)</sup> » وقال

من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى تورمت قدماء وقد يقول بعض من يحاج في ذلك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك شحرا فنقول ما لنا لا نتبع تحريمه وهذه دقيقة فعلم أن رؤية الفضيلة في ترك القيام وإدعاء الآبواء إلى جناب القرب واستواء النوم واليقظة امتلاء وإبتلاء حالى وهو تحييد بالحال وتغكيم لفعال وتحمك من الحال في البدن والأقواء لا يتحكم فيهم الخالدون بصرفون الحال في صور الأعمال فهم متصرفون في الحال لا الحال متصرف فيهم

(١) حديث تبارك الذى قسم العقل بين عباده الحديث الترمذى الحكيم في نوادر الأصول من رواية طاوس مرسل وفى أول قصة وإسناده ضعيف ورواه بنحو من حديث أبي حميد وهو ضعيف أيضا (٢) حديث أبي هريرة أنه رأى الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويرجع ويصدق ويغزو في سبيل الله ويوجد للرئيس ويشيع الجنائز ويعين الضيف ولا يلم منزله عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يجزى على قدر عقله (٣) وقال

أنس «أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف عقفه؟ قالوا يا رسول الله قول من عبادته وقضه وخلقه فقال كيف عقفه؟ قال أن الحمقى يصيب بجمعه أعظم من جفور الفاجر وإنما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم<sup>(١)</sup>» وقال أبو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقفه فإذا قالوا أحسن قال أرجوه وإن قالوا غير ذلك قال لن يبلغ<sup>(٢)</sup> وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقفه قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون قالوا كاه صحب وغريزة العقل نعمة من الله تعالى في أصل العطرة فإن قامت بيلامة وسحابة فلا تدارك لها . الثاني : للفرقة وأعيان الفرقة أن يعرف أربعة أمور: يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة يعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريباً في هذا العالم وأجنبياً من هذه الشهوات البهيمية وإنما للوافق له طبعاً هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه قطعه فلا يتصور أن يعرف هذا عالم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليست على هذا بما ذكرناه في كتاب الحجة وفي كتب شرح هداية القلب وكتاب التنكير وكتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله ويحصل به التنبيه على الجملة وكال للفرقة وراهه فإن هذا من علوم الكاشفة ولم يطلب في هذا الكتاب إلا في علوم العامة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستبين عليهما بما ذكرنا في كتاب دم الدنيا وكتاب ذكر اللوت ليعين له أن لاسبيةً للدنيا إلى الآخرة فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ناز من قلبه بمعرفة الله حب الله ومعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصيرهم أموره ما يوصله إلى الله تعالى وينفسه في الآخرة وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأمور كلها فإن أكل مثلاً أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاحتجاج على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته وانفذ عنه كل غرور ومشوّه تجاذب الأغراض والتزوع إلى الدنيا والجاه والسال فان ذلك هو القصد لنية ومادامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهو نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من التورود فإذا غلب حب الله على قلبه بعرفته بالله وبأنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى النسي الثالث وهو العلم أعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله والتمسك بما يحبه من الله وما يهونه عنه والملم بأفان الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين يعرف من ربيع العبادات شروطها وقواعدها وآفاتها فيفتيحها ومن ربيع العادات أسرار المايش وما هو مضطر إليه فيأمنه بأدب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربيع الهللكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فان للنافع من الله الصفات للذمومة في الخلق فيعلم للذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربيع النجيات الصفات المحمودة التي لا بد وأن توضع خلفها للذمومة بعد محوها فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الأنواع التي أشرنا إليها من التورود وأصل ذلك كله أن يخلص حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تحوى به الإرادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها . فان قلت فإذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه . فأقول يخاف على أن يخدعه الشيطان ويدعوه إلى نصيح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس إلى ما عرفة من دين الله فان للريد الخالص إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه ورأى القلب حتى صفاه من جميع المكدرات واستوى على الصراط المستقيم وصنرت له دنياه في عينه فكرها واشتغل طمعه عن الخلق فلم يلتفت إليهم ولم يلق إلاهم

(١) حديث أنس رضي الله عنه عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف عقفه الحديث داود بن الهير في كتاب العقل وهو ضعيف ويضم في العلم (٢) حديث أبي الدرداء كان إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقفه الحديث الترمذي الحكيم في التوادر وابن عدي ومن طريقه البيهقي في الشعب وضعفه.

فليعلم ذلك فإنما رأينا من الأصحاب من كان في ذلك ثم انكشف لنا بتأييد الله تعالى أن ذلك وقوف وقشور . قيل لحسن يا أبا سعيد إنني أيت معالي وأحب قيام الليل وأصعد طهورى فما بالي لا أقوم قال ذنوبك قيدتك فليحذر العبد في نهارة ذنوباً تعيده في ليله وقال النووي رحمه الله حرمت قيام الليل سبعة أشهر بذنب أذنبته قيل له ما كان الذنب قال رأيت رجلاً بكاء فقلت في نفسي هذا مرأه . وقال بعضهم : دخلت على كرز بن وبرة وهو يسكن قلت ما لك أتاك نبي بسن أهلك فقال

واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إلى لقائه وقد حجز الشيطان عن إغاثته إزياتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطعمه يأتيه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والصالح لهم والثناء إلى الله فينظر البعد برحمته إلى البعد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صامعياً قد استولى عليهم اللزوم ولا يشعرون وقدوا للطبيب وأشرعوا للطب فطلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة للفرقة بما بينهم وبين لهم ضلالهم ويرشدكم إلى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان بهداً عظيم لا يطاق ألم وقد كان ذلك يسهر له ويقلق نهاره ولا يأكل ولا يهرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضراب الألم فوجد له دواء أعفوا صفوا من غير عمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطلب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالناهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بهذهاية السكر وأصاب قلة العافية بعد طول السقام ثم نظر إلى عدد كثير من المسلمين وإذها تلك العلة بينا وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع إلى السماء أنيهم فذكر أن دواءهم هو الذي يعرفون يقدر على شفائهم بأسهل ما يكون وفي أرجى زمان فأخذته الرحمة والرفقة ولم يجد قبضة من قسه في التراضي عن الاعتزال بهلاجهم فكذلك البعد المخلص بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفي من أمراض القلوب شاهد المخلق وقد مرضت قلوبهم وأضل دأؤهم وقرب هلاكهم وإغفائهم وسهل عليه دواؤهم فانبست من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بصحهم وحرصه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالاً للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالاً للفتنة فدعا إلى الرياسة دعاء خفياً أخفى من ديب الخلق لا يشعر به ليريد فملز ذلك الريب في قلبه حتى دعا إلى التصنع والتزين للخلق بتحسين الألفاظ والنفحات والحركات والتصنع في الزى والمجئمة فأقبل الناس إليه يظلمونه ويحلقونه ويوقرونه توقيراً يزيد في توقير اللوك إذ راوه شافياً لأدوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصاروا أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فأثروه بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولاً كالبيد والخدم غفموا وقد موه في المحافل وحكموه على اللوك والسلاطين فند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذات قلة يالها من لذة ما صابت من الدنيا مشوة يستقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في أعظم آفاتنا فند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت إلى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأمانة انتشار الطبع وركون النفس إلى الشيطان أنما لو أخطأ فرد عليه بين يدي المخلق غضب فاذا أنكر على نفسه ما وجد من القضب بادر الشيطان غيل إليه أن ذلك غضب لله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد الريدن فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في التردد فرمياً أخرجه ذلك إلى الوقعة فيمن رد عليه فوقع في التنية المحظورة بعد تركه الحلال للتعس ووقع في السكر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه ببدان كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك إذا سبقه الضحك أوقر عن بعض الأوراد جرت النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله فأتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصمداء وربما زاد في الأعمال والأوراد لجل ذلك والشيطان غيل إليه إنك إنما فعلت ذلك كيلا يفر رايهم عن طريق الله فيترك الطريق بتركه وإنما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا يجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه بل ربما يحب ذلك ويستشربه ولظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه حتى ذلك عليه ولولا أن النفس قد استشرت واستلكت الرياسة لكان يفتن ذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقعوا في بر وتضطى رأس البر هجر كبير فسجروا عن الرق من البر بسميه فرق قلبه لآخواته فجاء ليرفع الحجر من رأس البر ففتق عليه فجاءه من أماته على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونجا بنفسه فيعظم بذلك فرحه لآخاته

أشد قتل وجميع هؤلاء  
قال أشد قتل وماذا لك  
قال بابي مذاق وسرى  
مسيل ولم أقرأ حزبي  
البارحة وماذا لك إلا  
بذن أحذته . وقال  
بضم : الاحتمام  
عقوبة وهذا صحيح  
لأن للرأى للتحفظ  
بحسن تحفظه وعله  
بجاه يقدر ويتسكن  
من سد باب الاحتلام  
ولا يتطرق الاحتلام  
إلا على جاهل بجاه أو  
مجهل حكم وقته وأدب  
حاله ومن كل تحفظه  
ورعايته وقيامه بأدب  
حاله قد يكون من ذنبه  
الوجب للاحتلام ووضع  
الرأس على الوسادة إذا  
كان ذاعزعة في ترك  
الوسادة وقد يسهل النوم  
ووضع الرأس على



إذ غرضه خلاص إخوانه من البرّ ذن كان غرض الناصح خلاص إخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من أماته أو كفاه ذلك لم يقتل عليه أرأيت لو احدثوا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي أن يقتل ذلك عليه إن كان غرضه هدايتهم فاذا احدثوا بشرة فلم يقتل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كآثر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فنمود باقة من زيف القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء . فان قلت ففي يسع له أن يقتل بضغ الناس . فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم فله تعالى وكان يود لو وجد من بينه أو لو احدثوا بأنفسهم واقطع بالكيفية طمعه عن نياتهم وعن أموالهم فاستوى عنده حدم وذمهم فلم يبال بدمهم إذا كان الله يحصده ولم يفرح بحدمهم إذا لم يقتل به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائم أما إلى السادات فمن حيث إنه لا يتكبر عليهم ويرى كلمهم خيرا منه لجهله بالخاتمة وأما إلى البهائم فمن حيث اقطاع طمعه عن طلب التزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يفرح لها ولا يتصنع بل راعى الحاجة إنما غرضه رعاية للساعة ودفع الدثب عنها دون نظر للساعة إليه فلم ير سائر الناس كالساعة التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم بما يصلحهم ولكن يشغ نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج يشع لغيره ويحترق في نفسه . فان قلت فلو ترك الوعظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة خلعت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب . فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة <sup>(١)</sup> » ولو لم يحب الناس الدنيا هلكت العالم وبطلت الماشي وهلكت القلوب والأبدان جميعا إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الأكثرين لا الأقلين الذين لا تغرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصع وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك نفسه بالشهوات للهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله تعالى - ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - فكذلك لا تزال ألسنة الوعظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول إن الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا بدع الخلق الشرع والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر للناس يقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بإفساد شخص واحد أو أشخاص - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فانما ينبغي أن يغمد طريق الاعتناق فأما أن نخرس ألسنة الوعظ ووراءه باعث الرياسة وجب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا . فان قلت فان علم الربيد هذه الكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصع أو نصع وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي يبي بين يديه من الأخطار وجبال الاغترار . فأعلم أنه بقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أهينني وأفلت مني بذكائك وكما عقلت وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت

(١) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسل وقد تقدم في كتاب فم الدنيا .

الوسادة بحسن النية من لا يكون ذلك ذنبه وله فيه نية لقون على القيام وقد يكون ذلك ذنبا بالنسبة إلى بعض الناس فاذا كان هذا القدر يصلح أن يكون ذنبا جالبا للاحتلام فقس على هذا ذنوب الأحوال فانها تختص بأربابها ويسرفها أصحابها وقد يرتفع بأنواع الرفق من السراف الوطء والوسادة ولا يدب بالاحتلام وضيقه على فله إذا كان عالما بانه يعرف مداخل الأمور وعارجها وكم من قائم يسبق القائم لو عرف علمه وحسن نيته وفي الخبر « إذا نام العبد

تم الجزء الثالث من تخریج أحداث الإحياء لمعاني العراق

وبليه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة

عليك لها أصرك وما أعظم عند الله قدرك وعملك إذ قواك على قهرى ومكنتك من الشيطان لجميع  
مداخل ضرورى قصنى إليه وبصدقته ويجب بنفسه فى قراره من التروك كله فيكون إجماعه بنفسه  
غاية التروك وهو المهلك الأكبر فالعجب أعظم من كل ذنب وذلك قال الشيطان يا ابن آدم إذ انظنت  
أنك بملكك خلصت مني فبهلك قد وقفت فى جبالى . فان قلت فلو لم يجب بنفسه إذ علم أن ذلك  
من الله تعالى لامنه وإن مثله لا يخفى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعوته ومن عرف ضعف  
نفسه وهجمه عن أقل القليل فإذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يخو عليه بنفسه بل بالله  
تعالى لما الذى يخاف عليه بعد نفي العيب ، فأقول : يخاف عليه التروك بخذل الله والثقة بكرمه  
والأمن من مكروه حتى يظن أنه يبقى على هذه الوعيرة فى المستقبل ولا يخاف من الفترة والاشلاب فيكون  
حاله الانسكال على فضل الله قط دون أن يقاتره الخوف من مكروه ومن أمن مكر الله فهو خاسر  
جدا بل سيئه أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد بددت  
عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورثاء وسوء خلق والتفات إلى عز وهو غافل عنه ويكون  
خائفا أن يسلب حاله فى كل طرفه عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الحامة وهذا خطر  
لا يحصى عنه وخوف لا يجاة منه إلا بعد مجاوزة الصراط وذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء  
فى وقت البرزخ وكان قد بقى له نفس فقال أفلت منى يا فلان فقال لا بعد وذلك قيل : الناس كلهم هلكى  
إلا المالمون والمالمون كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا المتقون والمتقون  
على خطر عظيم فاذا فى التروك هالك والمتقون العار من التروك على خطر فذلك لا ينفارق الخوف  
والخوف قلوب أولياء الله أبدا .

ففسأل الله تعالى الدون والتوفيق وحسن الحامة ، فان الأمور بخواتمها .

ثم كتاب ذم التروك وبه تم ربيع اللهايكات ، ويتلو فى أول ربيع التنجيات كتاب التوبة  
والحمد لله أولا وآخرا وصل الله وسلم على من لا نبي بعده وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة  
إلا بالله العلى العظيم .

تم الجزء الثالث من إحياء علوم الدين  
وبليه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة .

عقد الشيطان على رأسه  
ثلاث عقد فان قد  
وذكر الله تعالى أعلت  
هذه وإن تومأ أعلت  
عقدة أخرى وإن صلى  
ركعتين أعلت العقد  
كلها فأصبح نصيبا  
طيب النفس وإلا  
أصبح كسلان خبيث  
النفس وفى خير آخر  
ه إنصن نام حتى أصبح  
باله الشيطان فى أذنه  
والذى يحل بقبام الليل  
كثرة الاهتمام بالأمور  
الدنيا وكثرة أفعال  
الدنيا وإقبال الجوارح  
والاستلاء من الطعام  
وكثرة الحديث والنحو  
والسبب وإعمال التوبة  
والتوفيق من ختم وقته  
وبصرف دأبه ودواؤه  
ولا يهمل فيهمل .

| صفحة | صفحة   |
|------|--|
| ٥١   | ٢ (كتاب شرح عجائب القلب)   |
| ٥٤   | وهو الكتاب الأول من ربيع الملهكات  |
| ٥٦   | ٣ بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الأسماء  |
| ٥٩   | ٥ بيان جنود القلب  |
| ٦١   | ٦ بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة  |
| ٦٢   | ٧ بيان خاصة قلب الإنسان  |
| ٦٣   | ١٠ بيان مجامع أوصاف القلب وأمثله   |
| ٦٧   | ١٢ بيان مثل القلب بالإضافة إلى العلوم خاصة   |
| ٦٩   | ١٥ بيان حال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والنبوية والأخرى  |
| ٧٢   | ١٧ بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار   |
| ٧٧   | ١٩ بيان الفرق بين القاميين بمثل محسوس  |
| ٧٨   | ٢٢ بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل الصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق العناد                                       |
| ٨١   | ٢٥ بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها  |
| ٨٦   | ٣٠ بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب  |
| ٩٣   | ٣٩ بيان ما يؤخذ به العبد من وسواس القلوب ومهما وخواطرها وتصورها وما يقع عنه ولا يؤخذ به  |
| ٩٥   | ٤٢ بيان أن الوسواس هل يصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا  |
| ٩٦   | ٤٤ بيان سرعة تقاب القلب وانقسام القلوب في التبر والتبات  |
| ٩٨   | ٤٧ (كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربيع الملهكات   |
| ١٠١  | ٤٨ بيان فضيلة حسن الخلق ومفهومه والخلق والمعين   |
|      | ٥١ بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق   |
|      | ٥٤ بيان قبول الأخلاق للتبشير بطريق الرياضة   |
|      | ٥٦ بيان السبب القوي به ينال حسن الخلق على الجملة   |
|      | ٥٩ بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق   |
|      | ٦١ بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة  |
|      | ٦٢ بيان الطريق الذي يحرف به الإنسان عيوب نفسه  |
|      | ٦٣ بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات |
|      | ٦٧ بيان علامات حسن الخلق   |
|      | ٦٩ بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أفعالهم  |
|      | ٧٢ بيان شروط الإبرادة ومقدمات المجاهدة وتدرج المرید في سلوك سبيل الرياضة   |
|      | ٧٧ (كتاب كسر الشهوتين)   |
|      | وهو الكتاب الثالث من ربيع الملهكات   |
|      | ٧٨ بيان فضيلة الجوع وذم الشبع  |
|      | ٨١ بيان فوائد الجوع وآفات الشبع  |
|      | ٨٦ بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن   |
|      | ٩٣ بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه   |
|      | ٩٥ بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام  |
|      | ٩٦ القول في شهوة الفرج   |
|      | ٩٨ بيان ما على المرید في ترك التزويج وضعه  |
|      | ١٠١ بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والمعين   |

| صفحة  | صفحة   |
|---|--|
| ١٥٤ الآفة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين   | ١٠٤ (كتاب آفات اللسان)                               |
| ١٥٦ الآفة الثامنة عشرة للدح   | وهو الكتاب الرابع من ربيع للهلكات                    |
| ١٥٧ بيان ما طي للمدوح   | ١٠٥ بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة صمت                  |
| ١٥٨ الآفة التاسعة عشرة النقلة عن دقائق الخطأ في طوى الكلام                        | ١٠٨ الآفة الأولى من آفات اللسان الكلام فيها لا ينجيك |
| ١٥٩ الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف الخ         | ١١١ الآفة الثانية فضول الكلام                        |
| ١٦٠ (كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)   | ١١٢ الآفة الثالثة الخوض في الباطل                    |
| وهو الكتاب الخامس من ربيع للهلكات   | ١١٣ الآفة الرابعة الرأاء والجidal                    |
| ١٦١ بيان ذم الغضب   | ١١٥ الآفة الخامسة المحسومة                           |
| ١٦٣ بيان حقيقة الغضب  | ١١٦ الآفة السادسة التعمر في الكلام بالقتل            |
| ١٦٥ بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا                               | وتكلف السجع والتصاحة الخ                             |
| ٢٦٨ بيان الأسباب المهيجة للغضب  | ١١٧ الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان          |
| ١٦٩ بيان علاج الغضب بعد هيجانه  | ١١٩ الآفة الثامنة اللعن                              |
| ١٧١ بيان فضيلة كظم النيط  | ١٢٣ الآفة التاسعة الفناء والشعر                      |
| ١٧٢ بيان فضيلة الحلم  | ١٢٤ الآفة العاشرة الزاح                              |
| ١٧٥ بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام                            | ١٢٨ الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء            |
| ١٧٧ القول في معنى الحقد وتأثيره وفضيلة العفو والرفق                               | الآفة الثانية عشرة إفشاء السر                        |
| ١٧٧ فضيلة العفو والاحسان  | ١٢٩ الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب                  |
| ١٨١ فضيلة الرفق   | ١٣٠ الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين        |
| ١٨٣ القول في ذم الحسد وفي حقيقة وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته           | ١٣٤ بيان ما رخص فيه من الكذب                         |
| بيان ذم الحسد   | ١٣٦ بيان الحذر من الكذب بالمعاريض                    |
| ١٨٥ بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه  | ١٣٨ الآفة الخامسة عشرة النية                         |
| ١٨٨ بيان أسباب الحسد والنافسة   | ١٤٠ بيان معنى النية وحدودها                          |
| ١٩٠ بيان السبب في كثرة الحسد بين الأولاد والأقربان والإخوة وبين الم والم والأقارب | ١٤٢ بيان أن النية لا تقتصر على اللسان                |
| وتأكده وقلة في غيرهم وضعفه  | ١٤٣ بيان الأسباب الباعثة على النية                   |
| ١٩٢ بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد من القلب                                      | ١٤٥ بيان العلاج الذي يمنع اللسان عن النية            |
|   | ١٤٧ بيان محرم النية بالقلب                           |
|   | ١٤٨ بيان الأعداء للرخصة في النية                     |
|   | ١٥٠ بيان كفارة النية                                 |
|   | ١٥١ الآفة السادسة عشرة النية                         |
|   | ١٥٢ بيان حد النية وما يجب في ردها                    |

صفحة

١٩٥ بيان القدر الواجب في نفى الحسد عن  
القلب

١٩٦ (كتاب ذم الدنيا)

وهو الكتاب السادس من ربيع  
المراسك

١٩٧ بيان ذم الدنيا

٢٠٦ بيان الواعظ في ذم الدنيا وصفها

٢٠٩ بيان صفة الدنيا بالأمنّة

٢١٤ بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق البعد

٢١٩ بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها

التي استغرقت هم الخلق حتى أنسهم

أنفسهم وحالهم ومصدرهم وموردهم

٢٢٥ (كتاب ذم البخل وذم حب المال)

وهو الكتاب السابع من ربيع

المراسك

٢٢٦ بيان ذم المال وكراهة حبه

٢٢٨ بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم

٢٣٠ بيان تفصيل آفات المال وفوائده

٢٣٢ بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة

والأيسر مما في أيدي الناس

٢٣٥ بيان علاج الحرص والطمع والدواء

الذي يكتب به صفة القناعة

٢٣٧ بيان فضيلة السخاء

٢٤٢ حكايات الأسخياء

٢٤٧ بيان ذم البخل

٢٥٠ حكايات البخلاء

٢٥١ بيان الإيثار وفضله

٢٥٣ بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما

٢٥٥ بيان علاج البخل

٢٥٧ بيان مجموع الوظائف التي على الصبد

في ماله

٢٥٨ بيان ذم التقى ومدح الفقر

صفحة

٢٦٨ (كتاب ذم الجاه والرياء)

وهو الكتاب الثامن من ربيع

للهلكات وفيه شطران

٢٦٩ الشطر الأول في حب الجاه والشهرة

وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة

الحقول الخ

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

٢٧٠ بيان فضيلة الحقول

٢٧١ بيان ذم حب الجاه

٢٧٢ بيان معنى الجاه وحقيقته

٢٧٣ بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع

حق لا يخلو عنه قلب إلا بشديد الجاهدة

٢٧٦ بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي

الذي لا حقيقة له

٢٧٨ بيان ما عمد من حب الجاه وما ينم

٢٧٩ بيان السبب في حب اللذخ والثناء

وارتياع النفس به وميل الطبع إليه

وبعضها للذم وتغريرها منه

٢٨٠ بيان علاج حب الجاه

٢٨١ بيان وجه العلاج لحب اللذخ وكراهة الذم

٢٨٣ بيان علاج كراهة الذم

٢٨٤ بيان اختلاف أحوال الناس في للذخ والذم

٢٨٥ الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه

وللمسرة بالعبادات وهو الرياء وفيه

بيان ذم الرياء إلى آخره

٢٨٦ بيان ذم الرياء

٢٩٠ بيان حقيقة الرياء وما يرامى به

٢٩٣ بيان درجات الرياء

٢٩٧ بيان الرياء الحق الذي هو أخفى من

ديب الخلد

٢٩٩ بيان ما يحبط العمل من الرياء الحق

والخيل ، وما لا يحبط

٣٠٢ بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه

| صفحة | صفحة   |
|------|--|
| ٣٠٨  | بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات   |
| ٣١١  | بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكرهاة اطلاع الناس عليه وكرهاة ذمهم له                             |
| ٣١٣  | بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات   |
| ٣٢٠  | بيان مايجب من نشاط البدل للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح                                    |
| ٣٢٣  | بيان ماينبغي للريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبسبب وفيه   |
| ٣٢٦  | (كتاب ذم الكبر والعجب)   |
|      | وهو الكتاب التاسع من ربيع للهملكات وفيه شطران  |
| ٣٢٧  | الشرط الأول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر الخ  |
|      | بيان ذم الكبر  |
| ٣٢٩  | بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في الشئ وجبر الثياب   |
| ٣٣٠  | بيان فضيلة التواضع   |
| ٣٣٤  | بيان حقيقة الكبر وآفته   |
| ٣٣٦  | بيان التكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه  |
| ٣٣٨  | بيان مابة التكبر   |
| ٣٤٣  | بيان البواعث على التكبر وأسبابه النتيجة له   |
| ٣٤٤  | بيان أخلاق التواضعين ومجامع ماينظر فيه أثر التواضع والتكبر                                     |
| ٣٤٨  | بيان الطريق في معالجة التكبر واكتساب التواضع له  |
| ٣٥٨  | بيان غابة الرياضة في خلق التواضع الشرط الثاني من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته الخ |
|      | بيان ذم العجب وآفاته   |
| ٣٥٩  | بيان آفة العجب   |
| ٣٦٠  | بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما بيان علاج العجب على الجملة                                    |
| ٣٦٣  | بيان أقسام مابة العجب وتفصيل علاجه   |
| ٣٦٧  | (كتاب ذم الغرور)   |
|      | وهو الكتاب العاشر من ربيع للهملكات   |
| ٣٦٨  | بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثله  |
| ٣٧٦  | بيان أصناف الغرورين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف  |
|      | الصنف الأول أهل العلم والمفترون منهم فرق   |
| ٣٨٩  | الصنف الثاني أرباب العبادة والعمل وللمغرورون منهم فرق كثيرة الخ                                |
| ٣٩٢  | الصنف الثالث للتصوفة والمفترون منهم فرق كثيرة الخ  |
| ٣٩٥  | الصنف الرابع أرباب الأموال والمفترون منهم فرق الخ  |

[تت]

## فهرس

## بقية عوارف المعارف لسهوردي الذي بالمماش

| صفحة   | ملحة   |
|--|--|
| ٢٤٧ الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره                      | ٢ الباب الثلاثون في تفاصيل أخلاق الصوفية                         |
| ٢٥٤ الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإنظار             | ١١٠ الباب الحادى والثلاثون في ذكر الأدب ومكانه من التصوف         |
| ٢٦٥ الباب الحادى والأربعون في آداب الصوم ومهامه                        | ١٢٣ الباب الثانى والثلاثون في آداب الحضرة الالهية لأهل القرب     |
| ٢٧٨ الباب الثانى والأربعون في ذكر الطعام ومافيه من للصحة والفسدة       | ١٣٩ الباب الثالث والثلاثون في آداب الطمارة ومقدماتها             |
| ٢٩٥ الباب الثالث والأربعون في آداب الأكل                               | ١٥١ الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره                |
| ٣١٥ الباب الرابع والأربعون في ذكر أديهم في اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه | ١٦١ سنن الوضوء ثلثة عشر  |
| ٣٤٠ الباب الخامس والأربعون في ذكر فضل قيام الليل                       | ١٦٢ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء |
| ٣٥٣ الباب السادس في ذكر الأسباب للمعينة على قيام الليل وأدب النوم      | ١٧٣ الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها            |
| ٣٧٠ الباب السابع في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل                | ١٨٩ الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب                 |
| ٣٩١ الباب الثامن والأربعون في همس قيام الليل                           | ٢٢٥ الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها           |











Biblioteca Alexandrina



0695965